محمد جمال صقر



نَديمُ العَروضيَّينَ

"ما هٰذه بمحاضرة؛ هٰذه خلية نحل"!

٢٠٢٦=١٤٤٧

بِسْمِ اللّٰهِ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَبِحَمْدِهِ
وَصَلَاةً عَلَى رَسُولِهِ وَسَلَامًا
وَرِضْوَانًا عَلَى صَحَابَتِهِ وَتَابِعِيهِمْ
حَتَّى نَلْقَاهُمْ

فِهْرِسُ الْمُنَادَمَاتِ

خَضْرَاءُ الدِّمَنِ
(أَدَبُ الْمُنَادَمَةِ عَلَى مَسَائِلِ الْفَنِّ وَالْعِلْمِ)

عَلَى الرِّيَاحِ الْعَتِيَّةْ
بِوَطْأَةِ الْمُرْجَعِيَّةْ
وَخَطْفَةِ الْمُحْدَثِيَّةْ
وَشَهْوَةِ النَّرْجِسِيَّةْ
نَجَوْتُ بِالْمَجْلِسِيَّةْ
فِيهَا الشُّجُونُ رَضِيَّةْ
فِيهَا الْعُيُوبُ هَدِيَّةْ
فِيهَا الْجُرُوحُ هَنِيَّةْ
شَأْنُ الْقُلُوبِ الصَّفِيَّةْ
فَإِنْ خَلَصْتَ إِلَيَّهْ
تُؤَمِّلُ الْحَقَّ فِيَّهْ
يَدَاكَ ضِمْنَ يَدَيَّهْ
غَنِمْتَهَا عَبْقَرِيَّةْ
وَإِنْ نَعَيْتَ عَلَيَّهْ
مَنَازِعِي الْمُفْرَدِيَّةْ
وَنِحْلَتِي الْمَذْوَدِيَّةْ
خَسِرْتَهَا مَنْهَجِيَّةْ(١)

---

(١) على رغم جَذْبة القَدَامة لي إلى أنا وتلامذتي إلى ما كان، وجَذْبة الحَدَاثة إلى ما يكون، وجَذْبة المُستقبليّة إلى ما سيكون- سلكنا بالمُنادمة (المجْلِسِيَّة)، مسلكًا من محبة الاستطراد وقبول التخطيء ومغفرة الشَّطَط، لا يسلكه إلا المتآخون المتحابون،

كان أبي الشيخ عبد الحميد صقر -عفا الله عنه في الصالحين!- أزهريا حافظا، شاعرا لغة ولهجة، خطيبا منشدا نديَّ الصوت، لا يفتأ ينشدنا مما يحفظ إنشادا طليا، ولم يكن ليذهب عني قبل أن يورثني من منازعه ويكسبني من مهاراته؛ فنشأت أحب اللغة العربية، وأشارك بإنشاد الشعر في الإذاعة المدرسية، وقبل أن أعرف العَروض نظمتُ من الشعر الموزون المقفى، ثم في الفرقة الأولى من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة كان بعض شعراء إخواني يعرض عليّ شعره فأنبهه على انكساره في بعض المواضع، فإذا راجع نفسه عرف وجاهة تنبيهي، ولو سألني تحرير ذلك ما عَرَفْتُ! ثم لم يكن أخفَّ عليَّ في مقررات الكلية من مقرر علم العروض، حتى إنني كنت أحيانا أصوِّب خطأ الأستاذ، أو أنظم له من بعض الصور الوَزنيّة النادرة!

ثم وُظفتُ معيدا بقسم النحو والصرف والعروض من الكلية، وكُلفتُ تدريس علم العروض لطلاب المجموعات، فجريتُ فيه مجرى أساتذتي، وكان مقرر علم العروض مقسما في تدريسهم على ثلاثة أقسام: الأول الأبحر المفردة لطلاب الفرقة الثانية، والثاني الأبحر المركبة لطلاب الفرقة الثالثة، والثالث القافية لطلاب الفرقة الرابعة. يشرح الأستاذ في محاضرته ما يتيسر له من المقرر، ويُطبّقه المعيد في مجموعته أو يكمل ما نقص منه، دون أن يحيد أيٌّ منهما في القسمين الأولين عن ذكر التفعيلات وتغييراتها وتفصيل الأوزان وصورها وتمثيلها بأبيات مبتسرة منتزعة من قصائد مختلفة، وتقطيع بعض الأمثلة رأسيًّا بالخطوط الطويلة المستقيمة وأفقيًّا بالخطوط القصيرة المائلة والدوائر ورموز التفعيلات وأوصافها- ودون أن يحيد أيٌّ منهما في القسم الثالث عن تعريف القافية وتحديد أجزائها وبيان ألقابها وأنواعها وعيوبها وتمثيلها بأبيات مبتسرة منتزعة من قصائد مختلفة.

سافرت بذلك التراث كله إلى قسم اللغة العربية وآدابها من كلية الآداب والعلوم الاجتماعية بجامعة السلطان قابوس، وكُلفت كثيرا دون غيري أو معهم تدريس علم العروض، فلم أستطع أن أدوم على ذلك

وتَعَهَّدْنا بالتوفيق لمن نادَمنا على ذلك، فأما من حضرنا جسدُه إنكارا واستثقالا وغاب عنا روحُه، فقد أخفق إخفاقَيْن مُبِينَيْن: أما الأول فأنْ لم ينتفع بنا، وأما الآخر فأنْ لم يَتحوَّل عنا إلى غيرنا! هذا ما أردتُه بهذا النشيد الذي وضعتُه قديما لتلامذتي العُمانيين في مثل هذا المقام، لنردده معًا أولَ كل محاضرة، ثم شملتُ به غيرهم.

التراث طويلا، ولاسيما أنني كنت مضطرا إلى أن أستغرق بمقرر واحد في فصل دراسي واحد ما انبسط قَبْلًا على ثلاثة مقررات في ثلاثة أعوام، والحاجة أم الاختراع!

في هذا الكتاب الذي أقدمه الآن صفوة ما فُرِق لي عنه في قسم اللغة العربية وآدابها من كلية الآداب والعلوم الاجتماعية بجامعة السلطان قابوس، حقيقة لا مجازا؛ فما هو غير أربع وعشرين محاضرة سجلها لنفسه عام ٢٠١٨، أحمد الناصري أحد حاضريها من ذوي الهمم، بجهاز تسجيل جامعي خاص، ثم أهدانيها، وسبقني إلى نشرها على حسابه الشبكي الصوتي، وكدت -لولا ثقلها الشديد!- أنشرها على موقعي الإلكتروني؛ ونصحني المسؤول الفني بأن أحول صوتياتها إلى مرئيات (فيديوهات)، وأنشرها على قناتي اليوتيوبية الخاصة؛ فكأنما فتح لي باقتراحه مغارة علي بابا فَانْتَهَبْتُهَا؛ فلم يكن أحبَّ إليَّ عندئذ من تحويل صوتياتي الكثيرة جدا وتحميلها على قناتي اليوتيوبية، غير أنني يسرني دائما أن أعترف بأن هذه المحاضرات العروضية الأربع والعشرين، هي أنفس ما في قناتي اليوتيوبية منذ كانت وأشدُّه تأثيرًا(١).

(١) من شهادات من استمع إليها ولم يحضرها قول أنوار محمد تلميذتي المصرية النجيبة بقسم النحو والصرف والعروض من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة عام ٢٠٢٣: "ما هذه بمحاضرة؛ هذه خلية نحل"! ومن شهادات من حضرها قول أصيلة الكلبانية تلميذتي العمانية النجيبة بقسم اللغة العربية وآدابها من كلية الآداب والعلوم الاجتماعية بجامعة السلطان قابوس عام ٢٠١٨: "سأقول قولًا صريحًا لا مُبالغة فيه: واللهِ إن محاضرةَ العَروض بل محاضرة المتعة والحماسة والابتهاج -هكذا أحبُّ أنْ أطلق عليها دائمًا- هي المحاضرة الوحيدة التي لا أتضجّر إطلاقا من حضورها، ولا أحب التغيب عنها. سأفتقدُ الترنمَ بالشعر، والمنافسة على القراءة الخالية من الأخطاء، والأسلوب التحفيزي الذي يمتلكه الدكتور، وحماسته وهو يشنّف مسامعنا بروعة الأداء، وقوله لنا: "شدُّوا دساتينَ أعوادكم، وأحْمُوا طبولَكم ودفوفَكم، واشربوا، واطربوا، ولا يَتقدَّمنَّ عازفٌ عازفًا، فإن ظن أنه يُحسِنُ فإنه يُسيء، واجعلوا النغمة أكثر زرقةً"! واليوم بعدما قالَ الدكتور: ستكون هذهِ القصيدة مسك الختام، كأنما أسدل الحُزن ستاره علينْا، وأنا أقولُ في قرارة نفسي: لن أرى على الإطلاق كهذهِ المحاضرة بكل ما فيها من متعةٍ علميةٍ وحماسةٍ وتشويقٍ ومنافسة. بعضٌ قليلٌ فما أحكي وما أصفُ! بحقّ هي من أجمل المحاضرات الأدبية. كم نحنُ بحاجة إلى محاضراتٍ تُثيرُ حماستنا العلمية كهذه المحاضرة التي نحضرها راغبين لا راغمين! فيضُ شكرٍ ووسام إجلال وإكبار لك -دكتور!- على كل ما قدمته لنا! ثم إنني أفخر كوني تلميذتك وقد تعلمت منك الشيء الكثير. وأخيرًا أقول:
الطيرُ يشدُو بالفضا معزوفتي إنَّ العَروض جَمالُهُ متفردُ"!

في فصل الربيع من عام ٢٠١٨ (يناير-أبريل)، انفردتُ بطلاب علم العروض جميعا، وكانوا ثلاث شعب(١)، فرتعت من تدريسه لهم ما شئت، لا تعوقني مشاركة، ولا تزعجني مخالفة. أعددت لهم ملفَّ "علمني عروض الشعر" كراسةً تدريبية، وأرسلته إليهم ليطبعوه فيكون بين أيديهم من المحاضرة الأولى، وفيه أسئلة تمهيدية، ثم قصائد مختارة محققة مدققة مطبوعة بمسافات بين أبياتها كافية لإضافة تخريجها في علم العروض، ثم رؤوس مسائل تكميلية. كنت أكتفي من البحر بأحظى صوره قبولا وأكثرها استعمالا، وأمثِّلها بقصيدة كاملة، منطلقا من المتقارب إلى الهزج فالطويل، ثم من الرجز إلى المتدارك فالبسيط، ثم من الرمل إلى الخفيف، ثم إلى المديد، ثم إلى المجتث، ثم إلى المضارع، ثم إلى السريع، ثم إلى المنسرح، ثم إلى المقتضب، ثم إلى الكامل، ثم إلى الوافر، مخرِّجًا في علم العروض أوزان الأبيات وقوافيها، متمسكا عقب الفراغ من كل قصيدة بإضافة ما يشبه البيانات في البطاقة الشخصية!

وإنما رتبت البحور هذا الترتيب الطريف، تَخْييلًا لِتوالُد البحور وتَسْهيلًا بتقديم أيسرها وشَفْع كل بحرين مُفْرَدَيْن منها بالبحر المُرَكَّب منهما أو منهما ومما سبقهما، وقد أفضى بي ذلك إلى تأخير بحرَيِ الوافر والكامل، فقدمتُ الكامل لسلامة صورته المختارة من التغيير، دون صورة الوافر المختارة.

ولقد حرصت بتحقيق كل قصيدة وشرحها وإقرائها، على توطينها في قلوب الطلاب، حتى إذا ما خرَّجتها لهم في علم العروض استوعبوا تخريجها وساعدوني عليه! وملأت عليهم المحاضرة في أثناء الشرح ثقافة عربية إسلامية، ولاسيما في أثناء إقرائهم وتوجيه قراءاتهم تصويبا وتخطيئا، ونافست بينهم في ذلك حتى أجرِّئهم وأحمِّلهم نصيبهم من الخِدمة، ثم علمتهم تلحين كل بيت بحسب بحره، وتوقيع التلحين بآلة خارجيةٍ ليستقر لديهم أن الأمر في هذا المقام لضبط اللغة واللحن، ثم حملتهم على تخريج سائر أبيات القصيدة زَرافات ووُحدانا. وكان من تمام تثقيفهم بالبحر أنْ حكيتُ لهم سيرته في اللغة العربية، من قديم إلى حديث ما اتسَعَت المحاضرة.

(١) ألحقتُ بالكتَّاب قوائم بياناتهم الجامعية الرسمية.

ثم عام ٢٠٢٣-٢٠٢٤ الجامعي، درستُ ما سميتُه "فقه العروض"، لطلاب الماجستير بقسم النحو والصرف والعروض من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، فكلفتُهم خِدمة هذه المحاضرات الأربع والعشرين؛ فكان هذا الكتاب -وسأذكر في حواشيه أسماءهم وأعمالهم، تنويهًا وتحبُّبًا!- الذي احتفظ بطبيعة المحاضرات بيني وبين الطلاب، وتميز كلامي فيه من كلامهم بالشَّرَطات المعروفة في إدراج الحوارات المَسْرحيّة: شرطة لأول كلامي، وشرطة لأول كلامهم، وكان كلامي أطول دائما من كلامهم طولا ظاهرا جدا. وقد حقَّقتُ فيه بعض ما أَعْجَلَتْني عنه المشافهة، ولم أوثق نَقْلًا بموضعه من مرجعه حرصًا على طبيعة المنادمة (المجالسة والمؤانسة)، وكل ذلك طريف عجيب، وأطرف منه وأعجب -وكذلك كان في أصل المحاضرات- أنني أثبتُّ في أثنائه تدريب الطلاب على إجابة اختبار المنتصف ثم التعليق على إجاباتهم بعده، ولاسيما أنه كان أشبه بأعمال السحرة والعرّافين، لا يجدون فيه غير كتلة كبيرة مصبوبة صَبًّا، من الكلام المتداخل بلا تقديم ولا تشكيل ولا تقسيم ولا ترقيم...، وكأنما هم في تحقيق مخطوط أقدم من الأعراف الإملائية- وأنني أثبتُّ من آخره تدريبَ الطلاب على إجابة اختبار المنتهى -ولم ألقهم بعده!- ولاسيما أنه ازداد مسائل القافية التي تشغلهم عنها مسائل الوزن، وهما معا نَغْمَتَا لَحْنٍ عروضي واحد!

لقد كنت تَأَلَّفْتُ قلوبَ طلاب هذه المحاضرات، بتسميتها "عَلِّمْني عَرُوضَ الشِّعْرِ"، الاسمَ الذي سمَّوها هم إياه، ثم سطع لي فيها بعد كتابة صوتياتها معنى المنادمة القديم (المجالسة والمؤانسة على الشراب)؛ فسميتُ كتابها هذا "نديم العروضيين"، مثلما سميتُ أخًا له سابقًا "نديم النحويين"، عسى أن يُؤَيِّدهما أخٌ لهما لاحق أسميه -إن شاء الله!- "نديم الصرفيين"، و"الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ"؛ صدق الله العظيم!

الْمُنَادَمَةُ الْأُولَى[1]

- **سلام عليكم!**
- وعليكم السلام!
- طبتم مساء -يا أبنائي!- وطاب مسعاكم إلينا! بسم الله -سبحانه، وتعالى!- وبحمده، وصلاة على رسوله وسلاما، ورضوانا على صحابته وتابعيهم حتى نلقاهم! كيف حالكم؟ كيف أمسيتم؟
- الحمد لله!
- لله الحمد والشكر! بارك الله فيكم، وشكر لكم، وأحسن إليكم، ويسر لنا ولكم كل عسير، وسهل كل صعب! أنا محمد جمال صقر أستاذ النحو والصرف والعروض بكلية دار العلوم، من جامعة القاهرة، الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية وآدابها، من كليتنا هذه الحبيبة (كلية الآداب والعلوم الاجتماعية)، بجامعتنا هذه الغراء (جامعة السلطان قابوس)، أتشرف بأن أدرس لكم علم العروض. وكما تعرفت إليكم تتعرفون إلي؛ أريد أن أسمع من كلٍّ منكم اسمه ولقبه ومنطقته؛ حتى أتخيله في مكانه، وأعرف شأنه وأمره كله -إن شاء الله!- فأنا لا أحب أن أعيش في مكان هكذا غافلا عما يجري فيه. ولنبدأ بتلميذنا مسعود الجديدي.
- مسعود بن عبد الله الجديدي، من ولاية بهلاء.
- بضم الباء، وفيها نظر.
- فيصل المعمري من ولاية لواء.
- عمر الرشيدي من ولاية السويق.

---

(١) رابط هذه المنادمة في قناتي اليوتيوبية:

https://www.youtube.com/watch?v=ROWr١sgOXU٤&list=PL٠_bvBmuM٥ySq٦hXNd٤GWcNFIUaI٤uqCM

وقد فرغتها ندى الشربيني، وراجعتها لها أنوار محمد.

- المهلب، ومن سميته فقد دللتكم على أنه تَلْمَذَ لي من قبل حقيقة أو حكما، أما التلمذة الحقيقية فأن يجلس مثل هذا المجلس، وأما التلمذة الحكمية فأن يواصلني بإحدى وسائل التواصل المتعددة المختلفة، أو بالزيارة، أو بما تيسر له.
- المهلب البوسعيدي من ولاية بهلاء.
- مروان الرديني من ولاية الخابورة.
- مسعد الجعفري من ولاية جعلان بني بو علي.
- عبد الرحمن البوسعيدي من ولاية السويق.
- وعبد الرحمن هذا يشرفنا بحضوره؛ فهو أصلا خريج الأدب الإنجليزي، ثم هو الآن باحث، أي طالب كبير، وحضوره هنا حضور خاص جدا، نقدره له، ونحييه عليه!
- أحمد الناصري من ولاية عبري.
- وأحمد هذا شيطان من الشياطين(١)!
- سالمة الغدانية من ولاية دماء والطائيين.
- منى النوتكية...
- ما شاء الله!
- ذكرى البلوشية من ولاية الخابورة.
- انتصار الشاعرة الجميلة!
- انتصار الحربية...
- ميسون الراشدية من ولاية سمائل.
- ميس الريم، ها!
- مريم المقبالية من ولاية صُحار.
- أنوار الرشيدية من ولاية بركاء.
- نورة الشريقية من ولاية بهلاء.
- تلميذتي، بارك الله فيك!

---

(١) هذا الطالب كأنه كفيف، يسرت له الجامعة جهاز قراءة وكتابة خاصا.

- كاذية الدغيشية...
- لميس الزكوانية...
- بدرية الشكيلية من ولاية الرستاق.
- ما شاء الله!
- مروا السعيدية...
- اسمك بالألف؟
- نعم.
- مشكلة الألف، هذه طبعا مشكلة الكاتب، مشكلة الكاتب معروفة في كل مكان. لا أدري هل من السهل أن نصحح مثل هذه الأشياء، نحاول، إن شاء الله!
- هذه تلميذتي.
- أماني الجابرية من ولاية صحار.
- حنين الحجرية من ولاية بدية.
- خديجة البوصافية...
- تلميذتي.
- أصيلة الحجرية من ولاية بدية.
- وكذلك أصيلة كأنها تلميذتي!
- أنا هنا أدرس للعائلات، فرتبوا أموركم على هذا الأمر، أنا أدرس للعائلات، كنت هنا من أكثر من عشرين سنة، فدرست للآباء والأمهات، والآن أدرس للبنات، وإن شاء الله أدرس للأحفاد!
- راية الغافرية من ولاية عبري.
- شفاء البدرية...
- بارك الله فيكم جميعا، تشرفنا بكم، وإن شاء الله نزيد بكم، ولا ننقص أبدا! المكان طيب، هذا الفصل مريح جدا، واسع، يتحرك الواحد فيه هكذا، ويتنفس، أحسن من الفصول الضيقة. أتشرف كما قلت لكم بتدريس علم العروض، لن أقول كما كنا نقول دائما: "بتدريس المقرر عليكم من علم العروض"، لأنكم لن تدرسوا علم العروض إلا بهذا المقرر في هذا الفصل!

- قليل؟
- قليل، لكن ماذا نفعل؟ لا حيلة. كنت قديما أقول للطلاب: أتشرف بأن أدرس لكم المقرر عليكم من كذا، أي طرفا جزءا من مقرر ما، أما الآن فلم يعد هذا الكلام يصلح، ينبغي أن أدرس لكم كل شيء! كيف هذا؟ لا أدري! هذا عمل أشبه بعمل السحرة، يعرفه أهل بهلاء -بفتح الباء أو ضمها، المهم أنهم يعرفونه!- هذا أشبه بما يسمونه في المثل المصري "الفيل في المنديل" -جَلَا جَلَا!- بعمل السحرة، أي أن تخرج الفيل من المنديل! وكيف يخرج الفيل من المنديل؟ وكيف سيكون هذا المنديل؟ هذا يخرج منه مثلا كتكوت، أما أن يخرج فيل فهذا شيء عجيب! لكن ما لا يدرك كله يدرك بعضه، ولاسيما إذا كان بعضه هذا نائبا عنه، أو إذا كان خلاصته، روحه، أهم ما فيه، وهو ما سنجتهد فيه، إن شاء الله! لكن عليكم أن تكملوا وأن تتوسعوا إذا أعجبكم الأمر، وسيعجبكم، إن شاء الله! هذا ملف المحاضرات(١)، ينبغي أن يكون بين يدي كل واحد منكم، أرسلته إليكم ملحقا برسالة شرحت لكم فيها كيف تُصوِّرونه، فهل فعلتم؟ هل فعلتم؟ من فعل؟ أنت؟
- نعم.
- هاتي الملف! هذا الملف؟ لا، أخطأت إذن -لهذا نتوجس أن آخذ الملف!- خطأ هذا، خطأ، خطأ! سالمة؟
- نعم.
- صواب. هذا الذي فعلته ابنتي تلك إذن خطأ، لأنها وفرت الأوراق -قالت: سأوفر نصف الأوراق وسأطّلع على الصفحات كلها بي دي إف!- ستواجه فيما بعد مشكلة، ما هذه المشكلة؟ أن تفتش عن أماكن -فلا تجد- لتكتب زيادات المعلومات التي تحب أن تكتبها، فلا تجد، ستندم عندئذ ولات ساعة مندم! بل قلت لكم: من شاء أن يضيف أوراقا أضاف، فجاءني بعضكم ومعه مجلد ضخم: ما هذا؟ قال: أضفت بعد كل صفحة ثلاث صفحات! معقول! ظننت أنه صور قطعة كبيرة من الكتب، فتبين أنه ملف، وبعد كل صفحة ثلاث صفحات، توقَّعَ توقَّعَ! كان أخوه تلميذي قبله، فتوقع! فماذا ستفعلون -إن شاء الله!- ولا حول ولا قوة إلا بالله! أوصيتكم إذن

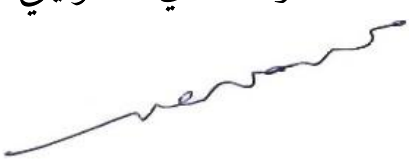
---

(١) خمسون صفحة تقريبا، نقلتُ كلَّ ما فيها إلى موضعه من هذا الكتاب، يطبعها الطلاب، وتكون بين أيديهم كلَّ محاضرة.

أن تطبعوا هذا الملف، أرسلته إليكم ليلة الخميس، لتطبعوه الخميس، ليكون اليوم الأحد بين أيدينا بحيث لا عذر، لا عذر، لأنه ملف محاضرات، لا مرجع، ليس هذا الملف مرجعا! كيف؟ ما هو إلا ملف محاضرات نستهلكه في المحاضرات، نستهلكه كالذي كنتم تستهلكونه في الثانوية، بحصص الرياضيات، نحلّه في أثناء المحاضرات، تمام؟ أما المرجع فكتاب "العروض المُغنّى" مثلا الذي تسلمتموه من هذا المخزن، وليس بمرجع على الحقيقة، بل صاحبٍ مؤنس، فيه فكرة نفذها الدكتور هلال الحجري، وهو كما تعرفون، شاعر؛ وكتبُ الشعراء شعراءُ الكتب، وكان الدكتور هلال رئيسا لقسمنا -هل حضرتموه؟- ثم استقال في غضبة فنية من غضبات الشعراء، وثورة من ثوراتهم، وانتقل إلى وزارة الثقافة! هو باحث متخصص، ولكنه قال: لماذا لا أؤلف كتابا عروضيا أبنيه على القصائد المغناة (الأغاني)، فقط؟ فقدم تجربة لطيفة لا مرجعا، نستفيد منها، ولا نلغيها من مرجعية المقرر، ولاسيما أنه ليس معنا؛ فليس من محاسن الأخلاق أن نلغي كتابا بغياب صاحبه، بعد أن قررناه لأن صاحبه رئيس القسم -"عاش الملك، مات الملك"!- لا، ومعاذ الله! ثم أنا أحب الدكتور هلالا -بارك الله فيه، ونفع به!- وقد أهداني على البُعد نسخة من نشرته الأولى -ولم أكن هنا أصلا- أرسلها إليّ بإهداء لطيف؛ شكر الله له، وأحسن إليه! لكنني من أجل أن أعالج هذه المشكلة رفعتُ لكم على موقعي (www.mogasaqr.com)، ما يسد الخلل، فمن شاء منكم أن يحقق ويدقق فليذهب إليه، يُنزّل من عليه "ميزان الذهب" للهاشمي، و"كن شاعرا" لعمر خلوف! من فعل؟ من فعل هذا منكم؟ لا أحد!

- نعم.
- سلمى، ثم من؟
- نعم.
- مروة، ومن؟
- نعم.
- حنين، ومن؟ ما شاء الله! مجتهدات، ما شاء الله، ميس لم تفعل شيئا! ومن؟
- نعم.
- مسعود، مهلب -ما شاء الله بارك الله فيكم!- هل نَزّلتموه من على الموقع؟

- نعم.
- ما شاء الله! أيُّ عناء في هذا والنقّالات (الهواتف المحمولة) وصلت إلى مئات الجيجات -ما شاء الله!- تستطيعون أن تُنزّلوا مكتبة الجامعة كلها كلها على النقّال، تقرؤون منها وقتما تشاؤون، نعمة، نعمة! هذا هو الجانب المحمود من الشبكة، فكيف نهمله؟ أنا عندي آلافُ آلافِ الكتب، وعلى الواتساب مجموعات لتداول الكتب، نتداولها فيما بيننا، كمجموعة "روابط لغوية مقروءة" مثلا، التي يقوم عليها فهد العبري من نزوى -وهو في الدراسات العليا بنزوى طبعا، ولكنه يريد أن ينضم إلينا في الدكتوراة، ما شاء الله!- لا يكل ولا يمل، وعنده ما ليس عند غيره، سألته مرة عن ديوان المعولي ولم أتخيل أنه حُمِّلَ على الإنترنت، فأرسله إليّ -ما شاء الله!- نعمة ينبغي أن نستفيد منها. حَمَّلْتُ لكم إذن على موقعي ما يسد الخلل الذي يختل بطبيعة كتاب "العروض المغنى" الخاصة، وبطبيعة ملفنا (ملف المحاضرات)؛ فأنا في العادة أجهز للطلاب ملف محاضرات -مهما كان المقرر!- ليطبعوه، نتناول المقرر من خلاله، ولكنه ملف محاضرات، لا يطمح إلى أكثر من أن يكون نفسَه. ما الذي في هذا الملف الذي سميته باقتراحكم "عَلِّمْنِي عَرُوضَ الشِّعْرِ"؟ اسمه قريب، نعم، لكنه يكفيه فخرا أنه من تسمية طلاب العلم! يمكنني أن أسميه اسما موغلا في التفنن، فيه التعمق والإيحاء وكذا وكذا، ولكنه لن يحظى عندئذ بشرف تسمية الطلاب! واسمه عَلَمٌ على ما يريده الطالب، يقول: علمني عروض الشعر! فأقول: أعلمك، إن شاء الله! وهذا الذي هنا توقيعي:



كنت أكتب اسمي، فخطر لي أن أضع التوقيع حتى تميزوه حينما تجدونه على ملفاتكم (ملفات الأعمال من واجبات وأبحاث وغيرها). قال لي أحد أساتذة كلية الطب: أتوقيعٌ هذا أم رَسْمُ قلب! فأعجبتني كلمته جدا، "أتوقيعٌ هذا أم رَسْمُ قلب"! وهل يرجو الواحد منا لتوقيعه أصدق من أن يكون هو رسم قلبه! يا سلام! أن يكون توقيعي رسم قلبي، أي أن أوقع لك بقلبي، بدم قلبي، كلما وقعت لك؛ هل في الإمكان أبدع من هذا؟ لا. هذا هو الملف، وقد شكلته لكم بالأحمر بعد أن تعلمته طبعا؛ لم أكن أعرف سر هذا التشكيل بالأحمر فيما سبق، وأول ما رأيته رأيته في بكين من الصين عام عشرة وألفين، فقلت: هذا من عجائب الصينيين، حوَّلوا لي الملف، كنت أحاضر

في جامعة بكين، فحولوا لي الملف إلى التشكيل بالأحمر -ما شاء الله، عفاريت!- كنت أحاضر في مكان به مكتب ينفتح فتخرج من بطنه العجائب! قلت: وهذا من تحضير العفاريت! ومكبرات الصوت في الجدران، تقف بجوار الجدار تتكلم هكذا؛ فينتشر صوتك في المكان، وأمام كل طالب جهازه، وملف المحاضرة وصلهم قبلها -أنا الآن أقلدهم- ليكون أمامهم في المحاضرات! أعجبني هذا جدا، وتعلمت من التجربة؛ "اطْلُبُوا الْعِلْمَ وَلَوْ فِي الصِّينِ"، وقد فعلنا! ليست هذه العبارة بحديث، ولكنها قول مشهور، يُستعمل في مثل هذه المواقف. **يا جماعة، لا نطمح في هذا المقرر إلى أكثر من أن نستطيع كلما سُئلنا تخريجَ شيء من الشعر تخريجا عروضيا، أن نقدم فيه مثل هذا الذي أثبتُّه لكم في أول الملف:**

- قال سُوَيْدُ ابنُ كُراعَ العُكْلِيّ (مُعاصِرُ جَرِيرٍ والفَرَزْدَقِ):

أَبِيتُ	بِأَبْوابِ الـْ	قَوَافِي	كَأَنَّمَا	أُصَادِي	بِهَا سِرْبًا	مِنَ الْوَحْـ	شِ نُزَّعا
دَدَنْ د	دَدَنْ دَنْ دَنْ	ددن دن	ددن ددن	ددن دن	ددن دن دن	ددن دن	ددن ددن
فَعولُ	مَفاعيلُنْ	فعولُنْ	مفاعلن	فعولن	مفاعيلن	فعولن	مفاعلن
مقبوضة	سالمة	سالمة	مقبوضة	سالمة	سالمة	سالمة	مقبوضة
أُكَالِـ	ئُهَا حَتَّى	أُعَرِّ	سَ بَعْدَمَا	يَكُونُ	سُحَيْرًا أَوْ	بُعَيْدَ	فَأَهْجَعا
ددن د	ددن دن دن	ددن د	ددن ددن	ددن د	ددن دن دن	ددن د	ددن ددن
فعولُ	مفاعيلن	فعولُ	مفاعلن	فعولُ	مفاعيلن	فعولُ	مفاعلن
مقبوضة	سالمة	مقبوضة	مقبوضة	مقبوضة	سالمة	مقبوضة	مقبوضة

- **القصيدة طَوِيلِيَّة الأبيات الوافية المقبوضة العروض والضرب، عَيْنِيَّة القوافي المُفْتوحة المُجَرَّدةِ الموصولةِ بالألف.**

على طريقة قول الشاعر:

"رَأَى الْأَمْرَ يُفْضِي إِلَى آخِرٍ فَصَيَّرَ آخِرَهُ أَوَّلَا"!

أو كما نقول في اللهجة: هات من الآخر! جئت لكم بالأمر من آخره. نريد في آخر المطاف أن نستطيع أن نفعل هذا في كل شعر يُقدَّم إلينا. يقول لك صاحبك من كلية كذا أو كلية كذا أو كذا: خرِّج لي هذا الشعر في علم العروض! فتكتُب له فيه مثل ما أثبتُّ لك. بل أدعي أن طريقتنا في التدريس -إن شاء الله!- ستوصلك إلى تخريجه شفويا من دون حاجة إلى كتابة، وهذا هو

الأصل؛ فلغتنا -واللغة على وجه العموم- صوتية لا كتابية، وما الكتابة إلا تسجيل؛ فأنتم الآن مع الأسف تسجلون على النقّال بالحروف اللاتينية أحيانا -ما هذا؟ هذا خطأ قطعا، لكنه يدلكم على أننا في الكتابة إنما نسجل فقط- وأحيانا تسجلون صوتيا. هل تكتبون الآن على الحاسوب بالخط؟ لا، بل بالنقر، بعد أن كنتم تخطون صرتم تنقرون، وأحيانا تفعلون غير هذا. كل هذه وسائل تسجيل، أما اللغة فالمنطوقة، اللغة هي المنطوقة، كل ما تجدونه مما سوى المنطوقات فليس بلغة، بل وسائل تسجيل فإذا أردتم أن تتمكنوا من اللغة وعلومها وفنونها فتمكنوا منها صوتيا ونطقيا، بأن تستمعوا وتتحدثوا قبل أن تتمكنوا منها كتابيا، فما الكتابة غير تسجيل، والتسجيل متاح بكل وسيلة. ولا ريب في أننا نريده أن يكون بحروف العربية حتى نحافظ على تاريخنا، على استمرارنا. هل سمعتم عن الدعوة إلى كتابة العربية بالحروف اللاتينية! أطرف ما فيها أن الذي دعا إليها في أول الأمر كان عضوا بمجلس الشورى -ونعم المشير!- كان يدعو إلى كتابة العربية بالحروف اللاتينية، وكان مصريا اسمه عبد العزيز فهمي باشا، وكان عضوا بمجلس الشورى -أية شورى هذه، وأية إشارة!- فهاجمه الناس! وكتابه في هذه الدعوة "الحروف اللاتينية لكتابة العربية"، عندي، وقد قرأته، ومن طرائفه أيضا أنه كان يمليه على خريج لغة عربية، خريج دار العلوم، ذكره في الهامش، وشكره! فاعجبوا لكتاب في الدعوة إلى كتابة العربية بالحروف اللاتينية، يؤلفه قاض مستشار، ويمليه على خريج إحدى أكبر كليات اللغة العربية! نحن لا نطمح في آخر المطاف إلى أكثر من أن نستطيع أن نخرِّج كل شعرٍ مثل هذا التخريج؛ فماذا ترون؟ أليس بطاقة كالبطاقة الشخصية؟ ما الذي في البطاقة الشخصية؟ أليس صورة وبيانات؟ قبل نشأة الصور كانوا يصفون الشخص. لقد زرت خزانة معلومات مصر بقلعة صلاح الدين، هل سمعتم عنها؟ هي قريبة من بيتي -صرح قديم، كان قلعة لصلاح الدين البطل الفاتح المنتصر هازم الصليبيين- نقلوا إلى حِماها الملفات القديمة كلها، فلما زرتها وجدتُ على بعض معارضها المعلقة صورةَ بطاقةٍ شخصية قديمة، خالية من صورة صاحبها، ولكن فيها أوصاف فمه وعينه وأنفه وأذنه وشعره، يصفونها بالكلام، فلما نشأ التصوير استغنوا بصورة صاحب البطاقة عن أوصافه، وبجوارها بيانات أخرى ليست في الصورة، كاسم صاحبها وبلده وكذا وكذا. أريد أن أقدم للشعر بطاقة كالبطاقة الشخصية، الصورة فيها هي هذا الجزء:

أبِيتُ	بِأبوابِ الـ	قوَافِي	كأنَّما	أصَادِي	بِهَا سِرْبًا	مِنَ الوَحْـ	شِ تَزَّعا
ددنْ د	ددنْ دنْ دنْ	ددن دن	ددن ددن	ددن دن	ددن دن دن	ددن دن	ددن ددن
فَعولُ	مَفاعيلنْ	فعولنْ	مفاعلن	فعولن	مفاعيلن	فعولن	مفاعلن
مقبوضة	سالمة	سالمة	مقبوضة	سالمة	سالمة	سالمة	مقبوضة
أكَالِـ	ـئُهَا حَتَّى	أعَرِّ	سَ بعدَمَا	يَكُونُ	كَثِيرًا أوْ	بَعِيدٌ	فَأُجْمَعَا
ددن د	ددن دن دن	ددن د	ددن ددن	ددن د	ددن دن دن	ددن د	ددن ددن
فعولُ	مفاعيلن	فعولُ	مفاعلن	فعولُ	مفاعيلن	فعولُ	مفاعلن
مقبوضة	سالمة	مقبوضة	مقبوضة	مقبوضة	سالمة	مقبوضة	مقبوضة

والبيانات هي هذا الجزء:

- القصيدة طَوِيلِيَّة الأبيات الوافية المقبوضة العروض والضرب، عَيْنِيَّة القوافي المُفتوحة المُجَرَّدة الموصولة بالألف.

بطاقة عروضية للقصيدة، شخصية صريحة. واعلموا أن هذه البطاقة تحتاج إلى أكثر من بيت، لأن البيت الواحد لا يكفي، فربما كان خادعًا، يخدعك عن نفسه، إذ يحدث أحيانا أن يستعمل الشاعر بعض التغييرات التي تُلْبِس عليك، فتنخدع، فإذا حكمت على القصيدة بهذا البيت وحده أخطأت! فما الحل؟ الحل ألا تكتفي ببيت، أن تضيف، أن تمر في القصيدة حتى تطمئن، ومن باب طمأنة الآخر تضيف له إلى ذلك البيت بيتا آخر، فكأنك تقول له: قد مررت في القصيدة واطمأننت إلى أنها جرت على هذا المجرى، وهذا بيت منها آخر، قد أضفته إلى الأول. معي؟

- نعم، نعم؛ معك.
- هذا هو، لا تكتمل البطاقة إذن ببيت واحد؛ لهذا سأوصيكم في تكاليف الأبحاث التي ستقيمونها على الدواوين الكاملة، ألا تقتصروا من القصيدة على بيت واحد، لا يجوز؛ فربما خدعك، كما يخدعك البيت من بحر الكامل مثلا، حين يلتبس بالبيت من بحر الرجز التباسا، والبيت من بحر الوافر حين يلتبس بالبيت من بحر الهزج؛ فماذا نفعل؟ نحتاج إذن إلى أكثر من بيت، وسنكتفي ببيتين، وإذا أضفت إليهما فهذا أحسن، إلا أن يكون الديوان كبيرا؛ ففي مرة مثلا قدمت لي زميلتكم إخلاصُ من الدفعة السابقة، مجلدا، تعرفون إخلاص؟
- نعم، معروفة.
- دخلت عليَّ بمجلد: ما هذا، يا إخلاص؟ رسالتك للماجستير؟

- بحثي، يا دكتور!

- دخلت تحمله تحتاج إلى مساعِدة تحمله معها! وقد حصلت في هذا المقرر على تقدير "ألف" طبعا، لا بالبحث فقط، ولكنه دل على مبلغ اجتهادها. في هذه البطاقة صورة وبيانات، الصورة تعبير عن الشعر بطريقة عجيبة ينبغي أن تُفصّل: فيها تقطيع للبيتين على أجزاء، ثم إضافة رموز من الدال والنون، ثم إضافة رموز من الفاء والعين والواو واللام والنون والميم والياء، ثم إضافة أوصاف عجيبة! ما هذا يا أستاذ؟ هذا تخريج وزن الشعر. واعلموا أنني أستعمل في تخريج الوزن آلة حادة، آلة حادة هي هذه العصا:



أوقِّع بها -ولي فيها مآرب أخرى!- هكذا: أَبِيتُ= دَدَنْ دَ. اسمها ليلى، هذه العصا اسمها ليلى! أذكر أن ابتسام الجَرِّيّة التي تَلْمَذَتْ لي أوائل ما درستُ في هذه الجامعة قبل أكثر من عشرين سنة - هي الآن أستاذة كبيرة، في الدكتوراة، ينبغي أن تكون فرغت منها، رائعة جدا مدهشة هذه البنت- اتخذَت عصًا مثلها، ولكنها سمَّتها قَيْسًا، بِرًّا بليلى! عصاي هذه مثل عصا قائد الأُرْكِسْتَر، أوقِّع بها حتى أجرِّد لكم الوزن فتعرفوا أن الأمر أمر وزن لا شيء آخر، أمر موسيقى، هكذا: أَبِيتُ= دَدَنْ دَ، بِأَبْوَابِ الْـ= دَدَنْ دَنْ دَنْ، قَوَافِي= دَدَنْ دَنْ، ... لقد اخترت لكم في هذه البطاقة بيتين من شعر شاعر مغمور، هو سويد ابن كُرَاعَ العكلي -وكُرَاعُ اسم أمِّه؛ لهذا منع الكلمة من الصرف، لو كان اسم أبيه لصُرِف فقيل: سويد ابن كراعٍ العكلي، لكن لما كان اسم أمه منع من الصرف للعلمية والتأنيث- شاعر مغمور، تعرفون مُعاصرَيْهِ جريرًا والفرزدق ولا تعرفونه،

ولكنه في هذا الموقف أشعر من جرير ومن الفرزدق؛ هو في هذا الموقف يتكلم عن الشعر كيف يحس به، وكيف يعالجه حتى يقوله. قدم في هذه الأبيات شيئا لم يقدمه لا جرير ولا الفرزدق ولا المتنبي ولا أبو تمام ولا البحتري ولا فلان ولا فلان...؛ فاستحق أن يُقدّر، ولم يضِرْه أنه مغمور -فرب مغمور أفضل من مشهور!- والنقاد النقاد هم المشتغلون بالمغامير لا المشاهير - ومغامير جمع مغمور، كمشاهير جمع مشهور- يشتغلون بهم ليَشهروهم وينصفوهم، لا بالمشاهير ليشتهروا بهم؛ في الكلام عن المشاهير شُبهة، أما الكلام عن المغامير فلا شُبهة فيه! في الكلام عن المشاهير شبهة الطموح إلى أن أشتهر كشهرتهم، حينما أكتب عن المتنبي أريد أن أكون لصيقه وقرينه، كلما دخل شخص، فكشف في الشبكة عن المتنبي- خرجت أنا له بحثي فيه، لكن من هذا الذي يدخل ليبحث عن سويد ابن كراع؟ من؟ لا أحد! لا، سأعلم الناس كيف يبحثون عنه، سأدلهم عليه، والدال على الخير كفاعله؛ انظروا ماذا قال: "أَبِيتُ بِأَبْوَابِ الْقَوَافِي"، الله على الكلام الجميل!

"أَبِيتُ بِأَبْوَابِ الْقَوَافِي كَأَنَّمَا أُصَادِي بِهَا سِرْبًا مِنَ الْوَحْشِ نُزَّعَا
أُكَالِئُهَا حَتَّى أُعَرِّسَ بَعْدَمَا يَكُونُ سُحَيْرًا أَوْ بُعَيْدَ فَأَهْجَعَا"!

ما هذا الكلام؟ انظروا كيف جعل الشعر كأنه في مكان له مدخل، كأنه مكان فسيح بين جبال مثلا، له مدخل، فهو يبيت عند المدخل هكذا، يراقب من بعيد، وجعل القوافي هي الأبواب، وهو يريد الشعر كله، هذا مجاز عن الشعر، مجاز مرسل علاقته الجزئية. "أَبِيتُ بِأَبْوَابِ الْقَوَافِي"، أي بأبواب الشعر، لكن لماذا ذكر القوافي؟ لأهميتها، وهي شبيهة بالمدخل حقًّا، كأنها مدخل، تدخل به من الآخر كما تدخل من الأول، فللبيت مدخلان: أوله وآخره، حتى إن الدكتور جمال الدين بن الشيخ في كتابه "الشعرية العربية"، جعل القوافي للأوائل والأواخر، أي نبهك على أن تعتني بالأوائل كما تعتني بالأواخر. وقد انتبه العرب إلى هذا، فسموا الأوائل المطالع والأواخر المقاطع، ودلُّوك على أهميتهما كليهما جميعا معا؛ فهذا ابن رشيق في "العمدة"، ينبهك على العناية بالمطالع والمقاطع، لأن المطالع أول ما يقع على السمع، والمقاطع آخر ما يبقى في السمع؛ فانتبه! "أَبِيتُ بِأَبْوَابِ الْقَوَافِي كَأَنَّمَا أُصَادِي"، أي أخادع وأخاتل بها "سِرْبًا"، جماعة، "مِنَ الْوَحْشِ"، من الحيوان غير المستأنس، "نُزَّعَا"، غريبة. انظروا! كيف شبه الشعر؟ شبهه بجماعة من الوحش

أي الحيوان غير المستأنس، نُقلت من مكانها إلى مكان آخر، فهي أشد فزعا. تخيلوا مثلا أننا أحضرنا إلى عُمان دُبًّا أبيض، كيف كان سيكون فيها! هذا أشبه بكينج كونج في الفِلْم الأمريكي، أرأيتم كيف حمَله ذلك المجرم من الغابة، آه! شيء مؤلم! حمله من الغابة ليجذب به الناس! وفِلْم آخر عن شخص حمل قِردًا من الغابة إلى بيته، ورباه، وأحسن إليه، وفي النهاية تركه القرد إلى الغابة! رباه حتى صار القرد يتكلم، ثم رجع القرد، بل ثار، وثوَّر القرود التي كانت تحت التحليلات والتجارب، ورجع بها جميعا إلى الغابة، فذهب إليه صاحبه، ولقيه وقد صار زعيم القرود، فقال له: هيا فلنعد إلى البيت! فقال له: أنا في البيت! الله على الكلام الجميل! قال له: أنا في البيت، هذا بيتي لا ذاك، أنا الآن في البيت! هذه كانت نهاية الفِلْم، أنا الآن في البيت، جميل! "أُكَالِئُهَا"، أي أتابعها بعيني ماذا فعلَت؟ ذهبت يمينا يسارا، تقدمت، تأخرت، "حَتَّى أُعَرِّسَ"، ما التعريس؟ نزول المسافر من آخر الليل عن دابته حتى يرتاح، بعد سفر الليل الطويل، وهكذا كان الشعراء يفعلون، يسهرون للشعر الليل، حتى قال بعضهم: "فَإِنَّمَا اللَّيْلُ نَهَارُ الْأَدِيبْ"، فعلقتُ عليه أنا: في المصالح لا المفاسد، يا شيطان! "أُكَالِئُهَا حَتَّى أُعَرِّسَ بَعْدَمَا يَكُونُ -أي الزمن- سُحَيْرًا"، سُحَيْر تصغير سَحَر، والسحر وقت ما قبل الفجر، فالتصغير كأنه تقريب إلى الفجر، يقول: أظل طوال الليل أطلب الشعر -ما شاء الله، يتهجّد!- بل ربما بقيت إلى الفجر، وإلى ما بعد الفجر، فإذا ما حصلتُ على بغيتي "أَهْجَع (أنام)"، لا أهدأ حتى أحصل على بغيتي! وقد رووا مثل هذا عن كبار الشعراء، رووا عن جرير: أنه لما استغضبه الراعي النُّمَيْرِيّ سهر الليل يحور ويدور ويزأر وينحر وكذا...، حتى فُرِق له عن قوله:

"فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا كَعْبًا بَلَغْتَ وَلَا كِلَابَا"!

فعندئذ أطفأ سراجه ونام! عرف أنه وصل، وقد صدق، فقد كان هذا البيت هو الطامة الكبرى؛ كان كلما ذُكِر انكسر النميري -مهما كان- كلما قيل للنميريين انكسروا، حتى إن شابا من نمير تعقب في الدروب فتاة يغازلها، فوقفت -وكانت أديبة، لا كفتيات هذه الأيام المشغولات بالزينة والملاهي وكذا وكذا!- وقالت له: لا أطعت ربّك -عز، وجل!- ولا أطعت الشاعر -قاتله الله!- أما ربك فقال: "قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ..."، وأما الشاعر فقال: "فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ"، فانكسر الشاب! مسكين، قصف مباشر، بثّ مباشر من الجبهة. "بَعْدَمَا يَكُونُ سُحَيْرًا أَوْ

بُعَيْدَ"، عندئذ فقط، عندئذ فقط "أَهْجَعَ"، وأرتاح، لا يرتاح لي بال حتى أصل. أمثل هذا الشعر يقدر عليه أحد؟ قدر عليه هذا الشاعر المغمور، ولم يقدر عليه لا جرير ولا الفرزدق ولا الأخطل، لاتُ الشعر وعُزّاه ومَناته عند ابن الأثير، لم يقدر عليه آلهة الشعر، وقدر عليه هذا العبد المسكين الصالح! ترون أنني فهمت المعنى، فضبطت الكلام وجَوَّدت ضبطه، ليجوز لي الآن أن أتكلم في غنائه؛ فنحن محتاجون -يا جماعة!- إلى أن نفهم المعنى، قبل أن نضبط الكلام، ونحقق ضبطه تحقيقا تاما لا خطأ فيه، لنستطيع بعدئذ أن ننظر في تخريجه تخريجا عروضيا؛ ولأمر ما قال أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط: "يَنْبَغِي لِطَالِبِ عِلْمِ الْعَرُوضِ أَنْ يَكُونَ شَدَا شَيْئًا مِنْ عُلُومِ الْعَرَبِيَّةِ"، لا أن يقتحم علم العروض من قبل أن يتعلم من عُلُومِ العربية شيئا، لأنه في علم العروض سيعتمد على ما حصَّل من عُلُومِ العربية وآدابها وعُلُومِ الإسلام وآدابه، أما من اقتحم علم العروض فقد أهلك نفسه، ألقى نفسه في التهلكة، كما فعلت خمس الطالبات اللواتي سجلن عندي قبل عامين مثلا، وحصلن في المنتصف على أصفار، ثم جئن إلى مكتبي، وقلن لي: أخطأنا يا أستاذ، لم يكن ينبغي أن نسجل نحن المقرر في الفصل الأول:

"أَلْقَاهُ فِي الْيَمِّ مَكْتُوفًا وَقَالَ لَهُ إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ تَبْتَلَّ بِالْمَاءِ"!

خدَعهنَّ من أغراهنَّ! لا، هذا علم الفصل الآخِر أو ما قبل الآخِر، لا الأول، لا تقتحموا، لا تلقوا أنفسكم إلى التهلكة! هذا علم العلوم -يا أبنائي!- هذا علم العلوم؛ ولهذا سميته لكم في رسالتي إليكم "مقرر المقررات"، تحتاجون إلى أن تستفيدوا له من العلوم، فإن لم يكن لديكم شيء فماذا تفعلون؟ تنهلون من العدم! تحتاجون إلى علوم تُخَرّجون بها الكلامَ في علم اللغة أولا، لتعتمدوا على ذلك في تخريجه في علم العروض؛ فإن لم يكن لديكم شيء، فماذا تفعلون؟ انظروا إليَّ الآن بعد أن فهمت هذا الكلام، كيف أغنيه هذا الغناء:

أَبِيتُ	بِأَبْوَابِ الْ	قَوَافِي	كَأَنَّمَا	أُصَادِي	بِهَا سِرْبًا	مِنَ الْوَحْـ	ـشِ نُزَّعَا
أُكَالِـ	ـئُهَا حَتَّى	أُعَرِّ	سَ بَعْدَمَا	يَكُونُ	سُحَيْرًا أَوْ	بُعَيْدَ	فَأَهْجَعَا

أرأيتم؟ ضبطت، وجوَّدت الضبط، وكنت قد تعلمت اللحن كما سأعلمكم، فذهبت أُخرِّجه، أُخرِّج الوزن، وكذلك أُخرِّج القافية، فأقول: قافية البيت الأول "نُزَّعَا"، وقافية البيت الثاني "أَهْجَعَا"، وقلب القافية العين المفتوحة... كيف عرفت هذا، يا أستاذ؟ تعلمت من الخليل أن القافية هي آخر

ساكنين في البيت مع ما بينهما من متحركات والمتحرك الذي قبلهما، وهو ما تقدمه كلمتا "نزعا"، "أهجعا"، أو كما يقول القدماء -انظروا كيف يعبرون!- "مِنْ آخِرِ سَاكِنٍ فِي الْبَيْتِ إِلَى أَوَّلِ مُتَحَرِّكٍ قَبْلَ سَاكِنٍ يَلِيهِ"، هل فهمتم شيئا؟

- لا!
- "مِنْ آخِرِ سَاكِنٍ فِي الْبَيْتِ إِلَى أَوَّلِ مُتَحَرِّكٍ قَبْلَ سَاكِنٍ يَلِيهِ"، هكذا يعبرون بكلامهم الجزل المحكم القديم، أما بكلامنا الركيك المعاصر فنقول: "آخر ساكنين في البيت مع ما بينهما من متحركات والمتحرك الذي قبلهما"، كلام صحفيين، كلام بشع، لكن ماذا نفعل؟ هكذا صرنا بعدما قست قلوبنا! بعد أن خرَّجنا الوزن بما فعلت لكم، خرَّجنا القافية: قافية الأول: نزعا، وقافية الثاني: أهجعا، وقلب القافية: العين المفتوحة، قلب القافية أي أقوى أصواتها المكررة (عين "نزعا"، و"أهجعا")، كما سأعلمكم، سنتعلم هذا كله على التفصيل، وإنما أنبهكم الآن على ما ينبغي أن نصل إليه في النهاية. كيف نكتب هذا على الصفحة؟ كما كتبته لكم، نقدمه في بطاقة كهذه البطاقة، من شاء صورها وأرسلها إلى صاحبه، وهكذا فعلت، صورتها، وألصقتها على الحائط، خرَّجت الوزن والقافية، ثم أضفت عبارة بيانات كما في البطاقة الشخصية التي تشتمل على صورة شخصية وبيانات، هذا الجزء (من "أَبِيتُ"، إلى "أَهْجَعَا")، بمنزلة صورة البطاقة الشخصية، وهذه العبارة (من "طويلية الأبيات"، إلى "الموصولة بالألف")، بمنزلة بياناتها. إذا استطعت أن تضيف اسم صاحب الشعر فبها ونعمت -فهو من معالم العلم- وإلا فلا؛ فنحن في تخريج عروضي، لا في تاريخ أدبيّ، ولا في ديوان شعريّ! ماذا فعلت؟ قطعت البيت تقطيعا يفصل بين كل قطعة وأخرى بفراغ واضح من الخطوط أو من البياض: أبيت (فراغ)، بأبواب الـ (فراغ)، قوافي (فراغ)، هذا الذي يوازي السكوت في الأداء، تأملوا:

"أبيت   بأبواب الـ   قوافي   كأنما..."،

وهكذا؛ فأنا أعبر أولا عن هذا الصمت بفاصل من البياض أو من الخط الذي يهبط من أعلى إلى أسفل، مما فوق أعلى المكتوب إلى ما تحت أسفله. وثانيا أكتب صوت العزف -تعزف بعصا، بقلم، بقدم، بإصبع، بما شئت من آلات، وتكتب هذا الصوت- كان الخليل بن أحمد الفراهيدي -رضي الله عنه! - مؤسس هذا العلم الذي سأكلمكم عنه كثيرا في فرص كثيرة، يذهب إلى سوق

الصفّارين أي النحاسين (صُنّاع النحاس، وتُجّاره)، فيأخذ من أوعيتهم، ويضرب عليها كما أضرب الآن [(أَبِيتُ= ددن د)، (بِأَبْوَابِ الْـ=ددن دن دن)]، كان يضرب، لكنه لم يكن يكتب بالدندنة صوت الضرب، بل بالتفعيل: [(أَبِيتُ= فعولُ)، (بِأَبْوَابِ الْـ= مفاعيلن)]، ولن نستغني عما فعل، لكن سنضيف إليه كتابة صوت العصا كتابة مجردة، بالدال والنون - الدال للمتحرك، والنون للساكن- تأملوا: أ=دَ، بِي=دَنْ، أَبِيتُ= دَدَنْ دَ....، تكتب للمتحرك دالا وللساكن نونا! لماذا يا أستاذ فعلت هذا وقد كنا في الثانوية نكتب الباءات والشَّرَطات (ب -)، الباء للمتحرك، والشرطة للمتحرك والساكن؟ كانت تلك الكتابة كتابة مقطعية، كنتم حين تكتبونها ترسمون المقاطع اللغوية المستعملة في علم الأصوات هكذا، ومن الناس من كان يستعمل الخطوط المائلة والدوائر (/ ٠)، الخط المائل للمتحرك والدائرة للساكن، وهو عكس الطريقة القديمة! وأحسن من هذا كله استعمال الدال والنون (دن)، الدال للمتحرك والنون للساكن، لأنه مأخوذ في العربية من "دَنَّ"، أي نَغَمَ بكلام غير مفهوم، ومنه "دَنْدَنَ"، ومازلتم تستعملونه في كلامكم -تقولون: جالس يدندن، جلس يدندن- دخل رجل على رسول الله -صلى الله عليه، وسلم!- فسأله عن الجنة، فقال: حولها ندندن، أي: كنا في سيرتها قبل أن تدخل، نتكلم كمن ينغم تنغيمة المترنم، لا نمل منها، لا نمل من حديث الجنة، إذا ذكرنا الجنة بكينا شوقا إليها، وإذا ذكرنا النار بكينا خوفا منها، فنحن بكاءٌ دائمٌ خوفا وشوقا، "خَوْفًا وَطَمَعًا"، صدق الله العظيم! في الخطوة الثالثة نكتب تفعيلات سيدنا الخليل صاحب العلم ومؤسِّسه، وهذه مصطلحاته، فهذا الجزء "أَبِيتُ"، اسمه عند الخليل "فَعُولُ"، هكذا سماه، كما في النحو تقولون: جاء محمد، محمد فاعل- "أَبِيتُ" هنا "فَعُولُ"، هذا مصطلح عليه، مصطلح وَزْني عروضي، وينبغي أن نحافظ على المصطلحات. من الناس من يسخر الآن من المحافظين على المصطلحات: جددوا المصطلحات! كيف -يا أخي!- ومنفعتها ظاهرة! "فَعُولُ" هذه منفعتها أنها تخيِّل لك الوزن صوتا وصورة، إذا قلت: "فَعُولُ"، أديت الصوت، وإذا رسمتها صوّرت الصورة، سبحان الله! هذا إعجاز أن يعتمد على رموز تُخيِّل للناس الصوت أو التفعيلة صوتا وصورة، منطوقة ومكتوبة. نرى التفعيلة -وهي عند الخليل جُزء ورُكن وإفعيل، وعنده التفعيل، ومنه أخذنا التفعيلة- تتحول أحوالها، فـ"فعولن" تصير "فعولُ"، و"مفاعيلن" تصير "مفاعلن"، و"مفاعيلُ"، إلى آخره، فكيف نضبط هذا؟ نضبطه بالخطوة الأخيرة التي نصف فيها التفعيلات،

فنقول: هذه سالمة كما هي، وهذه مغيرة. لكن التغيير أنواع، فنحتاج إلى تحديد التغيير؛ لهذا نقول في "فعولُ": مقبوضة. ما معنى مقبوضة؟ مغيرة بتغيير اسمه القبض. سالمة؟ ما معنى سالمة؟ لم تتغير، وهكذا. يتخرج الوزن في علم العروض إذن -يا جماعة!- بأربع خطوات: التقطيع، ثم التوقيع، ثم التفعيل، ثم التوصيف. هذه أربع خطًا لازمة، سنعتمد عليها ونتمسك بها طوال الفصل. أما في التقطيع فنفصِل بين الأجزاء فصلا واضحا مرئيا ملموسا، كما ترون! وأما في التوقيع فنكتب صوت العصا بالدال للمتحرك والنون للساكن، بالدال للنَّطْقة والنون للسَّكْتة، لأن النطقة تؤُدَّى عادةً بمتحرك، تقول: جَلَسْ، تقف عليها -تأمل!- فتؤدي الجيم بضربة، واللام بضربة، والسين بالامتناع عن الضرب، قلت: جلسْ، فنطقت نَطْقَتَيْن، ثم سكت، فنحن نكتب صوت العصا، نكتب النطقة دالا والسكتة نونا: أَبِيتُ= ددن د، بِأَبْوَابِ الْ= ددن دن دن. وسترون أن الأمر كله هنا أمر أصوات، لا نخدع بالكتابة، لتكن الكتابة ما تكون، لتكتب باللاتينية -وهذه خيانة قبيحة!- أو لتكتب بالرموز الصينية، لتكتب بما تكتب -لا يعنيني!- إن الذي يعنيني هو أن تقرأ ما كتبت على أذني حتى أخرِّجه لك في علم العروض، بل إنك أنت إذا أردت أن تخرِّج قرأتَ على أذنك. بعد كتابة صوت العصا تأتي خطوة التفعيل، وفيها نكتب رموز سيدنا الخليل التي وضعها لتسمية هذه الأجزاء. وبعد خطوة التفعيل، نكتب في خطوة التوصيف الأوصاف التي وَصَفَ بها التفعيلات، لأن التفعيلات تتغير، "فعولن" تكون "فعولُ"، وأحيانا تكون "فعو"، إلى آخره؛ فكيف نضبط هذا؟ نضبطه بالتوصيف؛ فنؤكد للسائل أننا نعرف أنها مغيرة، نقول: هذه سالمة من التغيير، وهذه مغيرة بتغيير كذا، نذكرها به مباشرة. وهنا لطيفة (فكرة لطيفة)، ما هي؟ أنه إذا تغيرت التفعيلة امتنع أن تسميها سالمة، ووجب أن تسميها مغيرة -إن لم تعرف التغيير- أو أن تسميها بالتغيير نفسه إذا عرفت التغيير، أما أن تسميها بغير اسمها فهذا خطأ. ماذا تقصد يا أستاذ؟ أقصد أنه إذا تغيرت التفعيلة ولم تعرف اسم التغيير فالأحسن أن تقول: مغيرة، بدلا من أن تقترح اسما للتغيير ليس هو اسمه الحقّ، تقول في المقبوضة مثلا إذا لم تذكر "القبض": مغيرة، فهذا أحسن كثيرا، وأحسن منه أن تعرف اسم التغيير، أن تعرف فتقول: مقبوضة، أحسن من ألا تعرف فتقول: مغيرة. ما المقبوضة؟ المغيرة بتغيير القبض. ما القبض؟ تغيير سنعرفه فيما بعد، وهكذا. قد خرّجنا الوزن في علم العروض، فماذا عن القافية، كيف نخرِّجها؟ في الصورة من البطاقة العروضية المذكورة فيما

سبق، نُثقِّل جزءها من آخر البيت (آخر ساكنين مع ما بينهما من متحركات ومع المتحرك الذي قبلهما)، نُثقِّله في الكتابة، أو نخط تحته، وبعضكم يدير عليه دائرة، لنتفرغ لبقية البيانات. من خلال هذين البيتين المصوَّرين آنفا، نعرف أن القصيدة: طويلية الأبيات -أي من بحر الطويل- الوافية -أي التي استوفت أبياتها أعداد التفعيلات- المقبوضة العروض والضرب. ما العروض؟ آخر تفعيلة في النصف الأول من البيت. ما الضرب؟ آخر تفعيلة في النصف الثاني من البيت. لماذا نركز على هاتين التفعيلتين؟ لأنهما أظهر أطراف البيت. نقول في الوزن: أبيات هذه القصيدة من بحر الطويل، وافية قد استوفت أعداد تفعيلاتها، مقبوضة العروض والضرب، أي: مقبوضةُ أظهرِ التفعيلات. ونقول في القافية: قافية هذه القصيدة عينية، ننسبها مباشرة إلى أقوى أصواتها المكررة. كيف نعرف القوة؟ سأعلمكم، لكن يكفي الآن أن تعرفوا أن أقوى الأصوات إسماعا هو أقوى الأصوات المتمكنة رسوخا في السماع. عينية القوافي المفتوحة -نسبة إلى فتح العين، نجعل القوافي مفتوحة، لأن أقوى أصواتها مفتوح- المجردة. وصفت القوافي بأنها مجردة، فما التجريد؟ التجريد خلو ما قبل هذا الصوت القوي من الألف والواو والياء الساكنات. الموصولة بالألف. ما الموصولة بالألف هذه؟ التي بعد صوتها القوي ألف مد، وأحيانا تكون واو مد، أو ياء مد، أو هاء، وهكذا. عندنا إذن بطاقة عروضية شخصية، ستخرجون لي بها القصائد في الواجبات وفي الاختبارات وفي الأبحاث، وهي التي ينبغي أن نتقنها في آخر المطاف، جئتكم بها في أول المطاف، حتى تتقدموا إليها على بينة. <u>**يا جماعة، لكل قوم مبدأ يتمسكون به وينطلقون منه ويترسخ في قلوبهم ترسخ العقائد، ولنا في علم العروض مبدأ كذلك نحب أن يترسخ في قلوبكم ترسخ العقيدة، وتحفظوه مثلما تحفظون أسماءكم!**</u> ما هذا المبدأ؟ هو الذي عبرت عنه بهذه العبارات الأربع: إِذَا كَانَتِ الثَّقَافَةُ جَذْرَ الْحَضَارَةِ الرَّاسِخَ، وَاللُّغَةُ قَلْبَ الثَّقَافَةِ النَّابِضَ، فَالشِّعْرُ عَصَبُ اللُّغَةِ النَّافِرُ، وَالْعَرُوضُ دَمُ الشِّعْرِ الدَّافِقُ! أنا أشبه الحضارة دائما بالشجرة، تزرع كل أمة شجرة حضارتها، فلنا شجرة هي شجرة الحضارة العربية الإسلامية، وللصينيين شجرة هي شجرة الحضارة الكُنْفُشْيُوسيّة، وللإنجليز شجرة، ولكذا شجرة... لكل أمة شجرة حضارتها، جذرها المعنويات وهي الثقافة، وفرعها الماديات وهي الأشياء المرئية المدركة بالحواس المادية. جذرها ثقافتها المدركة بالعقل، وهي غير مدركة بالحواس المادية غالبا، وفرعها الأشياء المنتَجة المدركة بالحواس المادية، شجرة تخلفها كل أمة، ومقتضى العقل أن

أهم ما في الشجرة جذرها لا فرعها، لماذا؟ لأنه قد تبين لنا بالتجربة أن الفرع يُجتث فيخرج من الجذر فرع آخر، لكن إن انتُسف الجذر ذَوَى الفرع، وسقط إلى غير رجعة؛ فأهم ما في الشجرة جذرها لا فرعها. في أيام الحملات الصليبية القديمة كانوا يهجمون علينا فيجتثون فروعنا، فننشأ مرة أخرى، فأما في هذه الحملات الصليبية الحديثة فقد صاروا ينزلون إلى الجذور، ليجتثوها من تحت! صرت تسمع الآن وترى على تويتر وعلى اليوتيوب وعلى الفيس بوك وعلى كذا، من يقول لك: هذا القرآن مكذوب ليس بصحيح، محمد لم يكن له وجود أصلا، يدعي بعضهم أنه من اختراع الأمويين، وكذا، وكذا! نزلوا إلى أسفل من الفروع، إذا ما اجتثوا الجذور سقطت الفروع، ولم يحتاجوا إلى هدم البيوت ولا إلى قتل الناس، زال الوجود من غير عناء معنٍّ، فانتبِهوا! الثقافة جذر الحضارة الراسخ، واللغة قلب الثقافة النابض؛ سمعت الدكتور نبيل علي، مهندس المعلومات الكبير الفذ، في برنامج "الشريعة والحياة"، وقد سأله أحمد منصور عن الثقافة، يقول: دعنا نفككها حتى نعرف مكوناتها، فلما فككها أثبت له أن قلب مكوناتها اللغة، فوصل إلى أن اللغة قلب الثقافة، قلبُ مركبِ الثقافة، فهذا التعبير على فنيته علمي واضح. اللغة قلب الثقافة النابض، القلب نابض بالحيوية، إذا كان هذا هكذا فالشعر عصب اللغة النافر، ينفر دائما، ويذهب إلى بعيد، ويضطرب في المواقف، وتظهر عليه آثار الأحداث. والعروض دم الشعر الدافق في مجرى هذا العصب! هل عرفتم قيمة العروض الذي تدرسونه عليَّ هذا الفصل؟ من سألكم عنه إذن فأجيبوا سؤاله بهذا المبدأ، حتى يعرف قيمة ما تدرسون، ولا يستخف به! لم يجئ مِن فراغٍ إذن وصفُه بأنه علم العلوم ومعرفة المعارف وكذا وكذا؛ فالعروض دم الشعر الدافق، الشعر الذي هو عصب اللغة النافر، اللغة التي هي قلب الثقافة النابض، الثقافة التي هي جذر الحضارة الراسخ، الحضارة التي هي منجز الأمة على وجه العموم وشجرتها في بستان البشرية، البستان الذي هو تراث بني آدم منذ كانوا إلى أن يزولوا؛ كلما جاءت أمة زرعت شجرتها، ثم زالت هي، وبقيت شجرتها تدل عليها؛ فمن فرّط في العروض؛ فقد فرّط في الشعر، ثم في اللغة، ثم في الثقافة، ثم في الحضارة، ثم في الحياة! كنت أُدرّس في بعض الجامعات العربية علم العروض، ولم أجد ما وجدته عندكم من قابلية -فالعمانيون متميزون في هذا المجال بقابلية خاصة ستتأكد لكم فيما بعد، وهذا معروف، بارك الله فيكم!- فلما أنكرتُ الحال قالت لي إحدى الطالبات: نحن لا نحب الشعر، هكذا مباشرة! جاهلة

مسكينة! إذا لم تحبوا الشعر لم تحبوا اللغة، ثم لم تحبوا الثقافة، ثم لم تحبوا الحضارة، ثم لم تحبوا الحياة، فابنة أية حضارة أنت إذن، ابنة أية حضارة! هذه الطالبة دعيّة غير أصيلة، والعربية اللسان -يا جماعة!- لا أن تكون من قحطان أو عدنان، بل أن تفكر بالعربية، وتتكلم بالعربية، وتقرأ بالعربية، وتكتب بالعربية. ولو أن رجلا من آل بيت رسول الله -صلى الله عليه، وسلم!- خرج فعاش في الصين مثلا أو في أوروبا أو في أمريكا، واستعجم، فصار بالإنجليزية يفكر ويتكلم ويقرأ ويكتب- ما كان له من العربية نصيب، وهو الشريف النسب! ومثلما اجتمعنا على ذلك المبدأ عقيدةً نعتقدها، ونصا نحفظه- نجتمع فيما بين الغناء والشعر على هذه الكلمة الموجزة الآتية. "**لولا الغناء لم يكن الشعر، ولولا المغني لم يكن الشاعر!** لقد نشأت الموسيقى وعَرُوض الشعر نشأة واحدة؛ فكان المغني الأول إذا شغله أمر من الحزن أو الفرح دَنْدَنَ أصواتًا غُفْلًا من المعنى، يُلَحِّنُها من سِرِّ نفسه تلحينا يُمَثِّل مشاعره ويُهَدْهِدُها. ثم صار يدندن الأصوات مركبة في كلمة ذات معنى، فهو يكررها باللحن نفسه. ثم صار يدندن كلمات مختلفة مؤتلفة في جملة واحدة -وعندئذ كان البيت من الشعر- فهو يكررها باللحن نفسه. ثم صار يدندن جملا مختلفة مؤتلفة -وعندئذ كانت القصيدة- فهو ينتقل من بيت الجملة منها إلى بيت الجملة باللحن نفسه؛ فإذا الأغنية (القصيدة) دورات متشابهات لا تكاد تبدأ حتى تنتهي، تَضْبِطُها قَرَارَاتُها (قَوَافِيهَا). ثم نشأت الآلات، فاسْتَقَلَّتْ بالموسيقى عن عروض الشعر، ومضى كُلٌّ في سبيله حتى تباعد ما بينهما، ولكن بَقِيَتْ صلة الغناء الواصلة، تحمل الموسيقيين والشعراء جميعا معا، على أن يجتمعوا على لُغَةٍ سَواءٍ، وعندئذ يراجعون ذلك الأصل البعيد؛ فتلتبس أنغام الموسيقيّ بتفعيلات الشاعر، والبحر العروضيّ بالمقام الموسيقيّ، وتنفجر اللغة السواء، ويتجلى خِصْبُ توظيف العروض توظيفا موسيقيا. ولقد ينبغي أن يعرف متلقو الشعر، أن الشاعر يغني شعره في أثناء تكوينه -وإن باعدته الموسيقى بآلاتها!- ولا يُمِرُّ عمله على ورقته حتى يُمِرَّه على أذنه"! سيستنكر عليَّ هذه الكلمةَ، بعض من يرون أحوال المغنيين المعاصرين الموغلة في الفسق والفجور، يقول: معقول هذا -يا أستاذ- معقول هذا! وماذا علينا منهم! دعونا منهم! طيب، بعض قراء القرآن من الفسقة، فماذا تقولون! هل أدلكم على بعض المدمنين من القراء؟ بعض أئمة الناس من الفجرة، فهل أدلكم على بعض هؤلاء؟ أم هل أسمي لكم بعض الفجار من علماء الدين مثلا أو المنتسبين إلى علم الدين؟ هل أسمي لكم بعض الفجرة من الأئمة؟

أننكر الإمامة من أجل فجور بعض الأئمة؟ أم ننكر قراءة القرآن من أجل فجور بعض قراء القرآن! "لَا تَعْرِفِ الْحَقَّ بِالرِّجَالِ، وَلَكِنِ اعْرِفِ الْحَقَّ تَعْرِفْ أَهْلَهُ"، كلام من هذا؟ كلام سيدنا علي لتلميذه الكُمَيْل، أخذ بيده، وجعل يعلمه. ولكميل هذا قيمة كبيرة عند الشيعة، من قيمة سيدنا علي نفسه -فهو تلميذه- أي لا تقل: كل ما قاله فلان فهو صحيح! تقول: قال أستاذنا كذا، فيقول لك: أخطأت أنت وأستاذك، أنت وأستاذك في النار! ها! لا، لا، بل قل له الصواب، وأصلح إذا أفسدْتُ، وسُدَّ إذا أخلَلْتُ، وأكمل إذا نقصتُ- تحسن إليَّ، إن شاء الله! "لولا الغناء لم يكن الشعر، ولولا المغني لم يكن الشاعر"، هذه حقيقة ثابتة أعبر عنها بهذا المقال القصير الذي يستحق الحفظ. سأقرؤه لكم، وأستمعه منكم، ومن أحسن أداءه أعطيته خمس درجات ولا أبالي، ومن حفظه وأداه فيما بعد في مكتبي أداء سليما أعطيته خمس درجات ولا أبالي، ولماذا أبالي؛ خمس درجات تفوت ولا أحد يموت! اسمعوا، اسمعوا! اسمعوا ها السَّمْعَة! "لقد نشأت الموسيقى وعَرُوض الشعر نشأة واحدة؛ فكان المغني الأول إذا شغله أمر من الحزن أو الفرح دَنْدَنَ أصواتًا غُفْلًا من المعنى، يُلَحِّنُها من سِرِّ نفسه تلحينا يُمَثِّل مشاعره ويُهَدْهِدُها". ما معنى هذا الكلام؟ في أول الزمان، أول وجود الإنسان، كانت الموسيقى والعروض شيئا واحدا، فكان المغني الأول -وهو الشاعر الأول- إذا حزن من شيء أو فرح لشيء دندن -كأنما يبكي أو يضحك أو يغني- "أصواتا غفلا من المعنى، يلحنها من سر نفسه"، إذا كان في فرح لحن تلحينا سعيدا، وإذا كان في حزن لحن تلحينا حزينا، هكذا، وأنتم تميزون بين الضحك والبكاء، فرق واضح، سبحان الله! هذه أصوات، وهذه أصوات، وهذا ضحك، وهذا بكاء، "وَلَكِنَّهُ ضَحِكٌ كَالْبُكَا"، قاتل الله المتنبي:

"وَمَاذَا بِمِصْرَ مِنَ الْمُضْحِكَاتِ وَلَكِنَّهُ ضَحِكٌ كَالْبُكَا"!

"دندن أصواتا غفلا من المعنى"، ما معنى "غفلا من المعنى"؟ خالية من المعنى. "يلحنها من سر نفسه"، من قلب نفسه، من الداخل، تلحينا يخرج من قلب روحه، يا سلام! وكانت الأمور في ذلك الزمان صادقة صدقا تاما، تخرج من القلب، وما خرج من القلب وقع في القلب، وما خرج من اللسان لم يتعدَّ الآذان. فكان الشخص عندئذ إذا ما دندن حزينا أو سعيدا أثّر؛ لهذا تجدون الغَرْبيّين إذا ما اشتغلوا بالشعر العربي اشتغلوا بالشعر الجاهلي، ففي كتاب "الديوان الشرقي للمؤلف الغربي"، اقتصر يوهان فلفانج جيته في رسم معالم الأدب العربي على الشعر الجاهلي، فذكر المعلقات

وأصحابها، وعرف أنه فتن القراء، فقال: "لما كُنَّا بهذه العبارات قد أثَرنا لدى القراء الرغبة في قراءة أو إعادة قراءة هذه القصائد، فإننا نورد قصيدة أخرى، معاصرة لمحمد، وتعكس روح هذا العصر، ويمكن وصفها بأنها كابية رهيبة مشبوبة نهمة إلى الانتقام ومنتشية بنشوة الأخذ بالثأر"، ثم ترجم عن اللاتينية قصيدة "إِنَّ بِالشِّعْبِ الَّذِي دُونَ سَلْعٍ"! لماذا هذا؟ أذكياء، يعرفون أن الناس كانوا قديما أصدق، وكانوا في راحة بال وحسن إنصات وفراغ وقت وشدة دأب حتى يظهر المعنى. "يلحنها من سر نفسه تلحينا يمثل مشاعره ويهدهدها"، ما معنى يهدهدها؟ يطمئنها، يكفكفها، يهدئها، يهدئ مشاعره؛ فبعد أن يبكي يرتاح حقا، وبعد أن يضحك يرتاح. ثم صار يدندن الأصوات مركبة في كلمة ذات معنى: عندكم مثلا في محافظة الشرقية (سَمِيّة المحافظة المصرية)، فَنّ يُسمى المُلَالاة، حدثني عنه أحد المجْرِيّين، يقف فيه المنشد يُلَالي، ما معنى "يلالي"؟ يقول: لا لا أو: للا للا، لا لا للا، بـ"لا، لا"، فقط يسمونه الملالاة، ما معنى "لا"؟ "لا" هذه كلمة واحدة -ربما كانت حرفا- لا معنى لها. مر بعض الناس قديما ببعض العرب يقول لابنه: قل:

"نعم لا نعم لا لا نعم لا نعم لا لا نعم لا نعم لا لا نعم لا نعم لا لا"!

فقال له: ما هذا؟ قال: هذا التنعيم، شيء نعلم به أولادنا الشعر. يعلمونهم الشعر بـ"نعم" و"لا"! ولا عجب؛ فأنت تستطيع أن تعبر عن كل شيء بـ"نعم" و "لا"، فتقول: "نعم لا"، و"لا نعم"، و"نعم لا لا"، و"لا لا نعم"، و"نعم للا"، و"للا نعم"، ... وهكذا! ثم جاء من نبهاء العروضيين المعاصرين الأستاذ محمد العلمي، فاستنبط من هذا التنعيم الإرهاص بعلم العروض قبل الخليل؛ وأن الخليل لم يظهر عن فراغ تام، ولكنه عبقري استفاد من هذا كله، وطوره. ثم "صار يدندن الأصوات مركبة في كلمة ذات معنى، فهو يكررها باللحن نفسه"، أي يستطيع بدلا من النواح أو الضحك بأصوات غُفْلٍ، أن ينوح أو أن يضحك بكلمة واحدة ذات معنى واحد، كأن تقول مثلا بعد النتيجة: نجاح أو تفوق، وتكرر: نجاح نجاح نجاح نجاح، تفوق تفوق تفوق تفوق! هكذا تقول الشعر بتكرار كلمة واحدة، بل إن بعض الناس يروي في أصل نشأة الشعر العربي، قصة عربي رحل بناقته ثم وقع عنها فانكسرت ذراعه فصار يصيح: وَا ذِرَاعِي وَا ذِرَاعِي! فحَنّت له الإبل، وانعطفت عليه طربا بـ"وا ذراعي" هذه التي كررها ما شاء له توجُّعه! و"وَا ذِرَاعِي" من وزن "فاعلاتن"، التي بتكرارها ينشأ بيت من بحر الرمل، حتى رأى بعض علمائنا أن "فاعلاتن" هي أصل البحور:

"وَا ذِرَاعِي وَا ذِرَاعِي وَا ذِرَاعِي وَا ذِرَاعِي وَا ذِرَاعِي وَا ذِرَاعِي"!

... وهكذا! ما معنى "وا ذراعي"؟ آه من ذراعي، يتوجع بعبارة نستطيع إذا شئنا، أن نعدها جملة كاملة، لأنها أسلوب ندبة. ثم "صار يدندن كلمات مختلفة مؤتلفة في جملة واحدة، وعندئذ كان البيت من الشعر"، عندئذ فقط كان البيت من الشعر، لم يعد يكرر أصواتا غفلا، ولم يعد يكرر كلمة واحدة، بل صار يكرر جملة كاملة، كأن يقول مثلا: نجحت اليوم بعد الجهد والإتقان يا أمي، وهذا كلام مستقيم، اكتمل به بيت من الهزج:

نَجَحْتُ الْيَوْ	مَ بَعْدَ الْجُهْ	ـدِ وَالْإِتْقَا	نِ يَا أُمِّي
ددن دن دن	ددن دن دن	ددن دن دن	ددن دن دن

يكرره باللحن نفسه مشحونا بمشاعره، ثم صار يدندن جملا مختلفة مؤتلفة، وعندئذ كانت القصيدة بدلا من تكرار "نجحت اليوم بعد الجهد والإتقان يا أمي"، يضيف جملة ثانية ينتقل إليها، فثالثة... وهكذا؛ فتتكون القصيدة، أي ينتقل باللحن نفسه، من بيت بجملة إلى بيت بجملة أخرى؛ "فإذا الأغنية القصيدة دورات متشابهات، لا تكاد تبدأ حتى تنتهي، تضبطها قراراتها (قوافيها)"، أي تدل على نهاياتها قوافيها؛ فهذه القوافي التي تجدونها في الشعر لم تكن عبثا، إنها تحدد أواخر الأبيات، إذا ما وصل إليها الشاعر عرف المستمعون أنه انتهى من البيت وسينتقل إلى بيت ثان؛ فأي عبث فيها وهي جمة الفوائد: شحنة موسيقية، ثم دلالة إجرائية، تمام؟ ولكن بعد أن كان المغني هو الشاعرَ والشاعرُ هو المغنيَ يعزف على أوتار حنجرته- نشأت الآلات. عرف الجاهليون من الآلات الموسيقية العُود والدُّفّ والمزمار، ماذا قال رسول الله -صلى الله عليه، وسلم!- لسيدنا أبي موسى الأشعري؟ "لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ دَاوُودَ"! وماذا قال في حديث أم زرع، حينما اجتمعت إحدى عشرة امرأة، وذَكَرْن أزواجهن، وتعاهدن أن يصدقن، وحفظ كلامهن رسولُ الله -صلى الله عليه، وسلم!- وحكاه للسيدة عائشة يؤنسها به، ليقول لها بعقبه: "كُنْتُ لَكِ كَمَا كَانَ أَبُو زَرْعٍ لِأُمِّ زَرْعٍ"، وأبو زرع أحد الأزواج في الحكاية. يعنينا هنا من الحكاية كلام المرأة التي ذكرت زوجها مالكًا، بقولها: "زَوْجِي مَالِكٌ، وَمَا مَالِكٌ! مَالِكٌ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ (خيرٌ من كل هؤلاء الذين ذَكَرْتُنَّهُمْ)، لَهُ إِبِلٌ قَلِيلَاتُ الْمَسَارِحِ كَثِيرَاتُ الْمَبَارِكِ (يقل سَرْحُهنّ في الفضاء، ويكثر بروكهن في الحظائر) -لماذا؟ للذبح للأضياف!- إِذَا سَمِعْنَ صَوْتَ الْمِزْهَرِ أَيْقَنَّ أَنَّهُنَّ هَوَالِكُ"، إذا

سمعن صوت الدف عرفن أن أضيافًا حضروا، وأنهن مذبوحات حتما! "زَوْجي مَالِكٌ، وَمَا مَالِكٌ"، سؤال تَعْجيب، من طريقة قول الحق -سبحانه، وتعالى!-: "الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ" -صدق الله العظيم!- سؤال عن الحقيقة، لا عن الاسم -وإلا لم يسأل عن العاقل بـ"ما"- من طريقة قول الحق -سبحانه، وتعالى!-: "مَا رَبُّ الْعَالَمِينَ"؟ صدق الله العظيم! "مَالِكٌ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ، لَهُ إِبِلٌ قَلِيلَاتُ الْمَسَارِحِ كَثِيرَاتُ الْمَبَارِكِ، إِذَا سَمِعْنَ صَوْتَ الْمِزْهَرِ أَيْقَنَّ أَنَّهُنَّ هَوَالِكُ"! فهذا المزهر في القديم، أما العود فعندكم في معلقة سيدنا لبيد -أدرك الإسلام، وأسلم- يقول: "بِمُوَتَّرٍ تَأْتَالُهُ إِبْهَامُهَا". ذكرتُ لكم المزمار والدف والعود، فماذا بقي؟ ماذا بقي؟ الدرامز؟ لا، صعبة هذه، هذا أعجَمي! البيانو؟ أعجَمي! تلك آلات عربية، وهذه آلات أعجمية، وأنا أحب الآلات العربية، قال الدكتور مصطفى محمود آخر فلاسفة العرب: أفضل الآلات الموسيقية الناي (المزمار) -وكان من عازفيه- الأداة الوحيدة التي تأخذ من الروح، أما سائر الآلات فتأخذ من خارج الروح، انظر إلى الفلسفة! يا سلام! نشأت الآلات، فاستقلت بالموسيقى عن عروض الشعر، فصرت تستمع في المناسبات، إلى العود وحده، وإلى المزمار وحده، وإلى الدف وحده، بعدما كنت تستمع إلى العزف والشعر في وقت واحد، لأن الشاعر كان هو العازف. أما الآن فقد تفرقت القبائل، ومضى كل في سبيله حتى تباعد ما بينهما، ولكن "بقيت صلة الغناء الواصلة تحمل الموسيقيين والشعراء جميعا معا على أن يجتمعوا على لغة سواء، وعندئذ يراجعون ذلك الأصل الواحد البعيد، فتلتبس أنغام الموسيقي بتفعيلات الشاعر، والبحر العروضي بالمقام الموسيقي، وتنفجر اللغات السواء، ويتجلى خصب توظيف العروض توظيفا موسيقيا"، ماذا يحدث إذا أمر جلالة السلطان بإعداد نشيد العيد الوطني؟ يجتمع الشاعر والموسيقي والمغني، فيجتهد الشاعر أن يضع كلمات مناسبة، والموسيقي أن يلحن تلحينا مناسبا، والمغني أن يؤدي أداء مناسبا -تأملوا!- فإذا ما تجاوز الشاعر حده إلى كلمات صعبة، قال له الموسيقي: لا، هذه صعبة، فيغيرها، والعكس بالعكس، أي إذا ما وضع الموسيقي جملة موسيقية صعبة، قال له الشاعر: لا، هذه صعبة، فيغيرها، وكذلك المغني يقول: يا جماعة، يستحيل أن أغني هذا، كما كانت أم كلثوم (المغنية المصرية الشهيرة التي يسمونها السِّتّ)، تغير من شعر الشعراء، تقول: هذا مستحيل، لن أغني هذا! عندئذ فقط يعود الأمر سيرته الأولى في الزمان الأول، حينما كان هذا كله من عمل شخص واحد! الله على الجمال! "ولقد ينبغي أن يعرف متلقو

الشعر أن الشاعر يغني شعره في أثناء تكوينه"، أي لا تظن أن الشاعر حين يكتب الشعر على الصفحة ينفصل من الأصوات، لا؛ فإنه يغنيها، ينطقها على أذنه، يكتب ويغني، أو يغني ويكتب، بل يغني أولا قبل أن يكتب، لابُدّ أن يدندنها أولا في أثناء تكوينها -وإن باعدته الموسيقى بآلاتها!- و"لا يُمِرُّ الشعر" -ما معنى "يُمِرّ"؟ أَمَرَّ الشيء: جعله يَمُرّ- ولا يمر عمله، لا يجعل العمل يمرّ إلى ورقته حتى يُمِرّه على أذنه، ليطمئن بمروره على أذنه أنه قد استقام. **<u>لقد مر الإنسان في سعيه إلى القصيدة، بأربع المراحل المنطقية الآتية:</u>**

١) مرحلة الصوت (جزء التفعيلة)، وفيها صَدَحَ بترديد صوت لا معنى له، كـ"لَلَا لَلَا لَلَا لَلَا لَلَا لَلَا"، في "الملالاة" التي حكوها لنا عن أهل محافظة الشرقية، و"تِرِيرَرَا تِرِيرَرَا تِرِيرَرَا"، التي يستعدُّ بها الموسيقيون.

٢) مرحلة الكلمة (التفعيلة)، وفيها صَدَحَ بترديد كلمة واحدة ذات معنى واحد، كـ"نجاح نجاح نجاح"، التي يقولها السعيد، و"ضياع ضياع ضياع ضياع"، التي يقولها الحزين، ولا جملة ثَمَّ، بل كلمة واحدة فقط.

٣) مرحلة الجملة (البيت أو الشطر)، وفيها صَدَح بترديد جملة واحدة ذات فكرة واحدة، كـ"نجحنا نجاحًا كبيرًا مثيرًا"، التي يقولها السعيد، و"ضللنا ضلالًا مبينًا ثقيلًا"، التي يقولها الحزين.

٤) مرحلة النص (القصيدة)، وفيها صَدَحَ بجُمل مختلفة في نفسها، مؤتلفة بالهم نفسه الذي صدر عنه في المراحل السابقة، ولكنها أشمل وأغنى.

والآن أستمع منكم إلى النص، فمن يستطيع أن يؤديه أداء سليما، فيأخذ خمس درجات كاملة، ولا أبالي؟ من؟ من؟ لا أحد، لا أحد، من؟ ما اسمك؟

- مروان.
- كيف -يا مروان- وقد كنت نائما أصلا! سبحان الله! اعجبوا معي لمروان، يجترئ على الأداء السليم وقد كان نائما! من يفعل هذا من بهلاء بلا ريب، يسمع وهو نائم!

"يَنَامُ بِإِحْدَى مُقْلَتَيْهِ وَيَتَّقِي بِأُخْرَى الرَّزَايَا فَهْوَ يَقْظَانُ هَاجِعُ"!

ذئب، ما شاء الله! تفضل!

- "لولا الغناء لم يكن الشعر...
- أحسنت!
- ... فكان المغني ألَأول...
- خطأ، لا نقطع همزة وصل في الوسط، إذن نقول:
- ... فكان المغنيُ الأول...
- لا، لا، خطأ! هذا الذي يسمونه المنقوص، تختفي من عليه الضمة والكسرة، لا تقول: المغنيُ، ولا المغنيِ، لكن تقول عند النصب: المغنيَ، سمعت المغنيَ، وعند الرفع تقول: كان المغني الأول، وعند الجر تقول: صوتُ المغنّي الأول.
- ... ثم صار يدندن ألَأصوات مركبة...
- خطأ، قطعت همزة الوصل!
- ثم صار يدندن الأصوات مركبة في كلمة ذات معنى، فهو يكررها باللحن نفسَه نفسُه
- خطأ، لا نفسَه ولا نفسُه، بقيت واحدة.
- ... نفسِه...
- ... في جملة واحدة وعندئذ كان البيت من الشعر فهو يكررها باللحن نفسه...
- نفسَه نفسِه نفسُه، لا لي لو، قال له: هل أخاك أخيك أخوك موجود؟ فقال له: لا لي لوَ، "لا" إجابة "أخاك"، و"لي" إجابة "أخيك"، و"لو" إجابة "أخوك"، ما شاء الله! فهو يكررها باللحن نفسِه، أكمل!
- ... باللحن نفسه فإذا الأغنيَة...
- "الأغنيَة" تخفيف للأصل، الأصل: الأغنيَّة، والتخفيف صحيح كذلك، لكن أحببت أن تعرف أن "الأغنيَة" تخفيف "الأغنيَّة"، و"الأمسيَة" تخفيف "الأمسيّة"، والأصل "الأغنيّة" و"الأمسيّة"، وكلتاهما مستعملتان، وتقول: "الأغاني"، "كتاب الأغاني" للأصفهاني.
- ... فإذا الأغنية القصيدة دورات متشابهات لا تكاد تبدأ حتى تنتهي تضبطها قراراتها (قوافيها)...

- أحسنت! وقد درجنا على أن نضع بين القوسين تفسير ما قبلهما، وقد أحسن مروان حين قال: "قراراتها (قوافيها)"، لم يقل: قراراتها أي: قوافيها، فأضاف هذا هكذا، وسيفهم المتلقي أنه من بدل التفسير.
- ... ثم نشأت الآلات فاستقلت بالموسيقى عن عروض الشعر، ومضى كل في سبيله حتى تباعد ما بينهما، ولكن بقيت صلة الغناء صلة الغناء الواصلة...
- أرأيتم كيف استفاد خوفا من قطع همزة الوصل، صار مرعوبا الآن من قطع الهمزة، فصار يعود ليصل ما قطع "صلة الغناء الواصلة"!
- ... تحمل الموسيقيين والشعراء جميعا معًا...
- إذا ما وقفت فدع التنوين "جميعا معَا"!
- ... على أن يجتمعوا على لغة سواء...
- ما اللغة السواء؟ المستوية المتساوية، يتساوون فيها يشاركون فيها.
- ... وعندئذ يراجعون ذلك الأصل ذلك الأصل البعيد...
- أرأيتم، خواف!
- ههه!
- ... فتلتبس أنغام الموسيقي بتفعيلات الشاعر، والبحر العروضي بالمقام الموسيقي...
- والمقامُ السُّلَّمُ الذي درستموه في الثانوية.
- ... وتتفجر اللغة السواء، ويتجلى خصب...
- خِصْب، "الخصوبة" مبتدعة، والأصل "خِصب"، ... ويتجلى خصب...
- ... ويتجلى خصب توظيف العروض توظيفا موسيقيا...
- أي مشاركته في بناء القصيدة، وأخيرا!
- ... ولقد ينبغي أن يعرف متلقو الشعر أن الشاعر يغني شعره في أثناء تكوينه...
- أحسنت!
- ... وإن باعدته الموسيقى بآلاتها، ولا يمر عمله على ورقته حتى يمره على أذنه".

- ومروان حسن، هذا مستوى لا بأس به -بارك الله فيك!- لكنني استمعت في الشعبة الماضية إلى محمد القصابي، وكان رائعا جدا. **ساموني على التأخير -إن شاء الله يتكرر!- تفضلوا، بارك الله فيكم، وشكر لكم، وأحسن إليكم، والسلام عليكم!**

الْمُنَادَمَةُ الثَّانِيَةُ(١)

- **سلام عليكم!**
- وعليكم السلام!
- طبتم مساء -يا أبنائي!- وطاب مسعاكم إلينا! بسم الله -سبحانه، وتعالى!- وبحمده، وصلاة على رسوله وسلاما، ورضوانا على صحابته وتابعيهم حتى نلقاهم! كيف حالكم؟ كيف أمسيتم؟
- الحمد لله!
- لله الحمد والشكر! بارك الله فيكم، وشكر لكم، وأحسن إليكم، ويسر لنا ولكم كل عسير، وسهل كل صعب! رُوي عن ابن عباسٍ أنه سئل بما نِلتَ العلم؟ فقال: بلسان سؤول وعقل عقول. ما اللسان السؤول؟
- الكثير السؤال.
- ما العقل العقول؟ الكثير العقل. والعقل الضبط، وهو في الأصل الربط، ومنه العِقال الرِّباط، وإنما سمي الذهن عقلا من حيث يعقِل الإنسانَ عن عمل القبيح. وابن عباس كما تعرفون، تَرجُمان القرآن، عالم الأمة، بحر لا ساحل له. وكذلك قيل في الحكمة: العلم كنز مفتاحه السؤال. ويُمكِنكم أن تُضيفوا إلى تلك الحكم السابقة، أن العلوم تُقاس بمقدار الأسئلة التي تُثيرها، لا بمقدار الأجوبة التي تُجيبها، لماذا؟ لأنها إذا قدمت أجوبة الأسئلة التي تثيرها اكتفى الناس منها، وقالوا: انتهت، عرفنا ما عندها، وانتهت، عرفنا فلانًا عالمًا جامدًا على مستواه، ذهبنا إليه فتعلمنا ما عنده، ثم تركناه، فأما الذي يطور نفسه دائما فلا غنى بنا عنه، كلما تعلمنا شيئا وجدنا غيره، عرفت شيئا وغابت عنك أشياء:

---

(١) رابط هذه المنادمة في قناتي اليوتيوبية:
https://www.youtube.com/watch?v=SnvWWOEFs٩s&list=PL٠_bvBmuM٥ySq٦hXNd٤GWcNFIUaI٤uqCM&index=٢
وقد فرغتها أنوار محمد، وراجعتها لها ندى الشربيني.

"فَقُلْ لِمَنْ يَدَّعِي فِي الْعِلْمِ فَلْسَفَةً عَرَفْتَ شَيْئًا وَغَابَتْ عَنْكَ أَشْيَاءُ"!

فعندئذ تقولون: هذا رجل لا غنى بنا عنه؛ لهذا -يا جماعة!- حاولتُ أن أدخل إلى علم العروض بسؤالٍ أسئلة أجتهد أن أجيبها، ولكم أن تقبلوها أجوبتي وأن تَأْبَوها، وكأنني أعبر عما قدمت لكم من أن علم العروض لا تنقضي عجائبه، يُدلي فيه كل واحد بدلوه من غير أن يغلق الباب. أسأل نيابة عنكم ثلاثة وعشرين سؤالًا أقدم بها لعلم العروض، وأمهد لكلامي فيه، وأفرش فرشة كما يقولون في بعض الأحيان -يقولون فرشة، يفرش العلماء بين يدي المسائل فرشة عامة- فرشتُها بأسئلة، أتذكر بها ذلك المعنى الذي قدمت به. **<u>هذه هي الأسئلة</u>** -وكلما قلت كلمة "إذن" دللتُ على أن هذا السؤال مرتب على ما قبله-:

١) ما الشعر؟
٢) ما العروض؟
٣) ما الشاعر، وما العروضي؟
٤) ما رتبة العروض عند كلٍّ من الشاعر والعروضي؟
٥) ما القصيدة؟
٦) ما البيت إذن؟
٧) بم تترابط أبيات القصيدة الواحدة؟
٨) ما التفعيلة إذن؟
٩) ما طول البيت إذن؟
١٠) ما انقسام البيت؟
١١) ما الصدر، والعجز، والعروض، والضرب، والحشو؟
١٢) ما البحر؟
١٣) كيف نثبت بالكتابة نسبة البيت إلى بحره؟
١٤) ما القافية؟
١٥) ما أجزاؤها إذن؟
١٦) ما أنواعها؟
١٧) لماذا استقلت عند أهلنا الأولين بعلمٍ وهي من علم العروض؟
١٨) ما أساس تخريج القصيدة في علم العروض؟
١٩) كيف نخرج القصيدة في علم العروض؟
٢٠) كيف مكَّننا الخليل من تخريج القصيدة في علم العروض؟
٢١) لماذا نحتاج إلى وصف البيت تفعيلات وقافية؟
٢٢) كيف يستبيح الشاعر أن يُغيّر من البيت؟

وإنها أسئلة لو وجدت أجوبة! سمعت ابنةً تقول لصاحبتها: لو سمحت! و"لو" هذه أداة امتناع، أنتوقع منها إذن ألا تسمح؟ لا، ولكن جرت العادة في كلام العامة أن يستعملوا "لو" استعمال "إذا"، بذلك جرت عادة العامة، ونحن منهم في بعض الأحيان -ها!- حينما نجري مجراهم على استعمال "لو" استعمال "إذا"، وإلا وجب أن تقول لها: إذا سمحت؛ فـ"إذا" شرط المتوقع، و"إنْ" شرط المشكوك في وقوعه، و"لو" شرط غير المتوقع، فإذا ما قلتَ له: لو سمحت، كنت قد توقعت ألا يسمح! هل تريده ألا يسمح؟ تريده أن يسمح طبعا؛ فقل له إذن: إذا سمحت! ولا نكاد نسمع "إذا سمحت" هذه، هذه الأيام، لا نكاد نسمعها! وإنها لأسئلة "لو وجدت أجوبة"، أنا هنا أستعمل "لو" على أصلها؛ إغراءً لكم برفض الأجوبة، وتجهيز أجوبة غيرها! ما الشعر؟ أسئلة كالأسئلة الوجودية، يضع فيها الناس الكتب الكبيرة، فكيف تختصرها هذا الاختصار، يا أستاذ؟ أتهزأ بنا! لا، لا حيلة لي، لا غنى بي عن أن أسأل هذا السؤال في حضرة علم العروض -والعروض كما اتفقنا دم الشعر الدافق- ولا أدعي أن هذا الجواب قد أغلق الباب لا، بل أكتفي في إجابة هذا السؤال بهذه العبارة: "الشعر نمط من الكلام الفني، أهم أسس بنائه العروض". والكلام منه فني ومنه علمي ولا ثالث لهما، إلا أن يخلط العلم بالفن، أو الفن بالعلم -نعم- لا ثالث لهما إلا إذا خلطت العلمية بشيء من الفن أو الفنية بشيء من العلم. تمام؟ ما هذا الكلام العلمي؟ وما ذاك الكلام الفني؟ كلاهما يسعى إلى الحقيقة على طريقته، فأما الكلام العلمي فيسعى على طريقة علمية إلى ضوابط، وأما الكلام الفني فيسعى على طريقة إشراقية كإشراق الوصول عند الصوفية إلى كشف مباشر، بلا تسويغٍ ولا مقدمات ولا نتائج. يقول لك الفنان: أحس أن هذا الشخص كذاب! على أي أساس؟ لا أساس غير الإحساس! ويقول لك العالم: ألا ترى يوم قال كذا وفعل كذا؟ أهذا صادق؟ يبني هذا على مقدمات مرتبة، ويبني ذاك على إحساس مباشر، وربما أصاب دون غيره -سبحان الله!- ربما أصاب الفنانون وأخطأ العلماء! هذا إذن نمط من الكلام، نوع من الكلام الفني، أهم أسس بنائه العروض، يكفينا في هذا المقام أن نقول هذا الكلام، وكأنني أقول لكم: انتبهوا، أخرجوا من الشعر كل كلام فني لم يشتمل في أصل بنيانه على العروض، كالذي يسمى الآن قصيدة النثر، كأنني أقول لكم: أخرجوه، واجعلوه من النثر الفني! ولا ريب

في أننا سنخرج المنظومات العلمية كألفية ابن مالك، لأنها ليست من الكلام الفني. قصيدة النثر إذن كلام فني -لكنه غير مشتمل على العروض- وألفية ابن مالك كلام علمي -لكنه مشتمل على العروض- ....، وهكذا؛ فربما وجدت الكلام فنيا خالياً من العروض، وربما وجدته علميا مشتملاً على العروض؛ فاعتمد على هذا في التمييز! مسألة التمييز بين الأنواع صعبة، حتى إن بعض الشباب عندكم يدرسها في الدكتوراة، وأنا أعانيها في موقعي الإلكتروني (www.mogasaqr.com)، فأنا مضطر فيه إلى تصنيف الأنواع، فأحياناً أحار في النوع: أين أضعه؟ أفي القصة، أم في الخاطرة، أم في كذا، أم في كذا؟ ولاسيما هذه الأيام بعدما تداخلت الفنون. ما العروض هذا الذي جعلته -يا أخي- أساسا في الشعر؟ ما هذا العروض؟ كلمة "عَرُوض" في متن لغتنا من العين والراء والضاد، ينبغي أن تكون صيغة مبالغة في "عَارِض": عَرَض؛ فهو عارِض وعَروض، ما معنى عَرَض؟ أهو "أَظْهَرَ"، أم "ظَهَرَ"؟ أنا أرجح أنه بالمعنى الأول في تسمية العروض، من حيث يشارك في بناء الشعر فيُقيمه- وبالمعنى الآخِر في تسمية علم العروض، من حيث يعترض طريق الشعر فيُقوِّمه؛ فعندنا -يا جماعة!- "عروض" و"علم عروض" -وبينهما فرق- و"نحو" و"علم نحو"، و"صرف" و"علم صرف"، و"موسيقى و"علم موسيقى"، ولدينا "طعام" و"علم طعام"، ....، هكذا خلق الله الدنيا، للأشياء وجود طبيعي في الحياة، ثم ينشأ لها علم يحاول أن يصل إلى حقيقتها، ليضع فيها ضوابط؛ فعندنا فرق بين الشيء في وجوده الطبيعي والعلم الذي يريد أن يكشف حقيقته ويضع له ضوابط؛ فـ"العروض" الكائن الطبيعي هو الذي نجده في الشعر، أما "علم العروض" فهو الذي نجده في كتب العروضيين، كتب العلم ككتابَي الأخفش، وجوهرة العروض من جواهر "العقد الفريد" لابن عبد ربه، وكتاب "الكافي" للتبريزي -ها!- إلى "ميزان الذهب" للهاشمي، و"موسيقى الشعر" للدكتور شعبان صلاح هذه الأيام، و"كن شاعرا" للدكتور عمر خلوف. عندنا فرق بين العروض وعلم العروض؛ فأين نجد العروض؟ في دواوين الشعراء. وأين نجد علم العروض؟ في كتب العروضيين (علماء العروض). أين نجد النحو؟ في الكلام، القرآن الكريم، والنثر الشريف، والشعر النفيس. أين نجد علم النحو؟ في "الكتاب" لسيبويه مثلا، و"النحو الوافي" لعباس حسن، و"النحو الوظيفي" لعبد العليم إبراهيم؛ فعندنا فرق بين الشيء في وجوده الطبيعي وعلم الشيء، حتى بين الطلاب -يا جماعة، وسبحان الله!- لكل منهما طلابه،

طلاب العروض هم طلاب الشعر المتفنّنون، وطلاب علم العروض هم طلاب العلم، المتعلمون العلماء، سبحان الله! على كل واحد أن يعرف غايته حتى يطلبها. ونحن في هذه المحاضرات طلاب علم العروض، نعم؛ ولكننا لن نستغني عن الإلمام بالعروض في موطنه الطبيعي؛ لهذا سأعلمكم علم العروض من خلال القصائد الكاملة؛ حتى نستمتع بها ونعرف عضوية العروض فيها. سأمزج تعليم علم العروض بتذوق العروض نفسه في الشعر، وأحس أنني لا غنى بي عن هذا. فما هذا العروض الذي له وجود طبيعي في دواوين الشعر وتصور علمي في كتب العلم؟ ما هذا العروض؟ هو تكرار ترتيب مقاطع الأصوات اللغوية، على نحو خاص يدركه السامع ويرتاح له. تكرار، تكرار أي شيء؟ تكرار كتل متكونة فيه؛ ما هذه الكتل؟ "كتل" جمع "كتلة"، وهي هنا مجموعة من المقاطع المحددة، تكرر. "فعولن مفاعيلن" هذه التي وجدناها في "أَبِيتُ بِأَبْوَابِ الْـ= فعولُ مفاعيلن"، مم تتكون؟ تتكون من: فَ (مقطع قصير)، عو (مقطع طويل)، لن (مقطع طويل)، م (مقطع قصير)، فا (مقطع طويل)، عي (مقطع طويل)، لن (مقطع طويل). وهكذا ["فعولن" "فعولن" "فعولن" "فعولن"]، و["مفاعيلن" مفاعيلن"]... هذا هو العروض؛ فما العروض إذن؟ نمط خاص من الإيقاع. هل سمعتم عن الإيقاع؟

- نعم.

- الإيقاع كلمة ترد عليكم في الجامعة كثيرا في تخصصات مختلفة. هي معروفة في الموسيقى، ولكنها تتردد في كل مكان، حتى هذه الجامعة حين بُنِيت بُنيت بإيقاع، ألا ترون كيف بُنِي المسجد في مكان، ثم بُنِيت الكليات حوله من أمام إلى خلف، إلى أن انتهت الجامعة؟ قد بنيت بإيقاع تترامى المباني من عن يمين وشمال، وعندنا شريان للمباني هكذا، بنيت بإيقاع. خلق ربنا -سبحانه، وتعالى!- الخلق بإيقاع فقلده الإنسان؛ كيف صنع الناس الآن كذا وكذا؟ حاولوا أن يقلدوا مخلوقات رب العالمين، وقد خلق الكون كله بإيقاع؛ فالناس مِن ثَمَّ تقلده فيما تفعل، والإنسان أصلًا خِلقة رب العالمين، وفيه نفخته؛ ففيه من نفَس الرحمن، سبحانه! العروض إذن تكرار ترتيب مقاطع الأصوات اللغوية على نحو خاص، تأملوا "على نحو خاص" هذه، ما خصوصيته؟ أنه معين محدد يدركه السامع ويرتاح له. ألا يجوز أن تضع شيئا على غير المعروف؟ يجوز. سئل أحد العلماء: ألا يجوز أن أخترع شيئا غير الموجود؟ فأجاب: يجوز، لكنه لن يدخل في متن العلم إلا بشرطين:

١) أن نتواتر على استعماله وفعله مثلما فعلَتَه، أجيالُ الشعراء،
٢) وأن نتواتر على قبوله أجيالُ المتلقين.

لا حرج إذن -يا جماعة!- من الاختراع، من هذا الذي يمنعك من الاختراع؟ من؟ أنت في غرفتك وحدك تفعل ما تشاء، هل عليك من حرج في أن تفعل ما تشاء؟ لا حرج، لا رقيب عليك إلا رب العالمين، وأنت لا ترى خطأً ولا كفراً ولا كذا في أن تخترع وزنًا جديدا فتقول كما تشاء، ثم تأتي أصحابَك من الصباح تقول: قد اخترعت وزنًا، وقلت عليه، ها كم! فلا يقبله أحد! هل تراك إذا ما اخترعتَ اختراعًا يقبله الناس؟ لا، هذه مسألة صعبة! لكن أحيانًا تفعل شيئا يقبله الناس، فينسب إليك، يقال: هو أول من قال كذا، أو أول من قال كذا هو فلان، يقلدونك. من شروط هذا أن يُدركه السامع. إدراك السامع للشيء يحتاج إلى أن يشتمل على إيقاع واضح يُدركه، يُحس بنغم يتحدَّر أمامه، يُدركه، ويرتاح، وينجذب انجذاب الحديد إلى المغناطيس، ينجذب، ولابد كذلك أن يرتاح، لأنه إذا ارتاح قَبِل، وإذا قبِل شجَّع الشاعر على أن يفعل هذا أكثر من مرة، فثبت، ورسخ، وأجبر العلماء على أن يضيفوه إلى كتبهم. راجِعوا كتب الأوائل -وسيأتيكم المعرض، فاشتروا ما يسمى "الأوائل"، وفيه أول من قال كذا فلان...- وليست من العلم أصلا، لكنها معرفة، من طريقة كتب المعارف التي تفيد في برنامج "من سيربح المليون"، تفيدكم -إن شاء الله!- إذا ما وصلتم إليه، أو "من سيربح البونبون"! ذاك للكبار وهذا للصغار، وكلاهما موجودان؛ فشاركوا فيما تشاؤون! هذا عبث قطعا، وكلام فارغ! لكن كتب "الأوائل" معروفة. ولرسول الله -صلى الله عليه، وسلم!- عبارات كان الأول فيها قطعا؛ فهو مثلا أول من قال "حَمِيَ الْوَطِيسُ"، نعم، وعندنا سحبانُ وائلٍ أول من قال "أَمَّا بَعْدُ"، وفي العصور المتأخرة، في أيامنا التي أدركناها أول من قال "أَنْجَلْتُمْ تَوَاضُعَنَا" سعد زغلول، هذا زعيم الثورة المصرية، أول من قال ذلك التعبير -انظروا إلى اللف والدوران: "أَنْجَلْتُمْ تَوَاضُعَنَا"، يا سلام!- فانتبه الناس، وقلدوه! وأول من قال "الْقُوَّتَانِ الْأَعْظَمُ" -وهو خطأ لغوي، صوابه "الْقُوَّتَانِ الْعُظْمَيَانِ"- محمد حسنين هيكل، أشهر الصحفيين العرب، وقد تابعه الناس عليه قليلًا، ثم عرفوا أنه خطأ؛ فتركوه. يشترط في العروض إذن -يا جماعة!- أن يدركه السامع، وأن يرتاح له؛ فإن لم يدركه ويرتح له ذهب كما جاء! ما الشاعر وما العروضي؟ السؤال بـ"ما" كما ترون، لم نَقُل من الشاعر؟ والسؤال

بها في مثل هذا المقام إنما يكون عن الحقيقة، ما حقيقة الشاعر؟ أنا لا أسألك: من الشاعر، لتقول: المتنبي، كما كان أبو العلاء يقول، كان أبو العلاء المعري إذا ما قال: قال الشاعر، يقصد المتنبي فقط، فكأن لا شاعر عنده إلا المتنبي، وحُق له! وسبحان الله، لقد أشار المتنبي إلى نفسه في أحد أبياته بـ"ما"، اسمعوا هذا البيت الجميل:

"يَقُولُونَ لِي مَا أَنْتَ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ وَمَا تَبْتَغِي مَا أَبْتَغِي جَلَّ أَنْ يُسْمَى"!

الله على البيت، جبار! ها، أعيدوا البيت، يقولون لي: ما أنت، في كل بلدة أدخلها، وما تبتغي، ماذا تريد؟ ويجيب في البيت نفسه: ما أبتغي جل أن يسمى، الله! بيت مدهش، افتتن به البردُّوني الشاعر اليمني، فأقام عليه قصيدته "وردة من دم المتنبي"، فاقرؤوها بديعة مدهشة، مطلعها:

"مِنْ تَلَظِّي لُمُوعِه كَادَ يَعْمَى كَادَ مِنْ شُهْرَةِ اسْمِه لَا يُسَمَّى
جَاءَ مِنْ نَفْسِهِ إِلَيْهَا وَحِيدًا رَامِيًا أَصْلَهُ غُبَارًا وَرَسْمَا"!

هذا البردوني هنا يقلد المتنبي، ويقول عنه -وهو كالمعري مكفوف البصر لا البصيرة-: "مِنْ تَلَظِّي لُمُوعِهِ كَادَ يَعْمَى كَادَ مِنْ شُهْرَةِ اسْمِهِ لَا يُسَمَّى"، وقد صدق، فهذا المعري إذا قال: قال الشاعر فقد أراد...

- المتنبي.
- المتنبي فقط! فما الشاعر إذن، وما العروضي؟ الشاعر هو الفنان في هذا السياق، في هذه الحضرة التي نحن فيها الآن الشاعر هو الفنان مبدع الشعر، أما العروضي فهو عالم العروض، فعندنا شخص مشتغل بالعروض هو الشاعر، وشخص مشتغل بعلم العروض هو العالم، هذا عالم وذاك فنان، وقد حدثتكم عن نمطَي الكلام الفنيّ والعلميّ، فالشاعر يسلك مسلك الكلام الفني، ولا يعبأ بمنهج البحث وترتيب المقدمات توصلا إلى النتائج، لا يعبأ بهذا، وإذا عَبَأَ سخروا منه! وما أكثر ما قرأت من الشعر، ما يعلق عليه النقاد أنه شعرُ قضاةٍ، إذا دخل في المقدمات والأحكام فليس بشعر، بل أحكام قضائية! أنشد الراعي النميري عبد الملك قوله في مطلع لاميته:

"أَوَلِيَّ أَمْرِ اللهِ إِنَّا مَعْشَرٌ حُنَفَاءُ نَسْجُدُ بُكْرَةً وَأَصِيلَا
عُرْبٌ نَرَى لِلهِ فِي أَمْوَالِنَا حَقَّ الزَّكَاةِ مُنَزَّلًا تَنْزِيلَا"،

فقال: "ما هذا بشعر، هذا شرح الإسلام وتفسير آية"!

"وَالشِّعْرُ مِنْ نَفَسِ الرَّحْمَنِ مُقْتَبَسٌ وَالشَّاعِرُ الْفَذُّ بَيْنَ النَّاسِ رَحْمَنُ"!

أو كما قال العقاد -قاتل الله شيطانه!- فالشاعر مبدع الشعر الفنان، الذي لا يجري على وفق الكلام المنطقي المرتب من مقدمات إلى نتائج، هذا كلام قضاة، أحكام قضائية، لا، بل ينكشف له الأمر عن إحساس، فيعبر عنه بالموسيقى والوصف، وما تيسر له من أساليب. أما صاحبنا الآخر فعروضي - يسمونه العروضي، ويسمون المشتغل بعلم النحو نحويا، والمشتغل بالصرف صرفيا، هكذا كانوا يقولون- ناقد عروض. ما رتبة العروض عند كل من الشاعر والعروضي؟ ما منزلته في الحركة؟ متى يأتي؟ متى يظهر؟ هو لدى الشاعر أول، ولدى العروضي آخر. أتخيل أن الشاعر ربما سمع أصواتًا كهذه الأصوات التي أضرب عليها بـ"ليلى" سيدة العِصِيِّ: "ددن دن ددن دن ددن دن ددن دن ددن دن ددن دن ددن دن ددن دن"- ربما سمع شخصا يضرب هذا الضرب، فأعجبه، فعزفه بالكلام، قال قصيدة، فهنا تأملوا، متى ظهر العروض؟ متى ظهرت الدندنة؟ أولا أم آخرا؟ ظهرت له أولا، سمع طرقات، سمع صوت سيارات، سمع كلاما من أحد، سمع أي شيء. أذكر أن أعظم ملحني القصائد في العصر الحديث، مصري مشهور بأنه أعظم من لحن القصائد من؟

- عبد الوهاب؟
- لا، بل رياض السنباطي، لحن قصيدة وترك شريط تسجيل اللحن في البيت، وذهب فجلس على مقهى -قرأت هذا عنه- فسمع النادل -يسمونه الجرسون- ينادي أو يجيب بنغمة معينة، فنبَّهته على وضع كان ينبغي أن يضع عليه اللحن، فذهب سريعا فهاتف زوجه ألا تعطي الشريط من سيجيء يطلبه، فسيعدله، ورجع فعدله؛ أرأيتم! فيا جماعة، أحيانا يسمع الشاعر طرقات، أصواتا، أحيانا يقرأ قصيدة، يحدث له ما يحدث، فيُخطِر له هذا الدندنةَ التي يميل إليها ويخرجها في شعره؛ "فالعروض عند الشاعر أول"، عرفنا هذا بالعلم وبالتجربة. ذهب بشار بن برد مرة إلى أحد الأمراء مادحا فلم يعطه شيئا، فانتحى جانبا يدندن في نفسه: ددن دن ددن دن دن...، فخافه الأمير، ورده، وأعطاه! عرف أنه سينظم قصيدة أخرى، ولن تكون هذه المرة إلا في الهجاء، لأنه إذا لم ينفع المدح نفع الهجاء -إن شاء الله!- وبشار هذا كما تعرفونه، شيطان من الشياطين، فَرَدَّهُ، وأعطاه: اللهم اكفنا شره! كيف عرف؟ من سماع دندنته، ولم يكن قال شيئًا بعدُ غيرَ

الدندنة (ددن دن ددن دن دن...)، مصيبة -أدرك نفسك!- تعال، تعال، خذ ما تشاء! "لكنه عند العروضي آخِر"، لماذا؟ لأن العروضي لا يبدأ عمله حتى ينتهي الشاعر من عمله، فإذا ما انتهى الشاعر من قصيدته تسلمها العروضي، كيف يتسلمها؟ يتسلمها نصا لغويا، يتسلمها نصًّا لا دندنةً، نصا كاملا، كامل الأهلية، يتلقى مثلا معلقة امرئ القيس "قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ"، ويجتهد فيها حتى يصل أخيرا إلى أنها من بحر الطويل. أما امرؤ القيس نفسه فبدأ بالدندنة، جاشت في صدره الدندنة، ثم خرجت من خلال المعلقة، وأما الباقلاني الذي نقدها عليه مثلا فبالعكس، تلقى المعلقة، وقرأها، وجعل يضبط لغتها ويحاول أن يلحنها، حتى وصل في النهاية إلى دندنتها. هكذا تسير الأمور. سألتني أمس طالبة: ألا يجوز أن يكون الشاعر هو العروضي، والعروضي هو الشاعر؟ أنجح مَن بحث في علم العروض ودرَّسه، الشعراء، حتى الخليل نفسه شاعر، لكنه شاعر وسط، لم يكن منقطعا للشعر. نعم، يا سالمة؟

- يقال: إنه لم يكن يحسن الشعر!
- كان شاعرا له شعر جميل، ويروى له في الزهد -وكان من أهله- لكنه قليل ومنحسر، يكون منه البيت والبيتان وكذا، هو مثلا صاحب البيت الذي لم يقل مثلَه غيرُه:

"اِعمَلْ بِعِلْمِي فَإِنْ قَصَّرْتُ فِي عَمَلِي يَنْفَعْكَ عِلْمِي وَلَا يَضْرُرْكَ تَقْصِيرِي"!

وهو الذي دخل عليه ابنه وهو يقطع الشعر، فرجع إلى أمه صارخا: جُنَّ أبي! فقال بيتين من أروع ما يكون، ماذا قال؟

- لَكِنْ جَهِلْتَ مَقَالَتِي فَعَذَلْتَنِي...

هي هذه ما أولها؟

- "لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ مَا أَقُولُ عَذَرْتَنِي أَوْ كُنْتُ أَجْهلُ مَا تَقُولُ عَذَلْتُكَا
لَكِنْ جَهِلْتَ مَقَالَتِي فَعَذَلْتَنِي وَعَلِمْتُ أَنَّكَ جَاهِلٌ فَعَذَرْتُكَا"!

والبيتان من أروع ما يكون، كلام رائع، وهكذا كان الخليل يقول البيت والبيتين والأبيات، لأنه غير منقطع لشيء واحد، كان الخليل مشغولا بسبعين شيئا في وقت واحد! قلت للسائلة إذن: يجوز، ففلان كذا، وفلان كذا، والمعري له مقدمة في علم العروض، وهو أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء، ولابن عبد ربه في العقد الفريد فصل في العروض، وهو شاعر مهم، وهكذا،

وهكذا. بل هذا الرجل الذي أحلتكم على كتابه الذي رفعته له على موقعي عمر خلوف، شاعر، وشعبان صلاح، صاحب "موسيقى الشعر العربي"، شاعر، وهلال الجري صاحب "العروض المغنى"، شاعر... أحسن من بحث في علم العروض ودرَّسَه، الشعراءُ. لكن عندنا هنا مشكلة أنه إذا تذكر الشاعر في أثناء نظمه لقصيدته علم العروض وتقيد بقيوده، عطَّل نفسه، وقيد حركته؛ فأضاع على نفسه فوائد كثيرة! هل كان البدوي الفصيح قبل نشأة النحو يعرف النحو؟ لم يكن يعرفه. هل كان رسول الله -صلى الله عليه، وسلم!- وهو أفصح العرب على الإطلاق، يعرف ما وضعه فيما بعد أبو الأسود الدؤلي وتلامذته وصولا إلى الخليل فسيبويه فمن بعده إلى الآن؟ لا، لم يكن يعرفه، وقد أوتي جوامع الكلم! لقد جنى على الشعراء علمُ العروض، كما قال نصا الدكتور شكري عياد في كتابه "موسيقى الشعر العربي"! وهو إنما يجني على الشعراء إذا جعلوه هُولَتَهم، كأنه رعب أمامهم! لي صديق شاعر ينْظِمُ دائما ويعرض عليّ فأساعده على الحرية، ألا يتقيّد، لكنه لا يريد أن يُلام. يا أخي، افعل ما تشاء، ولكنه لا يريد أن يُلام، لا يريد لأحد أن يأخذ عليه شيئا، مهما كان! يا أخي، لا، ما هكذا تجري الأمور، لا، انطلق، وافعل ما تشاء! ما القصيدة بناء على هذا؟ القصيدة -يا جماعة- بُنيان الشاعر! أحب دائما أن أتكلم عما أسميه "البنيان"، يتصف بالبنيانية كل شيء متقن، خلق الحق -سبحانه، وتعالى!- الخلق بنيانا متكاملا، أعجب لمن يصلون الإنسان بالنجوم: هذا طبيعته كذا، وهذا طبيعته كذا! يعجبني هذا، ولكنني لا أتقيد بحظوظ اليوم التي في الجريدة (باب "حظك اليوم")، لا، هذا كلام فارغ، لا أقصده، بل أقصد اتفاق طبائع المخلوقات كلها؛ هذا طبيعته كذا، وهذا طبيعته كذا، أرتاح لسماع هذا الكلام، لأنه يساعدني، يشهد عندي لوحدة الخالق، أنه خلق الخلق بإيقاع واحد، والخالق واحد؛ ففي الناس مثل ما في الأرض، ومثل ما في النجوم، وهذه العلاقات مثل هذه العلاقات وتلك العلاقات، فكل ما خلقه الحق -سبحانه، وتعالى!- فيه طبيعة البنيان. ما البنيان؟ "مركب ذو عناصر، لكل عنصر استقلاله في نفسه وعلاقته بغيره"، هذا هو البنيان، وليكن من أي شيء، من اللغة، من الماء، من الأرض، من السماء، من أي شيء، ليكن ما يكون! وقد علَّمنا سيدنا الخليل أشياء أريد أن تكتبوها أو أن تفكروا فيها معي. عندنا في العالم كله مثلا، نوعٌ من الكلام يسمى الشعر، فلنتخيل أننا جمعنا شعر

العالم، ماذا نسميه؟ لنتخيل أننا جمعنا ما حدث في العالم من هذا النمط الفني ماذا نسميه؟ أهو شعر العالم أم شعر العرب؟

- شعر العرب.
- لا، فيه العربي والإنجليزي والفرنسي والصيني وكذا وكذا!
- هذا شعر العالم.
- وفي داخل شعر العالم شعر العرب، وشعر الإنجليز، وشعر الفرنسيين، وشعر كذا... وفي داخل شعر العرب شعر فلان من الشعراء، وشعر فلان، وشعر فلان، شعر المتنبي، وشعر أبي تمام، وشعر فلان. وفي داخل شعر الشاعر المعين قصائد، هذه قصيدة وثانية وثالثة، لأبي مسلم البهلاني مئتان وخمسون قصيدة، لفلان ألف قصيدة، لفلان أكثر من ذلك أو أقل، ومن الشعراء من لا يعرف الناس من كثرة أشعارهم مقاديرها، كالسيد الحميري مثلا، وكان بشار كثير الشعر كذلك، ولابن عربي الصوفي الشهير شعر كثير، وديوانه كبير... وهكذا. ومن داخل القصيدة عندنا الأبيات، ومن داخل البيت الواحد عندنا شطران، ومن داخل الشطر...
- الكلمات.
- لا، هذه الكلمات عناصر لغوية، بل التفعيلات. ومن داخل التفعيلات؟ سنعرف، لكن خطر لي أن أقول هذا الآن، فقلته. من داخل التفعيلات أجزاؤها التي تسمى الأسباب والأوتاد والفواصل، فللتفعيلة نفسها في الداخل أجزاء، منها ما يسمى السبب، ومنها ما يسمى الوتد، ومنها ما يسمى الفاصلة، وهي مصطلحات مأخوذة من أسماء مكونات البيت العربي (الخيمة)؛ فقد بنى الخليل مصطلحات مكونات بيت الشِّعْر على أسماء مكونات بيت الشَّعْر. أعرف أنكم تحركون العين (شَعَر، شَعَر)، وهو نطق عربي -"فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ"، صدق الله العظيم!- "نَهَر"، لكنكم تعممون هذا تقولون: بَحَر، نَهَر، صَقَر، بالمرة، معي؟ ها؟ هل تحت هذا شيء؟ من تحت جزء التفعيلة (السبب أو الوتد)، لدينا الحرف الواحد الذي ربما كان متحركا وربما كان ساكنا. هل تحت الحرف شيء؟ الحرف المتحرك أصلا صوتان، إذا قلت: كَتَبَ، "كَ" متحرك، و"تَ" متحرك، و"بَ" متحرك، هذه الـ"كَ" تتكون من الكـاف والفتحة مثلا، تستطيع أن تنزل إلى هذا. هل تحت هذا شيء؟ هل تحت الصوت شيء؟ تحته الذبذبات، بكل صوت ذبذبة، ولو أدرك الخليل

بن أحمد هذا العبقري زماننا لاستطاع أن ينزل إلى آخر المدى! ما الذي فعله مخترع الذرة؟ ما الذي فعله أحمد زويل؟ ما الذي فعله مصطفى السيد بتقنية النانو؟ ما الذي يفعله هؤلاء الناس؟ استطاعوا أن يكتشفوا أجزاء أجزاء أجزاء أجزاء الأجزاء، حتى يمكنوا العسكريين من التدمير! وأكثر الأبحاث يبدأ قطعًا عند العسكريين، بل الأبحاث كلها تبدأ عند العسكريين لغايات عسكرية! ما الذي فعله العسكريون وساعدهم عليه هؤلاء العلماء؟ تجزيء الأجزاء حتى يستطيعوا أن يدمروا الأرض إذا ما شاءوا، ما شاء الله -أغراض نبيلة. كيف نرسم ذلك بدوائر متداخلة؟ ندير دائرة كبرى نسميها شعر العالم -ها، فعلتم؟ رتبوا أنفسكم على تسع دوائر!- وماذا نرسم داخلها؟ دائرة شعر العرب. وماذا نرسم داخلها؟ دائرة شعر الشاعر المعين -ها!- فدائرة القصيدة المعينة -ها!- فدائرة البيت-ها!- فدائرة الشِّطر. أنا أحب أن تنطقوها الشِّطر كما تقولون النِّصف، هل تقولون النَّصف؟ لا، بل تقولون النِّصف، فلماذا تقولون هنا النِّصف، وتقولون هنا الشَّطر! وفي العربية الشَّطْر والشِّطْر والنَّصْف والنِّصْف والقَسْم والقِسْم، أيهما تقولون، القَسْم أم القِسْم؟

- القِسم.
- فلماذا لا تقولون الشِّطر، كما تقولون القِسم والنِّصف، وهي هي! في داخل دائرة البيت دائرة الشطر، التي في داخلها دائرة التفعيلة، التي في داخلها دائرة جزء التفعيلة، التي في داخلها دائرة الحرف، وقد وقف الخليل هنا، ولو حضرنا وعاش في زماننا لجعل في داخل دائرة الحرف دائرة الذبذبة، فكانت الدائرة العاشرة، لكنه مات سنة خمس وسبعين ومئة! كان الناس يوازنون بينه وبين ابن المقفع الذي مات سنة مئتين على ما أظن -تعاصرا حقبة من الزمن، ولمع نجمهما، وانتشر صيتهما، وانبهر بهما الناس- ويزعمون أنهما اجتمعا ليلة، وأن ابن المقفع سئل بعدها عن الخليل، فقال: "رَأَيْتُ رَجُلًا عَقْلُهُ أَكْثَرُ مِنْ عِلْمِهِ"، وأن الخليل سئل عن ابن المقفع، فقال: "رَأَيْتُ رَجُلًا عِلْمُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَقْلِهِ"! تخيلوا! معكم مثلا وعاء، حقيبة، حقيبة كتب -ها!- هذه الحقيبة، أما الخليل فحمل فيها أقل من سعتها، وأما ابن المُقفع فحمل فيها أكثر من سعتها، فما الذي حدث؟ تمزقت حقيبة ابن المُقفع وبقيت حقيبة الخليل تتسع للمزيد فالمزيد، حتى إنه مات وهو يفكر في اختراع الآلة الحاسبة -أرأيتم!- مات الخليل وهو يفكر في اختراع الآلة الحاسبة! أما ابن المقفع فقُتل على الزندقة! هذا الذي فاض تحصيله عن طاقته قُتل على الزندقة -هكذا قالوا، أنا أروي كلاما قيل،

ولا أحكم على الناس- وأما أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي مخترع علم العروض فعاش ومات في خص من أخصاص البصرة، وترك الناس يأكلون بعلمه الأموال! لي في موقعي الإلكتروني مقال أسأل فيه أين ذهبت كتب الخليل؟ أين ذهبت كتبه في علم العروض وعلم النحو وعلم الصرف وعلم الموسيقى وعلم الرياضيات وعلم الفقه وعلم الحديث وعلم التاريخ، ...، أنوِّع وأتخيل أنه ضرب بأسهمه في سبعين علما -ها!- فينجذب الناس، يجذبون: سيدلنا على كتب الخليل، وفجأة أجيب: لم تكن له كتب أصلا! ما جواب السؤال إذن؟ لم تكن للخليل كتب، لم يكن مشغولا بالكتب أصلا، كان مشغولا بالتفكير، يظل طوال الوقت يفكر، حتى إذا ما حضره تلامذته نقل إليهم تفكيره، وبسطه لهم، وعلمهم! ما الذي حدث؟ مات الخليل، فاجتمعت طائفة من تلامذته، وقال بعضهم لبعض: هَلُمَّ نُحيِ علم الخليل! أما سيبويه فأحيا بـ"الكتاب" علمه بالأصوات والصرف والنحو، وأما الليث بن المظفر فأحيا بـ"العين" علمه بمتن اللغة، وأما إسحاق الموصلي فأحيا بـ"الإيقاع" علمه بالموسيقى، وأما الأخفش فأحيا بـ"العروض" و"القافية" علمه بالعروض، وأما كذا فكذا، وأما كذا فكذا، ...، حتى إنه لما جاء زمان الجاحظ -وقد أدرك ستة عشر عاما من حياة الخليل، ثم مات عام ٢٥٥ الهجري- ذكر عن نفسه بلسانه -قرأت له هذا في رسائله- أنه ربما ألف الكتاب ونسبه إلى الخليل بن أحمد، خداعا وترويجا! اعتراف -ها!- والاعتراف سيد الأدلة، فعلى أي أساس فعل؟ على أساس أنه لم تكن للخليل كتب أصلا، لم يعثر له الناس على كتب، فرصة -ما شاء الله!- أيُّ فرصة، أمكنَتْه من نفسها، أن يؤلف وينسب إلى الخليل الذي لم يكن معنيا بالكتابة أصلا، ويتعجب الناس: أمِثل هذا الجبل لا كتب له؟ فإذا الجاحظ يقول: هذا كتاب الخليل في كذا! وما زلنا إلى الآن نعثر على كتب منسوبة إلى الخليل. جاءتنا طالبة ماجستير من جهة دكتورة من خريجات نزوى، فقالت: درست كتاب الخليل في الحروف! وللخليل كتاب في الحروف! ما شاء الله! له كتاب في الحروف! لا تعجبوا، إنها إرادة الله! ربما وجدنا في المستقبل من يدعي أكثر من هذا، ربما وجدنا من يقول: هذا كتاب الخليل في الجغرافيا والسياسة والاقتصاد... وغيرها! ما القصيدة إذن؟ مفردة الشعر، وبنيان الشعر، بنيان عروضي لغوي، مترابط الوحدات، ولابد من هذا الترابط، لابُدّ فيه من أن يتكون من عناصر مختلفة، لكل واحد استقلاله في نفسه وعلاقته...

- بغيره.

- وإلا لم يكن بنيانا، والقصيدة بنيان. كل ما ذكرت لكم في هذه الترتيبات، أكثر ما ذكرت لكم في هذه الدوائر بُنْيانات: شعر العالم بنيان، وشعر العرب بنيان، وشعر المتنبي بنيان، وقصيدة المتنبي بنيان، والبيت من قصيدة المتنبي بنيان، كل أولئك على تفاوتها بنيانات نسبيّة. البيت الذي يُنتزع من قصيدته ليُنْشَدَ وحده بنيان قطعا. لي سلسلة الآن على الفيسبوك وتويتر وموقعي أسميها "شوارد" -هذا اسمها- عبارة عن أبيات مفردة، أنتزعها من قصائدها، كيف تنتزع البيت من قصيدته وهو عنصر فيها؟ أحس بأنه مكتمل في نفسه -وهو قطعا مكتمل في نفسه متصل بغيره في قصيدته- فأستفيد من اكتماله في نفسه لأرويه وحده، وعندئذ يبدو بنيانا. أمس نشرت قول عروة بن أُذينة:

"مَنَعَتْ تَحِيَّتَهَا فَقُلْتُ لِصَاحِبِي مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وَأَقَلَّهَا"!

بيت مكتملٌ في نفسه تستطيع أن توظفه. أريد بهذه السلسلة أن أمكن المعبرين من التعبير. مترابط الوحدات، هذا البنيان العروضي اللغوي مترابط الوحدات، وحدة جانبه العروضي البيت، ووحدة جانبه اللغوي الجملة، والجانبان مؤتلفان، هذا كلام قديم، وقد طورناه كثيرًا. لي على موقعي مقال شديد التطور اسمه "نظرية النصية العروضية" من شاء فليقرأه؛ ففيه كلام أكثر تطورًا من هذا. هذه القصيدة بنيان، وحدته البيت، فما البيت إذن؟ هو اللَّبِنة التي بتكرارها يكون بنيان القصيدة. إن القصيدة بنيان ذو عناصر، منها العروضي، ومنها اللغوي، وبينهما تآلف، لبِنتها البيت، وانتبهوا! حرص الخليل على وضع مصطلحات من حياة البدوي، بيت الشِّعر كبيت الشَّعر، والسبب الحبْل كسبب الخيمة، والوتد كالوتد، والفاصلة كالفاصلة، والعروض -كلمة "عروض" نفسها- عمود معترض في الخيمة، كل هذا مصطلحات من حياة العربي. وهكذا العلوم -يا جماعة!- إذا نشأت في أهلها أخذت من مصطلحاتهم؛ لهذا تترجمون العلوم مثلا عن الأوروبيين والأمريكان والروس والصينيين، تترجمونها وتفاجؤون بمصطلحات من حياتهم، لأنهم أصحاب علومهم، فتجتهدون أن تعربوها، حرصا على العربية لكن تنجحون وتخفقون، ولا مشكلة عندي في هذا؛ فهي مصطلحاتهم وضعوها من حياتهم، يمكنني أن أحافظ عليها كما هي -لا مشكلة- مصطلحات خرجت من حياة مخترع العلم، أحيانا يسمي الشيء باسم نفسه -ها!- مرسيدس اسم ابنة صاحب الشركة -نعم!-

وذلك المرض -عفاكم اللهُ!- سماه مخترعه باسم نفسه، وكذا، وكذا... تُغيرون هذا تعريبًا؟ لا، نغير اسم السيارة المرسيدس، نسميها زَنُّوبَة مثلا، كما يفعل بعض المصريين! للمصريين براعات في تسمية السيارات، أما أنتم -معشر الخليجيين- فبارعون في تسمية الهواتف المحمولة (النقّالات، أو الجوّالات)، كنتم تسمون بعضها شارون -كان منبعجا مثل شارون، لعنه الله!- فقلدناكم، كما نقلدكم، وما زلنا! والمصريون بارعون في تسمية السيارات، يقولون: هذه خنزيرة، هذه تمساحة، هذه زلمكة، هذه بُدرة، هذه كذا...، ولاسيما سيارات المرسيدس، المصريون مفتونون بسيارات المرسيدس، هذه شبح، كانت لي سيارة شبح -شبح، سبحان الله!- هكذا يرونها، ويحسون بها إحساسًا خاصًّا، فيسمونها، وتروج لديهم بهذا الاسم! فالرجل حر -يا أخي!- اخترع العلم، واستعمل فيه مصطلحات من حياته. أنا حر، سأسمي هذه الفكرة باسم ابني، أنا حر، أنا الذي اخترعتها. فالبيت -يا جماعة!- الوحدة التي بتكرارها كان بنيان القصيدة، هذا البنيان، هذه البنيانية لا تحقق إلا بالترابط. كيف إذن تترابط أبيات القصيدة؟ باشتمال كل منها على الخصائص نفسها، اشتمال كل بيت منها على الخصائص الوزنية والقافوية نفسها، أي العروضية، كلمة "العروضية" تشمل الوزن والقافية، أي أن يكون كل بيت كصاحبه في القصيدة نفسها من حيث الوزن ومن حيث القافية. من الطرائف -اسمعوا، اسمعوا ها السَّمْعَةَ!- من الطرائف أن رؤبة بن العجاج الراجز الأكبر، وفد على عبد الله بن سالم (أحد الولاة)، فقال له: مُتْ أَبَا الْجَحَّاف إِذَا شِئْتَ! -وكان رؤبةُ يُكْنَى أبا الجحاف- قال: كَيْفَ؟ قال: رَأَيْتُ الْيَوْمَ ابْنَكَ عُقْبَةَ يُنْشِدُ شِعْرًا لَهُ أَعْجَبَنِي -كأنه يقول له ممازحا: اذهب فانتحر، أو افعل بنفسك ما تشاء، لم أعد أحتاج إليك، فقد سمعت ابنك، وسيغنيني عنك!- فقال له رؤبة: نَعَمْ، وَلَكِنْ لَيْسَ لِشِعْرِهِ قِرَانٌ! يقول له: ليس هنالك، مستحيل أن يُغنيك عني، لأنني أنا أُحسِن المؤالفة بين أبيات القصيدة الواحدة، ولا يحسنها هو مثل إحساني، فما زال يجمع في القصيدة أشتاتا يُنْكِرُ بعضها بعضا. أرأيتم! فلا بد أن يحرص الشاعر على ترابط الأبيات، يعني إذا جئتني بأبيات من الوزن نفسه ينكر بعضها بعضا قلت لك: هذه أشتات، لا قصيدة واحدة، لابُدّ في القصيدة الواحدة أن تترابط أبياتها داخليا وخارجيا، أما ترابطها الداخلي ففكري، وأما ترابطها الخارجي فعروضي؛ لابُدّ أن تترابط داخليا وخارجيا. من المُلَح التي حكاها ابن الجوزي في "أخبار الحمقى والمُغفلين" -أعزكم الله!- عن أحد محفظي القرآن، أنه جلس يحفِّظ تلميذه: ها،

قل: "يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ" -في سورة يوسف- "فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا"، "وَأَكِيدُ كَيْدًا فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا"، فقيل له: إنك تُدخل القرآن بعضه في بعض! قال: ولِمَ يُدخل أبوه أُجْرَةَ شهر في شهر؟ "فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا" من "سورة يوسف" الثانية عشرة في ترتيب المصحف الشريف، و"وَأَكِيدُ كَيْدًا فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا" من "سورة الطارق" السادسة والثمانين؛ كيف تترابطان! كذلك أبيات القصيدة الواحدة، لابُدّ أن تترابط. من الطُّرَف التي كنت أقرؤها قديما -وأنا أحب التدريس بالطُّرَف- أن بدويا فاجأ زوجه ومعها شاب -والبدو ذوو أريحية، لا مشكلة لديهم أن يزورهم الشاب فيُجلسوه مع الأهل ما دامت الأمور طيبة، والأخلاق مأمونة- فجلسوا جميعا، فكتب الشاب شيئا على الأرض، فكتبَتْ زوجُ البدوي شيئا كذلك على الأرض، فقال له البدوي: ماذا كتبت؟ فقال: كتبت "ماذا طبختم اليوم"؟ وقال لها: وماذا كتبت أنت؟ قالت: كتبت "وأنا". ما هذا الكلام؟ "ماذا طبخت اليوم"، "وأنا"! كلام غير متلائم، فكفأ عليه صَحْفَةً، ثم استدعى فتى من الحي قارئا، وقال له: اقرأ، فإذا بالشاب قد كتب: "أحبك"، وإذا زوجه قد كتبت: "وأنا"، فقتلهما البدوي! وهذا جزاء الكلام غير المستقيم! مسكينة هذه الجاهلة، لو كانت قالت مثلا: "طبخت كذا"، لنجت من القتل، ولكن ربما كان البدوي الألمعي قد سأل كلا منهما وحده؛ فهذا إذن جزاء الكلام غير المستقيم! لا يجوز أن تأتي لي ببيت من الشرق وبيت من الغرب، لتقول هذه قصيدة! ما شاء الله، قصيدة ينكر بعضها بعضا! لهذا قال الدمنهوري في حاشيته على الكافي يفسر قولهم: "القصيدة كلام موزون مقفى" - تأملوا ما قال، تأملوا الكلام الجميل- "أَبْيَاتٌ مِنْ بَحْرٍ وَاحِدٍ، مُتَسَاوِيَةٌ فِي عَدَدِ الْأَجْزَاءِ، وَفِي جَوَازِ مَا يَجُوزُ فِيهَا، وَلُزُومِ مَا يَلْزَمُ، وَامْتِنَاعِ مَا يَمْتَنِعُ". لابد، وإلا كانت أشتاتا مجتمعة قهرًا، لا تستقيم قصيدة، أبيات من بحر واحد، لو كانت من أكثر من بحر لم تكن قصيدة. هذا في الشعر العمودي الذي ضبطه الخليل، وقد تغير فيما بعد، ولن أُدَرِّس لكم إلا الشعر العمودي، وهل في الشعر العربي شعر غير العمودي؟ نعم؛ مر الشعر العربي بتاريخ طويل من الجاهلية إلى الآن، حتى هذا الشعر الذي تجدونه في المعلقات لم يصل إلى هذا المستوى إلا بعد مئات السنين، نحن عندنا شعر من نمط شعر المعلقات مما قبل الإسلام بخمسمئة سنة، فمتى بدأ، وكيف؟ بدأ مما قبل الإسلام بمئات من السنين، ربما بلغت ألفي سنة، هكذا تسير الأمور، لكن يتسارع الإيقاع طبعا، الإيقاع الذي كان في الجاهلية بطيئا صار

الآن سريعًا، كانوا يسافرون الشهور الطويلة، فصاروا يسافرون الساعات القصيرة، كانوا يأتون إلى الحج من المغرب الأقصى في ستة أشهر، فصاروا يأتون في ست ساعات، كذلك إيقاع التطوّر، وسأحاول معكم في المحاضرات أن أطلعكم على تخيّلٍ للشعر في أول نشأته، وقد فعلت هذا في المحاضرة السابقة، بما حاولتُه من تصوّر المراحل التي أفضت إلى شعر المعلقات الذي ضبطه الخليل، واشتهر باسم الشعر العمودي، وفي هذه التسمية نظر، لكنه اشتهر بها، ولا مُشَاحة في الاصطلاح، أي لن نختلف في الاصطلاحات وإن كانت خطأ! هذا الولد اسمه مثلا "عبد العاطي" كما سمى بعض المصريين، وهذه التسمية خطأ أصلا، هي في نفسها خطأ، صوابها أن يسموه "عبد المعطي" مثلا، فالتسمية خطأ، هل يجوز أن تناديه فتقول: يا عبد المعطي؟ لن يجيب، اسمه عبد العاطي، لكنك غير مرتاح لهذا الخطأ، فتقول له من باب التصحيح: يا عبد المعطي، فلا يجيبك، لا يعرف أنك تناديه! وكذلك من أسماء المصريين عبد النبي، يناديه بعض المحافظين: يا عبد رب النبي، من باب التصحيح، فلا يجيب، اسمي عبد النبي، لا عبد رب النبي، خطأ، نعم، لكن ماذا أفعل؟ هذا الاسم مصطلح على الإنسان، هذا مصطلح عليه لابُدّ أن يُنادَى به، وإن كان خطأ! هذا النوع الأول، أو هذا النوع الذي ضبطه الخليل في كتاب لم يؤلفه -أَلَّفَه من أَلَّفَهم!- يسمى الشعر العمودي. ثم نشأ في عصر الأمويين ما يسمى الشعر المشطَّر، وقد خطب منه الوليد بن يزيد، الشاعر الخليفة الذي حَكَمَ بضعة عشر شهرا، ثم قُتل، قالوا: خطب الجمعة بالشعر، تخيلوا، خطب الجمعة بالشعر، الخطبة كلها من أولها الى آخرها شعر، من هذا النمط الذي يسمى المزدوِج، وهو من صور الشعر المشطَّر:

"اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ وَلِيّ الْحَمْد
أَحْمَدُهُ فِي يسرِنَا وَالْجهْد
هُوَ الَّذي فِي الْكَرْبِ أَسْتَعِينُ
وَهْوَ الَّذِي لَيْسَ لَهُ قَرِينُ"!

وقد بلغ المشطر أَوْجَهُ في الأندلس بشعر الموشحات، فالشعر الموشح نمط من المشطر. ثم تطور الشعر فظهر شعر المقطَّعات، وفيه تشتمل القصيدة على قطع من الأبيات لكل قطعة قافيتها، ثم ظهر الشعر المُرْسَل الذي لكل بيت من القصيدة فيه قافيتُه، أي ليست له قافية، ثم ظهر الشعر الحر!

أنواع من الشعر، أشهرها تلك الثلاثة: العمودي، والمشطر (الموشح)، والحُرّ. أما الشعر العمودي فقد ضبطه الخليل بن أحمد، وأما الشعر المشطر (الموشح) فقد ضبطه هبة الله بن جعفر بن سناء الملك بكتابه "دار الطراز في عمل الموشحات"، وهو له بمنزلة الخليل بن أحمد للعمودي. تأملوا تجدوا هؤلاء المخترعين أو المجترئين، من الشعراء. حدثتكم عن الخليل -رحمه الله، ورضي عنه، وألحقنا به على خير!- والآن أحدثكم عن ابن سناء الملك واضع كتاب "دار الطراز"، الذي سماه باسم الدار التي تصنع كسوة الكعبة، وكانت بمصر- وجعله في ضبط عمل الموشحات لأن الموشحة تخرج مزخرفة كزخرفة كسوة الكعبة، سبحان الله! شاعر فنان. ثم بعد زمان طويل ظهر الشعر الحر فقعَّدَتْه...

- نازك.

- نازك الملائكة بكتابها "قضايا الشعر المعاصر". ونازك شاعرة، أرأيتم؟ لا يجترئ على مثل هذا غير الشعراء! ولكن هل من وقت لتدريس أنواع الشعر العربي كلها؟ لا، ولكن ما لا يدرك كله يدرك بعضه، وأهم هذا الذي يُدرَك الشعرُ العمودي، ولا تأس على هذا، ولا تحزن، فقد تنقلت روح العمودي بينه وبينه الموشح والحر -وإن تغيرت قليلا!- الروح روح العروض، هي هي، ستجد روح الطويل في بعض شعر السيّاب الحر، وروح كذا في كذا، الروح كما هي، تجد الروح كأنها تتلبس الأجسام. ذكرنا في ترابط أبيات القصيدة الواحدة، مصطلح "التفعيلة"، فما هذه التفعيلة؟ وتسمى التفعيل والإفعيل والركن والجزء، كل هذه أسماء شيء واحد، لكن لم يشتهر في زماننا غير مصطلح "التفعيلة"، والمصطلحات كالنّاس، تتفاوت أرزاقها من الشهرة، ماذا نفعل؟ أرزاق، فما هذه التفعيلة؟ هي مقاطع، هي الكتلة التي حدثتكم عنها منذ قليل، في داخل هذه الكتلة مقاطع أصوات لغوية معينة مرتبة، فَعُولُنْ: فَ، عُو، لُنْ= مقطع قصير، مقطع طويل، مقطع طويل. مُسْتَفْعِلُنْ: مُسْ، تَفْ، عِ، لُنْ= مقطع طويل، مقطع طويل، مقطع قصير، مقطع طويل -تنسلك عند الخليل أولا في وتد (فعو)، وسبب (لن)، وثانيا في سببين (مس)، (تف)، ووتد (علن)- كتلة من مقاطع معينة، تُكَرَّر مرات محددة، فيكون البيت. وفي الخصائص التي ينبغي أن تتفق بين أبيات القصيدة الواحدة، ذكرتُ الطول؛ إذ ينبغي أن تتفق بينها الأطوال، فما طول البيت؟

هو عدد التفعيلات، عدد التفعيلات الذي يزيد فيطول البيت، وينقص فيقصر؛ فمثلا هذا البيت مسدس التفعيلات:

مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن

وهذا مربع التفعيلات:

مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن

- أيهما أطول؟
- المسدس.
- وعندنا المثلَّث والمثنَّى، بل شَذَّ لنا الموحَّد (البيت ذو التفعيلة الواحدة)، في قول سَلْمٍ الخاسر (١٨٦= ٨٠٢)، يمدح الهادي (١٧٠= ٧٨٦):

"مُوسَى الْمَطَرْ

غَيْثٌ بَكَرْ

ثُمَّ انْهَمَرْ

أَلْوَى الْمِرَرْ

كَمِ اعْتَسَرْ

ثُمَّ ائْتَسَرْ

وَكَمْ قَدَرْ

ثُمَّ غَفَرْ

عَدْلُ السِّيَرْ

بَاقِي الْأَثَرْ

خَيْرٌ وَشَرْ

نَفْعٌ وَضَرْ

خَيْرُ الْبَشَرْ

فَرْعُ مُضَرْ

بَدْرٌ بَدَرْ

وَالْمُفْتَخَرْ
لِمَنْ غَبَرْ
لِمَنْ نَظَرْ
هُوَ الْوَزَرْ
كَمِ اعْتَبَرْ
ثُمَّ خَتَرْ
خَيْرُ الْبَشَرْ"!

قصيدة قديمة تجريبية عجيبة، كل بيت منها تفعيلة واحدة! كيف تقاس أطوال الأبيات إذن؟ بأعداد التفعيلات. فهذه القصائد كلها من بحر الرجز، أو من كذا، أو من كذا، لكن هذا البيت في هذه القصيدة أطول من ذلك البيت في تلك القصيدة، كيف؟ هذا من كذا، وذلك من كذا! على أي أساس حدد الخليل أصول الأعداد هذه؟ على أي أساس حدد أن هذا كذا وأن ذلك كذا؟ للخليل -يا جماعة!- نظرية عبقرية جدا، اسمها "الدوائر"، "نظرية الدوائر" في زمانه ذلك البعيد معجزة علمية، استطاع بها أن يُصنِّف بحور الشعر على مجموعات، كل مجموعة أسرة بين أعضائها مشابه. كيف لهذا الرجل في ذلك الزمان وتلك البيئة أن يفكر في هذا؟ هذا تفكير معاصر جدا، حتى إننا نجد الشكليين الروس في القرن الميلادي العشرين، يصفون الشعر بأنه مستدير، والنثر بأنه مستقيم، وكأنهم تفقهوا بدوائر الخليل العروضية، وهكذا سنرسم لكم هذه الأسر في آخر الملف من آخر هذا الفصل، لتروا كيف يدور البيت حول نفسه وتدور الأبيات الأخرى، وهكذا في هذه الدائرة، سبحان الله! وبعدما وضع نظريته هذه في الدوائر التي سنقف لها وقوفا طويلا حتى نفهمها تماما، أجبرته فكرته العبقرية على أن يرى أن البيت من بحر كذا إنما هو على هذا النحو، فنقده الناس، قالوا: تكلفت وورطتنا في ورطة تحقيقية كبيرة؛ لماذا ألزمت نفسك هذا؟ صحيح تَوَرَّطَ الخليل، وألزمنا ما لم يكن يلزمنا، لكن في سبيل نظرية عبقرية، اكتشاف مذهل تَهُون بجواره أعباء تبعاته التي ورطنا فيها. كنت -أيها الشاعر- سعيدًا بانطلاقك، وهو في الفن مقبول ومرغوب، أما في العلم فالانضباط هو المطلوب! نظَّم الخليل الأمر طبعا؛ فقيّدك بقيود نظامه من بعد أن كنت حرًّا من القيود طليقا! ولكنك -أيها العروضي- تجد هذا الرجل الفذ

استطاع أن يضبط لك الأمور هذا الانضباط، فكيف تضيعه من يدك! إن أخانا الفاضل الدكتور عمر خلوف الذي رفعت لكم كتابه "كن شاعرا"، ضيّع على نفسه الاستفادة من دوائر الخليل، من حيث بدا -وإن لم يصرح!- أنه ينكرها؛ فهو يكبر الخليل طبعا، ويثني عليه -ولولا هذا ما رفعت كتابه على موقعي!- ولكنه أضاع من يده الاستفادة من نظرية الخليل العبقرية "الدوائر"، وقال كلاما لا يخضع لها، وليس من الحكمة أن تضيع من يديك الاستفادة من مثل هذا الاكتشاف المذهل، هذه النظرية العبقرية! من هذه الدوائر، أخرج الخليل الشطر من البيت، ليكرره مرة أخرى، فيدل الناس على طول البيت. ولم يضع في الدائرة غير نصف البيت فقط! لماذا؟ هذا السؤال الآتي. ما انقسام البيت؟ هو انشطاره إلى أشطره، التي لم تتجاوز في العمودي اثنين، ولم يحدها في الموشح حد، وقد خلا من هذا الانشطار الشعر الحر. ما هذا الكلام، يا أستاذ؟ شَطَرَ الشيءَ نَصَفَهُ وقَسَمَهُ على قسمين، وقد انتبهنا أنا وأنتم إلى الشعر العربي، والبيت فيه من القصيدة شطران؛ فما هذا؟ ولماذا؟ هذا طور متقدم، سبقه طور لم يكن البيت فيه منقسما. في الزمان القديم نشأ البيت غير منقسم، وقد دلّنا على هذا أحد الباحثين في شعر أكثر القبائل بقاء على البداوة. عندكم في المكتبة كتاب -فاكتبوا اسمه، وراجعوه!- اسمه "الغناء والشعر عند الشعوب البدائية"، لبورا (ك. موريس)، مترجم إلى العربية عن لغة ثانية عن لغة أولى، وبمثل هذا الترجمات المركبة ترجمة عن ترجمة، تضيع أمور كثيرة، لكن على أية حال قرأت هذا الكتاب، واستفدت منه، ما اسم الكتاب؟

- الغناء والشعر عند الشعوب البدائية.
- رحل هذا الرجل إلى الإسكيمو في الشمال، وإلى أمريكا الجنوبية، وإلى وسط إفريقيا، أبرز ما أذكُره عمن رحل إليهم هؤلاء الثلاثة، رحل إلى الإسكيمو هناك في شمال آسيا، ورحل إلى الهَوْسَا في وسط إفريقيا، ورحل إلى أمريكا الجنوبية، وانتهى إلى جوامع تجمع الشعر البدائي، من هذه الجوامع أن البيت من القصيدة كان في الزمان الأول قسما واحدًا، نفسا واحدا، غير منقسم، ثم انقسم على قسمين، ونجح نجاحا باهرا انقسامه على قسمين، وإلى الآن تجد الشاعر يقول القصيدة، والبيت بعد البيت بعد البيت منها شطران فشطران، إلى الآن، معنى هذا أن هذا الطور نجح كثيرا. لكن ما زال عندنا من ينظم القصيدة على نصف بيت، نُسمّيه المشطور، لكن هذا

أقل، ثم بعد هذا تطور الأمر في شعر الموشحات، فصرت تجد القصيدة من أبيات معدودة تكاد لا تتجاوز الخمسة، والبيت منها كثير الأقسام في الداخل، فزادت الأقسام، اسمعوا هذه الموشحة الفاخرة:

(١)

"ضَاحِكٌ عَنْ جُمَانْ
سَافِرٌ عَنْ بَدْرِ
ضَاقَ عَنْهُ الزَّمَانْ
وَحَوَاهُ صَدْرِي
آه مِمَّا أجِدْ
شَفَّنِي مَا أَجِدُ
قَامَ بِي وَقَعَدْ
بَاطِشٌ مُتَّئِدُ
كُلَّمَا قُلْتُ قَدْ
قَالَ لِي أَيْنَ قَدُ
وَانْثَنَى خُوطَ بَانْ
ذَا مَهَزّ نَضْرِ
عَابَثَتْهُ يَدَانْ
لِلصَّبا وَالْقَطْرِ

(٢)

لَيْسَ لِي مِنْكَ بُدْ
خُذْ فُؤَادِي عَنْ يَدْ
لَمْ تَدَعْ لِي جَلَدْ
غَيْرَ أَنِّي أَجْهَدْ
مَكْرَعٌ مِنْ شَهَدْ

وَاشْتِيَاقِي يَشْهَدْ
مَا لِبِنْتِ الدِّنَانْ
وَلِذَاكَ الثَّغْرِ
أَيْنَ مَحْيَا الزَّمَانْ
مِنْ مُحَيَّا الْجَمْرِ

(٣)

بِي هَوًى مُضْمَرُ
لَيْتَ جَهْدِي وَفْقُهْ
كُلَّمَا يَظْهَرُ
فَفُؤَادِي أُفْقُهْ
ذَلِكَ الْمَنْظَرُ
لَا يُدَاوَى عِشْقُهْ
بِأَبِي كَيْفَ كَانْ
فَلَكِيٌّ دُرِّي
رَاقَ حَتَّى اسْتَبَانْ
عُذْرُهُ وَعُذْرِي

(٤)

هَلْ إِلَيْكَ سَبِيلْ
أَوْ إِلَى أَنْ أَيْأَسَا
ذُبْتُ إِلَّا قَلِيلْ
عَبْرَةً أَوْ نَفَسَا
مَا عَسَى أَنْ أَقُولْ
سَاءَ ظَنِّي بِعَسَى
وَانْقَضَى كُلُّ شَانْ

وَأَنَا أَسْتَشْرِي
خَالِعًا مِنْ عِنَانْ
جَزَعِي وَصَبْرِي
(٥)
مَا عَلَى مَنْ يَلُومْ
لَوْ تَنَاهَى عَنِّي
هَلْ سِوَى حُبِّ رِيمْ
دِينُهُ التَّجَنِّي
أَنَا فِيهِ أَهِيمْ
وَهْوَ بِي يُغَنِّي
قَدْ رَأَيْتُكْ عِيَانْ
لَسْ عَلَكْ سَتَدْرِي
سَيَطُولُ الزَّمَانْ
وَسَتَنْسَى ذِكْرِي"!

كل عشرة أشطار بيت واحد، فهذه خمسة أبيات، قبلها أربعة أشطار تَوَّجَ بها موشحتَه الأعمى التُّطيليُّ سيدُ الوَشَّاحين، وكان يمكنه ألا يُتوِّجها. لقد زادت أشطار البيت إذن في هذا الطور الرفيع من الشعر المشطَّر. وفي خمسينيات القرن الميلادي العشرين ثار الشعراء على هذا كله، انطلاقا من تأَسِّيهم بتطور الموسيقى، فالشعر والموسيقى كما علَّمتُكم أخوان، وقد نبهتكم على أنهما افترقا، فذهبت الموسيقى في طريقها حتى وصلت إلى نظام السمفونية، وذهب الشعر في طريقه وعينُه على الموسيقى، يطمح إلى أن يتطور كما تطورت، حتى جاء شُعراء الحُرّ على خُطا العَجَم! هناك في روسية وألمانية -ولاسيما في روسية- أعظم الموسيقيين ديستوفسكي، وبيتهوفن، وموزار...إلخ، يقدمون السمفونية (القطعة الموسيقية)، تحدر على ساعتين وهي واحدة، تبدأ بدءا واحدا وتنتهي نهاية واحدة، وبينهما تضطرب السمفونية: ترتفع وتنخفض، وتسرع وتبطئ؛ فأراد الشاعر أن يخرج قصيدة كهذه السمفونية. هذه أصل فلسفة الشعر الحر -فخذوا عني هذا الفهم،

يا جماعة، فلن تجدوه في مكان آخر!- أصل فلسفة الشعر الحر أن تخرج القصيدة كالسيمفونية، طويلة لا تتفصّل في الداخل بأبيات، بل تستطيل وهي بيت واحد! نعم، ولكن لم ينجح شعراء الحر العرب في الوصول إلى هذا الحد، حتى جاء محمود درويش، فقدم القصيدة الكتاب الكامل، جاء في الستينيات، فسعى مُدَّة سعي الخمسينيين، ولكنه في التسعينيات استطاع أن يصل إلى ما لم يصلوا إليه! محمود درويش من الجيل الثالث من شعراء الحر، فالجيل الأول جيل السياب وصلاح عبد الصبور وغيرهما، والجيل الثاني جيل أمل دنقل ومحمد إبراهيم أبو سنة وغيرهما، والجيل الثالث جيل محمود درويش ومحمد عفيفي مطر وغيرهما. كان محمود درويش دائم القراءة والاستماع والتجريب، كان مثقفا كبيرا، طور قصيدته لتخرج في كتاب كبير مستقل، الكتاب كله قصيدة واحدة، لم يسبقه غيره إلى هذه الغاية، ثم جاء الشعراء على أثره. زارني الشاعر المصري الشاب شريف الشافعي، أكثر من مرة، وكان زميل أخي الصغير، شاعرًا موهوبًا مجتهدًا جدًّا، ظل يسعى على آثار الرواد، حتى وجدته سعيدا بوصوله أخيرا إلى هذه القصيدة الكتاب، فكأن سعي الشعراء إنما هو إلى هذه الغاية! اتفقنا على أن البيت العمودي ينشطر على شطرين -وقد اتفقنا على أنني لن أدرس إلا العمودي- وهذا البيت من العمودي تفعيلات: "فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن"، مثلا، ومن تمام شأنها مصطلحاتٌ ينبغي أن تعرفوها فيما يأتي. ما الصَّدْر والعَجُز والعَروض والضَّرْب والحَشْو؟ الصدر شطرُ البيتِ الأولُ، والعجُز شطره الثاني -وكأنهما وجها جسم الإنسان- والعروض آخر تفعيلة من الصدر، والضرب آخر تفعيلة من العجُز الشطر الثاني، فعلى أي أساس سمى هذه الأسماء؟ ربما أخذت بكلام من يقول: الأسماء لا تعلل، يقولون: الأسماء لا تعلل، يقصدون المصطلحات على الأشياء، لا، بل تعلل، تعلل، سميته يحي ليحيا، فمات، ولا حول لا قوة إلا بالله! سميت الصدر تشبيها له بالصدر، والعجُز تشبيها له بالعجُز، سميت هذه التفعيلة العروض تشبيها لها بالعمود المعترض في الخيمة، لأنها تأتي في المنتصف حقا، آخِرة تفعيلات النصف الأول، تعترض هكذا وهي مهمة، لكن الطريف أنها سُميت العروض فالتبست باسم العلم، تعترض طريق البيت هكذا، وبمعنى آخر من الاعتراض سُمِّي العروض كما قال الخليل، ربما لم أقل هذا، تجاوزت من غير أن أُوفِّي المسألة بيانها. قال الخليل فيما روى عنه الليث في "العين": "الْعَرُوضُ عَرُوضُ الشِّعْرِ، لِأَنَّ الشِّعْرَ يُعْرَضُ عَلَيْهِ"، ما

هذا؟ هذا نص كتاب "العين"، وليس من تأليف الخليل، لأن الخليل لم يكن يؤلف كما اتفقنا، بل من تأليف تلميذه الذي أخذه عنه، علَّمه نظام العمل: افعل كذا وكذا، وأهم ما علمه إياه منهج التَّقْلِيب الذي يستوعب به كل ما يمكن أن يكون، فأحيا بعده بكتاب "العين" ما تعلمه منه، وفيه روى عنه هذه العبارة الموجزة: "الْعَرُوضُ عَرُوضُ الشِّعْرِ، لِأَنَّ الشِّعْرَ يُعْرَضُ عَلَيْهِ"، لم يقل أكثر منها في مادة "ع، ر، ض"، وتركنا نفكر ما هذه العبارة؟ ألأن الشعر يُعرض عليه سمي العَروض؛ فهو العَروض أي المعروض عليه، من باب "فَعول بمعنى مَفعول"، اسم المفعول الشاذ، مثل حَصور بمعنى محصور -وهو قليل محدود- أم هو العَروض أي المعترِض، من باب "فَعَل فهو فَاعِل والمبالغة فَعُول"، عَرَض لي -أي اعترضني- فهو عارِض، والمبالغة عَروض، مثل عَبَس فهو عَبُوس، وهو كثير معروف؟ أنا -أيها الشاعر- في الطريق، فاعترضني هذا العلم، ولم يوافق لي على أن أكمل سيري حتى يصفيني بمصفاته -هذا هو- فعروض الشعر إذن المعترض طريق الشعر حتى يتصفى بمصفاته فيخرج نقيًّا من الكدر والكسر إلى بقية الطريق، وفي هذا قال سيدنا حسان بن ثابت -شاعر رسول الله -صلى الله عليه، وسلم!-:

"تَغَنَّ بِالشِّعْرِ إِمَّا كُنْتَ قَائِلَهُ إِنَّ الْغِنَاءَ لِهَذَا الشِّعْرِ مِضْمَارُ

يَمِيزُ مُكْفَأَهُ عَنْهُ وَيَعْزِلُهُ كَمَا تَمِيزُ خَبِيثَ الْفِضَّةِ النَّارُ"!

أسمعتم؟ ماذا قال؟ لقد أكد لنا معنى المصفاة، كأنه مصفاة حقا، تصفي لنا الشعر من الكدر والكسر والفساد. **أما زال عندنا وقت؟ ذكرونا لأن الشُّعَب تتفاوت. بارك الله فيكم، وشكر لكم، وأحسن إليكم، والسلام عليكم! اذهبوا إلى رحمة الله!**

اَلْمُنَادَمَةُ الثَّالِثَةُ(١)

- **سلامٌ عليكم، طبتم مساءً -يا أبنائي!- وطاب مسعاكم إلينا! بسم الله -سبحانه، وتعالى!- وبحمده، وصلاة على رسوله وسلامًا، ورضوانًا على صحابته وتابعيهم حتى نلقاهم، كيف حالكم، كيف أمسيتم؟**
- بخير.
- لله الحمد والشكر! بارك الله فيكم، وشكر لكم، وأحسن إليكم، ويسّر لنا ولكم كل عسير، وسهّل كل صعب! كنا فيما سبق قد مهّدنا لعلم العروض بالتنبيه على أقصى ما يرجو متعلمه أن يصل إليه حين يُعرض عليه الشعر ليُخرِّجه، وعبّرنا عن ذلك في صفحة ملفنا الأولى، وفيها بطاقة التخريج العروضي التي ينبغي أن تستطيع بعدما تتعلم، أن تقدمها في كل شعر تُطالَب بتخريجه عروضيًّا. ثم رأينا أن نمهّد للعلم الذي هو كنزٌ مفتاحه السؤال، بثلاثة وعشرين سؤالًا، تخيّلنا أنها تضم أشياء لا يستغني عنها طالب علم العروض، واعتذرنا بأننا إنما نقدم وجهًا من الجواب لا يُلغي غيره، بل قد طوّرنا فهمنا لبعض أجوبة هذه الأسئلة، ومضينا شوطًا لا بأس به. نفرغ من ذلك اليوم، لننتقل إلى أنماط الأوزان، وقد بلغنا مبلغًا، فإلى أين وصلنا؟ **وصلنا إلى إجابة السؤال...**
- **الحادي عشر.**
- ها! إلى الحادي عشر؟ طيب! قبل أن ننظر فيه أحب أن أذكّركم أننا سألنا: ما العروض؟ -أليس كذلك؟- وروينا لكم ما نقله الليث في العين عن أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، أنه قال: "العَروضُ عَروضُ الشعر، لأن الشعر يُعرض عليه". وسنستفيد من كلمته هذه في جواب سؤال من الأسئلة، لكن ينبغي أن نُعيد عليكم هنا، أن علم الشيء هو منهج البحث عن طبيعة

---

(١) رابط هذه المنادمة في قناتي اليوتيوبية:
https://www.youtube.com/watch?v=USXDR٩lvLaE&list=PL٠_bvBmuM٥ySq٦hXNd٤GWcNFIUaI٤uqCM&index=٣
وقد فرغتها هبة سامي، وراجعتها لها نعمة إسماعيل.

وجوده توصُّلًا إلى ضبطه، وقد اتفقنا على هذا. معنى هذا أن علم العروض هو علم طبيعة وجود العروض في الشعر، هو منهج البحث عن طبيعة وجود العروض في الشعر توصُّلًا إلى ضبطه؛ فإذا كان العروض هو ما ذكرناه من أنه تكرار مجاميع مرتبة من المقاطع يدركها السامع ويرتاح لها، فعلم العروض هو منهج البحث عن طبيعة وجود هذا العروض على الكيفيّات التي يكون عليها ويدركها السامع ويرتاح لها، توصُّلًا إلى ضبطه. هكذا ينبغي أن نتذكر -مهما كان في عبارة الخليل وعبارة الناس!- أن علم الشيء هو منهج البحث عن طبيعة وجوده توصُّلًا إلى ضبطه، تضبطه بنظريات في قواعد؛ لدينا إذن أشياء، ولدينا علوم هذه الأشياء. لدينا أشياء -سبحان الله، كانوا قديمًا يسمون علم الطبيعة علم الأشياء، هكذا، حتى في مصر كانوا يقولون: أشيا، عندي أشيا، مقرر يسمونه الأشيا، الأشياء!- فعندنا الشيء، وعندنا علمه، فالشيء هو الموجود الطبيعي، أما علمه فمنهج البحث عن طبيعة وجوده توصُّلًا إلى ضبطه! فإذا كان العروض كما اتفقنا، هو تكرار تلك المجاميع المرتبة من المقاطع اللغوية الصوتية أو الصوتية اللغوية على النحو الذي يدركه السمع ويرتاح له؛ فعلم العروض هو منهج البحث عن طبيعة وجود العروض على هذا النحو في الشعر توصُّلًا إلى ضبطه في الآجروميات أو ما تشاؤون. واضح؟ أحببت أن أذكّركم هذا قبل أن نمضي! ما الصدر والعجز والعروض والضرب؟ مصطلحات لا غنى عنها، لا غنى بطالب علم العروض عنها، لأن المصطلحات أدوات، أدوات معالجةِ عملِ العلوم، تختصر له كلامًا كثيرًا، فبدلًا من أن تقول: النصف الأول من البيت، تقول: الصدر، وبدلًا من أن تقول: النصف الثاني من البيت، تقول: العجُز، وبدلًا من أن تقول: آخرة تفعيلات الصدر، تقول: العروض، وبدلًا من أن تقول: آخرة تفعيلات العجز أو آخرة تفعيلات البيت، تقول: الضرب، وبدلًا من أن تقول: كل ما في البيت مما سوى تفعيلتي العروض والضرب، تقول: الحشو، أرأيتم؟ هي إذن مصطلحات مفيدة. لم يكن الناس قديمًا -مهما كان علمهم!- يستعملون المصطلحات، فالمصطلحات شعار النضج، نضج الوعي العلمي. كان عند العرب قبل الخليل علمٌ ما -إرهاصات كما يقول محمد العلمي: إرهاصات عروضية- كما ذكرت لكم عن ذلك البدوي الذي جلس يعلم ابنه: قُل:

نعم لا نعم لا لا نعم لا نعم لا لا نعم لا نعم لا لا نعم لا نعم لا لا

فقيل له: ما هذا؟ قال: هذا التنعيم، شيء نعلم به أبناءنا الشعر. والحقيقة أنه يعلمه العروض؛ نعم لا (فعولن)، نعم لا لا (مفاعيلن). لكن لم يكونوا يعرفون المصطلحات؛ فالمصطلحات إذن مرحلة من النضج العلمي. ما البحر؟ البحر هو المصطلح الذي أطلقه الخليل على النمط الوزني المعين، سماه بحرًا -سبحان الله!- فكانت تسميته موفقة جدًّا، كأنه لا ينفد على كثرة المغترفين، والكلمة قرآنية، ذكرها الحق -سبحانه، وتعالى!- في مقامات الإعجاز عن استيعاب علمه، وأنه لو صار البحر حبرا، والشجر أقلاما، وانقطع الناس كلهم جميعا، واحدا واحدا يكتبون ما انكشف لهم من مواعظ الحق -سبحانه، وتعالى!- "لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا"؛ فلعله من هنا استفادها الخليل! كيف نثبت بالكتابة نسبة البيت إلى بحره؟ بالخطوات الأربع كما قدّمنا في صفحة التخريج، من يذكرها؟ الأولى: خطوة التقطيع؛ وفيها تقطّع أجزاء البيت قطعًا واضحة بين بعضها وبعض فواصل في النطق وفي الرسم، في النطق بالصمت وفي الرسم بالفراغ أو بالخطوط كما سترون بعد قليل، لابُدّ من فواصل واضحة تفصل بين أجزاء البيت، هذه هي الخطوة الأولى، فما الثانية؟

- التلحين.
- نعم، لأنك حين تُقطّع في الخطوة الأولى تقطّع بتلحين؛ ففي الخطوة الثانية إذن تكتب هذا التلحين. أنا أدرّس هذا العلم لقسم الموسيقى، ربما لحّنا بالبِيَان، أو بالكَمان، أو بالناي -ليكن ذلك ما يكون- إيمانًا منّا بأن هذا الكلام في أصله كان مغنًّى، ينبغي أن يُغنّى، أن يُؤدى بغناء. والتلحين معروف عندكم في عمان، وما زال إلى الآن، تستطيع أن تجده في بعض الأمسيّات. كان أبو سرور العماني يلحّن شعره، سمعته في بعض الأمسيات يفعل ذلك، وسالم الكلباني يلحّن شعره كذلك، مات أبو سرور -رحمه الله!- وما زال سالم حيًّا، يزورنا في كلّيتنا كل مدة، ويلحّن شِعره! لكم طريقة؛ فأنتم أقدر الناس على فهم علاقة الشعر بالغناء. فنحن نكتب في هذه الخطوة التلحين، نكتبه بالدندنات: للمتحرك ضربة بالآلة، نكتبها دالًا، ونكتب عدم الضربة للساكن نونًا، وهكذا ددن دن... ثم في الخطوة الثالثة نراعي العلم الذي اخترعه الخليل؛ فنكتب رموز التفعيلات التي اخترعها، نكتب "ددن دن" هذه، فعولن؛ هكذا رَمَزَ إليها. كان يعرف هذا الإيقاع "ددن دن"، بدليل أنه كان يذهب إلى سوق الصّفّارين أي النحّاسين، فيأخذ من أوعيتهم، يضرب عليه، هذا يدل على أنه

كان يعرف هذا، لكن عند التحصيل، عند العمل العملي الذي رأى أنه أنفع للناس استعمل رموز التفعيلات -نعم!- وكان ذكيًّا جدًّا موفّقًا، فكلمة "فعولن" هذه تُخَيِّل لك الوزن صوتًا وصورة، تكتبها فتتخيّله، وتنطقها فتتخيّله. فنحن في الخطوة الثالثة نُضيف رموز التفعيلات، ثم بعد هذا نُضيف أوصافها، لأننا لاحظنا أنها تتغيّر، فإذا جاءت على الوضع الأول جعلناها سالمة، وإذا غُيّرت عنه جعلناها مغيّرة، وسميناها باسم التغيير الذي علّمنا إياه الخليل، بهذا نُثبت نسبة البيت إلى البحر. وفي الاختبار أو في الواجب أو في أي شيء، لا يعنيني أن تُسمي البحر مثلما يعنيني أن تخطو هذه الخطوات، فإذا افترضنا أنك سميته خطأ، وخطوت الخطوات صوابًا- كنت جديرًا بالدرجة كاملة! لكن إذا عكست، فسميته صوابًا، وخطوت خطأ- لم تكن جديرًا بشيء أصلًا، لم تكن جديرًا بشيء! أتذكرون بطاقة التخريج العروضي؟

- نعم.
- كانت من بحر الطويل، فمن قال منكم: القصيدة طويلية، ولكنه أفسد الخطوات الأربع، فلن يأخذ أي شيء! ومن عكس فسمّاه البسيط مثلًا ولكنه خطا الخطوات سليمة أخذ الدرجة كاملة! لكن عند التمييز بين المتفوقين أقدم الذي سمّاه الطويل على الذي سمّاه البسيط، لأنني بلا ريب سأختار منكم الأوائل، وسأكرم الأفضل بهدايا عليها توقيعي، وسيندم عندئذ كل من لم يصل إلى هذا المستوى، سيكون مشهدًا يندم فيه من لم يصل إليه، ففي هذا المستوى مثلًا ينبغي أن أفرق بين من عرف أنه الطويل، مَن أحسن الخطوات، وضبطها، وفعل كل شيء، وسمّاه الطويل، ومَن فعل كل شيء وسمّاه البسيط. قطعا، لابد! وإذا شئتم فالحقيقة أن الأسماء طوارئ، طوارئ، أتذكرون أغنية فيروز "أسامينا"؟ من أروع ما غنّت فيروز، تقول باللبنانية: "أسامينا، شُو تِعْبُوا أهالينا، تَ لاقوها، وشُو افتكروا فينا، الأسامي كلامْ، شُو خَصّ الكلامْ، عِنَيْنا هِنّ أسامينا"! يعني ما الذي أراده أهلنا حين سمونا هذه الأسامي، تحقيق حقائقنا؟ مستحيل، حقائقنا شخصياتنا، تصرفاتنا، ممارساتنا، مشاعرنا التي تظهر على وجوهنا، سميته محمدًا، وهو شيطان! كان اسم السامري -لعنه الله!- موسى كاسم سيدنا موسى -عليه الصلاة والسلام!- قال الشاعر -وهذه من فوائد مولانا الشعراوي، رضي الله عنه!-:

"إِذَا لَمْ تُصَادِفْ مِنْ بَنِيكَ عِنَايَةً فَقَدْ كَذَبَ الرَّاجِي وَخَابَ الْمُؤَمِّلُ

فَمُوسَى الَّذِي رَبَّاهُ جِبْرِيلُ كَافِرٌ وَمُوسَى الَّذِي رَبَّاهُ فِرْعَوْنُ مُرْسَلُ"؛

وموسى السامري ربيب جبريل -عليه السلام!- وموسى النبي ربيب فرعون -عليه اللعنة!- فانظر كيف صار هذا نبيًّا من أولي العزم، وذاك شيطانًا يُعَبِّد أهله للعِجل الذي صنعه لهم بالذهب الذي سرقوه من مصر! لتكن إسرائيليّات أو غير إسرائيليّات، فهي نافعة في هذا المقام! أهم من الأسماء أربع خطوات التخريج، لكن إذا أصبتها كان أحسن. هكذا نُثْبِت نسبة البيت إلى بحره، لكننا لا نكتفي بتخريج الوزن، بل نُخَرِّج معه القافية، والقافية جزء مهم من آخر كل بيت، تدل عليه كلمة قافية نفسها كما سنتعرض لها مطمئنين مرتاحين حينما تأتي. جزء محدد لا يجوز أن تضيف إليه ولا أن تحذف منه، آخر ساكنين في البيت مع ما بينهما من متحركات والمتحرك الذي قبلهما، أو كما يقول القدماء: من آخر ساكن في البيت إلى أول متحرك قبل ساكن يليه. لا يجوز أن تضيف إليها ولا أن تحذف منها. كيف تدلني عليها؟ بخط تحتها، أو دائرة حولها، أو تثقيل خطها، أو تغيير لونها، أو ما شئت، المهم أن تحددها لي. طيب! حددناها، فوجب أن نغوص فيها، لنجيب هذا السؤال: ما أجزاؤها إذن؟ ومِمَّ نتوقع أن تتكون وهي أصوات لغوية؟ أن تتكون من أصوات يسميها القدماء حروفًا وحركات، ويسميها المعاصرون أصواتًا صامتة وصائتة، سواكن وحركات. ماذا نتوقع؟ هذه لغة -يا أخي!- ما هذه اللغة؟ أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم كما قال ابن جني؛ فأجزاء القافية صوامتها وصوائتها، صوامتها في كلام المعاصرين حروفها في كلام القدماء، وأهمها...

- الرَّوِيّ.
- نعم، هذا أثبت الحروف المكررة، وأظهرها للسمع، وأقواها، وقد وجدنا أنه العين في البيتين، ولهذا يُقال: هذه عينية سويد، وتلك سينية البحتري، وهذه نونية ابن زيدون، وتلك دالية المعري، وهذه لامية العرب، وتلك لامية العجم... من يعرف لامية العرب؟
- للشنفرى.
- ماذا يقول؟
- "أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيِّكُمْ (...)"!

- من يعرف لامية العجم؟ لا أحد، ها! لا أحد. لا تعرفونها على رغم أنها مشهورة وخرجت فيها الكتب، ها! هي للطغرائي:

"أَصَالَةُ الرَّأْيِ صَانَتْنِي عَنِ الْخَطَلِ (...)"!

هذه لامية، ولكنها من وزن آخر غير وزن لامية العرب، كان ينبغي له إذا ما أراد أن يتحدى الشنفرى أن يقول من وزن لاميته، لكنه مع الأسف قالها من البسيط ولامية الشنفرى من الطويل، وكأنه يريد أن يقول لنا: لا بأس عليكم؛ البسيط أخو الطويل، كما سيعلمك علم العروض! لنعُد! وأهم حروفها الروي. وصوائتها عند المعاصرين حركاتها عند القدماء، وأهمها حركة الروي نفسه، هذا الذي ذكرناه آنفا؛ فهو أهم الحروف، وحركته أهم الحركات؛ فالعين التي حددناها في الأبيات التي بدأنا بها كانت هي الروي، وماذا كانت حركتها؟ الفتحة، وهي المَجْرى، أهم الحركات من أجزاء القافية؛ فالقافية حروف وحركات من آخر البيت، ربما كانت تفعيلة، أو أكثر أو أقل. ما أنواع هذه القافية بعد ما حددتَها؟ ما أنواعها؟ سيأتيك سؤال مهم: ما هذه القافية؟ ما نوع هذه القافية؟ نوِّع قوافي قصائد هذا الديوان؛ أي انسب كل قافية إلى نوعها! على أي أساس تحدد النوع؟ على أساس رويِّها، تنسبها إلى رويِّها، وإلى حركته، وإلى ما قبله، وإلى ما بعده، على النحو الذي أضفناه بعبارة البيانات أسفل بطاقة التخريج، ماذا قلنا هناك؟ قلنا: القصيدة طويلية كذا كذا، عينية مفتوحة مجردة موصولة بالألِف، هذه العبارة "عينية مفتوحة مجردة موصولة بالألِف"، هي نوع القافية المنتظر منك حين تنوِّع. فما هذه العبارة؟ كل ما في هذه العبارة أنك ترى الحرف المهم، وتنسب إليه القافية، وإلى حركته، وإلى ما قبله -إذا كانت قبله ألف أو واو أو ياء ساكنات، أو قبل الذي قبله ألف، أو لم يكن قبله من هذا شيء- وإلى ما بعده، إذا كان بعده ألف أو واو أو ياء أو هاء أو ما إلى هذا. أهذا فقط! نعم؛ ولكن ينبغي أن تعرف أنه مهم بلا ريب، لأنه يُخيِّل للمتلقي خصوصية القافية، هذا الجزء من البيت الذي يظل في ذهنه يقرعه ويؤثر فيه، قالت سيدتنا الخنساء -رضي الله عنها!-:

"وَقَافِيَةٍ مِثْلِ حَدِّ السِّنَانِ تَبْقَى وَيَهْلِكُ مَنْ قَالَهَا"!

الله على الكلام الجميل! ماذا قالت سيدتنا -وهي صحابية جليلة- ماذا قالت؟ قالت: وَقَافِيَة كأنك تغرس بها رمحًا في الصدر، إذا كانت قافية موفقة كنت كأنك تغرس بها رمحًا في الصدر أو في العقل، رمحا يظل وإن مات صاحبه! ها، نعم، يا أحمد!

- ماذا تعني كلمة "مجردة"؟
- سيأتي كلام كثير، لكن التجريد -كما يبدو من اسمه، إزالة وجود الشيء، يقال: فلان مجرد من الثياب، أو مجرد من المشاعر، أو مجرد من كذا، أي ليس له ولا فيه شيء منها، فالقافية المجردة هي الخالية قبل رويّها من الألف والواو والياء أو قبل ما قبله من الألف، كما سيأتي. في تلك الأهمية التي انتبهنا إليها في القافية، هذا السؤال: تُرى هل كانت هذه الأهمية وراء تخصيصها بعلم وهي داخلة في العروض؟ نعم، هذا الذي كان. فإذا ما سئلت: أليست القافية من البيت؟ فقلت: اللهم، بلى، فسئلت: فلماذا تفصلها قائلا: هذا علم العروض، وهذا علم القافية؟- فقل: على طريقة قول الحق -سبحانه وتعالى!-: "فِيهَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ"، فهما من الفاكهة، ولكنه فصلهما تنبيهًا عليهما وتنويهًا بهما! والقافية تاج الإيقاع الشعري، أترون التاج؟ أليس التاج من الملابس؟ هو من الأشياء التي يلبسها الملك، لكن كيف تسوّي التاج بالعباءة مثلًا؟ كيف هذا! التاج شعار المُلك، وتيجان العرب العمائم، لم يكن العرب يتخذون تيجانًا من الذهب كما كانت الروم، تيجان العرب العمائم! والقافية تاج البيت، وعندكم في المكتبة كتاب بهذا العنوان: "القافية تاج الإيقاع الشعري"، لأستاذي الحبيب الدكتور أحمد كشك -بارك الله فيه!- وقد كان قريبًا معي هنا في مناقشة علمية، وقد عمل سنوات هنا من قبل. انظروا كيف سمّى كتابه! بِمَ وصف القافية؟
- بالتاج.
- نعم، بالتاج، وهذا تشبيه بليغ فعلًا، تأتي أخيرًا، متى يُلبس التاج؟ أقبل الملابس أم بعدها؟
- بعدها.
- أيكون في الوسط أم في الطرف؟ بل فوق الرأس هناك، ويُرى أولًا، يُلبس أخيرًا ويُرى أولًا -سبحان الله!- ومثله القافية تقرع الذهن وتستقر فيه، وتظل تُذكَر بها القصيدة، تقول: هل سمعت سينية فلان؟ تذكر قصيدته بقافيتها! لماذا استقلّت بعلم وهي داخلة في علم العروض؟ هنا نتذكر عبارة الخليل التي رواها عنه الليث في العين: "العروض عروض الشعر، لأن الشعر يُعرض عليه"؛ هل

يُعرض علينا الشعر بوزنه دون قافيته؟ لا، بل بوزنه وقافيته جميعا معا، فلماذا استقلّت؟ تجد في المكتبة كتابًا في علم العروض، وكتابًا في علم القافية، وربما تجد كتابًا في علمي العروض والقافية -هكذا!- في علمي العروض والقافية، كيف هذا والقافية داخلة غير مستقلة! هذا من باب العناية الزائدة والتنبيه على الأهمية، على طريقة قول الحق -سبحانه وتعالى!-: "فِيهَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ". ما أساس تخريج القصيدة في علم العروض؟ أساسان، عندنا أساسان هنا لتخريج القافية في علم العروض، سبقت الكيفية، والكلام الآن في التأسيس، سبقت كيفية تخريج الشعر في علم العروض، بما فعلنا في بطاقة التخريج، فما أُسس هذا التخريج؟ ضبط النطق، وضبط اللحن. ضبط النطق بحيث لا خطأ، لا خطأ، لا مجال للخطأ! هناك أخطاء يسيرة، أخطاء سهلة، لكن ينبغي ألا تخطئها. يا أخي، هذا خطأ سهل لا يكسر الوزن، لا ينكسر به الوزن! لا، ينبغي ألّا تقبل الأخطاء اليسيرة لكيلا تقع في الأخطاء العسيرة، التبسّط في الأخطاء اليسيرة يوقع في الأخطاء العسيرة، ينبغي أن تغلق هذا الباب. يقول: أتيتَ -والفعل أتيتُ- فتخطئه، فيقول: ما لك، "أتيتَ" في الوزن العروضي "ددن د"، مثل "أتيتُ"، هي هي! فتقول له: سبحان الله! كيف يتكلم عن نفسه فتشوّه كلامه وكأنه يتكلم عن آخر! أتيتُ أتيتَ، معقول هذا! الأساس الأول إذن ضبط النطق بحيث لا يكون للخطأ مدخل. الأساس الثاني: اللحن. سنتعلم لكل وزن لحنًا نلحّن به القصيدة، وسنعرضه من خلال قصيدة كاملة، حتى نتدرب كثيرًا على تلحينه من الأول إلى الآخر -وربما كانت في ثلاثين بيتًا أو أكثر أو قريب من هذا- نظل نلحّن اللحن نفسه الذي تعلمناه وتدربنا عليه حتى يستقر -كأنك تصب عسلًا في طبق مثلًا!- حتى يستقر. إذا ضبطت النطق وضبطت اللحن فلا شيء بعد هذا، كل ما بعد هذا هيّن، تمضي لتعالج خطوات التخريج كما تعلمتها في بطاقة التخريج. كيف نخرّج القصيدة في علم العروض؟ بالخطوات التي تعلمناها هناك، ما هذه الخطوات؟ أربع -ها!- الأولى التوقيع...

- التقطيع.
- نعم، التقطيع، ثم التوقيع، ثم التفعيل، ثم التوصيف. ولا تنفصل القافية من الوزن، بل نخط تحتها، أو نلونها بلون مخالف، أو ندير عليها دائرة، أو ما شئت، المهم أن تميّز الجزء الذي يؤدي القافية. هذا في الصورة، ثم تضيف بعد هذا البيانات، وبهذا تكون قد قدمت بطاقة كاملة للتخريج

العروضي. كيف مكنَنا مولانا الخليل بن أحمد من هذا التخريج الذي وصلنا إليه؟ لولا ما فعله الخليل من تجزيء الأجزاء ما وصلنا إلى هذا المستوى، هو الذي جرّأنا على أن نميّز الأجزاء من داخل الأجزاء من داخل الأجزاء، على ما فعلنا في الدوائر التسع، أتذكرون الدوائر التسع؟ ها!

- نعم.
- هو الذي مكننا وجرّأنا على أن نُدير الدوائر بعضها من داخل بعض، ولم يمكنه زمانه من أن ينزل إلى الذبذبات الصوتية، ولو شهدَنا هذه الأيام لوصل إليها وإلى أكثر منها، وإذا تأملتم اختراعات العلماء هذه الأيام وجدتم كثيرًا منها لا يعدو أن يكون اكتشاف أجزاء الأشياء. ما الذي فعله زُويل؟ اكتشف، استطاع أن يكتشف جُزْءَ جُزْءِ جُزْءِ كذا، وفلان استطاع أن يكتشف جُزْءَ جُزْءِ جُزْءِ كذا، وهكذا. سبحان الله، على أي أساس يجترئون على التجزيء؟ على أساس إيمانهم بأنه ليس في الدنيا بنيان لا يتجزأ. خلق الحق -سبحانه، وتعالى!- الخلق بنيانًا، أتذكرون الفِلْم الذي يأتيكم على الواتساب، يبدأ بمكاننا على الأرض، ليبتعد يبتعد يبتعد، حتى نرى المجرات من بعيد، ليعود مرة أخرى إلى مكاننا على الأرض، كأنه يريد أن يقول لنا: العالَم أكبر مما تخيلون، والنظام فيه واحد يدل على خالق واحد؛ فالذرة بنيان -والذرةُ عند العرب النملة- بنيان كامل، تصعد فيه من الحضيض تصعد تصعد، إلى السماء، ثم المجموعة الشمسية، ثم المجرة، والبنيان هو البنيان، كل شيء من خلق الحق -سبحانه، وتعالى!- بنيان يدل على أنه الواحد. ما شَرْط البنيانية؟ أن يكون الشيء مركبًا من عناصر، لكل عنصر منها استقلاله في نفسه وعلاقته بغيره، لو لم يكن هذا لم يكن الشيء بنيانًا. مكننا الخليل من ذلك لما مشى في سبيله خطوات، فميّز في الشعر شعر العرب من شعر الأمم، ثم ميّز في شعر العرب شعر الشعراء بعضهم من بعض، ثم ميّز في شعر الشاعر قصائده بعضها من بعض، ثم ميّز في قصيدة الشاعر أبياتها بعضها من بعض، ثم ميّز في أبيات القصيدة أشطارها بعضها من بعض، ثم ميّز في أشطار الأبيات تفعيلاتها بعضها من بعض، ثم ميّز في تفعيلات الأشطار أوتادها وأسبابها بعضها من بعض، ثم ميّز في أوتاد التفعيلات وأسبابها حروفها المتحركة والساكنة بعضها من بعض. بهذا مكننا من أن نصف، لأنك إذا أردت أن تصف وجب أن تجزّئ الأجزاء. قرأتُ لناقد من نُقّاد الفن التشكيلي، قوله: إذا أردت أن تنقد لوحة فنية وجب أن تجزئها إلى أجزائها حتى تتكلم عن هذه الأجزاء! أرأيت! هذه هي الفكرة السابقة

نفسها، لن تستطيع أن تحلل فتصف أي شيء حتى تكتشف أجزاءه، مكوناته، وقد جرّأنا الخليل في العروض على هذا، ومنه ننطلق إلى النظر إلى العالم كله. إذا طُولبتَ أن تنقد نصًّا، قصةً، أو مسرحيةً -ها!- أو مقالًا، أو أي شيء- وجب أن تكتشف أجزاءه! المقال ما أجزاء المقال، يا أستاذ؟ اجتهد، اجتهد، ليس هناك مقال لا يتفصّل على فصول، مستحيل -يا أستاذ!- هذا تكلُّف! لا، حاول أن تفعل وأن يكون لك في فعلك منطق، وانطلق منه، وانقُد، وستُوَفَّق -إن شاء الله!- أنا متأكد! أرأيت! هذا في كل شيء، في كل شيء. لماذا نحتاج إلى وصف البيت تفعيلات وقافية؟ ترون أن الخطوة الأخيرة من خُطانا تسمى التوصيف! ما سبب هذه الخطوة؟ وما الداعي إليها؟ لو كان كل طالب من طلاب الجامعة مثلا، يدخل على هيئة خاصة واحدة، لا تتغير، لا ملبسا ولا مركبا ولا حركة- لتميزوا بهيئاتهم الخاصة بعضهم من بعض! ولكنهم يدخلون بهيئات مختلفة، فنحتاج إلى تمييزهم بغير هيئاتهم. كانت البطاقات الشخصية قبل اختراع التصوير تشتمل على وصف الملامح وصفا دقيقا -ربما ضحكنا اليوم منه!- ثم بعد اختراع التصوير جُعلت الصُّور بدل وصف الملامح؟ ولو كان الناس كلهم على ملامح واحدة ما انتُفِع في البطاقات الشخصية بوصف الملامح ثم تصويرها. كذلك هنا، لو لم تتغير التفعيلات والأبيات وكذا وكذا، ما احتجنا إلى الوصف؛ فنحن نصف لنضبط مدى التغيير الذي يصطنعه الشاعر. ولكن كيف يستبيح الشاعر أن يغيّر من البيت؟ يا أخي، أنت الذي قَنَّنْتَ قانونك، وكان يمكنك ألا تُقنِّنه، كان يمكنك أن تعكس فتجعل المغيَّر هو السالم والسالم هو المغيَّر! هذه مسألة إجرائية كما يقولون، يصفون بعض الأعمال -يا جماعة!- بأنها إجرائية، ما معنى أن هذا العمل إجرائي؟ أنه خطوة منطقية ضرورية حتى نتحرك، حتى نحرّك العمل فقط، لكن كان يمكننا أن نخطو غيرها. نريد مثلًا أن نصف هذا الفصل، نستطيع أن ندخل من هذا الباب وأن ندخل من ذلك الباب، لكن لابُدّ أن ندخل من باب، هذا هو. فهذا معنى كلمة الإجراء، إذا صادفتها في الكلام، إذا قيل لك: يا أخي، هذه خطوة إجرائية، فمعنى هذا أنها خطوة منطقية لازمة، لكن كان يمكننا أن نستبدل بها غيرها. المهم أنها لابُدّ أن تكون؛ كأنها فرض كفاية، نعم؛ هي كفرض الكفاية. وما زال السؤال: كيف يستبيح الشاعر أن يغيّر من البيت؟ أتذكرون قولنا: ... يدركه السامع ويرتاح له، وكنا نتكلم عن أن العروض هو تكرار ترتيب مقاطع الأصوات على النحو الذي يدركه السامع ويرتاح له؟ إذا

ما اطمأن الشاعر إلى أن السامع يدرك ما يفعله توسّع ووسّع على نفسه حتى يعبّر، لأن الإطار محدود ومشاعره لا تحدّها حدود، كيف تعبّر عن المطلق بالمقيد! البيت مقيد والمشاعر مطلقة، كيف أعبّر بالمقيد عن المطلق! ينبغي أن أبحث لنفسي عن مُتَنَفَّسات، فحينما تطمئن إلى أن وزنك قد أدركه السمع وارتاح له، تفعل ما تشاء. وقديمًا ذكر ابن جني في "الخصائص"، أن الشاعر إذا أَمِنَ فَهْمَ معناه لم يبالِ باللفظ، بطش باللفظ! أي اجترأ عليه، ولم يبالِ بتغييره، ففعل أشياء غريبة من باب الإدهاش بعدما اطمأن إلى أن المعنى واصل. كذلك نقول في العروض، إذا اطمأن إلى أن "دن دن ددن= مستفعلن" واصلة، جعلها "ددن ددن= مُتَفْعِلُن"، و"دن دددن= مُسْتَعِلُن"، و"ددددن= مُتَعِلُن"، كل هذا يدركه الناس مع "دن دن ددن= مستفعلن"، فلماذا لا ينتهز هذه الفرصة ولاسيما أنه يعبّر بالمقيّد عن المطلق؟ مشاعره مطلقة، أما نظام البيت فمقيّد، كيف تتخيّل أن يستوعب المقيّد المطلق! كيف! إنه يحتاج دائما إلى أن يتحرر ما دام ما سينتجه مُدْرَكًا مُرْتاحًا إليه. ما هذا التغيير الذي يفعله الشاعر؟ هذه أسئلة قديمة وأجوبتي عليها متواضعة، ولهذا تجدونني أتوسع الآن عند الكلام، وربما وجدتم من يتوسع أكثر ويعبّر أفضل! ما هذا التغيير الذي يرتكبه الشاعر في عروضه؟ تستطيعون أن تقسّموا التغيير على قسمين لا ثالث لهما: سهل وصعب، سهل يسير، وصعب عسير، سهل خفيف، وصعب ثقيل، سهل وصعب دائمًا، ولكم أن تعمّموا تسمية القسمين. ونرى أن السهل الخفيف الذي يخف على الناس حتى ربما كان أحسن من عدمه، تغيير يصيب ثواني الأسباب -أي يصيب مواضع معينة من التفعيلة- خفيف، أحيانًا يكون شديد اللطافة. أما الثقيل فتغيير يبطش بكل شيء، فيبدو ثقيلًا جدًّا يوشك أن يُشعر السامع بأنه كَسْر ونَشاز، لهذا يُسايسه الشاعر. لابُدّ للشاعر من أن يُحسن مسايسة التغيير الثقيل، فكيف يُسايسه؟ بأن يجعله في الأطراف، في أطراف الأبيات والأشطار، لماذا؟ لأن الأطراف مواضع يمكن للشاعر والمتلقي أن يقفا عليها قليلًا، فإذا وقفا عليها قليلًا فقد عالجا التغيير الثقيل. وأنا أُشبّه هذا دائمًا بشدّ الخيط من البكرة، إذا استقام سهلًا فبها ونعمت، وإذا تَكَعْكَعَ كما تقول العرب -أي دخل بعضه في بعض- فما الحل؟ أن تقطع وتبدأ من جديد، وكذلك ما هنا! إذا ما كان التغيير ثقيلًا سايسه الشاعر بأن يجعله في الأطراف، والأطراف عندنا -يا جماعة- هي الأواخر لا الأوائل،

على رغم أن الأوائل أطراف كذلك. عندكم مثلًا في الإملاء يتكلمون عن الهمزة المتطرفة، ما الهمزة المتطرفة؟ التي في أول الكلمة أم التي في آخرها؟

- التي في آخرها.
- معروفة، وعندكم مثلًا في الصرف يتغيّر كذا إذا كان في الطرف، يقلب أو يحذف، كل هذا كلام عن الآخر لا الأول قطعا، فالطرف في اللغة الآخِر، على رغم أن الأول طرف أيضا. أين طرفا هذا الفصل مثلا؟ هذا؟ متأكد؟ كلاهما طرف، لكنك في اللغة بلا ريب تبدأ من موضع وتنتهي إلى موضع- البدء طرف، لكنهم لا يخشون هذا الأول، يخشون الآخر الذي ستقف عليه. ها! فهكذا تقف، انظروا كيف يقولون؟ تقف عليه، فهو موضع وقف، هذا الوقف كفيل بأن يعالج مشكلة التغيير الثقيل؛ إذا وقفت ثم بدأت مرة أخرى فقد عالجت التغيير الثقيل؛ لهذا ستجدون التغييرات الثقيلة في الأطراف أواخر الأشطار والأبيات. يمكنني أن أفصّل من شأن الأسباب والأوتاد وهي أجزاء التفعيلة، والاسمان كما ترون، من واقع حياة البدوي: الأسباب جمع سبب، والسبب الحبل. والأوتاد جمع وتد، والوتد العود المركوز في الأرض ليُربط به حبل الخيمة. مصطلحات من حياة البدوي؛ فهذا العلم عربي من أصله فمصطلحاته عربية- ولكنني أكتفي بهذا، وأؤخّر بقية التفصيلات إلى وقتها. تلك كانت أسئلة التقديم لعلم العروض، وكانت هذه أجوبة طرحناها على سبيل الجواز لا على سبيل الوجوب؛ فمن شاء فليقبلها، ومن شاء فليبحث عن أجوبة أحسن منها، بل ربما سمع مني في المجالس القادمة ما يَفْضُلُها، إن شاء الله، تعالى! **والآن اسمحوا لي أن أنتقل إلى نمطنا الوزني الأول، من خلال هذه القصيدة التي نظمها عبد الله البردّوني الشاعر اليمني الكفيف المتوفى سنة تسع وتسعين وتسعمئة وألف الميلادية (١٩٩٩).** شاعر يمني كبير جدًّا، طُبع ديوانه في مجلدين كبيرين، وهما متاحان مجانًا على الشبكة، بدلًا من أن تشتريهما بعشرين ريالًا أو ثلاثين تحملهما مجانًا! وقد لقيت هذا الرجل كفاحا، لقيته سنة سبع وثمانين، قبل أن تُولدوا بسنين طويلة قطعا- بمعرض القاهرة الدولي للكتّاب الذي اختتم أيامه أمس. ذهبت إليه وكنت أعرفه -كنا قد درسنا بعض شعره، على صديقه أستاذنا الدكتور الطاهر مكي- وسلمت عليه: أنا تلميذ الطاهر مكي، قال: حيّاك الله، حيّاك الله! ولم يكن يسافر إلا

بمساعدٍ يعينه على الحركة؛ لم يكن يستطيع أن يتحرك وحده. انظروا إلى كلامه الجميل في قصيدته "مغنٍّ تحت السكاكين"!

١) بِعَيْنَيْهِ حُلْمُ الصَّبَايَا وَفِي حَنَايَاهُ مَقْبَرَةٌ مُسْتَرِيحَةْ
٢) لِنَيْسَانَ يَشْدُو وَفِي صَدْرِهِ شِتَاءٌ عَنِيفٌ طُيُورٌ جَرِيحَةْ
٣) بِلَادٌ تَهِمُّ بِمِيلَادِهَا بِلَادٌ تَمُوتُ وَتَمْشِي ذَبِيحَةْ
٤) بِلَادَانِ دَاخِلَهُ هَذِهِ جَنِينٌ وَهَذِي عَجُوزٌ طَرِيحَةْ
٥) وَآتٍ إِلَى مَهْدِهِ يَشْرَئِبُّ وَمَاضٍ يَئِنُّ كَثَكْلَى كَسِيحَةْ
٦) زَمَانَانِ دَاخِلَهُ يَغْتَلِي دُجًى كَالْأَفَاعِي وَتَنْدَى صَبِيحَةْ
٧) وَرَغْمَ صَرِيرِ السَّكَاكِينِ فِيهِ يُغَنِّي يُغَنِّي وَيَنْسَى النَّصِيحَةْ
٨) فَتَخْضَرُّ عَافِيَةُ الْفَنِّ فِيهِ وَأَوْجَاعُهُ وَحْدَهُنَّ الصَّحِيحَةْ
٩) أَيَا شَمْعَةَ الْعُمْرِ ذُوبِي يَلُحُّ فَتَسْخُو وَتُومِي أَأَبْدُو شَحِيحَةْ
١٠) فَيُولَدُ فِي قَلْبِهِ كُلَّ يَوْمٍ وَيُحْمَلُ فِي شَفَتَيْهِ ضَرِيحَهْ
١١) يُوالِي فَيَرْفُضُ نِصْفَ الْوَلَاءِ وَيُبْدِي الْعَدَاوَاتِ جَلْوَى صَرِيحَةْ
١٢) لَهُ وَجْهُهُ الْفَرْدُ لَا يَرْتَدِي وُجُوهًا تُغَطِّي الْوُجُوهَ الْقَبِيحَةْ
١٣) يُعَرِّي فَضَائِحَ هَذَا الزَّمَانِ وَيَعْرَى فَيَبْدُو كَأَنْقَى فَضِيحَةْ
١٤) تَرَى وَجْهَهَا الشَّمْسُ فِيهِ كَمَا تَرَى وَجْهَهَا فِي الْمَرَايَا الْمَلِيحَةْ

اللهُ الله على هذا الكلام السهل! ومع هذا نغريكم بحسن الأداء حتى نوفّي ضابطنا الأول، أساسنا الأول "ضبط النطق"، لإغرائكم بالقراءة: من قرأ قراءة لا خطأ فيها، لا خطأ، لا خطأ- أعطيته خمس درجات ولا أبالي! لكن قبل هذا.. قبل هذا نأخذ الحضور لكيلا تستهينوا به. غياب واحد هيّن، لا بأس. ها! من يقرأ ولا يخطئ، بخمس درجات، بخمس درجات، من غير خطأ لا صغير ولا كبير، ولا عظيم ولا حقير، مَن، مَن؟ لكن بشرط إذا أخطأ خطأ واحدًا طردناه، طردناه من هنا، ها! مَن، مَن؟ لا أحد، إذا أخطأتِ خطأ واحدًا طردناكِ فورًا، فورًا، ها! ما اسمك؟

- أصيلة.
- والعائلة؟

- الكَلْبانيّة.
- منكم سالم الكلباني! طيب، يا أصيلة، نقدّر لكِ هذه الجرأة، يبدو أنها تحمست بذكر سالم الكلباني؛ وهو شاعر قوي جريء جدًّا، واسع الحفظ، ظريف! تفضلي، يا أصيلة، اسمعوا، اسمعوا، وتسقّطوا الأخطاء!
- ... لنِيسَانَ...
- "لنِيسَانَ"، خطأ!
- لنِيسَانَ يَشْدُو وَفِي صَدْرِهِ...
- لا، خطأ! بَرّا، بَرّا! انتهى، شَرَطْنا.
- لَنَيسَانَ...
- قلتِ: لنِيسَانَ...
- لَنَيسَانَ...
- أخطأتِ، يا أصيلة، برّا، مسكينة، لن تستطيعي أن تسمعي هذا من أي أحد في العالم، هذا الكلام الذي نقوله هنا لا يقوله أي أحد في أي مكان، مع السلامة! شرطت على نفسك! "الشَّرْطُ أَمْلَكُ، عَلَيْكَ أَمْ لَكَ"! سبحان الله، ما زالت جالسة! قد اتفقنا، تظن أنني أمزح! طيب، نحذف منها خمس درجات؟
- لا!
- أصيلة الكلبانية، نقص خمس درجات. ها! مَن يُحب؟
- أنا.
- مَن؟
- أنا.
- ما هذه الجرأة! ها! مَن؟ ذكريني! مريم؟
- أمل.
- ما هذه الجرأة يا أمل! طرد أو خصم! إما، وإما، البحر من أمامك، والعدو... البحر من خلفك، والعدو من أمامك، تفضلي!

- ... وَرُغْمَ صَرِيرِ السَّكَاكِينِ...
- ها! وَرَغْمَ...
- بس حركة!
- النقص خمس درجات أو الطرد! اختاري.
- الطرد.
- إما القتل أو الذبح، القتل أو الذبح! وما الفرق؟ ها! أمل! إما حَرَق، وإما شَرَق! أمل ضد الاثنين. أمل! ها! جالسة!
- بطلع بَرّا!
- نقص خمس -ها!- اختاري! النقص؟
- لا، لا!
- ها! مَن؟
- أنا.
- عبد الرحمن؟ لا يجوز، أنت ضيفنا، لا يجوز أن نطردك! ها، متأكدة، ما اسمك؟
- رحمة.
- رحمة، إمّا، وإمّا! ها! تفضلي! لماذا أفعل هذا يا جماعة؟ لماذا أفعل هذا الذي أفعله الآن؟ لكي أزيدكم حرصًا على ضبط النطق، هذه عقيدة، عقيدة، لا تراجع ولا استسلام، منتهى الإتقان، منتهى الإتقان، لأن كل ما يأتي مبني عليه، فإذا استخففت بهذا ضاع من بين يديك. ها! شكرًا أمل، بارك الله فيكِ! طبعًا هي بِتِلْعَنَّا الآن، لكن ولا يهمها، كله هيّن في سبيل ما نريد! لكن في اللقاء السابق أدّت بنت اسمها شروق من المرة الأولى، ولم تخطئ، لم تخطئ، ففازت من المرة الأولى، ولم أكن أتخيل أصلا، لأنها يبدو عليها أنها مهملة، وأنها مترفة وليست من أهل العلم، فجأة، على العكس! هذا أهم ما في الموقف، أنها على العكس أصابت تمامًا، ولم تخطئ! طيب، اسمعوا -ها!- رحمة، اسمعوا، ستخرج بعد قليل، إن شاء الله!
- ... فَتَخْضَرُّ عَافِيَةَ الْفَنِّ...
- بَرّا، بَرّا، يا مسكينة، ها، اختاري!

- دكتور، ما هو!
- اختاااري: بَرّا، أو ناقص خمسة!
- دكتور، بطلع!
- بَرّا، أو ناقص خمسة؟ مع السلامة. شوفي أصيلة المسكينة خافت شافت الموضوع جدّ قالت لا أنا بطلع أحسن، خمس درجات ممكن تخرج الميّت من الحي، لا الحي من الميّت! يا اللا! ها! طيب! الآن بعد أن يئسنا...
- ما يئسنا!
- بعد أن يئسنا من التحدي...
- ما يئسنا!
- يئسنا.
- لم نيأس!
- لا، يئسنا! سمعنا أكثر من مرة، الثالثة ثابتة، سمعنا ثلاث مرات، والثالثة ثابتة كما يقولون، والآن نستمع لأي أحد، ربما كان أفضل من المتوقع مثلًا، نستمع، من نستمع، من؟ مسعود! تفضل! مسعود ليس أي أحد قطعا، هو عزيز لدينا، لكنه الآن خارج التحدي! هه، تفضل، اسمعوا، اسمعوا، اسمعوا ها السَّمْعَة!
- ... فَتَخْضَرُّ عَافِيَةُ الْفَنِّ فِيهِ وَأَوْجَاعُهُ...
- ها!
- فَتَخْضَرُّ عَافِيَةُ الْفَنِّ فِيهِ وَأَوْجَاعُهُ وَحْدَهُنَّ الصَّحِيحَةْ
... كَمَا تَرَى وَجْهَهَا فِي الْمَرَايَا الْمَلِيحَةْ...
- أحسنت! بارك الله فيك! ترى وجهها الشمس فيه لا العكس، المنتظَر أن الناس يعرضون أنفسهم على الشمس، لا، هذا تعرض الشمسُ نفسَها عليه، كما كان سيدنا عمر يقف أمام سيدنا حذيفة: ها! كيف تراني؟ أمنافقًا تراني، أم مخلصًا؟ فقد كان أوتي الفراسة، أوتي هذه الموهبة، فكان سيدنا عمر يعرض عليه نفسه: كيف تراني؟ وكذلك كانت لسيدنا عثمان فراسة يعرف بها البرَّ من الفاجر، رضي الله عنهم أجمعين! فانظروا إلى الشمس تعرض نفسها عليه، وله الحق لأنه مخلص؛ إذا أراد

أن يتكلم عن عيوب أحد تكلم عن عيوب نفسه أولًا: يا جماعة، أنا أخطأت في كذا وكذا، وقد لاحظت عليكم أنكم أخطأتم في كذا وكذا، يبدأ بفضح نفسه! مَن هذا؟ أين تجد هذا؟ في الجنة -إن شاء الله!- لا ريب ألّا خطأ في الجنة، لا شيء غير النعيم فقط، قصدت مستحِقّ الجنة. واضح؟ إذا أحببت أن أتكلم عن هذا المعنى لم تكفِني الكتب، وفي المحاضرة السابقة لم أترك لنفسي فرصة نقد النص، فلعلي أعالج ذلك اللقاء القادم! **دعوني الآن أفعل شيئًا آخر بعد أن ارتحنا للأساس الأول، واطمأننا! ها! ضبطنا النص في اللغة ضبطًا تامًّا، وتحدّينا، وفعلنا ما رأيتم رأي العين؛ فَلْنَبْنِ الآن على ذلك! سنختار للتخريج كما فعلنا في بطاقة التخريج، بيتين من هذه القصيدة نطمئن بتخريجهما إلى تصويرهما طبيعة القصيدة، سنختار المطلع لأهميته، وبيتًا آخر من الخلال نحسّ أنه يطمئننا من غير خداع، لأن الأبيات الثاني والثالث والرابع تجري مجرى الأول حتى إذا بدأ الخامس خالفهم، أنا أعرف، هذا عملي! وسيكون عملكم فيما بعد. أستطيع أن أختار الخامس أو التاسع، ها! ويمكنني أن أختار العاشر، سأختار العاشر إذن، في المحاضرة السابقة اخترت الخامس، سأختار معكم العاشر مع المطلع الذي هو شعار القصيدة، سنكتب هذين البيتين على السبورة كذلك كتابة لا خطأ فيها، كتابةً تعرِض علمنا، تَدُلُّ على علمنا، بلا خطأ، لا إملائي ولا تشكيلي. بسم الله،** ها، ماذا يقول؟

بعينيه، بعينيهِ... حلم الصبايا، بعينيه حلم الصبايا وفي... حناياه... مقبرة... مستريحة

ها، والعاشر؟ فيولد... ها، ما العاشر؟

- فيولد...
- فيولد، فيولد في قلبهِ... كل يوم -ها!- ويحمل...
- ... في شفتيه...
- ... في شفتيه ضريحة
- كتبنا وأحسنّا الكتابة؟ نشكّل، عسى أن نحسن التشكيل كما أحسنّا الكتابة، وشعارنا "التَّشْكِيلُ التَّامُّ أَوِ الْمَوْتُ الزُّؤَامُ"! بِعَيْنَيْه حُلْمُ الصَّ... انظروا كيف أشكّل! أنا أنطق في وقت التشكيل كيلا أخطئ، لأن بعضكم يُرحِّل، يشكّل أي تشكيلٍ، يرحّل، يكتب ما يستحق هذا على هذا وذاك، يسمون هذا ترحيل الحركات، ترحيل الحركات.

بِعَيْنَيهِ حُلْمُ الصَّبَايَا وَفِي حَنَايَاهُ مَقْبَرَةٌ مُسْتَرِيحَةْ
فَيُولَدُ فِي قَلْبِهِ كُلَّ يَوْمٍ وَيَحْمِلُ فِي شَفَتَيهِ ضَرِيحَهْ

ترون أنني كتبت لهذه التاء نقطتين، وربما خطر لبعضكم كما خطر لغيركم ألّا يكتبوهما، يقولون: يا أخي، تنطقها هاءً "مستريحه"، فهلا حذفت النقطتين! وهذا ما كنت أفعله في مرحلة سابقة، لكن لم أعد الآن أفعله، لماذا؟ لأنني رأيت أن وضع النقطتين على أية حال، يميِّز مثل "ضريحه"، من مثل "مستريحة"؛ فالهاء في "ضريحه" ضمير، والهاء في مستريحة"، منقلبة عن تاء. هذه فائدة لكنها ثانية؛ فأما الفائدة الأولى أو الداعي الأول فأنني اكتشفت أنني أكتب الشعر على طريقة كتابة عموم الكلام -إذ لم نستعمل للشعر إملاءً خاصًّا- فلماذا لا أفعل هنا؟ ألا نكتب "في قلبِهِ"، هكذا مثلًا على رغم أن كسرة الهاء ممدودة، أكتبها في الشعر كما أكتبها في النثر "في قلبه"، ولا أكتب لها ياءً مثلًا؛ فلماذا آتي إلى هنا فأغيّر! فرجَعت -كل هذا كنت أكتبه أصلًا كما في ملفاتي القديمة، وربما عثرتم على بعضها عند إخوانكم، من غير نقطتين تمثيلا لنطق الهاء- فصحّحت، لأنني وجدتني أناقض نفسي، أستعمل طريقة الكتابة النثرية في كتابة سائر أحوال الشعر، أستعمل الإملاء نفسه، فلماذا أخالفه هنا؟ ومع هذه الفائدة الأولى تلك الفائدة الثانية التي قدمتها لكم؛ فصرت أميِّز بوضع النقطتين هنا، هذا من ذاك، لأنني لا أنطقها في العادة "مستريحهُ"، لا، بل "مستريحةً"، أما "ضريحهُ"، فأقف عليها "ضريحهْ"، وهكذا. طيب، كتبنا، فأحسنّا الكتابة، وشكّلنا، فأحسنّا التشكيل بحيث لا خطأ، لا خطأ، لأننا نعبِّر بهذا للقارئ عن عِلمنا، وإذا أخطأنا ألبسنا عليه فشككناه في علم نفسه. ومن العجائب أن بعض الممتازين منكم يجهلون بعض قواعد الإملاء -ها!- ومنهم مَن صار الآن أستاذًا جامعيًّا، يخطئ في الإملاء، يخطئ في الإملاء وهو أستاذ جامعي، ولا ريب في أنه إذا كتب وفهمه الناس خطأً، قالوا: هذا جاهل، هذا جاهل، وهو أصلا عالِم، هذا مثل أي عالِم لا يُحسن التعبير عن نفسه، إذا ما وقف في المحاضرة -وهو عالِم كبير- لم يُحسن العبارة، هذا موجود، عندنا ناس علماء لا يحسنون المحاضرة والعكس بالعكس، عندنا محاضرون ليس عندهم علم كثير، لكن عندنا ناس يجمعون بين هذا وذاك، وكان بعض أساتذتنا يسميهم الأساتذة الكاملي الأستاذية، يحسنون البحث والمحاضرة جميعا معا -ها!- هكذا كان يقول: لدينا في هذه الكلية ستة أساتذة كاملو الأستاذية وأنا منهم، يذكر نفسه في البَيْن وله

الحق، ينبغي للعالِم أن يعرف نفسه! أتدرون مَن هذا؟ ادخلوا الشبكة، وابحثوا عن أستاذنا الدكتور محمد فتوح أحمد، نجم كبير في سماء النقد والأدب والشعر، منذ كان طالبًا صغيرًا إلى الآن! طيب! كتبنا فأحسنّا الكتابة، وشكّلنا فأحسنّا التشكيل بحيث لا خطأ، فالآن نلحّن، الآن أعلمكم لحن هذا الوزن العروضي، لأننا سنبني على ضبط اللحن كما بنينا على ضبط اللغة، نبني على أساسين من ضبط اللغة وضبط اللحن، لا كما كنتم في الثانوية أو غيرها تفعلون، لا، كنتم تخطئون، وآن لكم أن نتعلموا الصواب؛ فإن الشعر غناء، ينبغي أن تغنّوه، فإن لم تغنّوه وبقيتم ترسمون الرموز العابثة التي تعلمتموها أولًا وتبنون عليها، فسد الشعر، هكذا فاستمعوا كيف نغني!

بِعَيْنَيْـ ـهِ حُلْمُ الصْـ ـصَبَايَا وَفِي حَنَايَا هُ مَقْبَـ ـرَةٌ مُسْـ ـتَرِيحَةْ
فَيُولَـ ـدُ فِي قَلْـ ـبِهِ كُلْـ ـلِ يَوْمٍ وَيَحْمِـ ـلُ فِي شَـ ـفَتَيْهِ ضَرِيحَهْ

هكذا! ونحن مختلفون؛ بعضنا أندى من بعض صوتًا، ليكن! لكن مع هذا نحقق هذا، لن يصعب على أي واحد منا -مهما كان صوته بشعًا!- أن يؤدي هذا الأداء الأوليّ الساذج. هكذا، ما الذي فعلناه؟ لحنّا، لحنّا ضابطين النطق ضبطًا تامًّا، واستفدنا من هذا في ذاك ومن ذاك في هذا، كيف؟ سترون، سأُنزل ما فعلته الآن، سأقطّع ما قطّعته في التلحين: بِعَيْنَيْـ... هكذا، لو كنت على جهازي -مثلًا- لفصلت بعلامة الفصل، بضربة الفاصلة فصلت، لكنني هنا على السبورة، فماذا أفعل؟ لا حيلة إلا أن أستعمل الخطوط التي كالسكاكين من أعلى إلى أسفل: (...) ـهِ حُلْمُ الصْـ (...)، أين أضع هذا الخط؟

- بعد الصاد.
- لا، ليس بعد الصاد، يا مسكين!
- في الصاد.
- في الصاد، لأن هذه الصاد المشددة صادان، صاد ساكنة، وصاد مفتوحة، هذا الخط ينبغي أن يكون بينهما، فماذا تفعل؟ ماذا تفعل وقد كتبت هذه الكتابة؟ لا ريب في أن هذا المأزق هو الذي يحتجون به للكتابة العروضية! هل سمعتم عن الكتابة العروضية؟ يغيّرون، يعيدون الكتابة بطريقة كأنها أَحْجِيَة، كأنها ألغاز، أحاجٍ من أحاجي العارفين والسحرة، ها! لا، لا نحتاج إلى هذا، نحتاج إلى معرفة ما أمامنا فقط بعد ضبط اللغة واللحن، نعرف أن الصاد صادان فنحن نضع الخط في

وسط الشدة أعلى الصاد، أعلى الحرف،(...) ـهُ مَقْبَ، بعد الباء، ـرَة مُسْ، ـتَرِيحَة، هكذا، فَيُولَ، ـدُ فِي قَلْ، ـبِهِ كُلْ، أي؟

- في اللام.
- في اللام، أي نكتب شدة، وننزله من فوق إلى تحت، لأننا سنأخذ اللام الأولى لنختم بها التفعيلة السابقة، والثانية لنبدأ بها اللاحقة: ـلَ يوم، وَيَحْمِـ، ـلُ فِي شَـ، ـفَتَيهِ، ضَرِيحَه، هكذا. سأشرح قطعا، أتكلم كلامًا أوّليًّا، لحنّت، وفي التلحين قطّعت، قطّعت قطعًا، فحين أردت أن أكتب لم أستطع أن أعبّر عن هذا التقطيع إلا بخطوط، بخطوط كأنها سكاكينُ تقطيع. طيب! حين لحّنت كنت أغني، كنت أعزف وأغني، أعزف، أريد أن أكتب صوت العزف، صوت العصا، عَزِيف العصا كما أقول، أريد أن أكتب عزيف العصا، والعزيف صوت الجن، ها! صوت الجن يُسمى عزيفًا! ما شاء الله! وهل سمعت الجن! تخيل! تخيل! "طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ" -صدق الله العظيم!- هل رأيت الشياطين! تخيّل! تخيّل! بعينيـ= ددن دن، كيف تكتب؟ أكتب للضربة أي المتحرك دالًا، ولعدم الضرب أي الساكن نونًا: بِعَيْـ= ددن، نَيـ= دن، ـه حُلْمُ الصْـ= ددن دن، صَبَايَا= ددن دن، وَفِيْ= ددن، حَنَايَا= ددن دن، ـهُ مَقْبَـ= ددن د، ـرَةً مُسْـ= ددن دن، ـتَرِيحَةْ= ددن دن. فَيُولَـ= ددن د، ـدُ فِي قَلْـ= ددن دن، ـبِهِ كُلْـ= ددن دن، ـلَ يَوْمٍ= ددن دن، وَيَحْمِـ= ددن د، ـلُ فِيْ شَـ= ددن د، ـفَتَيْهِ= ددن د، أو ددن دن، على حسب ما تريد، ضَرِيحَةْ= ددن دن. لم أشرح بعد، أنا أمارس، أعيش، طيب! ما الذي بقي؟ التفعيل، رموز تفعيلات الخليل: بعينيـ= فعولن... <u>**أقدم لكم -يا أبنائي!- من خلال هذه القصيدة، بحر المتقارب**</u>، هنا ينبغي لي أن أذكر هذا، كتبت "فعولن"، فاضطرتني كتابتها إلى تقديم البحر لكم، ربما قلتم لي: تذكر اسمه أخيرًا! سبحان الله! ندرس بحر المتقارب من غير أن تسميه لنا في أول المحاضرة! أنسيتم ما قلت لكم منذ قليل؟ أهم شيء أن تعرف الكيان، هذا أهم من أن تعرف اسمه، من جاء في الاختبار فقال لي: هذه القصيدة من بحر المتقارب، ولم يفعل ما فعلنا، فتقديره صفر! أما من عكس ففعل ما فعلنا وسماه الكامل مثلًا فتقديره ممتاز، فلا قيمة كبيرة لهذه التسميات -ها!- لكن عند تمييز الأوائل سأفضّل الممتاز الذي سماه باسمه على الممتاز الذي لم يسمه باسمه! طيب! أقدّم لكم بحر المتقارب، وهو كما أخرجتْه للخليل دوائره، البيت منه: "فعولن فعولن فعولن فعولن" مرتين، إذن

ما البيت من بحر المتقارب؟ "فعولن فعولن فعولن فعولن" مرتين، أي "فعولن" ثماني مرات، لكنّ الخليل يكتفي على دوائره بشطر البيت، لأنه يتمسك بأقل مقدار من الكلام الموزون يقدم الوزن، وأقل مقدار يقدم الوزن شطر البيت؛ لينبهك بعد ما تخرج الشطر من الدائرة على إعادته إذا أردت أن تقدم بيتًا تامًّا، فالبيت التام: فعولن فعولن فعولن فعولن مرتين. جميل؟ جميل. ما "فعولن" هذه؟ تفعيلة، كتلة، مجموعة مقاطع. "فعولن" تتكون عند الخليل من جزأين: "فعو"، و"لن"، ما "فعو" عنده؟ وتد مجموع. وما "لُن"؟ سبب خفيف. وهنا يحضر ذكر الأسباب والأوتاد التي ذكرتها لكم ووعدتكم أن أزيدها تفصيلًا فيما بعد، وقد جاء هذا البَعد: "فعولن" هذه عند الخليل تفعيلة متكونة من جزأين "فعو" -وهو وتد مجموع- و"لُن"، وهو سبب خفيف. ما الوتد؟ الوتد عند الخليل ثلاثة أحرف: إما أن تكون متحركين فساكنًا، أو متحركين بينهما ساكن، أما الأول فيسميه الخليل الوتد المجموع، وأما الثاني فيسميه الوتد المفروق، لأن الساكن قد فَرَق بين متحركيه. والأسباب، ما الأسباب؟ جمع سبب، والسبب حرفان لا ثلاثة -الوتد ثلاثة، والسبب اثنان- إما أن يكونا متحركين -وعندئذٍ يسميه الخليل السبب الثقيل- وإما أن يكونا متحركًا فساكنًا، وعندئذٍ يسميه الخليل السبب الخفيف. كل هذا الذي أقوله لكم عندكم في "ميزان الذهب"، الذي رفعته لكم على موقعي، وليس في كتاب الدكتور هلال الحجري قطعا؛ فهو يقدم تجربة جَماليّة لا كتاب علم، هو فنان شاعر، وكتابه "العروض المغنَّى"، ممتع -نعم- وليس كتاب علم، بل تجربة عروضية، تجربة شاعر، جميل! نستفيد منه كثيرًا، لكن هذه المصطلحات والتفصيلات العلمية، في كتاب "ميزان الذهب" الذي رفعته لكم، وأرسلت إليكم رابطه. على أية حال سأقول لكم في المحاضرات ما يكفينا؛ فلا أستطيع أن أقول كل شيء، هذا مستحيل! "فعولن" هذه التي هي عند الخليل وحدة شطر البيت من المتقارب، متكونة إذن -يا جماعة- من جزأين: الأول "فعو"، والثاني "لُن". ما "فعو"؟ وتد مجموع. ما "لُن"؟ سبب خفيف. ما الوتد هذا الذي ذكرته؟ الوتد ثلاثة أحرف: إما أن تكون متحركين فساكنًا -وعندئذ تسمى الوتد المجموع لأن المتحركين قد اجتمعا- وإما أن تكون متحركًا فساكنًا فمتحركًا، وعندئذ تسمى الوتد المفروق، لأن الساكن قد فرق بين متحركين. طيب! أسباب، أسباب مفردها سبب، ما السبب هذا؟ السبب في أصله في إنشائه جاء من السبب

الحبل، حبل الخيمة، والسبب هنا جزء تفعيلة يكون من حرفين متحركين -فيسمى السبب الثقيل- أو متحرك فساكن، فيسمى السبب الخفيف، تمام؟ لماذا ذكرت هذا هنا؟

- دكتورا!
- ... لأنني أقبلت...، نعم!
- لماذا جئت بالسبب الآن؟
- السبب، قلنا إن "فعولن"، من وتد فسبب، فلمّا ذكرنا السبب قلنا السبب عند الخليل حرفان: إما أن يكونا متحركين "دَدَ" -وعندئذ يسمى السبب الثقيل- وإما أن يكونا متحركًا فساكنًا "دَنْ"، وعندئذٍ يسميه السبب الخفيف. لماذا ذكرت هذا الآن، ولم أبدأ به؟ لأنني أردت أن أكتب رموز الخليل، فلمّا كتبتها تذكرت نظامه؛ من أين جاء؟ وكيف صار؟ وعلى أي أساس؟ وكذا، فانظروا إذن: بِعَيْنَيْـ= فعولن، ـهِ حُلْمُ الصْـ= فعولن، انظروا كيف يعبّر عن الدندنة نفسها برموز التفعيلات! هي هي: ـصَبَايَا= فعولن، وَفِي= فعو، حَنَايَا= فعولن، ـهُ مَقْبَـ= فعولُ -ونضع ضمة على اللام حتى نميّز التفعيلة المغيّرة من السالمة- ـرَةٌ مُسْـ= فعولن -ترون أنني أغنيها كذلك حتى أعرف- ـتَرِيحَةَ= فعولن، فَيُولَـ= فعولُ بضمة، ـدُ فِي قَلْـ= فعولن، ـبِهِ كُلْـ -انتبهوا إلى أننا أخذنا اللام الأولى للتفعيلة السابقة، والثانية للاحقة- فعولن، ـلَ يَومٍ= فعولن، وَيَحْـ= فعولُ -بضمة- ـلُ فِي شَـ= فعولُ -كذلك بضمة- ـفَتَيهِ= فعولُ -بضمة، أو فعولن ددن دن، لأنك تستطيع كما سأقول لك بعد قليل، أن تُشبع وأن تختلس- ضَرِيحَهْ= فعولن، تمام؟ بعد أن تعرف أن البحر كما قلت لك: فعولن فعولن فعولن فعولن، مرتين، وأن "فعولن" هو الوضع السالم- تستطيع أن تقول: فعولن= سالمة، وهو ما تستطيع أن ترمز إليه بسين؛ إذن فعولن= س. طيب! و"فعو" هذه بم أصفها؟ هذه مغيّرة، ربما قال بعضكم: مغيّرة.
- مقبوضة.
- لا، ليست مقبوضة، أرأيت! لو قلت لي في الاختبار أو في التخريج: مقبوضة، لَشككتُ في علمك، لكن لو قلت لي: مغيَّرة، لاحترمت علمك، سأحترم علمك، لأنها ليست مقبوضة، المقبوضة "فعولُ"، أما "فعو" هذه فمحذوفة؛ فإذا تذكرت التغيير باسمه فاذكره، وإذا اختلط عليك فاكتفِ بكلمة "مغيَّرة"، أو "متغيّرة"، أو ما شئت، معي؟ ما الذي أصاب "فعولن"، في "فعو"؟ حُذفت منها

"لُن"، وحذف "لُن" من آخر التفعيلة علة شديدة، تغيير ثقيل، اسمه الحذف، والتفعيلة به محذوفة -تأمل!- محذوفة، وإذا أردت أن تختصر فنبهني على الاختصار، كأن تكتب: ح، لكن تقول لي من قبل: أنا أرمز بـ"س"، إلى سالمة، وبـ"ح"، إلى محذوفة، وبـ"ض"، إلى مقبوضة، وبكذا إلى كذا، لكيلا يلتبس عليَّ الأمر، تمام؟ ما الحذف إذن؟ تغيير شديد، علة ثقيلة، فيها نحذف سببًا خفيفًا كاملًا من آخر التفعيلة، نحوّل به "فعولن"، إلى "فعو"، لكن "فعولُ" هذه مقبوضة (ض، فقط)، كالتي رأيناها في الصفحة الأولى.

- دكتور!
- نعم.
- لكن في الوزن كتبنا "ددن دن".
- أين هذه؟
- لـ"فعولُ".
- آه، هذه خطأ، أحسنتِ.
- ددن د.
- نعم "ددن د"، "هِ مَقْبَ" كيف تكون "ددن دن"؟ نبهيني؛ فأنا أخطئ بلا ريب! مرةً جاءتني طالبة وقد أخذَت عليّ عشرة أخطاء في الكتاب المقرر، عشرة أخطاء! قالت: أنا تعمدت أن أصل إلى عشرة! كل ابن آدم خطّاء حقا، ما الذي ورّطني في هذا الخطأ؟ كنت على الجهاز -هذه مشكلة الجهاز- كنت أنسخ وأضع في العيون، صنعت جدولًا للقصيدة، جدولًا كاملًا للقصيدة، وكنت أنسخ وأضع أضع، فربما وضعت المنسوخ في غير المكان المناسب؛ فكانت هذه هي النتيجة. الحاسوب يسهّل ويورّط، يسهّل عليك ويورّطك؛ فجاءت البنت، فقالت: أنا تعمدت أن أصل إلى عشرة أخطاء، ووصلَت، وربما عثرت على أكثر! طيب! بارك الله فيكِ، يا ميسون! هي "ددن دَ" إذن، لا "ددن دن"، انظروا! لمّا أعدنا غناء الأصل كتبنا التفعيلة صحيحة، ووصفناها وصفا صحيحًا؛ لهذا ننتفع دائمًا بتكرار الغناء في كل مرحلة. طيب! هذا إذن قَبْض -ما القبض؟- وهذا قبض، مقبوضة، وهذا قبض، مقبوضة، وهذه في الاقتراح الأول مقبوضة. ما القبض، يا ابن أخي؟ ما القبض؟ القبض: حذف ساكن السبب الخفيف متى كان خامس حرف في التفعيلة. عُدّ معي

الخامس، ما القبض؟ حذف ساكن السبب الخفيف متى كان خامس حرف في التفعيلة، لماذا تعد يا أستاذ؟ لأنه هو نفسه سيحدث ثانيًا ورابعًا وسابعًا كما حدث خامسًا، فإذا حدث ثانيًا سُمِّيَ الخبن، وإذا حدث رابعًا سُمِّيَ الطي، وإذا حدث سابعًا سُمِّيَ الكف، وهذا الحادث خامسا يُسمَّى القبض. أسماء الأوصاف إذن بحسب المواضع -تمام؟- فكل هذه مقبوضة، هذا القبض -يا ابن أخي- زحاف لا علة، تغيير سهل لطيف جدًّا، يسمونه الزحاف لأنه كأنه يزحف ببعض التفعيلة إلى بعض، يقارب ما بين أطرافها، لكن الحذف علة، تغيير صعب، لهذا تجد... تأمل! هذه لقطات الأذكياء، ما الذي ترى على هذا من آثار فرق ما بين ثقل العلة وخفة الزحاف؟ ها! نريد ملحوظة ذكية نختم بها اللقاء، ما الذي ترونه على هذين البيتين من آثار خفة تغيير القبض وثقل تغيير الحذف؟ ذكرت لكم في جواب سؤال "ما هذا التغيير؟"، أنه سهل وصعب، وأن السهل لأنه سهل ينتشر في الأماكن كلها، وأن الصعب لأنه صعب ينبغي أن يُسايَس فيُحصر في الأطراف، تأملوا! الحذف تغيير صعب لم يحدث إلا هنا، وكان يمكنه أن يبني عليه القصيدة فيفعله هنا، لكنه لا يحدث في الحشو، يحدث في الأطراف فقط، لكن تأملوا القبض! هذه مقبوضة وهي في الحشو، وهذه مقبوضة هنا في الاقتراح الأول في الحشو، وهذه في الحشو، وهذه في الحشو كذلك، وستجدون بيتًا يحدث فيه هنا في العروض، هذا تغيير سهل ينتشر، ينتشر في كل مكان، وهذا فرق. نعود هنا إلى ذكر شيء مهم: يا جماعة، هاء الضمير إذا تحركت بعد ساكن جاز لك في أصل اللغة، أن تشبعها وألا تشبعها، في القرآن الكريم مثلًا: "يَخْلُدْ فِيهِ (ي) مُهَانًا" -صدق الله العظيم!- من آخر سورة الفرقان، وفي أول سورة البقرة: "ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى" -صدق الله العظيم!- لم يشبعها. لك في هاء الضمير إذا تحركت بعد ساكن أن تشبعها وأن تختلسها، هذا في أصل اللغة. أما في الشعر فعَلى حسب الوزن، ربما أتاح لك، وربما منعك، تأمل: هنا يستحيل أن تشبعها، جرّب أن تشبع: بِعَيْنَيْهِ= ددن دن= فعولن= سالمة، بِهِي حُلْمُ الصْـ= دن دن دن= ×، انكسر! أما هنا مثلًا فيجوز "فَتَيْهِ= ددن د= مقبوضة" من غير إشباع، "فَتَيْهِ (ي)= ددن دن= سالمة" بإشباع. لكنّ هذا الضمير إذا تحرك بعد متحرك وجب إشباعه، تأمل: "فَيُولَدُ فِي قَلْبِهِ كُلَّ يَوْمٍ"، تحرك الضمير بعد متحرك فوجب إشباعه "بِهِ كُلْ= ددن دن= فعولن= سالمة". لكن يحدث على قبح وبشاعة أن يختلس الشاعر إشباعه، ها! مثل "كَأَنَّهُ صَوْتُ حَادٍ" في شعر بعض الشعراء،

شيء بشع أن يختلس الشاعر إشباع هاء الضمير المتحركة بعد متحرك! إذا تحركت هاء الضمير بعد متحرك وجب...

- إشباعها.
- وإذا تحركت بعد ساكن...
- جاز إشباعها.
- وعدم إشباعها، بحسب إتاحة الوزن. وعلى رغم هذا ليسا سواءً، ليس الإشباع وعدمه سواءً. ما الذي في الإشباع مما ليس في الاختلاس؟ في الإشباع مدّ، وفي المدّ إتاحة نحيب وعويل "شَفَتَيْهِ(ي)"، "وَيَحْمِلُ فِي شَفَتَيْهِ(ي)"، إذا أشبعت مكّنت لصوتك من المدّ، والمدّ قرين النحيب والعويل والبكاء، فكيف يستويان؟ كيف يستوي نطقٌ يتيح لك أن تنتحب وتبكي وتُعول في مواقف النحيب، ونطقٌ لا يتيح لك! هذا يناسب الحزن، وهذا يناسب الفرح، ينبغي أن تفهموا هذا! **بارك الله فيكم، وشكر لكم، وأحسن إليكم، والسلام عليكم!**
- وعليكم السلام!
- سنعيد هذا سريعًا في اللقاء القادم ونحلل بقية القصيدة معًا، وسترونه أفضل، إن شاء الله! قال لي بعض الشباب: هذا عكس ما كنا نتعلم في الثانوية؟ كانوا يبدؤون بكذا ومن هنا! لا، خطأ! هذا الذي تعلمتموه كان على عكس المفروض، الآن تتعلمون طبيعة الشعر على الحقيقة؛ الشعر غناء، الشعر غناء. تفضلوا! -يا جماعة!- تفضلوا! سامحوني، أخّرتكم! يمكنكم أن تصوروا السبورة بالجوّالات، ولا بأس به كل مرة، وهو من الحكمة، ولمثل هذا كانت الجوّالات، لا لأشياء أخرى، لكن بسرعة؛ فسأمسحها الآن، ها!
- أمسحها أنا.
- لا، لا؛ فأنا أتقرّب إلى الله بمسح السبورة!

اَلْمُنَادَمَةُ الرَّابِعَةُ(١)

- **سلامٌ عليكم، طبتم مساءً -يا أبنائي!- وطاب مسعاكم إلينا! بسم الله -سبحانه وتعالى!- وبحمده، وصلاة على رسوله وسلامًا، ورضوانًا على صحابته وتابعيهم حتى نلقاهم! كيف حالكم، كيف أمسيتم؟**
- بخير.
- لله الحمد والشكر! بارك الله فيكم، وشكر لكم، وأحسن إليكم، ويسر لنا ولكم كل عسير، وسهل كل صعب! في لقائنا السابق وجدت وقتًا بعد فراغنا من إجابة الأسئلة، وقتًا لم نكن نتخيل أنه سيكون، كنا نظن أننا سنستهلك تلك المحاضرة وهذه معها أيضا في إجابة الأسئلة! يبدو أننا أوجزنا، وتلك الأسئلة أسئلة مصيرية، أسئلة أساسية ومحورية، لا يمل الناس من تكرار إجابتها، كل يدلي بدلوه، وربما غيّر المجيب إجابته بعد زمان، وقد فعلت هذا؛ لهذا قلت لكم: يجوز أن نجيبها بكذا. انتقلنا بعدها إلى الممارسة الأولى، فلن يصل أي منا إلى المهارة حتى يمارس مرارا، وكل واحد بحسب ممارساته، واحد يكتفي ببعض المرات، وواحد يزداد ويتوسع، وآفة العلم النسيان؛ من كف منكم عن الممارسة ثقل إتقانه وضعف حتى امّحى، ولم يعد يدري عما كان يعرف شيئا، لهذا أوصيكم ونفسي بالممارسة -أو كما يقول التونسيون "أَنْ تَظَلَّ أَيدِيكُمْ فِي الْعَجِينِ"- لن نصل إذن إلى المهارة إلا بالممارسة، بعد أن نكون في المرحلة الأولى قد استعددنا، وفي المرحلة الثانية قد تعلمنا، نُقبل في المرحلة الثالثة على الممارسة. في المرحلة الأولى استعددنا، وهذا الاستعداد إما وراثي، وإما توليدي، أي إما أن يكون استعدادًا موروثًا، وإما أن يكون استعدادًا مولّدًا جديدًا. الاستعداد الموروث لا يد لك فيه، تلقَّيتَ الجينات من غير أن نتعب فيها. أما الاستعداد المولّد: ففيه تعب، يريد غير الموهوب فيه أن يوازي الموهوب بمزيد تعب، وسينجح -إن شاء الله!- جربنا هذا. بعد

(١) رابط هذه المنادمة في قناتي اليوتيوبية:

https://www.youtube.com/watch?v=e٩cGAfIYwVE&list=PL٠_bvBmuM٥ySq٦hXNd٤GWcNFIUaI٤uqCM&index=٤

وقد فرغتها نعمة إسماعيل، وراجعتها لها هبة سامي.

مرحلة الاستعداد تأتي مرحلة القدرة، وتكون بالتعلم، وأنت في الجامعة من أجل هذه المرحلة، من أجل أن نتعلم، لكنك تحتاج من أجل أن تصل إلى المهارة، إلى أن تمارس. في كلية التربية يتيحون نصيباً للممارسة في التدريبات العملية، يخرجون إلى الخارج. وفي كلية الآداب ظللنا نعاني حتى رصدنا للممارسة مقرر مشروع التخرج، ثم هناك في المقررات جانب من الممارسة. أنا الآن حينما أكلمكم كما قال بعض الناس، أمارس اللغة العربية، حينما أنشدكم أمارس، حينما أعلق أتذوق وأمارس... وهكذا، فنحن في ممارسات -وإن لم نخصص مثلاً مقررات معينة كمقررات كلية التربية للانقطاع للممارسة- فنحن نمزج التنظير بالتطبيق من داخل المقررات، إضافة إلى إنشاء مقرر مستقل، هو مشروع...

- التخرج.
- هو مشروع التخرج، الذي حرصت جامعات الخليج على أن تفرده بفصل كامل! طيب! فبدأنا ممارستنا الأولى من خلال هذه القصيدة البديعة لعبد الله البردوني "مغنٍّ تحت السكاكين"، قرأناها، وحققناها، ودققناها، ونافسنا بينكم في أدائها، تنبيهاً لكم على أهمية ضبط النطق -وهو الأساس الأول- لننتقل بعد هذا إلى التلحين منها، **فاخترنا بيتين: مطلعها -وهو أهم أبياتها- وبيتاً آخر يضمن لنا أن هذا الذي كان في مطلع القصيدة (أولها)، قد استمر فيها إلى مقطعها (آخرها)،** وتحرينا في البيت الذي اخترناه وأضفناه إلى المطلع أن يكشف لنا الخداع الذي في المطلع؛ فقد كان في منتصف هذا المطلع خداع، فاخترنا بيتاً آخر يكشفه لنا. كتبنا البيتين على السبورة، وأحسنّا الكتابة -وهذا هو جانب الإملاء- ثم شكّلناهما، وأحسنّا التشكيل -وهذا هو بقية الكتابة؛ الإملاء نصف، والتشكيل نصف، ومن كتب ولم يشكل فقد عمل نصف العمل- ثم لحّنا، هكذا لحّنا:

بِعَيْنَيْـ ـهِ حُلْمُ الصْـ ـصَبَايَا وَفِي حَنَايَا ـهُ مَقْبَـ ـرَةٌ مُسْـ ـتَرِيحَةْ
فَيُولَـ ـدُ فِي قَلْـ ـبِهِ كُلْـ ـلِ يَوْمٍ وَيَحْمِـ ـلُ فِي شَـ ـفَتَيْهِ ضَرِيحَهْ

حريصين على أن ننطق بالعصا كما ننطق بالفم، كما نتنفس بالفم نتنفس بالعصا، كما ندفع الأصوات -ها!- هكذا بالفم نعبر عنها بالعصا؛ فَيُولَـ= ددن د، ـدُ فِي قَلْـ= ددن دن، ـبِهِ كُلْـ= ددن دن، ـلِ يَوْمٍ= ددن دن...، للمتحرك دال، وللساكن نون في الدندنات- وبالعصا؛ للمتحرك ضربة،

وللساكن كَفَّةٌ عن الضرب، ... وهكذا. ثم أقبلنا ننزل هذا في التسجيل، نسجل، نقدم علمنا من خلال وسيلة التسجيل، من خلال كتابة هذا على ورقة، أو تقديمه في سي دي -ها!- أو الإجابة مباشرة شفاهة، أو ما شئتم- فكتبنا، كيف نفعل في التعبير عن التقطيعات؟ نحن في الأداء نسكت -طيب!- كيف نفعل على الورقة؟ استعملنا الخطوط التي كالسكاكين، نقطّع بها كما نقطّع الحلوى مثلًا، من أعلى إلى أسفل، نتحرى أن نضع الخطوط في وقت التغني لكيلا يتزحزح الخط يمينًا أو يسارًا، هكذا نضع الخط، أنا حينما كنت أكتب وأنتم ترون، كنت أعيد التغني لكيلا أخطئ.

بِعَيْنَيْـ ـهِ حُلْمُ الصْـ ـصَبَايَا وَفِي حَنَايَا هُ مَقْبَـ ـرَةٌ مُسْـ ـتَرِيحَةْ

بِعَيْنَيْـ|= ددن دن، خط بعد الياء وقبل الهاء، ـهِ حُلْمُ الصـ: ماذا نفعل في هذا؟ -الصاد مشددة، فلا بد أن نضع الخط بين الصاد وبين الصاد- فماذا نفعل؟ نضع شدة على الصاد، وننزل خطًّا من منتصف الشدة إلى قلب الحرف فأسفله، هذا هو الحل. صَبَايَا|= ددن دن، بعد الألف، وَفِي|= ددن، بعد الياء، حَنَايَا|= ددن دن، ...وهكذا. نتشدد في التدقيق، لأنك في الواجب أو الاختبار إذا أهملت هذا فوضعت لي الخط قبل مكانه أو بعده فقد أفسدت كل شيء، فستفعلون هذا، وبعضكم يحتالون عليَّ، فماذا يفعلون؟ يتركون الخطوط من أعلى، ويبدؤون من أسفل الكلام، أي بدلًا من وضع الخط من هنا من الأعلى هنا -ها!- ... يضحك عمر، ينوي أن يفعل هذا، صفر، صفر، يا عمر! بدلًا من أن يبدأ بالخط من هنا (من أعلى)، يبدأ من هنا (من أسفل)، كأنه يقول لي: الأمور طيبة -إن شاء الله!- الأمور طيبة! لا، بل خبيثة، لا طيبة! صفرا! لابُدّ من وضع الخط من أعلى إلى أسفل، أو أن تقطّع الأشياء كما فعلت أنا في الملف الورقي. ماذا فعلت أنا؟ جدولتها، ثم أخفيت حروف الجدول -ها!- نخرَجت كما عندكم في بطاقة التخريج شديدة الوضوح أوضح من هذا، خرجت عندكم أوضح من الخطوط، لكن مَن سيفعل هذا؟ بعضكم يفعله على الجهاز -إن شاء الله!- بعضكم يقدم عمله على الجهاز، أكثركم سيفعل. طيب! في الاختبار التحريري كيف سنفعل؟ ماذا ستفعل حينما تقدم هذا مباشرة إلى شخص أمامك؟ هذه أسهل، لكنها تحتاج إلى تدقيق شديد، فهذه الحيلة مكشوفة، بدء الخطوط من تحت، هذه مكشوفة وغير كافية، صفر، لا قيمة لها، خطأ، وإن كانت صوابًا! لا، لابُدّ أن تدلني على أنك تعرف الحدود، وتحسن غناء

الشعر، وأنك تميز بين "بِعَيْنَيْ"، و"ـهِ حُلْمُ الصْـ"، و"ـصَبَايَا"، إلى آخره، تمام؟ وضعنا الخطوط، ثم أقبلنا بعد التقطيع والتعبير عن التقطيع بهذه الخطوط التي كالسكاكين، نضع دندنات العصا أو القلم أو القدم أو الإصبع أو البيان عند طلاب الموسيقى أو الكمان أو كذا- أقبلنا نضع الدندنات كما ترون: للمتحرك نضع دالًا، وللساكن نضع نونًا بدقة شديدة، حتى فرغنا: بِعَيْنَيْـ= ددن دن، مؤمنين بأن الخليل كان يعرف هذا، وإن لم يضعه، أو لم يفعله الأخفش مثلًا وارث علمه، ولا مَن بعده، ولا ابن عبد ربه -مِن أقدم من ألف في العروض ابن عبد ربه في (العقد الفريد)- ولا أبو العلاء في مقدمة ديوان "لزوم ما لا يلزم"! إن لم يفعلوا فإن الروايات وطبيعة الممارسة تدلان على أنهم كانوا يعرفون حينما يغنون هذا، حينما يضربون معه على شيء يعرفون قطعًا، يعرفون. طيب! بعد هذا نضيف ما صنعه الخليل على الحقيقة، إذا لم يكن قد صنع الدندنات، فقد صنع التفعيلات، فنحن نضيفها ثالثًا، بعد التقطيع والتوقيع نضيف التفعيلات في مرحلة التفعيل، فنقول: بِعَيْنَيْـ= ددن دن، فعولن، نضعها، طيب! وحين يظهر لنا مصطلح "فعولن"، يُذَكِّرنا ضرورة أن نؤصّل نمطه الوزني (بحره)، تأصيلًا نظريًّا. نحن الآن -يا جماعة!- في قصيدة من بحر المتقارب، تكلمنا من قبل عن مصطلح البحر الذي اختاره الخليل ليسمي به النمط الوزني المعين، ماذا سماه؟ البحر. ولحكمة سماه هذا الاسم. وكذلك اسم "المتقارب" هذا، من الناس من يفسر سِرّ تسميته، ومنهم من يقول: الأسماء لا تعلل، ولكنني من شيعة المفسرين، لأن وجود السرّ المفسَّر دليل ذكاء وعبقرية ودقة وفهم ووعي؛ فنحن لا نسمي الأشياء عبثًا، لا، فلكل شيء من اسمه نصيب، ولا بد أن نحرص على هذا -ها!- أن نسمي أبناءنا أسماء دالة، وألا نعبث. سماه المتقارب لتقارب الأسباب والأوتاد في تفعيلاته: "فعو" في "فعولن"، قريبة من "لن"، وأظن أننا كتبنا هذا، فنحن نذهب إليها ندير حولها دائرة، ثم نقسمها هكذا، لنشير إلى "فعو" هذا بأنه...

- وتد.

- وتد مجموع، وإلى "لن" هذا بأنه سبب خفيف. ما حكاية الوتد والسبب؟ هما جزآ التفعيلة، وهي ربما كانت جزأين، وربما كانت ثلاثة، لكنها يستحيل أن تكون جزءًا واحدًا، لأننا في إيقاع، والإيقاع يحتاج إلى تكرار ترتيب مقاطع مختلفة، كأنها متضادة، فعو= ددن: متحركان فساكن، وتد مجموع، فالوتد ثلاثة أحرف، إما متحركان فساكن (وتد مجموع)، وإما متحركان بينهما ساكن

(وتد مفروق). ولن= دن: متحرك فساكن، سبب الخفيف، فالسبب حرفان، إما متحركان (سبب ثقيل)، وإما متحرك فساكن (سبب خفيف). عرفنا هذا، وعرفنا كذلك أن البيت من بحر المتقارب: "فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ"، مرتين. ما حكاية مرتين هذه، يا أستاذ؟ هذا تنبيه على أن الخليل كان حينما يتكلم عن أُسَر البحور يكتفي بأشطار الأبيات -انتبهوا، انتبهوا، لا تناموا!- يكتفي في البيان حين يتكلم عن أسر البحور في دوائره التي كلمتكم عنها وسأكلمكم عنها فيما بعد كلامًا خاصًّا مستقلًّا، بنصف بيت يديره في الدائرة، يقول لك: إذا كررته أخرجت بيتًا من هذا البحر. لماذا كان يكتفي بشطر؟ لأن الشطر كما قلت لكم، هو أقل مقدار من الكلام الموزون يصلح بيتا كما صلح نصف بيت. لم يكن البيت في الزمان الأول منقسمًا -تخيلوا!- كان من شطرٍ فقط، ثم طال حتى صار من شطرين، ثم صار في الشعر الموشح من أشطر كثيرة جدًّا، ثم رجع مرة أخرى في الشعر الحر إلى فلسفة أن تكون القصيدة كلها متماسكة غير منقسمة، أي عاد إلى عدم الانقسام؛ فقد بدأ إذن بعدم الانقسام، ثم انتهى إلى عدم الانقسام؛ بدأ في أول الشعر بعدم الانقسام، ثم انتهى في آخر الشعر بعدم الانقسام، سبحان الله! فكأنه تحرك في دائرة، حركة دائرية، مثل طبيعته الدائرية، سبحان الله! طيب! فلهذا ستجدوننا كل مرة نقول لكم: كذا كذا في اثنين، فهذا شطر تكرره لتخرج البيت من البحر. لماذا تكتفي بشطر؟ لما قلت لكم من أنه أقل مقدار مقبول من الكلام الموزون يصلح أن يكون بيتًا مستقلًّا، ويسمى عندئذ البيت المشطور، كما صلح أن يكون شطر بيت، كما رأينا في شعر المعلقات، ويسمى عندئذ صَدْرًا أو عَجُزًا، طيب! ثم ماذا؟ ثم أضفنا التوصيف بأن هذه الدوائر التي بنى عليها الخليل علمه، فأخرجت له هذا البيت من كذا، وهذا من كذا، وهذا من كذا، وعبّر عن كل منها بتفعيلات في أوضاع محددة- إذا جاءت التفعيلة على هذا الوضع سماها سالمة، وصفها بأنها سالمة، وإذا تغيرت جعلها متغيرة، وتأمَّلَ هذا، وضبطه، ووصفها بتغيرها، فمثلًا حَذْفُ "لُنْ" حَذْفٌ، والتغيرات كما اتفقنا، إما سهل وإما صعب؛ إما سهلٌ خفيف وإما صعبٌ ثقيل. أما السهل الخفيف فيصيب الحرف الثاني من السبب في العادة؛ إما بالتسكين إذا كان متحركًا، أو بالحذف إذا كان ساكنًا. وأما التغيير الثقيل فلا يقف أمامه شيء، يكتسح، يكتسح، وهنا ملحظان في التفريق بين التغيير السهل الخفيف والصعب الثقيل على رغم كل ما أضفناه من فروق- مهمان ستجدونهما في هذا الذي أمامنا، ما هما؟ أن

التغير السهل الخفيف يحدث ولا يحدث، أي يغيب ويحضر، أما التغيير الصعب فينبغي إذا ما حدث أن يبقى، لأنه زلزال، زلزال يصيب الموسيقى، وعلاج هذا الزلزال الوحيد أن تلتزمه لكيلا يشعر الناس به؛ فإنهم إذا بقوا يرون الزلزال مستمرا أحسوا أن هذه هي طبيعة الأمور، هذا إذن هو التغيير الشديد، أما إذا حدث وذهب فحدث وذهب فهذا يزلزل عمود الشعر، يزلزل طبيعة الشعر. طيب! التغيير السهل الخفيف إذن يسمى الزحاف، والتغيير الصعب الثقيل يسمى العلة، ذاك السهل الخفيف زحاف، وهذا الصعب الثقيل علة، وانظروا إلى التسميات! زحاف، زحاف كأن بعض الأجزاء يقترب من بعض، يزحف، فيقترب، انظروا كما قلت لكم في "دن دن ددن": ددن ددن، دن ددن، دددن، كل هذه التغييرات من زحاف "مستفعلن"، تحافظ لها على كيانها، ولا تدمرها. لكن انظروا إلى "مستفعلن" هذه حين تتحول بالعلة إلى "دن دن دن"، مستحيل! معقول! أهذه "مُسْتَفْعِلُن= دن دن ددن"! هذه "مُسْتَفْعِلْ دن دن دن"، شيء مدمِّر، بعلة معروفة تصيب "مُسْتَفْعِلُن"، لكن في مواضع محددة، وإذا ما أصابتها لزمتها، علة، مرض! ماذا قلنا إذن في التغييرات؟ هي قسمان: إما سهل خفيف يسمى الزحاف يصيب ثواني الأسباب بتسكين متحركها أو حذف ساكنها، ومن طبيعته أنه حر الحركة، يحدث في الأطراف وفي الأحشاء، وأنه يحدث ولا يحدث. طيب! والقسم الثاني؟ التغيير الصعب الثقيل الذي يسمى العلة، والعلة مرض، وهي تصيب ثواني الأسباب، والأسباب أنفسها، والأوتاد، والتفعيلة نفسها، والبيت كله، لا يستعصي عليها شيء، علة -ها!- مصيبة، مدمرة، تغيير صعب ثقيل يصيب كل شيء، ويكفيك اسمه "علة"، أعوذ بالله من العلل! طيب! هذا التغيير من خصائصه في مضادة الزحاف أنه مقيد الحركة، يحدث في الأطراف فقط، مقيد الحركة، لا يحدث إلا في الأطراف، ومن خصائصه أنه إذا حدث لزم فوجب عليك أن تكرره لماذا؟ لأنه زلزال، زلزال شديد، يهدِّم الموسيقى، كيف يقبل الناس موسيقاك وهي مهدَّمة! لكن إذا التزمته قالوا: لا، هذه طبيعة الموسيقى، من أولها تجري هذا المجرى، فهو عندئذ مقبول، اقبلوا هذا، ما دام قد التزمه فلا بأس. لكن أن تفعله ولا تفعله، هذا يزلزلها زلزلًا شديدًا، تمام؟ طيب! إذا طبقنا هذا على ما فعلناه في البيتين وجدنا مثلًا زحاف القبض، ما القبض؟ تحويل "فَعُولُن" إلى "فَعُولُ"، ما تحويل "فَعُولُن" إلى "فَعُولُ"؟ حذف ساكن السبب الخفيف متى كان خامس حرف في التفعيلة، تأمَّل: ددن

دن= ددن د، النون هنا خامس حرف في التفعيلة؛ وهي ساكن السبب، وحذفها زحاف سهل لطيف، اسمه القبض، تأمل؛ لقد حدث في مواضع مختلفة:

- ✓ حدث هنا في: ـهُ مَقْبَ= ددن د= فَعُولُ= مقبوضة،
- ✓ وحدث هنا في: فَيُولَ= ددن د= فَعُولُ= مقبوضة،
- ✓ وحدث هنا في: وَيَحْمِـ= ددن د= فَعُولُ= مقبوضة،
- ✓ وحدث هنا في: ـلُ فِي شَـ= ددن د= فَعُولُ= مقبوضة.

حر الحركة، وغير لازم، تأمل: جزء "بِعَيْنَيْـ" من أول البيت الأول -وهو تفعيلة سالمة- يُناظره جزء "فَيُولَ" من أول البيت العاشر، وهو تفعيلة مقبوضة! طيب! هذا التغيير الثاني الثقيل، هذا الحذف (حذف السبب الخفيف كله)، تغيير ثقيل صعب، يسمى العلة (علة الحذف)، والتفعيلة به محذوفة، فما علة الحذف إذن؟ أو ما الحذف؟ علة يحذف بها السبب الخفيف من آخر التفعيلة، يحذف السبب الخفيف كله من آخر التفعيلة؛ هذا إذن تغيير صعب ثقيل، يسمى العلة، وفيه يحذف السبب الخفيف كله من آخر التفعيلة، تتحول به "فَعُولُنْ" إلى...

- فَعُو.
- فعو: "فَعُولُنْ"= ددن دن، إلى "فَعُو"= ددن. هذا تغيير شديد، شديد! ينبغي إذا ما حدث أن يُلتزم، لكن العجيب أنه لم يلتزم، تأمل: "وَفِي"... -واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة- هذه التفعيلة الرابعة استعمل فيها الحذف، قال: "وَفِي"، ثم رجع عنه هنا -واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة (ـلَ يَوْمٍ)- فسلّم التفعيلة، ما هذا؟ يوشك هذا أن يزلزل العروض، أن يزلزل موسيقى الشعر، ولكنّ هذا الزلزال مع الأسف نجح، وقبله الناس! هذا زلزال موسيقي -نعم- ولكنه نجح، وقبله الناس! أتعرفون، لقد قلت لكم من قبل: تستطيع أن تفعل ما تشاء، ولن نعبأ بفعلك هذا، لا قيمة له عندنا إلا بشرطين، ما هما؟ من يذكر؟ ها، مسعود!
- أذكر الأول: أن نتـ...
- أن نتواتر على استعماله...
- الأجيال.
- أجيال الشعراء. الثاني، يا عمر!

- أن نتقبّله...
- أن نتواتر على قبوله أجيال...
- أجيال المتلقين.
- وقد حدث، حدث مع الأسف، أنا لا أنكر أن هذا زلزال موسيقي -هو زلزال لكن يبدو أنه ياباني! اليابان بلاد زلازل بلا ريب، عادي، كل يوم زلزال، عادي، لا مشكلة، لكن في مسقط يهرب الناس، لو حدث هذا، يهربون، يعودون إلى البلاد، ها! حتى إنهم في اليابان يبنون البيوت للزلازل، يؤسسونها عندهم على طريقة تناسبها، ها! طريقة متزلزلة -ههه!- ترقص مع الزلازل، رقصًا يابانيًّا! هذا مقبول، لا بأس، هكذا الحياة، لابُدّ أن تجري، تعوّدوا على هذا!- ماذا نفعل؟ ماذا علمنا الخليل في هذا المقام؟ علمنا أن نسمي هذه العلة علة جرت مجرى الزحاف؛ هناك إذن علة تفاجئنا بأنها تحدث ولا تحدث، أي لا تلزم، وهذا شذوذ، هذا غير متعوَّد عليه، فراعاها كذلك، وسماها علة جرت مجرى الزحاف؛ قد نجحت، فماذا نفعل؟ وهو مضطر على رغم أنه يعرف أنها زلزال شديد، إلى الاعتراف بها، وإدخالها في العلم، وتخصيصها بأنها علة جرت...
- مجرى الزحاف.
- مجرى الزحاف. وستفاجؤون في مكان ما -لا أذكره الآن- بزحافات تجري مجرى العلة، أي بالعكس! لكن هذا كله شذوذ، والشذوذ لا يقاس عليه، عندكم مثلًا في النحو والصرف وكل شيء، تشذّ أشياء لم يكن ينبغي أن تشذّ، فماذا تفعلون؟ هل ثبتت؟ هل استعملها الفصحاء؟ هل قالوها؟ هل قبلها الناس؟ إذا قبلوها، ووصلت إليك- وجب عليك أن تعتبرها، وتصفها بأنها شاذة. ما جمع "مصيبة" مثلًا؟ مصائب؟ هذا شاذ أصلًا، المفروض "مصاوِب" -طيب!- ما الفعل من الاستحواذ على الأشياء؟ استحوذ؟ المفروض "استَحَاذ"، و"استحْوَذ" شاذ! لا يعني وصفه بالشذوذ أنه قبيح، لا، الشاذ هو غير الخاضع للقاعدة، وربما كان في القرآن - "اسْتَحْوَذ" نفسه في القرآن: "اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ"، صدق الله العظيم!- فكيف يكون قبيحًا! ماذا يقول العلماء في هذه الشذوذات إذن، يا جماعة؟ تحفظ، ولا يقاس عليها؛ فهنا في البيت من بحر المتقارب، يجوز لك في العروض أن تحذف التفعيلة حذفًا غير لازم، على رغم أنه زلزال؛ لهذا ستجدون الشاعر في هذه القصيدة، يراوح بين الحذف والقبض والتسليم، أما التسليم فلا علة فيه

ولا زحاف، وأما القبض فزحاف، وأما الحذف فعلة، قد راوح الرجل بين السلامة من التغيير، والتغيير الخفيف السهل الرِّخْو -وهو الزحاف- والتغيير الثقيل الصعب الشديد، وهو...

- العلة.
- العلة. أرأيتم! وقلده الشعراء، وقبله الناس، فماذا نفعل؟ أنا مضطر إلى إدخال هذا تحت عنوان: العلل التي تجري مجرى الزحاف، وهو عندكم في كتاب "ميزان الذهب"، وعندكم كذلك عنوان بالعكس "الزحافات التي تجري مجرى العلة"، ها، تمام؟ طيب! **الآن أظن أنني فرغت من التنظير، فنحن الآن ينبغي أن نعود إلى القصيدة لنبدأ معًا تلحينها بقراءتها والعزف عليها في وقت واحد،** وقد جرت عادتي من أكثر من ثلاثين سنة، على أن أوصي الطلاب قبل بدء هذا العمل الجماعي، فأقول لهم:

- ✓ "شُدُّوا دَسَاتِينَ أَعْوَادِكُمْ،
- ✓ وَأَحْمُوا طُبُولَكُمْ وَدُفُوفَكُمْ،
- ✓ وَاشْرَبُوا، وَاطْرَبُوا،
- ✓ وَلَا يَتَقَدَّمَنَّ عَازِفٌ عَازِفًا
- ✓ فَإِنْ ظَنَّ أَنَّهُ يُحْسِنُ فَإِنَّهُ يُسِيءُ
- ✓ وَاجْعَلُوا النَّغْمَةَ أَكْثَرَ زُرْقَةً"!

وستسمعون هذه العبارة الطويلة مني كل مرة، كل مرة، فما معناها؟ "شدوا دساتين أعوادكم"، الدساتين هي المفاتيح التي في طرف العود، في يد العود، تُشد بها الأوتار حتى تتوتر، ثم يزداد توترها، فتصفو أصواتها، شدوا دساتين أعوادكم. "وأحموا طبولكم ودفوفكم"، هذه المكسوة بالجلد تحتاج إلى أن يشتد جلدها ليصفو صوته، فماذا نفعل؟ كنا في قريتنا نضعها على النار من بعيد، فإذا ما سخنت صفت أصواتها واشتدت. "واشربوا، واطربوا"، نحن في عمل من الطرب -يا جماعة!- من السَّلْطَنة، وهذا الطرب محتاج إلي أن تتهيأ له بهيئته:

"أَدَبُ الشَّرَابِ إِذَا الْمُدَامَةُ عَرْبَدَتْ فِي كَاسِهَا أَلَّا تَكُونَ الصَّاحِي"!

أو كما قال الأخطل، قاتل الله شيطانه! أدب هذا المقام أن نطرب جميعًا، لابُدّ لكل واحد من أن يفعل ما يساعده على الطرب: أن يتذكر شيئًا حدث له سعيدًا، أن يتذكر عبارة جميلة قيلت له

في الصباح، أن ينتعش هكذا... أن ينتعش! اشرب، اشرب شيئا من القهوة العمانية، اشرب عصير التوت الأسود الذي أحبه، جهز نفسك للسعادة هكذا... للسعادة؛ اشربوا، واطربوا! "ولا يتقدمن عازف عازفا فإن ظن أنه يحسن فإنه يسيء"؛ وعملنا جماعي، ينبغي ألّا يتقدم فيه عازف عازفا، يظن بعضكم أنه -ما شاء الله!- ممتاز، عالِم، أعلم ممن حوله؛ فيبادر، يتقدم، أو يتأخر؛ هذا مسكين! هذا جاهل لا عالم، هذا جاهل! في العمل الجماعي لا يجوز أن يسبق عاملٌ عاملًا، ينبغي أن نتحرك على قلب عامل واحد، عازف واحد؛ ولا يتقدمن عازف عازفا فإن ظن أنه يحسن...

- فإنه يسيء.
- فإنه يسيء، هذا الذي يسمونه "يغرد خارج السرب"، هذه عبارة مشهورة هذه الأيام، "يغرد خارج السرب". لَا، لابُدّ أن تكون في السرب -ها!- يد الله مع الجماعة، و"إِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ مِنَ الْغَنَمِ...
- القاصية.
- القاصِيَةَ"! آه، ينتظر حتى تنفرد غنمةٌ من الغنم هكذا، ينقض عليها، لكن لو كانت في المجموع لالتفتت إليه الكباش فنطحته -ها!- مهما كان هذا السبع، مهما كان، مهما كان! من اللطائف هنا التي أذكرها لكم، -ها!- لطيفة لا يعرفها لا الكبار ولا الصغار! ما الفنان في أصل لغتنا؟ الفنان هو حمار الوحش -نعم- حمار الوحش هو الفنان؛ لماذا جعلوه الفنان؟ أنا أدّعي أن لهذا سببًا، ما هو؟ خلق الحق -سبحانه، وتعالى!- حمر الوحش مخططة لتُعمي عيون السباع، لأنها إذا تلاقت موّهت على السبع؛ فلم يميز بعضها من بعض، لتداخل خطوط أجسامها -هِهِه!- يحار المسكين، فيظنها حمارا واحدا ضخما، لا أول له ولا آخر! أرأيتم الفن العظيم! يا سلام! أي فن هذا! الفنان عند العرب إذن حمار الوحش، ثم توسعوا في الكلمة. طيب! من أين جاءه الفن؟ من أين جاء الفنُّ هذا الحمار؟ نشتم الشخص بحمار نقول: هذا حمار، لا، هذه إهانة للحمار لا الإنسان! تأملوا حمار الوحش، هذا المخطط، حينما تلتقي الحمر، فتصنع هذه الصورة الجليلة المهيبة التي تُموّه على السبع، فلا يدري أين هذا من ذاك، من ذلك! فيخاف؛ يقول في سرّه: هذا كائن جبار، هذا ديناصور ضخم، هذا لا يُهاجَم ولا يُقدَر عليه! يد الله مع الجماعة؛ فلا يتقدمن عازف عازفًا، فإن ظن أنه يحسن...

- فإنه يسيء.

- فإنه يسيء. ثم تأتينا العبارة الأخيرة "واجعلوا النغمة...
- أكثر زرقة.
- أكثر زرقة": عبارة قرأتها في أحد كتب الموسيقى التي أراجعها كثيرًا، كتاب "دعوة إلى الموسيقى"، لأحد قادة الأوركستر، يحكي عن قائد أوركستر -ربما كان قائد الأوركستر العُماني!- يلتفت إلى العازفين في أثناء العزف فجأة، فيقول لهم: اجعلوا النغمة أكثر زرقة! ما هذا؟ كيف يجعلونها أكثر زرقة؟ وهل للأنغام ألوان أصلا! هذه زرقاء، وهذه أكثر زرقة، وهذه صفراء، وهذه حمراء، هذا بلا ريب من تَراسُل الحواسّ، والتعبير غامض، ولكن التعبير الغامض أوضح أحيانا من التعبير الواضح! كيف هذا! كيف يكون التعبير الغامض أوضح؟ حين يعبر عن شيء لا يُحدَّد بالصفات: سأل هارونُ الرشيد إسحاقَ الموصلي: ما الموسيقى؟ فقال له: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ مِنَ الْأَشْيَاءِ أَشْيَاءَ تُحِيطُ بِهَا الْمَعْرِفَةُ، وَلَا تُؤَدِّيهَا الصِّفَةُ! يا سلام على الكلام الجميل! قال له ما الموسيقى؟ فلم يجد لها تعريفًا كافيًا -لو سألني أنا لقلت له: الموسيقى ضوضاء منظمة، لكن إسحاق الموصلي شخص عظيم، قال له هارون الرشيد مرة: لَوْلَا الْغِنَاءُ لَوَلَّيْتُكَ الْقَضَاءَ! كان شُخوصًا من العلماء والفنانين في شَخْصٍ واحد، وكان كريم الأخلاق، ولهذا قال له: لَوْلَا الْغِنَاءُ لَوَلَّيْتُكَ الْقَضَاءَ- سأله، فأجابه إجابة الكبار لا إجابة الصغار من أمثالي، قال له: ما الموسيقى؟ فلم يقل ما تخيلت أن أقول، بل أجاب هذا الجواب الحكيم: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ مِنَ الْأَشْيَاءِ أَشْيَاءَ تُحِيطُ بِهَا الْمَعْرِفَةُ (نحس بها في أنفسنا)، وَلَا تُؤَدِّيهَا الصِّفَةُ (لا نقدر على وصفها وصفًا كاملًا، فالصفة دائمًا عاجزة عن وصفها)، فما الحل -ها!- ما الحل؟
- نصفها من بعيد.
- لا، أن نصفها...
- بالغامضة.
- بالعبارات الغامضة، الله عليك، يا ابنتي! مَن؟
- منى.
- منى، هذا هو الكلام، الحل أن نصفها بالكلام الغامض، الحل في هذه الأشياء أن توصف بالكلام الغامض، وهذا الكلام الغامض عندئذٍ أوضح من الواضح، ها! والواضح فيها أغمض من الغامض،

تِهتمُ.. ضعتم ها! عندنا كلمة مشهورة لأدونيس يقول فيها: ما أغمضك أيها الكلام الواضح! يا سلام على الكلام الجميل! ما أغمضك أيها الكلام الواضح! كيف يكون الكلام الواضح غامضًا! إذا عبّرت به عن الغامض؛ فالتعبير بالكلام الواضح -هذا رأيي، فاقبلوا أو ارفضوا؛ أنتم أحرار- إذا عبرت عن المعنى الغامض فقد أغمضت، كيف، يا أستاذ! ينبغي -حتى تكون مخلصًا- أن تعبر عن الغامض بالغامض، حتى يشرد الناس ويفكروا ويقولوا: ها! ربما كان كذا أو كذا، وعندئذ يتخيلون الشيء الغامض كما ينبغي. شُدُّوا إذن دَسَاتِينَ أَعْوَادِكُمْ، وَأَحْمُوا طُبُولَكُمْ وَدُفُوفَكُمْ، وَاشْرَبُوا، وَاطْرَبُوا، وَلَا يَتَقَدَّمَنَّ عَازِفٌ عَازِفًا -فَإِنْ ظَنَّ أَنَّهُ يُحْسِنُ فَإِنَّهُ يُسِيءُ- وَاجْعَلُوا النَّغْمَةَ أَكْثَرَ زُرْقَةً! نبدأ بما بدأنا ونكمل -ها!- معي، معي تلحّنون، تؤدون أداءً ملحّنًا، وتعزفون في الوقت نفسه بالأقلام أو الأقدام أو الأصابع أو المفاتيح أو الجوّالات (الهواتف المحمولة) -ها!- الأَبِلْ خاصةً، ها!

- بِعَيْنَيْـ= ددن دن

ـهِ حُلْمُ الصْـ= ددن دن

ـصَبَايَا= ددن دن

وَفِي= ددن

حَنَايَا= ددن دن

هُ مُقَبْـ= ددن د

ـرَةٌ مُسْـ= ددن دن

ـتَرِيحَةْ= ددن دن

- ها!

- لَنَيْسَا= ددن دن

نَ يَشْدُو= ددن دن

وَفِي صَدْ= ددن دن

رِه= ددن

شِتَاءٌ= ددن دن

عَنِيفٌ= ددن دن

طُيُورٌ= ددن دن

جَرِيحَةْ= ددن دن

- ها!

- بِلَادٌ= ددن دن

تَهُمُّ= ددن دن

بِمِيلَا= ددن دن

دِهَا= ددن

بِلَادٌ= ددن دن

تَمُوتُ= ددن د

وَتَمْشِي= ددن دن

ذَبِيحَةْ= ددن دن

- ها!

- بِلَادَا= ددن دن

نَ دَاخِ= ددن د

لَهُ هَـ= ددن دن

ـذِه= ددن

جَنِينٌ= ددن دن

وَهَذِي= ددن دن

- حاول ابننا أن يقول: ـذِهِ جَـ، حتى تكون ددن د= فَعُولُ= مقبوضة، لكن لمّا حاول أن يكمل لم يستقم، تأملوا:

ـذه جَـ= ددن د

ـنِينٌ وَهَذِي= دن دن ددن دن

انكسر الوزن! محاولة فاشلة، أعد المحاولة مرة آخرى -هذه كالعبارة المسجلة على الهواتف!- ها!

- بِلَادَا= ددن دن

نَ دَاخِ= ددن د

لَهُ هَـ= ددن دن

ـذه= ددن

جَنِينٌ= ددن دن

وَهَذِي= ددن دن

عَجُوزٌ= ددن دن

طَرِيحَةْ= ددن دن

- ها!

- وَآتِ= ددن دن

إِلَى مَهْـ= ددن دن

ـدِه يَشْـ= ددن دن

ـرَئِبُّ= ددن د

وَمَاضٍ= ددن دن

يَئِنُّ= ددن د

كَثَكْلَى= ددن دن

كَسِيحَةْ= ددن دن

- ها!

- زَمَانَا= ددن دن

نَ دَاخِ= ددن د

لَهُ يَغْـ= ددن دن

ـتَلِي= ددن

دُجًى كَالْـ= ددن دن

- ها! هذه البنت النائمة تغرد خارج السرب، ماذا قالت؟ قالت:

تَلِي دُ

ما شاء الله، ممتازة! لكن أكملي: "ـجًى كالْ= دن دن"، دمَّرتِ الإيقاع! أنت سعيدة طبعا بإتمامك النصف الأول، سعيدة بإتمام بعض العمل، وبعضه الآخر ما خَبَرُه؟ لا، لم يخطر لك على بال. مسكينة، مسكينة! ينبغي أن ترمي ببصرك إلى الأمام، ألا تفرحي بالنجاح المؤقت، سبحان الله! هذه حكمة الدنيا، هذه كأنها حكمة الدنيا، سعيدة بأنك أتممت النصف الأول -ها!- وعندك نصف آخر لم يتم! أعيدوا، ها!

- زَمَانَا= ددن دن

ن دَاخِـ= ددن د

ـلَهُ يَغْـ= ددن دن

ـتَلِي= ددن

دُجًى كَالْـ= ددن دن

أَفَاعِي= ددن دن

وَتَنْدَى= ددن دن

صَبِيحَةْ= ددن دن

- ها، أين الملفات؟ أين الملفات؟ تركها بعضكم في البيت -ها!- ولِمَن تركها؟ لِمَن؟ لمساعديه مثلًا في البيت من الشياطين -ها!- له خليل من الجن على طريقة الشعراء، رِئِيٌّ من الجن، ها! كان للأعشي شيطانٌ قَرِينٌ، كان يسميه مِسْحَلًا -شيطانه اسمه مسحل، ها! هذه أسطورة معروفة طبعا، يقول: أنا لي شيطان! أنا كذلك كان لي شيطان، كنت أسمّيه وأكتب عنه! فكان الشاعر يقول: "وَلِي صَاحِبٌ مِنْ بَنِي الشَّيْصَبَانِ... -بنو الشيصبان قبيلة الجن -بسم الله!- اسمها الشيصبان، عندك قبيلة الحارثي، وقبيلة الكندي، وقبيلة المحروقي، هذه قبيلة من الجن اسمها الشيصبان، عادي، الواحد منها شيصباني، تقول: فلان الشيصباني هذا من قبيلة الجن!-:

وَلِي صَاحِبٌ مِنْ بَنِي الشَّيْصَبَانِ فَطَوْرًا أَقُولُ وَطَوْرًا هُوَهْ"!

- ههه!
- فَطَوْرًا أَقُوْلُ...
- وَطَورًا هُوَهْ!

- وَطَورًا هُوَهْ! فصاحبنا ترك الملف في البيت لصاحبه، لقرينه من الجن، ربما أعانه الله عليه، فأسلم؛ فهو عند طاعته، يقول له: طبّق لي حتى أرجع لك في المساء! يا جماعة، سأتسلم هذه الملفات كاملة -ها!- وعليها عشر درجات، تخرج الحي من الميت والميت من الحي، يعني تُدخل وتُخرج، وتُخرج وتُدخل، أنتم أحرار؛ فلا يلومنَّني أحد! أين الملفات؟ أين؟ في البيت، طيب! دعها لقرينك من الجن! ها!

- ورَغَمْ= ددن د

صَرِيرِ السْـ= ددن دن

ـسكَاكِيـ= ددن دن

ـنِ فيهِ= ددن دن

يغَنِّي= ددن دن

يغَنِّي= ددن دن

ويَنْسى النْـ= ددن دن

ـنصيحَةْ= ددن دن

- لدينا هنا لطيفة! إذا عرضت هذا البيت على شخص من عموم المثقفين، قال لك: هذا البيت فيه خطأ. ما الخطأ يا أخي؟ "يُغَنِّي" مكررة -ههه!- سيقول: "يُغَنِّي" مكررة، خطأ؛ احذف "يُغَنِّي" الثانية! لو كنتَ من علماء العروض -وطالب العلم هو العالِم- لقلتَ له: مسكين! قد أراد الشاعر تكرارها، ولا يستقيم الوزن إلا بتكرارها، لأننا إذا حذفناها صارت التفعيلات سبعًا، والبيت من بحر المتقارب مثمّن (ثُمانيّ تفعيلات)، نصفه أربع تُكَرَّر، عُدّ معي:

ورَغَمْ| صَرِيرِ السْـ| ـسكَاكِيـ| ـنِ فيهِ| يغَنِّي| ويَنْسى النْـ| ـنصيحَةْ

سبع تفعيلات، أخطأت إذن، يا مسكين! دع العلم لأهله، اسألوا أهل الذكر، ونحن أهل الذكر، والحاسوب يخطُّ لك خطًّا أحمر تحت "يُغَنِّي" الثانية، خطأ، خطأ؛ احذف حتى تريح الحاسوب وترتاح من إزعاجه، فكلما خط لك بالأحمر تحت كلمة حذفتها! مسكين! تُرى ماذا سيفعل الحاسوب إذا ما قرأ قول الفيتوري:

"وَأَنَّي وَأَنَّي وَأَنِّي يَا أَيُّهَا العَائِدُ مِنْ غُرْبَتِهِ يَا وَطَنِي"!

سيحذف "وَأَنَّنِي" الثانية والثالثة!

أم ماذا سيفعل بقول أحمد بخيت:

"أَنَا مَنْ رَأَى أَنَا مَنْ رَأَى أَنَا مَنْ رَأَى وَطَنًا تَجَسَّدَ فِي امْرَأَةْ"!

هل يدمره تدميراً! لا، لا، نحن أعلم بهذا، لا الحواسيب، نحن أهل الذكر، على رغم أننا الآن في طور تعليم الحاسوب علم العروض، ولكنه لا يتعلم -"عَلِّمْ فِي الْمُتَبَلِّدْ يِصْبَحْ نَاسِي"- كلما قلت له: كذا، لم يفهم، كيف؟ هذا طرب -يا أخي!- طرب، هذا طرب! كيف يطرب الحاسوب، كيف يطرب، كيف! طيب! إلى أين وصلنا؟ ها، معًا، معًا، ها!

- فتخضر= ددن دن

ـر عاف= ددن د

ية الفنـ= ددن دن

ـن فيه= ددن دن

وأوجا= ددن دن

عه وحـ= ددن دن

ـدهن الصـ= ددن دن

ـصحيحة= ددن دن

أيا شمـ= ددن دن

ـعة العمـ= ددن دن

ـر ذوبي= ددن دن

يلح= ددن د

فتسخو= ددن دن

وتومي= ددن دن

أأبدو= ددن دن

شحيحة= ددن دن

- ها اللهُ، ها اللهُ، ما شاء اللهُ! أنتم أحسن من استمعت إليهم، إخوانكم في الشُّعَب الأخرى يتعثرون، يبدو أنكم سألتموهم، وتعلمتم منهم!
- لا، لم نسألهم!
- لا، لا، من غير سؤال تعرفون! بارك اللهُ فيكم! عاشوا، عاشوا، "فيكم طرب، وفيكم وناسة"!
- ههه!
- لكنني لاحظت على مسعد أنه لا يشاركنا، مسعد رجل متدين، ما له وللغناء والمغنين؟ ها! قاتلهم اللهُ! لكن ماذا يفعل في قول رسول الله -صلى اللهُ عليه، وسلم!- لأهل العُرْس: غَنَّيْتُمْ؟ فقالوا: لا، فقال لهم: هلّا قلتم:
"أَتَيْنَاكُمْ أَتَيْنَاكُمْ فَحَيُّونَا نُحَيِّيكُمْ"!
يعلمهم كيف يغنون في العرس؟ يغنون! معقول! نعم، يغنون، يعلمهم الأغنية التي يغنونها، ها! يا أخي، الحلال حلال، والحرام حرام، المشكلة في تشويه الناس للحلال والحرام.
- صح.
- لكن الأمور بيّنة، الحلال بيّن والحرام بيّن، المصيبة في تشويه الناس للحلال حتى يبدو حرامًا، وللحرام حتى يبدو حلالًا، وليس منهم مسعد، إن شاء اللهُ! هيا، اقرأ، واعزف أنت وحدك، بقلمك. إلى أين وصلنا؟ إلى العاشر؟ هذا؟ لا، فرغنا منه على السبورة، انتقل إلى الحادي عشر.
- فَيُولَ
- اعزف، اعزف!
- أحتاج إلى ليلى!
- لا، اعزف بالآلات، بالقلم! لكل واحد ليلاه، كلٌّ يغنّي... لا، لا، ماذا قال الشاعر؟
"كُلٌّ يُغَنِّي عَلَى لَيْلَاهُ مُتَّخِذًا لَيْلَى مِنَ النَّاسِ أَوْ لَيْلَى مِنَ الْخَشَبِ"!
ليلاي أنا من الخشب، هذه ليلى، لكل واحد ليلى، ها! وأحيانًا تُطلق ليلى على اللغة العربية، وأحيانا تطلق على الأمة الإسلامية، أو على الأمة العربية، ها! كلٌّ واحد حر في ليلاه، استمعوا إلى مسعد!
- فَيُولَ= دن د

- سقط صوت! أعد، اضرب على الخشب حتى نسمع!
- فَعُولُنْ = ددن د
ـدُ فِي قَلْـ= ددن دن
ـبِهِ كُلْـ= ددن دن
ـلِ يَوْمِ= ددن دن
- "ـلَ يَوْمٍ"، لا "ـلِ يَوْمِ"!
- ـلَ يَوْمٍ= ددن دن
وَيَحْمـ= ددن د
ـلُ فِي شَـ= ددن د
ـفَتَيْهِ= ددن دن
ضَرِيحَهْ= ددن دن
- هذه فرغنا منها، أنا أطالبك بالحادي عشر، اقرأ الحادي عشر!
- يُوَالِي= ددن دن
فَيَرْفُـ= دن د
- ها، ها، أعد، أعد!
- يُوَالِي= ددن دن
فَيَرْفُـ= ددن د
- خطأ! ها! هي "فَيَرْفُـ= ددن د"، نعم، أحسنت، لكنك أخطأت العزف، ها!
- يُوَالِي= ددن دن
فَيَرْفُـ= ددن د
- أحسنت، يُوَالِي= ددن دن، فَيَرْفُـ= ددن د، أعد وأكمل!
- يُوَالِي= ددن دن
فَيَرْفُـ= دن د
- ها! أسقطت صوتًا، أسقطت ضربة.

- هذا نغم!
- "ما لي خُصّ"! كل هذا معتبر في الاختبار: لتخريج كل بيت في الاختبار خمس درجات، للخطوة الأولى درجتان، وللثانية درجة، وللثالثة درجة، وللرابعة درجة؛ فأهم الخطوات الخطوة الأولى قطعا؛ للأولى ضعف ما لكل واحدة مما بعدها، والأمور محسوبة كأننا في حساب، في رياضيات، مستحيل أن يخرج شيء، الأمور مضبوطة، ها! يُوَالِي، قلتها مرة صحيحة!
- يُوَالِي= ددن دن
فَيَرْفُ= ددن د
ـضُ نِصْفَ أَلْ= ×
- ها! خطأ، مَن يقول: "ضُ نِصْفَ أَلْ"، إلا المذيعين والمذيعات الأحياء منهم والأموات!
- يُوَالِي= ددن دن
فَيَرْفُ= ددن د
ـضُ نِصْفَ الْ= ×
- لا، ليس من العرب من يقف قبل همزة القطع، ليقول مثل ما تقول، مستحيل! وقد علّمتكم أن الشعر من هذه اللغة، يجري مجراها، ولا فرق! حتى يتبين لنا بما لا يُردّ، أن الشاعر خالف اللغة، ولا نجترئ على القول بهذا حتى نتيقن به، وفيما سوى هذا نحكّم اللغة العادية. ها!
- يُوَالِي= ددن دن
فَيَرْفُ= ددن د
ـضُ نِصْفَ الْ= ددن دن
ـوَلَاءِ= ددن د
وَيُبْدِي الْ= ددن دن
ـعَدَاوَا= ددن دن
ت جَلْوَى= ددن دن
صَرِيحَةْ= ددن دن
- أحسنت يا مسعد! عمرا!

- نفسه؟
- لا! نفسه، تقول: نفسه! ما شاء الله! نصاب!
- دكتورا! نسقط ألف الوصل في بداية كل الكلمات؟
- نعم، إلا أن تكون أول الكلمة الأولى، أو ما أُجْرِيَ مُجْراها؛

يُوَالِي| فَيَرْفُ| ـضُ نِصْفَ الْ| ـوَلَاءِ| وَيَبْدِي الْ| ـعَدَاوَا| تِ جَلْوَى| صَرِيحَةْ

حتى يستحيل عليك، وفي العادة لا يستحيل، إلا نادرًا فيما يسمى الضرورة، هل سمعتم بالضرورة الشعرية؟

- لا.
- ما الضرورة الشعرية؟ ظاهرة شعرية يخالف فيها الشاعر معهود اللغة، من أجل أن يدهشك، وأن يقيم وزنه، لا من أجل أنه لا يستطيع إلا هذا، لا، الشاعر الكبير يقدر على كل شيء، لكن أحيانا يريد أن يدهشك، فعندئذٍ يخالف معهودك من اللغة، يغيّر، لكن هذا محدود، قليل، أما أكثر الشعر فعلى طريقتنا في الكلام، فكما تقول في العادة: "نِصْفَ الْوَلَاءِ"، تقول في الشعر، وكما تقول: "يبْدِي الْعَدَاوَاتِ"، تقول في الشعر، لا تقول: "نِصْفَ أَلْوَلَاءِ"، ولا "يبْدِي أَلْعَدَاوَاتِ"، مستحيل هذا! مستحيل! ها! عمر!
- لَهُ وَجْـ= ددن دن

ـهُ الْقِرْ= ددن دن

دُ لَا يَرْ= ددن دن

تَدي= ددن

وُجُوهًا= ددن دن

تُغَطِّي= ددن دن

الْوُجُوهَ= ×

تُغَطِّي الْ= ددن دن

ـوُجُوهَ= ددن د

الْقَبِيحَةْ= ×

ـوُجُوهَ الْـ= ددن دن

ـقَبيحَةْ= ددن دن

- أرأيتم كيف أخطأ فصحح! ماذا فعل؟ وقف قبل همزة الوصل، ثم انتبه بعدما نبهنا مسعدًا -ها!- يبدو أن الشخص يحتاج أن يخطئ حتى يتعلم من الخطأ، نحن نتعلم بالأخطاء أكثر مما نتعلم بالأَصْوِبَة! قال في الأول: تغطي، وفرح بـ"تغطي= ددن دن، فعولن، سالمة"، ما شاء الله! لكنه انتقل إلى "الْوُجُوهَ"، فقال: ما هذا؟ ورّطت نفسي؛ فرجع، فقال: "تُغَطِّي الْـ"، ثم كررها سعيدًا بما ارتكب، فقال: "ـوُجُوهَ= ددن د، فعول، مقبوضة" -ما شاء الله!- فورّط نفسه في "أَلْقَبيحَةْ"، ما "أَلْقَبِيحَةْ" هذه؟ لا تتزن، فرجع فقال: "ـوُجُوهَ الـ| قَبِيحَةْ"، أحسنت! أحسنت! ثم مَنْ مَنَ مِنَ الفتيات؟ ها! مَن؟ مَن؟ أصيلة التي غابت عنا المرة الماضية، وحضرت في غير مكانها، وهو تصرف عاقل، إذا ما غاب واحد عن محاضرة فمن الواجب أن يدرك، ونحن بحمد الله عندنا ثلاث شعب بل أربع شعب، لكن الرابعة في الموسيقى! هل سمعتم عن المشكلة التي حدثت؟ طالبة في قسم اللغة العربية سجلت المقرر مع طلاب الموسيقى، وقَبِلَها النظام، والمقرر عندهم في الموسيقى ساعتان، ما شاء الله! يعني ضاع منها ثلث الدرجة، وذهبت لتُعدِّل فلم تستطع؛ ستعيش الفصل كله مع طلاب الموسيقى، وأنا هناك أدرس بطريقة غير الطريقة؛ هناك نعيش مع الأغاني والعزف وكذا، وندرس هذا من خلال الأغاني -ها!- من خلال نصوص أغاني أم كلثوم وعبد الوهاب وفريد الأطرش! ممتع طبعا -ها!- تستمتع طوال الفصل، لكن في النهاية تحصل على ثلثي الدرجة -هذا إذا حصلت على الممتاز- ثلثي ممتاز، مسكينة! ينبغي أن ينتبه الشخص عند التسجيل، ها، أصيلة!

يُعَرّي فَضَائِحَ هَذَا الزَّمَانِ وَيَعْرَى -يبدأ بنفسه- فَيَبْدُو...

- كَأَنْقَى فَضِيحَةْ!
- كَأَنْقَى فَضِيحَةْ! اقرئي أولًا، اقرئي، يا أصيلة! هذه حفيدتي أصيلة، بنت بنتي؛ مجازًا، ها! اقرئي!
- ...
- ارفعي صوتك، أم هو شعر سري! الله! ما شاء الله! كلام سليم مئةً بالمئة، فلماذا تقولينه في السر؟ ألأنه فضائح مثلًا؟ فضائح هذا الزمان، كأنها تقول: نستر عليه، لعل الله أن يستر علينا جميعًا! هذا

من العبقرية، هذا أداء عبقري من ملاءمة الحال، لم تفكر هي طبعا في شيء من هذا، لكنني أحاول أن أرفعها إلى مقام العبقرية: لما جاءت إلى بيت يتكلم عن الفضائح، خفضت صوتها، ها!

- يُعَرِّي= ددن دن
فَضَائِـ= ددن د
ـحَ هَذَا الزْ= ددن دن
زَمَانِ= ددن د
وَيَعْرَى= ددن دن
فَيَبْدُو= ددن دن
كَأَنْقَى= ددن دن
فَضِيحَةْ= ددن دن

- على رغم أن الرجل لا يخجل من فضائحه يبدأ بنفسه أصلًا! ها! وأخيرًا! مِن الفتيات، مَن؟ من؟ ها، ها! نريد رحمة لتكفّر عما بدر منها -هل رفعت يدكِ؟- وتريكم أنها أفضل مما فُعِل بها في اللقاء السابق، تفضلي!

- تَرَى وَجْـ= ددن دن
ـهَهَا الشَّمْـ= ددن دن
ـسُ فِيهِ= ددن دن
كَمَا تَـ= ددن د

- واللهِ! كانت تستحق إذن، ههه! أعيدي أعيدي! فقد تعثرتِ قليلًا، هلّا فكرت في سر التعثر! أنت طبيعتك سليمة، ما شاء الله! ووقّفتكِ وكذا كذا، فانتبهي إذن، المسألة فيها سرّ، فعدّلي بسرعة، ها!

- تَرَى وَجْـ= ددن دن
ـهَهَا الشَّمْـ= ددن دن
ـسُ فِيهِ= ددن دن
كَمَا تَـ= ددن د

- "كما"، "كما" فقط، هذا هو السبب أنها "كما"، أعيدي!
- تَرَى وَجْـ= ددن دن
ـهَهَا الشَّمْـ= ددن دن
ـسُ فِيهِ= ددن دن
كَمَا= ددن
- كما= ددن، غَنِّي، غَنِّي بطريقتنا، غَنُّوا -يا جماعة- كما تَرَوْنَنِي أُغنِّي، ها! تَرَى وَجْـ| ـهَهَا الشَّمْـ| ـسُ فِيهِ| كَمَا، أكملي!
- تَرَى وَجْـ= ددن دن
ـهَهَا فِي الْـ= ددن دن
ـمَرَايَا الْـ= ددن دن
ـمَلِيحَةْ= ددن دن
- أحسنتِ تمامًا! أحسنتِ! المشكلة أنها فعلت ما كنا نحذركم، جاءت في المنتصف فقالت: "كَمَا تَـ"، وفرحت بالتفعيلة المقبوضة؛ "كَمَا تَـ= ددن د، فَعُولُ، مقبوضة"، جميل! صحيح! أكملي! فقالت: "ـرَى وَجْهَهَا= دن دن ددن" -وهو غير مستقيم- فأعادت: "ـرَى وَجْهَـ= دن دن د" -وهو غير مستقيم- فأعادت، ثم قالت: "ـرَى وَجْـ= دن دن"، ووقفت هنا، "هَهَا فِي الـ| مَرَايَا الْـ| مَلِيحَة"، هذا نصب واحتيال واضحان تماما، احتالت علينا بأنها قدمت تفعيلة منقوصة، ثم أكملت تكملة صحيحة، قالت:
- تَرَى وَجْـ= ددن دن
ـهَهَا الشَّمْـ= ددن دن
ـسُ فِيهِ= ددن دن
كَمَا تَـ= ددن د
ـرَى وَجْـ= دن دن
ـهَهَا فِي الْـ= ددن دن
ـمَرَايَا الْـ= ددن دن
ـمَلِيحَةْ= ددن دن

- ما "ـرَى وَجْـ" هذه؟ لا هي "فعولن"، ولا هي "فعو"، ولا هي "فعولُ" ولا تستقيم هنا على شيء! لا، عودي فصححي!

- كَمَا= ددن

تَرَى وَجْـ= ددن دن

ـهِهَا فِي الْـ= ددن دن

ـمَرَايَا الْـ= ددن دن

ـمَلِيحَةْ= ددن دن

- مطالبون أنتم بأن تنزّلوا هذا الذي فعلناه كما جريت عليه على السبورة، على كل بيت من هذه الأبيات، وعندكم فراغ مهيأ لهذا، إضافة إلى الواجب، ما الواجب؟ أن تعثروا من الشعر العربي على قصيدة كاملة كهذه القصيدة، تفعلون بها على الأوراق في الملف مثلما فعلنا بهذه: تقطيعًا، وتوقيعًا، وتفعيلًا، وتوصيفًا، بعد أن تكتبوها فتحسنوا الكتّابة، وتشكّلوها فتحسنوا التشكيل. هذا علم؛ من شاء أن يكون جديرًا بمقام طالب العلم -لا عليكم من درجة الممتاز؛ وستأتي، إن شاء الله!- فليْأخذها بحقها، بارك الله فيكم! طيب! **نعود لتحديد القوافي، ما قافية البيت الأول؟**

- رِيحَةْ

- هل تذكرون القافية؟ ما القافية؟ نسيتم! ما القافية؟ آخر ساكنين في البيت مع ما بينهما من متحركات والمتحرك الذي قبلهما، فما قافية البيت الأول؟

- رِيحَةْ.

- ها!

- رِيحَةْ.

- مستريحة؟

- رِيحَةْ، رِيحَةْ.

- مستريحة أم رِيحَةْ؟

- رِيحَةْ.

- أما ابنتنا التي قالت: "مستريحة"، فظنت القافية الكلمة الأخيرة، فأراحت نفسها، فقالت: قافية البيت "مستريحة"، وهذا قول الأخفش من العروضيين؛ كان يرى أن القافية هي الكلمة الأخيرة، وهذا القول سائغ، ولكنه متروك، أما قول سيد هذا المقام سيد هذه الطائفة الخليل بن أحمد، فهذا الذي قلت لكم، وبناءً عليه تكون القافية...

- ريحة.

- "ريحة" فقط، ما الذي في "ريحَةْ"؟ ما الذي شممتموه في "ريحة"؟

- حاء.

- ها! عندك ساكنان، ما الساكن الأول؟

- الياء.

- ياء المد، وما الثاني؟

- التاء.

- الهاء المنقلبة في الوقف عن التاء. ما الذي بينهما؟ الحاء المفتوحة، وما الذي قبلهما؟

- الراء المكسورة.

- الراء المكسورة؛ فالقافية إذن "رِيْحَة"، وقافية الثاني؟

- رِيحَةْ.

- رِيحَةْ، وقافية الثالث؟

- بِيحَةْ.

- بِيحَةْ، وقافية الرابع؟

- رِيحَةْ.

- رِيحَةْ، وقافية الخامس؟

- سِيحَةْ.

- سِيحَةْ، وقافية السادس؟

- بِيحَةْ.

- بِحَةْ، ما شاء الله! تدليلات كتدليلات الفتيات، نحن في بلادنا ندلل البنت، إذا كان اسمها "مديحة"، فنقول لها: تعالَيْ، يا ديحة! في تدليل مديحة نقول: "ديحة". ها! ولو كان اسمها "صبيحة" مثلًا لقلنا لها: يا بِحة! ... وهكذا ها! وقافية السابع؟
- صِيحَةْ.
- وقافية الثامن؟
- حِيحَةْ.
- حِيحَةْ، وقافية التاسع؟
- حِيحْةْ.
- حِيحْةْ، وقافية العاشر؟
- رِيحَةْ.
- رِيحَةْ، وقافية الحادي عشر؟
- رِيحَةْ.
- رِيحَةْ، وقافية الثاني عشر؟
- بِحَةْ.
- بِحَةْ، وقافية الثالث عشر؟
- ضِيحَةْ.
- ضِيحَةْ، وأخيرًا؟
- لِيحَةْ.
- لِيحَةْ، ما أقوي الحروف المكررة؟
- الحاء، الحه.
- الحه! جميلة هذه، لا، في المصرية نقول: حه، وخه، فما تقولون في العمانية؟
- حا.
- حا، ونقول في المصرية أيضا: ره في الراء، وزين في الزاء، والفصيح راء وزاء، لتجري الزاء مجرى الراء، كما تجري الشين مجرى السين. طيب! **نعود: ما أقوى الحروف المكررة؟**

- الحاء.
- ما حركتها؟
- الفتحة.
- طيب! هل قبلها ألف أو واو أو ياء ساكنات؟
- نعم.
- ما الذي قبلها؟
- ياء ساكنة.
- هذه الياء ياء مد، أم ياء لين؟ وما الفرق الذي بينهما؟ ياء المد بعد كسرة، وياء اللين بعد فتحة، ها!
- هذه ياء مد.
- هذه ياء مد، فما الذي بعد الحاء المفتوحة؟
- هاء ساكنة.
- هاء ساكنة منقلبة عن تاء أو غير منقلبة، عندكم "ضريحه"، هذه هاء لا تاء، وقف عليها، فقال: "ضريحهْ". جميل! الآن -يا جماعة!- نستطيع أن نضيف إلى الصورة في البطاقة، البيانات، ألصقنا الصورة -هذا الذي فعلناه من قبل- ألصقنا الصورة، حللنا الوزن، وحللنا القافية؛ فالآن نضيف البيانات إلى البطاقة الشخصية؛ فماذا نقول؟ هذه القصيدة متقاربيّة الأبيات، ما معنى أنها متقاربية؟
- من بحر المتقارب.
- أن أبياتها من بحر المتقارب، متقاربية الأبيات، تمام؟
- تمام.
- الآن نريد أن نقيس طول البيت؛ فَبِمَ يقاس كما علمتكم؟
- بالتفعيلة.
- بأعداد التفعيلات، علمتكم -نسيتم!- في إجابة الأسئلة، كنتم تنامون وقت إجابة الأسئلة! كيف نقيس طول البيت؟

- بعدد التفعيلات.
- بعدد التفعيلات، طيب! كم تفعيلة في كل بيت عندنا هنا؟
- أربع.
- بل ثماني تفعيلات على ما تخرجه الدائرة. لكن عندنا هنا مصطلحان على البيت حين يستوفي الأعداد الدائريّة المطلوبة: إما أن يسمى تامًّا، وإما أن يسمى وافيًا، فما الفرق الذي بينهما؟ لا يسمى تامًّا إلا إذا استوت تفعيلاته في السلامة والتغير، فليس لتفعيلة على تفعيلة من فضل، كلها سواء، إذا شاء الشاعر أن يغير من أي منها غيّر، وإذا شاء أن يسلمها جميعًا سلّم! نعود إلى هذا، فهل هذا هنا مثلًا؟ هل هذا هنا؟ يعني عندكم مثلًا في "وَفِي= ددن، فعو، محذوفة"، التفعيلة محذوفة، جميل! هل يستطيع أن يحذف الأولى؟ أو الثانية؟ أو الثالثة؟ أو الخامسة؟ أو السادسة؟ أو السابعة؟ لا يستطيع، أما الثامنة فكان يمكنه أن يبنيها من الأصل على الحذف، ولكنه بناها على السلامة، ولا يستطيع أن يبنيها على السلامة في التفعيلة الأخيرة ثم يغيرها بالحذف. معنى هذا أن البيت استوفى أعداد التفعيلات، ولكنها لم تتساوَ في الحقوق والواجبات (السلامة والتغير)، فما الحل؟ أن نصفه بالوفاء، وهذا هو الفرق بين البيت التام والبيت الوافي. فيم يشتركان؟ يشتركان في استيفائهما أعداد التفعيلات. فيم يختلفان؟ في أن التفعيلات في حال التمام متساوية في الحقوق والواجبات- أما في حال الوفاء فهي غير متساوية؛ ربما اختصت تفعيلة بتغير لا يجوز في أخرى، رأيتم؟ هذه القصيدة إذن متقاربية الأبيات...
- الوافية.
- الوافية، ننعت الأبيات؛ هذه القصيدة متقاربية الأبيات الوافية. بعد قياس الطول ننتقل إلى آخرة تفعيلات الصدر وآخرة تفعيلات العجُز، أي إلى التفعيلتين الرابعة والثامنة. من تمام البيانات بعدما ألصقنا الصورة، أن نذكر حال التفعيلة التي في آخر النصف الأول وحال التفعيلة التي في آخر النصف الثاني، لأنهما أهم التفعيلات على الإطلاق، كما يقولون في بيانات الشخص، اسمه، ونسبه، ومولده، أشياء في بياناته لا يستغنى عنها؛ فكذلك هنا في هذه البيانات، لا يُستغنى عن ذكر صورتي العروض والضرب؛ فما صورتا العروض والضرب؟ أما الضرب فتفعيلاته كلها صحيحة سليمة؛ فعولن فعولن من الأول إلى الآخر، وأما تفعيلات العروض فمرة جاءت محذوفة، ومرة

جاءت سالمة، ومرة جاءت مقبوضة، وهكذا! وإذا كانت التفعيلة على هذا النحو -تسلم، وتتغير- فإنها تعد في التصنيف سالمة؛ فلهذا نعبر عنها بالصحة، نعبّر عن السلامة هنا بالصحة، لماذا، يا أستاذ؟ لأن موضعي العروض والضرب من المواضع التي تتلقى العلة، وعكس العلة الصحة، فسنعمّم اسم صحيحة على الصحيحة والسالمة جميعًا، فنقول: هذه القصيدة متقاربية الأبيات الوافية الصحيحة العروض والضرب، هذه بيانات الوزن. انتقلوا إلي بيانات القافية، كيف نقول؟

- حائية القافية.
- أحسنت! ننسبها إلى أقوى حروفها المكررة، كما تقولون في سينية البحتري، ونونية ابن زيدون، ودالية المعري، ولامية العرب، ولامية العجم، وكذا وكذا، نقول هنا، فماذا نقول؟
- حائية.
- حائية القوافي، ها! ما حركتها؟
- مفتوحة.
- المفتوحة، ها! قبل الحاء شيء من الألف أو الواو أو الياء؟
- لا.
- لا، بل قبله ياء.
- ياء مد.
- كما قلتم ياء مد، هذه الياء تسمى الرِّدف، والرِّدفُ اللِّصْق. إن لم يكن فيها هذا اللصق فَتَّشْنا عن الذي قبله، هل ثَمَّ ألف؟ لو كانت عندنا ألف قبل الذي قبل الروي سَمَّيناها التأسيس، ووصفنا القافية بأنها مُؤَسَّسة، لكنها اشتملت على ردف لا تأسيس؛ فلهذا نقول: حائية القوافي المفتوحة المُرْدَفة بياء المد. ولابد أن نحدد هذا بياء المد؛ لماذا؟ لأن الشاعر كان يمكنه أن يُشْرِك مع ياء المد واوَ المد -ولكنه لم يفعل- كان يمكنه أن يقول: "صُرُوحه"، مثلا -ها!- "جُرُوحه"، إلى آخره، فلم يفعل، وهذا -يا جماعة!- من "لزوم ما لا يلزم"، هل سمعتم عن "لزوم ما لا يلزم"؟
- نعم.

- ما "لزوم ما لا يلزم"؟ أن يلتزم من أجزاء القافية شيئًا كان يمكنه أن يغيّره إلى شيء آخر، من غير أن يتدمَّر البناء؛ فكونه ألح على ياء المد في كل بيت من الأول إلى الآخر، يدل على أنه قد التزم ما لا يلزمه. مَن أشهر من كان يلتزم ما لا يلزمه؟
- المعري.
- أبو العلاء، نعم؛ وله فيه ديوان كامل، اسمه "لزوم ما لا يلزم". لكن هل هو مخترع هذا؟ لا؛ بل حدث في الجاهلية، وفي صدر الإسلام، وفي عصر بني أمية. المعري في القرن الخامس الهجري، وقد حدث هذا قبله منذ الجاهلية، لكنه الذي ركز عليه حتى أخرج فيه كتابًا كاملًا، كل قصيدة من قصائده فيها التزام ما لا يلزمه، حتى إنه وصل أحيانًا إلى التزام خمسة أحرف، وهذا لا يقدر عليه أي أحد، لا يقدر عليه أي أحد. حاول العماني الحبسي أن يقلد المعري، شاعركم الحبسي - وكان مثل المعري كفيفًا- حاول أن يقلد المعري ويتجبَّر علينا مثله؛ ففعل كثيرًا مما فعل المعري في شعره، تمام؟ ماذا قلنا إذن؟ حائية القوافي...
- المفتوحة.
- المفتوحة.
- المردفة.
- المردفة بياء المد، وأضيفوا بين شرطتين "وقد التزم بهذا ما ليس يلزمه". أصيلة ليس معها ملفها - وسنأخذ الملفات- ولم تكتب هذا، مَن الذي كتب؟ مَن الذي كتب؟ ارفعوا أيديكم، مَن الذي كتب؟ طيب! ولماذا لم يكتب من لم يكتب؟ الذي كتب هو الجدير بأن يكون من أهل العلم، ومن لم يكتب جدير بأن يعمل أي عمل آخر، أن يعمل منسقًا في وزارة التجارة مثلًا، أو أن يعمل في جراج نزوى مساعدًا، أن يعمل أي شيء، لا أن يكون أحد طلاب العلم، نعم يا مَيْس!
- دكتور! في البيت الأول قلنا: العروض صحيحة.
- على رغم أنها محذوفة! نعم؛ قلت لكِ: إذا كانت التفعيلة تُغيّر وتسلم، وصفناها في التوصيف من البيانات بأنها سالمة، وغيّرنا كلمة "سالمة" إلى كلمة "صحيحة" التي تغني عنها لأن موضعي العروض والضرب موضعا حدوث العلة وقبولها، وعكس العلة الصحة، فكلمة "صحيحة" هنا ستنوب عندنا عن "سالمة" كذلك. ماذا قلنا؟ حائية القوافي المفتوحة المردفة بياء المد -وهذا من لزومه ما لم يكن

يلزمه- ها! ثم ننظر إلى ما بعد الروي، ما الذي بعد الروي؟ الهاء الساكنة، هذه الهاء وصل، بها وصلت القافية إلى غايتها، فماذا نقول؟ الموصولة بالهاء الساكنة. ولابد من وصفها بالساكنة لأنها ربما كانت مفتوحة فقلنا: "ـهُ"، "ـهَا"، "ـهِ" -ها!- فلهذا ينبغي أن نضيف الموصولة بالهاء الساكنة.

ها! ماذا قلتم في البيانات؟ هذه القصيدة...

- متقاربية الأبيات.
- طويلية الأبيات.
- الوافية.
- الوافية.
- متقاربية الأبيات.
- متقاربية، سامحني، أنا أخطأت، متقاربية الأبيات.
- الوافية.
- الوافية.
- الصحيحة.
- الصحيحة العروض والضرب.
- حائية القوافي.
- حائية القوافي.
- المفتوحة.
- المفتوحة.
- المردفة بياء.
- المردفة بياء المد -وقد التزم بهذا ما لا يلزمه -وليس هذا من البيانات، ولكنه من إضافات طلاب العلم، ها!
- الموصولة بالهاء الساكنة.
- الموصولة بالهاء فقط؟
- بالهاء الساكنة.

- بالهاء الساكنة، هذا هو. **بارك الله فيكم، وشكر لكم، وأحسن إليكم، والسلام عليكم!** نحن بهذا -يا جماعة!- أصّلنا الأصول التي سنجري عليها إلى أن ننتهي. لابُدّ في كل قصيدة من هذا، هنا في قصائد الملف، وعندك في قصائد الواجب وقصائد البحث، في كل مكان، في كل مكان! مع السلامة، مع السلامة!
- دكتور!
- ها!
- والقصيدة في الواجب، نكتب عن أي قصيدة؟
- كهذه، إن استطعت أن تعثري على قصيدة كأنها نسخة من هذه فلا بأس، وإن لم يكن فلتكن قريبة من هذه فقط.
- المهم من المتقارب.
- من المتقارب، بهذا الطول، بهذا الطول، في طول الأبيات وفي طول القصيدة. بعضكم يذهب -ما شاء الله!- ليأتي بأربعة أبيات، صفر! هذه القصيدة من بضعة عشر بيتًا، من خمسين بيتًا، من عشرين، من كذا، لابُدّ أن تكون قصيدة الواجب في طول قصيدة الملف، إذا كانت أكثر قُبلت، وإذا كانت أقل لم تُقبل، ها! عُمَرُ هذا نصّاب معروف!
- دكتور!
- نعم.
- أي مصدر حتى نكتب منه؟
- نعم!
- أي مصدر نكتب؟
- ما تشاء، لكن كتّاب الحجري، كتّاب هلال الحجري بلا ريب، فيه أشياء كتير، لكن أنا شايله لتصرفات أخرى، يا أخي عندك النت -ما شاء الله!- وانتبهوا إلى النت، فيه تحريفات للشعر كثيرة[1].

---

(١) ربما جرى الحوار بعد سلام الختام، باللهجة العامية الدارجة: أما الطلاب فعُمانيون يتكلمون لهجتهم العُمانية، وأما أستاذهم فِمْصريّ يَتحبَّب إليهم بمحاولة الحديث بلهجتهم -وهيهات!- فيخرج إلى شيء هجين، لا هو عماني ولا هو مصري!

- أجل.
- النت فيه مصايب، تروح تنقل وأنت -ما شاء الله!- مطمئن، لفلان وليست لفلان، هي هكذا وهي خطأ، فماذا تفعل؟ لابُدّ في الباحث والمكتفي بالإنترنت أن يكون عالمًا، قادرًا على تصحيح الأخطاء، أنا لا أستغني عن النت طبعا، لكنني أميز الأخطاء، لكن واحد مسكين مبتدئ يذهب إلى النت ويسلّم له نفسه، مصيبة! مع السلامة.
- السلام عليكم!
- عليكم السلام!
- هل أخبرهم أنه يمكن حفظ ملفات هذه الحلقة؟
- يا جماعة، إحنا عندنا مسابقة أصلًا، مسابقة في هذا الفصل، لها جوايز، مسعود بس ذكرني بيها، سويناها الفصل الماضي فأنا بعيدها عليكم، حقكم طبعا. كل فصل لازم نتيح له هذه المنافسة: عندنا مسابقة في حفظ هذا الملف.
- في حفظه؟
- في الحفظ.
- في حفظ الملف!
- في حفظ الملف، أي شعر الملف.
- شعر الملف ولا الكلام؟
- الشعر، عندك كام قصيدة؟ عندك على الأقل ست عشرة قصيدة بعدد ستة عشر بحرًا، فيه مكان فيه قصيدتان في بحر المضارع. الفصل الماضي جالي إبراهيم المسكري حافظ الملف كله، حتى الكلام حفظه، هذا طالب من هندسة، كان يحضر معاهم، من الهندسة، وعرفت بعد كده أن له مواقف مشهودة في الحفظ، هذا الطالب شيطان من الشياطين، هو اللي فاز بالجايزة، وأعطيته كُتُب وعليها إهداءاتي، كتب كثيرة، وكل كتاب عليه الإهداء، مش بس كده كتبت عنه مقال سميته "راوية المدى العماني"، اتكلمت عنه، فلما كتبت حصّلت واحد داخل يعلق يقول لي: وأزيدك يا دكتور -هو أستاذه في إبرا- قال: هذا الطالب أراد -وكان صغير- أن يدخل معهد كذا، فقلنا له: لا، أنت صغير! قال: لا، بدخل! أنت صغير. لا، بدخل! قالوا: تريد تدخل؟ طيب!

إذا حفظت كذا بندخلك، فحفظ! شرطوا عليه الحفظ -بيصعّبوا عليه- فحصّلوا الولد اكتسح! ودخل وهو صغير مع الطلاب الكبار، المهم كان شيء طيب جدًّا، فأنا الآن أتيحه لكم كما أتحته لهم، بارك الله فيكم! يا الله مع السلامة، خبّروا زملاءكم!

الْمُنَادَمَةُ الْخَامِسَةُ(١)

- **سلام عليكم!**
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته!
- طبتم مساءً -يا أبنائي!- وطاب مسعاكم إلينا! بسم الله -سبحانه، وتعالى!- وبحمده، وصلاةً على رسوله، وسلامًا...
- صلى الله عليه، وسلم!
- ورضوانًا على صحابته وتابعيهم حتى نلقاهم! كيف حالكم، كيف أمسيتم؟ بارك الله فيكم، وشكر لكم، وأحسن إليكم، ويسر لنا ولكم كل عسير، وسهل كل صعب! فرغنا في لقائنا السابق من الممارسة الأولى، التي بها انتبهنا إلى نمطٍ وزنيٍّ يسمى بحر المتقارب، ونمطٍ قافوي كذلك فيه تفصيل. وقد مارسنا ذلك من خلال قصيدةٍ لطيفةٍ بديعةٍ جدًّا للشاعر اليمنيِّ الكبير عبد الله البردوني، فحققناها، ودققناها، ولحناها، ثم كتبناها، وخرَّجنا على السبورة منها بيتين، ثم انتقلنا معًا إلى تخريجها كاملةً، ثم أضفنا إلى تصويرها بياناتها، وانتهينا. **وهكذا ستفعلون في البحث مثلًا، لا في الواجب؛ في الواجب يُخرَّج كل بيت من أبيات العمل الذي تناولناه معًا، ثم الذي نعثر عليه مما يشبه ما تناولناه- أما في البحث، فإنكم تختارون ديوانًا كاملًا،** ديوانًا كاملًا من شعر أحد الشعراء، تخرِّجونه من خلال تخريج بيتين من كل قصيدة، بيت المطلع وبيت آخر يحمينا من أن نخدع ببيت المطلع، لأن بيت المطلع ربما كان خَدّاعًا يتغير فيما بعد في سائر القصيدة، تقدمون بطاقةً عروضيةً كاملةً وافية لكل قصيدة من قصائد الديوان المختار. ولا ألزمكم بشاعر، لكيلا تقولوا: أثقلتَ علينا؛ فكل واحد حر: منكم من سيختار ديوان بشار وهو آلاف، مئات القصائد بآلاف

---

(١) رابط هذه المنادمة في قناتي اليوتيوبية:

https://www.youtube.com/watch?v=aqv٩NzkuQwk&list=PL٠_bvBmuM٥ySq٦hXNd٤GWcNFIUaI٤uqCM&index=٥

وقد فرغتها مريم الصاوي، وراجعتها لها أميرة ناصف.

الأبيات، ومنكم من سيختار ديوان زهير وهو لا يكمل خمسين قصيدة بعشرات الأبيات، أو ديوان فلان وهو عشرون قصيدة بكذا بيتًا، كل واحد حر، كل واحد يختار نفسه، ويدل عليه اختياره: "نَابَ عَنْكَ الَّذِي تَخَيَّرْتَ إِذْ كَانَ دَلِيلًا عَلَى اللَّبِيبِ اخْتِيَارُهْ"!

ربما اختار بعضكم عملًا ما، لأنه يريد أن يُدِلَّ بنفسه، أذكر أني درَّستُ هذا المقرر لقسم الموسيقى، فاختارت طالبة اسمها أصيلة ديوانًا صعبًا، وجعلتْ فيه بحثها وليست متخصصة -هي طبعا حصلت في آخر المطاف على ألف ناقص- كانت تتورط في الكلمات الصعبة، وتجتهد أن تحققها؛ لذلك كنتُ أحكي ما تفعله لصديقاتها -والقسم أكثره فتيات- فكنَّ يقُلن: هذه جدولها قليل، أي عندها فرصة للتنقيب والتفتيش، كانت تأتيني كثيرًا لتسألني وتحل المشكلة، ما شاء الله! طيب! فأنت حر، تختار القليل أو الكثير، الصغير أو الكبير، القديم أو الحديث، كما تشاء- لِتُقدِّم نفسك من خلال عملك. بعدما تختار الديوان، تقرؤه، وتحققه، وتختار من كل قصيدة بيتين، تقدم بهما بطاقة القصيدة العروضية، وقبل هذا تبدأ بمقدمة في صفحة أو صفحة ونصف، ثم بعد هذا تقدم خاتمة تُصفّي فيها ما عثرت عليه: كثر في شعره كذا، وقل كذا، وهكذا. منكم من يكتفي بإضافة هذه المعلومات، ومنكم من لا يكتفي حتى يفسرها، يستنبط منها معطيات، ويُفسر المعطيات، هكذا الباحث؛ فالبحث ليس عَدًّا، ليس جمعًا، لا، بل البحث تفتيش عن الأسرار، بَحَثَ يبحث -"يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ"، صدق الله العظيم!- تحفر في أرض المادة التي بين يديك، حتى تولد معطياتها، وتفسر نتائجها، تُرى: لماذا كان هذا؟ أعرف أن بعضكم سيصعب عليه جدًّا أن يفسر، لكنه يستطيع. أنا لا أطالبك بالمعجزات، بل بالاستفادة مما حصلته من ثقافة: فإذا كثر الشيء في شعر فلان فهو نافع له يساعده على أداء ما يريد، أي تستطيع، لن يصعب عليك أن تجد تفسيرًا لما تولّده من معطيات، تمام؟ بل بعضكم يصل إلى درجة الرسوم البيانية، والاعتماد على المتاحات في تصوير المعلومات والبيانات، شيء بديع! يُفاجئني الطلاب بالأعاجيب، بالأعاجيب، وربما دخل بعضكم على برنامج "إس بي إس إس"، فصبَّ المعلومات، وولد المعطيات، وفسرها، ولاسيما طلاب التربية الذين يدرسون هذا البرنامج، أليس كذلك؟ تدرسونه؟ تدرسون برنامج "إس بي إس إس"؟ هو من أهم البرامج الإحصائية التي تساعد الباحثين في العلوم الإنسانية، وهذه الجامعة الغراء تتيح لكم ولنا كذلك التدرب عليه؛ فهو برنامج مهم جدًّا

في تكوين المعطيات وتحليلها إحصائيًّا، وأنتم في كلية التربية تدرسون الإحصاء أصلًا، فاستفيدوا، أنتم أساتذتنا في هذا أصلًا، أنتم في هذا أساتذتنا، أنا لم أدرس هذا، لم أكن في كلية التربية، فهذه نعمة ينبغي أن تتمسكوا بها وأن تستفيدوا منها. نعود! ذلك هو البحث -وهو بخمس عشرة درجة- قد فَرَغنا من أمره، أما هذا الملف فبعشر درجات، لكن فيه ما فيه، فيه علمٌ كثير جدًّا، لا أريد أن أرى بياض الصفحة، لا أريد أن أرى هذا البياض، من كثرة الكتابات والنقول والواجبات، لا أريد أن أرى هذا البياض، ولا أريد شيئًا غير الملف، لا أريد هذه الإضافات من الأوراق الملحقة، لا أريد إلا الملف. اكتب كل شيء، حُلَّ كل شيء، إذا فرغنا من قصيدتنا بحثتَ لها عن قصيدة كما بحَثْتُ أملُ -ها!- لكن تنقلها إلى الملف، وتُحللها كما حللنا تمامًا تمامًا، وتضيف البيانات في الآخر كما فعلنا، كأنك ستدِّرس الكلام من خلال قصيدتك، وكل واحد حر، يختار ما يريد، منكم من يختار الغزل، ومنكم من يختار الدعوة، كل واحد حر. طيب! **الآن نستطيع أن ننتقل إلى ممارستنا الثانية من خلالِ قصيدةٍ قصيرةٍ لطيفة، عثرتُ على بعضها في كتاب "الصداقة والصديق"، لأبي حيان التوحيدي، ثم أتممتها من غيره، وقد سميتها "أَتَانِي عَنْكَ"، لمحمود بن حسن الوراق، المتوفي سنة عشرين ومئتين،** وهذا تاريخ متقدم، من زمان العزة، زمان الاستشهاد -عاش هذا الرجل أكثر عُمره في القرن الثاني، وأنتم تعرفون أننا نستشهد بكلام الحَضَريّين من العرب إلى آخر القرن الثاني، وبكلام المَدَريّين منهم (البدو)، إلى آخر القرن الرابع، يقولون: حضر ومدر، والمدر الطين- فينبغي أن يُقدَّر، أي إذا رأيتم الكلام من ذلك الزمان الأول، فاعلموا أنه نفيس جدًّا، وقدروه تقديرًا مُضَاعفًا، لأنه من زمان ما قبل الفساد أو المشاغل الزائدة، من زمان الصفاء. سميتُها "أتاني عنك"، هل سماها صاحبها هذا الاسم؟ لا، لم يكونوا يسمون القصائد، على رغم أن القرآن قد تسمَّتْ سورُه، ونحن دائمًا نقلد القرآن؛ فلماذا لم يسموا قصائدهم كما سمَّى القرآن سوره؟ يبدو أن القرآن أعجزهم عن أن يفكروا في هذا، لأن القرآن لما نزل أذهل العرب، أذهلهم، ولوَّحهم، وحوَّل أحوالهم؛ فلم ينتبهوا إلى أنفسهم، وإلا كان ينبغي أن يستفيد منه الشعراء، وأن يسموا قصائدهم كما تسمت السور. "أَتَانِي عَنْكَ"، عنوان مأخوذ من مطلع القصيدة، كما كان القدماء يفعلون، لم يكونوا يجدون للقصائد عناوين؛ فكانوا يأخذون من مطالعها، يقولون

لك: هل قرأت "قفا نبك (معلقة امرئ القيس)"؟ هل حفظت "قفا نبك"؟ ما قولك في "قفا نبك"؟ ...، وهكذا، يسمونها "قفا نبك"، ها!

١) "أَتَانِي عَنْكَ مَا لَيْسَ عَلَى مَكْرُوهِهِ صَبْرُ
٢) فَأَغْضَيْتُ عَلَى عَمْدٍ وَقَدْ يُغْضِي الْفَتَى الْحُرُّ
٣) وَأَدَّبْتُكَ بِالْهَجْرِ فَمَا أَدَّبَكَ الْهَجْرُ
٤) وَلَا رَدَّكَ عَمَّا كَانَ مِنْكَ الصَّفْحُ وَالْبِرُّ
٥) فَلَمَّا اضْطَرَّنِي الْمَكْرُوهُ وَاشْتَدَّ بِيَ الْأَمْرُ
٦) تَنَاوَلْتُكَ مِنْ شَرِّي بِمَا لَيْسَ لَهُ قَدْرُ
٧) فَحَرَّكْتَ جَنَاحَ الذُّلِّ لَمَّا مَسَّكَ الضُّرُّ
٨) إِذَا لَمْ يُصْلِحِ الْخَيْرُ امْرَءًا أَصْلَحَهُ الشَّرُّ

"أَتَانِي عَنْكَ مَا لَيْسَ عَلَى مَكْرُوهِهِ صَبْرٌ"، خلاص، ومع هذا: "فَأَغْضَيْتُ عَلَى عَمْدٍ وَقَدْ يُغْضِي الْفَتَى الْحُرُّ"، سكت، وصبرت، لا عن عجز فيَّ وذل، فإن الحر ربما صبر على صاحبه والتمس له المعاذير فقال: ربما، ربما، ربما. "وَأَدَّبْتُكَ بِالْهَجْرِ فَمَا أَدَّبَكَ الْهَجْرُ"، أسمعتم الكلام الجميل! الله على الكلام المتراقص! "وَلَا رَدَّكَ عَمَّا كَانَ مِنْكَ الصَّفْحُ وَالْبِرُّ"، لم يمنعك مما تفعل لا صفحي ولا بري، ما الصفح؟ العفو. العفو. ما البر؟ أهو العفو؟

- الإحسان.
- الإحسان. من المجيبة؟ أحسنتِ! أحب هذا، أحب أن تكونوا معي على الخط، أن تكملوا العبارات هكذا من غير استئذان، لا أحب الاستئذان، أحب أن تكملوا العبارات من غير استئذان، فكأننا شخصٌ واحد يتكلم، ها، طيب، ثم ماذا؟ "فَلَمَّا اضْطَرَّنِي الْمَكْرُوهُ"، "اضطرني"، أرأيتم هذا الفعل كيف استعمله؟ اضطرني تقول: اضطررتني إلى أن أفعل كذا، أنتم تقولون في أكثر الكلام: اضطُرِرتُ. كأن هذا غير موجود، سبحان الله! العادة العادة، العادة طبيعة ثانية؛ فاكسروها، اكسروا العادات! "فَلَمَّا اضْطَرَّنِي الْمَكْرُوهُ"، أتدرون من أين جاء "اضطرّ" هذا؟ من "الضر"، من الضاد والراء والراء، "فَلَمَّا اضْطَرَّنِي الْمَكْرُوهُ"، أي بلغ مني مبلغًا كبيرًا، كأنه ألصقني في الحائط لا أستطيع أن أتحرك. "وَاشْتَدَّ بِيَ الْأَمْرُ"، ها، ماذا فعل؟ "تَنَاوَلْتُكَ مِنْ شَرِّي بِمَا لَيْسَ لَهُ قَدْرُ"، يا

سلام! كأنه أمسكه -ها!- وغمسه في الشر، ثم قذف به، ها! كان جدي رجلًا قويًّا جدًّا، كان في طول هذا الباب!

- ما شاء اللّٰه!
- وفي عرضه، وكان حميًّا، ذا حَمِيَّةٍ، كان إذا رأى الخطأ لم يسكت عليه -رحمه اللّٰه!- فمرة مر بالشاطئ، فوجد شابًّا يُغازل فتاة تغسل مواعينها -كنا قديمًا نغسل المواعين في البحر، قبل أن تكون لدينا صنابيرُ وكذا- يقول: فَأَنَّبَهُ -يبدو أن الشخص لم يرتدع- فأمسك به، قال جدي: فكانوا يقيمونني به ويقعدونني به -ها! كأنه ألصق نفسه به عند الضرب، أي عصَره عصرًا- فكانوا يقيمونني به ويقعدونني به، تذكرت هذا بقول الشاعر: "تَنَاوَلْتُكَ مِنْ شَرِّي بِمَا لَيْسَ لَهُ قَدْرُ"، كأنه أمسك به، وأحاط به، وعصره، ها! فماذا حدث؟ "فَحَرَّكْتَ جَنَاحَ الذُّلِّ لَمَّا مَسَّكَ الضُّرُّ"، يا ذليل، وأخذ جناح الذل من قول الحق -سبحانه، وتعالى!-: "وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ" -صدق اللّٰه العظيم!- ومن قديمٍ يستفيد الشعراء من القرآن الكريم. "فَحَرَّكْتَ جَنَاحَ الذُّلِّ"، تحته، تحت العصر -ها!- كما يفعلون في حلبات المصارعة، ترون المصارعة -ها!- حينما يقول: استسلِمْ، فيوقف المصارعة، هذا جناح الذل هذا. فيُحكَم للعاصر على المعصور، يُحكَم للعاصر على المعصور بالفوز، المسكين لا يتنفس أصلًا تحت العصر، فيُترك كيلا يموت، فيُضرب الجرس، وتُنهى المباراة! "فَحَرَّكْتَ جَنَاحَ الذُّلِّ لَمَّا مَسَّكَ الضُّرُّ"، "إِذَا لَمْ يُصْلِحِ الْخَيْرُ امْرًا أَصْلَحَهُ الشَّرُّ"! والإنسان فيه الخير والشر، تجرّب الخير فإن لم ينفع جرّبت الشر، كما قال الشاعر:

"إِذَا أَنْتَ لَمْ تَنْفَعْ فَضُرَّ فَإِنَّمَا يُرَجَّى الْفَتَى كَيْمَا يَضُرَّ وَيَنْفَعَا"!

ها! إذا أنت لم تنفع فضر! المهم أن تفعل شيئًا، لا أن تعيش وتموت هكذا، بل كما قال المتنبي:

"وَتَرْكُكَ فِي الدُّنْيَا دَوِيًّا كَأَنَّمَا تَدَاوَلُ سَمْعَ الْمَرْءِ أَنْمُلُهُ الْعَشْرُ"!

لابد أن تفعل شيئًا في هذه الدنيا. "إِذَا أَنْتَ لَمْ تَنْفَعْ فَضُرَّ"، طبعًا هذه سخرية، سخرية طبعًا، من الذي يحب أن يضر الناس؟ من؟ لا أحد، ولكنه يقصد: لا تذهب من هذه الحياة هكذا كأنك لم تأت إليها! في مرة كان شابٌّ من البدو يحدو بالقافلة، يُغني -تعرفون أن الحُداء غِناء الأعراب، يغني للإبل حتى تتعلق بالغناء، ثم يسرع لتسرع، يسرع لتسرع حتى يصل، هذه طريقة البدو في الغناء، يغني للإبل:

"فَغَنِّهَا وَهْيَ لَكَ الْفِدَاءُ

إِنَّ غِنَاءَ الْإِبِلِ الْحُدَاءُ"!

والإبل طِراب أصلًا، تتعلق بالغناء، ثم قليلًا قليلًا يسرع الإيقاع يسرع يسرع، فتسرع الإبل، والنتيجة أن يصل سريعًا. أرأيتم كيف يفعلون! وإبل العرب طِراب -لهذا قيل: "لَنْ تَدَعَ الْعَرَبُ الشِّعْرَ حَتَّى تَدَعَ الْإِبِلُ الْحَنِينَ"، أي بينهما علاقات- كان ذلك الشابُّ البدويُّ يغني:

"أَنَا الْغُلَامُ الْأَعْسَرْ

اَلْخَيْرُ فِيَّ وَالشَّرّْ

وَالشَّرُّ فِيَّ أَكْثَرْ"!

كلام جميل هذا! ها! انظروا إلى الشيطان كيف يقول؟ يقول: انتبهوا، أنا شرير! ها، **مَنْ يقرأ؟ هذا سهل طبعًا، لا منافسة. أنا من الأول أعترف بإلغاء المنافسة، سنعقدُها اللقاء القادم، هذه الأبيات السهلةُ لا منافسةَ فيها، فمن يقرأ مجانًا؟** ها! ميسون تحب القراءة المجانية، اقرئي!

- أَتَانِي عَنْكَ مَا لَيْسَا عَلَى مَكْرُوهِه...
- مَا لَيْسَ، بالغت في الفتح قليلًا، أعيدي!
- أَتَانِي عَنْكَ مَا لَيْسَ عَلَى مَكْرُوهِهِ صَبْرُ
- جميل.
- فَأَغْضَيْتُو عَلَى عَمْدٍ...
- فَأَغْضَيْتُ، مرة أخرى من غير إشباع!
- فَأَغْضَيْتُ عَلَى عَمْدٍ وَقَدْ يُغْضِي الْفَتَى الْحُرُّ
- لا بأس.
- وَأَدَّبْتُكَ بِالْهَجْرِ فَمَا أَدَّبَكَ الْهَجْرُ
- نعم.
- وَلَا رَدَّكَ عَمَّا كَانَ مِنْكَ الصَّفْحُ وَالْبِرُّ
- لا حول ولا قوة إلا بالله!
- فَلَمَّا اضْطَرَّنِي...

- ها! "فَلَمَّا اضْطُرَّنِي"؟ أرأيتِ؟ وقعت في العادة، والعادة مُحَكَّمَة، بل للعادة سلطان، للعادة سلطان؛ فاجتهدوا ألّا نتعودوا الأخطاء، عافانا الله وإياكم! ليتنا نتعود الصواب لا الخطأ، ها! كيف نقول، يا ميسون؟
- فَلَمَّا اضْطَرَّنِي الْمَكْروهُ وَاشْتَدَّ بِيَ الْأَمْرُ
- انظروا كيف تقف؟ لا، لا، "فَلَمَّا اضْطَرَّنِي الْمَكْرُوهُ وَاشْتَدَّ بِيَ الْأَمْرُ"، ها! ماذا فعل؟
- تَأَوَلْتُكَ مِنْ شَرّي بِمَا لَيْسَا لَهُ قَدْر
- بِمَا لَيْسَ، أعيدي!
- تَأَوَلْتُكَ مِنْ شَرِّي بِمَا لَيْسَ لَهُ قَدْرُ
- فكانوا يقيمونه به ويقعدونه به، أمسك به، وأحاطه حتى عصره بيديه، ها! فماذا حدث؟
- تَحَرَّكْتَ جَنَاحَ الذُّلِّ لَمَّا مَسَّكَ الضُّرُّ
- يستاهل[1]، ها!
- إِذَا لَمْ يُصْلِحِ الْخَيْرُ اِمْرِئًا أَصْلَحَ...
- خطأ، ما هكذا نؤدي.
- امْرًا...
- إذا تعثرت عند همزة الوصل -عافانا الله وإياك!- عُدت إلى أول البيت تعيدينه! لقد قلت: إِذَا لَمْ يُصْلِحِ الْخَيْرُ، ووقفت هنا، ولا يجوز هذا، فعليك أن تعودي لتعيدي من الأول: إِذَا لَمْ يُصْلِحِ الْخَيْرُ امْرًا، وإلا اضطررت إلى قطع همزة "امْرًا"، فكسرت الوزن، لا حيلة، لا حيلة إلا أن تعودي إلى الأول لتعيدي البيت، إذن...
- إِذَا لَمْ يُصْلِحِ الْخَيْرُ امْرًا أَصْلَحَهُ الشَّرُّ
- وهذا أصعب الأبيات أداءً في هذه المجموعة، تأملوا توالي الحركات المتنافرات -والسواكن بينها حواجز ضعيفة- حدث هذا أكثر من مرة؛ فصعّب البيت. "إِذَا لَمْ يُصْلِحِ الْخَيْرُ امْرًا"، كنت أحفظها في الأول "إِذَا لَمْ يُصْلِحِ الْخَيْرُ فَتًى"، ثم لما راجعتها في أصلها وجدتها "إِذَا لَمْ يُصْلِحِ الْخَيْرُ

(١) لا يخفى أن الأستاذ لا ينطق في أثناء المجلس شيئا من طريقة اللهجة العامية الدارجة -إن فعل!- إلا من باب التَّمليح، أو من باب التَّهكُّم، ويكاد لا يتجاوز بهذا أو ذاك الكلمةَ الواحدة!

امْرًا"، وهذا أصعب طبعًا، لكن ماذا أفعل؟ كأنه أراد أن يصعب الأداء، ليدل على شَكاسة طبعه، على اضطراب طبع هذا المرء الذي سيصلحه الشر لما عجز الخير. ها، جميل، **طيب! نكتب البيتين الأولين -أحسنتِ، يا ميسون!!- نكتب البيتين الأولين. "بسم الله"!** سؤال: لماذا نضع للبَسْمَلة علامة تأثر، لماذا، من يعرف؟

- للتعظيم.
- لا، بل لأن هذه الجملة -وهي جملة حذف أكثرُها، أصلها "أبدأ باسم الله"- بعد الحذف منها واستعمال "بسم الله" الاستعمال المعروف، تحولت إلى الإنشائية، فوجب أن نعبر عن إنشائيتها بعلامة التأثر. ماذا يقول الرجل؟ يقول: "أَتَانِي عَنْكَ" ما معني "أَتَانِي عَنْكَ"؟ بلغني أنك تذكرني. "أَتَانِي عَنْكَ مَا لَيْسَ عَلَى مَكْرُوهِهِ...
- صَبْرٌ".
- صَبْرٌ. طبعًا الكلام قليل؛ فكتابته مُنتشرة على السبورة، "أَتَانِي عَنْكَ مَا لَيْسَ عَلَى مَكْرُوهِهِ صَبْرٌ"، نختار بيتًا آخر ويكفينا الثاني، لا بأس بالثاني؛ فهو يسدّ المسدّ. "فَأَغْضَيْتُ"، ما معني "فَأَغْضَيْتُ"؟
- تجاهلت.
- صبرت، سكت، تحملت، كأنه كسر عين نفسه قائلا: لِتَتَحَمَّلْ! "فَأَغْضَيْتُ عَلَى عَمَدٍ"؟
- عمْد.
- ما فرق ما بين العمَد والعمْد؟ العمَد: الأعمدة، والعمْد...
- القصد.
- القصد، "فَأَغْضَيْتُ عَلَى عَمَدٍ وَقَدْ يُغْضِي الْفَتَى الْحُرُّ"، ها! كتبنا، كيف كتبنا؟ كتبنا كما تيسر، خلطنا بين الخطوط المختلفة -ماذا نفعل؟ ولا حول ولا قوة إلا بالله!- فبعضها على النسخ، وبعضها على الرقعة، وبعضها على الديواني، وبعضها على الثلث، تشكيلة لو رآها الخطاطون لَجَأَرُوا بالشكوى، لكنها على أية حال ليس فيها خطأ إملائي. تأكدوا، يا جماعة؛ فكل ابن آدم خطاء! طيب! مقبولة؟ مقبولة، نبدأ نشكّل، ها: "أَتَانِي"، نشكل في أثناء النطق، لكيلا نُرحِّل الحركات، تقربوا إلى الله بالإملاء والتشكيل!
- أستغفر الله!

- تقول: أستغفر اللهَ؟ ألا نتقرب إليه بالعمل الصالح! أفاسدٌ هذا العمل! نتقرب إلى الله بكل عمل صالح مُتقن تعمله. قديمًا سمعت خطاطًا عراقيًّا يقول من باب عطف الناس على الخط -والعراقيون الخطاطون مشاهير معروفون، منهم الآن أكبر الخطاطين "يوسف ذو النون" هذا رأس الخطاطين، رأيته في مكتبة الإسكندرية- سمعت خطاطًا يقول: يا أخي، في الحديث -ها! تحول إلى محدِّث!- "من خط السين وحسنها دخل الجنة"، على طريقة وضع أصحاب الحرف للأحاديث، فلان من النجارين يضع حديثًا في النجارة، وهذا في الحدادة، وهذا في كذا، فصارت عندنا أحاديث حِرَف يمكننا أن نجمعها ونضع فيها كتابًا "أحاديث الحرف الموضوعة"، فهذا في بيع الخُضْرة، وهذا في اللحوم، وهذا في كذا، وبعضهم يقتطع من القرآن الكريم ما ينفعه في...
- في الحديث.
- في حرفته، كما اقتطع أحد الخيّاطين -زعموا!- قول الحق -سبحانه، وتعالى!-: "وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا"!
- هههه!
- ها! حتى قيل إن إحدى الفاسدات -زعموا!- وضعت على بيتها "إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحِيِي"!
- أستغفر اللهَ!
- "لَا يَسْتَحِيِي" -ها!- طبعًا هذا عبث في الكلام! "أَتَانِي عَنْكَ مَا لَيْسَ عَلَى مَكْرُوهِهِ...
- صَبْرُ.
- ... صَبْرٌ"، يا سلام! استمتعوا، تقربوا إلى الله بحسن الإملاء والتشكيل، ها! "فَأَغْضَيْتُ عَلَى عَمْدٍ... مع الأسف كتابة هذا على الحاسوب تفقدنا متعة الإملاء والتشكيل، متعة! "... وَقَدْ يُغْضِي الْفَتَى الْحُرُّ"، يا سلام! متعة متعة! طيب! كتبنا، وشكلنا، ها! متأكدون من أننا لم نخطئ؟ لم نخطئ؟ ها! فلْنلحِّن إذن ما دمنا قد ضبطنا هذا الكلام في اللغة، فلنضبطه في اللحن، ولحنه معروف، تربيتم عليه، أنا وأنتم تربينا عليه من خلال "سبيستون" ها؟ كانت "سبيستون" تعرض علينا أناشيد من هذا، ها! كيف نقول؟

أَتَانِي عَنْ	ـكَ مَا لَيْسَ	عَلَى مَكْرو	هه صَبْرُ
فَأَغْضَيْتُ	عَلَى عَمْدٍ	وَقَدْ يُغْضِي الْـ	ـفَتَى الْحُرُّ

"بلاد العُرْب أوطاني"، النشيد -ها!- هذا هو، بلاد العر.. أنا في قسم الموسيقى أذيع عليهم الأغنية، " بلاد العُرْب أوطاني"، وغناها ناس كثيرون حتى كاظم الساهر غناها. "أَتَانِي عَنْ|ـكَ مَا لَيْسَ| عَلَى مَكْرُو"، هكذا تغنى، أتذكرون حين حدثتكم عن رسول الله -صلى الله عليه، وسلم!- أنه سأل بعض أصحابه بعقب أحد الأعراس: أغنَّيتم؟ فلما لم يجدهم غنوا قال: "هَلَّا قُلْتُمْ: أَتَيْنَا كُمْ أَتَيْنَا كُمْ فَحَيُّونَا نُحَيِّيكُمْ"، وهو لحننا الآن؛ فهو إذن لحن شريف، أشرف الألحان، لأن الذي نبهنا عليه رسول الله...

- صلى الله عليه، وسلم!
- هذا لحنٌ شريف، إذا صحت الرواية فقد نبهنا على أن نستعمله، رسول الله نفسه -صلى الله عليه، وسلم!- وكلُّ كلام رواه فهو أشرف الكلام: كلام ربنا أشرف الكلام، ثم كلام رسوله الذي علمه وأدبه تأديبًا، ثم ما رواه من كلام غيره، وقد حدث. حُدِّثنا -وقد تبين لي من تخريج الألباني أنه حديث موضوع- أنه كان في السوق فرأى قُسَّ بن ساعدة الإيادي على جمل أحمر، يعظ الناس، وروى كلامًا من كلامه: "أيها الناس ما فات مات، وكل ما هو آت آت"، فهذا ينبغي أن يكون من أشرف الكلام. كلام ربنا إذن -سبحانه، وتعالى!- أشرف الكلام ثم كلام نبيه -صلى الله عيه، وسلم!- ثم ما رواه نبيه من كلام الناس، كقوله: "أَصْدَقُ كَلِمَة قَالَهَا شَاعِرٌ كَلِمَةُ لَبِيدٍ: أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهَ بَاطِلُ". ما شاء الله! هل يطمح الواحد منا إلى أكثر من أن يروى كلامَه العظماءُ! في مرة من المرات ذكر سماحة الشيخ أحمد (مُفتي عُمان)، شيئًا فعله الدكتور محمود الريامي، انظر إلى الشرف، فكان شيئًا نهنئ عليه الدكتور محمودًا، نهنئه بأن سماحة الشيخ، ذكر بحثه، قال: "وقد فعل الدكتور فلان كذا"، هل بعد هذا شرف؟ وأشرف منه أن يذكره السلطان قابوس، وأشرف منه أن يذكره الصحابة -رضي الله عنهم!- وأشرف منه أن يذكره رسول الله -صلى الله عليه، وسلم!- وأشرفه منه أن يذكره رب العالمين، عز، وجل!
- الله!
- ومن هؤلاء الذين ذكرهم؟ من الذي ذكر باسمه في القرآن؟
- زيد.

- زيد، هل هناك شرف بعد هذا! صار اسمه قرآنًا يتلى في الصلوات على مدار الزمان! وهناك من ذكر بموقفه دون اسمه، سبحان الله! هل بعد هذا شرف! طيب! هكذا نُخَرِّجُ هذا كما تعودنا، ونُغَنّيه في وقت التخريج كذلك.

أَتَانِي عَنْ| خط

ـكَ مَا لَيْسَ| خط

عَلَى مَكْرُو، أين نضع الخط؟

- بعد الواو.
- بعد الواو. "هِهِ صَبْرُ" هذه سهلة. فَأَغْضَيْتُ| عَلَى عَمْدٍ| وَقَدْ يُغْضِي الْـ، أين؟
- بعد لام أل.
- بعد لام أل، فَتَى الْحُرُّ| ثم نكتب صوت العزف أو العزيف، عزيف الجن:

أَتَانِي عَنْ= ددن دن دن

كَ مَا لَيْسَ= ددن دن د

عَلَى مَكْرُو= ددن دن دن

واو المد حرف ساكن "ن"، وسين "ليس" حرف مفتوح "دَ".

هِهِ صَبْرُ= ددن دن دن

اتفقنا على أن هاء الضمير إذا تحركت بعد متحرك وجب...

- إشباعها.
- إشباعها، فكأن لها هنا ياءً غير مكتوبة، طبعًا لها ياء غير مكتوبة، ونحن هنا أناسٌ أَصْوَاتِيُّونَ، لا نعبأ بالكتابة، يمكنني أن أكتب لكم بالحروف اللاتينية، يمكنني أن أكتب البيتين بالحروف اللاتينية، لا مشكلة. المهم أن أتكلم العربية، طبعًا نحن يسرُّنا وينفعنا أن نكتب بالحروف العربية المعروفة، التي تنتمي إلى الكتابة المصرية التي ضَرَبَتْ في الأرض حتى بلغت الحجاز. لقد كنت أُدَرِّس الكتابة العربية في جامعة الدول العربية، كنت أدرس الكتابة كيف نشأت، والكلام كيف كُتِب. أنا غير متخصص، لكن طُلِب مني هذا، فدرّستهُ، فاستفدت. ترون أنتم أنفسكم كيف كتب القرآن الكريم بطريقة غيَّرناها نحن الآن، فنحن نجتهد أن نحسِّن قدر الطاقة. أما المصحف

فلأنه يجمع القراءات المتواترة حافظنا عليه كما هو، وأضفنا إليه من غير تغيير في أصله، جاء الخليل، ففعل كذا، وجاء من قبله ومن بعده ففعلوا كذا، دون أن يغيروا...

- في أصله.
- في الأصل، طيب! فنحن هنا نقول: "ـهِهِ= ددن"، "صَبْـ= دن"، "رُ(و)= دن"، كيف؟ أليست "رُ" هذه مثل: "سَ" هذه؟ فتقول: "د" كما قلت هناك؟ لا، ليست مثلها، كيف؟ أنت هنا في آخر البيت، في موقف لابُدّ أن تقف بعده وقفًا مطمئنًّا، لابُدّ، فأما أنت هنا ففي وسط البيت، يمكنك أن تقف وقفًا عارضًا لا مطمئنًّا، ولن تقف، لأن المعنى يمنعك، لكن يمكنك في "فَأَغْضَيْتُ عَلَى عَمْدٍ"، أن تقف وقفًا قصيرًا. "وَقَدْ يُغْضِي الْفَتَى الْحُرُّ"، هنا تقف وقفًا طويلًا، طيب! كيف تقف على متحرك؟ هذا يناقض الوقف، الوقف يقتضي السكون، والسكون ضد الحركة. معنى هذا أن عندنا في "هِهِ صَبْرُ" واوًا غير مكتوبة، لو كتبنا باللاتينية لكتبناها، لكننا في العربية لا نكتبها، لماذا؟ لأننا نجري من قديم الزمان على أعراف، لو غيرناها لانقطعت بين القارئ والكاتب مَؤونة التفاهم، لو حاولت أن تغير من طريقة الكتابة بزعم أنك تمثل الأصوات كما تخرج من فمك لصدقت في هذا -نعم- ولكنك تقطع ما بينك وبين القارئ! تخيلوا شخصًا يجدها مكتوبة هكذا "صَبْرو"، كيف سيفكر فيها؟ مستحيل أن يفهم أنها "صبر" المعروفة، سيقول: "صَبْرُو" هذا اسم شخص على طريقة "خُسْرُو" في الفارسية، مستحيل أن تكون هي كلمة "صَبْرُ" -أرأيتم!- فالكتابة عرف ينبغي ألا يُهدم -ها!- فحافظوا على العرف!

فَأَغْضَيْتُ= ددن دن د

عَلَى عَمْدٍ= ددن دن دن

وَقَدْ يُغْضِي الْـ= ددن دن دن

فَتَى الْحُرُّ= ددن دن د؟

لا، ددن دن دن. لماذا أُلِحّ على هذا؟ لأن بعضكم يخطئ في الواجب وفي البحث، وسيخطئ وينسى هذا، لأنه سيرجع إلى البيت ليشتغل بالغداء والملابس والسيارات والزيارات والمؤانسات، وسينسى هذا التنبيه، وسيخطئ في الواجب وفي البحث، وسيكتبها "ددن دن د"! خطأ، هذه "ددن دن دن"، لأن هذا موضع وقف، والوقف يحتاج إلى سكون، والسكون ضد الحركة. معنى

هذا أنك أشبعت هذه حتى نشأ لها بعدها مد غير مكتوب، لأن الكتابة عرف. طيب! فرغنا من كتابة صوت العصا، فلْنكتب تفعيلات الخليل إكرامًا لواضع العلم، والمصطلحات أدوات العلم. أَتَانِي عَنْ= ددن دن دن، مفاعيلن، سالمة. **وإذا ذكرنا التفعيلة، وجب أن نقدم لكم بحر الهزج!** يا جماعة، هذا بحر الهزج. يا بحر الهزج، هؤلاء طلاب قسم اللغة العربية. تعارفوا -يا جماعة- تعارفوا! في مرة -ها!- زار الشاعرُ الساخر البائس عبد الحميد الديب الشاعرَ الساخر الناعم كامل الشناوي -تمام؟- فأجلسه في الصالون، ثم غاب عنه قليلا، وجاء بصابونة، ووضعها على الكرسي الذي أمامه، ثم قال له: حضرتها صابونة، وقال لها: حضرته الشاعر عبد الحميد الديب! يعرف بعضهما لبعض، معنى هذا أنه لم يتحمَّم قطُّ، ولم يتشرف بمعرفة مثل هذه الصابونة! طيب! هذا بحر الهزج، فمم يتكون؟ يتكون من "مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن"، مرتين، مرتين؟ معقول -يا أستاذ!- متأكد؟ أعد النظر، أعد النظر لآخر مرة! و"مفاعيلن" تتكون من "مفا"، و"عي"، و"لن"، "مفا" وتد مجموع كما تعلمنا من قبل، متحركان فساكن (ددن)، و"عي" سببٌ خفيف كما تعلمنا من قبل (دن)، و"لن" سببٌ خفيف كما تعلمنا من قبل أيضا (دن)، تمام؟ حينما تذكرنا التفعيلات وأقبلنا نضيفها، تذكرنا وجوب تقديم البحر لكم، فقلنا: تفضلوا -يا جماعة- هذا بحر الهزج. ومن ألطف التسميات هذه التسمية، لأن الهزج غناء أصلًا، فتسمية هذا النمط الوزني بحر الهزج تسمية موفقة، لأن الوزن غناء، والهزج غناء، فهذا من تسمية الأشياء بما يناسبها، فتسمية الهزج أكثر توفيقًا مثلا من تسمية الطويل والكامل وكذا، لأن كلمة هزج في نفسها غناء. تمام؟ طيب! تعرفون أن الخليل بنى علمه على نظرية الدوائر، هذه النظرية التي كشف بها صلات البحور، فاكتشف أن هذا البحر وذاك البحر وذلك البحر من عائلة واحدة، فجمع هذه المجموعة، ورسمها على دائرة واحدة، ثم قال: مِن هنا يبدأ بحر كذا وإلى هنا ينتهي، ومِن هنا يبدأ بحر كذا وإلى هنا ينتهي، ومِن هنا يبدأ بحر كذا وإلى هنا ينتهي. صنع دائرة بحور الأسرة الواحدة، عبقريٌّ قطعًا! عمل مدهش! وكان يستدل بالبحور في الأسرة بعضها على بعض، استدل على الهزج مثلًا في عائلته، بأخويه الرجز والرمل، والرجز مسدس التفعيلات (مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن)، وكذلك الرمل (فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن)، فانتبه إلى أن الهزج ينبغي أن يكون مثلهما مسدَّسًا (مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن

مفاعيلن) -وهذا كان في خيال الخليل فقط، فلم يحدث في الواقع أن كان البيت من الهزج ست تفعيلات- فلعلكم تقولون له: ما هذا، يا أستاذ! تضحك علينا! تُضلّلنا! ولعله يقول لكم: ما ضللتكم، بل استدللت بالأخوين على أخيهما، كما تستدلون أنتم ببعض الإخوة في الأسرة على بعض. تسمعون أن فيها ثلاثة أولاد، وأن اثنين منهم صالحان برّان تقيان مجتهدان، فتقدرون أن الثالث مثلهما، وربما اكتشفتم العكس فيما بعد! لكن المهم أنكم مضيتم على منهج منطقي، أغلب الناس في الأسرة صالحون، فهذا صالح مثلهم حتى يثبت العكس، فلما اطلعتم على الواقع اكتشفتم أنه فاسد، فماذا تفعلون؟ تحاولون أن تعالجوا هذا الخلل بإضافة تنبيه زائد، وهذا ما فعله الخليل، ماذا فعل؟ قال: "البيت من الهزج: مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن مرتين، وهو مجزوء وجوبًا". ما معنى مجزوء؟ حُذِف جزء، حذفت تفعيلة من كل شِطر من شِطري البيت. أرأيتم كيف حل المشكلة! قضى الخليل بأن بيت الهزج مسدس التفعيلات: (مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن)! كيف، يا مولانا؟ استدللتُ بالأخوين على أخيهما، فقلت: أخو الصالحين صالح (أخو المسدَّسين مسدَّس). لكن لما وجده في الواقع فاسدًا (مربَّعًا لا مُسدَّسًا)، تمهّل قليلا: ماذا أفعل؟ ثم أضاف إضافة، لم يلغ الأصل، لم يلغ قوله في الأسرة إنها أسرة من الصالحين، لكنه أضاف إضافة تخص هذا الولد فقط -تمام؟- وهذا منطق سليم طبعًا، أبقى للأسرة الوصف بالصلاح على وجه العموم -ويوازيها هنا القول بعموم التسديس، أي عموم كون البيت ست تفعيلات- وأضاف أن البيت من الهزج "مجزوء وجوبًا"، أي محذوفة من كلا شطريه تفعيلة واحدة. ما الجَزْء إذن؟ علة شديدة، تحذف فيها تفعيلة كاملة من كلا شِطري البيت، ليصير المسدس مربعًا، والمثمن مسدسًا، وهكذا وهكذا. لا تنسوا أنهم كانوا يسمون التفعيلة جزءًا -راجعوا أجوبة أسئلة التقديم- وإفيعلًا، وتفعيلًا، وركنًا! ومن تسمية التفعيلة جُزْءا كان الجَزْء حذف جُزْء -ألا تقولون: جَزَأْتُ لك المقال، وجزّأْتُه؟ ما معنى هذا؟ أصبتُ منه جزءا، أو قسمته على أجزاء، كلام عربي معروف- وكان البيت مجزوءا حذفت من كلا شطريه تفعيلة -طيب!- فالجَزْء حذف تفعيلة كاملة من كل شِطر من شِطري البيت، ليصير المثمن إلى المسدس، والمسدس إلى مربع، وليس وراءهما في شعر العرب شيء. طيب، انتبه معي! "لَكَ مَا لَيْسَ= ددن دن د"، ما هذه؟

- مفاعيل.

- مفاعيل فقط؟ مفاعيلُ، ونضع ضمة، حتى ننتبه. ما "مفاعيلُ" هذه؟ مغيرة. ما اسم تغييرها؟ الكَفُّ، وهي به مَكْفوفة. ما الكف؟ حذف ساكن السبب الخفيف، متى كان سابع حرف في التفعيلة. ذكرت لكم حينما كنا نتكلم عن القبض في المتقارب، أنه سيحدث في أكثر من مكان، وله في كل مكان اسم، التغيير هو هو، حذف ساكن السبب الخفيف، لكنه إذا حدث ثانيًا سمي الخبْن، وإذا حدث رابعًا سمي الطَّيّ، وإذا حدث خامسًا سمي القَبْض، وإذا حدث سابعًا سمي الكَفّ، والتفعيلة به مكفوفة -تَعَدَّدَتِ الْأَسْمَاءُ وَالْحَذْفُ وَاحِدٌ!- إذا أردتم أن ترمزوا إليها بالكاف لم يكن من بأس، على أن تذكروا لي رموزكم في الصفحة الأولى.

عَلَى مَكْرُو= ددن دن دن، مفاعيلن، سالمة

هه صَبْرُ= ددن دن دن، مفاعيلن، أي: س

فَأَغْضَيْتُ= ددن دن د، مفاعيلُ، مكفوفة

مشكلة العصا أنها لا تستطيع أن تمنع السكوت، مفاعيلُ مكفوفة؛ فما الكف إذن؟

- حذف ساكن السبب الخفيف.
- حذف ساكن السبب الخفيف متى كان؟
- سابع حرف.
- سابع حرف. والكف زحافٌ لطيف جدًّا، لطيفٌ جدًّا! بل ربما كان أحسن في بعض الأحيان من السلامة؛ قال الأصمعي: "رُبَّ زِحَافٍ أَطْيَبَ فِي السَّمْعِ مِنَ الْأَصْلِ"! ألم تكتبوا هذه العبارة من قبل؟ مساكين، مساكين؛ كيف إذن سآخذ الملف فارغًا منها ومن مثلها؟ هذه عبارة من الحكمة العالية، تنفعنا في علم العروض- وهي من حِكَم علم العروض- وفي غير علم العروض؛ ألم يحدث لكم في حياتكم أن فعلتم أمرًا كنتم تظنون أنه خطأ، فبان أنه أفضل من الصواب؟ يحدث؛ رب تصرُّف كنت تظنه خطأً مفسدًا مدمرًا للعمل، فإذا هو أفضل شيء في العمل!

فَأَغْضَيْتُ= ددن دن د، مفاعيلُ، مكفوفة

عَلَى عَمْدٍ= ددن دن دن، مفاعيلن، سالمة

وَقَدْ يُغْضِي الْـ= ددن دن دن، مفاعيلن، سالمة

فَتَى الْحُرُّ= ددن دن دن، مفاعيلن، سالمة

هناك في عبث العابثين يستعملون ما يسمى الكتابة العروضية، كيف يكتبون؟ تدرون كيف يكتبون "وَقَدْ يُغْضِي الْ"؟ طيب، انتبهوا، انتبهوا! لو كتبناها كتابة عروضية لقلنا: "وَقَدْيُغْضِلْ" هكذا! وكيف يكتبون "فتى الحر" كتابة عروضية؟ هكذا: "فَتَلْحُرْرُو"! ما قولكم في هذا العبث؟ هذا أشبه بِحُرُوز السَّحَرة (أَحْجِبَتِها)، هل تعرفونها؟

- نعم.
- هل رأيتم شيئا منها من قبل، هل جربتم فتح شيء منها؟
- لا.
- أنا جربت، نعم! فماذا رأيت في الداخل؟
- لا شيء!
- بل رأيت! كانت جدتي دائمًا تصنع لي منها -رحمها الله!- ومرة فتحت واحدًا، فوجدته راءات مرتبة فقط، راءات مرتبة ما زلت أذكرها! كلام فارغ، كلام فارغ! أهذا العبث يغني عن كلام رب العالمين في كتابه، سبحانه، وتعالى! معقول! يا أخي، اكتب لنا شيئًا من القرآن مثلًا، اكتب لنا حكمة تنفعنا في حياتنا! أتكتب عبثًا لا دلالة له، لا معنى له! ألَا إنَّ الكتابة العروضية لَمِثْلُ ذلك! ثم هم لا يتقنونها أصلًا. أتحداهم! أنا حققت "مظهر الخافي في علمي العروض والقوافي"، لسعيد بن خلفان الخليلي، فوجدته -وهو المحقق المدقق- يخطئ في الكتابة العروضية! من ورَّطك في الكتابة العروضية؟ لماذا وَرَّطت فيها نفسك؟ وهو رجل كبير عظيم. فكان أحيانًا يفعل غير ما ينبغي! هذه الكتابة العروضية طبيعتها غير طبيعية! لا، الأفضل أن تكتب الكتابة العادية، وأن تستهلك جهدك في ضبطها، لا في تحويلها إلى هذه الرموز السخيفة، تمام؟ **طيب! الآن نكمل عملنا جماعةً،** لكن بعد أن أوصيكم: شُدّوا دساتين أعوادكم، وأَحْموا طبولكم ودفوفكم، واشربوا، واطربوا -اشربوا ما شئتم من القهوة العمانية، أو التركية، أو البدوية والبدوية أحسنها، أو ما شئتم من عصير التوت الأسود المقدس- واطربوا -ما الطرب؟ البهجة، فابتهجوا، فأنتم الآن في عمل مبهج- ولا يتقدمنَّ عازفٌ...
- عازفًا.
- عازفًا، فالعمل؟

- واحد.
- جماعي، فإن ظن أنه يحسن...
- فإنه يسيء.
- فإنه يسيء، واجعلوا النغمة...
- أكثر زرقة.
- ما معنى أن تكون أكثر زرقة؟ لا نعرف -يا أستاذ!- هذه حالة تعرفها أنفسُنا ولا تؤديها ألسنتُنا، حالة نعيشها، لا ندري كيف تكون! سحر، سحر، ها!
- أَتَأني عَنْ= ددن دن دن

ـكَ مَا لَيْسَ= ددن دن د

عَلَى مَكْرو= ددن دن دن

هه صَبْرُ= ددن دن دن

فَأَغْضَيْتُ= ددن دن د

عَلَى عَمْد= ددن دن دن

وَقَدْ يُغْضِي الْـ= ددن دن دن

فَتَى الْحُرُّ= ددن دن دن

وَأَدَّبْتُ= ددن دن د

ـكَ بِالْهَجْرِ= ددن دن د

فَمَا أَدَّ= ددن دن د

ـبَكَ الْهَجْرُ= ددن دن دن

وَلَا رَدَّ= ددن دن د

ـكَ عَمَّا كَا= ددن دن دن

ـنَ مِنْكَ الصَّفـ= ددن دن دن

ـحُ وَالْبِرُّ= ددن دن دن

فَلَمَّا اضْطَرْ= ددن دن دن

ـرَني الْمَكْرُو= ددن دن دن

ـهُ واشْتَدَّ= ددن دن د

بِيَ الْأَمْرُ= ددن دن دن

تَنَاوَلتُ...

- ما شاء اللّٰه! تنتظرون حتى تقلبوا الصفحة!
- ههه!
- لا حول ولا قوة إلا باللّٰه! هل سمعتم بعازفين في فرقة يقولون للجمهور: انتظروا حتى نقلب الصفحة!
- ههه!
- بسْ، لحظة نقلب الصفحة! يا للعار! يا للعار! أي عار هذا! جهّز الصفحة، واقلب سريعًا من غير تعطيل، بسرعة، هذا هو، مساكين، مساكين، ها!
- وَلَا رَدَّ= ددن دن د

ـكَ عَمَّا كَا= ددن دن دن

ـنَ مِنْكَ الصَّفْ= ددن دن دن

ـحُ وَالْبِرُّ= ددن دن دن

فَلَمَّا اضْطَرْ= ددن دن دن

ـرَني الْمَكْرُو= ددن دن دن

ـهُ واشْتَدَّ= ددن دن د

بِيَ الْأَمْرُ= ددن دن دن

تَنَاوَلتُ= ددن دن د

ـكَ مِنْ شَرّي= ددن دن دن

بِمَا لَيْسَ= ددن دن د

لَهُ قَدْرُ= ددن دن دن

فَحَرَّكتَ= ددن دن د

جَنَاحَ الذُّلْ= ددن دن دن

ـلِ لَمَّا مَسْـ= ددن دن دن

ـسَكَ الضُّرُّ= ددن دن دن

إِذَا لَمْ يُصْـ= ددن دن دن

ـلِحِ الْخَيْرُ امْـ= ددن دن دن

ـرًا أَصْلَحَ= ددن دن د

ـحَهُ الشَّرُّ= ددن دن دن

- صعب -ها!- صعب، أعيدوا، أعيدوا!

- إِذَا لَمْ يُصْـ= ددن دن دن

ـلِحِ الْخَيْرُ امْـ= ددن دن دن

ـرًا أَصْلَحَ= ددن دن د

ـحَهُ الشَّرُّ= ددن دن دن

- إِذَا لَمْ يُصْـ، قل يا أحمد، ها!

- إِذَا لَمْ يُصْـ= ددن دن دن

ـلِحِ الْخَيْرُ امْـ= ددن دن دن

ـرًا أَصْلَحَ= ددن دن د

ـحَهُ الشَّرُّ= ددن دن دن

- هو أصعب الأبيات قولًا وعزفًا، ولا يستحيل أن يحدث. طيب! **قد خرّجنا الوزن، فما قافية البيت الأول، ولماذا؟**

- صَبْرُ.

- لماذا؟ ها!

- مَكْرُوهِهِ صَبْرُ.

- هل سمعتم مسعدًا ماذا يقول؟ "مَكْرُوهِهِ صَبْرُ"، ما شاء الله! البيت كله قافية!

- ههه!

- لا بأس عليك، إن شاء الله! ما قافية البيت الأول -البيت الأول كله قافية!- ما قافية البيت الأول؟ "صَبْرُ" فقط -يا مسعد!- فقط، لماذا؟ ها! علمتَنا -يا أستاذ!- أو علمنا الخليل أن القافية آخر ساكنين، أين آخر ساكنين؟ الباء والواو الأخيرة غير مكتوبة، وما بينهما، ما الذي بينهما؟
- الراء.
- الراء المضمومة. وما الذي قبلها، ما المتحرك الذي قبلهما؟
- الصاد.
- هي إذن "صَبْرُ"، ها!
- صَبْرُ.
- ها!
- صَبْرُ.
- وقافية الثاني؟
- ـحرّ.
- ـحرُّ، ها!
- ـهجرُ.
- ـهجر، ها!
- ـبرّ.
- ـبرّ، ها!
- ـقَدْرُ.
- ـقَدْرُ، ها!
- ـضرُّ.
- تعثرتم في "ضُرُّ"، لأنها مشددة، أبدلت اللام ضادًا لأنها شمسية، وأدغمت في الضاد، الضاد الأولى ليست منا، هي آخر ما لا علاقة لنا به، نبدأ من الضاد الثانية إلى الآخر، إذن...
- ـضرُّ.
- ها!

- ـشَرُّ.
- ـشَرُّ، وهكذا في "شَرُّ". طيب! **ما أقوى الحروف المكررة؟**
- الراء.
- الراء، هل يماري في هذا أحد؟ يستحيل، يستحيل أن يماري في هذا أحد، الراء سيد الحروف، وهو متصف في أصله بالتكرار، وأنا أسألكم -ها!- عن الحرف المكرر، من هذا الذي يفتش عن شيء غير الراء! رررررر، الراء الصوت المكرر! هذا سيد الحروف -يا أبنائي!- الراء سيد الحروف. لي نص على موقعي اسمه "مِنْ تَكَاذِيبِ الْأَعْرَابِ"، أتخيل فيه الحروف العربية قد اجتمعت في مسجد، تأخذ عن شيخ، والشيخ يتكلم عن مشكلات، وبعد أن تكلم عن مشكلة كانت بين حرفين من الحروف، توجه إلى القبلة ليدعو والحروف تؤمِّن. كانت هذه المشكلة قد حدثت بين حرفين يجور أحدهما على الآخر دائمًا، هما القاف والكاف -طبعًا بعض الناس ينطق القاف كافًا، وبعضهم ينطق الكاف قافًا، مثل كثير من الحروف عندنا في بلادنا العربية، فهذه مشكلة- فجلس الشيخ يتكلم فيها: يا جماعة، لا يجوز، يا جماعة، كذا، وبعد أن فرغ من الكلام في المشكلة اتجه إلى القبلة يدعو ويؤمِّنون، ثم ختم دعاءه قائلًا: "اللَّهُمَّ اقْبَلْ مِنْ عَبْدِكَ حَرْفِ الرَّاء"؛ فانكشف أن السيد هذا المطاع هو حرف الراء، وأنا أقدره كثيرًا؛ لهذا تمسكت به في أسماء أولادي كلهم، بنتي رِيم الأستاذة بجامعة بيكين، بعدها ابني بَرَاء -وسيكون مثلها، إن شاء الله، أستاذًا بالجامعة- بعدهما ابنتي رِهَام -وهي طالبة ممتازة جدًّا- بعدهم سُرَى -وهي ممتازة مثلهم، لكنها شيطانة- وأخيرًا يأتي فُرَات، وهذا لاعب كرة محترف، سيكون -إن شاء الله!- "رونالدو" المستقبل، وإن كان يفضل "مِيسّي"!
- ههه!
- حتى زوجي "فريدة"، وعائلتي "صَقْر"، هذا تقدير رب العالمين! سيد الحروف الراء، طيب! فما حركته؟
- مضموم.
- الضمة، هل قبله ألفٌ أو واو أو ياء ساكنات؟
- لا.

- هل قبل الذي قبله ألف؟
- لا.
- لو كان قبله ألف، أو واو، أو ياء ساكنات لقلنا هذه القافية مُرْدَفة بالألف أو الواو أو الياء. ولو كان قبل الذي قبله ألف لقلنا هذه القافية مُؤَسَّسة، لكنها ليس فيه لا هذا ولا ذاك؛ فهي مجردة منهما، مجردة، تمام؟ فما الذي بعده؟
- واو.
- واو، فهو موصول بالواو، هي التي وصلت به إلى الغاية. هيا، اكتبوا بيانات هذه البطاقة! ماذا نقول في البيانات؟
- هذه قصيدة.
- هذه قصيدة، هَزَجيّة الأبيات التامة؟ الوافية؟ لا تامة، ولا وافية!
- المجزوءة.
- أحسنت! المجزوءة. يا جماعة، قلت لكم: نذكر البحر، ونذكر طول البيت منه. والبيت كما ترون، لم يستوف عدد التفعيلات، فكيف نسميه تامًّا أو وافيًا! شرط التام والوافي استيفاء أعداد التفعيلات، فماذا نسميه إذن؟ نقول: هذه القصيدة هزجية الأبيات المجزوءة، تمام؟ انتهينا. انتقلوا إلى صورتي العروض والضرب! بالمناسبة بعد الجزء تصير التفعيلة الثانية هي العَروض، والرابعة هي الضَّرْب؛ فهذه التي كانت قبل العروض تصير هي العروض، كأنها نائب العميد يصير العميد في غياب العميد، وهذه تصير الضرب طبعًا، تُحذف هذه وتقوم هذه مقامها، فيجري عليها ما كان يجري على تلك. ومن الذي أدرى الشاعر؟ الشاعر يقول ولا يعبأ بعلم الخليل، فهذه عنده في الطرف الأول، وهذه عنده في الطرف الثاني، طيب! ماذا رأيتم على تفعيلة العروض؟ رأيتموها تسلم أحيانًا وتُكَف أحيانًا، فأما تفعيلة الضرب فسالمة أبدًا، وإذا رأينا التفعيلة تتغير وتسلم عممنا السلامة، فكيف بها إذا سلمت في كل موضع؟ هي في الضرب سالمة في كل موضع، فأما في العروض فكفت أحيانًا وسلمت أحيانًا، فسنعمم السلامة، ونحن في هذا الموضع نسمي السلامة؟
- صحيحة.

- صحة، لأن هذا موضع علة، وعدم العلة صحة، فنعمم كلمة الصحة، فماذا نقول؟ هذه القصيدة هزجية الأبيات المجزوءة الصحيحة العروض والضرب -تمام؟ ننتقل إلى القافية ها!- رائية القوافي، ما حركتها؟
- مضمومة.
- المضمومة، ها!
- موصولة.
- لا، قبل هذا.
- المجردة.
- المجردة، أي من الردف والتأسيس، ها!
- الموصولة.
- الموصولة بالواو، لابُدّ أن تقول هذا، لأنها -وهي المضمومة- ربما وصلت بالهاء، بل ربما وصلت بغيرها كما سأعلمك في القوافي. ها! ماذا قلتم في البيانات؟ هذه مهمة، هذه بطاقتها الشخصية، هذه القصيدة هزجية الأبيات المجزوءة الصحيحة العروض والضرب، رائية القوافي المضمومة المجردة الموصولة بالواو. أحسنتم! انتهينا. بهذا نكون قد فرغنا من هذه الممارسة تمامًا. طيب! ألا ترون صلة هذا بالممارسة الأولى؟ سأعزف لكم لتنتبهوا. تذكروا ما درسناه في المحاضرة السابقة: ددن دن| دن، ددن دن| دن، ددن دن| دن، ددن دن| دن، تأملوا هذا، ماذا ترون؟ أنه كأنه زِيدَ ضربةً، قد زِيدَ كلُّ جزء من أجزائه ضربةً، فبدلًا من "ددن دن"، صرت تقول: "ددن دن دن"، أضفت "دن"، وهكذا تتولَّد الألحان والأنغام بعضها من بعض، فمثلًا ربما جلست على المكتب تذاكر، تفكر في مسألة -ها، تأمل معي!- تفكر في مسألة، فتضرب بالقلم مثلًا وأنت شارد -ها!- ثم فجأة أدخلت رِجلَك في الموضوع وأنت شارد، ها!
- ههه!
- هكذا تتركب الأنغام -يا جماعة!- أتخيل أن الشاعر ولَّد الهزج من المتقارب -ولم يقل بهذا أحد في التاريخ- ولَّد الهزج من المتقارب بضربة أضافها هكذا في شَرْدة من شَرَداته -عندكم "الشردة" في العمانية معناها الهروب!- في شردة من شرداته فعل ذلك، فقال: ما شاء الله! هذه إضافة

ستغير لي الحال، فأضاف هذه، فولد وزنًا جديدًا من وزن قديم، تمام؟ إن الذي أقوله لكم ما زال يُحيِّر العلماء: كيف نشأت الأوزان؟ وكيف تطورت؟ شيء محير جدًّا، يحيِّر العرب والعجم في الشعر العربي، كيف تولدت الأوزان؟ كيف خرج بعضها من بعض، وازدادت حتى بلَغَت ما بلغته؟ أنا أدعي أنها بدأت على وجه واحد، ثم تفرّعت الوجوه بعضها من بعض، فعليك أن تكتشف السر، الخطوة المنطقية الموسيقية التي تلي هذا، طيب! لماذا أقول هذا؟ لأنه سينفعني في الممارسة الثالثة. **الآن لن نضيع ما بقي من الوقت، وسنستمتع فيه بنص ممارستنا الجديدة، وهو قصيدة طويلة قياسًا إلى ما سبق، لعبد الله البردوني نفسه**، لكن وقت نظمها محدد، نظمها سنة خمس وسبعين وتسعمئة وألف الميلادية، هذا وقت ينبغي أن يُفتَّش عنه، ما الذي حدث في تلك الأيام؟ لأنه سيتكلم كلامًا خطيرًا، يا جماعة! هذه قصيدة "سِنْدِبَادٌ يَمَنِيٌّ فِي مَقْعَدِ التَّحْقِيقِ"، قصيدته السابقة كانت "مُغَنٍّ تَحْتَ السَّكَاكِينِ"، فدائمًا يفتش عن الأزمات، ذاك مغنٍّ تحت السكاكين، وهذا سندباد رحالة في مقعد التحقيق. انظروا إلى المفارقات، والمفارقات -يا جماعة!- موطن الفن، ينبغي للفنان أن يتتبع المفارقات، ما المفارقات؟ الأشياء التي تجمع الأضداد، شخص لا يُتوقع منه كذا يفعل هذا الكذا مثلا، تمشي في الشارع فتجد شخصًا ضخمًا يحمل حقيبة كالتي يحملها الأطفال في الحضانة مثلا، مفارقة، ... وهكذا! والفنان هو الذي يمشي ينتبه إلى المفارقات، أما سائر الناس فيمشون فقط!

١) "كَمَا شِئْتَ فَتِّشْ أَيْنَ أُخْفِي حَقَائِبِي أَتَسْأَلُنِي مَنْ أَنْتَ أَعْرِفُ وَاجِبِي
٢) أَجِبْ لَا تُحَاوِلْ عُمْرُكَ الْإِسْمُ كَامِلًا ثَلَاثُونَ تَقْرِيبًا مُثَنَّى الشَّوَاجِبِ
٣) نَعَمْ أَيْنَ كُنْتَ الْأَمْسَ كُنْتُ بِمَرْقَدِي وَجُمْجُمَتِي فِي السِّجْنِ فِي السُّوقِ شَارِبِي
٤) رَحَلْتَ إِذَنْ فِيمَ الرَّحِيلُ أَظُنُّهُ جَدِيدًا أَنَا فِيهِ طَرِيقِي وَصَاحِبِي
٥) إِلَى أَيْنَ مِنْ شَعْبٍ لِثَانٍ بِدَاخِلِي مَتَى سَوْفَ آتِي حِينَ تَمْضِي رَغَائِبِي
٦) جَوَازًا سِيَاحِيًّا حَمَلْتَ جَنَازَةً حَمَلْتُ بِجِلْدِي فَوْقَ أَيْدِي رَوَاسِبِي
٧) مِنَ الضِّفَّةِ الْأُولَى رَحَلْتُ مُهَدَّمًا إِلَى الضِّفَّةِ الْأُخْرَى حَمَلْتُ خَرَائِبِي
٨) هُرَاءٌ غَرِيبٌ لَا أَعِيهِ وَلَا أَنَا مَتَى سَوْفَ تَدْرِي حِينَ أَنْسَى غَرَائِبِي
٩) تَحَدَّيْتَ بِالْأَمْسِ الْحُكُومَةَ مُجْرِمٌ رَهَنْتُ لَدَى الْخَبَّازِ أَمْسِ جَوَارِبِي

١٠) مِنَ الْكَاتِبُ الأَدْنَى إِلَيْكَ ذَكَرْتَه لَدَيْهِ كَمَا يَبْدُو كِتَابِي وَكَاتِبِي

١١) لَدَى مَنْ لَدَى الخَمَّارِ يَكْتُبُ عِنْدَهُ حِسَابِي وَمِنْهُ الشَّهْرِ يَبْتَزُّ رَاتِبِي

١٢) قَرَأْتَ لَهُ شَيْئًا كُؤُوسًا كَثِيرَةً وَضَيَّعْتُ أَجْفَانِي لَدَيْهِ وَحَاجِبِي

١٣) قَرَأْتَ كَمَا يَحْكُونَ عَنْكَ قَصَائِدًا مُهَرَّبَةً بَلْ كُنْتُ أَوَّلَ هَارِبِ

١٤) أَمَا كُنْتَ يَوْمًا طَالِبًا كُنْتُ يَا أَخِي وَقَدْ كَانَ أُسْتَاذُ التَّلَامِيذِ طَالِبِي

١٥) قَرَأْتُ كِتَابًا مَرَّةً صِرْتُ بَعْدَهُ حِمَارًا حِمَارًا لَا أَرَى نَجْمَ رَاكِبِي

١٦) أَحَبَيْتَ لَا بَلْ مِتُّ حُبًّا مِنَ الَّتِي أَحَبَّيْتُ حَتَّى لَا أَعِي مَنْ حَبَائِبِي

١٧) وَكَمْ مِتَّ مَرَّاتٍ كَثِيرًا كَعَادَتِي تَمُوتُ وَتَحْيَا تِلْكَ إِحْدَى مَصَائِبِي

١٨) وَمَاذَا عَنِ الثُّوَّارِ حَتْمًا عَرَفْتَهُمْ نَعَمْ حَاسَبُوا عَنِّي تَغَدَّوْا بِجَانِبِي

١٩) وَمَاذَا تَحَدَّثْتُمْ طَلَبْتُ سِجَارَةً أَظُنُّ وَكِبْرِيتًا بَدَوْا مِنْ أَقَارِبِي

٢٠) شَكَوْنَا غَلَاءَ الخُبْزِ قُلْنَا سَتَنْجَلِي ذَكَرْنَا قَلِيلًا مَوْتَ سَعْدَانَ مَارِبِي

٢١) وَمَاذَا وَأَنْسَانَا الحِكَايَاتِ مُنْشِدٌ إِذَا لَمْ يُسَالِمْكَ الزَّمَانُ فَحَارِبِ

٢٢) وَحِينَ خَرَجْتُمْ أَيْنَ خَبَّأْتَهُمْ بِلَا مُغَالَطَةٍ خَبَّأْتُهُمْ فِي ذَوَائِبِي

٢٣) لَدَيْنَا مَلَفٌّ عَنْكَ شُكْرًا لِأَنَّكُمْ تَصُونُونَ مَا أَهْمَلْتُهُ مِنْ تَجَارِبِي

٢٤) لَقَدْ كُنْتَ أُمِّيًّا حِمَارًا وَفَجْأَةً ظَهَرْتَ أَدِيبًا مُذْ طَبَخْتُمْ مَآدِبِي

٢٥) خُذُوهُ خُذُونِي لَنْ تَزِيدُوا مَرَارَتِي دَعُوهُ دَعُونِي لَنْ تَزِيدُوا مَتَاعِبِي

انتبهوا! "سندباد يمني في مقعد التحقيق"، طلبه الشرطي إلى مركز الشرطة، وأجلسه ليحقق معه.

نتكلم هنا عن الشرطة اليمنية، لا علاقة لنا بالشرطة العمانية، لا تورطونا! الشرطة العمانية -ما شاء الله!- سُمعتها طيبة، حتى الذين اعتقلوا وخرجوا تكلموا كلامًا طيبا، سليمان المعمري ومعاوية الرواحي مثلًا، كلاهما اعتقل وخرج فقال كلامًا طيبا قرأته له عن الشرطة العمانية؛ فدعوها جانبًا، ولنتكلم عن الشرطة اليمنية! "كَمَا شِئْتَ فَتِّشْ"، من الذي يقول؟

- الشاعر.

- السندباد يقول للشرطي: كما شئت فتش! احتجزه، فقال: قف حتى أفتشك! مرة كنت في مطار بكين، وأوقفتني شرطية طويلة ورشيقة وحاسمة جدًّا -ما شاء الله!- قالت لي: ما هذه الحقيبة؟ ما

الذي فيها؟ جَنِّبْ، جَنِّبْ، افتح! فإذا الحقيبة كلها كتب، ضعنا! هذه البلاد شيوعية، أخطر شيء عندها إدخال الكتب الغربية؛ لهذا تمنع، الواتساب ممنوع، الفيس بوك ممنوع، كذا ممنوع، كذا ممنوع، كل هذه الأشياء ممنوعة في الصين، لا يتيحون إلا ما يعجبهم. عندهم برنامجهم الصيني "ويتشات"، يسد هذا المسد، لا فيسبوك ولا واتساب إلا سرقةً، يسرقه الشباب ببرامج أخرى ويدخلون أنفسهم، لا يجوز كذا ولا كذا، ممنوعات ممنوعات، والحزب الشيوعي مسيطر على البلاد كلها. ضعت، إما أن أُعَاد من حيث جئت، وإما أن تُصادَر الكتب! لولا أن أدركتني رحمني ربي بالدكتورة الصينية وو (زكية)، أستاذة اللغة العربية، التي كانت تعمل بمصر -وكنت أعرفها هي وزوجها، اسمها الصيني "وُو"، واسمها العربي "زكية"؛ فهم إذا درسوا العربية تَسَمَّوْا أسماءً عربية- قالت لها: لا، هذا أستاذ بالجامعة، وهذه كتبه... الحمد لله! أشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله! نجوت بالكتب! "كَمَا شِئْتَ فَتِّشْ أَيْنَ أُخْفِي حَقَائِبِي"، أنا مسكين، فمن الذي يقول: "أَتَسْأَلُنِي مَنْ أَنْتَ أَعْرِفُ وَاجِبِي"، من؟

- الشرطي.
- تسألني! من السائل! ومن المسؤول! احترم نفسك! أنا أسأل، وأنت تجيب فقط! "أَتَسْأَلُنِي مَنْ أَنْتَ أَعْرِفُ وَاجِبِي"، "أَجِبْ لَا تُحَاوِلْ عُمْرُكَ الْإِسْمُ كَامِلًا ثَلَاثُونَ تَقْرِيبًا"، تقريبًا! الرجل -ما شاء الله!- لا يَعُدّ! كم عمرك؟ عندي كتير، ولا يهمك، عايز ثلاثين تحصَّل، أربعين تحصَّل، خمسين تحصَّل، ولا يدري أصلًا! الحياة في العذاب لا يُدرى ما هي! "ثَلَاثُونَ تَقْرِيبًا مُثَنَّى الشَّوَاجِبِي"، هذا عمره، وهذا اسمه. "مُثَنَّى" من أسماء اليمنيين المعروفة، لأن سيدنا المثنى بن حارثة حكم اليمن، كما حكم عمرو بن العاص مصر، وكما اشتهر عندنا اسم "عمرو"، اشتهر عندهم اسم "مثنى"، محبة للصحابي الذي حكم البلد، ونشر فيها دين الله، سبحانه، وتعالى! ها!
- نَعَمْ...
- من الذي يقول: نعم؟
- الشرطي.
- خطأ، بل السندباد، أي بعد أن أجبتك، نعم، ماذا تريد؟ ها! خَلِّص، نعم! هو طبعا لا يقول بهذه الجرأة: نعم، بل بمنتهى الذل والانكسار. "أَيْنَ كُنْتَ الْأَمْسَ كُنْتُ بِمَرْقَدِي وَجُمْجُمَتِي فِي

السِّجْنِ فِي السُّوقِ شَارَبِي"، ههه! كل شيء في وادٍ، الراجل يعيش حياة من التمزق والتشتت لا تضاهى، أي أنا لا أعرف، أنا مشتت يا أخي، بعضي هنا، وبعضي هناك، وبعضي هنالك. "رَحَلْتَ إذَنْ"، وعلى رغم هذا اتخذها الشرطي منفذًا لإدانته، ولم يرحمه. رحلت إذن، هممم! "فِيمَ الرَّحِيلُ"، فحاول صاحبنا أن يتفلسف عليه، ليكسر حدة الموقف: "أَظُنُّهُ جَدِيدًا أَنَا فِيهِ طَرِيقَي وَصَاحِبِي"، "إِلى أَيْنَ مِنْ شِعْبٍ لِثَانٍ بِدَاخِلِي"، من الذي يقول: إلى أين؟

- الشرطي.
- خطأ، هذا السندباد الآن قالها نيابة عن الشرطي، بدليل النصف الثاني من البيت: "مَتَى سَوْفَ آتِي حِينَ تَمْضِي رَغَائِبِي"، كأنه يقول له: أنا سأكمل لك الأسئلة من قبل أن تقول، ستسألني كذا كذا -ها!- الإجابة كذا كذا، ستسألني كذا -ها!- الإجابة كذا كذا! فيقول: "جَوَازًا سِيَاحِيًّا حَمَلْتَ جِنَازَةً حَمَلْتُ بِجِلْدِي فَوْقَ أَيْدِي رَوَاسِبِي"، "مِنَ الضِّفَّةِ الْأُولَى رَحَلْتُ مُهَدَّمًا إِلَى الضِّفَّةِ الْأُخْرَى حَمَلْتُ خَرَائِبِي"، يتفلسف طبعًا -ها!- والشرطي مسكين، الشرطة معروفة في بلادنا -لا نتكلم عن شرطة عمان، استثنوها الآن!- الشرطة عندنا معروفة بالغباء، لا يدخل كليات الشرطة والجيش إلا الضعاف من الطلاب، إلا من رحم ربي! أنا أخي ضابط، وهو أذكانا أصلًا، أذكانا وأفقهنا، مشغول -وهو ضابط مدفعية- بالتعلم والتأدب والتفقه، ذكي ونشيط وكذا، هذا النمط موجود، لكن السمة الغالبة لدينا هي هذه -ها!- حينما يجد الدرجات في الثانوية قليلة -ماذا يفعل؟- يحلّها بالانتماء إلى هذه المؤسسات التي تقبل أقل الدرجات، فطبعًا حينما يسمع هذا التفلسف يقول له: "هُرَاءُ غَرِيبٌ لَا أَعِيه"، فيسخر منه: "وَلَا أَنَا"، كلام فارغ، سامحني أنا أحيانًا أقول مثل هذا الكلام الفارغ! "مَتَى سَوْفَ تَدْرِي حِينَ أَنْسَى غَرَائِبِي"، ما معنى "أَنْسَى غَرَائِبِي" هذه؟ فقال له: "تَحَدَّيْتَ بِالْأَمْسِ الْحُكُومَةَ مُجْرِمٌ"، "تحديت بالأمس"! ومن أنا حتى أتحدى! "رَهَنْتُ لَدَى الْخَبَّازِ أَمْسِ جَوَارِبِي"! هل يُتوقَّع من شخص رهن أمس لدى الخباز جواربه أن يتحدى الحكومة؟ معقول هذا! فلما رأى الحجة القوية، غيَّر الكلام: "مِنَ الْكَاتِبُ الْأَدْنَى إِلَيْكَ ذَكَرْتُهُ لَدَيْهِ كَمَا يَبْدُو كِتَابِي وَكَاتِبِي"، يبدو أنه استُجْوب قبل هذا التحقيق، وسجّل له بعض الناس محضرًا، فقال له: "ذَكَرْتُهُ لَدَيْهِ كَمَا يَبْدُو كِتَابِي وَكَاتِبِي"، أي ذكرته منذ قليل، "لَدَيْهِ كَمَا يَبْدُو كِتَابِي وَكَاتِبِي". فيقول له: "لَدَى مَنْ"، فيقول له: "لَدَى الْخَمَّارِ يَكْتُبُ عِنْدَهُ حِسَابِي وَمَنْهَى الشَّهْرِ يَبْتَزُّ رَاتِبِي"، فبان

أنه يسخر منه، أنا مسكين، أنا رجل شحاذ، لا أجد قوت يومي، تسألني عن الكاتب الأدنى! أنا رجل متشرِّد، لا أرتاح للحياة، فأذهب إلى الخمارة، أقضي يومي وليلي في السكر، والكاتب الذي أعرفه هو كاتب الحساب في الخمارة، هذا الكاتب الذي أعرفه، يحسُب عليَّ الكؤوس، ويطالبني في النهاية بثمنها، ولا أجد، فيضربني، أو يفعل بي ما شاء، هذا الكاتب عندي أهم من كُتّاب نوبِل! فيقول له وكأنه ينازعه السخرية: "قَرَأْتَ لَهُ شَيْئًا"، فيجيب السخرية: "كُؤُوسًا كَثِيرَةً وَضَيَّعْتُ أَجْفَانِي لَدَيْهِ وَحَاجِبِي" -أتعرفون، أو لا تعرفون أن السكير يتساقط حاجباه!- فيحاول أن ينقل الكلام. هذه مباراة في تنازع السخرية، لكن الأستاذ فيها طبعًا هذا السندباد، لأن السخرية -يا جماعة!- فن رفيع من الأدب، السخرية فن رفيع، لا يقدر عليه أي أحد! لا تظن أن هؤلاء الشُّرط يسخرون، هؤلاء يتكلمون بأسلحتهم. فيقول له: "قَرَأْتَ كَمَا يَحْكُونَ عَنْكَ قَصَائِدًا مُهَرَّبَةً"، فيرد: "بَلْ كُنْتُ أَوَّلَ هَارِبِ"، مهربة! أنا الهارب، والهارب لا يُهرَّب! فيقول له: "أَمَا كُنْتَ يَوْمًا طَالِبًا"، يبدو أنه يبحث له عن مشكلة من أي زمن؛ حين كنت طالبًا هناك، حينما كنت في الروضة، كما اعتقلوا طفلًا في أول الابتدائية، اعتقلوه، واتهموه بأنه كانت بحيازته أسلحة، وأنه مشى في المظاهرات، وهو طفل أصلًا صغير، ها! وقد صنع فِلْم بهذه الحكاية، رأيته في هذه الإجازة الماضية اسمه "خلاويص". الفِلْم كله قائم على اعتقال طفل صغير متهم بكذا وكذا، سبحان الله! فهذا -ما شاء الله!- يفتش له عن مصيبة، يقول له: أما كنت يوما طالبا؟ فيجيب: "... كُنْتُ يَا أَخِي وَقَدْ كَانَ أُسْتَاذُ التَّلَامِيذِ طَالِبِي"، هذا البيت الذي أحبه وأردده عليكم دائمًا: "أَمَا كُنْتَ يَوْمًا طَالِبًا كُنْتُ يَا أَخِي وَقَدْ كَانَ أُسْتَاذُ التَّلَامِيذِ طَالِبِي"، أنا كنت أستاذه في أشياء لا يعرفها. "قَرَأْتُ كِتَابًا مَرَّةً صِرْتُ بَعْدَهُ حِمَارًا حِمَارًا لَا أَرَى نَجْمَ رَاكِبِي"، فينقل له الحديث إلى سياق آخر، كما يشاء هذا الشرطي -له أن يفعل ما يشاء-: "أَحَبَّيْتَ"، ما "أَحَبَّيْتَ" هذه؟ المفروض أن يقول له: أَأَحْبَبْتَ؟ ما "أَحَبَّيْتَ" هذه إذن؟ باللهجة، استعملها البردوني باللهجة، وكثيرًا ما كان يفعل، إذا قرأتم ديوانه، أو فتشتم عن مسجَّلاته على النت- وجدتموه يخلط الفصحى أحيانًا ببعض العامية، ولاسيما من الأغاني اليمنية، حتى في القصيدة التي قالها في رسول الله -صلى الله عليه، وسلم!- أدخل مقطعَ أغنيةٍ يمنية! من الذي يقول؟

- الشرطي.

- "لَا بَلْ مِتُّ حُبًّا"، من الذي يقول؟
- السندباد.
- فيقول له: "... مَنِ الَّتِي"، لم يكمل صلة الموصول، انتبهوا، أي: من التي...
- أحببتها.
- من التي أحببتها؟ فيقول له: "أَحَبَّيْتُ حَتَّى لَا أَعِي مَنْ حَبَائِبِي"، أي من كثرة من أحببت -ما تعدّش يا جمي، العدَدْ في اللَّمون!- ما أكثر حبائبي -لو جلسنا نعدّ ما بِخَلَّصْ!- من التي أَحْبَبْتَ؟ "أَحَبَّيتُ" هذه عجيبة جداًّ، لا هي فصحى، ولا هي عامية، "حَبّيت" عامية، أما "أَحَبَّيْتُ" هذه فهي في منطقة لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، كيف؟ لأنه لو أرادها عامية لقال: "حَبّيت"، ولو أرادها فصحى لقال: "أَحْبَبْتُ". لا قال هذه ولا تلك، قال: "أَحَبَّيْتُ حَتَّى لَا أَعِي مَنْ حَبَائِبِي"! لو استمعتم إلى البردوني لوجدتموه ينطق القاف جافاً على طريقة اليمن كما في جال (قال)، حتى في إنشاد الشعر لا يستطيع في القاف إلا هذا! فيمضي له في طريق الكلام عن الحب: "وَكَمْ مِتَّ"، فيقول له: "مَرَّاتٍ كَثِيرًا كَعَادَتِي"، فيقول له: "تَمُوتُ وَتَحْيَا"، من القائل؟
- الشرطي.
- يعبث به، يلاعبه قليلا، لا بأس، قليلٌ من الملاعبة لا يضر، "تَمُوتُ وَتَحْيَا"، "تِلْكَ إِحْدَى مَصَائِبِي"، لو حكيت لك عجائبي ما انتهينا! "وَمَاذَا عَنِ الثُّوَّارِ"، ها! سندخل الآن في الجد، في الجد! "حَتْمًا عَرَفْتَهُمْ نَعَمْ حَاسَبُوا عَنِّي تَغَدَّوْا بِجَانِبِي"، وأنا في الخمارة -عافاكم الله!- أطلب الكؤوس بعد الكؤوس، أو أطلب الطعام، رأوني، كنت بجانبهم -نعم- وعطفوا عليّ، فلما لم أجد ما أدفعه للرجل دفعوا عني، "حَاسَبُوا عَنِّي"! انظروا إلى أول علاقته بالثوار، انتبهوا، ستتطور العلاقة! جلسوا بجواره في المقهى، وعرفوا مأساته، وحلوا المشكلة. "وَمَاذَا تَحَدَّثْتُمْ"، ها! من الأول، "طَلَبْتُ سِجَارَةً أَظُنُّ وَكِبْرِيتًا بَدَوْا مِنْ أَقَارِبِي"، ها! بدأت الآن العلاقة، لما عطفوا عليه، واقتربوا منه، وحنوا- أحس أنهم منه وأنه منهم. ها! "شَكَوْنَا غَلَاءَ الْخُبْزِ"، ها! بدأت السياسة: والله الأسعار -يا أخي- نار! "شَكَوْنَا غَلَاءَ الْخُبْزِ قُلْنَا سَتَنْجَلِي"، إن شاء الله! بعد يومين، في المشمش، إن شاء الله!
- ههه!

- ها، أتعرفون تعبير "في المشمش"، عند المصريين؟ هذا من تعبيرات الإحالة، أي هو من الأحلام المستحيلة، إن شاء الله! "قُلْنَا سَتَنْجَلِي ذَكَرْنَا قَلِيلًا"، دخلنا في السياسة الصريحة: "ذَكَرْنَا قَلِيلًا مَوْتَ سَعْدَانَ مَارِبِي"، "سعدان ماربي" هذا شبيه بالعزيزي، تعرفون العزيزي مفجر الثورة التونسية؟ هذا كأنه هو "ذكرنا قليلا موت سعدان ماربي"، الآن تأزمت المشكلة. "وَمَاذَا وَأَنْسَانَا الْحِكَايَاتِ مُنْشِدٌ إِذَا لَمْ يُسَائِلْكَ الزَّمَانُ مُحَارِبٌ"، الآن تنبني عقيدة الثورة، المسكين السكير صار في آخر المطاف ثوريًّا! "وَحِينَ خَرَجْتُمْ أَيْنَ خَبَّأْتُمُوهُمْ بِلَا مُغَالَطَةٍ خَبَّأْتُهُمْ فِي ذَوَائِبِي"، "ذوائبي" هذه كناية عن اعتقاده عقيدتهم، خبأتهم في عقلي، آمن بعقيدتهم وانتمى إليهم، انتهينا. "خَرَجْتُمْ أَيْنَ خَبَّأْتُمُوهُمْ بِلَا مُغَالَطَةٍ"؟ بعد كل هذا ماذا نتوقع؟ ناس أحسوا بي وأكرموني، وعرفوا مشكلاتي، وتحدثنا، وتسامرنا، وتطورنا، وذكرنا البلاد والعباد وكذا، لابُدَّ، لابُدّ أن أُداخلهم ويُداخلوني، وأومن بما يؤمنون. "لَدَيْنَا مِلَفٌّ عَنْكَ شُكْرًا لِأَنَّكُمْ تَصُونُونَ مَا أَهْمَلْتُهُ مِنْ تَجَارِبِي"، بيريحوه من المخازن وكذا، لا، عندهم الملفات، شايلها عند الشرطة! فغضب الرجل. قال له: "لَقَدْ كُنْتَ أُمِّيًّا حِمَارًا وَفَجْأَةً ظَهَرْتَ أَدِيبًا"، فيرد عليه: "مُذْ طَبَخْتُمْ مَآدِبِي"، أي منذ حكمتمونا وتحكمتم في مآدبنا، تأزمت الأحوال، وأنضجتني الأزمة! ومن قديم تنضج الأزمة الأدباء، وتفجرهم، وتولدهم توليدًا. أنا منذ حكمتم وأزَّمتم الأوضاع تحولتُ إلى ما ترى، فلا يملك إلا أن يقول: "خُذُوهُ"، فيرد: "خُذُونِي لَنْ تَزِيدُوا مَرَارَتِي"، متعود، بسَوّي عندكم اشتراكْ! "دَعُوهُ دَعُونِي لَنْ تَزِيدُوا مَتَاعِبِي"، هي في الداخل مثلها في الخارج! تعرفون صورة جاءتنا على الواتس -ها!- لجماعة يرفعون رايات الحرية -ها!- وهم خارجون من قفص إلى قفص، من قفص إلى قفص، ها! عندي هذي على موقعي كذلك، وقد علقت عليها تعليقًا ساخرًا. طيب -يا جماعة- هذه قصيدة ثقيلة، نحتاج في أدائها إلى شخصين: من يقدم كلام الشرطي، ومن يقدم كلام السندباد؟ من أحسنُ من يقدم كلام الشرطي؟ من الذي ترونه شرطيَّ البيت مثلا؟ من شرطي البيت؟ الأب أم الأم؟

- الأب.

- الأب شرطي البيت! الأم طبعًا، الأم طبعًا هي التي تحاسب. أنتم في عمان تسمونها وزارة الداخلية، ونحن في مصر نسميها الحكومة -الحكومة يا أخي، لازم أروّح، الحكومة!- وفي إيران يسمونها وزارة الحرب، مباشرة، مباشرة، بلا لف ولا دوران! فإذا كانت الأم في مصر هي الحكومة،

وفي عُمان هي وزارة الداخلية، وفي إيران هي وزارة الحرب- فسنختار منكم فتاةً لأداء كلام الشرطي المتجبِّر، وفتًى لأداء كلام السندباد المسكين! فمن تؤدي كلام الشرطي؟ من؟ من غير خطأ؟ من تستطيع؟ سالمة؟ اتفقنا، ومن الشباب، من؟ من؟ أحمد؟ طيب. سيؤدي أحمد كلام السندباد، وسلمى كلام الشرطي، وإذا أتقنا ولم يخطئا حصل كل واحد على خمس درجات، إذا قبلا المنافسة، عندنا هنا منافسة! هذه قصيدة صعبة تستحق المنافسة، إذا قبلا المنافسة وأدياها من غير خطأ حصل كلٌّ واحد على خمس درجات، وإذا أساءا طردْتُهما أو حذفتُ من كلٍّ منها خمس درجات، وإذا لم يقبلا المنافسة فهما في حِلٍّ من الثواب والعقاب؛ وعطفا عليهما ورأفة بهما أرى أن يرفضا المنافسة من الأول، لأنها ثقيلة، لكن هذا في اللقاء القادم. **بارك الله فيكم! وشكر لكم، وأحسن إليكم، والسلام عليكم!** عندنا الآن مجال يومين للتجهيز، يومين للتجهيز. أما نشوف! خلاص، يا أحمد؟

- الأمور طيبة!
- بتجهز نفسك يعني، ولا خطأ واحد!
- إن شاء الله!

اَلْمُنَادَمَةُ السَّادِسَةُ(١)

- **سلام عليكم!**
- وعليكم السلام!
- طبتم مساء -يا أبنائي!- وطاب مسعاكم إلينا! بسم الله -سبحانه وتعالى!- وبحمده، وصلاة على رسوله، وسلاما، ورضوانا على صحابته وتابعيهم حتى نلقاهم! كيف حالكم؟ كيف أمسيتم؟
- بخير، الحمد لله!
- بارك الله فيكم، وشكر لكم، وأحسن إليكم، ويسر لنا ولكم كل عسير، وسهل كل صعب! في لقائنا السابق، انتقلنا إلى ممارستنا هذه الثالثة، التي نمارسها من خلال قصيدة كاملة للشاعر اليمني الكبير عبد الله البردوني، قالها في يوليو من سنة خمس وسبعين وتسعمئة وألف الميلادية، ولابد أنه قالها في ظروف خاصة، لأن القصيدة سياسية واضحة، وكثير من شعره سياسي. كان شعره ممنوعا من دخول بعض البلاد العربية، وله شعر شديد الوطأة على السياسيين. مرةً حضر إلى معرض القاهرة الدولي للكتاب، فدعاه طلاب كليتي دار العلوم من جامعة القاهرة -وكنت عندئذ، كما قلت لكم في مدة تجنيدي بالجيش المصري، نعم، كنت جنديا في الجيش- فخرجت في إجازة، فذهبت إلى المعرض، ولقيته هناك -كنت أخرج أواخر الأسابيع أحيانا، أخرج الأربعاء مثلا لأعود صباح السبت- ثم عرفت فيما بعد أن الطلاب دعَوه آنئذ إلى الكلية، وأنه حضر إلى مدرج علي مبارك باشا أكبر المدرجات، وأنشدهم، وأشعل حماستهم، ولاسيما بقصيدته "اجتماع طارئ للحشرات"، التي قالها في اجتماع من اجتماعات القمة العربية، سماه "اجتماع طارئ للحشرات"، أرأيتم! وقال في أول القصيدة:

"أَعْلَنَتْ سُلْطَانَةُ الْقَمْلِ اجْتِمَاعَا رُؤَسَاءُ الْبَقِّ لَبَّوْهَا سِرَاعَا

---

(١) رابط هذه المنادمة في قناتي اليوتيوبية:

https://www.youtube.com/watch?v=٢٥T_C٣xMq_k&list=PL٠_bvBmuM٥ySq٦hXNd٤GWcNFIUaI٤uqCM&index=٦

وقد فرغتها أميرة ناصف، وراجعتها لها مريم الصاوي.

وَإِلَيْهَا أَقْبَلَ الأَقْطَابُ مِنْ مَمْلَكَاتِ السِّلِّ مَثْنَى وَرُبَاعَا
جَاءَ شَيْخُ الدُّودِ فِي حُرَّاسِهِ زَارِدًا بَحْرًا وَمُعْتَمًّا شِرَاعَا
مَلِكُ الذُّبَّانِ وَافَى نَافِشًا تَاجَهُ كَيْ يَمْلَأَ الْجَوَّ الْتِمَاعَا
طَارَ سُلْطَانُ الْبَرَاغِيثِ عَلَى نَمْلَةٍ فَازْدَادَتِ الْأَرْضُ اتِّسَاعَا
الزَّنَابِيرُ تَوَالَتْ مِثْلَمَا هَدَّ مِرْحَاضَيْنِ مِرْحَاضٌ تَدَاعَى
شَدِّدُوا كُلَّ الْحِرَاسَاتِ امْنَحُوا كُلَّ زُنْبُورٍ ثَلَاثِينَ ذِرَاعَا
أَحْرِقُوا كُلَّ كِتَابٍ فِي حَشَا أُمِّهِ نَحُّوا عَنِ الْمَهْدِ الرِّضَاعَا
أَغْلِقُوا أَبْوَابَ أُمِّ الرِّيحِ لَا تَأْذَنُوا لِلصُّبْحِ أَنْ يُبْدِي شُعَاعَا
أَدْخِلُوا كُلَّ عُيُونِ الشَّعْبِ مِنْ سَمْعِهِ كُونُوا رُؤَاهُ وَالسَّمَاعَا"!

... إلى ثمانية وخمسين بيتا! قيل: فكان الطلاب معه كالنار المشتعلة! كَسَّر الدنيا كما يقولون! هذا عبد الله البردوني، وهذه قصيدته "سِنْدِبَادُ يَمَنِيٌّ فِي مَقْعَدِ التَّحْقِيقِ"، بعد أن درسنا قصيدته «مُغَنٍّ تَحْتَ السَّكَاكِينِ»! كما ترون يسقط على المفارقات، مواضع المفارقة، مواضع العجب، التي تقتضي العجب، هذا مغن تحت السكاكين، كيف يغني تحت السكاكين! وهذا سندباد، أي حر، طيار في الآفاق، كيف يُقيَّد في مقعد التحقيق! أضداد، مفارقات، مفارقات. **وكنا قد فرغنا من قراءتها وتخريجها في علم اللغة، وعلقنا عليها، وعشناها كما ينبغي، ولم نجد لإقرائكم وقتا، ولكننا نبهناكم في آخر المحاضرة على أن قراءتها تحتاج إلى شخصين: من يؤدي كلام المحقق، ومن يؤدي كلام السندباد،** ورأينا أن الأشبه بالمحقق الأم في البيت، تؤدي كلامَه الطالبةُ (أم المستقبل) -إن شاء الله!- لأنها التي لا تكف عن التحقيق، تحقق مع زوجها وأولادها، من أين جئت، وإلى أين تذهب؟ ها!- وأن الأشبه بالسندباد الأب المسكين يؤدي كلامَه الطالبُ (أبو المستقبل) -إن شاء الله!- لأنه طيار في الشوارع وفي المؤسسات، يبحث عن رزقه! وتطوعت سالمة وأحمد، لكن قبل أن نبدأ نعيد عليهما: تنافسان، أم تقرآن مجانا؟ ها! أتقرآن مجانا أم بخمس درجات؟

- بخمس درجات.
- بخمس درجات؟ مجانا أم بخمس درجات؟
- بخمس درجات، ولكنني لا أعرف تقسيم الحوار!

- لحظة! لا، لن أقول شيئا، نحن فرغنا من هذا، مجانا أم بخمس درجات؟ ولن أحاسب على الخطأ في تمييز الأشخاص؛ لم نتفق عليه، سأحاسب على الأخطاء اللغوية، وإن التمييز من اللغة طبعا! من أهم التمييزات اللغوية أن تميزي كلام الناس: هذا كلام فلان، أما هذا فكلام فلان؛ هذا طبعا لغة وفهم وإحساس، لكن لا بأس سنتجاوز عنه، تجاوزت عنه في المحاضرة السابقة، وسأتجاوز عنه هنا. لكنكما قبلتما المنافسة، فأي خطأ بطرد أو بحذف خمس درجات من المجموع، إذا ما أخطأت في "شئتَ" مثلا فقلت: "شئتُ" مثلا -وليس كما ترى غير تحويل فتحة إلى ضمة- خيرتُك بين الطرد وحذف خمس الدرجات، ها! تقبلان المنافسة؟
- نعم.
- تقبلان؟ سالمة تقبلين؟
- نعم.
- طيب، بسم الله، تفضلا!
- كَمَا شِئْتَ فَتِّشْ أَيْنَ أُخْفِي حَقَائِبِي
- أَتَسْأَلُنِي مَنْ أَنْتَ أَعْرِفُ وَاجِبِي
أَجِبْ لَا تُحَاوِلْ عُمْرُكَ الْإِسْمُ كَامِلَا
- كاملًا، لا يقال في وسط البيت "كاملَا"، خطأ. لا، لا، خطأ؛ لا يوقف في أثناء البيت بتحويل التنوين إلى مد كما نفعل في النثر، لا يجوز هذا، لكن سنتغاضى عنه، وهو خطأ؛ هذه طريقة النثر لا الشعر، فهمتم؟ لا يجوز أن تقولي: عُمْرُكَ الْإِسْمُ كَامِلَا، فصيحة -ما شاء الله!- تقفين على المفتوح المنوَّن بإبدال نون تنوينه ألفا! هذا في النثر لا الشعر، ولكنه خطأ شائع، شائع تسمعه من بعض الشعراء أنفسهم، أن يقفوا في الشعر مثل وقوفهم في النثر، خطأ صريح بشع -وإن كان من الشعراء- لا، بل نقف على الكلمة في أثناء البيت كما هي، محرَّكةً منوَّنةً، وإن لم ينكسر الوزن؛ فإن يفسد طبيعة الشعر، ويغري بما يوقع في الكسر، تمام؟ لا بأس، "عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ"، صدق الله العظيم، ها!
- أَجِبْ لَا تُحَاوِلْ عُمْرُكَ الْإِسْمُ كَامِلًا
- ثَلَاثُونَ تَقْرِيبًا مُثَنَّى الشَّوَاجِبِ

نَعَمْ

- أَيْنَ كُنْتَ الأَمْسَ
- كُنْتُ بِمَرْقَدِي
- مِرْقَدِي! برا، مِرْقَدِي!
- بِمَرْقَدِي
- لا، لن أقبل، إما أن تخرج -يا أحمد- وإما أن أحذف منك خمس درجات!
- احذف خمس درجات!
- انظروا كيف قال! قال: احذف خمس درجات! أنا أُكْبِرُ هذا، حذفنا خمس درجات. هذا كلام الكبار -يا أحمد- هذا كلام الكبار، هذا اختيار الكبار، أحييك على هذا الاختيار! أحمد الناصري... ناقص خمس درجات! طيب! ماذا قلنا؟ "كُنْتُ بِمَرْقَدِي"، ها!
- كُنْتُ بِمَرْقَدِي
- يبدو أن الدرجات ستنتهي!
- كُنْتُ بِمَرْقَدِي وَجُمْجُمَتِي فِي السِّجْنِ فِي السُّوقِ شَارِبِي
- رَحَلْتَ إِذَنْ فِيمَ الرَّحِيلُ
- أَظُنُّهُ جَدِيدًا أَنَا فِيهِ طَرِيقِي وَصَاحِبِي

إِلَى أَيْنَ مِنْ شَعْبٍ لِثَانٍ بِدَاخِلِي مَتَى سَوْفَ آتِي حِينَ تَمْضِي رَغَائِبِي

- جَوَازًا سِيَاحِيًّا حَمَلْتَ
- جِنَازَةً حَمَلْتُ بِجِلْدِي فَوْقَ أَيْدِي رَوَاسِبِي

مِنَ الضِّفَّةِ الْأُولَى رَحَلْتُ مُهَدَّمًا إِلَى الضِّفَّةِ الْأُخْرَى حَمَلْتُ خَرَائِبِي

- هُرَاءٌ غَرِيبٌ لَا أَعِيهِ
- وَلَا أَنَا
- مَتَى سَوْفَ تَدْرِي
- حِينَ أَنْسَى غَرَائِبِي
- تَحَدَّيْتَ بِالْأَمْسِ الْحُكُومَةَ

- واللهِ! منتظرة أن يقول: مُجْرِمٌ؟
- ههه!
- منتظرة أن يقول: مُجْرِمٌ؟ أن يقول للشرطي: مُجْرِمٌ!
- تَحَدَّيْتَ بِالْأَمسِ الْ...
- لكننا اتفقنا على ألا نعاقب على هذا، لكنه عبث، يا سالمة!
- تَحَدَّيْتَ بِالْأَمسِ الْحُكُومَةَ مُجْرِمٌ
- رَهَنْتُ لَدَى الْخَبَّازِ أَمْسِ جَوَارِبِي
- مَنِ الْكَاتِبُ الْأَدْنَى إِلَيْكَ
- ذَكَرْتُهُ لَدَيْهِ كَمَا يَبْدُو كِتَابِي وَكَاتِبِي
- لَدَى مَنْ
- لَدَى الْخَمَّارِ يَكْتُبُ عِنْدَهُ حِسَابِي وَمَنْهَى الشَّهْرِ يَبْتَزُّ رَاتِبِي
- قَرَأْتَ لَهُ شَيْئًا
- كُؤُوسًا كَثِيرَةً وَضَيَّعْتُ أَجْفَانِي لَدَيْهِ وَحَاجِبِي
- ها اللهِ، ها اللهِ!
- قَرَأْتَ كَمَا يَحْكُونَ عَنْكَ قَصَائِدًا مُهَرَّبَةً
- بَلْ كُنْتُ أَوَّلَ هَارِبِ
- أَمَا كُنْتَ يَوْمًا طَالِبًا
- كُنْتُ يَا أَخِي وَقَدْ كَانَ أُسْتَاذُ التَّلَامِيذِ طَالِبِي
قَرَأْتُ كِتَابًا مَرَّةً صِرْتُ بَعْدَهُ حِمَارًا
- واضح واضح!
- حِمَارًا لَا أَرَى حَجْمَ رَاكِبِي
- أعد، أعد، أقنعني، أقنعني!
- هاي ما أول مرة، أعرف!
- يعني اقتنعت، ها! أعد!

- قَرَأْتُ كِتَابًا مَرَّةً صِرْتُ بَعْدَهُ حِمَارًا
- واضح واضح، أعد!
-ههه!
- حِمَارًا لَا أَرَى نَجْمَ رَاكِبِي
- ها!
- أَحَبَّيتَ
- لَا بَلْ مِتُّ حُبًّا
- يا سلام!
- مَنِ الَّتِي
- أَحَبَّيتُ حَتَّى لَا أَعِي مَنْ حَبَائِبِي
- وَكَمْ مِتَّ
- مَرَّاتٍ كَثِيرَةً كَعَادَاتِي
- كثيرة! كعاداتي! هذه أسوأ عادات، هذه أسوأ عادات، يا مسكين! خمس درجات أخرى!
- نخلّص؟
- نخلّص... ناقص عشر درجات، بعدين بيكون لينا عندك درجات -هِهِه!-: فَأَخَذَ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، حَتَّى إِذَا مَا انْتَهَتْ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ها! في الموقف العظيم -عافانا الله وإياكم!- يأتي من له حق على الشخص -ها!-: لي عليك حق، ضربتني، أكلت مالي، كذا كذا -والعُمْلة يومئذ الحسنات والسيئات فقط -ها، لا فلوس، ولا أرض، ولا سيارات، ولا كذا!- أنا مظلوم، أنت ظلمتني، فنقف في يوم الموقف، بين يدي الجبّار -سبحانه، وتعالى!- العدل، الحكم العدل، نصفّي ما بيننا، أخذتُ من حسناتك أخذت أخذت، ثم أفلستَ من الحسنات -وربنا الحكم العدل- فأُخِذَ من سيئاتي، فطُرِحت عليك -لا حول ولا قوة إلا بالله!- فإذا الشخص لا حسنات، بل ركام، جبال من السيئات، فطرح في النار، عافانا الله وإياكم! من يحب هذا الموقف! لا أحد، لا نحب أن نحاسَب أصلا، من نوقش الحساب عُذِّب؛ فاللهم لا تناقشنا أصلا! طيب! فإذا حذفنا من أحمد عشر درجات تُخرِج الميت من الحي لا الحي من الميت

-ها!- هذه تخرج الميت من الحي، هو في الأصل يسعى إلى الألِف (الممتاز)، ضاعت عشر درجات فنزل الآن إلى الباء (الجيد جدا)، تمام؟- سننزل إلى الحضيض بعد قليل، ها! أعد، أعد، أعد، وصوِّب، وأكمل، ها، ابدئي أنت!

- وَكَمْ مِتَّ
- مَرَّاتٍ كَثِيرَةً كَعَادَتِي
- كثيرة؟
- مكتوبة كثيرة!
- كَثِيرًا.
- كَثيرا -ها!- كَثِيرًا!
- والله! خمس أخرى!
- والله، نفس الخطأ!
- أم هي نفس الخطأ؟
- هي نفس الخطأ.
- "عَفَا اللهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللهُ مِنهُ"!
- خلاص، انتقمتَ من أول!
- أحمد هذا شيطان لا تحسنوا به الظن، هذا شيطان من الشياطين! ها! وَكَمْ مِتَّ...
- وَكَمْ مِتَّ
- مَرَّات كَثِيرًا كَعادَتِي
- تَمُوتُ وَتَحْيَا
- تِلْكَ إِحْدَى مَصَائِبِي
- وَمَاذَا عَنِ الثُّوَّارِ حَتْمًا عَرَفْتَهُمْ
- نَعَمْ حَاسَبُوا عَنِّي تَغَدَّوْا بِجَانِبِي
- وَمَاذَا تَحَدَّثْتُمْ
- طَلَبْتُ سِجَارَةً أَظُنُّ وَكِبْرِيتًا...

- بَخَبَّرِ الْوَالِدْ!
- ههه!
- ها!
- بَدَوْا مِنْ أَقَارِبِي
شَكَوْنَا غَلَاءَ الْخبْزِ قُلْنَا سَتَنْجَلِي ذَكَرْنَا قَلِيلًا مَوْتَ سَعْدَانَ مَارِبِي
- ها الله ها الله!
- وَمَاذَا
- وَأَنْسَانَا الْحِكَايَاتِ مُنْشِدٌ إِذَا لَمْ يُسَالِمْكَ الزَّمَانُ فَحَارِبِ
- الله أكبر!
- وَحِينَ خَرَجْتُمْ أَيْنَ خَبَّأْتُمْ بِلَا مُغَالَطَةٍ
- خَبَّأْتُهُمْ فِي ذَوَائِبِي
- لَدَيْنَا مَلَفٌّ عَنْكَ
- شُكْرًا لأَنَّكُمْ تَصُونُونَ مَا أَهْمَلْتُهُ مِنْ تَجَارِبِي
- لَقَدْ كُنْتَ أُمِّيًّا حِمَارًا وَفَجْأَةً ظَهَرْتَ أَدِيبًا
- مُذْ طَبَخْتُمْ مَآدِبِي
- خُذُوهُ
- خُذُونِي لَنْ تَزِيدُوا مَرَارَتِي
- دَعُوهُ
- دَعُونِي لَنْ تَزِيدُوا مَتَاعِبِي
- أرأيتم كيف يقرأ؟
- جميل!
- يقرأ من الجهاز -ها!- يقرأ من الجهاز (جهاز المكفوفين)، وسترون كيف يقرأ ويعزف وكذا، يفعل كل هذا في وقت واحد -ما شاء الله، تبارك الله!- ومع هذا نقصنا منه عشر درجات، أما سالمة فستأخذ خمس درجات!

- دكتورا!
- هل أخطأتُ في شيء؟
- عادي أعطيه الدرجات؟
- ههه! على طريقة الموقف العظيم نأخذ من درجاتها ونطرح عليه، لا، لا، يا سالمة، تستحقين خمس درجات. سالمة الغدانية زائد خمس درجات، ممتازة! كان عندها وقت، فرصة للمراجعة. أحمد ممتاز كذلك -ما شاء الله!- ممتاز بلا شك، لكننا شرطنا، و"الشَّرْطُ أَمْلَكُ، عَلَيْكَ أَمْ لَكَ"! بارك الله فيكم جميعا! ما شاء الله! مستويات بديعة عالية! والقصيدة فعلا مثيرة مدهشة! دائما أحب أن أدرِّسها، دائما، كنت أدرس غيرها، ثم قلت: كيف أترك هذه! هذه متعة، هذه القصيدة متعة، والبردوني وحده أقدر المعاصرين على إدارة الحوار في العمودية، هو وحده الذي يستطيع إدارة حوار في البيت بين عدة أشخاص، مستحيل، شيء مستحيل هذا، لا يقدر عليه أحد كما يقدر عليه البردوني، وقد كتبت عنه هذا. جاءني الطلاب مرة قديما حينما كان في الجامعة خميس قلم وعلي الرواحي وفلان وفلان، فقال لي خميس: ألا تحب البردوني؟ قلت: بلى، أحبه. قال: فحاضِرنا فيه، حاضرنا محاضرة فيه! فقلت: لا بأس. فكَرَبَنِي، وجلست أفكر ماذا أقول؟ فكتبت فيه محاضرة، ورأيت أن أقدم للمحاضرة بأداء مسرحي، كهذا الذي حدث اليوم منكم، لكن بقصيدة "وردة من دم المتنبي"، وقدمنا في الأداء ثلاثة طلاب، صائبة الدرعية، وهي الآن أستاذة كبيرة بنزوى -ها!- ويوسف الزدجالي -وأخوه الدكتور سعود الآن دكتور كبير، ومثقف عماني شهير- وعبد الله الغافري. عندكم في أرشيف جماعة الخليل أعمالي كلها، فقد كنت المسؤول عنها منذ عشرين عاما، طيب! هكذا كنا نفعل، كنا نحاضر المحاضرة، وبين يديها أداء مسرحي ملائم، حتى الشباب من الجماعة الإسلامية حينما دعوني إلى محاضرة، قلت: كيف أفعل هذا؟ فحاضرت في "قرابة الأدب"، وطلبت من المنشد حسن العميري -يسمي نفسه أبا المهند العميري- أن يؤدي بين يدي المحاضرة أداء إنشاديا، حرصا على الشكل العام -محاضرة وبين يديها أداء مسرحي- كان شيئا بديعا! وكل هذا عندكم في الأرشيف، أعمال كثيرة جدا عملناها وهي عندكم في الأرشيف. **طيب! الآن سنأخذ بيتين من هذه القصيدة لنخرِّجهما على السبورة التي لا تحتمل إلا هذا، سآخذ الأول والثاني، لعلمي بأن الأبيات كلها تجري مجرى البيت الأول ولا مفاجآت، لا مفاجآت. لكن**

البيت من هذا النمط طويل يحتاج إلى أن تكتبوه على عرض الصفحة، حاولوا أن تكتبوا بخط النسخ. بسم الله! وكأن هذا بالنسخ! سأحاول -لم أتعود- لكن سأحاول.

كَمَا شِئْتَ فَتِّشْ أَيْنَ أُخْفِي حَقَائِبِي أَتَسْأَلُنِي مَنْ أَنْتَ أَعْرِفُ وَاجِبِي

خط النسخ هذا نعمة، في الإمارات أجبرت الوزارة المدرسين على أن يكتبوا بالنسخ، قرار، هذا قرار ملزم.

أَجِبْ لَا تُحَاوِلْ عُمْرُكَ الْإِسْمُ كَامِلًا ثَلَاثُونَ تَقْرِيبًا مُثَنَّى الشَّوَاجِبِي

لا تحاول أي: لا تحاول...

- الإنكار.
- الإنكار، "عُمْرُكَ"، أي...
- كم عمرك؟
- ما عمرك؟ كم عمرك؟ سأحاول أن أكتب بالنسخ -ماذا أفعل!- خطي أصلا مهرجان من الخطوط.

"عُمْرُكَ الْإِسْمُ"، وهذه "الإسم" إثم! هذا قطع ما ينبغي أن يوصل، هذه همزة وصل، المفروض أن يقول: "عُمْرُكَ الِاسْمُ"، لكن هذا يكسر الوزن؛ فهذه ضرورة شعرية، أي مخالفة لطريقة اللغة من أجل تسليم الوزن ومن أجل الإدهاش جميعا معا؛ فهو يحافظ على هذا الوزن من أجل أن يؤثر فيه. "أَجِبْ لَا تُحَاوِلْ عُمْرُكَ الْإِسْمُ كَامِلًا"، فيقول له: "ثَلَاثُونَ تَقْرِيبًا"، مسكين لا يذكر على الدقة، تقريبا "مُثَنًّى"، وهذه كذلك كان ينبغي أن تكون "مُثَنَّى الشَّوَاجِبِيّ"، كما تقول: أنا محمدٌ العمانيُّ، كذلك هذا أنا مُثَنَّى الشَّوَاجِبِيُّ، فلا قال: مثنًّى، ولا قال: الشواجبيّ، قال: مُثَنَّى الشَّوَاجِبِي، كل هذه التغييرات يسمونها الضرائر، لكنها في اصطلاح المعاصرين من لغة الشعر، لا يستعملون كلمة "ضرورة"، يقولون: لغة الشعر. طيب! كتبنا، هذا الإملاء؛ فلنضف التشكيل، ولنتقرب إلى الله بحسن التشكيل، أو بدقة التشكيل، كما تقربنا بحسن الإملاء، وشعارنا التشكيل التام...

- أو الموت الزؤام!
- "كَمَا شِئْتَ"، استمتعوا يا جماعة، في الوقت نفسه أنطق وأشكل، "كَمَا شِئْتَ"، لكيلا أخطئ، "فَتِّشْ أَيْنَ أُخْفِي حَقَائِبِي أَتَسْأَلُنِي مَنْ أَنْتَ أَعْرِفُ وَاجِبِي"، يا سلام! متعة! "أَجِبْ"، وعلى الجهاز كذلك أستمتع بالتشكيل -وإن كان بطريقة أخرى طبعا!- أشكل سريعا، لم أر في حياتي شخصا

يشكل على الجهاز أسرع مما أُشكل، لكنني رأيت من يكتب أسرع مما أكتب، رأيت هؤلاء، رأيت في عمان وفي مصر من يكتب أسرع مما يتكلم! عندكم معاوية الرواحي، يقول: أكتب أسرع مما أتكلم! ما شاء الله! جبار! لكن لم أر أحدا يشكل أسرع مني في العالم، لكن لا أستطيع هذا إلا في التشكيل، أما في الكتابة فأنا مِثْلُكَ، لم أستطع بعدُ تجاوزك. "أَجِبْ لَا تُحَاوِلْ عُمْرُكَ"، "عُمْرُكَ" على أساس أن هذا خبر مبتدأ محذوف، "عُمْرُكَ الْإِسْمُ"، هذه ضرورة، تسمعون العالم الكبير يقول: الجملة الإسمية! خَطِّئوه، فهي الجملةُ الِاسْمية، أما "الْإِسْمُ" هذه فن لغة الشعر! "كَامِلًا"، وهنا على ما قبل الألف نضع الفتحتين، لا على الألف، هنا لا هنا، وضعها على الألف الآن خطأ من الأخطاء الشائعة، وإن كان وجها قديما! "ثَلَاثُونَ تَقْرِيبًا"، ولا نشكل المد نفسه، لا نضع سكونا كما يفعل بعضكم على المد نفسه. "مُثَنًّى الشَّوَاجِبِي"، هذه التي كان ينبغي أن تكون "مُثَنًّى"، لكنه هنا عاملها بلغة الشعر. "الشَّوَاجِبِي"، وكذلك هذه التي كان ينبغي أن تكون "الشَّوَاجِبِيّ" قال: "الشَّوَاجِبِي"! طيب! الآن نغني استنانًا بسنة شاعر رسول الله -صلى الله عليه، وسلم!- من هو؟ من الذي كان يقول له: "قُلْ وَرُوحُ الْقُدُسِ مَعَكَ"؟ حسان بن ثابت، ماذا يقول سيدنا حسان؟ ماذا يقول؟ يقول: "تَغَنَّ بِالشِّعْرِ"، كتبتم هذا من قبل في الملفات، سنقرؤه لكم في الملفات.

"تَغَنَّ بِالشِّعْرِ إِمَّا كُنْتَ قَائِلَهُ إِنَّ الْغِنَاءَ لِهَذَا الشِّعْرِ مِضْمَارُ"!

ما معنى مضمار؟ مجال ركض، مجال منافسة، مجال مسابقة، ثم يضيف البيت الثاني ويوضح:

"يَمِيزُ مُكْفَأَهُ عَنْهُ وَيَعْزِلُهُ كَمَا تَمِيزُ خَبِيثَ الْفِضَّةِ النَّارُ"!

يا سلام! كلام بديع! كأنه يقول: التغني هو المقياس هنا، تغن بالشعر، بالتغني بالشعر ينكشف لك اتزانُه أو انكسارُه، "تَغَنَّ بِالشِّعْرِ إِمَّا كُنْتَ قَائِلَهُ"، وعبارة "إِمَّا كُنْتَ قَائِلَهُ" هذه، تحتمل أن يريد الشاعر في مقام الإبداع، وأن يريد المنشد في مقام الإنشاد، تحتمل هذا وذاك. "تَغَنَّ بِالشِّعْرِ إِمَّا كُنْتَ قَائِلَهُ إِنَّ الْغِنَاءَ لِهَذَا الشِّعْرِ مِضْمَارُ"، "يَمِيزُ" أي هذا الغناء "يَمِيزُ مُكْفَأَهُ"، أي مزاله عن جهته. "يَمِيزُ مُكْفَأَهُ عَنْهُ وَيَعْزِلُهُ" -يقول لك: هذا فاسد، ضعه جانبا!- "كَمَا تَمِيزُ خَبِيثَ الْفِضَّةِ النَّارُ" -إذا رميت في النار السبيكة عزلَت لك المعادن بعضها من بعض -ها!- عزلت لك بعضها من بعض- "كَمَا تَمِيزُ خَبِيثَ الْفِضَّةِ النَّارُ"، فَلْنُغَنِّ إذن، وسأعلمكم اللحن!

كَمَا شِئْـ ـتَ فَتِّشْ أَيْـ ـنَ أَخْفِي حَقَائِبِي أَتَسْأَ لُنِي مَنْ أَنْـ ـتَ أَعْرِ فُ وَاجِبِي

أَجِبْ لَا تُحَاوِلْ عُمْـ ـرُكَ الْإِسْـ ـمُ كَامِلًا ثَلَاثُو نَ تَقْرِيبًا مُثَنَّى الشْـ ـشَوَاجِبِي

هذا الغناء القديم -يا جماعة!- هذا الغناء القديم: "دخل إسحاق الموصلي على أبي النضير، فوجده يغني مثل ما أغني أنا الآن، فقال له: ما هذا؟ -و«الموصلي» هذا زعيم المغنين والموسيقيين- فقال له: هذا الغناء القديم". هذا الحوار في "الأغاني" للأصفهاني -من أراد أن يعثر عليه فليراجعه- ثابت، موجود، هذه وثيقة. قال له: "هذا الغناء القديم". يغني على طريقة العروضيين طبعا، كما قلت لكم في مقال "لولا الغناء لم يكن الشعر ولولا المغني لم يكن الشاعر"، طيب! فلنضع الخطوط حتى نحدد الحدود، ونحتاج إلى غناء من أجل وضع الخطوط، لكيلا ننسى:

كَمَا شِئْ| ـتَ فَتِّشْ أَيْ| ـنَ أُخْفِي| حَقَائِبِي| أَتَسْأَ| لُنِي مَنْ أَنْ| ـتَ أَعْرِ| فُ وَاجِبِي

أَجِبْ لَا| تُحَاوِلْ عُمْ| ـرُكَ الْإِسْ| ـمُ كَامِلًا| ثَلَاثُو| نَ تَقْرِيبًا| مُثَنَّى الشْ| ـشَوَاجِبِي

ويساعدنا النسخ "مُثَنَّى الشَّ"، فأين نضع الخط؟

- في الشدة.

- في الشدة، في الحرف، من أعلى إلى أسفل، أما الذين يخطون الخطوط مما تحت السطر -ها!- فهؤلاء صفر من العلم، لا يعرفون شيئا، نصّابون، هؤلاء نصابون. من أين جاءت دلالة كلمة "نصاب" على الاحتيال وخداع الناس؟ جاءت من نَصْب الفِخَاخ، أي المصايد، من هنا جاءت، طيب! كَمَا شِئْ= ددن دن| ـتَ فَتِّشْ أَيْ= ددن دن دن| وأستطيع أن أكتب الدندنة مباشرة مع النطق، لأنني ربتت يدي على أن تتنفس مع فمي، هكذا: ـنَ أُخْفِي= ددن دن| حَقَائِبِي= ددن ددن| -يا سلام!- أَتَسْأَ= ددن د| لُنِي مَنْ أَنْ= ددن دن دن| ـتَ أَعْرِ= ددن د| فُ وَاجِبِي= ددن ددن| -يا سلام! متعة متعة!- أَجِبْ لَا= ددن دن| تُحَاوِلْ عُمْ= ددن دن دن| ـرُكَ الْإِسْـ= ددن دن| ـمُ كَامِلًا= ددن ددن| -أتنفس بالقلم كما أتنفس بالفم- ثَلَاثُو= ددن دن| نَ تَقْرِيبًا= ددن دن دن| مُثَنَّى الشْـ= ددن دن| ـشَوَاجِبِي= ددن ددن|، هكذا. الآن أضيف التفعيلات، ددن دن، فعولن، سالمة، **وهنا يسرني أن أقدم لكم بحر الطويل، هذا بحر الطويل -يا جماعة!-** والبيت منه "فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن"، مرتين -تمام؟- ممَّ تتكون "فعولن"؟ مما كانت تتكون منه في المتقارب، من "فعو" الوتد المجموع، و"لن"...

- السبب الخفيف.

- السبب الخفيف. وممَ تتكون "مفاعيلن"؟ مما كانت تتكون منه في الهزج. من "مفا" الوتد المجموع، و"عي" السبب الخفيف، و"لن" السبب الخفيف، لا فرق، لا فرق. وهنا يسرني أن أقول لكم: إن الشاعر الذي جاء إلى المتقارب "ددن دن| ددن دن| ددن دن| ددن دن"، فطوره إلى الهزج "ددن دن دن| ددن دن دن"- هو الذي جاء هنا، فأدخل الهزج على المتقارب، فقال: "ددن دن| ددن دن دن| ددن دن| ددن دن دن"، أي زاد الأمر تعقيدا تركيبا، كان الأمر سهلا: "ددن دن| ددن دن| ددن دن| ددن دن". فزاده خطوة: : "ددن دن (دن)| ددن دن (دن)"،، ثم جاء إلى هنا فأدخل بعضهما في بعض: "ددن دن| ددن دن (دن)| ددن دن| ددن دن (دن)". هذا عندي أحرى بالفهم والقبول في العقل مما يقال في نشأة الأوزان، وهذا باب من العلم (نشأة الأوزان)، تكلم فيه العرب والعجم، كيف نشأت أوزان الشعر العربي؟ تكلم في هذا العرب، كابن رشيق في "العمدة" مثلا، وتكلم في هذا العجمُ جُويار في كتابه "نظرية العروض"، وفايل في مادة "عروض" من "دائرة المعارف الإسلامية"، وهي دائرة إنجليزية -يا عبد الرحمن- وضعها الإنجليز، وللعروض فيها مادة كتبها مستشرق اسمه "فايل"، أَعْرَضَ الدعوى، وأثار الناس، وكذا. أهم ما يمكن أن يقال هنا، أن الشاعر ولد الأوزان بعضها من بعض، بطريقة زيادة التركيب؛ يكون جالسا هكذا يضرب كما تكون على المكتب كما قلت لكم من قبل: "ددن دن| ددن دن| ددن دن| ددن دن"، وفجأة مثلا يحرك عضوا آخر مع هذا، فيتركب اللحن "ددن دن (دن)| ددن دن (دن)"، ثم يزداد تركيبا "ددن دن| ددن دن (دن)| ددن دن| ددن دن (دن)"، وهكذا، كما تسمع مثلا صوت سيارة، وفجأة يدخل صوت سيارة أخرى في خلال الصوت الأول، يزداد الصوت الذي تسمعه تركيبا، وتدخل ثالثة، وهكذا. ذهب واحد إلى المطبخ، فقال: نعمل عصيرا -إن شاء الله!- فأضاف قليلا من المانجو إلى المياه، فأخرج عصير مانجو، ثم دخل أخوه، فأضاف إلى عصير المانجو الفراولة فزاده تركيبا، ثم دخل ثالث، فزاد الأناناس إلى الفراولة والمانجو فأخرج شيئا ثالثا، وربما أفسد ما سبق، المهم أنه...
- أضاف.
- في إجازة المنتصف هذه، ذهبت إلى مطعم -وكنا جماعة- فقال لي صاحبه: سأسقيكم عصيرا من اختراعي، فقدم لنا شيئا يعني ليمونا بالنعناع عليه فراولة. لا، أعجبنا صراحة، أعجبنا، لكن كان شيئا

جديدا -فصدق الرجل- كان شيئا جديدا مثيرا! هكذا -يا جماعة!- تطورون، تخلطون، وتركّبون، وتزيدون الأمور جدة، حداثة، بهذا الشكل، طيب! هذا بحر الطويل، ملك البحور، ملك، تعرفون الملك؟ الملك السيد المطاع المسوَّد، بحر الطويل هذا هو ملك البحور المسوَّد عليها تَسويدا -من السِّيادة، لا السَّوَاد!- هو ملك البحور، هكذا هو. ولهذا الملك أخ ووزير، سيأتي في حينه ذكره، لكن المقام الآن لبحر الطويل ملك البحور، من أين جاءه المُلْك؟ أبالوراثة؟ ها! جاءه بكثرة الاستعمال؛ فهو أكثر بحور الشعر العربي استعمالا على مدار التاريخ. ادخلوا! لو كان معي جهازي لفتحت لكم الموسوعة الشعرية، ولدخلنا فاطلعنا على الإحصائيات العروضية، ولوجدنا أنه أكثرها على الإطلاق، على الإطلاق، بينه وبين الذي بعده فرق. عندنا أربعة أبحر هي أكثر البحور استعمالا، هذا أولها وسيدها، تعجب أنه ما زال جديرا، ما زال إلى هذي الأيام حيًّا يرزق، تعجب حين تجد نزار قباني ينظم من هذا البحر في الغزل! تقول: كيف والغزل محتاج إلى شيء صغير هكذا، لطيف! لا، بل استعمله في الغزل، ولو كان معي جهازي لعرضت عليكم مما قال ما يؤكد نجاح هذا البحر، وأن تسميته بحراً تسمية موفقة جدًّا؛ فلم ينفد على كثرة المغترفين، وتسمية الطويل واضحة؛ فهو طويل كما ترون، طويل، طويل له...

- دون البحور...
- دون البحور...
- فضائل
- فضائل -نعم!- ومن فضائله هذا الطول نفسه، نعمة كما هو نقمة؛ إذا كان عندك ما تقوله فهو نعمة، وإذا لم يكن عندك ما تقوله فهو نقمة! تبدأ في البيت -ها!- تبدأ، عندك مادة للكلام تكمل، إذا لم يكن عندك انتهيت! ها، فماذا تفعل فيما بقي؟ ماذا تفعل؟ تلصق أي شيء.
- تنتقل للبسيط!
- لا، لا؛ بل ستلصق أي شيء -ها!- فتقع عند العلماء، كما قال الحطيئة:

"أَلَا حَبَّذَا هِنْدٌ وَأَرْضٌ بِهَا هِنْدُ وَهِنْدٌ أَتَى مِنْ دُونِهَا النَّأْيُ...

وانقطع هنا وهو أحد كبار شعرائنا -يا رب، كلمة، يا رب، كلمة!- فقال: وَالْبُعْدُ -طيب!- والنأي هو البعد؛ فوقع! سأعلمكم حينما نصل إلى القافية عجائب من هذا، أحفظ منها أشياء كثيرة جدا،

ومنها لطائف شديدة نقلتها عن "الأغاني" للأصفهاني، هذا الكتاب يستحق القراءة، سماه هنري جورج فارمر هذا الفرنسي المتعصب للعرب، المتعصب للعرب لا عليهم، سماه "كتاب الحضارة العربية الإسلامية العظيم"، وفي هذا الكلام نظر قطعًا، لكن هكذا قال. نعود، ها! "كَمَا شِئْـ= ددن دن، فعولن، سالمة"، لأنه إذا جاءت التفعيلة على ما خرجت في نظام الخليل النظري، سميناها سالمة، إذا غُيِّرت عن هذا كانت مغيرة، وفتشنا عن اسم التغيير إذا كان لنا بهذا علم، وإن لم يكن لنا به علم قلنا مغيرة أو متغيرة، وهذا أحسن من أن نَتَأَلَّى على الله ونكذب على الخليل! "ـتَ فَتِّشْ أَيْـ= ددن دن دن، مفاعيلن، سالمة"، "ـنَ أُخْفِي= ددن دن، فعولن، سالمة"، "حَقَائِبِي= ددن ددن، مفاعلن، مقبوضة". "مقبوضة" يمكننا أن نرمز إليها بـ "ض"، بشرط أن نوضح الرموز، أن نكتب صفحة للرموز في أول العمل. ما هذا يا أستاذ؟ أين هذا القبض من القبض الذي عرفناه في المتقارب "فعولُ"؟ هو هو، الذي حوَّل "فعولن" إلى "فعولُ"، هو الذي حوَّل "مفاعيلن" إلى "مفاعلُن"! ما القبض؟ حذف ساكن السبب الخفيف متى كان خامس حرف في التفعيلة - طيب!- وهذا خامس حرف -تأمل!- واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة -لم نخطئ في شيء- القبض تحويل "فعولن" إلى "فعولُ"، وتحويل "مفاعيلن" إلى "مفاعلن"، هو هو؛ لهذا حافظنا على الاسم، لكن لو كنا حذفنا الثاني لسميناه الخبن، ولو كنا حذفنا الرابع لسميناه الطي، ولو كنا حذفنا السابع لسميناه الكَفَّ، ولكن هذا الخامس كما كان ذاك؛ فلماذا نغير اسمه؟ هو هو، طيب! "أَتَسْأَ= ددن د، فعولُ، مقبوضة"، جاءتكم -سبحان الله!- من غير ترتيب هذه مقبوضة، وهذه؟ يا أستاذ، أبينهما فرق؟ لا، لا فرق، الظاهرة هي هي. "ـلُنِي مَنْ أَنْـ= ددن دن دن، مفاعيلن، سالمة"، "ـتَ أَعْرِ= ددن د، فعول، ض"، "ـفُ وَاجِبِي= ددن ددن، مفاعلن، ض"، "أَجِبْ لَا= ددن دن، فعولن، س"، "تُحَاوِلْ عُمْـ= ددن دن دن، مفاعيلن، س"، "رُكَ الْإِسْـ= ددن دن، فعولن، س"، "ـمُ كَامِلًا= ددن ددن، مفاعلن، ض"، "ثَلَاثُو= ددن دن، فعولن، س"، "ـنَ تَقْرِيبًا= ددن دن دن، مفاعيلن، س"، مُرَمَّى الشْـ= ددن دن، فعولن، س"، "ـشَوَاجِبِي= ددن ددن، مفاعلن، ض"، شيء بديع! شيء سهل جدا! الآن بعد أن خرَّجنا...

- دكتورا!
- نعم.

- شيء ناقص في "مُتَنَّى الشَّوَاجِبِي".
- أين هذا؟ تأملي معي! "مُتَنْ= ددن"، "ـنَشْ= دن، مُتَنْ= فعو، ـنَشْ= لن= ددن دن، فعولن، س".
"ـشَوَا= ددن، مفا، جِبِي= ددن، علن، ـشَوَاجِبِي= ددن ددن، مفاعلن، ض"، أين النقص؟ أين؟
- طيب!
- طيب! الآن ننتقل، شدوا دساتين أعوادكم، -ما الدساتين؟ مفاتيح العود التي يبدأ العازف بإحكام ربطها، لشد الوتر، لشد...
- الوتر.
- الوتر، حتى إذا ما ضرب عليه خرج النغم صافيا. شدوا دساتين أعوادكم، وأحموا...
- طبولكم ودفوفكم.
- طبولكم ودفوفكم، كيف تُحمونها؟
- في النار.
- تضعونها على هواء ساخن. أحموا طبولكم ودفوفكم -حتى تشتد الجلود، وتصفو أصواتها- واشربوا، واطربوا -لماذا تشربون وتبتهجون؟ ماذا تشربون أصلا؟ نشرب الخمر الحلال، من شرب الخمر في الدنيا مُنِعها في الآخرة، هذا جزاء من جنس العمل، نشرب من خمر العارفين، من خمر الصالحين، إن من البيان لسحرا، هذا خمرنا، هذا سكرنا:
"وَفِي حَانِ سُكْرِي حَانَ شُكْرِي لِفِتْيَةٍ بِهِمْ تَمَّ لِي كَتْمُ الْهَوَى مَعَ شُهْرَتِي"!
- هذا كلام سلطان العاشقين.
- الله!
- أبي حفص عمر بن الفارض، الذي كان يعيش بالقريب من بيتي، كان يعيش قريبا من بيتي -ها!- وهذه تائيته الكبرى، هذه التائية التي قلدها أبو مسلم شاعركم الأعظم، وقلدها فلان وفلان من المشارقة والمغاربة، **طيب!- شدوا دساتين أعوادكم، وأحموا طبولكم ودفوفكم، واشربوا واطربوا -لتبتهجوا!- اشربوا واطربوا، ولا يتقدمن عازف...**
- عن عازف.

- عازفا -لا عن عازف- عازفا، لا يتقدمن عازف عازفا، أنا لا أقول: "عن" هذه، "عن" هذه زيادة كزيادة الأديم!- ولا يتقدمن عازف عازفا، فإن ظن أنه يحسن...
- فهو..
- فإنه -أنا لا أقول: فهو- فإنه يسيء، واجعلوا النغمة...
- أكثر زرقة!
- أكثر زرقة! ها، ها!
- كَمَا شِئْ= ددن دن

ـتَ فَتِّشْ أَيْـ= ددن دن دن

ـنَ أُخْفِي= ددن دن

حَقَائِبِي= ددن ددن

أَتَسَأَ= ددن د

لُنِي مَنْ أَنْـ= ددن دن دن

ـتَ أَعْرِ= ددن د

فُ وَاجِبِي= ددن ددن

أَجِبْ لَا= ددن دن

تُحَاوِلْ عُمْـ= ددن دن دن

ـرُكَ الْإِسْـ= ددن دن

ـمُ كَامِلًا= ددن ددن

ثَلَاثُو= ددن دن

نَ تَقْرِيبًا= ددن دن دن

مُرَّتَيْنِ الشْـ= ددن دن

ـشَوَاجِبِي= ددن ددن

نَعَمْ أَيْـ= ددن دن

ـنَ كُنْتَ الْأَمْـ= ددن دن دن

ـسَ كُنْتُ= ددن د

بِمَرْقَدِي= ددن ددن

وَجُمْجُـ= ددن د

ـمَتِي فِي السِّجْـ= ددن دن دن

ـنِ فِي السُّو= ددن دن

قِ شَارِبِي= ددن ددن

رَحَلْتَ= ددن د

إِذَنْ فِيمَ الرْ= ددن دن دن

ـرحيلُ= ددن د

أَظُنُّهُ= ددن ددن

جَدِيدًا= ددن دن

أَنَا فِيه= ددن دن دن

طَرِيقِي= ددن دن

وَصَاحِبِي= ددن ددن

- لحظة! "أَنَا فِيهِ"، واجبة إثبات ألف "أنا" -وإلا انكسر الوزن!- لكن هاء "فيه" يجوز أن تشبعها -وهذا أحسن- لتسلم التفعيلة "أَنَا فِيهِ(ي)= ددن دن دن، مفاعيلن، سالمة"، وألا تشبعها لتُكَفّ التفعيلة "أَنَا فِيه= ددن دن د، مفاعيلُ، مكفوفة". والكَفُّ على رغم أنه زحاف سهل لطيف، غير منتشر، وأي شيء في الموسيقى إنما ينجح بكثرة استعمال المبدعين وكثرة قبول المتلقين، ولم ينجح هذا، فماذا نفعل؟ موجود على قلة، فإذا أردت أن نتأنق في الإجابة هنا فاطرح الاحتمالين، وقل هذا الكلام! طيب! الآن سنقسم العزف، سنقسم على الطلاب والطالبات، يبدأ الطلاب وأنا معهم: "إِلَى أَيْـ"، وتثني الطالبات: "ـنَ مِنْ شَعْبٍ"، وهكذا. معا معا -يا شباب!- معا معا، ها!
- إِلَى أَيْـ= ددن دن
- ـنَ مِنْ شَعْبٍ= ددن دن دن
- لِثَانٍ= ددن دن

- بِدَاخِلِي= ددن ددن
- مَتَى سَوْ= ددن دن
- فَ آتِي حِيـ= ددن دن دن
- ـنَ تَمْضِي= ددن دن
- رَغَائِبِي= ددن ددن
- ما شاء الله! تقلبون الصفحة! تنتظرون حتى تقلبوا الصفحة! يا للعار! هل سمعتم بعازفين يستمهلون الجمهور: لحظة -يا جماعة- نقلب الصفحة! إذن لقتلوهم في اللحظة! فماذا يفعلون؟ أراهم يجهزون قلب الصفحة بسرعة، فورا يقلبون الصفحة، يجهزون ثم يقلبون فورا، من دون أن ينتبه الجمهور، أما أن يتوقفوا حتى يقلبوا الصفحة فهذا عار، عار الزمان هذا! نعيد الخامس، ها!
- إِلَى أَيْـ= ددن دن
- ـنَ مِنْ شَعْبٍ= ددن دن دن
- لِثَانٍ= ددن دن
- بِدَاخِلِي= ددن ددن
- مَتَى سَوْ= ددن دن
- فَ آتِي حِيـ= ددن دن دن
- ـنَ تَمْضِي= ددن دن
- رَغَائِبِي= ددن ددن
- جَوَازًا= ددن دن
- سِيَاحِيًّا= ددن دن دن
- حَمَلْتَ= ددن د
- جَنَازَةً= ددن ددن
- حَمَلْتُ= ددن د
- اعزف!
- بِجِلْدِي فَوْ= ددن دن دن

- قَ أَيْدِي= ددن دن
- رَوَاسِبِي= ددن ددن
- مِنَ الضِّفَّ= ×
- ها، ها، ها! أكملت الفاء. خطأ!
- مِنَ الضِّفْ= ددن دن
- لا، مِنَ الضِّفَّ
- ـفَةِ الْأُولَى= ددن دن دن
- رَحَلْتُ= ددن د
- مُهَدَّمًا= ددن ددن
- إِلَى الضِّفْ= ددن دن
- ـفَةِ الْأُخْرَى= ددن دن دن
- حَمَلْتُ= ددن د
- خَرَائِبِي= ددن ددن
- هُرَاءٍ= ددن دن
- غَرِيبٍ لا= ددن دن دن
- هراءٌ، "هراءٍ" طبعا مثل "هراءٌ"، ومثل "هراءً"؛ كلها في الوزن سواء، لكن الصبر على هذا الخطأ يؤدي في النهاية إلى الكبائر، إلى البشائع، لا طبعا، لا، لا نصبر على الخطأ -مهما كان هينا!- نعيد.
- هُرَاءٌ= ددن دن
- غَرِيبٌ لَا= ددن دن دن
- أَعِيه= ددن دن
- وَلَا أَنَا= ددن ددن
- مَتَى سَوْ= ددن دن
- فَ تَدْرِي حِيـ= ددن دن دن
- ـنَ أَنْسَى= ددن دن

- غَرَائِبِي= ددن ددن
- لحظة! بمناسبة "أنا"، نحن في "أنا" في العادة لا ننطق لها هذه الألف، حتى إن سيبويه في "الكتاب" -وهذا قرآن النحو- رأى أن الضمير هو الهمزة والنون فقط، وهذه الألف ناشئة لهما عند الوقف عليهما فقط، وآخرُ البيت هو موضعُ الوقف، قال عمرو بن معدي كرب:

"قَدْ عَلِمَتْ سَلْمَى وَجَارَاتُهَا مَا قَطَّرَ الْفَارِسَ إِلَّا أَنَا"!

ولكن الوقف على آخر الصَّدْر جائز أيضا شيئا ما، قال الحلاج:

"أَنَا مَنْ أَهْوَى وَمَنْ أَهْوَى أَنَا نَحْنُ رُوحَانِ حَلَلْنَا بَدَنَا"!

وهذا ما فعله البردوني هنا: "وَلَا أَنَا"، لكن لو كانت في وسط الكلام لغلب عليها الحذف، وإنما احترسنا بالغلَبة لأن الشاعر ربما أثبتها فيه وكأنه واقف عليها تكبُّرا (أنانيّة):

"أَنَا سَيْفُ الْعَشِيرَةِ فَاعْرِفُونِي حَمِيدًا قَدْ تَذَرَّيْتُ السَّنَامَا"،

فترى ماذا يقول سيبويه حين يجد الناس يستعملونها في وسط الكلام بالألف؟ يقول بلا ريب: هذا إجراء للوصل مجرى الوقف، قرأ به بعض القراء قول الحق -سبحانه، وتعالى!-: "أَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ" -صدق الله العظيم!- أما حفص فلا يثبتها! طيب! في التاسع سنعكس ستبدأ الفتيات ويثني الفتيان، ها!

- تَحَدَّيْتَ
- طبعا تحتاجون إلى قائد (مايسترو)، أرأيتم أهمية القائد الآن؟ مهم فعلا، لكن في بعض الأحيان يعمل أحد العازفين -وهو كبيرهم- وظيفة القائد، فيضرب مثلا ضربات معينة: يا جماعة، كذا كذا، ويبدؤون، لابُدّ من قائد، ها!
- تَحَدَّيْتَ= ×
- تَحَدَّيْتَ؟ خطأ!
- تَحَدَّيْ= ددن دن
- الذي قال: "تَحَدَّيْتَ"، نسي الغناء، يبدو أن كثرة الكلام أنست الغناء، ها، أعيدوا!
- تَحَدَّيْ= ددن دن
- ـتَ بِالْأَمْسِ الْـ= ددن دن دن

- حُكُومَـ= ددن د
- ـةَ مُجْرِمٌ= ددن ددن
- رَهَنْتُ= ددن د
- لَدَى الْخَبَّا= ددن دن دن
- زِ أَمْسِ= ددن د
- جَوارِبِي= ددن ددن
- مَنِ الْكَا= ددن دن
- تُبُ الْأَدْنَى= ددن دن دن
- إِلَيْكَ= ددن د
- ذَكَرْتُهُ= ددن ددن
- لَدَيْهِ= ددن دن
- كَمَا يَبْدُو= ددن دن دن
- كَتَابِي= ددن دن
- وَكَاتِبِي= ددن ددن
- لَدَى مَنْ= ددن دن
- لَدَى الْحَمَّا= ددن دن دن
- رِ يَكْتُبُ= ددن د
- ـبُ عِنْدَهُ= ددن ددن
- حِسَابِي= ددن دن
- وَمَنْهَى الشَّهْـ= ددن دن دن
- ـرِ يَهْتَزُّ= ×
- رَاتِبِي= ددن ددن
- لا، لا، عندنا خطأ، أعيدوا، أعيدوا، أو لحظة! سأسألكم فردا فردا! فرغنا من الأداء الجماعي، ومن عكس الأداء، ننتقل إلى الأداء الفردي. الحارثية؟ الخيَارية أم الخيّارية؟ الخيَارية؟

بالتخفيف؟ الخيَارية؟ طيب! اقرئي -يا منال!- اقرئي الحادي عشر، كان فيه خطأ -ها!- طمئنيني أولا على القراءة!

- لَدَى مَنْ= ددن دن
- اقرئيها أولا، اقرئي البيت أولا هكذا قراءة عادية -ها!- لدى من...
- لَدَى مَنْ لَدَى الْخَمَّارِ يَكْتُبُ عِنْدَهُ حِسَابِي وَمَنْهَى الشَّهْرِ يَبْتَزُّ رَاتِبِي
- جميل! هيا خَرِّجيه!
- لَدَى مَنْ= ددن دن

لَدَى الْخَمَّا= ددن دن دن

رِ يَكْتُ= ددن د

ـبُ عِنْدَهُ= ددن ددن

حِسَابِي= ددن دن

وَمَنْهَى الشَّهْـ= ددن دن دن

ـرِ يَبْتَزُّ= ×

- لا!
- لا، هي عارفة، هي تعرف، أعيدي من الأول!
- لَدَى مَنْ= ددن دن

لَدَى الْخَمَّا= ددن دن دن

رِ يَكْتُ= ددن د

ـبُ عِنْدَهُ= ددن ددن

حِسَابِي= ددن دن

وَمَنْهَى الشَّهْـ= ددن دن دن

ـرِ يَبْتَزْ= ددن دن

ـزُ رَاتِبِي= ددن ددن

- لكن غنيها كما نغنيها: "ـرِ يبْتَزْ"، أنت غنيتها "ـرِ يبْتَزُّ"، يعني اطربي، لماذا أقول: اشربوا واطربوا؟ من أجل هذا الموقف!
- عشان تسكرا!
- ـرِ يبْتَزْ، بعضكم يتعجل، فيبدو الأمر كأن الكلام مكسور، "ـرِ يبْتَزْ" بطرب، اطربي اطربي، لا بأس عليك، إن شاء الله!
- ـرِ يبْتَزْ= ددن دن
ـزُ راَتِبِي= ددن ددن
- أحسنت، يا منال! بديع جميل! ثم من؟ من؟ خديجة. من أية قبيلة؟ البوصافية. خديجة -ها!- اقرئي الثاني عشر أولا!
- قَرَأْتَ لَهُ شَيْئًا كُؤُوسًا كَثِيرَةً وَضَيَّعتُ أَجْفَانِي لَدَيْهِ وَحَاجِبِي
- أداء جميل! يبشر بخير، خرجي!
- قَرَأْتُ= ددن د
لَهُ شَيْئًا= دن دن دن
- ها، آه! أولا هي "قرأتَ" لا "قرأتُ"، ثانيا: أسقطت ضربة من التفعيلة الثانية، أعيدي!
- قَرَأْتَ= ددن د
لَهُ شَيْئًا= دن دن دن
- ها! أسقطت ضربة مرة ثانية؛ فعلا تحتاج إلى حرصٍ هذه، "قَرَأْتَ| لَهُ"، أنت تبدئين من الثانية "ـهُ شَيْئًا" هكذا، لا، (لَهُ شَيْئًا)، أعيدي!
- قَرَأْتَ= ددن د
لَهُ شَيْئًا= دن دن دن
- ها، مرة ثالثة! لماذا؟ هذا راجع إلى آلة العزف، هي تعزف بالقلم بالعرض، بالعرض هكذا، هذا صعب أصلا، بالعرض، فطبعا صعب عليها أن تتحرك سريعا، لا، عليك بالطَّرَف بالطَّرَف: "قَرَأْتُ| لَهُ شَيْئًا"، أعيدي!
- قَرَأْتَ= ددن د

لَهُ شَيْئًا= دن دن دن

- أعيدي!
- قَرَأْتَ= ددن د

لَهُ شَيْئًا= دن دن دن

- مصرة، هي طبعا خائفة على القلم، اضربي بغير القلم -ها!- خديجة: قَرَأْتَ| لَهُ شَيْئًا، أعيدي!
- قَرَأْتَ= ددن د

لَهُ شَيْئًا= دن دن دن

- لا، أسقطت ضربة: لَهُ شَيْئًا، أعيدي معي!
- ددن دن دن
- أحسن.
- قَرَأْتَ= ددن د

لَهُ شَيْئًا= دن دن دن

- ها، أعيدي!
- قَرَأْتَ= ددن د

لَهُ شَيْئًا= دن دن دن

- لا، أعيدي!
- قَرَأْتَ= ددن دن

لَهُ شَيْئًا= ددن دن دن

- أحسنت.
- كُؤُوسًا= ددن دن

كَثِيرَةُ= ددن ددن

- ها! كثيرة.
- كَثِيرَةً= ددن ددن
- أحسنت!

- وَضَيَّعَ= ددن دن
ـتُ أَجْفَانِي= دن دن دن
- ها! كذلك، أعيدي!
- وَضَيَّعَ= ددن دن
ـتُ أَجْفَانِي= ددن دن دن
لَدَيْهِ= ددن دن
وَحَاجِبِي= ددن ددن
- أحسنت! أعرف أنك تعرفين، لكنها مسألة ممارسة فقط. ثم من؟ ثم من؟ مروان!
- نعم.
- أنعم الله عليك! اقرأ الثالث عشر!
- قَرَأْتَ كَمَا يَحْكُونَ عَنْكَ قَصَائِدًا مُهَرَّبَةً بَلْ كُنْتُ أَوَّلَ هَارِبِ
- ها!
- قَرَأْتَ= ددن د
كَمَا يَحْكُو= ددن دن دن
نَ عَنْكَ= ددن د
قَصَائِدًا= ددن ددن
مُهَرَّ= ددن د
- ما لك!
- مُهَرَّ= ددن د
بَةً بَلْ كُنْـ= ددن دن دن
ـتُ أَوَّ= ددن د
لَ هَارِبِ= ددن ددن
- أحسنت! أحمد، وعلى الباغي تدور الدوائر!
- أَمَا كُنْـ= ددن دن

ـتَ يَوْمًا طَا= ددن دن دن

- أحسنت!
- لِبًا كُنْتُ= ×
- خطأ، خطأ!
- أَمَا كُنْـ= ددن دن

ـتَ يَوْمًا طَا= ددن دن دن

لِبًا كُنْتُ= ×

- خطأ! أفسدت الغناء، فوقعت في الخطأ. سأعيد عليك الثالث عشر، ولتقلدني!
- قَرَأْتَ= ددن د

كَمَا يَحْكُو= ددن دن دن

نَ عَنْكَ= ددن د

قَصَائِدًا= ددن ددن

مُهَرَّ= ددن د

بَةً بَلْ كُنْـ= ددن دن دن

ـتُ أَوَّ= ددن د

لَ هَارِبِ= ددن ددن

- ها!
- أَمَا كُنْـ= ددن دن

ـتَ يَوْمًا طَا= ددن دن دن

لِبًا كُنْتُ= ×

- خطأ!
- أَمَا كُنْـ= ددن دن

ـتَ يَوْمًا طَا= ددن دن دن

لِبًا كُنْتُ= ×

- خطأ! "لبًا كُنْ"، أرأيت؟ أتدرون كيف أدى؟ سمعتم؟ "لِبًا كُنْتُ"، فأخطأ، "لِبًا كُنْ"، هو غناها: "لِبًا كُنْتُ"، وهي "لِبًا كُنْ". يا جماعة، اشربوا، واطربوا، فهو لم يشرب ولم يطرب -ها!- ما يشرب القهوة! هذه مشكلة، تدرون لو يشرب قهوة؟ ما كان هذه حاله! يمكن بيشرب دِيُو؟
- لا!
- ولا الديو؟ لا حول ولا قوة إلا بالله! طيب، نجيب سجاير؟ ها!
- خمر العارفين!
- خمر العارفين! أعد!
- أَمَا كُنْ= ددن دن

ـتَ يَوْمًا طَا= ددن دن دن

لِبًا كُنْتُ= ×

- والله! لِبًا| كنـ| ت! أعد!
- أَمَا كُنْ= ددن دن

ـتَ يَوْمًا طَا= ددن دن دن

لِبًا كُنْتُ= ×

- لا، لِبًا. كُنْ، اطرب اطرب، أعد!
- أَمَا كُنْ= ددن دن
- معا معا!
- أَمَا كُنْ= ددن دن

ـتَ يَوْمًا طَا= ددن دن دن

لِبًا كُنْ= ددن دن

ـتُ يَا أَخِي= ددن ددن

- أحسنت!

أَمَا كُنْ= ددن دن

ـتَ يَوْمًا طَا= ددن دن دن

أَمَا كُنْتَ -ها!- هذا من كلام سالمة (كلام الشرطي)!

- أَمَا كُنْ= ددن دن

ـتَ يَوْمًا طَا= ددن دن دن

لِبًا كُنْتُ= ×

- لا، لا، غيرت اللحن! على رغم أن أحمد شديد الاهتمام بالأداء، ها!

- أَمَا كُنْ= ددن دن

ـتَ يَوْمًا طَا= ددن دن دن

لِبًا كُنْ= ددن دن

ـتُ يَا أَخِي= ددن ددن

- أحسنت! هكذا، أعد!

- أَمَا كُنْ= ددن دن

ـتَ يَوْمًا طَا= ددن دن دن

لِبًا كُنْتُ= ×

- غيرت، غيرت!

- لِبًا كُنْ= دن دن

ـتُ يَا أَخِي= ددن ددن

- لا، لِبًا كُنْ|ـتُ يا أخي. أعد العزف!

- أَمَا كُنْ= ددن دن

ـتَ يَوْمًا طَا= ددن دن دن

لِبًا كُنْ= دن دن

ـتُ يَا أَخِي= ددن ددن

- لا، "لِبًا"، اشرب، اشرب، واطرب، اهتز، تمايل، تمايل! لِبًا كُنْ|ـتُ يَا أَخِي!

- أَمَا كُنْ= ددن دن

ـتَ يَوْمًا طَا= ددن دن دن

لِبًا كُنْـ= ددن دن

ـتُ يَا أَخِي= ددن ددن

- أعد!
- أَمَا كُنْـ= ددن دن

ـتَ يَوْمًا طَا= ددن دن دن

لِبًا كُنْـ= ددن دن

ـتُ يَا أَخِي= ددن ددن

- أخيرا! أشهد أن لا إله إلا الله! أكمل!
- وَقَدْ= ×
- ها!
- وَقَدْ كَا= ددن دن

نَ أُسْتَاذُ التْـ= ددن دن دن

ـتَلَامِيـ= ددن دن

ـذِ طَالِبِي= ددن ددن

- ها الله ها الله! نحن حسدناه أصلا، هذا الذي أصابه شيء من الحسد، والحسد معروف، وله أسلوب! طيب، مسعد -يا تنور، يا مجمع الزينات، مسعد يا تنور!- ها!
- قَرَأْتُ= ددن د
- مسعد هذا حفظ القصيدة الأولى وسمَّعها لي في المكتب، قلت له: حفظت؟ أنا نسيت أن أعمم المسابقة، نسيت. يبدو أنه لابُدّ أن أكتب رسالة عامة ليشارك فيها الطلابُ جميعا، لم أذكر هذه المسابقة إلا لكم تقريبا، لا، لا، لابُدّ أن نعمم، وأخبروهم -يا جماعة!- حتى أعمم الرسالة!
- قَرَأْتُ= ددن د

كِتَابًا= ×

- والله!
- قَرَأْتُ= ددن د

كِتَابًا مَرْ= ددن دن دن

- حسدناه كذلك!

- كِتَابًا مَرْ= ددن دن دن

- ها!

- قَرَأْتُ= ددن د

كِتَابًا= ×

مَرْ= ×

- لا، لا، أعيد عليك ما سبق:

- أَمَا كُنْ= ددن دن

ـتَ يَوْمًا طَا= ددن دن دن

لِبًا كُنْ= ددن دن

ـتُ يَا أَخِي= ددن ددن

وَقَدْ كَا= ددن دن

نَ أُسْتَاذُ التْ= ددن دن دن

ـتَلَامِيـ= ددن دن

ذِ طَالِبِي= ددن ددن

على هذا الأساس.

- قَرَأْتُ= ددن د

كِتَابًا= ×

مَرْ= ×

- لا، قَرَأْتُ| كِتَابًا مَرْ.

- كِتَابًا مَرْ= ددن دن دن

- أَعِدْ!

- قَرَأْتُ= ددن د

كَأَبًا مَرْ= ددن دن دن

رَةً صِرْ= ددن دن

- رَةً صِرْ= ددن دن، هكذا بهذا الطرب.

- رَةً صِرْ= ددن دن

تُ بَعْدَهُ= ددن ددن

- لا، هكذا بالطرب: تُ بَعْدَهُ= ددن ددن

- تُ بَعْدَهُ= ددن ددن

- ها!

- حمَارًا= ددن دن

حمَارًا لَا= ددن دن دن

- أهم شيء الاعتراف بالحق، الاعتراف بالحق فضيلة، لا، وقالها مرتين! ها!

- حمَارًا لَا= ددن دن دن

أَرَى جَحْـ= ددن دن

ـمَ رَاكِبِي= ددن ددن

- أعد أعد أعد. أقنعنا أقنعنا! والله -يا أخي- الحمار هو المظلوم في الموضوع ده، صدقني هو المظلوم، مسكين! يقول لك: حمار حمار. وهو من أذكى الحيوانات. كان «شوبنهاور» إذا ما أراد أن يسب هذا الكلب أو الحمار قال له: يا إنسان، يا إنسان، يا ابن الإنسان! والله! هكذا كان يفعل، إن أراد أن يسبه سبه بأنه إنسان لا العكس، ها!

- قَرَأْتُ= ددن د

كَأَبًا مَرْ= ددن دن دن

رَةً صِرْ= ددن دن

تُ بَعْدَهُ= ددن ددن

- تُ بَعْدَهُ= ددن ددن

- تُ بَعْدَهُ= ددن ددن

حَمَارًا= ددن دن

حَمَارًا لَا= ددن دن دن

أَرَى حَجْ= ددن دن

ـمَ رَاكِبِي= ددن ددن

- عندك بعض الخلل. نعيد معا، معا معا:

- قَرَأْتُ= ددن د

كِتَابًا مَرْ= ددن دن دن

رَةً صِرْ= ددن دن

تُ بَعْدَهُ= ددن ددن

حَمَارًا= ددن دن

حَمَارًا لَا= ددن دن دن

أَرَى حَجْ= ددن دن

ـمَ رَاكِبِي= ددن ددن

- أحسنت! عمر، طمئنا على القراءة، هذا البيت صعب لما فيه من عامية، ها؟

- أَحَبَّيْتَ، هكذا يقول بالنص.

- لَا بَلْ مِتُّ حُبًّا

- مَنِ الَّتِي

- أَحَبَّيْتُ حَتَّى لَا أَعِي مَنْ حَبَائِبِي

- ما شاء الله! طيب، خَرِّج - يا دونجوان!- واضرب على الخشب!

- أَحَبَّ= ×

- لا، لا، هذه الأداة غير صالحة، ها!

- أَحَبَّ= ×

- أَحَبَّيْ= ددن دن

- أَحَبَّيْ= ددن دن

ـتُ لَا بَلْ مِتْـ= ددن دن دن

- "أَحَبَّيتَ"، لَا "أَحَبَّيتُ"، اسمعوا، اسمعوا ها السَّمْعَةَ: أَحَبَّيـ|ـتَ لَا بَلْ مِتْـ|ـتُ حُبًّا، أعد، ما لك؟ لا، المسألة في الحركات والسواكن.

- أَحَبَّيـ= ددن دن

ـتَ لَا بَلْ مِتْـ= ددن دن دن

ـتُ حُبًّا= ددن دن

مَنِ الَّتِي= ددن ددن

- أحسنت!

- أَحَبَّيـ= ددن دن

ـتُ حَتَّى لَا= ددن دن دن

أَعِي مَنْ= ددن دن

حَبَائِبِي= ددن ددن

- أحسنت! فيصل، وكم مت -يا فيصل!- طمئني على البيت!

- وَكَمْ مِتَّ مَرَّاتٍ كَثِيرًا كَعَادَتِي تَمُوتُ وَتَحْيَا تِلْكَ إِحْدَى مَصَائِبِي

- جميل!

- وَكَمْ مِتْـ= ددن دن

ـتَ مَرَّاتٍ= ددن دن دن

كَثِيرًا= ددن دن

كَعَادَتِي= ددن ددن

تَمُوتُ= ددن د

وَتَحْيَا تِلْـ= ددن دن دن

ـكَ إِحْدَى= ددن دن

مَصَائِبِي= ددن ددن

- تقطيع الثاني أحسن من الأول، أو عزف الثاني أحسن من الأول، بارك الله فيك! تزيد، في عزف الأول كنت تزيد ضربات، لكنك في الثاني أحسنت! أمل التي جاءت متأخرة، عندها أعمال مهمة كانت تنتهي منها، ها طمئنينا على الأداء!
- وَمَاذَا عَنِ الثُّوَّارِ حَتْمًا عَرَفْتُهُمْ نَعَمْ حَاسَبُوا عَنّي تَغَدَّوْا بِجَانِبِي
- يا سلام!
- وَمَاذَا= ددن دن
عَنِ الثُّوَّا= ددن دن دن
رِ حَتْمًا= ددن دن
عَرَفْتُهُمْ= ددن ددن
نَعَمْ حَا= ددن دن
سَبُوا عَنّي= ددن دن دن
تَغَدَّوْا= ددن دن
بِجَانِبِي= دن ددن
- ها! أسقطت ضربة، تغدوا= ددن دن، بجانبي= ددن ددن، أعيدي!
- تَغَدَّوْا= ددن دن
- بِجَانِبِي= ددن ددن
- أعيدي البيت من الأول!
- وَمَاذَا= ددن دن
عَنِ الثُّوَّا= ددن دن دن
- لا، لا، لا تسرعي، عَنِ الثُّوَّا، عَنِ الثُّوَّا، عَنِ الثُّوَّا!
- وَمَاذَا= ددن دن
عَنِ الثُّوَّا= ددن دن دن
رِ حَتْمًا= ددن دن
عَرَفْتُهُمْ= ددن ددن

نَعَمْ حَا= ددن دن

سبُوا عَنِّي= ددن دن دن

تَغَدَّوْا= ددن دن

بِجَانِبِي= ددن ددن

- اللهُ! ميسون، ميس، ميس الريم!
- وَمَاذَا تَحَدَّثْتُمْ طَلَبْتُ سِجَارَةً أَظُنُّ وَكِبْرِيتًا بَدَوْا مِنْ أَقَارِبِي
- ها!
- وَمَاذَا= ددن دن
- تَحَدَّثْتُمْ= دن دن دن
- أعيدي.
- وَمَاذَا= ددن دن
- تَحَدَّثْتُمْ= دن دن دن
- ها! أسقطت ضربة، أعيدي!
- وَمَاذَا= ددن دن
- تَحَدَّثْتُمْ= دن دن دن
- ها! لا، لا، تَحَدْ. دَثْ. تُمْ= ددن. دن. دن، تَحَدْ. دَثْ. تُمْ= ددن. دن. دن!
- تَحَدَّثْتُمْ= ددن دن دن

طَلَبْتُ= ددن د

سِجَارَةً= ددن ددن

أَظُنُّ= ددن د

وَكِبْرِيتًا= دن دن دن

- ها!
- وَكِبْرِيتًا= دن دن دن
- أعيدي!

- وَكِبْرِيتًا= ددن دن دن
- طيب!
- بَدَوْا مِنْ= ددن دن
أَقَارِبِي= ددن ددن
- جميل! لكن حسّني هذا أكثر! انتصار لم تقرأ لنا من قبل، ولم تخرج، ها، اقرئي العشرين!
- شَكَوْنَا غَلَاءَ الخُبْزِ قُلْنَا سَتَنْجَلِي ذَكَرْنَا قَلِيلًا مَوْتَ سَعْدَانَ مَارِبِي
- لو سمعتم انتصار وهي تؤدي الشعر لسمعتم شيئا عجبا، خرّجي!
- شَكَوْنَا= ددن دن
غَلَاءَ الخُبْـ= ددن دن دن
ـزِ قُلْنَا= ددن دن
سَتَنْجَلِي= ددن ددن
ذَكَرْنَا= ددن دن
قَلِيلًا مَوْ= دن دن دن
- آه! أسقطت ضربة. أنا عندي الحسد -ما شاء الله!- واصل في اللحظة، قصف مباشر في اللحظة، فاحذروا، احذروا أن أثني عليكم! ها، أعيدي من الأول!
- شَكَوْنَا= ددن دن
غَلَاءَ الخُبْـ= ددن دن دن
ـزِ قُلْنَا= ددن دن
سَتَنْجَلِي= ددن ددن
ذَكَرْنَا= ددن دن
قَلِيلًا مَوْ= ددن دن دن
تَ سَعْدَا= ددن دن
نَ مَارِبِي= ددن ددن
- ها الله ها الله! جميل، جميل! ثم من؟ ما اسمك؟

- لميس.
- لميس تنظر في أي مكان، لكيلا أراها. ها، لميس-لميس اسم جميل- ها!
- وَمَاذَا وَأَنْسَانَا الْحِكَايَاتِ مُنْشِدٌ إِذَا لَمْ يُسَالِمْكَ الزَّمَانُ تُحَارِبِ
- طيب!
- وَمَاذَا= ددن دن
- وَأَنْسَانَا الْ= ددن دن دن
- اضربي على الخشب وهو ساخن!
- وَمَاذَا= ددن دن
- وَأَنْسَانَا الْ= ددن دن دن
- حِكَايَا= ددن دن
- تِ مُنْشِدٌ= دن ددن
- ها! أسقطت ضربة، تِ مُنْشِدٌ= ددن ددن!
- تِ مُنْشِدٌ= دن ددن
- تِ مُنْشِدٌ= ددن ددن!
- تِ مُنْشِدٌ= دن ددن
- تِ مُنْشِدٌ= ددن ددن، تِ مُنْ. شِدٌ= ددن. ددن، تِ مُنْ. شِدٌ= ددن. ددن!
- تِ مُنْشِدٌ= دددن ددن
- ها! لا، لا، بالغت في الضربات. سامحيني؛ أنا أربكتك، أعيدي من الأول، بهدوء بهدوء -ها!- اهدئي!
- وَمَاذَا= ددن دن

وَأَنْسَانَا الْ= ددن دن دن

حِكَايَا= ددن دن

تِ مُنْشِدٌ= ددن ددن

إِذَا لَمْ= ددن دن

يُسَالِمُكَ الزْ= دن دن دن

- ها! يُسَالِمُكَ الزْ = ددن دن دن!
- يُسَالِمُكَ الزْ= ددن دن دن
- زَمَانٌ= ددن دن

مُحَارِب= ددن ددن

- أحسنت! في الآخر من؟
- مروة.
- مروة، ها!
- وَحِينَ خَرَجْتُمْ أَيْنَ خَبَّأْتُمُوهُم بِلَا...
- ها! أَيْنَ خَبَّأْتُمُوهُم بِلَا مُغَالَطَةٍ...
- خَبَّأْتُمُوهُم فِي ذَوَائِبِي
- اللهْ! أي صرت أرى رأيهم وأعتقد عقيدتهم. ها، خرِّجي!
- وَحِينَ= ددن د
- خَرَجْتُمْ أَيْنَ= ×
- خَبَّأْتُمُوهُم= ×
- ها، ها! لا، لا؛ ددن دن| ددن دن دن| ددن دن | ددن ددن| ددن دن| ددن دن دن| ددن دن| ددن ددن، هكذا، ها، أعيدي!
- وَحِينَ= ددن د
- خَرَجْتُمْ أَيْنَ= ×
- خَبَّأْتُمُوهُم= ×
- لا، لا، خَرَجْتُمْ أَيْ| ـنَ خَبَّأْ| تُمُوهُمْ بِلَا، وقفنا على الياء لنأخذ النون ونتابع، ـنَ خَبَّأْ.
- تُمُوهُمْ بِلَا= دن ددن
- تُمُوهُمْ بِلَا= ددن ددن
- تُمُوهُمْ بِلَا= ددن ددن

مُغَالَطَةَ= ×

- لا، مُغَالَ، "مُغَالَطَةَ= ددن دددن" هذا ليس من الوزن، "مُغَالَطَةَ= ددن دددن، مفاعلتن"، سيأتي هذا في الوافر، لكن هنا "مُغَالَ= ددن د"، لابُدّ من حفظ اللحن، لابُدَّ؛ لكل بحر لحن، نحفظه، ونبني على ضبط اللغة، وننطلق، ها، أعيدي!
- مُغَالَ= ددن د
- من الأول، وحين...
- وَحِينَ= ددن د

خَرَجْتُمْ أَيْـ= ددن دن دن

ـنَ خَبَأْ= دن دن

- لا، نسيت كذلك، ـنَ خَبَأْ= ددن دن.
- ـنَ خَبَأْ= ددن دن

تُهُمْ بِلَا= دن ددن

- تُهُمْ بِلَا= ددن ددن، تُهُمْ بِلَا= ددن ددن، ها!
- ـنَ خَبَأْ= ددن دن

تُهُمْ بِلَا= ددن ددن

مُغَالَ= ددن د

- نَ خَبَأْ| تَ هُمْ بِلَا| مُغَالَ.
- مُغَالَ= ددن د

طَةَ خَبَأْ= ددن دن دن

تُهُمْ فِي= ددن دن

ذَوَائِبِي= ددن ددن

- أحسنت! ثم من؟ ثم من؟ رحمة. يكاد المريب -يا رحمة- يقول خذوني، "يَكَادُ الْمُرِيبُ يَقُولُ خُذُونِي" تنظر من تحت لتحت، ها! "يَكَادُ الْمُرِيبُ يَقُولُ خُذُونِي"، هذا مثل شعري جميل جدا،

مناسب! ترى الطالب ينظر إلى الأسفل يمينًا ويسارًا، ها! خذه فَوْرًا! ها، اعزفي على الخشب برأس القلم!

- لَدَيْنَا مِلَفٌّ عَنْكَ شُكْرًا لِأَنَّكُمْ تَصُونُونَ مَا أَهْمَلْتُهُ مِنْ تَجَارِبِي

- ها!

- لَدَيْنَا= ددن دن

مِلَفٌّ عَنْـ= ددن دن دن

ـكَ شُكْرًا= ددن دن

لِأَنَّكُمْ = ددن ددن

تَصُونُو= ددن دن

نَ مَا أَهْمَلْـ= ددن دن دن

ـتُهُ مِنْ= ددن دن

تَجَارِبِي= دن ددن

- ها، آه هي تعثرت، هي أحست، عرفت!

- لَدَيْنَا= ددن دن

مِلَفٌّ عَنْـ= ددن دن دن

ـكَ شُكْرًا= ددن دن

لِأَنَّكُمْ = ددن ددن

تَصُونُو= ددن دن

نَ مَا أَهْمَلْـ= ددن دن دن

ـتُهُ مِنْ= ددن دن

تَجَارِبِي= دن ددن

- تَجَارِبِي= ددن ددن، تَجَارِبِي= ددن ددن.

تَجَارِبِي= ددن ددن

- أحسنت، يا رحمة! مسعود، ها!

- لَقَدْ كُنْـ= ددن دن

ـتَ أُمِّيًّا= ددن دن دن

حِمَارًا= ددن دن

وَفَجْأَةً= ددن ددن

ظَهَرْتَ= ددن د

أَدِيبًا مُذْ= ددن دن دن

طَبَخْتُمْ= ددن دن

مَآدِبِي= ددن ددن

- أي منذ استوليتم على السلطة، وقُدْتُمونا، خربتم البلاد، وأفسدتم العباد! مَن مسك الختام؟ ها؟ من؟ ها، اقرئي الأخير!

- خُذُوهُ خُذُونِي لَنْ تَزِيدُوا مَرَارَتِي دَعُوهُ دَعُونِي لَنْ تَزِيدُوا مَتَاعِبِي

- جميل، خرجي!

- خُذُوهُ= ددن دن

خُذُونِي لَنْ= ددن دن دن

تَزِيدُوا= ددن دن

مَرَارَتِي= ددن ددن

دَعُوهُ= ددن دن

دَعُونِي لَنْ= ددن دن دن

تَزِيدُوا= ددن دن

مَتَاعِبِي= ددن ددن

- خفت أن أحسدها بكلمة مسك الختام، لكنها أحسنت! يبدو أن البيت ساعدها على الإحسان: "خذوه" مستقلة، "خذوني لن" مستقلة، "تزيدوا" مستقلة، "مرارتي"، "دعوه"، "دعوني لن"، "تزيدوا"، "متاعبي"، من هنا جاء الإحسان! ما اسم هذه الظاهرة؟ التقطيع، سميتُها لكم من قبل، حين ينظم الشاعر بيته على هذا النحو الذي تؤدي فيه كل كلمة أو كل كلمتين معا تفعيلة كاملة،

يسمى هذا تقطيعا، فإذا التزم القوافي سمي ترصيعا! كتبتم؟ ما التقطيع إذن؟ أن يؤدي الشاعر تفعيلات بيته بالكلمات المتفاصلة، فإذا التزم مع هذا تشابه القوافي من الداخل فهذا الترصيع، كأنه مرصَّع بالجواهر. كما قالت سيدتنا الخنساء -رضي الله عنها!- وهي صحابية:

"شَهَّادُ أَنْدِيَةٍ هَبَّاطُ أَوْدِيَةٍ حَمَّالُ أَلْوِيَةٍ لِلْجَيْشِ جَرَّارُ"!

أو كما نسب إلى امرئ القيس -وهو غريب!-:

"أَفَادَ فَجَادَ وَسَادَ فزَادَ وَقَادَ فَذَادَ وعَادَ فَأَفْضَلْ"!

- أحكي لكم قصة طريفة، كان المتنبي في حضرة سيف الدولة، فأراد أن يطلب منه مطالب من دون أن ينتبه الحاضرون، فماذا فعل؟ جهَّز في قصيدته فيه بيتا مثيرًا، كله أفعال:

"أَقِلْ أَنِلْ أَقْطِعِ احْمِلْ عَلِّ سَلِّ أَعِدْ زِدْ هَشَّ بَشَّ تَفَضَّلْ أَدْنِ سُرَّ صِلِ"!

البيت كله؟

- أفعال.

- أفعال؛ فتركه الناس، وانتبهوا لهذا البيت الذي كله أفعال؛ فلما رآهم اشتغلوا به، أراد أن يزيد اشتغالهم عنه، حتى يصفو له وجه سيف الدولة، ففك لهم فعلين من الداخل بأربعة:

"أَقِلْ أَنِلْ أُنْ صُنِ احْمِلْ عَلِّ سَلِّ أَعِدْ زِدْ هَشَّ بَشَّ هَبِ اغْفِرْ أَدْنِ سُرَّ صِلِ"!

فازدادوا انبهارا، فقدم لهم بيتين، في أحدهما أربعة وعشرون فعلا، وهذا البيت نفسه أداؤه صعب، أظن أنني مكثتُ في حفظه طويلا:

"عِشِ ابْقَ اسْمُ سُدْ قُدْ جُدْ مُرِ انْهَ رِ فِ اسْرِ نَلْ غِظِ ارْمِ صِبِ احْمِ اغْزُ اسْبِ رُعْ زَعْ دِ لِ اثْنِ نُلْ"!

- بسم الله!

- هو حقًّا "بسم الله"! قال فيه ابن رشيق: "هَذَا رُقْيَةُ الْعَقْرَبِ"! أي لو قرئ على ملدوغ لشُفي -إن شاء اللهَ- حقًّا، قيل فيه هذا نصا! كله أفعال كبيت القصيدة الأول، لكنه كثرت فيه أفعال الحرف الواحد، فازداد صعوبة، فاشتغلوا به عنه، وصفا له وجهُ سيف الدولة، فطلب ورقة القصيدة، وجعل يقرأ الفعل ويكتب تحته إجابته، يقول في "أَقِلْ": قد أقلناك، وفي "أَنِلْ": قد أعطيناك كذا، يوقع بإجابة المطلوب تحت كل فعل، والجماعة؟ مشغولون برُقية العقرب! والطريف

أنه استعمل في آخر الصدر "نَلْ"، وفي آخر العجز "نُلْ". نُلْ: من نَالَ يَنُولُ نَوْلًا، بمعنى: أعطى. ونَلْ: من نَالَ يَنَالُ نَيْلًا، بمعنى: أخذ. عندنا نال ينول، بمعنى: أعطى يعطي. ونال ينال، بمعنى: أخذ يأخذ. و"نُلْ" عندكم في العامية العمانية، كم نُولك (أجرتك)؟

- نولك.
- نعم، ناله ينوله أي: أعطاه يعطيه. أما ناله يناله، فمعناها: أخذه يأخذه. **طيب، جميل! بارك الله فيكم! قبل أن نتفرق نعود إلى البيت الأول، ما قافيته؟**
- وَاجِبِي.
- ها!
- وَاجِبِي.
- لماذا كانت "وَاجِبِي"؟ لماذا؟ على أي أساس، يا فيلسوف! قدمنا لك ما تريد، ما الذي أريد؟ أريد آخر ساكنين مع ما بينهما من متحركات، ومع المتحرك الذي قبلهما. ما آخر الساكنين؟ الألف بعد الواو...
- والياء.
- والياء بعد الباء، وبينهما؟ الجيم المكسورة، والباء المكسورة، وقبلهما؟
- الواو.
- إذن "وَاجِبِي"، وقافية الثاني؟
- ـوَاجِبِي.
- وقافية الثالث؟
- صَاحِبِي.
- وقافية الرابع؟
- شَارِبِي.
- وقافية الخامس؟
- صَاحِبِي.
- وقافية السادس؟

- غَائِبي.
- وقافية السابع؟
- وَاسِبي.
- وقافية الثامن؟
- ـرَائِبي.
- وقافية الثامن؟
- ـرَائِبي.
- وقافية التاسع؟
- ـوَارِبي.
- ها!
- ـوَارِبي.
- فرغنا منها، ها!
- كَاتِبي.
- ها!
- رَاتِبي.
- وجدت الأرقام ستتزايد، فقلت أتركها إلى "ها!"، أسهل أسهل، "راتبي"، ها!
- حَاجِبي.
- ها!
- هَارِب.
- هَارِب، ها!
- طَالِبي.
- ها!
- رَاكِبي.
- ها!

- حَبَائِبِي.
- حَبَائِبِي؟
- ـبَائِبِي.
- ـبَائِبِي، ها!
- ـصَائِبِي.
- ـصَائِبِي، ها!
- ـجَانِبِي.
- ـجَانِبِي، ها!
- ـقَارِبِي.
- ـقَارِبِي، ها!
- مَارِبِي.
- مَارِبِي، ها!
- ـحَارِب.
- ـحَارِب، ها!
- ـوَائِبِي.
- ـوَائِبِي، ها!
- ـجَارِبِي.
- ـجَارِبِي، ها!
- ـآدِبِي.
- ـآدِبِي، ها!
- ـتَاعِبِي.
- ـتَاعِبِي، أحسنتم! **ها! ما أقوى الحروف المكررة؟**
- الباء.

- الباء تكررت طبعا، والألف؟ نعم تكررت، والياء؟ نعم تكررت. لكنْ كلا الألف والياء انطلاق هواء، انطلاق هواء (ااااا، ييييي)، هكذا. أما الباء فمتحيِّزة، متحيِّزة، تسمونها في علم الأصوات صوتا شديدا (انفجاريا)؛ فكيف تسوي بين الباء والألف والياء! لا، الباء أقوى المكررات هنا. ما حركته؟
- الكسرة.
- هل قبله ألف أو واو أو ياء ساكنات؟
- نعم، نعم.
- لا، لا، بل قبل الذي قبله؛ دَقِّقوا، يا جماعة! السؤال: هل قبله ألف أو واو أو ياء ساكنات؟
- لا.
- هل قبل الذي قبله ألف؟
- نعم.
- طيب! ما الذي بعده؟
- الياء.
- ياء. الآن نستطيع أن نضع بيانات التخريج، هذي القصيدة...
- طويلية.
- طويلية الأبيات، التامة أو الوافية؟
- الوافية.
- الوافية. لماذا؟
- لأنها...
- استوفت أعداد التفعيلات التي أخرجتها الدوائر النظرية، لكن تفعيلات البيت غير متساوية في الحقوق والواجبات (السلامة والتغير)؛ فعندك تفعيلات يجب قبضها، أوجب الشاعر على نفسه قبض الرابعة والثامنة، ولم يجرِ على شيء من هذا فيما سوى هاتين التفعيلتين، أي ليس في غير التفعيلتين الرابعة والثامنة، من حكمٍ بالوجوب (وجوب السلامة أو وجوب التغير)؛ فالتفعيلات

إذن غير سواسية، والبيت وافٍ لا تام. هذه القصيدة إذن طويلية الأبيات الوافية، المقبوضة العروض والضرب. طيب، ننتقل، ها!

- بائية القوافي.
- بائية القوافي.
- المكسورة.
- المكسورة.
- المجردة.
- لا، خطأ!
- المؤسسية.
- المؤسسة. ما التجريد؟ التجريد: عدم إرداف، وعدم تأسيس. ما الإرداف؟ ألف أو واو أو ياء ساكنات قبل الروي. ما التأسيس؟ ألف قبل الذي قبل الروي. طيب! ولا يجتمع التأسيس والإرداف، إما هذا وإما ذاك، ثم إنه يستحيل أن نصفها بالتجريد وهي مؤسسة أو مردفة، خطأ! فهذه القافية إذن بائية، مكسورة، مؤسسة. والتأسيس لا يكون إلا بالألف؛ لهذا يكفي أن نقول: مؤسسة. أو نقول: هذه القصيدة كذا كذا، بائية القوافي المكسورة المؤسسة الموصولة...
- بالياء.
- بالياء. الآن انتهينا، أعيدوا! هذه القصيدة...
- طويلية الأبيات.
- طويلية الأبيات.
- الوافية.
- الوافية.
- المقبوضة العروض والضرب.
- المقبوضة العروض والضرب.
- بائية القوافي.
- بائية القوافي.

- المكسورة.
- المكسورة.
- المؤسسة.
- المؤسسة.
- الموصولة بالياء.
- الموصولة بالياء.
- **بارك الله فيكم، وشكر لكم، وأحسن إليكم، والسلام عليكم!**
- وعليكم السلام!

اَلْمُنَادَمَةُ السَّابِعَةُ(١)

- **سلامٌ عليكُم!**
- وعليكم السلام!
- طبتُم مساءً - يا أبنائي- وطاب مسعَاكُم إلينا، بسم اللّٰه -سبحانه، وتعالى!- وبحمده، وصلاةً على رسولِهِ وسلامًا، ورضوانًا على صحابته، وتابعيهِم حتى نلقاهم! كيف حالُكم، كيف أصبحتم، وأمسيتم؟
- للّٰهِ الحمدُ والشُّكرُ!
- بارك اللّٰهُ فيكم، وشكَرَ لكم، وأحسنَ إليكم، ويَسَّرَ لنا ولكم كُلَّ عسير، وسَهَّلَ كُلَّ صَعب! **اليَوم نُمارِسُ ممارَسَةً جديدة. نطَّلِعُ فيها على بحرٍ جَديد، وقافيَةٍ جديدة، من خلالِ قصيدةٍ عصماء لأكبرِ شُعَرَاءِ عُمان على الإطلاق، أبي مُسلِمٍ ناصر بن عُدَيِّم البَهْلَانيّ**، الذي قضى حياته بزنجبار، وكان سابقًا لعصره إلى أعمال نافعة، بديعة، وزار مِصر. تُوُفِّيَ سنةَ تسعَ عشرةَ وتِسعمئة وألف الميلادية، مما يدل أو يُنَبِّهُ على أنه عاش في زمان السادة الرواد الذين أعادوا الشِّعر العرَبِيّ إلى مجده، ومنهم: محمود سامي البارودي، وأحمد شوقي أميرُ الشُّعراء، وحافظ إبراهيم شاعرُ النيل، وخليل مُطران شاعر القُطْرَيْن. عاش في هذا الزمان الذي أعاد هؤلاء السادةُ فيه الشعرَ إلى مجدهِ الأول الذي عهدناهُ في شعر المُتنبي والمَعَرّيّ وابنِ الروميّ وأبي تمامٍ والبُحتُريّ وغيرهم ممن أسسوا بُنيانَه الذي تهاوى في عهود الاستعمار، تهاوى وضعُف، غلبت عليه الركاكة، واشتغلَ الشعراء بالسفاهة، وإن نجت عُمان بمُعتزَلها إلا قليلا، من كثير من المهازلِ التي عاشتها بلادُنا! هَذا أبو مُسلم مَوْلَانا المُلهَم القدير الذي كان يستطيعُ أن يقول القصيدةَ الطويلة طولًا فاحشًا من غير أن يتعثّر

---

(١) رابط هذه المنادمة في قناتي اليوتيوبية:
https://www.youtube.com/watch?v=zIzKrJ٤U٩cE&list=PL٠_bvBmuM٥ySq٦hXNd٤GWcNFIUaI٤uqCM&index=٧
وقد فرغتها دينا عبد المعطي، وراجعتها لها دعاء عادل.

ولا يتزحّر ولا يتحبّس، لا، بل يتحدّر كالسَّيل! قصيدتُهُ هَذه أربَعُمئة بيتٍ تقريبًا، وأربعُمئة عند أبي مُسلم لعبُ أطفال، كان ينظم القصيدةَ ألفَ بيت وألفًا وخَمْسمَئة، ولا يُرِكّ، ولا يُبالي، لا إشكال عندهُ، فلتة من فلتات الزمان، كتبت عنه من قبل، بحثتُ عنه في الشُّعَراء، وبحثتُ عنه دون الشُّعَراء، وكتبتُ عن قصيدته هَذه التي تبَع فيها جماعةً من الشُّعَراء نَظَمُوا على هَذا النَّحو الذي صارَ يُسَمَّى "القصائدَ المقصورة"، و"المقاصير" أحيانًا، جمعَ مقصورة. سأُكلِّمُكم عن هذا، لَكن قبل أن نتكلم نحتاجُ إلى أن نُحقّقَ هَذه القصيدة في علمِ اللُّغة، ونُدَقّقَها بحيثُ لا نُتيحُ لِأيّ خَطَأ أن يَتَسَرَّب مهما كان صغيرًا -ها!- فإنَّ السُّكوت على الصغير بابُ الوُقوع...

- في الكبير..
- في الكَبير. "وَلَا صَغيرَةَ مَع إِصْرَارِ"! والقصيدةُ صعبة، تحتاجُ إِلَى انتباه، اقتطعتُ لكم منها على عَيْني؛ أنا أُحبُّ أن آخُذَ القصائدَ كاملة، لَكن هَذه أَربعُمئة بَيت، كيف آخُذُها! ولا أُحبّ أن أترُكَهَا حَتَّى أستطيعَ أن أُكَلّفَكم تخريج هَذا النَّوع مِنَ الشّعر! سَمَّيتُ القصيدة "حَتَّى مَتَى كَأْسِي رِيقُ حَيَّة"، وما هَذا لها باسمٍ سمّاها إياه الشّاعرُ، لَكنها طريقةُ العرَب في تسمية القصائد، كانوا يُسَمُّوها بمطالعها.

١) حَتَّى مَتَى كَأْسِي رِيقُ حَيَّة وَمَطْعَمي مِنْ زَمَني مُرُّ الْجَنَى
٢) أُطَالِبُ الدَّهْرَ حُقُوقًا كُلُّهَا كَبَارِحِ الْأَرْوَى مَنيعَات الذُّرَا
٣) أَقْطَعُ آمَالي بِمَا فِي بَعْضِه أَكْبَرُ مِنْ كَاف لِدَرْكِ الْمُبْتَغَى
٤) كَأَنَّ تَطْلَابِي أَمْرًا مُمْكِنًا أَصْعَبُ مِنْ أَمْرٍ مُحَالِ الْمُرْتَجَى
٥) لَسْتُ عَلَى الْحَمْد مِنَ الْأَمْرِ إِذَا غَالَطْتُهُ خِلَابَةً فيمَا أَتَى
٦) آتيه نَصًّا فَإِذَا خَادَعَني فَوَّضْتُهَا لِلّٰهِ يَقْضِي مَا قَضَى
٧) وَالْحُبُّ لَا تَصْحَبُهُ فَضِيلَةٌ وَلَوْ إِلَى النَّجْمِ بِدَهْيِه عَلَا
٨) إِنْ وَسِعَ الدَّهْرَ احْتمَالُ عَاجِزٍ فَهُوَ سلَاحِي وَتلَادِي الْمُرْتَجَى
٩) يُنْفِقُ فِي إِهَانَتِي صُرُوفَهُ وَأُنْفِقُ الْعَزْمَ وَإِنْفَاقِي زَكَا
١٠) ذَنْبِي إِلَيْه جَنَفِي عَنْ لُؤْمه وَقُدْرَتِي عَلَى احْتمَال مَا جَنَى
١١) وَأَنَّنِي الْحَتْفُ عَلَى لِئَامِه أَنْكَأُ فِي حُلُوقِهِمْ مِنَ الشَّجَى

١٢) أَذُودُ عَنْ حُرِّيَّتِي بِحَقِّهَا وَأَجْهَدُ النَّصْرَ لِحُرٍّ مُبْتَلَى
١٣) وَأَنَّنِي لَا أَعْرِفُ الْحَدَّ لِمَا أَسْطِيعُ أَنْ أُنْجِزَهُ مِنَ الْعُلَا
١٤) وَأَنَّنِي لَا أُبْطِلُ الْجُهْدَ إِلَى حَدِّ سُكُونِي بَيْنَ أَطْبَاقِ الثَّرَى
١٥) وَأَنَّنِي أُدْرِكُ أَنَّ عَازِمًا مُثَابِرًا يُدْرِكُ غَايَاتِ الْمُنَى
١٦) وَأَنَّنِي فِي مِحَنٍ سَاوَرْتُهَا عَلِمْتُ مَا جَهِلْتُهُ مِنَ الْوَرَى
١٧) وَأَنَّ فِي حُسْنِ التَّدَابِيرِ غِنًى عَنْ خُدَعٍ وَهْوَ عِمَادٌ مَنْ وَهَى
١٨) وَأَنَّنِي لَا أَسْتَثِيرُ سَيِّئًا وَلَا أُسِيءُ دَفْعَهُ إِذَا عَنَى
١٩) وَلَا أُدَاجِي مَالِئًا وِذَامَهُ عَلَيَّ غَيْظًا بِفُقَاعَاتِ النَّثَا
٢٠) وَلَا أُحَابِي مَلَقًا ذَا ظَاهِرٍ يَشِفُّ لِي ظَاهِرُهُ عَمَّا انْطَوَى
٢١) تِلْكَ وَمَا يَفْضُلُهَا خَصَائِصِي وَلَيْسَهَا عِنْدَ الزَّمَانِ تُرْتَضَى
٢٢) أَرَى الْحَيَاةَ كُلَّهَا ذَمِيمَةً وَخَيْرَهَا وَشَرَّهَا إِلَى مَدَى
٢٣) يُحِبُّهَا الْمَرْءُ عَلَى آفَاتِهَا وَتَظْهَرُ الْآفَةُ عِنْدَ الْمُنْتَهَى
٢٤) يَعِيشُ لَا تَنْدَى صَفَاةُ كَفِّهِ يَخْزُنُ لِلْوَارِثِ كُلَّ مَا اصْطَفَى

"حَتَّى مَتَى" أشرب السُّمّ -هَا!- "حَتَّى مَتَى" أَتَجَرَّعُ السُّمّ؟ مطعمي "مُرُّ الجَنَى"، ما الجَنَى؟ الثَّمَر. ما الجَنَى؟

- الثَّمر.
- تُسَمَّى البنت هَذِه الأيام جَنَى، فنعابثها:

"هَذَا جَنَاهُ أَبِي عَلَيَّ وَمَا جَنَيْتُ عَلَى أَحَدْ"!

"جَنَى"، نُحوِّلُ الاسم من معناه اللطيف إلى معنى خبيث، سُبحانَ الله! "جَنَى" كَلِمَةٌ عَلَى "فَعَل"، وهِيَ إحدى كلمات معدودات في العَرَبِيَّة، يدُلُّ فيها "فَعَلٌ" على "مَفْعُول"، منها حَسَب، ونَسَب، وعَدَد، وخَبَط، كلماتٌ محدودة؛ تدُلُّ "عَدَد" على معدود، و"نَسَب" عَلَى منسوب، و"حَسَب" على محسوب، و"خَبَط" على مخبوط -كانوا في "غَزْوَة تَبُوك" يأكلونَ الخَبَط، يخبِطونَ الأشجار، فتقع أَلْحِيَتُها، فيأكلونها كما تأكلها الدَّوابّ، وكانت تُسَمَّى "غَزْوَة العُسْرَة"- فال"جَنَى": المجْنِيّ، "جَنًى= فَعَلٌ": مَجْنِيّ. وما المجنِيّ؟ الثَّمر، لهذا كان المعنى الثَّمر، وهو من ألطفِ أسماءِ الفَتَيات، لَولا ما نُحَوِّلُهُ

إليه مِنَ العَبَث- "ومَطْعمِي مِنْ زَمَنِي مُرُّ الجَنَى". "كُلُّهَا كَبَارِح الأَرْوَى، مَنِيعَاتِ الذُّرَا"! كُلُّها مُستحيل، وأرادَ أن يُعبِّر عن "الاستحالة"، فَشبَّهَ حُقوقَه بِوعول الجبال التي يستحيلُ على الصَّادَةِ أن يصلوا إليها، يُشَبِّهُ المُستحيل بِبَارِحِ الأَرْوَى، معزى قُنَن الجبال التي لا يُوصَلُ إليها. حُقوقي التي أستَحِقُّها صارت مستحيلة "مَنِيعَات الذُّرَا"، و"حُقُوقًا" هُنا نُعتت بجُملة "كُلُّهَا كَبَارِحِ الأَرْوَى"، ثم بمُفرد "مَنِيعَات"، المُضاف إلى "الذُّرَا". وقد كتبتُ "الذُّرَا" بِهَذِه الألف الخالصة، لأنَّ أصلَها الواو "ذُرْوَة ذُرًا= فُعْلَة فُعَل"، وإذا كانت واويَّةَ الأصل كتبناها ألفًا خالصة، كما في "خُطًا". "أَقْطَعُ آمَالِي بِمَا فِي بَعْضِه أَكْبَرُ مِن كَافٍ لِدَرْكِ المُبْتَغَى"، أي أسعى في طَلَبِ آمالي بِهِمَم بَعضُها يكفي للوصول، بعضُها أكبر مما يحتاجُ إليه الوصول، ولا أصل! ماذا أفعل؟ ماذا أفعل؟ طبعًا هَذا الذي ستسمعونهُ في هَذه القصيدة من بُكاء الشُّعَراءِ أحوالَهُم، معروف عندنا، معروف عندنا أن ينعى الشاعر في شعره قلة حظِّه من الدنيا، معروف من قديم، حتَّى إنَّهم يُسَمُّونَهُ: "حُرْفَةَ الأَدَب"، وعِندي كتاب هَذا اسمُه "الذينَ أَدْرَكَتهم حُرْفَةُ الأَدَب"، ما "حُرْفَةُ الأَدَب"؟ هَذا الفَقْر والتَّشَرُّد والضَّياع الذي يُصيبُ الأُدباء! تُريد أن تكونَ شاعِرًا؟ جَهِّز نفسَكَ للفقر والتَّشَرُّد! هَا! تذكرون عبد الحميد الديب؟ -حضرتها صابونة، حضرته الشاعر عبد الحميد الديب!- هَذا من هؤلاءِ الشُّعَراء الذين أدركتهم "حُرْفَةُ الأَدَب"! "أَقْطَعُ آمَالِي بِمَا فِي بَعْضِه أَكْبَرُ من كَافٍ لِدَرْكِ المُبْتَغَى"، ولا أصل! "كَأَنَّ تَطْلَابِي أَمْرًا مُمْكِنًا أَصْعَبُ مِن أَمْرٍ مُحَالِ المُرْتَجَى"، كَأَنَّ طَلَبَ السَّهْلِ كَطَلَبِ الصَّعْب، وَكُلُّه مُسْتَحِيل! كُلُّ شيء مُستحيل! هَذه طريقةُ المُتَنَبِّي، ماذا قال المُتنَبِّي؟ قال:

"وَمَا الجَمْعُ بَيْنَ المَاءِ وَالنَّارِ فِي يَدِي بِأَصْعَبَ مِنْ أَنْ أَجْمَعَ الجَدَّ وَالفَهْمَا"!

"لَسْتُ عَلَى الحَمْدِ مِنَ الأَمْرِ إِذَا غَالَطْتُهُ خِلَابَةً فِيمَا أَتَى"، من الذي يأبى أن يغالطه؟ الدَّهْر، ها، ماذا قال؟ "أُطَالِبُ الدَّهْر"، وكلمةُ "دَهْر" توحي بالدَّوْس والدَّهْس، كأَنَّهُ يَطَأُ النَّاسَ ويضغطهم ويغلبهم، هَذه طَريقةُ عُلَمَائنا القُدَماء، طريقةُ ابن جِنِّي في استنباط المعاني من أصوات الكَلمات، طريقة لَمْ يتابِعْهُ عليها أحد، لأنها كأنها من عمل الشياطين، من عمل الجِنّ، تحتاج إلى شياطين حتَّى يكملوها. في مرّة كُنَّا نتناقش أنا ودكتور تونُسي فاضل اسمه أحمد ساسي شتيوي، قبلَ رُبعِ قَرن، كُنَّا هُنا، فجَلَس يتكَلَّم عن عصرنا هذا الذي نعيش فيه، فقلت له: أليس من العصر! فقال:

صحيح والله، هو من عصرِ الناس، يعصِرُ النَّاس! لَكن انتبهوا! إذا ما تكلم العالم أو الفنان عن الزمان، فإنما يعني أهل الزمان، فهو يعرف أنه لا يد للزمان فيما يصيبه، ويعرف "لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ...

- "فَأَنَا الدَّهْرُ".
- "لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ"، فكيفَ يَسُبُّهُ هَذا الفقيه العماني، وَهُو من كبَار الفُقهاء!

"نَعيبُ زَمَانَنَا...

- وَالعيْبُ فينَا...
- ومَا لزَمَانِنَا
- عَيْبٌ سوَانَا"!
- إنما يعيبُ أهلَه، إذا ما عابَ الزَّمانَ فإنما يعيبُ أهلَه! من أكثر ما تسمع هَذِهِ الأيام، من يقول لك: "في هَذا الزَّمانِ الرَّديء"، هَذِهِ عبارة معروفة، أسمعها منذ وعَيت، سُبحان الله! إذا كان الزمان في أيام أبي مُسْلِم، كما ذكره في هَذِهِ القصيدة، فكيف كان سيقول لو أدرك زماننا هَذا! وَبالمُنَاسَبَة هَذِهِ العبارة تُكَرَّر عَلَى مَدارِ التَّاريخ: في أواخر القرن الأول قالوها بالقياس لأيام الصحابة، وفي الثاني قالوها بالقياسِ إلى القرن الأول، وفي الثالث قالوها بالقياس إلى الثاني، وهكذا، هكذا، إلى عصرنا هذا! وسنظَلّ هَكذا نتدهور إلى أن تأتي علينا النهاية بالمسيخ الدجال، لينهي الموضوع - يا الله، خلنا نخلص!- وتقومَ السَّاعة! أي كل هذه الأشياء -ها!- في الطَّريق إلى...
- النِّهاية!
- إلى النهاية.. "بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا...
- "وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ"!
- "كُلَّمَا جَاءَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا..." -صدق الله العظيم!- تَتَدَهْوَر -ها!- تَتَدَهْوَرَ! ستسمعونَ هُنا كَلامًا تتعجَّبون منه: أهكذا حقًّا كان العُمانيُّون؟ أهكذا؟ لا، لا، انسَ هَذا، كان هَذا قديمًا! مَاذا يقول؟ "لَسْتُ عَلَى الْحَمْد مِنَ الْأَمْرِ إِذَا غَالَطْتُهُ خِلَابَةً فِيمَا أَتَى"، أنا لا أقبل أن أُلَفَّ، وَأدور عَلَى الزَّمان، يقصدُ أبناءَ الزَّمان- بل أقصدُ غَايَتِي، وأتَّجِهُ إليها صَراحَةً، من غيرِ خداع، ولا لَفّ، ولَا دَوَرَان! "آتيه" -أي آتي الدَّهر- "آتِيه نَصًّا"، قَصْدًا، سَرِيعًا، "فَإِذَا خَادَعَنِي" هو -فهذا شأنه، لا يخصني أنا- "فَوَّضْتُهَا لِلَّهِ يَقْضِي مَا قَضَى"! أما من عجيبة في التشكيل؟ ألا ترون

في تشكيل اسم الجلالة من عجيبة؟ ما هَذِهِ الألف على الشدة؟ أتدرون ما السبب؟ الجهاز مبرمَج على وضع الألف على الشدة فوق لام اسم الجلالة -تمام؟- فَإِذَا ذَهبتَ تُشَكِّل، تَضَع شَدّةً على اللام أخرجَهَا لك بهَذا الشَّكل؛ فمَا الحَلّ؟ أَلَّا نُشَكِّلَ اللام؛ لأنها مُشَكَّلَةٌ تلقائيًّا، هَذا الحَلّ. طيب! ما قولُكم في هَذِهِ الكَسْرة؟ كسرةُ أيّ شيء هَذِه؟

- الهاء.
- الهاء!
- اللام.
- طَيب! واللام أين كسْرَتُها؟ "لِلّٰهِ": أين كسرتُها؟ هاتان كَسْرَتَانِ في كَسْرَة، في هَذا الخط، إذا شكَّلْتَ الهاء بعد اللام وقعتِ الكسرةُ على الكَسرَة، كما يقَعُ الحافِرُ عَلَى الحافِر؛ فَمَا الحَلّ؟ أن تُرِيحَ نَفسَك، أن تكتفِيَ بكسرة، لأنَّ الكَسْرَةَ سَتَقع على الكسرة لتبدوا كسرة واحدة! هذه مُشكلات الخُطوط الرقمية! أفسَدَ الجهازُ الخُطوطَ العَرَبِيَّة! شاركتُ في مُؤتَمَر بمكتبة الإسكندريّة، اسمُه "نَحْوَ خَطٍّ عَرَبِيٍّ أفضَل"، سمعتُ الخطَّاطين يقولون -وكان فيهم أكبرُ خطاطي العالَم آنئذ، العراقي يوسف ذو النون-: أفسَدَ الحاسوبُ الخَطَّ العَرَبِيّ! وخَطِّي أنا فَسَد بالجِهَاز، لم أَعُدْ أكتُب! سترَونَ خَطًّا بَشِعًا بعد قَلِيلٍ! "آتيهِ نَصًّا فَإِذَا خَادَعَنِي...
- فَوَّضْتُهَا...
- "... فَوَّضْتُهَا لِلّٰهِ يَقْضِي مَا قَضَى"؛ أي أنا فعَلتُ ما يَنبَغِي. وانتبهوا إلى التشكيل مرة أخرى تَرَوْا ما قبل المد متحركًا، هاء "فَوَّضْتُهَا" مفتوحة مثلا، وضاد "يَقْضِي" مكسورة -هَا!- وكذا مضموما، وهذا كله وما أشبهه متأخر قليلا عما جريت عليه من قبله، فلم أكن أُشَكِّلُ ما قبلَ المَدّ، لماذا؟ كنتُ أرى أنَّ الألف هِي الفتحةُ، فكيف أضعُ لها قبلها فتحة وهي الفتحة! هَذي الألف هِيَ الفتحة، وياء المَدّ هَذه هيَ الكسرة، فكيفَ أضَعُ لها قبلَها كَسْرَة، وهِيَ الكَسْرة! وكذلك واو المد -والمُدُود كلها حركات طويلة- ثُمَّ الآن صرتُ أرى غيرَ ذَلك، كَيف؟ تذكَّرْتُ أَنَّ عُلَمَاءَنا الذينَ بَنَوا هَذِهِ العُلوم، وَطَوَّرُوا هَذا الخَطّ، كانوا يَرَوْنَ أنَّ المَدّ إنما هو بعدَ الحركة، أي هَذه الألف مَدّ بعد فتحة الهاء، وهَذه الياء مَدّ بعدَ كَسرة الضَّاد، وعلَى هَذا بنَوا علُومَهُم؛ فكيفَ آتي أنا لأُغَيِّرَ صنيعهم الأصيل هُنا بِرأيِي الحَدِيث -هذا رأينا الآن- كيفَ آتِي أنا لأَتَّبِعَهُم وأُغَيِّرَ هَذا من داخلِ

الاتِّباع! فرَجَعت -قُلتُ: لا! ينبغي للعاقل أن يُكمِلَ الصورة، تُريد أن تُغيِّرَ هَذا، فانخَلِعْ مِنهُ، وابنِ لَكَ بُنيانَكَ الآخر!- فَعُدْتُ أضَع فتحةً على ما قبلَ الألف، وكسرةً تحت ما قبل ياء المد، وضمة فوق ما قبل واو المد. ها! "وَالْخِبُّ"، من الخب؟ الْخِبُّ المخادع! "وَالْخِبُّ لَا تَصْحَبُهُ فَضِيلَةٌ وَلَوْ إِلَى النَّجْمِ بِدَهْيِهِ عَلَا"، ما "الدَّهْي"؟ الدَّهْيُ المكر، ومنهُ الدَّهاء؛ يُقال: دَهَاهُ، يَدْهَاهُ، دَهْيًا. لم تتعوَّدُوا كلمة "الدَّهْي" -وهي المصدر- تقولون مَثَلًا: ما بَالُه، ما دَهَاه! تقولونَ هَذا، ولا تستعمِلُونَ كَلِمَةَ "دَهْي" -ظُرُوف!- تستعملُونَ بعضَ الاشتِقاقاتِ دونَ بَعض! ما اسم الفاعل منه؟

- الداهية.

- الداهي، والداهية -نعم!- تَستعمِل "الداهية"، ولا تستعمل "الداهي" مثلا، وهي في العربية -ها!- يقولون في الكلامِ القديم: داهٍ مُنكَرا! وأنت لا تستعملُ إلا "الداهيَة"، في المُصيبة، تقول: هَذَا الشَّخْص "دَاهِيَة"، فإذا قُلتَ: "داهٍ" خَطَّؤوك، أو أحَسُّوا أنَّكَ أخطأت. هَذه هِيَ مُشْكلَاتُنا، أنَّنا اشتهَرَت لدَيْنَا تصريفات دونَ تصريفات، فتَمَسَّكْنَا بالمشهُورة، وَارتَبنا في المغمورة، ارتبنا فيها! سُبحانَ اللَّه! كيف هَذا، يا جماعة! أتذكرون كلمتي "رَغم"، و"رُغْم"، وكذا؟ تقولون: "رُغم"، وتَشُكُّونَ في "رَغم"، ونحن نقول: "رَغْم"، وَنَشُكُّ فِي "رُغم"! "عَرَفْتَ شَيْئًا...

- وَغَابَتْ عَنكَ أَشْيَاءُ"!

- ... وَغَابَتْ عَنكَ أَشْيَاءُ"! "وَ الْخِبُّ" المُخادِع، يُقالُ: خَبَّ، يَخِبُّ، أي مَكَرَ، يمكُرُ؛ فهُوَ خِبّ، ورُبَّما قالوا خَبُّ، يعني: خَبَّ، يَخُبُّ، خِبًّا. وَجَدْتُ في المَعَاجم أنَّ "الخِبّ" هُوَ الماكر، وأحيانًا يكون هُوَ: المَكْر، وأحيانًا يقولون " الخِبّ" في المكر، و" الخَبّ": في الماكر؛ ففي المسألة تفصيل، وفيها تداخُل. ومن الكلامِ الطَّريف قولُ سيِّدنا عُمَر: "لَسْتُ بِالخِبّ، وَلَكِنَّ الخِبَّ لا يَخْدَعُنِي" -هَا!- أي لسْتُ بالخبيث، وَلَكِنَّ الخبيث...

- لا يخدعُني.

- لا يخدَعُني؛ فأنا أكرم من أن أكونَ خِبًّا، وأذكى من أن يخدَعَني خِبّ. هَذا سيِّدُنا عُمَر -هَا!- هَذَا المُحَدَّثُ المُلْهَم كما كانوا يقولون، لَسْتُ بالخِبّ، وَلَكِنَّ الخِبَّ لَا يَخْدَعُنِي، لستُ بالخبِيثِ المُنكَرِ الدَّاهِيَة، ولَكِنَّ الخبِيثَ المُنكر الدَّاهية لا يخدَعُني؛ فأنا أكرمُ من أن أخدَعَ الناس، وأذكى مِن أن يخدَعَنِي الناس. "وَ الْخِبُّ لَا تَصْحَبُهُ فَضِيلَةٌ وَلَوْ إِلَى النَّجْمِ بِدَهْيِهِ عَلَا"! لو وصل إلى رئاسة العالَمَ

كَترَمْب -تَرَمْب أسوأ من حَكَمَ البلاد في التاريخ، هَا! وهو الآن سَيِّدُ العالَم، هذا البلطجي سَيِّدُ العالَم، هذا النصَّاب سَيِّدُ العالم- ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم! "وَ الخِبُّ لَا تَصْحَبُهُ فَضِيلَةٌ وَلَوْ إِلَى النَّجْمِ بِدَهْيِهِ عَلَا"، سيَظَلُّ خِبًّا! "إِنْ وَسِعَ الدَّهْرَ احْتِمَالُ عَاجِزٍ"...، نَعَم، يا أُسامة!

- هل فرقٌ بين " الخِب"، و " الدَّهاء"؟
- في الخِبِّ خُبث، وفي الدَّهَاء حِيلة، تمام؟ "إِنْ وَسِعَ الدَّهْرَ احْتِمَالُ عَاجِزٍ فَهْوَ سِلَاحِي وَتِلَادِي المُرْتَجَى"، تأملوا تسكينَ الهاء من "فَهْو"، لو قُلتُم " فَهُوَ سِلَاحِي" انكسرَ الوَزن؛ فأنتم محتاجون إلى تسكينِ هَذه الهاء، وتسكينُ الهاء من "فَهُوَ"، لتكون "فَهْوَ"، ومن "وَهُوَ"، لتكون "وَهْوَ"- من أسهَلِ الأشياء، حتَّى لقد وقعَ في قراءات القُرآن، وإذا وقعَ الشيءُ في قراءات القُرآن كان مقبولًا محبوبًا، لا يجوزُ لَكَ أن تَصِفَهُ بالضَّرُورة، ولا بالضِّيق، وَلَا بِكذا، لا؛ فقد وقع في القُرآن، بل تقول: إنهُ من جماليَّاتِ اللُّغة، إذا اشتركَ القُرآنُ والشِّعْرُ والنَّثْر في الظاهرة فصفها بأنها من الجَمَاليَّات، وهيَ في العادةِ منَ الجماليَّات! حتَّى في الشِّعْر! ألم يكن أبو مُسلِم يستطيع مَثَلًا أن يُغَيِّرَ العبارة، لِتَخْلُوَ من كَذا؟ كان يستطيع، فلماذا لم يفعل؟ هُوَ يُرِيدُ هَذا التَّعبير، هُو عِنْدَهُ أجمل؛ فهو إذن من الجَمَاليَّات! "إِنْ وَسِعَ الدَّهْرَ احتِمَالُ عاجِزٍ فَهْوَ سِلَاحِي وَتِلادِي المُرْتَجَى"، كَلام ملفوف قليلًا، يريد: إن استطاعَ عاجز أن يتحمَّلَ الزَّمان بِشِدَّة تَحَمُّله، إذا استطاعَ عاجز أن يَظَّلَّ في هَذه الدُّنيا بِقُدْرَتِهِ علَى الاحتِمال- فَأنا هَذا العاجز! وَعِندِي قُدْرَةُ احتِمَال أعلى مِمَّا تَتَصَوَّر؛ "فَهْوَ سِلَاحِي"، ما سِلاحِي؟ احتِمالُ العاجز! هُو عاجز، ليستْ عندهُ أسلِحة، لَكن عندهُ الاحتِمَال! لَيَسَ عندهُ مال، ولا سيَّارات، ولا ضِيَاع، ولا كذا، لكن عندَهُ احتِمَال، هَذا عَلَى طريقة تمييز المُسلمين بين الصَّبر والشُّكر: أيُّهما أفضل؟ من الناس مَن فَضَّلَ الشُّكر عَلَى الصَّبر، ومنهم مَن فضَّلَ الصَّبرَ على الشُّكْر! "فَهْوَ سِلَاحِي وَتِلادِي المُرْتَجَى"، ما التِّلاد؟ المجد الموروث، جمع التَّليد، وعكسُه؟ الطِّراف المجدُ المُستحدَث، جمع الطَّرِيف، كأنهُ يقول: هو في أهلي من قديم! كأنهُ يُشِيرُ إلى أنهُم هكذا طَوالَ الزَّمان، مُبتَلَونَ بالزمان طَوالَ الزمان!

- نَعَم، يا عمر!
- وَتِلادِي؟

- "تِلادِي" مجديَ المَوْرُوث، أي لا أملِكُ مِمَّا ورِثْتُهُ عن أهلي، إلا قُدرتَهُم على الاحتِمال، فكُلَّما أصابتني مُصيبة من مصائب هَذا الزمان الذي لا يَكُفُّ عن الإصابة، تحملتُها.
- والعكس هو الثاني؟
- نعم، يقولون: تليد وطريف، التليد مجدٌ قديم، والطريف مجدٌ حديث، جمع تَليد على تِلاد معروف مشهور، وجمعُ طَريف على طِراف غير معروف، ولكنه متوقع، فلغتُنا تمشي بإيقاع. "يُنفِقُ فِي إِهَانَتِي صروفه وَأُنفِقُ العَزْمَ، وإِنفَاقِي...
- زَكَا".
- زَكَا، ما معنى "زَكَا"؟
- زاد.
- نَمَا، وزاد، فَالزَّكاةُ...
- نمو.
- نُمُوٌّ، وزيادةٌ، وطُهرَةٌ! "وَأُنفِقُ العزْمَ، وَإِنْفَاقِي زَكَا"، نحنُ الآن في صِراع: هُوَ في ناحِيَة، والدَّهرُ في ناحِيَة! هَذا يفعل، وهَذا يفعل! يزيدُ عَلَيَّ، وأزيدُ عليه، وهكذا..! "وَإِنْفَاقِي زَكَا"، إنفاقي أفضل! أنا عندي عَزْم، عندي هِمَّة -هَا!- كما قالَ المُتَنَبِّي:
"تَجَمَّعَتْ فِي فُؤَادِهِ هِمَمٌ مِلْءُ فُؤَادِ الزَّمَانِ إِحْدَاهَا"!
هَا! في قصيدته التي أولُها:
"أَوْهِ بَدِيلٌ مِنْ قَوْلَتِي وَاهَا لِمَنْ نَأَتْ والْبَدِيلُ ذِكْرَاهَا"!
هَذا من كلامه في صِغَره، صاحبُ هَذا الكلام طفل صغير! صغير أكبرُ من الكبار هَذا! "وَأُنفِقُ العَزْمَ، وَإِنْفَاقِي زَكَا"، مُنافَسَة -هَا!- طَيِّب! لماذا هَذا كُلُّه؟ لأنَّكَ مُتَمَرِّد! "ذَنْبِي إِلَيْهِ جَنَفِي عَنْ لُؤْمِه"، ما "الجَنَف"؟ المَيْل، ما المَيلُ عن اللؤم؟ كناية عن الكَرَم! حينما يُقال: فُلان هَذَا "مَيَّال عن اللُّؤم"، يُراد أنه كريم. "ذَنْبِي إِلَيْهِ جَنَفِي عَنْ لُؤْمِه وَقُدْرَتِي عَلَى احْتِمَالِ مَا جَنَى" -هَا!- سيُعَدِّدُ الذُّنوب، سيُعَدِّدُ ذُنُوبَهُ عندَ الدَّهْر، الدَّهر، والمقصود؟ أبناءُ الدَّهْر، النَّاس، ما ذنبي عند الناس؟ أنَّني مَيَّال دائمًا عن لُؤمِهِم، يجدون أنني أُعِزُّ نَفْسِي عَن أن أرتكبَ ما يرتكِبُون، "وَقُدْرَتِي عَلَى

احْتِمَالِ مَا جَنَى"، عِندِي قُدرةٌ على الاحتِمال! "وَأَنَّني الحَتْفُ عَلَى لِئامِهِ أَنْكَأُ فِي حُلُوقِهِمْ مِنَ الشَّجَى"، أنا لا أكتفي بالامتناعِ عَنِ اللُّؤم، لا؛ بل أُهاجم اللئام، أنا موت اللئام، كَمَا قَالَ عَنترَة: "أَنَا المَوْتُ إِلَّا أَنَّني غير صَابِرٍ عَلَى أَنْفُسِ الْأَحْرَارِ وَالْمَوْتُ يَصْبِرُ"!

أي أنا خير منَ المَوت -هذا مراد عنترة أَبِي الفَوارِس- أنا أشدُّ مِنَ المَوْت! يقولُ أبو مُسْلِم: "وَأَنَّنِي الحَتْفُ"، -والحتف الموت- أَنا المَوْتُ، موتُ لئامِهِم! "أَنْكَأُ فِي حُلُوقِهِم مِنَ الشَّجَى"، ما "الشَّجَى"؟ الغُصَّة! أنا لِلِّئَام أشدُّ مِنَ الغُصَّةِ فِي الحَلْق! تَخَيَّلُوا! تَعْرِفُونَ هَذِه الخلَّة التي نُخَلِّلُ بِهَا الأسْنان؟ إذا عَلِقَتْ بحلقك مَثَلًا -تخيَّل، عافاك الله!- لم تستطع أن تُخرِجَها، ولا أن تبلَعَ رِيقَكَ، أَعُوذُ بِاللَّه! بالمُنَاسَبة كان سيِّدُنا أبو الأَسْوَد الدُّؤَلِيّ إذا ما سَمِعَ شَخصًا يُخْطِئُ في اللُّغة أَحَسَّ بِالشَّجَى في حَلْقه! انظروا إلى تَرَاسُلِ الحَوَاسّ! إذا سَمِعَ شخصًا يخطِئ، يَنصِبُ الفاعل مثلا، أو يرفعُ المفعول- أحسَّ في حلقه بغُصَّة! وأبو الأسود هذا تلميذُ سيِّدِنا عَلِيّ -كرم الله وجهه!- شاعر كبير، وإمامٌ نَحْوِيٌّ مُخترِعٌ فذّ! "وَأَنَّني الحَتْفُ عَلَى لِئامه أَنْكَأُ فِي حُلُوقِهِمْ مِنَ الشَّجَى" -هَا!- ماذا أفعل؟ "أَذُودُ عَنْ حُرِّيَّتِي بِحَقِّهَا وَأَجْهَدُ النَّصْرَ لِحُرٍّ مُبْتَلَى"! ما إعرابُ "النَّصْرَ"؟

- مفعول.
- مفعول به؟ خطأ! أتدرين لو أعربناها مفعولًا بِهِ، لَعَكَسْنا المعنى! ما معنى "أَجْهَدُ النَّصْرَ"؟ أُتْعِبُه، أُتعِبُ النَّصْر، معقول هَذا؟ ما إعرابُ النَّصْر؟
- نائب فاعل.
- هَا!
- نائب فاعل.
- نائب فاعل وهي منصوبة؟ "وَأَجْهَدُ النَّصْرَ"، ها!
- مفعول به.
- مفعول به؟
- مفعولٌ معه؟
- مفعولٌ مَعَهُ، خطأ!
- لأجله؟

- وأين واو المعية!
- لأجله؟
- مفعولٌ لأجلِه، هَذا هُوَ، أي من أجل النصر أجتهد، من أجل نصرِ الأحرارِ المُبْتَلَيْن! "وَأَجْهَدُ النَّصْرَ"، والمفعولُ لأجلِه في العادة نَكِرَة، لَكن يأتي مُعَرَّفًا كذلك بأل، تقول: سأزورُكَ مَحَبَّة، وتقول: سأزورُكَ المَحَبَّة! طبعًا "محبة" أكثر، لَكن "المحبة" واردة كذَلك. "وَأَنِّي" -هَا!- "وَأَنِّي"...، يُعدِّد، ماذا يُعَدِّد؟ يُعدِّدُ خِصَالَهُ التي يُعانِدُه بسببها الزمان؟
- بنوه!
- أي بنو الزَّمان، أحسنت! ومن خِصالِه كَذلك، هَا! "وَأَنِّي لَا أَعْرِفُ الْحَدَّ لِمَا أَسْطِيعُ أَنْ أُنْجِزَهُ مِنَ الْعُلَا"، ما "أَسْطِيعُ" هَذِه؟
- أستطيع.
- هِيَ مُخَفَّفَةٌ من "أستطيع"، عَلَى طريقة قول ربِّنا -سُبْحَانَه، وتعالى!-: "فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ...
- ... وَمَا اسْتَطَاعُوا...
- ... وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا"، صدق الله العظيم! يقُولُ المُفَسِّرُون: اختار "استطاعَ"، للنَّقْب، و"اسْطَاعَ": للقفز، أيُّهما أصعب؟ القَفْز من على الجَبَل، أم خرق الجبل؟
- خَرْق الجبل.
- هَذا يحتاج إِلَى ديناميت! خرق الجَبَل هَذَا يحتاج إلى ديناميت، إلى مُفَجِّرات جبَّارة! أما القَفز فاختار له "اسْطَاع"، وهو أسهَل. "فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ" -أي أن يقفزُوا من فوقه- "وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا"، أي أن يخرقوه! "وَأَنِّي لَا أَعْرِفُ الْحَدَّ لِمَا أَسْطِيعُ أَنْ أُنْجِزَهُ مِنَ الْعُلَا"، كَأَنَّهُ يقول: لا، الإنجاز سهل عليّ! أنا لا حَدَّ عندي لطلب المجد! "وَأَنِّي" -هَذِه كُلُّها ذُنُوب، ذُنوب!- " وَأَنِّي لَا أُبْطِلُ الْجَهْدَ"، "الجَهْد"، أشدُّ مِنَ "الجُهْد"، "الجَهْد" غير "الجُهد"، ما فَرقُ ما بين "الجَهْد" و"الجُهْد"؟
- "الجُهْد" التَّعَب.
- لا، الجُهْد الطاقة.
- الطاقة؟

- أي خُلاصةُ القُدْرة، حدودُ القُدرة، يُقال: هَذا الشخص جُهدُه ساعة، أي أقصى ما يستطيع أن يعمل ساعة، لَكن الجَهْد الاجتهاد العام الشامل الذي لا حُدودَ له! الجَهْد هو المَصدَر، والجُهْد اسم مصدر. "وَأَنَّنِي لَا أُبْطِلُ الجَهْدَ إلى حَدّ سُكُونِي بين أطباق الثَّرى"، طيب! سؤال -يا جماعة!- كيف لمثل هَذا الرَّجُل أن يمدحُ نفسه -هَا!- وقد تعوَّدْنا أن نُشَبِّهَ مادحَ نفسه بإبليس، ونقول له: "يسَلِّم عَليك"، فيقول: من؟، فنقول: مادِح نَفْسه! فيقول: مَن مادِحُ نفسِه؟ فنقول: أبو مُرّة إبليس - يسمون إبليس أبا مُرة، من باب التوقير، له كل التقدير الاحترام خشية أن يطلع الآن علينا!- قالَ ابنُ سناء المُلك:

"يا لَيْلَةً كَانَتْ لَنَا حُلْوَةْ زَيَّنَهَا الشَّيْخُ أَبُو مُرَّةْ"!

يبدو أنهُ عاش ليلة حَمْرَاء، نعوذُ بالله من الشيطان الرجيم! ها! فما قولُكم؟ نَعَم!

- لَعَلَّهُ يستنهِضُ نفسهُ، ويُحَفِّزُها بما لاقاهُ!

- يستنهِضُ غيرَهُ، ويُحْرِجُ نَفْسَه، هو يستنهِضُ غَيرَهُ، كصدقة العَلَن، عندنا نَوْع من الصدقة يكون في السِّرّ -لا بأس، هَذا الأصل- لَكِنَّ من الصدقة نوعًا يكون في العَلَن، تُعَلِّمُ بها الناس الصدقة، وتُلزِمُ بها نَفْسَك، وكأنك تقول: يا جماعة، أتعَهَّدُ لَكم بأن ألتزِمَ هَذِه الأخلاق، وتُعَلِّمُ النَّاس كذلك: انتبهوا، هَذا الذي ينبغي أن تَفْعَلوه! لماذا تَحمِلُ هَذا على الاغترار! "وَأَنَّنِي لَا أُبْطِلُ الجَهْدَ إِلَى حَدِّ سُكُونِي بَيْنَ أَطْبَاقِ الثَّرَى"، "وَأَنَّنِي أُدْرِكُ أَنَّ عَازِمًا مُثَابِرًا يُدْرِكُ غَايَاتِ المُنَى"، الآن رجع عن اليأس إلى التفاؤل، منذ قليل كنتَ تقول: مهما فعلتُ فلن أحصُل على شيء، فما عدَا مِمَّا بَدَا! ما الذي غَيَّرَ الحال؟ الآن تحوَّلَ إلى مُتفَائل، لا، سأصل، إن شاء الله! فهو قد غضب أوَّلًا، ثُمَّ ثار ثانيًا، ثُمَّ انفجَرَ ثالثًا، ثُمَّ تفاءَلَ رابعًا، وأخيرًا: "وَأَنَّنِي فِي مِحَنٍ سَاوَرْتُهَا عَلِمْتُ مَا جَهِلْتُهُ مِنَ الوَرَى"، ما معنى "سَاوَرْتُهَا"؟

- عايَشْتُها!

- غَالَبْتُها، أَقهرُهَا، وتقهَرُنِي، أصرَعُها، وتَصْرَعُنِي، وبعدها "عَلِمْتُ مَا جَهِلْتُهُ مِنَ الْوَرَى"، كيف تعرفون الناس؟ بالرَّخاء، أم الشِّدّة؟

- بالشدة.

- في الرخاء كلّهم أحباب -ما شاء الله!- ها!

"وَالنَّاسُ مَنْ يَلْقَ خَيْرًا قَائِلُونَ لَهُ مَا يَشْتَهِي وَلِأُمِّ الْمُقْتِرِ الْهَبَلُ"!

تروح في داهية! "وَالنَّاسُ من يَلْقَ خَيْرًا"، نعم -يا مسعودا!- عندك شِعْر؟

- بيْت فقط.
- هات!
- "جَزَى اللَّهُ الشَّدَائِدَ كُلَّ خَيْرٍ عَرَفْتُ بِهَا عَدُوِّي مِنْ صَدِيقِي"!
- أحسنت! الناس في رَغَدِ العَيش كلهم أحباب -ما شاء الله!- لَكن إذا ضاقت الحال ضاقَت ضاقَت، تَفَلَّتُوا عنك واحدا واحدا! "عَلِمْتُ مَا جَهِلْتُهُ مِنَ الوَرَى"! "وَأَنَّ فِي حُسْنِ التَّدَابِيرِ غِنًى عن خُدَعٍ، وَهْوَ عِمَادُ مَنْ وَهَى"، عَلَّمَنا رسول الله -صلى الله عليه، وسلم!- أن نتدبَّر أمورنا بدلًا من أن نخدَع، قال سيدنا عمر -رضي الله عنه!-: "إِنَّ فِي الْمَعَارِيضِ لَمَنْدُوحَةً عَنِ الْكَذِبِ". وقد عَلَّمْتُ هذا أولادي، فتوسَّعُوا فيه -ما شاء الله!- في الأوَّل قلت لهم: لا تكذبوا، لا يكونُ المُسلِم كَذَّابًا أبدًا، مُسْتَحِيل، لا أكذب، ولا يكذبون. لَكنني عَلَّمْتُهم الاحتيال -ههه!- فتوسَّعُوا -ما شاء الله!- واجتَهَدُوا، وبَرَعُوا! لا نكذِب، لَكن نحتال! يَا لَلْمُصيبة! وَرَّطْنا أنفسنا! لا، يكذبون أحسن!
- ههه!
- إنَّ فِي المَعاريض -أي المجازات والتعبير غير المُباشر- لَمندوحَةً عَنِ الكذب. حينما كان في رحلة الهجرة، لقيه رجل فسأله: مِمَّن أنتم؟ فقال: من ماء؛ فجلس يُفكِّر: من ماء، من ماء، أيَّةُ قبيلة هَذه؟ أين تُقيم قبيلةُ "ماء" هذه؟ ماذا قال الحق -سبحانه، وتعالى!- في كِتابه؟ قال: "وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ" -صدق الله العظيم!- فلم يكذب إذن، ولم يُجِب مُباشرةً؛ فإنَّ في المَعاريض لَمندوحَةً، تَقُولُ الحقيقة بدل الخِداع، "وَأَنَّ فِي حُسْنِ التَّدَابِيرِ"، أي أن تُدَبِّر أمرك هكذا، أحسن من أن تَخدع، هَذَا مِنَ الحِكْمَة. "وَأَنَّنِي لَا أَسْتَثِيرُ سَيِّئًا وَلَا أُسِيءُ دَفْعَهُ إِذَا عَنَى"، لا أُبادر بالإساءة، لَكنَّني قَدِيرٌ عَلى دفعها إذا حدثت. "وَلَا أُدَاجِي مَالِئًا وِذَامَهُ عَلَيَّ غَيْظًا بِفُقَاعَاتِ النَّثَى"، "أُداجي" أُخَادع، و"الوِذام" الحِزام، إذا تخيلنا شخصًا مُمتلئًا عليك كَمَدًا مثلا، كان كأنهُ سينفجر، وهَذَا يؤدي إلى اشتداد توتير الحزام؛ فكأنَّ الحزامَ مَمْلُوء، هَذِه العِبارة، هَذِه الكَلِمَة لم يفهمْهَا من حقق ديوانه، لا الحارثي، ولا الغابشي، لا هَذا، ولا ذاك! لم يفهما كلمة "وِذام"؛ فحرَّفاها! "وَلَا أُدَاجِي مَالِئًا وِذَامَهُ عَلَيَّ غَيْظًا بِفُقَاعَاتِ"، هي فُقَّاعة، ولكن تشديدها يكسرُ الوزن، ولا حيلة إلا أن يُلَطِّفَها،

ويُخَفِّفَها، مثل نفّاخة، حسّانة...، إلى آخرِ هَذه الكلمات. من ألطف ما يفعله الشعرُ بهَذه المُشَدَّدات أن يُخَفِّفَ تشديدها -هَا!- "بفُقَاعَات النَّثّ"، أي نشر السيِّرة الطيبة، يستحيل أن أنشُرَ سيرةً طيبة لشخصٍ لئيم! "ولَا أُحَابِي مَلَقًا" -كَذِبًا- ذا ظَاهرٍ يَشِفُّ لِي ظَاهِرُهُ عَمَّا انطَوَى"، أي أنا أعرف أنهُ نَصَّاب، مُحتال، فكيف أُحابيه، كيف، كيف! كيفَ أُقَرِّبُهُ، كيفَ أُلاطفُه، كيف! "تلكَ"، ما تلكَ؟ إلامَ أشار بـ"تِلْكَ"؟ تلك المناقب كلّها التي سبقت، "تِلْكَ وَما يَفضُلُهَا"، ما معنى "وما يَفضُلُها"؟ أي وأكثرُ منها، "خَصائِصي"، ما شاء الله، مغرور؟ لا، بل معلِّم. "تِلْكَ وَما يَفضُلُهَا خَصائصي ولَيْسَهَا عِندَ الزَّمَانِ تُرْتَضَى"، "ولَيْسَهَا" هَذه غَريبة، لم أقرأها إلا في شعر العُمانيّين فقط! ما "لَيْسَهَا" هذه؟ لقد ارتبتُ فيها، فقُلتُ: رُبما كانت "لَيْتَهَا"، ثُمَّ خضَعتُ، فهي في الكُتب كُلِّها "لَيْسَهَا"، وقد تكررت عنده وعند غيره من الشعراء العُمانيين. ما معنى "وَلَيْسَهَا" إذن؟ كأنهم يقصدون: ولَيْسَتْ، "وَلَيْسَت عِندَ الزَّمَانِ تُرْتَضَى"، معَ هَذا كُلِّه لا يرضَى عنها الزمان، فماذا أفعل؟ ماذا أفعل؟ "أَرَى الْحَيَاةَ"، الحلّ إذن ألا تعبأ! هل تنتظر أن يُثني عليك عدُوُّك! أيُّ غَباء هَذا! ونحنُ هَذه الأيام في مُنتهى الغباء، لا نُثني على الشيء حتى يُثني عليه الآخرون، لا نُثني هذه الأيام على الشيء حتى يُثني عليه الأوروبيون والأمريكان والصّينيُّون واليابانيُّون وكذا، هَذه حَالُنا هَذه الأيام! لا نُثني على الشيء إلا إذا أثنى عليه أعداؤنا، أيُّ غَباء هَذا! "أَرَى الْحَيَاةَ" -هَذه هِيَ الحِكْمَةُ التي خَرَجَ بِها- "أَرَى الْحَيَاةَ كُلَّهَا ذَمِيمَةً وَخَيْرَهَا وَشَرَّهَا إِلَى مَدَى"، ما مَعنى "إِلَى مَدَى"؟ إِلَى حَدّ، نهاية الحياة. "يُحِبُّهَا المَرْءُ عَلَى آفَاتِهَا وَتُظْهِرُ الآفَةَ عِنْدَ المُنْتَهى"، ماذا قال فِرْعَون؟ "حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ -ولم يقل: آمنت بالله- بِالَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلُ" -صدق الله العظيم!- خائف، لا يعرف كيف يسمي الإلهَ الحقّ، فهوَ لا يعرفُهُ أصلاً، فهو يُحيل عَلَى من يعرفونه -هَا!- "آمنَتْ..."، وكُلُّ هَذَا نصب واحتيال، ولهذا قال الحق -سبحانه، وتعالى!-: "آلْآنَ"، لا، لا توبةَ في الغرغرة! "يُحِبُّهَا المَرْءُ عَلَى آفَاتِهَا"، على رَغْم آفَاتِهَا، "عَلَى" هَذه صَاحِبَةُ "رَغْم"، رُبما جاءت معها، ورُبما جاءت دونها، تقول مثلًا: جِئْتُهُ عَلَى مَرَضِي، هل وَضَعَ المَرَض، ومَشَى عَلَيه! ما معنى "جِئْتُهُ عَلَى مَرَضِي"؟

- على رغم مرضي.

- وهَذي أفصحُ من "بِرَغم"، وأسوأُ منهما "رَغم" من غير "عَلَى"، ولا الباء؛ فالأفصح إذن "جئتُ عَلَى رَغْم مَرَضِي"، وربما حذفوا "رَغْم"، فقالوا: عَلَى مَرَضِي؛ فانظُرُوا إلى قُوَّة "عَلَى" في الأُسْلُوب! يُمكنُكَ أن تحذِفَ "رَغْم"، ويُفهَمَ المعنى! لَكن مع الباء، حاول: "جِئْتُكَ بِمَرَضِي"، لا تستقيم؛ هَذا يُؤَكّدُ لَك فائِدَةَ "عَلَى" وصوابَها وحدَها دونِ " رَغْم"، أما " الباء" فلا! "يُحِبُّهَا المَرْءُ عَلَى آفَاتِهَا وتَظْهَرُ الآفَةَ...

- عِنْدَ المُنْتَهَى"!

- أي عندَ المَوت تعرف! نسألُ اللهَ أن يُنَبّهَنا وإيَّاكم إلى الصَّواب، قبل الفوات! تنهب أموالَ إخوتَك -عافانا اللهُ وإياكم!- وعندَ المَوت تكتشِف أَنك راحل، بعدَ كُلّ هَذا الباطل؛ فتقول: يا جماعة، كذا كذا! وأَينَ كنتَ طَوال حياتك؟ ها! "يَعِيشُ لَا تَنْدَى صَفَاةُ كَفّهِ يَخْزُنُ لِلْوَارِث كُلَّ مَا اصْطَفَى"، ما الصَّفاة؟ تُسَمُّون البنت "صَفَا"، ما الصَّفا؟ "الصَفَا": صَخْر! نُسمي البنت صخراً -ما شاء الله، هَا!- نُسمِّيها: صَخْراً -هَا!- وكذَلِك "مَروَة"، "المَرَوَة" صخرة، "والصَفَاةُ" صخرة، وجمعُ "مَروة" مَرْو، وجمعُ "صفاة": صَفَا. لَكننا طبعًا سمَّينا البنت "مَروَة" -وابنتا عمِّي الحبيب الوحيد "صفا" و"مَروَة"!- باسمَيْ مَسعيَي الحجيج "الصفا" و"المَروَة"، لا انتباهًا إلى الصخرة؛ هلِ انتبهَ عمِّي إلى "الصخرة" حتَّى يُسَمِّيَ بها ابْنَتيه! مستحيل، بل انتبهَ إلَى المشعَرِ الحرام! "يَعِيشُ لَا تَنْدَى صَفَاةُ كَفّهِ"، يعيشُ هَذا المسكينُ المغرور بخيلًا، هَذه كِنَايَةٌ عَنِ البُخْلِ - يا جماعة- يُشَبّهُ كَفَّهُ بالصَّخرة التي لا تتفجَّر، لا يَندُّ عنها ماء -وعكس هذا كِنَايَةٌ عَنِ البَذْل- فإذا كان هكذا صَخْرَ اليَد كان بخيلًا، يعيشُ بخيلًا "لَا تَنْدَى صَفَاةُ كَفّهِ"، ماذا يفعل؟ -تقولونَ في كلامكم " يِخزن"، لا، هِي "يَخْزُن"؛ من أصعبِ الأشياءِ ضبطُ عَينِ الثُّلَاثِيّ- "يَخْزُنُ لِلْوَارِث كُلَّ مَا اصْطَفَى"، معَ الأَسَف يذهب، ويبقى المال، كما قال الشاعرُ الجاهلِيّ:

"خَفّضْ عَلَيْكَ وَلَا تُولَعْ بِإِشْفَاقِ فَإِنَّمَا مَالُنَا لِلْوَارِث الْبَاقِي"!

نعوذُ بالله من هَذهِ الحال، ونسأله أن يُعينَنَا على البذلِ فِي حياتِنَا! هَا! **<u>نُرِيدُ الآن أن نستمعَ إلى قِراءةِ، أَتُنَافِسُون؟</u>**

- نعم، إن شاء الله!

- تُنافِسُون على خمسِ دَرَجَات أو الطَّرْد، على خمسِ دَرَجَات زيادة أو نقصًا، أوِ الطَّرد، مَن يُنافِس، مَن يُنافِس؟ صعبة، صعبة! يبدو أنها تريد تتغدَّى أو شيئا كهذا! أكيد، أكيد؟ طيِّب، اقرئي! ذكِّريني اسمك!

- لميس.

- طيب! هَذا صعب، يا لميس! لابُدّ أن تُطرَدي -لابُدّ- أو أن تُحذَف منكِ دَرَجات! لَكن هَذه جُرأة، جرأة شديدة من لميس، وشخصيةٌ قوية -هَا!- لا نُنكر أن الجرُأة شيء مطلوب أحيانًا إلا الآن! هَا، هيَّا، أسرعي، حتى نتفرَّغ لطرد آخرين! هَا، لميس!

- حَتَّى مَتَى كَأْسِي رِيقُ حَيَّةٍ وَمَطْعَمِي مِنْ زَمَنِي مُرُّ الْجَنَى
أُطَالِبُ الدَّهرَ حُقُوقًا كُلَّهَا

- كُلَّهَا! مع السَّلامة! نورة -هَا!- صعبة!

- حَتَّى مَتَى كَأْسِي رِيقُ

- هَذا لعِب، هل نلعَبُ الآن؟ نلعَب؟ لا، أهذا كلام! أنا لم أُلْزِمْكُمْ أن تُنافسوا على الدرجات والطَّرد، بل اخترتم أنتم! هَذَا جبروت من الطالب، جبروت ينبغي أن يتحمَّلَ نتيجَتَه! وَأشدُّ النَّاس جُرْأةً عَلَى هَذَا الجبُروت النساء، هَا!

- حَتَّى مَتَى كَأْسِي رِيقُ حَيَّةٍ وَمَطْعَمِي مِنْ زَمَنِي مُرُّ الْجَنَى
أُطَالِبُ الدَّهرَ حُقُوقًا كُلَّهَا كَبَارِحِ الْأَروى مَنِيعَات الذُّرَا
أَقْطَعُ آمَالِي بِمَا فِي بَعْضِه أَكْبَرُ مِنْ كَافٍ لِدَرْكِ الْمُبتَغَى
كَأَنَّ تطْلابِي أَمْرًا مُمْكِنًا أَصْعَبُ مِنْ أَمْرٍ مُحَالِ الْمُرْتَجَى
لَسْتُ عَلَى الْحَمْد مِنَ الْأَمْرِ إذَا غَالَطْتُهُ خِلَابَةً فِيمَا أَتَى
آتِيه نَصًّا فَإِذَا خَادَعَنِي فَوَّضْتُهَا لِلَّهِ يَقْضِي مَا قَضَى
وَالْحُبُّ لَا تَصْحبُهُ فَضِيلَةٌ وَلَوْ إِلَى النَّجمِ بِدَهْيِه عَلَا
إِنْ وَسعَ الدَّهْرَ احْتِمَالُ عَاجِزٍ فَهْوَ سلَاحِي وَتِلادِي الْمُرْتَجَى
يُنْفِقُ فِي إِهَانَتِي صُرُوفَهُ وَأُنْفِقُ الْعَزْمَ وَإِنْفَاقِي زَكَا
ذَنْبِي إِلَيْهِ جَنَفِي عَنْ لُؤْمِهِ وَقُدْرَتِي عَلَى احْتِمَالِ مَا جَنَى

وَأَنَّنِي الْحَتْفُ عَلَى لِئَامِهِ أَنْكَأُ فِي حُلُوقِهِمْ مِنَ الشَّجَى
أَذُودُ عَنْ حُرِّيَّتِي بِحَقِّهَا وَأَجْهَدُ النَّصْرَ لِحُرٍّ مُبْتَلَى
وَأَنَّنِي لَا أَعْرِفُ الْحَدَّ لِمَا أَسْطِيعُ أَنْ أُنْجِزَهُ مِنَ الْعُلَا
وَأَنَّنِي لَا أُبْطِلُ الْجُهْدَ إِلَى حَدِّ سُكُونِي بَيْنَ أَطْبَاقِ الثَّرَى
وَأَنَّنِي أُدْرِكُ أَنَّ عَازِمًا

- أدركَ! قراءة مُمتازة، بديعة، رائعة، مع السَّلامة! كنتُ أدعو ألا تُخطِئ مع هذا الأداء البديع، مع السلامة، يا نورة! ها! بَقِيَ واحد إذن، تُنافسين، تُنافسين؟ طيب، أكملي -نورة، برًّا!- ما اسمُك؟
- هاجر.
- من شدَّة ما نُعَاني، سأجعلك تُكملين، هَا!
- وَأَنَّنِي أُدْرِكُ أَنَّ عَازِمًا مُثَابِرًا يُدْرِكُ غَايَاتِ الْمُنَى
وَأَنَّنِي فِي مِحَنٍ سَاوَرْتُهَا عَلِمْتُ مَا جَهِلْتُهُ مِنَ الْوَرَى
وَأَنَّ فِي حُسْنِ التَّدَابِيرِ غِنًى عَنْ خُدَعٍ وَهْوَ عِمَادٌ مِنْ وَهَى
وَأَنَّنِي لَا أَسْتَثِيرُ سَيِّئًا وَلَا أُسِيءُ دَفْعَهُ إِذَا عَنَى
وَلَا أُدَاجِي مَالِئًا وِذَامَهُ عَلَيَّ غَيْظًا بِفُقَاعَاتِ النَّثَا
وَلَا أُحَابِي مَلَقًا ذَا ظَاهِرٍ يَشُفُّ لِي ظَاهِرُهُ عَمَّا انْطَوَى
- ظَاهِرُهُ! لا، بل ظَاهِرُهُ، مع السلامة، على رغم أننا أكملنا، ولم نبدأ من الأول! هَا، مَن يُكمِل؟ انتهينا من المنافسات؟ انتهينا، نحن الآن في المجان، عبد الرحمن، القراءة بالمجان، بالمجان! عبد الرحمن، ابدأ من الأول تُريد؟
- لا.
- عبد الرحمن هَذا خِرِّيجُ الإنجليزية الأديب، بارك اللهُ فيه! ها!
- وَلَا أُحَابِي مَلَقًا ذَا ظَاهِرٍ يَشُفُّ لِي ظَاهِرُهُ عَمَّا انْطَوَى
- يشُفُّ؟ لا، يَشِفُّ، لا يُقالُ في العربية: يشُفُّ، يُقَال: يَشِفُّ. قُلتُ لكم: عَيْنُ الثُّلَاثِيِّ مُشكِلَة، مُشكِلة، تقولون: "يَحْزِن"، وهي "يَحْزُن"، كذا وهي كذا، كذا وهي كذا، مُصيبة تحتاجون إلى مراجعة المعاجم دائمًا! وأنا لا أكُفُّ كُلَّ يوم عن مُراجعة المعاجم، كُلَّ يوم، كنتُ قديمًا أحفظُ

الكُتُب، كنتُ أكتُب عنها، أنقُل الكلام، وأحفظُه، كنتُ مفتونًا بهَذا، واكتشفت أنها طريقةُ العُلَماء، هكَذا كان شاكر يفعلُ وغيرُه، يحفظون متنَ اللغة، كان شاكرُ أستاذنا أستاذ الدنيا -رحمه الله، وطيب ثراه!- يحفظُ لسانَ العرَب، كان أخوه يعلِّمُ لَهُ مواضع الحفظ: احفظ من هُنا إلى هُنا، فيحفظ، ثُم من هُنا إلى هُنا! يحفظ "لسانَ العرَب"، "لسانَ العرَب"، بعد أن حفِظَ القُرآنَ الكريم وشعرَ المُتنبِّي -ها!- كاملًا كما يحفظُ اسمَهُ، حفظ "لسانَ العرب"! شيء مستحيل! وهل هَذا مما يُحفَظ؟ كلام صعب، ها!

- وَلَا أُحَابِي مَلَقًا ذَا ظَاهِرٍ يَشِفُّ لِي ظَاهِرُهُ عَمَّا انْطَوَى
تِلْكَ وَمَا يَفْضُلُهَا خَصَائِصِي وَلَيْسَهَا عِنْدَ الزَّمَانِ تُرْتَضَى
أَرَى الْحَيَاةَ كُلَّهَا ذَمِيمَةً وَخَيْرَهَا وَشَرَّهَا إِلَى مَدَى
يُحِبُّهَا الْمَرْءُ عَلَى آفَاتِهَا وَتَظْهَرُ الْآفَةُ عِنْدَ الْمُنْتَهَى

- يا سلام!

- يَعِيشُ لَا تَنْدَى صَفَاةُ كَفِّهِ يَخْزُنُ لِلْوَارِثِ كُلَّ مَا اصْطَفَى

- أحسنت -يا عبدَ الرَّحمن!- بارك اللهُ فيكم -يا جماعة!- لا تغضبوا منَ المنافسات والطرد، هَذه تجرئكم، وتبني شخصيتكم -إن شاء الله!- وتفيدكم، ثم الأمورُ متاحة؛ نحن أصلًا نسجل هَذه المُحاضرات، وهي نفسُها على الموقع، ونستفيد -إن شاء الله!- من تسجيل أحمد الناصري للمحاضرات بتقنيات عالية الجودة للمرةِ الأولى، لَكن هَذه المحاضرات عندنا من سنوات سابقة على الموقع، إلَّا مُحاضرةً واحدة، نسيت فيها أن أُسجِّل، لَكن الأمور مُمكنة بأمر الله. طيب! الآن ينبغي بعد أن حققنا، ودققنا، وفهمنا الرسالة، وعلى أساس هَذا ضبطنا في اللغة، واستمتعنا، وتكلمنا بكلامٍ كثير -ها!- أنا هُنا لا أُعلمكم العَروض، أنا أُعلمكم كل شيء؛ ألم أقل لكم في المحاضرة الأولى: هَذا عِلمُ العلوم، هَذا مُقرَّرُ المُقررات! هَذه فُرصة، فُرصة لنتعلمَ من خلاله كُلَّ شيء -**طيِّب!- يُمكِنُنَا أن نكتفِيَ بالبيتين الأوَّلَين؛ فعلى نحوِهما ستسيرُ القصيدةُ إلى مُنتهاها، فلْنكتبهما إذن، ولْنتجتهد أن نستعملَ النسخ، أنا غيرُ بارعٍ في هَذا، لَكن سأجتهد: بِسْمِ الله!** أجتهِد، أجتهد:

- حتى متى كأسي ريق حية ومطعمي من زمني مر الجنى
خطّ بشع!

أطالب الدهر حقوقا كلها كبَارح الأروى منيعات الذرا

أعوذُ بالله من غضب الله! طيب! كتبنا -عند الخطأ نبهوني، طيب!- نشكّل، وشعارُنا "التشكيلُ التامّ، أو الموتُ الزُّؤام"، والمَوتُ الزُّؤام أحلى!

حَتَّى مَتَى كَأْسِي رِيقُ حَيَّة ومَطْعَمِي مِنْ زَمَني مُرُّ الجْنَى

أُطَالِبُ الدَّهْرَ حُقُوقًا كُلُّهَا كَبَارِحِ الْأَرْوَى مَنِيعَاتِ الذُّرَا

ونقرأ في أثناء التشكيل، تمام؟ هل أخطأنا في شيء؟ نبهوني، هَا!

- لماذا قالَ: "حُقُوقًا كُلُّهَا"، ولم يقُلْ: حُقُوقًا كُلَّهَا؟
- هَذا نعت بِجُملة كاملة: "كل" مُبتدأ، وشبهُ الجُملة خَبَر، وهَذه الجملة كُلُّها نعتٌ أول، و"مَنِيعَات" نعت ثان، كما قالَ ربُّنا -سُبحانه، وتعالى!-: "صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ" -صدق الله العظيم!- فعَطَف جُملة على مُفرد -والعطف في التوابع مثل النعت- هَذا معروف في العربية، تمام؟ نُغَنِّي -بنغني؟ ما بنغني. لا بنغني!- لَا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله! على أَيَّةِ حَال، طيب، انتبهوا، يا جماعة:

حَتَّى مَتَى= دن دن ددن

كَأْسِي رِيـ= دن دددن

ـقُ حَيَّة= ددن ددن

ومَطْعَمِي= ددن ددن

مِنْ زَمَنِي= دن دددن

مُرُّ الجْنَى= دن دن ددن

أُطَالِبُ الدْ= ددن ددن

دَهْرَ حُقُو= دن دددن

قًا كُلُّهَا= دن دن ددن

كَبَارِحِ الْـ= ددن ددن

ـأَرْوَى مَنِيـ= دن دن ددن

ـعَاتِ الذُّرَا= دن دن ددن

- هَذا الغناءُ القديم، والضَّربُ عليه يُرَسِّخُه في النفوس. طيِّب، لنكتب هَذا، أو لِنُنزِلْ هَذا عَلَى السبُّورة بالخطوط التي كالسكاكين، من أعلى إلى أسفل، ولا بُدَّ أن نغني في وقت إنزالِ الخُطوط.

- حَتَّ متَى| كَأْسِي رِيا| ـق حَيَّةٍ| ومَطْعَمِي| مِنْ زَمَنِي| مُرُّ الْجَنَى

أُطَالِبُ الدْ| دهرَ حقُوا| قَا كُلُّهَا| كَبَارِحِ الْ| ـأَرْوى منيـ| ـعَات الذُّرَا

هل رأيتم فائدةَ خط النسخ؟ سهل، سهل.. أُطَالِبُ الدا| أَيْ...

- في نصف الشَّدَّة.

- في الشدَّة والدَّالِ من أعلى إلى أسفَلْ! "حَتْ. تَى. مَتَى= دن. دن. ددن، مُسْ. تَفْ. عِلُن"، **وإذا جاءَ ذِكرُ التفعيلات: وَجَبَ أن أُقَدِّمَ لكم بحرَ الرَّجَز،** والبَيتُ منه: مستفعلن مستفعلن مستفعلن -ها!- مرتين. مسْـ...

- سَبَبٌ خَفيف.

- تَفـ...

- سَبَبٌ خَفيف.

- عِلُن...

- وَتَدٌ مَجْمُوع.

- كتبتُم؟ إذن -يا جماعة! - حينما جاءت التفعيلة -تعرفون أننا نُخَرِّجُ هَذا تقطيعًا، وتوقيعًا، وتفعيلًا، وتوصيفًا- لما جاءت خطوةُ التفعيلات تذكرت أن أُقدمَ لكم البحر. يا جماعة، هَذا بحرُ الرَّجَز، يا بحرَ الرَّجَز، هؤلاء جماعة من طُلاب العربية -هَا- تَعَارَفُوا، تَعَارَفُوا، تعارفتم؟ وإنما سُمِّيَ "الرَّجَز"، مِنَ الاهْتِزاز؛ فالرَّجَز في متن العربية داءٌ يُصيبُ الإِبِل فتهتز، تهتزّ هكذا كأنها ترتعش، انظروا إلى عبقرية التسمية! ولبحر الرَّجَز حكاية تستحقُّ أن تُحكَى؛ فانتبهوا، ولن تنتبهوا طبعًا -طيب!- أُكمِلُ لكم حتى تتفرغوا: البيتُ من بحر الرَّجَز -يا جماعة- "مُسْتَفْعِلُن مُسْتَفْعِلُن مُسْتَفْعِلُن"، مرتين، عَلَى طريقةِ الخليل في الاكتفاء في الدائرة بشطر البيت، حتى إذا ما أَخْرَجَهُ أوصاكَ بأن تُكَرِّرَهُ مَرَّةً أُخرَى. طيِّب، فَعِّلُوا، فَعِّلُوا! "كَأْسِي رِيـ= دن ددن، مُسْتَعِلُنْ"، ما "مُسْتَعِلُنْ" هَذِهْ؟ هَذا زِحافٌ لطيف، اسمُهُ: الطَّيّ. ما الطَّيّ؟ تذكرونَ « القَبْضَ، والكَفّ»؟

- نعم.

- هُوَ أخوهُما، وَلَكن لرابعِ حَرف في التفعيلة؛ فالطَّيّ إذن: حذْفُ ساكنِ السببِ الخفيف متى كان رابعَ حَرفٍ في التفعيلة. أنسيتمُ الظاهرةَ التي حدَّثْتُكُم عنها؟ ما هذه الظاهرة؟ "حذْفُ ساكنِ السببِ الخفيف" -هَذه هِي الظَّاهِرَة!- إذا كان للثاني سُمِّي الخبن، وإذا كان للرابع سُمِّي الطَّي، وإذا كان للخامس سُمِّي القبض، وإذا كان للسابع سُمِّيَ الكَفّ، وهَذَا الرابع؛ فالتفعيلةُ به...

- مُسْتَعِلُن.

- مطوية، مُسْتَعِلُن، مطوية. تأملوا التالية: "تَ حَيَّـة= ددن ددن، مُتَفْعِلُن، مخبونة (خ)"، ولا تَنسَ التنبيهَ على رموزِك! خاء: مخبونة. "وَمَطْعَمِي= دَدَن دَدَن، مُتَفْعِلُن، مخبونة"، ما الخبن؟ هَا! مَن يقول؟ ما الخبن؟

- حذف ساكن السبب...

- حذف ساكن السبب الخفيف متى كان...

- ثانيًا.

- هُو السين، تصيرُ التفعيلةُ "مُتَفْعِلُن". وَ"مُسْتَعِلُن"؟ طيب! ألا فَلْتَعْلَمُوا أنهُ ربما حدث الأمران معًا: الخبن، والطَّيّ؛ فصارت التفعيلة "دَدَدَدَن"، بحذف السين والفاء، أي "مُتَعِلُن"، وهَذا زحاف مركب قبيح -والزحاف المركب كله قبيح!- يُسَمَّى: الخَبْل، والتفعيلةُ بِه مخبولة -طيب!- وقد استعملنا الخاء في الرمز للخَبْن، فبماذا سَنَرمُزُ للخبل؟

- فلنكتُبْها هَذه المرة كاملة!

- مخبولة، لأنها لا تكاد تحدُث؟

- وِجهةُ نظر طيبة، ولن نجدَها هُنا، لَكن سنجِدُها في أَحَدِ الأماكن، طِيّب! "مِنْ زَمَنِي= دن دددن، مستعلن، مطوية"، "مُرُّ الجَنَى= دن دن ددن، مُسْتَفْعِلُن، هَا!

- سالمة.

- سالِمَة، هَذه س (سالِمة). طيب، ويُمكنُكم ألّا ترمزوا أصلًا؛ هَذا الرَّمز تيسير. "أُطَالِبُ الدْ= دَدَنْ دَدَنْ، مُتَفْعِلُن، أَيْ...

- خاء.

- خ (مخبونة). "دَهْرَ حُقُو= دن "دددن"، مُسْتَعِلُن، ط (مطويَّة). "قَا كُلُّهَا= دن دن ددن، مُسْتَفْعِلُنْ، أيْ...
- سين.
- س (سالِمَة). "كَبَارِجِ الْ"= ددن ددن، مُتَفْعِلُنْ، أيْ خ. "أَرْوَى مَنِيـ= دن دن ددن، مُسْتَفْعِلُن، أيْ...
- سالمة.
- هَا!
- سالِمَة.
- سين (سالمة). "عَاتِ الذُّرَا= دن دن ددن، مُسْتَفْعِلُنْ، أيْ...
- سالمة.
- ولا تظُنُّوا أنَّ تفعيلَةَ الضَّربِ هَذه، من أجل أنها سَلِمَت فِي هَذَينِ البيتين يَمتنِعُ أن تُغَيَّر، لا، هَذه التَّفْعيلَاتُ كُلُّها سَوَاء، تفعيلاتُ هَذا البَيْت مِنَ الرَّجَز كُلُّها سَواء، سلامةً وتَغَيُّرا، لِهَذا سنصِفُ القصيدة بأنها تامَّة، لا وافِيَة، كما تَعَوَّدنا، لأننا الآن فِي مرحلة أعلى من الوفاء، استَوْفَى البَيتُ عدَدَ التَّفعيلات، ثم ساوى بينها سَلَامَةً وتَغَيُّرا، فكُلُّها سواسية. طَيِّب، يا جماعَة، اسمحوا لي فِي هَذا الوقتِ الباقِي، أن أُكَلِّمَكُم عَنِ الرَّجَز كلامًا عاطِفيًّا حميميًّا، فانتبِهوا، انتبهوا الآن! بحرُ الرَّجَز بحرٌ شَعْبِيّ، شَعْبِيّ، هل سمعتم عنِ الأغانِيّ الشعبيَّة؟
- نعم.
- كان بحر الرجز هو بحرَ هذه الأغانِيّ، عندَنا أغانِيّ من أَغَانِيّ الأُمَّهَات للأطفال من بحرِ الرَّجَز، من أيام الجاهليَّة:

"لَأُنكِحَنَّ بَبَّهْ
جَارِيَةً خِدَبَّهْ
تَجُبُّ أَهْلَ الْكَعْبَهْ"!

هذه أمُّ عبدِ الله بن الحارث القرشي تُرَقِّصه طِفلا. ومن هذا كَذَلك مُنَافَرَات الشُّعراء فِي الأسواق والفُرسان قبلَ الحَرب:

"أَنَا الَّذِي سَمَّتْنِي أُمِّي حَيْدَرَةْ
كَلَيْث غَابَات غَلِيظ القَصَرَةْ
أَكِيلُكُم بِالسَّيْف كَيْلَ السَّنْدَرَةْ"!
هَذا سيِّدُنا عَلِيّ -كرم الله وجهه!- يوم خيبر. وكانوا يَحْدون به الإبل، حتى تنعطفَ عليهم، فإذا ما أسرَعوا الغنَاء، أَسْرعَتِ السّيْر، فوصَلُوا سَرِيعًا! سِياسَة، نَصب، يحتالون على الإبل، يعَلّقُونها بأُغنية، ثم يُسرعُون الإيقاع، فتُسرِعُ هي السير، ها!
"خَلِيلُ خَوْد غَرَّهَا شَبَابُهُ
أَعْجَبَهَا إِذْ لَبِنَتْ رُبَابُهُ
ورَائِبٌ جَاشَتْ بِه وطَابُهُ
يَا لَيْتَهَا أَخْبَرَهَا أَصْحَابُهُ
عَنْهُ حَدِيثًا صَادِقًا صُيَّابُهُ
إِذْ لَا يَزَالُ نَاعِسًا لُعَابُهُ
يُعْجِلُ حَلَّ رَحْلِه انْكِبَابُهُ"!
هذا ابن أخي الشماخ بن ضرار يعابث خصم عمه في السفر! وفي سَفْرة من سَفَرات رسول الله -صلى الله عليه، وسلم!- كان البراءُ بن مالك يحدو بالرجال، وأَنْجَشَةُ الحبشي يحدو بالنساء -وكان حسنَ الصوت- فأسرعَتِ الإِبِل، فنبهه رسول الله -صلى الله عليه، وسلم!-: رُوَيْدَكَ -يا أَنجَشَةُ!- رِفْقًا بِالْقَوَارِير"! ومن هُنا جاء قولنا: "رِفقًا بِالْقَوَارِير"، ولعل هذا التعبير مما سبق إليه الناسَ رسولُ الله، صلى الله عليه، وسلم! كان أنجشة حسن الصوت إذن، فتعلقت به الإبل، وَيبدُو أنهُ أسرع، فأسرعت، فخاف رسول الله -صلى الله عليه، وسلم!- أن تتأذى النساء، فإذا كان أنجشة مشغولا بحدائه، فإن رسول الله -صلى الله عليه، وسلم!- مشغول بالخلق جميعا، "رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ"، صدق الله العظيم! طيِّب! هَذا إذن بحر شعبيّ، بلغَ من شعبيته أن سُمِّي حِمَارَ الشُّعَرَاء! ما "حِمَارُ الشُّعَراء" إذن؟

- بحرُ الرَّجَز!
- استَهْلَكَهُ الشُّعَرَاء في شؤونهم كُلِّهَا. إذا أراد الأطفالُ أن يلعبوا وَضعوا في اللعبة أُغنية من الرجز، وكذلك إذا أراد الفُرسان أن يتنافروا، وإذا أرادتِ الأُمّ أن تُرَقِّص طِفْلَها أو أن تُنوِّمه- إذا أرادَ

أيُّ أحد أن يفعلَ أيَّ شيء قال كلامًا منَ الرَّجز -ها!- حتى صار حِمَارَ الشُّعَرَاء، ولكن حُرِم من ينظمون منه اسم "الشعراء"، وأبدلوا منه اسم "الرُّجّاز"، احتقارًا لا إكبارا؛ فالراجز عندهم أقَلُّ شأنا مِنَ الشَّاعِر، وإن اشتهر بعضهم من قديم؛ فتُرى مَن تعرفُون منهم؟ هَا!

- الأرجوزة الميئيّة.
- الرُّجّاز، الرُّجّاز، لا الأَراجيز، هل تعرفُ أحدا من الرُّجّاز؟ منهم رُؤبَةُ، وأبوهُ العَجَّاج، وابنه عُقْبة، وأبو النَّجْم العِجلِيّ -هَا!- هَؤلاء سادةُ الرُّجَّاز على مَدارِ التَّاريخ، هَا! مَرَّةً استحسن الأميرُ أرجوزةً لعقبة بن رؤبة بن العجاج، فأغراه أن قال لبشار بن برد -أستاذ الحداثيين القدماء، وكان حاضرا-: هذا طراز لا تحسنه! فقال له بشار: "أَلِمِثْلِي يُقَالُ هَذَا! أَنَا وَاللهِ أَرْجَزُ مِنْكَ وَمِنْ أَبِيكَ وَمِنْ جَدِّكَ"! ثم غدا على الأمير بأرجوزته الباهرة التي هرب منها الرُّجّاز حين أنشدها:

"يَا طَلَلَ الحَيِّ بِذَاتِ الصَّمْدِ
بِاللهِ خَبِّرْ كَيْفَ كُنْتَ بَعْدِي"!

ومن ألطف أبياتها قوله:

"صَدَّتْ بِخَدٍّ وَجَلَتْ عَن خَدِّ
ثُمَّ انْثَنَتْ كَالنَّفَسِ المُرْتَدِّ"!

لِمَن هذا الكلام الجميل؟ لِبَشَّار، ألمثل من يقول هذا الكلام الجميل يقال: ما لشاعِر مثلك وللرجز! دعِ الرجز لمن يحسنه! أو ربما قيل له: أنتَ شاعر -ما شاء اللهُ!- ترى نفسَك كبيرًا، فدَعْ الرَّجَز لأمثالنا من الرُّجَّاز المساكين! فأرادَ أن يُثْبِتَ لهم أنهُ يُحسِنُ منه ما لا يحسنون -شيطان مِنَ الشَّيَاطين!- فغدا على الأمير بداليته هذه المشهورة الساحرة. طيِّب! وفي "رسالة الغفران" التي تخيل فيها أبو العلاء المعري مواضع أهل الجنة من الجنة وأهل النار من النار -نسأل اللهَ الجنة، ونعوذ به من النار!- تخيَّل الرُّجّاز في موضع من أسافل الجنة، ثم قال لهم: "لَقَدْ صَدَقَ الخَبَرُ المَرْوِيّ [إِنَّ اللهَ يُحِبُّ مَعَالِيَ الأُمور وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا]، وإنَّ الرَّجَزَ لَمِن سَفْسَافِ القَرِيض -والقريضُ الشِّعْر- قصَّرتم -أيُّها النَّفَر- فقُصِّرَ بكم"، أي أنا معذور فيما فعلت بكم، ههه، طَيِّب! وَقد انتَشَرَ الرَّجَز، وسهُل على الناس، حتى وضعوا فيه المنظومات العلميَّة، تعرفون طبعًا منظومات النحو والحديث والفقه والقراءات الألفية وغير الألفية...، وعِندَكُم أنتم منظومةُ السّالمي -هذه التي يفتي منها الشيخ

الصَوَّافي في الإذاعة كلَّ يوم- من الرجز لأنه سهل. وحينما اضطر إلى خطبة الجمعة الوَليدُ بنُ يزيد الشاعر الخليفةُ الأُمَويّ الذي حَكَم بضعة عشر شهرا فقط، خطبها بِالشّعْر، نَظَم الخُطبة من أوَّلِها إلى آخرِهَا، مِنَ بحر الرَّجَز:

- "اَلْحَمْدُ لِلَّهِ وَلِيّ الْحَمْدِ
أَحْمَدُهُ فِي يُسْرِه والْجَهْد
وَهْوَ الَّذِي فِي الكَرْبِ أَسْتَعِينُ
وَهْوَ الَّذِي لَيْسَ لَهُ قَرِينُ"!

كل هذا من الرجز (حمار الشعراء)، البَحر الشَّعبيّ! لَكن تَعجبون، تَعجَبون أَشَدَّ العَجَب حينما تسمعون نزار قباني ينظمُ مِنَ الرَّجَز، يتغَزَّل، اسمعوا الكلامَ الجميل، ماذا يقول؟

"لَا تَسْأَلُوني ما اسْمُهُ حَبِيبِي أَخْشَى عَلَيْكُم ضَوْعَةَ الطُّيُوبِ
وَاللّهِ لَوْ بُحْتُ بِأَيّ حَرْف تَكَدَّسَ اللَّيْلَكُ فِي الدُّرُوب "!

لا تسألوني عن اسمه، لأنني لو ذكرتُ اسمَهُ لاكتظَّ المكان بالعطر، وما استطعتم أن تمكثوا فيه! لَوْ نَطَقْتُ حَرْفًا من حروفِ اسمِهِ، ثُمَّ مَشَيتُمْ في الشَّوارع- لتعَثَّرتُم بالوَردِ والعِطْرِ، بالوَرد والعطر! أهَذا الرَّجَز الذي نعرف؟ معقول! ليسَت المسألة -يا جماعة!- إذن مسألة بُحور، بل مسألة بَحَّارة! ليست المسألة مسألة بُحُور، بل مسألة...

- بحارة.
- بَحّارة -هَا!- بحارة! هَذا الرَّجَز الذي سخر به المعريُّ ما سخر، هل كان يتخيل أن يترقى في مراقي الإبداع إلى هذه القمة حيث مُنتَهَى الرَّوعة -لولا نزارا- إذن لجعلهم في أعالي الجنة لا أسافلها! تأملوا:

لَا تَسْأَلُو= دن دن ددن
نِي مَا اسْمُهُ= دن دن ددن
حَبِيبِي= ددن دن
أَخْشَى عَلَيـ= دن دن ددن
كُمْ ضَوْعَةَ الطْـ= دن دن ددن

ـطُيُوبِ= ددن دن

-طبعًا غيَّرَ من أطرافه قليلًا حتى يلطّفه ويُحَسّنه-

وَاللهِ لَوْ= دن دن ددن

بُحْتُ بِأَيْـ= دن دددن

يِ حَرْف= ددن دن

تَكَدَّسَ الْـ= ددن ددن

ـلَيْلَكُ فِي الدْ= دن دددن

دُرُوبِ= ددن دن

يا سَلام، يا سَلام، شَيء رائعٌ جِدًّا! هَذا هو الحديث العاطفيّ الاجتماعيّ التاريخيّ، الذي أردْتُ أن أُحَدِّثكم عَنِ بحر الرَّجَزِ، حديث المحبة، الذي يحكي لكم حكايَتَهُ، ولو أمكَنَنا الوقت لَخَصَصْنا كلَّ بحر بفصل دراسي! يحتاج كل بحر من علم العَروض، أن يُخَصَّ بفصلٍ دراسيّ، نروي فيهِ سيرته في الشعر العَرَبيّ، وهو ما أنويه -إن شاء الله!- أن أضع أنا وفريق العمل معي، في كل بحر كتابًا، كتابًا كبيرًا يحكي حكايته منذُ كان إلى الآن! **بارك اللهُ فيكم، وشكرَ لكم، وأحسنَ إليكم، والسلامُ عليكم!**

المُنَادَمَةُ الثَّامِنَةُ(١)

- **سلام عليكم!**
- وعليكم السلام ورحمة الله!
- طبتم مساء -يا أبنائي!- وطاب مسعاكم إلينا! بسم الله -سبحانه، وتعالى!- وبحمده، وصلاة على رسوله وسلامًا، ورضوانًا على صحابته وتابعيهم حتى نلقاهم! كيف حالكم، كيف أمسيتم؟ بارك الله فيكم، وشكر لكم، وأحسن إليكم، ويسر لنا ولكم كل عسير، وسهل كل صعب! أمس أرسلت إليكم مثالًا لاختبار المنتصف، هل وصل؟
- نعم.
- وكنا قديمًا نسميها أيام المنتصف -والأيام جمع يوم، واليوم عند العرب الحرب!- أسمي الاختبار أيام المنتصف، اليوم يوم موقعة! أذكر في مقرر من المقررات، عندكم مقرر اسمه تدريبات أو نصوص تدريبات نحوية؟
- نصوص تدريبات نحوية.
- جميل! أذكر أننا جلسنا في هذا الاختبار ساعات طويلة إلى أن طرَدنا العمال، مما قبل العصر إلى ما بعد المغرب في الاختبار، أذهب عنهم، وأرجع، وأذهب، وأرجع! هذه الدفعة التي كانت أكبر دفعة مرت، كانت من مئة وأربعين طالبًا، فكان الاختبار جديرًا باسم يوم (موقعة)! وهذا الاختبار يستحق، فمن استطاع أن يتجاوزه ممتازًا كان جديرًا بالتقدير، يستطيع أن يطمئن على نفسه، من استطاع أن يجتاز هذا الاختبار ممتازًا استحق أن يطمئن مبدئيًّا على نفسه وأنه على الطريق؛ فالاختبار كما ترون كلام مصبوب له أول وآخر، لكن لا تُدرَى أطرافه في الداخل، لا تشكيل،

---

(١) رابط هذه المنادمة في قناتي اليوتيوبية:

https://www.youtube.com/watch?v=CFHfnPFBGzM&list=PL٠_bvBmuM٥ySq٦hXNd٤GWcNFIUaI٤uqCM&index=٨

وقد فرغتها دعاء عادل، وراجعتها لها دينا عبد المعطي.

ولا تقسيم، ولا ترقيم، ولا دلالة على شيء إلا ما أوتيت من علم بالعربية تعلمتَه منذ كنت طفلًا إلى الآن، تستحضر هذا كله لتقرأ به كلاما لم تقرأه من قبل، لتفهمه وتبني على فهمه تقسيمَه وأين بدأ وأين انتهى وكيف ينطق، كيف كذا كذا؟ شيءٌ خلاصة الخلاصة، كما قلت لكم سميته لكم مقرر المقررات! كيف تقرأ هذا الكلام؟ تقرؤه بناء على علمك بالعربية الذي حصلت، تعتمد على ما حصلت من أجل أن تصل إلى التخريج العروضي، تستفيد من اللغة في العروض ومن العروض في اللغة، كما قلت لك من قبل؛ نحن في أول الطريق نستفيد من اللغة في التخريج العروضي، وبعد قليل نستفيد من التخريج العروضي في اللغة، في الضبط اللغوي، وفي النهاية نستفيد من كل منهما في الآخر، أي نمزج بين بعضهما وبعض، نتكلم في تحليل القصيدة كلامًا واحدًا فيه خصائص لغوية وخصائص عروضية، لكن هذا في آخر المطاف، ما الذي في أول المطاف؟ نعتمد على اللغة، نعتمد على ما حصلنا من اللغة في التخريج العروضي، وبعد أن نتعلم العروض بقليل نعتمد على ما حصلنا من قدرة على التخريج العروضي في الضبط اللغوي، ثم في آخر المطاف نشرك علمنا باللغة وعلمنا بالعروض في تحليل النص إشراكًا مستويًا واحدًا، هكذا، يا جماعة، بارك الله فيكم! وسيكون كما حددنا في المحاضرة الثانية من الأسبوع السابع لكيلا نتأخر فتزداد الأعباء، ما زالت الأعباء الآن خفيفة سهلة، لكن إذا درسنا تسعة أبحر أو عشرة أو أحد عشر اختُبرتم فيها كلها -ها!- فثقل عليكم الأمر -وإن كانت فيه فائدة؛ فالتدرب بهذه الأشياء تمهيد للمنتهى، ولا غنى بك عن أن تتدرب!- لكن على أية حال عندنا ملف وعندنا بحث وعندنا طرق كثيرة للتدريب. سيكون الاختبار -إن شاء الله!- في المحاضرة الثانية من الأسبوع السابع، ونحن الآن في الخامس. في كم ستُختبر، في ستة أبحر مثلا، في سبعة، هذا أفضل من أن تختبر في بضعة عشر بحرًا، تمام؟ لكن سأتسلم منك الملف كاملًا بالواجبات والمحاضرات والاستطرادات، أريد الصفحات سوداء من الكتابات، من الواجب والتعليقات، وكذا سأتسلم كل هذه الملفات، سأحضر حقيبة، في بعض الأحيان جئت بحقيبة سفر أجرّها -ها!- سآتي بأكياس أرجو أن تتسع، وأن تحتمل، لآخذ هذا كله إلى بيتي، لأقرأ وأعلق على الطلاب، أضع لك عبارة من الذكرى، أدعو لك دعاء طيبًا، وأوقع لك توقيعًا مؤرخًا، يظل هذا للذكرى، أعيد إليك الملف في المحاضرة التالية -إن شاء الله!- وفيها ستكون إجابة الاختبار وإبانة الأخطاء وتكريم الطلاب وإعادة الملفات -ها!- ويكون يومًا

آخر، ذاك يوم الحرب، وهذا يوم الحب، حرب وحب، والإنسان بين الحرب والحب في كرب، الإنسان بين الرحب والحب في كرب عظيم، عافانا الله وإياكم!

- آمين!

- في لقائنا السابق استمتعنا بمقصورة أبي مسلم، ولم نكد نجد وقتًا إلا لتحليل البيتين الأولين على السبورة كما سأعيد. الآن أحتاج إلى إعادة هذا سريعًا سريعًا، من أجل أن نبدأ ونكمل. وقد علمتكم أن اللحن هو هذا:

حَتَّى مَتَى| كَأْسِي رِيا| ـقُ حَيَّةٍ| وَمَطْعَمِي| مِنْ زَمَنِي| مُرُّ الْجَنَى

أُطَالِبُ الدْ| دَهرَ حُقُو| قًا كُلُّهَا| كَبَارِحِ الْـ| أَرْوَى مَنِيـ| ـعَاتِ الذُّرَا

وقد حققنا، ودققنا، واطمأننا إلى أدائكم، ويسرني أن أذكر لكم أنني عثرت على طالبة فذة أدت النص من المرة الأولى من غير خطأ واحد فكانت خرافية، وهي أسماء الحارثية، بنت مؤدبة هادئة تكاد لا تتكلم، طردتها مرة من قبل -أي أصابها من الحب جانب!- طردناها مرة، وأبت مرة أن تقرأ كأنها أوحت بأنها ضعيفة خوافة -ها!- وفي الثالثة -يقولون: الثالثة ثابتة!- أدت أداء لا يؤديه الأساتذة -أتحدى أي أستاذ أن يؤدي كما أدت هذه الطالبة- فصفقنا لها، وأعطيناها خمس درجات، مدهشة، ما شاء الله! كنت أدعو لها وهي تقرأ: أسألك -اللهمَّ!- ألا تخطئ! وعلى رغم أنني لا أدعي أنني مستجاب الدعوة، استجاب لنا ربنا -سبحانه، وتعالى!- وهي تستحق! إنما ذكرت لكم هذا من باب حفز هممكم بأن هذا الإتقان موجود في الدنيا، ممكن، لأنني إذا بقيت أطرد فقط، أطرد أطرد- يئستم: هذا إذن مستوًى لا يوصل إليه! والله -يا جماعة، نتكلم بالحق!- هذه البنت فذة، وهذا المستوى ممكن إذن، ممكن أن يكون. طيب، الآن أدعوكم -بارك الله فيكم!- إلى أن تجهزوا أنفسكم: شدوا دساتين أعوادكم، وأحموا طبولكم ودفوفكم، واشربوا، واطربوا حتى تبتهجوا فتلائموا المقام؛ ينبغي لمن حضر معنا أن يبتهج:

"أَدَبُ الشَّرَابِ إِذَا الْمُدَامَةُ عَرْبَدَتْ فِي كَاسِهَا أَلَّا تَكُونَ الصَّاحِي"!

شرط الحضور معنا هنا الابتهاج، لا مكان للمكتئبين -ها!- لا مكان! أمس كانت معنا طالبة مكتئبة، فبقيت مكتئبًا طوال المحاضرة، ثم استحضرتها: ما لك؟ قالت: لا شيء. ما لك -هي أصلًا مكتئبة- قالت: مريضة شوية، شفاها الله، وعافاها! لا مكان للمكتئبين، المكان هنا للمبتهجين فقط؛

فابحث عن أي سبب يؤدي إلى الابتهاج، تذكر أكلةً مثلًا أكلتها، أو شخصًا قابلته، أو رحلةً سافرت فيها، تذكر أي شيء؛ المهم أن تبتهج، لا يجوز ألّا تبتهج، تمام؟ و"اشربوا، واطربوا"، هذا مجاز عن طلب الابتهاج -كل واحد حُرّ- المهم أن نصل إلى الابتهاج- "ولا يتقدمن عازف عازفًا؛ فإن ظن أنه يحسن فإنه يسيء، واجعلوا النغمة أكثر زرقة"! كيف! لا أدري! هذا شيء يقال ولا يوصف؛ إن من الأشياء أشياء تحيط بها المعرفة...

- ولا تؤديها الصفة.
- الله! ولا تؤديها الصفة! ميس هي التي تَذَكَّرَت، لهذا سأجد هذه العبارة في ملفها حين أجمعه مع الملفات! أريد أن أرى كل ما قلته، أفرح به كثيرًا حينما أجده، حينما أجد سخريات مثلًا، حينما أجد إضافات عجيبة لم تكن تخطر لي أن تكتب وتلتقط، أفرح بهذا جدًّا. طيب، انتبهوا، يا جماعة! هذا الوزن خدّاع، ثعلب مكار، طبعًا لأن التفعيلة تسلم وتخبن وتطوى وتخبل، يصيبها الجنون أحيانًا، تخبل أي تخبن وتطوى معًا، تجد التفعيلة قد سلمت ثم خبنت وطويت وخبلت؛ فتقول: سبحان الله، لله في خلقه شئون!

"مَا بَيْنَ غَمْضَةِ عَيْنٍ وَانْتِبَاهَتِهَا يُصَرِّفُ اللهُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالِ"!

وكيف أعرف هذا؟ سبحان علام الغيوب! فعش على قلق، كأن الريح تحتك كما يقول المتنبي:

"عَلَى قَلَقٍ كَأَنَّ الرِّيحَ تَحْتِي أُوَجِّهُهَا جَنُوبًا أَوْ شَمَالَا"!

انتظر المفاجئات دائمًا! <u>**نبدأ بناء على ما فعلنا، وننتقل، سنبدأ جماعة أولًا، ثم نُقسّم الأعمال على الطلاب والطالبات، ثم نعكس، ثم نعمل عملًا فرديًّا، تمام؟ طيب، ها!**</u>

- حَتَّى مَتَى= دن دن ددن

كَأْسِي رِيـ= دن دددن

ـقُ حَيَّةٍ= ددن ددن

وَمَطْعَمِي= ددن ددن

مِنْ زَمَنِي= دن دددن

مُرُّ الْجَنَى= دن دن ددن

أُطَالِبُ الدَّهْـ= ددن ددن دن

- لا، لا، لسانك حصانك، ألجم حصانك! الآن قلت "أُطَالِبُ الدَّهْ"، فما هذه العلاوة كما قال الشاعر القديم، ما هذه العلاوة! حينما أمسك به صاحبُ الشُّرَطِ في نهار رمضان قد شرب الخمر -يبدو أنكم طربتم أكثر من اللازم- فجلده الحد، وزاد عشر جلدات؛ فقال له: ما هذه العلاوة - كأنه أخذ علاوة على المرتَّب- ما هذه العلاوة! قال: لجرأتك على الله في نهار رمضان!
- الله!
- فأنتم ينبغي أن تُضرَبوا على هذه العلاوة، على هذه الزيادة، أعيدوا!
- أُطَالِبُ الدَّ= ددن ددن د
- لا، لا، أريدنا كأننا اختفينا من الوجود!
- أُطَالِبُ الدَّ= ددن ددن د
- لحظة، لحظة! لم ننتقل، اسكت، ها! معًا معًا:
- أُطَالِبُ الدْ= ددن ددن
- هذا هو آه -لَيْثُ[1]، ضربتَ!- هكذا -يا جماعة!- هذه فائدة القائد القائد، حينما يشير بالصمت يسكتون وكأنهم اختفوا من الوجود! هذا العمل يحتاج إلى قائد، ها، أعيدوا، وأكملوا!
- أُطَالِبُ الدْ= ددن ددن

دَهْرَ حُقُو= دن دددن

قًا كُلُّهَا= دن دن ددن

كَجَارِحِ الْـ= دن دددن

ـأَرْوَى مَنِيـ= دن دن ددن

ـعَاتِ الذُّرَا= دن دن ددن

أَقْطَعُ آ= دن دددن

مَالِي بِمَا= دن دن ددن

فِي بَعْضِه= دن دن ددن

أَكْبَرُ مِنْ= دن دددن

(١) هذا الطالب كفيف، يسرت له الجامعة جهاز قراءة وكتابة خاصا.

كَاف لِدَرْ= دن دن ددن

كَ الْمُبْتَغَى= دن دن ددن

كَأَنَّ تَطْ= دن دددن

ـلابِي أَمْـ= دن دددن

ـرًا مُمْكِنًا= دن دن ددن

أَصْعَبُ مِنْ= دن دددن

أَمْرٍ مُحَا= دن دن ددن

ل الْمُرْتَجَى= دن دن ددن

لَسْتُ عَلَى الْ= دن دددن

ـحَمْدِ مِنَ الْ= دن دددن

ـأَمْرِ إِذَا= دن دددن

غَالَطْتُهُ= دن دن ددن

خَلابَةً= دن دددن

فِيمَا أَتَى= دن دن ددن

- والله! تقلبون الصفحة! يا للعار، يا للعار! أنا عندي مشكلة في الجهاز، أنا معذور، لكنكم غير معذورين؛ هذا الجهاز لا يلائمني في بعض الأحيان! إلى أين وصلنا؟ لا يجوز -يا جماعة!- لا يجوز أن تستمهلوا المستمع حتى تقلبوا الصفحة، لا يجوز! طيب! نقسم العمل بين الطلاب والطالبات، نبدأ أنا والطلاب بالتفعيلة الأولى -ها!- لتثني الطالبات، معًا -يا جماعة!- معًا معًا، السادس -ها!- معًا:

- آتيه نَصْـ= دن دن ددن

صًا فَإِذَا= دن دددن

- لا، لا، نكتفي بالأولى لتأخذ الفتيات الثانية، ونأخذ الثالثة، ليأخذن الرابعة، وهكذا، أعيدوا!

- آتيه نَصْـ= دن دن ددن

- ـصًا فَإِذَا= دن دددن

- خَادَعَنِي= دن دددن
- فَوَّضْتُهَا= دن دن ددن
- لِلَّهِ يَقْـ= دن دن ددن
- ـضِي مَا قَضَى= دن دن ددن
- وَالْحُبُّ لَا= دن دن ددن
- تَصْحَابُهُ= دن دن ددن
- فَضِيلَةٌ= ددن ددن
- لحظة لحظة! تَصْحَابُهُ! أعيدوا!
- وَالْحُبُّ لَا= دن دن ددن
- تَصْحَبُهُ= دن دددن
- فَضِيلَةٌ= ددن ددن
- وَلَوْ إِلَى النْـ= ددن ددن
- ـنَجْمِ بِدَهْـ= دن دددن
- ـيِهِ عَلَا= ددن ددن
- إِنْ وَسَعَ الدْ= دن دددن
- دَهْرَ احْتَمَا= دن دن ددن
- لحظة نعكس، تبدأ الفتيات، ونثني -ها- أبدأ مع الفتيات للتقسيم فقط، ها!

إِنْ وَسَعَ الدْ= دن دددن
- دَهْرَ احْتَمَا= دن دن ددن
- لُ عَاجِزٍ= ددن ددن
- فَهْوَ سَلَا= دن دددن
- حِي وَتَلَا= دن دددن
- دِي الْمُرْتَجَى= دن دن ددن
- أعيدوا، أعيدوا، ها!

- إِنْ وَسِعَ الدْ= دن ددن
- دَهْرِ احْتَمَا= دن دن ددن
- لُ عَاجِزٍ= ددن ددن
- فَهْوَ سلًا= دن ددن
- حِي وَتَلا= دن ددن
- دِي الْمُرْتَجَى= دن دن ددن
- يُنْفِقُ فِي= دن ددن
- إِهَانَتِي= ددن ددن
- صُرُوفَهُ= ددن ددن
- وَأُنْفِقُ الْـ= ددن ددن
- ـعَزْمَ وَإِنْـ= دن ددن
- ـفَاقِي زَكَا= دن دن ددن
- أين الملفات؟ يكفي هذا، ننتقل إلى الأفراد، أمل! لأنني سمعتها تخطئ في التاسع -ها!- طمئنيني على الأداء!
- أريد أن أقرأها مع نفسي.
- مع نفسك -ما شاء الله!- وكأنها لم تقابلها من قبل، لم نستهلك فيها محاضرة كاملة!
- يُنْفِقُ فِي= دن ددن
- لا، اقرئي البيت كلّه عليّ!
- يُنْفِقُ فِي إِهَانَتِي صُرُوفَهُ وَأُنْفِقُ الْعَزْمَ وَإِنْفَاقِي زَكَا
- الله!
- يُنْفِقُ فِي= دن ددن
إِهَانَتِي= ددن ددن
- ها! خطأ، كشفتك! أنت إذن أنت التي أفسدت النغم -ها!- زدت ضربة، خطأ أعيدي!
- يُنْفِقُ فِي= دن ددن

- صحيح.
- إِهَانَتِي= ددن ددن
- جميل.
- صُرُوفَهُ= ددن ددن
- صحيح، ها!
- وَأُنْفِقُ الـ= ددن دددن
- ها! خطأ، أعيدي!
- وَأُنْفِقُ الـ= ددن دددن
- خطأ!
- وَأُنْفِقُ الـ= ددن دددن
- خطأ! سبحان الله! التي قالت منذ قليل: "صُرُوفَهُ= ددن ددن"، تقول هنا "وَأُنْفِقُ الْـ= ددن دددن"، وهي مثلها، كأن شخصًا آخر هو الذي فعل، كأن قرينًا من الجن هو الذي فعل، ها! أعيدي من الأول!
- يُنْفِقُ فِي= دن دددن

  إِهَانَتِي= ددن ددن

  صُرُوفَهُ= ددن ددن

  وَأُنْفِقُ الـ= ددن دددن
- ها -سبحان الله!- لماذا هذا، وهذا مثل ذاك وذلك: إِهَانَتِي= صُرُوفَهُ= وَأُنْفِقُ الْـ!
- وَأُنْفِقُ الـ= ددن ددن
- أعيدي من الأول حتى تَنْسَيْ!
- يُنْفِقُ فِي= دن دددن

  إِهَانَتِي= ددن دددن
- آها، لا حول ولا قوة إلا بالله!
- دكتور، أعطني هذه العصا!

- ها! هذه العصا، لا هذه العصا، عصا الملوك هذه! مع أن طالبة مرة سألتني أن تأخذها، فأعطيتها إياها، وجلسَت معها وقتًا، فاكتشفت أنها كانت تقرأ عليها أورادًا، تقرأ عليها أورادًا! طالبة من الشرقية، يبدو أن لهم تقاليد في هذا!
- ولِمَ تقرأ عليها!
- أخذَتها، وقرأَت عليها بعض الأوراد، هذا من أكثر من عشرين سنة! وطالبة أخرى ساعديّة كتبت فيها، وطالب مصري كتب فيها، الطالبة مريم الساعدية -وقد حصلت على الماجستير من أعوام- حينما كانت طالبة صغيرة كتبت مقالًا في هذه العصا، والطالب محمد فتحي النادي وهو أستاذٌ الآنَ كبير -ما شاء الله!- تذكَّرَ أيامنا منذ ثلاثين سنة، فكتب مقالا سماه "يسمي عصاه ليلى"، مقالا بهذا الاسم، ذكريات جميلة، ها، أعيدي!
- يُنْفِقُ فِي= دن deddn

إِهَانَتِي= ددن ددن

صُرُوفَهُ= ددن ددن

وَأُنْفِقُ...

وَأُنْفِقُ الْـ= ددن ددن
- أحسنت، أحسنت! أرأيتم كيف صحَّحَت؟ قالت في الأول وَأُنْفِقُ، ثم فكرت كيف ستكمل هذا، لا يكتمل، مشكلة، تقول: وَأُنْفِقُ الْعَزْمَ، كذا، فعرَفت أنها أخطأت الوقف، فصحَّحَت، وقالت: "وَأُنْفِقُ الْـ= ددن ددن"، أكملي!
- عَزْمَ وَإِنْ= دن ددن

فَاقِي زَكَا= دن ددن
- جميل جميل جميل! ها، من؟ مريم!
- ذَنْبِي إِلَيْهِ جَنَفِي عَنْ لُؤْمِهِ وَقُدْرَتِي عَلَى احْتِمَالِ مَا جَنَى
- ما معنى جَنَفِي؟
- الميل.

- ليست معنا، لا شيء في ملفها، الملف أبيض ناصع إلا قليلًا، مساكين، صفر، صفر من عشرة، صفر من عشرة؛ فماذا ينفع -ولو حصلت على تسعين، على كذا قريبًا من التسعين؟- ضاعت عشر درجات! ها -مريم!- خرِّجي في علم العروض!
- ذَنْبِي إِلَيْـ
- أين العزف؟ لا أسمع، اضربي بالقلم، أو بالقدم، أو بآلة حادة -ها!- ربما كانت الإصبعُ أحدَّ من القلم؛ كلٌّ واحد حر، كل واحد أعلم بأعضائه، ها!
- ـهِ جنَفِي= دن دددن
- ها! عندنا هنا تنبيه، حظها، حظها، وهذه الأعمال حظوظ: "ـهِ جَنَفِي"، يجوز أن تُشبع وألَّا تشبع -تمام؟- إذا أشبعناها خرَجت "ـهِ(ي) جَنَفِي= دن دددن، مستعلن، مطوية"، وإذا اختلسنا الإشباع خرجَت "ـهِ جَنَفِي، دَدَدَدَن، متعلن، مخبولة (مجنونة)! تأملوا "ذَنْبِي إِلَيْـ= دن دن ددن، مستفعلن، سالمة"، هذه سالمة، و"ـهِ(ي) جَنَفِي= دن دددن، مستعلن، مطوية"، هذا إذا أشبعنا، و"ـهِ جَنَفِي= دَدَدَدَن، متعلن، ها، ما لها؟
- مجنونة.
- مخبولة (مجنونة)، اسمها في العِلْم "مخبولة"، والخبل -يا جماعة!- زحاف مركب من زحافين. وهذه فرصة أن أحدثكم عن الزحاف حديثًا عاطفيًّا. اسمعوا، يا جماعة! الزحاف عندنا ثلاث مراتب: عليا، وسفلى، ووسطى، عليا وسفلى...
- ووسطى.
- ووسطى. السفلى الزحاف القبيح، والعليا الزحاف الحسن، والوسطى الزحاف الصالح. عندنا إذن زحاف قبيح في الحضيض، وزحاف حسن في السماء، وزحاف صالح في الوسط. على أي أساس رتبوا المراتب؟ ها -قولوا!- على أي أساس؟ وهل هنا إلا أساس واحد، هو كثرة استعمال الشعراء وكثرة قبول المتلقين! هذا هو الأساس، لا أساس غير هذا. ترتيب المراتب إذن -يا جماعة!- إنما يكون على حسب كثرة استعمال الشعراء وقبول المتلقين؛ فمن الزحاف زحافٌ كثر من الشعراء استعماله ومن المتلقين قبوله، فكان حسنًا، ومنه الخبن -لا أظن أن في الزحاف زحافًا أحسن من الخبن- وزحافٌ لا يكاد الشعراء يستعملونه، ويحس المتلقي أنه كأنه كسر، ومنه

الزحاف المركب كله، الزحاف المركب كله قبيح عندنا -يا جماعة!- وعندكم في كتاب "ميزان الذهب"، الذي حملته لكم على الموقع- مبحثٌ اسمه الزحاف المفرد والزحاف المركب، الزحاف المفرد هذا الخبن والطي والقبض والكف والعصب إلى آخره، والزحاف المركب زحاف مركب من زحافين حدَثا معًا، بدلًا من خبن "متفعلن" وطي "مستعلن" يقول "متعلن"، لتكون مخبونة ومطوية معًا، ويسمونهما اسمًا واحدًا...

- الخبل.
- الخبل، ستجدون هذا في كتب العروض. ومن لم ينتبه توهم عند الخبل أن البيت مكسور، كما إذا سمع

ذَنْبِي إِلَيْهِ جَنَفِي عَنْ لُؤْمِهِ وَقُدْرَتِي عَلَى احْتِمَالِ مَا جَنَى

فإنه إذا تعجل قال لك: هذا مكسور، فتقول له: لا، لا، بل فيه زحاف قبيح، فيقول لك: ولماذا استُعمِل القبيح؟ فتقول له: هذا شبيه بمكروهات الصلاة، فيقول لك: سبحان الله! مكروه في الصلاة وتستعمله! تفعله وهو مكروه، يا من تصلي لرب العالمين -سبحانه، وتعالى!- الذي يكره هذا، تفعله وهو يكرهه، ما شاء الله! يقول لك: هذا زحاف قبيح، تفعله وهو قبيح، كيف هذا! ينبغي ألا تفعل هذا إلا مضطرًّا، ولا يجوز هذا في حق الشعراء الكبار، لا يجوز في حقهم أن تقول: اضطُرّ فلان إلى كذا! ما الذي اضطَرَّه! فليحذف البيت كله أصلًا كما قال المعري! كان المعري يوصي الشاعر أن ينقِّح قصيدته ويحذف منها، وألا يبخل على الإتقان بحذف ما لا يستحسن. يكتب بعضهم قصيدة من خمسين بيتًا، ويفرح بأنه وصل إلى رقم خمسين -ولم يصل إليه من قبل- وكلها كلام فارغ، الجيد فيها مثلًا عشرة أبيات، لكنه لا تطاوعه نفسه على حذف أربعين بيتًا والاكتفاء بعشرة! لا، يقتضي الإتقان ألا تبخل عليها بحذف أربعين منها إذا سلمت عشرة، قال بشار مرة: "لِي عَشَرَةُ آلَافِ بَيْت، ثَكِلَتْنِي أُمِّي، إِنْ لَمْ يَسْلَمْ لِي مِنْهَا أَلْفٌ"! يشير إلى أن له شعرًا كثيرًا جدًّا، وأنه لن يستحيل أن يسلم له عُشرُه، وأن في عشره كفاية الشهادة له بالإحسان والأستاذية! ومثل بشارٍ كثرةَ شعرٍ كثرةً لم يتيسر لأحد أن يقوم لإحصائها، السَّيِّدُ الحِمْيَرِيُّ شاعر الشيعة الكبير، كلاهما لم يُحص شعره لكثرته الشديدة، شعر هائل! طيب، أعيدوا، أعيدي، يا مريم!

- ذَنْبِي إِلَيْـ= دن دن ددن
ـهِ جَانِفِي= دن دن ددن

- "ـهِ جَانِفِي"! ما هذا "هِـ(ي) جَانِفِي"! تُريد أن تُسلِّم التفعيلة على رغم أنفها، فأشبعَت ما لا يشبع، أشبعت الجيم المفتوحة! يا جماعة، يجري الإشباع في الشعر مجراه في النثر إلا ما كان من أطراف الأبيات فقط، أُعيدُ هذه القاعدة: يجري الإشباع في الشعر مجراه في النثر إلا ما كان في أطراف الأبيات. جاءني هذا الطالب العامري، وقال: دكتور، لماذا أشبعنا في آخر البيت ولم نشبع في خلال البيت؟ يا أخي، آخر البيت هذا موضع وقف، هل تقف وأنت متحرك؟ قال: مستحيل! اسمعوا، اسمعوا ها السَّمْعَة: كيف تقف وأنت متحرك؟ كيف تمشي وأنت واقف؟ هذا كلام كأنه من السِّحْر، ها! إذا كنتَ من أهل الخَطْوة -يسمُّون عندنا في مصر أهل الخَطْوة، وعندكم تعرفونهم في بُهْلَة جيدًا، ها!- يكون الواحد منهم في المكان، ويرحل وهو في المكان! وقد ذاعت للعُمانيين هذه السُّمْعة؛ زارني في القاهرة الملحق الثقافي السعودي، فقال لي: كان عندنا موظف عماني، وكان يختفي فلا نراه في بعض الأيام؛ فكنا نقول: سافر عمان، سافر بطريقة الواصلين -ها!- لسمعة العمانيين أن لهم في هذا باعًا طويلًا! لم يروه في الصباح، ورأوه في الظهر -ها!- فقالوا: سافر إلى عُمان، ورجع! سمعة نستفيد منها -إن شاء الله!- في المواقف؛ احذروا إذن، احذروا! فيا مريم، كيف تقولين: "ـهِ جَانِفِي"! ما هذا! "ـهِـ(ي) جَنَفِي= دن ددن"، إذا أَشبعتِ، أو "ـهِ جَنَفِي= دددن"، إذا لم تُشْبِعي، هذان فقط، أما أن تقولي: "ـهِ(ي) جَانِفِي= دن دن ددن"، فخطأ! يا جماعة، يجوز في النثر العادي أن تشبع هذا وألا تشبعه، هذا في الشعر مثله في النثر؛ فكما أقول في حديثي لصاحبي: يا أخي، أنا ذنبي إليهِـ(ي) أنني كذا، يجوز أن أقول له: ذنبي إليه أنني كذا، كلاهما جائز في النثر أصلًا، وبهما قرئ القرآن، "ذَلِكَ الْكِتَبُ لَا رَيْبَ فِيهِـ(ي) هُدًى لِلْمُتَّقِينَ"، "يَخْلُدْ فِيهِـ(ي) مُهَانًا"، نقرأ هذا وذاك في القراءة الواحدة، أعيدي!

- ذَنْبِي إِلَيْـ= دن دن ددن
ـهِ جَنَفِي= دن ددن
عَنْ لُؤْمِهِ= دن دن ددن
وَقُدْرَتِي= ددن ددن

عَلَى احْتِمَا= ددن ددن

لِ مَا جَنَى= ددن ددن

- أحسنت -يا مريم!- أحسنت، ليث!

- نعم.

- خرج التالي!

- وَأَنَّنِي الْ= ددن ددن

ـحَتْفُ عَلَى= دن دددن

لِئَامِه= ددن ددن

أَنْكَأُ فِي= دن دددن

حُلُوقِهِمْ= ددن ددن

مِنَ الشَّجَى= ددن ددن

- أحسنت أحسنت، ما شاء الله! تُرى كيف سيكون الناصري! معقول أن يكون على هذا المستوى!

- أفضل منه.

- لا، لا، معقول! لنستمع!

- أَذُودُ عَنْ= ددن ددن

حُرِّيَّتِي= دن دن ددن

بِحَقِّهَا= ددن ددن

وَأَجْهَدُ النْ= ددن ددن

ـنَصْرَ لِحُرْ= دن دددن

رٍ مُبْتَلَى= دن دن ددن

- ها الله، ها الله، جميل جدًّا، جميل جدًّا! طروب هذا الناصري، طروب؛ لو تركته لتمايل، لو تركت له الحرية لرقص لك مع البيت، طيب! ثُم من؟ ها! أصيلة، أتبعي السيئة الحسنة!

- وَأَنَّنِي

- لا، اقرئي أولًا!

- وَأَنِّي لَا أَعْرِفُ الْحَدّا...
- ها، حَدّا! لا، لا نقول في عموم العربية: لَا أَعْرِفُ الْحَدّا، ها، أعيدي!
- وَأَنِّي لَا أَعْرِفُ الْحَدَّا...
- ها، لا، لا!
- ... الْحَدَّ...
- وَأَنِّي لَا أَعْرِفُ الْحَدَّ لِمَا أَسْطِيعُ...، أعيدي!
- وَأَنِّي لَا أَعْرِفُ الْحَدَّ لِمَا أَسْطِيعُ أَنْ أُنْجِزَهُ مِنَ الْعُلَا
- جميل، خرجي، واعزفي بآلة حادة على الخشب، أسمعينا!
- وَأَنِّي= ددن دددن
- ها، ما هذا!
- وَأَنِّي= ددن دددن
- ما هذا! يبدو أنها تريد أن تجرب المطعم! وَأَنِّي= ددن ددن، وَأَنِّي= ددن ددن، يمين شمال، شمال يمين!
- وَأَنِّي= ددن دددن
- ما شاء الله! أنا متأكد من أنك تعرفين، أنا متأكد من أنك تعرفين التقطيع، لكن المسألة مسألة إضافة العزف إلى التقطيع. ربما قال بعض الطلاب: وما فائدة هذا؟ يكفيني أنني أحسن التقطيع. لا، هذا هو روح الشعر أصلًا، هذه الدندنة التي يدندنها الشاعر في نفسه قبل أن يتكلم. حكيتُ لكم حكاية سيدنا علي وصوت الناقوس؟ حكيتها مرة، حكيتها؟ طيب، اسمعي، اسمعي، يا أصيلة! يُحْكَى -وفي هذه الحكاية نظرا!- أن سيدنا علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه!- سمع صوت الناقوس، فقال لمن معه من أصحابه: أَتَدْرِي مَا يَقُولُ هَذَا النَّاقُوسُ؟ -ما أعجب هذا السؤال، وهل يقول الناقوس شيئًا!- فقال: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، وَابْنُ عَمِّهِ أَعْلَمُ. فقال: إِنَّ عِلْمِي مِنْ عِلْمِ رَسُولِ اللهِ -صلى الله عليه، وسلم!- وَإِنَّ عِلْمَ رَسُولِ اللهِ مِنْ عِلْمِ جِبْرِيلَ، وَإِنَّ عِلْمَ جِبْرِيلَ مِنْ عِلْمِ اللهِ، تَعَالَى! هَذَا النَّاقُوسُ يَقُولُ -تأملوا كيف يترجم صوت الناقوس، كيف يتكلم نيابة عن الناقوس-:
حَقًّا حقًّا حقًّا صدقًا صدقًا صدقًا صدقَا

يَا ابْنَ الدُّنْيَا جَمْعًا جَمْعًا إِنَّ الدُّنْيَا قَدْ غَرَّتْنَا
يَا ابْنَ الدُّنْيَا مَهْلًا مَهْلًا لَسْنَا نَدْرِي مَا فَرَّطْنَا
مَا مِنْ يَوْمٍ يَمْضِي عَنَّا إِلَّا أَوْهَى مِنَّا رُكْنَا
مَا مِنْ يَومٍ يَمْضِي عَنَّا إِلَّا أَمْضَى مِنَّا قَرْنَا
حَقًّا حَقًّا حَقًّا حَقًّا صدقًا صدقًا صدقًا صدقًا

- اللهُ!

- تأملوا تمثيل صوت الناقوس، ما الذي سمعه من الناقوس؟ دن دن دن دن دن دن دن دن، فحولها إلى كلمات قريبة من الدندنة، ثم انطلق. تأملوا كيف بدأ بتحويل "دن دن"، إلى كلمتين قريبتين منها (حقًّا، صِدْقًا)! أنتم لا تعرفون طبعًا أصوات نواقيس الكنائس، لكننا في مصر معنا النصارى، وحينما كنت طالبًا في الإعدادية كنت أسكن في مكان فيه كنيسة، وهكذا تُصوِّت النواقيس: دن دن دن دن دن دن دن دن دن دن دن دن دن دن دن دن، يُمسك لسان الناقوس ويُضرب في إطاره، فترجمه سيدنا علي: "حقًّا حقًّا حقّا حقّا صدقًا صدقًا صدقًا صدقا"، ثم ذهب يبين الحق والصدق! هذه الحكاية مُمَرَّضة أي ضعيفة، لكنني أستفيد منها في مثل هذا المقام رواها التبريزي في الكافي منسوبة إلى سيدنا علي، وفيها كلام طبعًا، لكنها مفيدة جدًّا في تمثيل ما نحن فيه، فلا يقولَنَّ لي طالبٌ إذن: ما فائدة هذه الدندنات، هذا العبث! هذا الذي فجَّر الشعر، هذا الذي سمعه سيدنا علي فأخرجه بالكلام، سبحان الله! ها، فاحرصي -يا أصيلة- على إتقان العزف كما تتقنين التقطيع، عندك تقطيع وتوقيع وتفعيل وتوصيف، وفي الاختبار للتقطيع درجتان، ولكل من التوقيع والتفعيل والتوصيف درجة، لتتمّ لكل بيت خمس درجات، والاختبار في أبيات كثيرة، تستخرجين منها خمسة فقط، لكل بيت خمس درجات بخمس وعشرين، تمام؟ أهم شيء إذن هذه الخطوة الأولى بضعف ما لما بعدها، وأنت بانتباهك تختصرين المراحل، أعيدي!

- وَا أَنَّنِي= دن دن ددن

- وا! ما "وا" هذه! من العربي الذي يقول: "وا"! وَا أَنَّي= دن دن ددن، إلا محمد أنور السادات رئيسنا الراحل! كان يقول: وا، حتى يتذكر، ها! لا، وَأَنِّي= ددن ددن، وَأَنِّي= ددن ددن، أكملي!

- وَأَنِّي= ددن ددن
لَا أَعْرِفُ الـ= دن دن ددن
حَدَّا لِمَا= دن دن ددن

- حَدَّ لِمَا= دن دددن

- حَدَّا لِمَا= دن دن ددن

- لا، لا تقولي: حَدَّا لِمَا! لماذا -يا جماعة!- لأن "حَدَّا لِمَا" تلتبس عليها بالسالمة "حَدَّا لِمَا= دن دن ددن، مستفعلن سالمة"، وهذا خطأ. أولًا لا يجوز أن تُشبعي ما لا يشبع، ثانيًا هذا يوقعك في غير المراد، هو يريد "حَدَّ لِمَا= دن دددن، مستعلن، سالمة"، فأنت بهذا تغيرين ما أراده الشاعر، "حَدَّ لِمَا"، أكملي!

- ليست سالمة، "مستعلن" مقبوضة!

- أحسنت-مطوية- أحسنت أحسنت، لهذا قلت لها: لا تشبعيها، لا تقولي: "حَدَّا لِمَا"، لأن "حَدَّا لِمَا"، تورطك في تسليم التفعيلة، وهي مغيرة، تمام؟ ويا أخي، من الذي يقول في النثر: لا أعرف الحدَّا لهذه الأشياء؟ من يقول هذا؟ لا أحد، الإشباع في الشعر إذن كالإشباع في النثر، إلا على الأطراف، أكملي!

- أَسْطِيعُ أَنْ= دن دن ددن
أُنْجِيزَهُ= دن دن ددن

- عدت إلى "أُنْجِيزَهَ"! تدرون: من أين جاءت أصيلة بهذا الأداء؟ من الإنشاد، من عادات الإنشاد، تأملوا المنشدين كيف يقولون: وَأَنِّي لَا أَعْرِفُ الْحَدَّ لِمَا أَسْطِيعُ أَنْ أُنْجِزَهُ مِنَ الْعُلَا"، أتوقع مثل ما قالت أصيلة، أنا كل يوم أسمعهم هكذا يفعلون، "أُنْجِيزَه"، خطأ، يقولون لك: لكن هذا لا يستقيم في الموسيقى! بل يستقيم -إن شاء الله!- لكنك لم تكلف نفسك إقامته:
وَأَنِّي| لَا أَعْرِفُ الْ| حَدَّ لِمَا| أَسْطِيعُ أَنْ| أُنْجِزَهُ| مِنَ الْعُلَا

أرأيت، يا أصيلة! إن الذي ورطنا في هذه الورطة إذن، عادات الإنشاد السيئة، وقد ورطَتنا كذلك في سوء إنشاد الشعر عاداتُ الخطابة الإذاعية المدرسية؛ فللإذاعة المدرسية عادات في الإنشاد أفسدت علينا، من ضمنها مثلًا وقوفكم على أواخر الأشطار الأولى من الأبيات، تقولون هنا مثلًا:

وَأَنَّنِي لَا أَعْرِفُ الْحَدَّ لِمَا

أَسْطِيعُ أَنْ أُنْجِزَهُ مِنَ الْعُلَا

خطأ، خطأ، كيف تقف على "لِمَا"، وما بعدها شديد الصلة بها! طيب! ثم من؟ مسعود -ها!- وبعده عمر، وبعده فيصل!

- وَأَنَّنِي لَا أُبْطِلُ الْجَهْدَ إِلَى

حَدِّ سُكُونِي بَيْنَ أَطْبَاقِ الثَّرَى

وَأَنَّنِي لَا أُبْطِلُ الْجَهْدَ إِلَى حَدِّ سُكُونِي بَيْنَ أَطْبَاقِ الثَّرَى

- أرأيتم كيف انتبه مسعود من غير أن أنبهه؟ كيف تفصل بين الجار والمجرور، كيف! هذه عادات الإذاعة المدرسية هذه -ها!- خرِّج!

- وَأَنَّنِي= ددن ددن

لَا أُبْطِلُ الْـ= دن دن ددن

ـجَهْدَ إِلَى= دن دددن

حَدِّ سُكُونِي= دن دددن دن

بَيْنَ...

حَدِّ سُكُو= دن دددن

نِي بَيْنَ أَطْـ= دن دن ددن

ـبَاقِ الثَّرَى= دن دن ددن

- أرأيتم ما حدث؟ حينما تعثر لم يجد من حل إلا أن يعود ويكمل، أما أن يكمل قبل أن يعود فلن يستقيم! أحسنت، يا مسعود! حينما نتعثر ينبغي أن تعود وتعيد، تعود وتعيد، عمر!

- وَأَنَّنِي أُدْرِكُ أَنَّ عَازِمًا مُثَابِرًا يُدْرِكُ غَايَاتِ الْمُنَى

- خرّج!
- وَأَنَّنِي= ددن ددن
أُدْرِكُ أَنَّ= دن دددن د
- ها عدنا إلى "أُدْرِكُ أَنَّ"!
- أُدْرِكُ أَنْ= دن دددن
- أحسنت، أعد!
- وَأَنَّنِي= ددن ددن
أُدْرِكُ أَنْ= دن دددن
نَ عَازِمًا= ددن ددن
مُثَابِرًا= ددن ددن
يُدْرِكُ غَا= دن دددن
يَاتِ الْمُنَى= دن دن ددن
- حافظ على اللحن! قد أحسنت، لكنك غيرت اللحن في "مستعلن= دن دددن"، هذه، لا أريدك أن تغيرها: أُدْرِكُ أَنْ= دن دددن، يُدْرِكُ غَا= دن دددن. أحسنت، فيصل!
- وَأَنَّنِي فِي مِحَنٍ سَاوَرْتُهَا عَلِمْتُ مَا جَهِلْتُهُ مِنَ الْوَرَى
- جميل!
- وَأَنَّنِي= ددن ددن
فِي مِحَنٍ= دن دددن
سَاوَرْتُهَا= دن دن ددن
عَلِمْتُ مَا= ددن ددن
جَهِلْتُهُ= ددن ددن
مِنَ الْوَرَى= ددن ددن

- اللهْ! أحسنت، أحسنت! مسعد، يا تنور، يا مجمع الزينات، مسعد -ها!- اقرأ "وَأَنَّ فِي حُسْنِ التَّدَابِيرِ"! بالمناسبة خرج لك منافسون في الحفظ -هههه!- صار عندنا منافسون لك في الحفظ، يحفظون الملف، فانتبه، حافظ على نفسك!
- وَأَنَّ فِي حُسْنِ التَّدَابِيرِ غِنًى عَنْ خُدَعٍ وَهُوَ عِمَادُ مِنْ وَهَى
- "وَهْوَ"، لا "وَهُوَ"، "وَهُوَ" هذه تكسر الوزن، ما الحل؟ ها، خرّج!
- وَأَنَّ فِي= ددن ددن
حُسْنِ التَّدَا= دن دن ددن
بِيرِ(ي) غِنًى== دن دن ددن
- "بِيرِ(ي) غِنًى"! عدنا إلى المدرسة -ها!- لا، بل عدنا إلى الإنشاد إلى الإذاعة، هذه نقول فيها إذن: عدنا إلى الإذاعة، أما الوقف على الأطراف فنقول فيه: عدنا إلى المدرسة! ها، أعد!
- وَأَنَّ فِي= ددن ددن
حُسْنِ التَّدَا= دن دن ددن
بِيرِ غِنًى= دن دددن
- أحسنت! رجعنا إلى الجامعة! بِيرِ غِنًى= دن دددن.
- بِيرِ غِنًى= دن دددن
عَنْ خُدَعٍ= دن دددن
- أحسنت!
- وَهْوَ(ا) عِمَا= دن دن ددن
- ها! عدنا إلى المدرسة، وَهْوَ عِمَا= دن دددن، وَهْوَ عِمَا= دن دددن.
- وَهْوَ عِمَا= دن دددن
- دُ مَنْ وَهَى= دن ددن
- أهملت ضربة، ارتبكت طبعًا، معذور، أعد من الأول!
- وَأَنَّ فِي= ددن ددن
- حُسْنِ التَّدَا= دن دن ددن

بِيرِ(ي) غِنًى= دن دن ددن

- أعد!

- وَأَنَّ فِي= ددن ددن

حُسْنِ التَّدَا= دن دن دن

- حُسْنِ التَّدَا= دن دن ددن

- حُسْنِ التَّدَا= دن دن ددن

- بِيرِ(ي) غِنًى= دن دن ددن

- بِيرِ غِنًى= دن دددن

- بِيرِ غِنًى= دن دددن

عَنْ خُدَعٍ= دن دددن

وَهُوَ عِمَادُ= ددن ددن

- وَهْوَ عِمَا= دن دددن

- وَهْوَ عِمَا= دن ددن

- وَهْوَ عِمَا= دن دددن

- وَهْوَ عِمَا= دن ددن

- وَهْوَ عِمَا= دن دددن

- وَهْوَ عِمَا= دن ددن

- لا تترك الضربة الأخيرة: وَهْوَ عِمَا= دن دددن

- وَهْوَ عِمَا= دن ددن

- لا، وَهْوَ عِمَا= دن دددن.

- وَهْوَ عِمَا= دن دددن

- أحسنت!

- دُ مَنْ وَهَى= ددن ددن

- أحسنت، أحسنت! مروان!

- وَأَنَّنِي لَا أَسْتَثِيرُ سَيِّئًا وَلَا أُسِيءُ دَفْعَهُ إِذَا عَنَى
- طيب!
- وَأَنَّنِي= ددن ددن
لَا أَسْتَثِيـ=ددن ددن
- ها!
- وَأَنَّنِي= ددن ددن
لَا أَسْتَثِي= دن دن ددن
ـرُ سَيِّئًا= ددن ددن
وَلَا أُسِيـ= ددن ددن
ءُ دَفْعَهُ= ددن ددن
إِذَا عَنَى= ددن ددن
- أحسنت، أحسنت! مهلب!
- وَلَا أُدَاجِي مَالِئًا وَذَامَهُ
- وَذَامَهُ! أين وَذَامَهُ هذه؟ على رغم أنه خطأ لا يكسر الوزن: وَذَامَه، وِذَامَهُ= ددن ددن، كما ترون، لا يكسر الوزن، ولكن الصبر على اليسير -ها!- طريق الوقوع في العسير، السكوت على اليسير طريق الوقوع في العسير، أعد!
- وَلَا أُدَاجِي مَالِئًا وِذَامَهُ عَلَيَّ غَيْظًا بِفُقَاعَاتِ النَّثَا
- ما الوِذام؟
- حزام.
- الحزام، يا سلام، ها، خرِّج!
- وَلَا أُدَا= ددن ددن
جِي مَالِئًا= دن دن ددن
وِذَامَهُ= ددن ددن
عَلَيَّ غَيْـ= ددن ددن

ـظًا بِفُقَا= دن دددن

عَاتِ النَّثَا= دن دن ددن

- أعد، فقد أخللت ببعض الأشياء!

- وَلَا أُدَا= ددن ددن

جِ مَالِثًا= ددن ددن

- لا، لا تقل: جِ مَالِثا، "جِي" هذه ياء -يا مهلب!- ياء، تأمل: "جِي مَالِثًا= دن دن ددن، مستفعلن، سالمة"، أما "جِ مَالِثًا" فهي "ددن ددن، متفعلن، مخبونة"، رأيت! وهي في أصل اللغة موجودة، لا يجوز لعربي في كلامه العادي أن يقول: لَا أُدَاجِ، لَا أُدَاجِي -ها!- أتدري؟ لأنك لو حذفت هذه الياء لكان الفعل مجزومًا، ولَدَعَانا إلى التفتيش له عن معنى آخر نفهمه له، ها!

- وَلَا أُدَا= ددن ددن

جِي مَالِثًا= دن دن ددن

وذَامَهُ= ددن ددن

عَلِيَّ غَيْـ= ددن ددن

ـظًا بِفُقَا= دن دددن

عَاتِ النَّثَا= دن دن ددن

- أحسنت، أحسنت! عبد الرحمن!

- وَلَا أُحَابِي مَلَقًا ذَا ظَاهِرٍ يَشِفُّ لِي ظَاهِرُهُ عَمَّا انْطَوَى

- يا سلام، يا سلام!

- وَلَا أُحَا= ددن ددن

بِي مَلَ...

- أعد!

- وَلَا أُحَا= ددن ددن

بِي مَلَقًا= دن دددن

ذَا ظَاهِرٍ= دن دن ددن

يَشِفُّ لِي= ددن ددن

ظَاهِـ(يـ)رُهُ= دن دن ددن

- ها! عدنا إلى الإنشاد، إلى الإذاعة!

- ظَاهِرُهُ= دن ددن

عَمَّا انْطَوَى= دن دن ددن

- أعد من الأول!

- وَلَا أُحَا= ددن ددن

ب مَلَقًّا= ددددن

بِي مَلَقًّا= دن ددن

بِي مَلَقًّا= دن ددن

ذَا ظَاهِرٍ= دن دن ددن

يَشِفُّ لِي= ددن ددن

ظَاهِـ(يـ)رُهُ= دن دن ددن

- لا، عدنا إلى الإذاعة، "ظَاهِرُهُ= دن ددن، ظَاهِرُهُ= دن ددن"!

- ظَاهِرُهُ= دن ددن

عَمَّا انْطَوَى= دن دن ددن

- أما في الإذاعة فيقول لك: ظَاهِـ(يـ)ره، ظَاهِـ(يـ)ره، والولد صوته جميل -أعرفه- صوته رخيم جميل، تعرفون، هذا أشهر المنشدين في الإذاعة، لكنه يتورط في مثل هذه المصائب، عافاكم الله! ميس!

- تِلْكَ وَمَا يَفْضُلُهَا خَصَائِصِي وَلَيْسَهَا عِنْدَ الزَّمَانِ تُرْتَضَى

- أي تلك وأكثر منها، ومع هذا لا يقبل ولا يتكرم علي، خرّجي!

- تِلْكَ (ا) وَمَا= دن دن ددن

- أعيدي!

- تِلْكَ (ا) وَمَا= دن دن ددن

- أعيدي!
- تِلْكَ وَمَا= دن ددن
- أحسنت!
- يَفْضُ(و)لُهَا= دن دن ددن
- ها!
- يَفْضُلُهَا= دن ددن
- أحسنت، ها!
- خَصَائِصِي= ددن ددن

وَلِيْسَهَا= دن ددن
- أعيدي!
- وَلِيْسَهَا= ددن ددن

عِنْدَ الزَّمَا= دن دن ددن

نِ تُرْتَضَى= ددن ددن
- جميل، ها، أعيدي!
- نِ تُرْتَضَى= ددن ددن
- هذا صحيح، انتصار!
- أَرَى الْحَيَاةَ كُلَّهَا ذَمِيمَةً وَخَيْرَهَا وَشَرَّهَا إِلَى مَدَى
- يا سلام، يا سلام -ها!- خرجي!
- أَرَى الْحَيَا= ددن ددن

ةَ كُلَّهَا= ددن ددن

ذَمِيمَةً= ددن ددن

وَخَيْرَهَا= ددن ددن

وَشَرَّهَا= ددن ددن

إِلَى مَدَى= ددن ددن

- هذا البيت كله مخبون، تأملوا: أَرَى الْحَيَا= ددن ددن، ةَ كُلَّهَا= ددن ددن، ذَمِيمَةً= ددن ددن، وَخَيْرَهَا= ددن ددن، وَشَرَّهَا= ددن ددن، إِلَى مَدَى= ددن ددن؛ فهل أراد بهذا أن يدل على أن هذه هي الحياة؟ وما المانع؟ أين المتأملون؟ أين المتأملون؟ ولا تنسوا إسراعه بالإيقاع؛ نخبن التفعيلات يسرع بالإيقاع، مما يدل على سرعة إيقاع الحياة، هذا أسرع من هذا. طيب! سؤال: لا تجدون بيتًا سالم التفعيلات، كل الأبيات تغيرت تفعيلاتها؛ فلماذا؟ ما السر؟ من يعرف؟ صعبة هذه، تحتاج إلى اطلاع واسع، أو إلى اطلاع كامل! لماذا لا نكاد نجد في قصيدة الرجز أبياتًا سالمة من تغير التفعيلات؟ ها، ليث!
- لعله معظم أبيات الرجز أو لنقل معظمها أو أغلبها نتغير فيها القوافي!
- القوافي! تقصد نظام المزدوج؟ دع القوافي الآن، نتكلم عن الوزن؛ القافية غير الوزن، هي مع الوزن في العروض، صحيح، لكن الوزن شيء والقافية -وهي سياسة بعض الحروف المتأخرة- شيء آخر. ها، أحمد!
- ربما لأن البحر هذا هو بحر طرب، فبما أنه بحر الطرب فهي لا تستقيم هكذا.
- لا، ها!
- يوجد -يا دكتورا- بيت كامل تفعيلاته.
- هنا؟
- لا.
- هل حدث هنا؟
- لا.
- طيب! هذا إذا حدث كان نادرًا جدًّا، لماذا؟ لا، لهذا سر؛ فانتبهوا! عندنا بحر يلتبس بالرجز، هو بحر الكامل، وتفعيلته: دددن ددن، متفاعلن -ها!- مُتَفَاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن، إذا زُوحِفت تفعيلته بزحاف الإضمار صارت "متْفاعلن= دن دن ددن"، مثل "مستفعلن= دن دن ددن"، جميل؟
- نعم.

- وهذا يكثر في الكامل كثيرًا، فيبدو أن بحر الكامل استولى لنفسه على هذه الصورة من الرجز، ومن أجل أن يتميز منه الرجز ترك له هذه الصورة، لأن البحور ينبغي أن تتميز، وإلا التبست وكانت شيئًا واحدًا! فهمتم شيئًا؟

- لا!

- أعيد إذن: لو سلمت تفعيلات البيت من الرجز لأشبهت البيت من الكامل الذي أصاب تفعيلاتِه كلَّها زحافُ الإضمار، وهذا كثير في الكامل، فبدا بيت الرجز كأنه بيت من الكامل بعد هذه الشهرة التي انتزعها منه بحر الكامل -وبحر الكامل كثير الاستعمال من أكثر بحور الشعر استعمالًا على مدار التاريخ- فانتزع بحر الكامل هذا الإيقاع: "دن دن ددن| دن دن ددن| دن دن ددن| دن دن ددن| دن دن ددن| دن دن ددن"، من الرجز، انتزعه وهو في الأصل حق الرجز، مثل ماذا هذا؟ مثل شخص يجيد حرفتين أو ثلاث حرف أو كذا، ثم جاء شخص فأخذ منه حرفة وانفرد بها وتألق فيها وشاع بها ذكره، فقال الأول: ولماذا أتعب نفسي؟ أتركها له، وأشتغل بغيرها، وعندي ما يكفيني، على رغم أن الحرفة الأولى حرفته كذلك، رجل طبيب وشاعر ومترجم جميعا معا، صحبه رجل مترجم فقط، فاستقل وتألق وانتشر له بالترجمة ذِكْرٌ حَسَن، فقال الأول: لا حاجة لي بالترجمة بعدما استقل بها وتألق فيها، فلْأتركها له! لكن يحدث أحيانًا أن يترجم الطبيب شيئًا، فيقدم قصة مثلًا من ترجمته. هناك أشياء عربها بعض شعرائنا المشاهير، عندنا مثلًا الشاعر أحمد رامي، هذا الذي يسمى شاعر الشباب، ترجم رباعيات عمر الخيام، وهو شاعر أصلًا، لكن كان يعرف الفارسية والفرنسية وغيرهما، وهو من أحسن من ترجموا رباعيات الخيام من العرب، أو هو أحسنهم على الإطلاق، طيب! أهذا الرجل مترجم محترف؟ لا، لكنه يحسن الترجمة مثلما يحسن غيرها، فعملها مرة، وهناك رجل غيره انقطع للترجمة، وأخرج فيها أشياء كثيرة جدًّا، فعرف بالترجمة، إذا ذكرنا المترجمين لم نكد نتذكر أحمد رامي، لأنه لم يمتهن الترجمة على الرغم من أنه كان قديرًا عليها! نعود، إلى أين وصلنا؟ من المسئول؟ ها! سالمة في الآخر، غبت عن المحاضرة السابقة، اقرئي البيت الثاني عشر -ها!- الثالث عشر؟ طيب، الثالث والعشرين، أرأيتم البيت الثاني والعشرين. كلُّه مخبونٌ، إيقاع آخر، والآخر كذلك مختلف، كأنه ركض خيل:

"جَرَتِ الخَيْلُ فَقَالَتْ حَبطَقْطَق حَبَطَقْطَقْ"!

هناك شعراء يجتهدون أن يقلدوا...

- أن يقلدوا الأصوات.
- أن يقلدوا الأصوات، فهذا شاعر يقول:

"جَرَت الخَيْلُ فَقَالَتْ حَبطَقْطَق حَبطَقْطَقْ"!

مرةً أردت أن أُخَيِّلَ صهيل الحصان، فقلت:

صَاهَاهَصَا يَا وَيْلَتَا مَا أَقُولْ صَاهَاهَصَا مَاذَا أَصَابَ الْخُيُولْ
كَانَتْ قُيُودَ الْوَحْشِ فِيمَا مَضَى وَالْيَوْمَ تَزْدَانُ لِمَسِّ الْبُعُولْ
لَمَّا رَأَتْنِي اسْتَبْشَعَتْ طَلْعَتِي فَكَيْفَ لَوْ صَادَفْتِهَا يَا خَذُولْ!

- الله!
- هذا كلام على لسان بعض الخيول الأصيلة، حينما رأى بمزارع المترفين الخيول المرفهة، رأى هذا الحصان البدوي الخيول المرفهة في مزارع المترفين عندكم في عمان -والحصان فيها بشعر ناعم مسترسل إلى جانب!- والآخر مسكين متشرد متوحش! فتكلمتُ بلسان الحصان عن المساكين -ها!-: "كَانَتْ قُيُودَ الْوَحْشِ فِيمَا مَضَى"، جعل امرؤُ القيس حصانَه قيدَ الأوابد، ماذا قال: بمنجرد..
- "وَقَدْ أَغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ"!
- كان إذا جرى قيَّد الوحش في مكانها، سبقها، وقيدها في مكانها، سبقها فكأنها مقيدة لا تجري، وصارت كالطواويس مزينة في المزارع -ولا حول ولا قوة إلا بالله!- كناية عن أحوال المسلمين؛ فبعد أن كانوا مقاتلين في المعارك، صاروا يشترون الأسلحة ولا يفعلون بها إلا أن ينظفوها ويتزينوا بها ويضعوها في المتاحف، ولا حول ولا قوة إلا بالله! ها -سالمة! ها، خرجي، وارفعي صوتك، واضربي على الخشب!
- يُحِبُّهَا الْـ= ددن ددن
- لا أسمع!
- يُحِبُّهَا الْـ= ددن ددن

مَرْءُ(و) عَلَيَّ= دن دن ددن

- ها! عدنا إلى الإذاعة!
- مَرْءُ(و) عَلَى= دن دن ددن
- أداء إذاعي، هذا "مَرْءُ عَلَى= دن دددن"، "مَرْءُ عَلَى= دن دددن"، أعيدي!
- يُحِبُّهَا الْ= ددن ددن مَرْءُ عَلَى= دن دددن
- لا، يُحِبُّهَا الْ، أوضحي الفواصل -أرادت أن تهرب!- وضحي الفواصل: يُحِبُّهَا الْ= ددن ددن، ها!
- يُحِبُّهَا الْ= ددن ددن
- مَرْءُ(و) عَلَى= دن دن ددن
- مَرْءُ عَلَى= دن دددن
- مَرْءُ عَلَى= دن دددن
- أكملي!
- آفَاتِهَا= دن دن ددن

وَتُظْهِرُ الْ= ددن ددن

آفَ(ا)ةَ عِنْـ= دن دن ددن

- ها! عدنا إلى الإذاعة، آفَةَ عِنْـ= دن دددن، آفَةَ عِنْـ= دن دددن!
- وَتُظْهِرُ الْ= ددن ددن آفَةَ عِنْـ= دن دن ددن
- وضحي الفواصل -يا سالمة!- لا يجوز أن تدخليها بعضها في بعض هكذا:
- وَتُظْهِرُ الْ= ددن ددن

آفَةَ عِنْـ= دن دن ددن

ـدَ الْمُنْتَهَى= دن دن ددن

- هذا الفاصل الذي نضع عنده الخط الذي كالسيف، إن لم تقطعه قطعك! وأخيرًا -ها- سالمة!
- يَعِيشُ لَا تَنْدَى صَفَاةُ كَفِّهِ يَخْزُنُ لِلْوَارِثِ يَخْزُنُ لِلْوَارِثِ كُلَّ مَا اصْطَفَى
- خرّجي!
- يَعِيشُ لَا= ددن ددن

تَنْدَى صَفَا= دن دن ددن

ةُ كَفّه= ددن ددن

يَخْزَنُ لَلْ= دن دددن

- يَخْزُنُ لَلْ= دن دددن

- يَخْزُنُ لِلْ= دن دددن

ـوَارِثَ كُلْ= دن دددن

ـلَمَّا اصْطَفَى= ددن ددن

- أحسنت، أحسنت، أحسنت، جميل، جميل، عاش، عاش! **أعود إلى البيت الأول حتى نحدد القافية، ما قافية البيت الأول؟** ربما قال بعضكم لبعض: ضَيَّعَ الوقت! كان يمكننا أن نفعل أشياء أخرى! لا، لم يضع، لأمر ما فعلتُ ما فعلت!

- جَنَى، الْجَنَى.

- ها، ما قافية البيت الأول؟ "جَنَى" خطأ، "الْجَنَى" خطأ!

- ـرُ الْجَنَى.

- "الْجَنَى"، خطأ!

- ـرُ الْجَنَى.

- ـرُ الْجَنَى، لماذا؟

- تفعيلة.

- قدمت لك...، لا، لا علاقة لهذا بالتفعيلات، يا ليث، لا تعلقها بهذا الشكل، أحيانًا تكون القافية تفعيلة، وأحيانًا تكون تفعيلة وزيادة، وأحيانًا تكون جزءًا من تفعيلة، لا علاقة للقافية بالتفعيلات، ربما كانت القافية تفعيلة، وربما كانت أقل، وربما كانت أكثر، كتبتم هذا؟ لا طبعًا!

- نعم.

- لماذا إذن قلتُ ما قلت، لأن ليثًا قال: آخر تفعيلة، فقلت له: لا، ربما كانت القافية أكثر، وربما كانت أقل، وربما كانت تفعيلة. ما منطلقنا؟ منطلقنا شيء آخر: آخر ساكنين في البيت مع ما بينهما من متحركات والمتحرك الذي قبلهما، هذا الكلام المعاصرين المُرِكّين، أما القدماء الفصحاء

فيقولون -ها!-: من آخر ساكن في البيت إلى أول متحرك قبل ساكن يليه -يا سلام!- هذا الكلام العربي، طيب! وهذا -يا فيصل- كما قلت، رُ الْجَنَى، الساكن الأول؟

- لام.
- اللام، والأخير.
- الألف.
- الألف، وبينهما الجيم المفتوحة...
- نعم.
- والنون المفتوحة.
- نعم.
- وقبلهما...
- الراء.
- الراء الثانية من كلمة "مُرٌّ"، لا الأولى؛ فالقافية إذن "ـرُ الْجَنَى"، ها!
- تِ الذُّرَا.
- تِ الذُّرَا، ها!
- مُبْتَغَى.
- الآن تستفيدون من الإيقاع "دن ددن"، لكن على حذر، ستجري القافية في هذه القصيدة من أولها إلى آخرها على "دن ددن"، هذا إيقاعها في نفسها، لكنها أحيانًا تخدع، تجمع بين أكثر من إيقاع، فاستفيدوا من الإيقاع المتكرر، إلى أن نتغير -ها!- مُبْتَغَى= دن ددن، ها!
- مُرْتَجَى.
- مُرْتَجَى، ها!
- مَا أَتَى.
- مَا أَتَى، ها!
- مَا قَضَى
- مَا قَضَى، ها!

- ـهِ عَلَا.
- ـهِ عَلَا، ها!
- مُرْتَجَى.
- مُرْتَجَى، ها!
- زَكَا.
- "زَكَا" خطأ، "قِي زَكَا"، ها!
- مَا جَنَى.
- مَا جَنَى= دن ددن، ها!
- ـنَ الشَّجَى.
- ـنَ الشَّجَى، ها!
- مُبْتَلَى.
- مُبْتَلَى، ها!
- ـنَ الْعُلَا.
- ـنَ الْعُلَا، ها!
- ـقِ الثَّرَى.
- ـقِ الثَّرَى، ها!
- تِ الْمُنَى.
- تِ الْمُنَى، ها!
- نَ الْوَرَى.
- نَ الْوَرَى، ها!
- مَنْ وَهَى.
- مَنْ وَهَى، ها!
- ذَا عَنَى.
- ذَا عَنَى، ها!

- تِ النَّثَا.
- تِ النَّثَا، ها!
- مَا انْطَوَى.
- معقول "مَا انْطَوَى" -ما شاء الله، سبحان الله!- أين الساكن؟ النون والألف، بينهما؟
- الطاء.
- الطاء المفتوحة، والواو المفتوحة، قبلهما؟
- الميم الـ...
- الميم الثانية من "عَمَّا"، وأين بقية الأشياء؟ لا قيمة لشيء، لا قيمة لألف "عَمَّا"، ولا لهمزة "انْطَوَى"، لأنهما لم تُنطقا، القيمة عندنا للمنطوق فقط، لو تخيلنا مثلًا أننا كتبنا سطرًا لم ينطق منه إلا نصفه، لكان نصفه هذا هو وحده المعتبر، وبقية الأشياء التي كتبناها أعراف كتابية، أعراف كتابية يمكن أن تتغير، ما قولك إذا كتبنا هذا البيت بالحروف اللاتينية، أينهدم العروض؟ لا ينهدم، فاللغة هي المنطوقة. أستطيع أن أسجلها بالحروف العربية أو اللاتينية أو الصينية أو ما شئت، والكتابة دائمًا مقصرة عن شَأْو النطق، لماذا؟ لأن النطق سريع التطور، والكتابة بطيئة التطور. أريدكم أن تسمعوا محاضرتنا التي على قناتنا اليوتيوبية بعنوان "تمكين القارئ من النص المخطوط" إذا وجدتم وقتا، فيها أتكلم عن رحلة الكتابة العربية، ثم أنتقل إلى موضوع المحاضرة -ها!- "وَلَيْسَهَا عِنْدَ الزَّمَانِ تُرْتَضَى" ها!
- تُرْتَضَى.
- تُرْتَضَى، ها!
- لَى مَدَى.
- لَى مَدَى، ها!
- مُنْتَهَى.
- مُنْتَهَى، ها!
- مَا اصْطَفَى.

- "مَا اصْطَفَى" مثل "مَا انْطَوَى". طيب! السؤال الصعب: **ما أقوى الحروف المكررة، ما روي هذه القافية؟**
- الواو.
- الواو، عمر يقول: الواو، أين هذه الواو، يا مسكين!
- لا، لا!
- أنت قلت: الواو!
- لا!
- ها، تقول ما لا تريد!
- لا...
- يقول فمي ما لا أريد، ها!
- الألف.
- الألف! ومتى كانت الألف رويًّا -يا مسكين!- متى كانت الألف رويًّا؟ ها! تقول ابنتنا: ما فيها روي! كيف تتكون قافية من غير روي! هذا وضع خاص -يا جماعة!- تسمى القافية فيه... نعم، يا عمر!
- هو الصوت، يعني نفس المخرج، قريبة من المخرج، بس ما أعرف!
- انظروا إلى عمر كيف يقول، يتفلسف -ها!- يقول: قد جمع بين حروف متعددة متقاربة؛ فَلِمَ لَمْ يتمسك بحرف واحد وجاء بحروف متقاربة؟ طيب، فكر: هل النون قريبة من الراء؟ هذه في واد -ما شاء الله!- وهذه في واد! طيب، لحظة مثلًا، لحظة حاولوا أن تختبروا فلسفة عمر، الغين في واد والجيم في واد والتاء في واد، هذه مصيبة؛ كل حرف في واد، ما الحكاية، ما الجواب؟ مسعود!
- في بحر الرجز لم يُلتزم بحرف الروي.
- ليس هذا مما تقول، هذا الذي تشير إليه انتبهوا -يا جماعة!_ علم دقيق جدًّا، هذا الذي يشير إليه مسعود نوع متطور ليس من العمودي، أما هذا فعمودي! الذي تشير إليه أنت شعر مشطَّر، نوع آخر، كما في ألفية ابن مالك، ها!

- نعم.
- "كَلَامُنَا لَفْظٌ مُفِيدٌ كَاسْتَقِمْ...
- نعم.
- وَاسْمٌ وَفِعْلٌ ثُمَّ حَرْفٌ الْكَلِمْ
بِتَا فَعَلْتَ وَأَتَتْ وَيَا افْعَلِي
وَنُونِ أَقْبِلَنَّ فِعْلٌ يَنْجَلِي"!

كل بيت على طريقة، هذا اسمه الشعر المشطَّر، وهذا من داخله اسمه المزدوِج القائم على تنسيق شطرين، ثم تزداد الأمور قليلًا قليلًا حتى تتألق في الموشحات.

- نعم.
- ففي الموشحات أكبر هندسة للأشطر، لم تكَدِ القصيدة فيه أصلًا تتجاوز خمسة أبيات، والبيت في نفسه قطعة من دور وقفل، والدور من أشطر، والقفل من أشطر، حكاية، لا، نحن هنا ما زلنا في العمودي، ها، من يجيب؟
- على السطر؟
- ها! على السطر، أي سطر.
- الحرف قبل الروي.
- تريدين الألف إذن، تريد سلمى كما ذكر أبناؤنا أن تشير إلى أنه التزم انطلاقة الهواء المفتوحة، وهذا هو الصحيح مع الأسف، هذا هو الصحيح! قصيدة تبدو كأنها غير ملتزمة لحرف واحد مكرر، إلا ما ترون من انطلاقة هواء الألف، "رُ الْجَنَى"، "تِ الذُّرَا"، "مُبْتَغَى"، "مُرْتَجَى"، ...، لم تلتزم شيئًا إلا هذه الانطلاقة، انطلاقة الألف فسموها المقصورة.
- نعم.
- أي التي اعتمدت بدلًا من الروي المعهود على الألف، لكننا وجدناهم يشترطون هنا شرطًا -فانتبهوا!- أن تكون هذه الألف في هذه الحال الصعبة، هي لام الكلمة، أي أن تكون أصلية، هَيَّا، فلنعد إلى تخريج هذا في الصرف! في عروض نحن الآن أم في صرف! شيء عجيب -والله!- شيء عجيب! يقولون لك: بشرط أن تكون الألف أصلية، ما لنا وللصرف، نحن في أصوات، في نغم!

هكذا قالوا، وعلاقة الصرف بالعروض ثابتة، بل أدعي أن الصرف هو الذي هيأ للعروض مكوناته -ففي القديم، في الزمن الأول، قدم الصرف للعروض الصيغ التي يكررها، خذ كلمة صَبُور، فقال: صَبُورٌ صَبُورٌ صَبُورٌ صَبُورٌ صَبُورٌ صَبُورٌ صَبُورٌ صَبُور؛ فبالإلحاح على الصيغة ولد الإيقاع، ثم تعقد قليلًا قليلًا- أنا مؤمن بهذا، وهو موجود، ليس من اختراعي؛ هذا من كلام من تأملوا نشأة الشعر العربي. بعد هذا تعقدت الأمور وكذا وكذا، لكن هل يعد هذا من هذا؟ سبحان الله، يا أخي! في "صَبُورٌ صَبُورٌ..." إيقاع موجود، هنا إيقاع، أضافوا إلى ذلك ملمحًا آخر من ملامح مساعدة الصرف للعروض في مقام القافية، في القافية المقصورة التي لا حروف مكررة فيها إلا ما كان من انطلاقة الهواء؛ فالروي هنا -يا جماعة!- الألف، بشرط أن تكون أصلية! حاولوا أن تزنوا معي، زِنُوا في الصرف؟ ما وزن "الْجَنَى"؟

- فَعَل.
- الجنى، ما وزنه في الصرف؟
- فَعَل.
- "الْجَنَى" الْفَعَل، و"الذُّرَا" الْفُعَل، و"الْمُبْتَغَى" الْمُفْتَعَل، و"الْمُرْتَجَى" الْمُفْتَعَل، و"أَتَى" فَعَل، وهكذا؛ فالألف كما ترون.
- لام...
- لام أصلية. لكن -سبحان الله، يا أخي!- هذا هو الذي قالوه، على رغم أننا في إيقاع، لا صرف!

أما أنا فأقول: إن إيقاع القافية في هذه القصيدة أقل من إيقاع غيرها! أنا أتَّهِم هذا، لقد فعلت مثله، حاولت أن أقلده -ها!- فأحسست أن القافية مضطربة غير مستقيمة على العادة؛ كأنها ناقصة، لكنه حدث، وهو موجود في الشعر العربي من قديم، يسمون هذه القصائد باسم هذه القوافي العجيبة، يسمونها المقصورات جمع تسليم، والمقاصير جمع تكسير؛ فهذه مقصورة أبي مسلم، وأشهر المقصورات على الإطلاق مقصورة ابن دريد التي مطلعها:

"يَا ظَبْيَةً أَشْبَهَ شَيْءٍ بِالْمَهَا تَرْعَى الخُزَامَى بَيْنَ آرَامِ النَّقَى"!

ها! هذه أشهر مقصورة، وقد قلدها حازم القرطاجني، وقلدها أبو مسلم كما رأيتم، ومن خصائص المقصورات أنها في الأدب أي التأديب، وكلمة أدب عند نقادنا القدماء معناها تهذيب الأخلاق،

إذا ذهبتم إلى الدواوين، إلى الفهارس وجدتم باب الأدب، نعرف الهجاء، ونعرف المديح، ونعرف الرثاء، فما الأدب؟ هو باب تهذيب الأخلاق، فقد كانوا يسمون تهذيب الأخلاق الأدب، ويصنفون على أساسه الشعر، يقولون: هذا القسم من الديوان في الهجاء، وهذا في المديح، وهذا في الغزل، وهذا في الرثاء، وهذا في الأدب. تكتشف أن الغالب على المقاصير الأدب، أرأيتم كيف كان أبو مسلم يؤدب نفسه ويؤدبنا: افعلوا كذا، وافعلوا كذا مع الزمن، ولا أقبل كذا، يؤدبنا من خلال اشتراطه على نفسه أن يلتزم بعض الأخلاق، هكذا يفعلون في المقصورات، سبحان الله! طيب! كيف نقول في تخريج هذه القصيدة إذن -ها!- في البيانات، في إضافة البيانات: هذه القصيدة..

- رجزية.
- رجزية الأبيات، وبين قوسين أرجوزة، لأن القصيدة الرجزية الأبيات مشهورة في علومنا باسم أرجوزة، وصاحبها معروف باسم...
- راجز.
- وجمع راجز...
- رُجّاز.
- رُجّاز، ومِن أشهر الرجاز...
- رؤبة بن العجاج.
- رؤبة، وأبوه، وابنه، وأبو النجم...
- العَجْلي.
- العِجْلي.
- العِجْليّ.
- ولما استفز بعض الرجاز المعروفين بالرجز بشارًا -ها!- دمره بأرجوزة غلبت على أراجيزه حتى هرب واختفى من الساحة! كنت أمس أقرؤها، أعدت قراءتها أمس في ديوان بشار استمتاعًا، يا سلام:

"وَصاحِبٍ كَالدُّمَّلِ المُمِدّ

حَمَلْتُهُ فِي رُقْعَةٍ مِنْ جِلْدِي"!

يتكلم في الأدب كذلك -ها!- ومطلعها كما ذكرنا من قبل:

"يَا طَلَلَ الْحَيِّ بِذَاتِ الصَّمَدِ

بِاللّٰهِ خَبِّرْ كَيْفَ كُنْتَ بَعْدِي"!

كلام جميل! حق له أن يغلب به على الرُّجّاز جميعا! ماذا قلنا؟ هذه القصيدة إذن، رجزية الأبيات وبين قوسين...

- أرجوزة.
- أرجوزة، ها!
- مقصورة.
- لا، لم نصل بعد إلى القافية. رجزية الأبيات التامة، طبعًا تذكرتم أننا قلنا: إن الأبيات تامة لا وافية، لماذا؟ لأن تفعيلات كل بيت منها متساوية في السلامة والتغير، إذا تتبعت، تَتَبَّعْ معي، تتبع مثلًا هنا هنا، في البيت السابع "يِهِ(ي) عَلَا= ددن ددن، متفعلن"، تأملوا هذه التفعيلة الأخيرة، لكيلا يظن ظان أنه التزم التسليم في تفعيلات الضروب، لا، التفعيلات كلها سواسية، تسلم وتخبن وتطوى وتخبل، كلها سواء، لا تختص تفعيلة دون تفعيلة بسلامة أو تغير، وعندئذ نسمي البيت إذا استوفى أعداد التفعيلات التي أخرجتها الدوائر وساوى بينها، تامًّا، لا وافيًا، والتمام نادر! هذه القصيدة إذن رجزية الأبيات -وبين قوسين أرجوزة-...
- التامة.
- التامة، ها، كيف العروض والضرب؟
- الصحيحة العروض والضرب.
- الصحيحة العروض والضرب كما قال فيصل، لماذا؟ لأن التفعيلة تدور على السلامة، تسلم وتتغير، فتسلم وتتغير، كلتا تفعيلتي العروض والضرب تسلمان وتتغيران، فإذا كان هذا هكذا غلَّبنا السلامة، ثم ذكرناها في هذا المقام باسم الصحة، لأن هذا المقام في العروض والضرب مقام إعلال، مقام تغيير بالعلة، فلما سلمت من العلة وصفناها بالصحة، وأَبَنا الصحة عن السلامة، فعممنا وقلنا: هذه

القصيدة رجزية الأبيات -بين قوسين أرجوزة- التامة الصحيحة العروض والضرب، ما جمع عروض.

- أعاريض.
- ها!
- أعاريض.
- أعاريض، وهو جمع شاذ، شاذ، من أراد منكم أن يجمع قال: صحيحة الأعاريض والضروب، عجيبة هذه، عروض أعاريض، وما جمعها المعتاد؟ عُرُض مثل جمع صَبُور على صُبُر وغَفُور على غُفُر، لا، عروض جُمعت على أعاريض، كأنها جمع إعريض! طيب، ماذا قلتم؟ هذه القصيدة...
- صحيحة العروض.
- رجزية الأبيات -بين قوسين أرجوزة-...
- التامة.
- التامة الصحيحة العروض والضرب. انتقلوا إلى القافية! مقصورة -انتهينا!- فقط فقط!
- فقط؟
- فقط، لا، لا، كثرة الكلام مفسدة، مقصورة، هل سمعتم بهذا؟ هل سبق مثل هذا؟ لم يسبق، ولن يلحق! مقصورة، إذا قلت كلمة مقصورة تخيل الناس وعرفوا ما الحكاية، والمقصورة كما تعرف أو كما لا تعرف، يستحيل أن تكون مردفة؛ كيف تردف!
- وهي مقصورة.
- كيف وهي مقصورة تتأتي فيها ألف قبل الألف، والله لو مددتها إلى العصر فلن تكون إلا ألفًا واحدة! كيف تقول: مَا قَضَاااااااا، تدعي أنك أضفت ألفًا قبل ألف "قضى"! موهوم، مسكين! وأكثرُ استحالة من إردافها بالألف، إردافُها بالواو أو الياء؛ فلا سبيل إلى تخيلهما قبلها! طيب، ألَا تُؤسَّس؟ أتدرون ما معنى أن تؤسس القافية المقصورة؟ أن تكون كلها على مثل "عَافَى" و"سَامَى" و"عَادَى"، وهو وارد عقلًا، ولكنه أشبه بالثقيل جدًّا الذي لم يحدث، لأنه سينحصر انحصارًا شديدًا! لماذا أقول هذا؟ لأنه ربما قال بعضكم: ألا تستحق أن نضيف كلمة "مجردة"، لنقول: مقصورة مجردة؟ فأقول له: أما احتمال إردافها...

- فمستحيل.
- فمستحيل -هذه واحدة- وأما احتمال تأسيسها فكالـ...
- مستحيل.
- ليس بمستحيل، ولكنه كالمستحيل؛ فعمّمنا الاستحالة، واستغنينا عن إضافة "مجردة"، تمام؟
- دكتور، ذكرت أن الألف في المقصورة أصلية، وهي منقلبة عن واو أو ياء!
- أحسنت، يا نورة! هذا لا ينفي أن تكون أصلية. ما معنى أن تكون أصلية؟ أن تكون من حروف الأصول. سبحان الله! كأنك -يا نورة!- لم تدرسي عليَّ حينما قلت لك: ليست هناك ألف أصلية، إذا كانت أصلية كانت بين أمرين: إما أن تكون منقلبة عن واو، وإما أن تكون منقلبة عن ياء، أما الألف الخالصة غير المنقلبة فهي الزائدة فقط -ها!- هذا سؤال مهم، سؤال طالبة علم، تقول: أنت ادعيت أن من شروط الألف هنا لتصح القافية المقصورة، أن تكون أصلية؛ فكيف تكون أصلية وقد رأيت بعض الكلمات ترجع الألف فيها إلى الواو، وبعضها ترجع فيه إلى الياء؟ ليست هناك ألف أصلية لا ترجع إلى شيء، يستحيل، إلا الزائدة! **بارك الله فيكم، وشكر لكم، وأحسن إليكم، والسلام عليكم!**

الْمُنَادَمَةُ التَّاسِعَةُ(١)

- **سلام عليكم!**
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته!
- طبتم صباحا -يا أبنائي!- وطاب مسعاكم إلينا! بسم الله -سبحانه، وتعالى!- وبحمده، وصلاة على رسوله وسلامًا، ورضوانا على صحابته وتابعيهم حتى نلقاهم! كيف حالكم؟ كيف أصبحتم؟ أصبحتم نائمين حقا! بارك الله فيكم، وشكر لكم، وأحسن إليكم، ويسر لنا ولكم كل عسير، وسهل كل صعب! **اليوم نستمتع بتناول نمطين جديدين من الوزن ومن القافية، من خلال قصيدةٍ مهمةٍ مؤثرة مشهورة، أهميتها من أن صاحبها استطاع أن يبعث الموتى مجازا، وتأثيرها من أنها حملت الشعراء على تقليدها، حتى صار لها تراث من المعارضات**، سمعتم عن المعارضة؟ ما المعارضة؟ ما المعارضة في الأصل؟ المعارضة المخالفة؟ من أين جاءت الكلمة؟ من المشي بالعرض، تمشي ويمشي بجوارك شخص، تتسابقان، هل تستويان أو يسبق أحدكما الآخر؟ هذه هي المعارضة. ومنه مِشية العِرَضْنَى من سير الخيل:

"تَمْشِي الْعِرَضْنَى مِشْيَةَ الْمُخْتَالِ"!

كما قال الراجز، فهكذا تمشي الخيل كما تعرفون -سبحان الله!- كل خلق الله يمشي إلى الأمام، وتمشي هي بالعرض، وفيها مَخِيلة، سئل بدوي: لم سميتم الخيل خيلا؟ قال: أما تراها تختال؟ يدعي أن اسم الخَيْل من الاختِيال، وإننا لنعجب: أهي من الاختيال أم منها الاختيال! سبحان الله! لقصيدة اليوم تراث من المعارضات، حتى لقد أصدر بعض الناس كتابا فيها وفي معارضاتها، فيها هي وحدها وفي معارضاتها! وهذا الكتاب على موقعي ادخلوا على موقعي واكتبوا: "يا ليل الصب

---

(١) رابط هذه المنادمة في قناتي اليوتيوبية:

https://www.youtube.com/watch?v=-RnXkCxfvSE&list=PL٠_bvBmuM٥ySq٦hXNd٤GWcNFIUaI٤uqCM&index=٩

وقد فرغها محمد العزب، وراجعها له كريم عبد الفتاح.

ومعارضاتها"! والمعارضات في نفسها مجال من مجالات تاريخ الشعر، استحق أن تُوضع فيه رسائل الماجستير والدكتوراة، وقد كان، فأنا عندي أكثر من كتاب في المعارضات، كلها رسائل جامعية مهمة، يرصد الباحث فيها هذه المنافسات. وممن عارض هذه القصيدة من القدماء نجم الدين القمراوي (٦٥١= ١٢٥٣)، بقصيدته التي مطلعها:

"قَدْ مَلَّ مَرِيضَكَ عُوَّدُهُ وَرَثَى لِأَسِيرِكَ حُسَّدُهُ"!

وابن الأبار (٦٥٨= ١٢٥٩)، بقصيدته التي مطلعها:

"مَنْظُومُ الخَدِّ مُوَرَّدُهُ يَكْسُونِي السُّقْمَ مُجَرَّدُهُ"!

وشمس الدين الحسيني (١١١١= ١٦٩٩)، بقصيدته التي مطلعها:

"صَبٌّ بِالْهَجْرِ تُهَدِّدُهُ قَدْ ذَابَ جَوًى مَنْ يُنْجِدُهُ"!

وممن عارضها من المحدثين ولي الدين يكن (١٣٣٩= ١٩٢١)، بقصيدته التي مطلعها:

"الْحُسْنُ مَكَانُكَ مَعْبَدُهُ وَاللَّحْظُ فُؤَادِي مُغْمَدُهُ"!

وإسماعيل صبري (١٣٤١= ١٩٢٣)، بقصيدته التي مطلعها:

"أَقَرِيبٌ مِنْ دَنِفٍ غَدُهُ فَاللَّيْلُ تَمَرَّدَ أَسْوَدُهُ"!

وأمير الشعراء أحمد شوقي (١٣٥١= ١٩٣٢)، بقصيدته التي مطلعها:

"مُضْنَاكَ جَفَاهُ مَرْقَدُهُ وَبَكَاهُ وَرَحَّمَ عُوَّدُهُ"!

هذه "يا لَيْلُ الصَّبُّ مَتَى غَدُهُ"، ومن أشهر الأخطاء فيها أن يقول القائل: "يَا لَيْلَ الصَّبِّ". سأكلمكم عنها في أثناء قراءتها وفيما بعدها -إن شاء الله!- فانتبهوا، ينبغي لنا أن نضبطها في علم اللغة بحيث لا نتيح لأي خطأ أن يتسرب -وإن كان يسيرا!- فالسكوت على اليسير باب الوقوع في العسير. "يا لَيْلُ الصَّبُّ مَتَى غَدُهُ"، للحُصْرِيِّ القَيْرَوَانِيِّ المتوفى سنة ثمانٍ وثمانين وأربعمئة الهجرية -هكذا تتكلمون عن التواريخ- المتوفى سنة ثمانٍ وثمانين وأربعمئة الهجرية، لا "هجرية" كما يقولون، ولا "هجريا"! معنى هذا أنه من رجال القرن الخامس الهجري، لا تنسوا هذا، لا تنسوا أنه من رجال القرن الهجري الخامس، لا من رجال العصر الجاهلي ولا صدر الإسلام ولا بني أمية ولا العصر العباسي الأول، متى بدأت دولة بني العباس؟ سنة أربع وعشرين ومئة الهجرية، أي قبل وفاة هذا الرجل بزمان، فهو إذن في العصر العباسي الثاني. الحُصْرِيّ القَيْرَوَانِيّ، (الْحُصْرِيّ) نسبة إلى

صناعة (الحُصْر)، و(الحُصْر) مخففة من (الحُصُر) -حَصِير، حُصُر- وهذا التخفيف معروف حينما ننسب إلى مثل هذه الكلمة يخففون، كما ينسبون إلى "كُتُب" فيقولون: "كُتْبِيّ" -كتبتُ عن الكُتْبِيِّين مرة- والكُتْبِيّ: الوَرَّاق -هذه كلمة معروفة- والورَّاق المشتغل بالورق والكتب والنسخ والطباعة وجمع الكتب ومداولتها. وهذا الحصري القيرواني الشاعر هو قريب الحصري صاحب "زهر الآداب"، و"زهر الآداب" أحد كتب الأدب المشهورة التي يحرص الطالب على اقتنائها وقراءتها وحفظ ما فيها، مِنْ مِثْل ماذا؟ ها، ذكروني بكتب الأدب الكبار! هل تذكرون الكتب التي أوصى بها ابن خلدون في المقدمة طالب الأدب، أن يكوِّنَ منها ذخيرته؟

- البيان والتبيين.
- "البيان والتبين"، للجاحظ، نعم، أحسنت!
- الأمالي.
- "الأمالي"، للقالي، نعم، أحسنت!
- الكامل.
- "الكامل"، للمبرد، نعم، أحسنت!
- أدب الكاتب.
- "أدب الكاتب"، لابن قتيبة، نعم، أحسنت! وهذا يُذكَر، وإن لم يكن صريحًا في هذا المجال. وكذلك...
- خزانة الأدب.
- "خزانة الأدب"، للبغدادي، نعم، أحسنت! وارد كذلك، وارد على رغم أنه -سبحان الله!- في شرح شواهد الكافية، لكنه استطرد، كان ينتهز الفرص، كلما وجد بيتا استطرد، فتكلم عن صاحب البيت، وعن كذا، وعن كذا، وعن الأحداث التي حدثت في البيت، فصار خزانة. ها، وكذلك...
- العقد الفريد.
- "العقد الفريد"، لابن عبد ربه، نعم، أحسنت! وكذلك...؟
- الأغاني.

- "الأغاني"، للأصفهاني، نعم، أحسنت! طيب! هذه الكتب تُقتَنَى لِتُقْرَأ، هكذا كنت أقتنيها وأقرؤها كلمة كلمة، وأحاول أن أحفظ، وأن أنقل إلى كتبي كذا. وقد اشتريتها من المعرض، وقد كان المعرض أمامكم، فمن ذهب منكم إلى المعرض؟ من ذهب؟ خولة، ومن؟ مارية، ورحاب، ومنى، وأسماء، ومن؟ ريان، وصفية -ما شاء الله!- العدد هنا أكثر! وكذلك أحمد، ومكتوم، ومروان، والسَّرْحَنِي، وياسر، ومنصور في الوسط!
- رحت وما اشتريت شي!
- ولهذا أشار بيده هكذا في الوسط، لم يصل إلى هذا ولا إلى ذاك! هناك من ذهبوا إلى قرب المكان، ورجعوا من الزحام! ما شاء الله! وفد على المعرض مليون وستون ألف شخص! لابُدّ لهذه المشكلة من حل! لابُدّ لمشكلة الزحام من حل، لابُدّا! طيب، ماذا اشتريتم؟ ها، خولة، ماذا اشتريتِ من المعرض؟
- هذه الكتب كانت هدية منكم.
- أَشْتَرَيْتِهَا مرة أخرى!
- اشتريت العمدة لأنني أضعته.
- العمدة لابن رشيق؟ بتحقيق من؟ أتذكرين المحقق؟
- لا.
- حققه رجل مهم، حققه أولا عالم مصري كبير من علماء النصف الأول من القرن الميلادي العشرين، ثم حققه مرة أخرى الدكتور محمد الدالي، وهو عالم سوري مهم! طيب، ها، صفية، ما أهم ما اشتريت من المعرض؟ ألا تذكرين! ها! من ساوَمَ؟ من نجح في المساومات كما أوصيتكم؟ من؟ أوصيتكم، ها! قولي، قولي يا ريان، ماذا فعلتِ عند المساومة؟ قال لكِ: بمئة، فقلتِ: بخمسة؟
- ههه!
- ها! وتنجح المحاولات، تنجح، وأنجح الناس في المساومات النساء، حتى إن الرجل يكره نفسه، يتمنى لو كان ترابا! -"يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا"- قبل المساومة -ههه!- وللنساء قدرة على المساومة جبارة!
- وإذا كانت البائعة امرأة؟

- مشكلة، هذه مشكلة، امرأة لامرأة! "صَادَفَ دَرْءُ السَّيْلِ دَرْءًا يَصْدَعُهْ"! كما قال المثل القديم، أي قابلت ألعن منها!
-ههه!
- ها، من؟ سرحني، ماذا اشتريت؟
- كتاب في النحو، وكتاب...
- ما هذا الكتاب؟ لا يذكر، مسكين! مروان، ماذا اشتريت؟
- ما اشتريت شيئا.
- لكن ذهبت، حضرت الأمسيات والأصبوحات وكذا؟ ماذا حضرت؟
- اشترى زميلي، يا دكتور!
- أَنْ تكُونَ صَاحِبَ شَارِي كُتُبٍ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تكُونَ شَارِيَ كُتُبٍ!
- ههه!
- لتذهب هذه العبارة حكمة كالحكمة التي أذهبَها للدكتور محمود محمد الطناحي -رحمه الله، وطيب ثراه!- قال: "أَنْ تَكُونَ صَاحِبَ صَاحِبِ سَيَّارَةٍ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تكُونَ صَاحِبَ سَيَّارَةٍ"!
- ههه!
- نعم، تنتقل مجانًا! "أَنْ تَكُونَ صَاحِبَ صَاحِبِ سَيَّارَةٍ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تكُونَ صَاحِبَ سَيَّارَةٍ"، فقياسًا عليها: "أَنْ تكُونَ صَاحِبَ شَارِي كُتُبٍ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَكُونَ شَارِيَ كُتُبٍ"! قياس مع الفارق، مستحيل، أو ربما -والله!- ربما تستعيرها منه كلها فيما بعد، وتقرؤها، وتعيدها، كان الجاحظ يذهب إلى المكتبات -تمام؟- كمكتبة الضامري مثلًا، يقول: أجّر لي المكتبة اليوم أو ثلاثة أيام! ويُغْلي له الأُجْرَة، فيقرؤها كلها بالإيجار، ويذهب! بارك الله لك في مكتبتك! يقرؤها في ثلاثة أيام، كلها، ثم يتركه، ويذهب! هكذا كان يفعل هذا الشيطان الجاحظ! وأنا في المعرض أحيانا أقرأ الكتاب واقفا في المكان: مع السلامة، قرأناه، وانتهينا! وأنت واقف تقرأ الكتاب، وتذهب مرتاحا من دون أن تدفع أي شيء! كان نزار قباني -رحمه الله، أو فعل به ما شاء، كما يقول الأدباء!- يبيع كتبه غالية جدا! كانت له دار نشر اسمها "منشورات نزار قباني"، والكتاب صغير هكذا وغال جدا، كنت أقرؤه وأنا واقف: انتهينا، السلام عليكم! في الماجستير مثلا عثرت على

كتّاب: يا سلام! هذا هو! وَأنا وَاقِف انتهيت منه: السلام عليكم! مجّانًا، حيلة بالإضافة إلى حيلة المساومة! بارك الله فيكم! على أية حال، فتح لنا الكلامَ في ذلك كتّابُ "زهر الآداب"، وهو كتّاب رجل من هذه العائلة؛ ابن خال صاحب هذه القصيدة. "زهر الآداب" كتّاب في أربعة أجزاء، كتّاب مهم، كالعقد الفريد، العقد أفضل طبعًا وأشهر، لكنه كذلك مهم. وفي مقدمة تحقيق "زهر الآداب"، تكلّم المحقق عن هذا الرجل الشاعر قريب المؤلف، وأورد قصيدته ومعارضات لها كانت أول ما واجهني من معارضات هذه القصيدة. وهذا المحقق رجل معروف جدا، يُسمى الدكاترة زكي مبارك، "الدكاترة" لا الدكتور، "الدكاترة" لحصوله على أكثر من دكتوراة! هذه ظاهرة معروفة عندنا، يطلقون على الرجل "دكاترة" إذا كان قد حصل على أكثر من دكتوراة، كالدكاترة حامد ربيع مثلا، أستاذ السياسة، العبقري، الذي حصل على أكثر من دكتوراة! وعندكم ناس هنا من مثل هؤلاء، يحصلون على أكثر من رسالة. طيب! فالذي فتح باب الكلام عن كتب المعرض هو الحصري صاحب "زهر الآداب"، وكتّابه هذا مهم. نعود إلى قريبه صاحبنا هذا، فالقيرواني أي التونسي -القيروان: تونس، ونحن نفتخر ببلادنا كلها، وحينما كلمَنا بعض أفاضل إخواننا الجزائريين عن دورة الحضارة قلنا له: يا أخي، حضارتنا هذه واحدة، تشرق من هنا، ثم من هناك، ثم من هنالك، لكنها حضارة واحدة، لا عصبية هنا لبغداد ولا لدمشق ولا للقاهرة ولا لتونس ولا للجزائر ولا للخرطوم ولا لمسقط، لا، لا عصبية إلا لحضارتنا على وجه العموم، التي تشرق كل مدة من مكان، تشرق شمسها كل مدة من مكان، لظروف. طيب، ماذا يقول صاحبنا هذا؟

يَا لَيْلُ الصَّبُّ مَتَى غَدُهُ، لِلْحُصْرِيِّ الْقَيْرَوَانِيِّ، المتوفى عام ثمانية وثمانين وأربعمة الهجري.

١) "يَا لَيْلُ الصَّبُّ مَتَى غَدُهُ أَقِيَامُ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُ

٢) رَقَدَ السُّمَّارُ وَأَرَّقَهُ أَسَفٌ لِلْبَيْنِ يُرَدِّدُهُ

٣) فَبَكَاهُ النَّجْمُ وَرَقَّ لَهُ مِمَّا يَرْعَاهُ وَيَرْصُدُهُ

٤) كَلِفٌ بِغَزَالٍ ذِي هَيَفٍ خَوْفَ الْوَاشِينَ يُشَرِّدُهُ

٥) نَصَبَتْ عَيْنَايَ لَهُ شَرَكًا فِي النَّوْمِ فَعَزَّ تَصَيُّدُهُ

٦) وَكَفَى عَجَبًا أَنِّي قَنَصٌ لِلسِّرْبِ سَبَانِي أَغْيَدُهُ

٧) صَنَمٌ لِلفِتْنَة مُنْتَصِبٌ أَهْوَاهُ وَلَا أَتَعَبَّدُهُ
٨) صَاحٍ وَالْخَمْرُ جَنَى فَمِه سَكْرَانُ اللَّحْظ مُعَرْبِدُهُ
٩) يَنْضُو مِنْ مُقْلَتِه سَيْفًا وَكَأَنَّ نُعَاسًا يُغْمِدُهُ
١٠) فَيُرِيقُ دَمَ الْعُشَّاقِ بِه وَالْوَيْلُ لِمَنْ يَتَقَلَّدُهُ
١١) كَلَّا لَا ذَنْبَ لِمَنْ قَتَلَتْ عَيْنَاهُ وَلَمْ تَقْتُلْ يَدُهُ
١٢) يَا مَنْ جَحَدَتْ عَيْنَاهُ دَمِي وَعَلَى خَدَّيْهِ تَوَرُّدُهُ
١٣) خَدَّاكَ قَد اعْتَرَفَا بِدَمِي فَعَلَامَ جُفُونُكَ تَجْحَدُهُ
١٤) إِنِّي لَأُعِيذُكَ مِنْ قَتْلِي وَأَظُنُّكَ لَا تَتَعَمَّدُهُ
١٥) بِاللَّهِ هَبِ الْمُشْتَاقَ كَرًى فَلَعَلَّ خَيَالَكَ يُسْعِدُهُ
١٦) مَا ضَرَّكَ لَوْ دَاوَيْتَ ضَنَى صَبٍّ يُدْنِيكَ وَتُبْعِدُهُ
١٧) لَمْ يُبْقِ هَوَاكَ لَهُ رَمَقًا فَلْيَبْكِ عَلَيْه عُوَّدُهُ
١٨) وَغَدًا يَقْضِي أَوْ بَعْدَ غَدٍ هَلْ مِنْ نَظَرٍ يَتَزَوَّدُهُ
١٩) يَا أَهْلَ الشَّوْقِ لَنَا شَرَقٌ بِالدَّمْعِ يَفِيضُ مُوَرَّدُهُ
٢٠) يَهْوَى الْمُشْتَاقُ لِقَاءَكُمُ وَصُرُوفُ الدَّهْرِ تُبَعِّدُهُ
٢١) مَا أَحْلَى الْوَصْلَ وَأَعْذَبَهُ لَوْلَا الْأَيَّامُ تُنَكِّدُهُ
٢٢) بِالْبَيْنِ وَبِالْهِجْرَانِ فَيَا لِفُؤَادِي كَيْفَ تَجَلُّدُهُ"!

"يَا لَيْلُ الصَّبُّ مَتَى غَدُهُ"، من أخطاء الناس كما ذكرت لكم "يَا لَيْلَ الصَّبِّ"! خطأ طبعا، فهو يسأل الليل عن الصَّب، لا يسأل ليل الصب: يا ليلُ، الصبُّ متى غده، متى يأتي الغد؟ أما لهذا الليل من آخر -كما قال محمود درويش- أما لهذا الليل من آخر! "أَقِيَامُ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُ" -ومنه أخذ صاحب أغنية "في عشق البنات"، قوله: "أَجَلْ دَعْوَتِي لَمَّا الْقِيَامَة تَقُومْ"!- أما لهذا الليل من آخر! "رَقَدَ السُّمَّارُ"، مَن السُّمَّار؟

- الذين يتسامرون في الليل.
- ساهرو الليل، والكلمة أصلا من السمر، وهو ظل القمر -متى تخرجون إلى الرمال؟ إلى رمال وهيبة؟ متى يخرج أهل الشرقية للسمر في رمال وهيبة؟ في الليالي البيض التي يكون فيها للأشياء

في القمر ظل- فالسمر ظل القمر، يسمى الشخص من هنا سَامِرًا، وجمع "سَامِر" "سُمَّار"، لا كما قالت طالبة: مفرد "سُمَّار" "سَمِير"! لا، "سَمِير" لا تجمع على "سُمَّار"، تجمع على "سمَار"، وعلى "سُمَرَاء"، لكن "سُمَّار" جمع "سامِر"، كـ"رُكَّاب" جمع "راكِب"، وهكذا. "رَقَدَ السُّمَّارُ": رقدوا، حتى الساهرون رقدوا! "وَأَرَّقَهُ أَسَفٌ لِلْبَيْنِ يُرَدِّدُهُ"، أسف أي حَزَن، للفراق، "يُرَدِّدُهُ"، مَن الْمُرَدِّدُ؟ ومَا الْمُرَدَّدُ؟ أيردده الأسف بين رغبة في النوم ورغبة في الأرق؟ ما هذا! كلام عميق! مَن الْمُرَدِّدُ؟ ومَا الْمُرَدَّدُ؟ "فبكاه النجم"، النجم نفسه بكاه ورق له! لماذا؟ "مِمَّا يَرْعَاهُ وَيَرْصُدُهُ"، وما الذي يرعاه ويرصده؟ الغزال في البيت التالي. "كَلِفٌ بِغَزَالٍ ذِي هَيَفٍ خَوْفُ الْوَاشِينَ يُشَرِّدُهُ"، ما الهَيَف؟ طول في رشاقة. أي من خوفه أن يكون مرئيا يشرد من هنا إلى هنا فهنا، فلا يستطيع أن يمسك به. "نَصَبَتْ عَيْنَايَ لَهُ شَرَكًا فِي النَّوْمِ فَعَزَّ تَصَيُّدُهُ"، فكيف بي في الحقيقة! ها! أي لم أمسكه في الحلم، أفأمسكه في اليقظة! "نَصَبَتْ عَيْنَايَ لَهُ شَرَكًا"، ما الشرَك؟ الشرَك المصيَدة، الحِبَالَة، الأُحبولة، الشبكة كما تقولون. "وَكَفَى عَجَبًا أَنِّي قَنِصٌ لِلسِّرْبِ سَبَانِي أَغْيَدُهُ"، "قَنِصٌ"، مَن القنِص؟ الصياد هذا، القانص، هذه مبالغة في قانِص.

- صيغة مبالغة على وزن فَعِل.
- نعم، مثل حَذِر يَحْذَر فهو حاذِر والمبالغة حَذِر. "وَكَفَى عَجَبًا أَنِّي قَنِصٌ لِلسِّرْبِ سَبَانِي أَغْيَدُهُ"، "راح يصطاد صادوه"، كما تقولون في العمانية: صادوه، عندكم لعبة "صادوه"، كيف تقولون؟
- صادوه.
- صادوه، واسم البرنامج مأخوذ أصلا من اسم هذه اللعبة العمانية "صادوه"، يفعل كذا كذا، فيقولون له: "صادوه"، أي وقع في الفخ! ها! وصاحبنا هذا ذهب يصطاد فاصطيد -هكذا يقولون في العربية- ذَهَبَ يَصْطَادُ فَاصْطِيدَ. "صَنَمٌ لِلْفِتْنَةِ مُنْتَصِبٌ أَهْوَاهُ وَلَا أَتَعَبَّدُهُ"، هذا الغزال "صنمٌ للفتنة منتصبٌ"، يكفر -ها!- أوشك أن يكفر! "أَهْوَاهُ وَلَا أَتَعَبَّدُهُ"، رجع إلى إيمانه، الحمد لله، ما شاء الله، متدين، مطوّع، طيب، الحمد لله! "صَاحٍ وَالْخَمْرُ جَنَى فَمِهِ سَكْرَانُ اللَّحْظِ مُعَرْبِدُهُ"، صاحٍ هذا الغزال، صاحٍ سكران -ها!- فيه متناقضات! "يَنْضُو مِنْ مُقْلَتِهِ سَيْفًا وَكَأَنَّ نُعَاسًا يُغْمِدُهُ"، "ينضو من مقلته سيفا": ما معنى ينضو؟ يَشْهَر.
- يُشْهِر.

- يَشْهَر، لا يقال يُشْهِر، هي الشَّهْر، شَهَر سيفه. لا، لا تقل: أَشْهَرَ سَيْفَهُ، شَهَر سيفه -ها!- "يَنْضُو مِنْ مُقْلَتَه"، يعبرون عن أن العين في الأجفان كالسيف في الأغماد، "يَنْضُو مِنْ مُقْلَتَه سَيْفًا وَكَأَنَّ نُعَاسًا يُغْمِدُهُ": يعني إذا نَظَرَ شَهَرَ وإذا نامَ أَغْمَدَ. "فَيُرِيقُ دَمَ الْعُشَّاقِ بِهِ وَالْوَيْلُ لِمَنْ يَتَقَلَّدُهُ"، "فَيُرِيقُ دَمَ الْعُشَّاقِ بِهِ"، أي في الشارع طوال الطريق يقتل العشاق من عن يمين ويسار، ولا يبالي، "وَالْوَيْلُ لِمَنْ يَتَقَلَّدُهُ"، أي هذا الغزال محمي لا يستطيع أحد أن يقترب منه، محمي هذا، "وَالْوَيْلُ لِمَنْ يَتَقَلَّدُهُ"! "كَلَّا لَا ذَنْبَ لِمَنْ قَتَلَتْ عَيْنَاهُ وَلَمْ تَقْتُلْ يَدُهُ"، يدفع عنه: وما ذنبي أنا؟ هكذا خلقني ربي، فأنا أمشي في الطريق أقتل عباد الله المساكين دون قصد، فهل عليَّ من ذنب! ما لي أنا! هكذا خلقني ربي -سبحانه!- فتنة للناظرين، فعليهم أن يغضوا أبصارهم -ها!- أم ماذا؟ أنتحر! عليهم أن يغضوا أبصارهم! ما شاء الله! فتوى فقهية! وهي واردة، كلما جاء هذا البيت تذكرت حدثا حدث لأمي حينما خرجت إلى السوق القريبة من البيت -وكانت تسمى "سوق المُكَسَّحين"، لأن السوق في العادة تبدأ مبكرًا، أما هذه فتبدأ متأخرًا وتنتهي متأخرًا جدًّا! تذهب إليها الظهر مثلًا، وأنا كنت أذهب إلى هذه السوق بعد صلاة الظهر، كانت تنفعنا بتأخرها، ها! هذه الأسواق في القديم كانت تبدأ بعد الفجر، وتستمر إلى الضحى، وتنتهي، والسلام عليكم! هكذا كانت أسواقنا، ثم صارت تبدأ من الضحى لا من الفجر، وهكذا وهكذا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!- فذهبت تشتري، فوجدت بائعة تُطلِع صاحبتها على عِقد عُرسها، عروس جديدة -ما شاء الله!- تطلع صاحبتها البائعة على عقدها: جميل! فانقطع في اللحظة إلى قِطَع، انفرط -ها!- فأمسكت بها: حسدتِني! طيب! تخيل أنهما ذهبا إلى القاضي، إلى قاضي السوق -ههه!- فكيف سيفتي في هذه المشكلة؟ كيف سيفتي؟ أين الدليل؟ "حسدَتْنِي"؟ أين الدليل؟ هل من جهاز لكشف الحسد!

- ههه، لا!

- سمعنا عن جهاز كشف الكذب مثلا، لكن لم نسمع عن جهاز كشف الحسد! هذا يحتاج إلى أشعة ليزر! لعله يكون، إن شاء الله! "كَلَّا لَا ذَنْبَ لِمَنْ قَتَلَتْ عَيْنَاهُ وَلَمْ تَقْتُلْ يَدُهُ"، هذه الفتوى التي استفزتنا إلى حكاية الحكاية! "يَا مَنْ جَحَدَتْ عَيْنَاهُ دَمِي وَعَلَى خَدَّيْهِ تَوَرُّدُهُ"، "يَا مَنْ جَحَدَتْ عَيْنَاهُ دَمِي"، قتلتِني وأَنْكَرَت، "وَعَلَى خَدَّيْهِ تَوَرُّدُهُ": انظروا إلى اللعب بالجماليات! تستطيعون أن تقولوا: إنه لم يستحدث في الجماليات جديدا، لكنه كان ظريفا جدا في إدارتها، كان ظريفا جدا

في سياستها! لم يبتكر ملمحا جماليا جديدا عند التدقيق؛ فالجماليات هي هي؛ هكذا كانوا يحبون، هكذا كانوا يتغزلون، لكنه طوَّر الطريقة، طوَّرها إلى مستوى من الظَّرف بعيد جدا، إضافةً إلى هذا الوزن الذي سنتناوله بعد قليل. "وَعَلَى خَدَّيْهِ تَوَرُّدُهُ"، يشهد على كذبه! "خَدَّاكَ قَدِ اعْتَرَفَا بِدَمِي فَعَلَامَ جُفُونُكَ تَجْحَدُهُ"، خداك أنفسهما دليلي، قد اعترفا بدمي، فعليهما دمي! "فَعَلَامَ جُفُونُكَ تَجْحَدُهُ"، لأنها تنكسر هكذا عند النعاس، وتُعرض، وتنكر! "إِنِّي لَأُعِيذُكَ مِنْ قَتْلِي وَأَظُنُّكَ لَا تَتَعَمَّدُهُ"، أربأ بك عن أن تكون قتلتَني -ها!- أعيذك من قتلي، "وَأَظُنُّكَ لَا تَتَعَمَّدُهُ"، هل رأيتم قتيلا يجتهد في تبريء القاتل قبل هذا القتيل -ها!- هل سمعتم بقتيل يجتهد في تبريء القاتل قبل هذا القتيل! "بِاللَّهِ هَبِ الْمُشْتَاقَ كَرًى فَلَعَلَّ خَيَالَكَ يُسْعِدُهُ"، "بِاللَّهِ هَبِ الْمُشْتَاقَ كَرًى" نوما، "فَلَعَلَّ خَيَالَكَ يُسْعِدُهُ"، "يسعده" فهمها بعضكم على أنها من السعادة، وهي ربما كانت من الإسعاد بمعنى الإعانة، يأتيني، ويأخذني من هذا الأرق، وأنام. الإسعاد في العربية الإعانة، وهو من الساعد، في الذراع ساعدان، أعلى وأسفل -ها!- فمن هنا جاء الإسعاد بمعنى المعاونة. "مَا ضَرَّكَ لَوْ دَاوَيْتَ ضَنَى صَبٍّ يُدْنِيكَ وَتُبْعِدُهُ"، "لَمْ يُبْقِ هَوَاكَ لَهُ رَمَقًا فَلْيَبْكِ عَلَيْهِ عُوَّدُهُ"، ما الرمق؟ بَقِيَّةُ النَّفْس؛ حينما يُقتل القتيل يظل مدّة قبل أن تهمد جثته. كم هذه المدّة؟ تتفاوت الحيوانات في هذا -والإنسان داخل فيها طبعا- ويضربون المثل بأحد الحيوانات، أنه أطول الحيوان ذَماءً كما يقولون -والذَّماء بقية الحركة- ها، ما هذا الحيوان؟ الضَّبّ، قالوا: يذبح اليوم مثلا، وبعد أسبوع تجده يتحرك -ههه!- تأتي لتطبخه، فتجده يتحرك! متى يهمد هذا! والضب هو حكيم الحيوان، في أساطير العرب أن الضب هو الحكيم، ويسمى أبا الحِسْل، يُكنى أبا الحِسْل، ابنه الحِسْل، يا أبا الحسل: كذا كذا جئناك نختصم إليك...- "فَلْيَبْكِ عَلَيْهِ عُوَّدُهُ"، عُوَّد جمع أم مفرد؟ جمع؛ فما مُفرده؟ مُفرَد، فما جمعه؟ لا مهرب!

- عائد.
- عائد، ومن العائد؟ الزائر في المرض- "فَلْيَبْكِ عَلَيْهِ عُوَّدُهُ"، جاءوا يعودونه فوجدوه قد مات -ولا حول ولا قوة إلا بالله!- أو وجدوه في الرمق الأخير! "وَغَدًا يَقْضِي أَوْ بَعْدَ غَدٍ هَلْ مِنْ نَظَرٍ يَتَزَوَّدُهُ"، "وَغَدًا يَقْضِي"، ما معنى يقضي؟ يموت تماما، يقضي نَحْبَهُ -وإن لم يذكر "نَحْبَهُ"!- "وَغَدًا يَقْضِي"، فهو في الرمق الأخير، "هَلْ مِنْ نَظَرٍ يَتَزَوَّدُهُ": يتزوده! لأي شيء يتزوده! يحمله معه إلى

الموقف العظيم! إلى يوم البعث والنشور -ها!- يأخذه معه إلى قبره! لا حول ولا قوة إلا بالله! وهنا أتذكر أغنية شعبية اسمها "شَحّات الغَرام" - الشحات (الشحّاذ) الطَّلّاب عندكم، وهذا هنا مُتسوّل غرام، يشحَذ غراما- الحسناء في الشرفة، وحبيبها في الشارع، يشحذ -أليس طَلَّابًا!- يقول بالعامية المصرية: "شَحّاتْ وَمَدّ إِيديهْ وَكَسْرِ خَاطْرُو حَرَامْ"، فتجيبه: "حَدَفُو الْهَوَى هِنا لِيه"؟ فيقول: "طَالِبْ تِحِنّو عَلِيه، يا مُحسنِينِ الغَرام! فتقول له: وِنِحِنّ قُولْ لِي بِإِيهْ"، فيقول: "اِرْمُوا لُو نَظْرَة -تذكروا: "هَلْ مِنْ نَظَرٍ"، الفكرة نفسها!- أَوِ ابْتِسَامَةْ، حَسَنَةْ وِتِنْفَعْ يُومِ القِيامَةْ" -ها!- هذا الكلام طبعا شديد، نتفكه به ولا نتجاوز حد التفكه، لأنه شديد يوشك أن يهلك الناس، نتفكه به، وهكذا كان أهلنا وقدماؤنا يتفكهون بمثل هذه السخافات، ولا يتجاوزون حد التَّفَكُّه: انظروا كيف قال، انظروا كيف قال -يتفكَّهون!-: "هَلْ مِنْ نَظَرٍ يَتَزَوَّدُهُ"، من مات على شيء بُعِث عليه!

- نعم.
- فنسأل الله ألا نموت إلا على خير حتى نبعث عليه! "يَا أَهْلَ الشَّوْقِ لَنَا شَرَقٌ بِالدَّمْعِ يَفِيضُ مُوَرَّدُهُ"، ما الشَّرَق -شَرِقْتُ بدمعي- ما الشَّرَق؟ الْغُصَّة. "يَا أَهْلَ الشَّوْقِ"، انظروا إلى اللعب بالكلام، "شوق" و"شَرَق"، "شوق" و"شَرَق"، وهما في الكتابة قريب من قريب، بديع هذا بديع، من فن بديعي يسمى جناس التصحيف، لكنه لم يكثر منه، "يَفِيضُ مُوَرَّدُهُ"، ما المورَّد؟ الدمع المورَّد، ما الدمع المورَّد؟ ها، نعم!
- وُرِّدَ من الحزن.
- ما معنى وُرِّد من الحزن؟ ها! هي من الوَرْد، لكنه لا يريد الورد، هو مُوَرَّد، لا، مُدَمًّى، يبكي دمًا، الدم طبعا والورد قريب من قريب، فأراد ببكائه دمعًا موردًا دمعًا مُدَمًّى، يبكي دمًا! أنا أبكي دمًا يفيض حتى أشربه، تأملوا: يبكي، يبكي حتى يَدخل الدمع المدمّى فمه، ويملأه، ويشرقَ به! إلى هذا الحد! "يَهْوَى الْمُشْتَاقُ لِقَاءَكُمُ وَصُرُوفُ الدَّهْرِ تُبَعِّدُهُ"، تأملوا: "لِقَاءَكُمُ"، لو قلتم "لِقَاءَكُمْ"، لكسرتم الوزن! وهذا الضَّمُّ الْمُشْبَعُ عربي، لم يخترعه الشاعر، بل قرئ به القرآن الكريم، في سورة الفاتحة مثلا: "عليهِمْ" في بعض القراءات "عليهِمُ"...
- قراءة ابن كثير.
- أحسنت! معنا لَيْثٌ، فكيف نتكلم؟ تفضل!

- هذه قراءة ابن كثير بروايتَي البَزّي وقُنْبل.
- اللّٰه اللّٰه!
- وكذلك في وَرْش تضم الميم إذا كانت بعدها همزة.
- اللّٰه اللّٰه، يا سلام، شيء جميل أن يكون معنا ليث، بارك اللّٰه فيك!
- آمين!
- "عليهِمُ" -ها!- فالرجل لم يرتكب إثمًا، بل فعل مثلما يفعل بعض العرب في بعض الكلام، استفاد منهم، استفاد من هذا الملمح، كما ستستفيدون في الاختبار -إن شاء اللّٰه!- ستحتاجون في الاختبار إلى القراءات كلّها -إن شاء اللّٰه!- وطبعا سيكون لَيْث مرجعا عندئذ! ها، ماذا قلنا؟ "يَهْوَى الْمُشْتَاقُ لِقَاءَكُمُ"، لكن لو قلنا "يَهْوَى الْمُشْتَاقُ لِقَاءَكُمْ وَصُرُوفُ الدَّهْرِ" انكسر، فعندنا حل موجود، وهو عربي مبين، قرئ به القرآن الكريم، وإذا قرئ القرآن بشيء فهو فصيح عالي الفصاحة، لا يمكن أحدًا أن يتهمه بأنه ضرورة، مستحيل، إلا إذا كان ملمحا جماليا في القرآن في الفواصل المتناسبة؛ ففيها يحدث من البديع مثل ما يحدث في الشعر، كما قال ربنا مثلا: "سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا"، "سَلَاسِلًا" مصروفة في بعض القراءات...
- سلاسلَ!
- لحظة، لحظة، ليث، ألا يقال في بعض القراءات: "سلاسلًا وأغلالًا وسعيرا"؟ تَذَكَّرْ، تَذَكَّرْ، لا تخطئ -ها!- وهناك موضع آخر!
- سلاسلَ.
- "سلاسلَ" هذه نعرفها.
- لكن لا، لا، لا أعرف أنه قد...
- لحظة لحظة -طيب!- في قواريرَ؟
- "قَوَارِيرَا، قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ"؟
- الأولى نقف، والثانية لا نقف.
- لحظة لحظة، أحسنت أحسنت، الوقوف على "قَوَارِيرَا".
- نعم.

- هذا الوقوف ما معناه؟ المفروض -إذا كان ممنوعا من الصرف- أن نقول: "قَوَارِيرْ"، لا أن نقول: "قَوَارِيرَا"، لا تُقال "قَوَارِيرًا" إلا إذا كانت الكلمة مُنَوَّنَة، معنى هذا أنه صَرَفَ الممنوع من الصرف.

- نعم.

- أرأيت؟

- هذا في سبعة مواضع في القرآن.

- ها، قُلْ!

- في سورة الأحزاب ثلاث آيات.

- ماذا قال؟

- "الظنونا".

- كيف نسينا "الظنونا"! ها، "وَتَظُنُّونَ بِاللّٰهِ الظُّنُونَا"، المفروض في العادة "وَتَظُنُّونَ بِاللّٰهِ الظُّنُونَ".

- هذه تقف عليها، عندما تقف تقف بالألف، عندما تصلها تصلها بالفتح.

- صحيح، صحيح.

- وكذلك قوله: "الرَّسُولَا".

- و"الرسولا".

- "أَطَعْنَا اللّٰهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا".

- أحسنت أحسنت، هذا هو، هذا الذي أقصد، فهناك في القرآن ملامح بديعية مثل التي في الشعر، ملامح بديعية مثل التي في الشعر، كيف نتكلم عنها؟ كيف نقول؟ نقول: هذا من تناسب الفواصل، وعندكم كتب في هذا المعنى: "تناسب الفواصل". نعود "يَهْوَى...

- دكتور.

- نعم.

- الشعر أكثر من أن يكون الضرورة الشعرية...

- كلمة ضرورة لا تليق بالشعراء الكبار، ولا يجوز أن تُذْكَر في القرآن الكريم، أنا أُعَلِّمُكُمْ أصلاً...

- في الشعر.

- أنا أُعَلِّمُكُمْ في الشعر ألا تفهموا من كلمة "ضرورة" ما يُفهم منها خطأ أن الشاعر مضطر، ما أكثر ما قلت لك: يسمونها الضرورة، وأحسنُ من هذا الاسم أن تسمى "لغة الشعر"، لأن الشاعر الكبير غير مضطر، ما الذي اضطره؟ يمكنه أن يحذف هذا، لكنه أراده، قصده، هو يريد هذا، فلماذا يريده؟ لأثر فني، هذا هو. وعندكم في المكتبة كتاب اسمه "لغة الشعر دراسة في الضرورة الشعرية"، كتاب ضخم هكذا، يقول فيها صاحب الكتاب: الأفضل أن تسمى لغة الشعر. هي طبعًا مصطلحها الضرورة -هذا معروف على مدار التاريخ- لكن أحيانًا يَفهم منها الشخصُ خطأ أن الشاعر مضطر -أي لا حيلة له- والشاعر الكبير يستطيع أن يحذف البيت أصلًا كما نصحه أبو العلاء: احذف ما يضرك من الأبيات فعندك غيره! طيب، أما هذا فليس منه، هذا الذي نحن فيه ليس منه أصلا. "يَهْوَى الْمُشْتَاقُ لِقَاءَكُمُ" هذا قُرئ به القرآن، وهو من لهجات العرب. "وَصُرُوفُ الدَّهْرِ تُبَعِّدُهُ": ما الصروف؟ المصائب. "مَا أَحْلَى الْوَصْلَ وَأَعْذَبَهُ لَوْلَا الْأَيَّامُ تُنَكِّدُهُ"، "مَا أَحْلَى الْوَصْلَ وَأَعْذَبَهُ"، يهدأ في آخر القصيدة، يختم ختاما هادئا. "لَوْلَا الْأَيَّامُ تُنَكِّدُهُ"، بم تُنكّده؟ بالبَيْنِ، وبالهِجْرَانِ، ما فرق ما بين البين والهجران؟ أهما واحد؟ ها! لا طبعا، في كل منهم انقطاع، لكن في البين انقطاع بالسفر، بالرحلة، وفي الهجران دون سفر، انقطاع في الحضور، البين انقطاع في الغياب، والهجران انقطاع في الحضور، بم تُنَكِّدُهُ؟ بالبين...

- وبالهِجران.

- بالبين وبالهِجْران، قال بعضكم: "الهُجران"! و"الهُجْران" مثنى هُجْر، والهُجْر: القبيح من الكلام! خطأ، والصواب: هِجران، هِجْران. كذلك من أخطائكم وأخطاء الناس عموما "فُقْدان"، خطأ، والصواب: "فِقدان"، فـ"فُقْدان"، مثنى "فُقد"، وليس في العربية "فُقْد" هذه! فالكلمة "فِقْدان" لا "فُقْدان" -ها!- و"هِجْران" لا "هُجْران". "فَيَا لَفُؤَادِي" ما هذا الأسلوب؟ يتعجّب كيف تجلّده، كيف مع البين والهجران يتجلّد! سبحان الله! سبحان من صبَّر الإنسان! **قد ضبطناها في علم اللغة كل ضبط، فمن يستطيع أن يقرأها في منافسة دون خطأ، بخمس درجات إذا أصاب، وبِطَرد إذا أخطأ؟ من يقدر؟** ها! طَرَدْنَا مَنْ شاء الله أن نَطْرُد المحاضرات السابقة، فلعلنا هذا اليوم نحظى ببعض المتقنين، ها، ليث!

- نعم.

- مستغنٍ عن المحاضرة؟ أإلى هذا الحد تستغني عن المحاضرة؟
- بإذن الحق -سبحانه، وتعالى!- بتوكلي على الله سأجتازه بإذن الله!
- والله يحب المتوكلين!
- الله يحب المتوكلين.
- ها -"إنَّ الأمَانيَّ غرَرٌ"!- تفضل!
- "يَا لَيْلُ الصَّبُّ متى غدُهُ أقِيامُ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُ

رَقَدَ السُّمَّارُ وَأَرَّقَهُ أسَفٌ لِلْبَيْنِ يُرَدِّدُهُ
فَبَكَاهُ النَّجْمُ وَرَقَّ لَهُ مِمَّا يَرْعَاهُ وَيَرْصُدُهُ
كَلِفٌ بِغَزَالٍ ذِي هَيَفٍ خَوْفُ الْوَاشِينَ يُشَرِّدُهُ
نَصَبَتْ عَيْنَايَ لَهُ شَرَكًا فِي النَّوْمِ فَعَزَّ تَصَيُّدُهُ
وَكَفَى عَجَبًا أَنِّي قَنَصٌ لِلسِّرْبِ سَبَانِي أَغْيَدُهُ
صَنَمٌ لِلْفِتْنَةِ مُنْتَصِبٌ أَهْوَاهُ وَلَا أَتَعَبَّدُهُ
صَاحٍ وَالْخَمْرُ جَنَى فَمِهِ سَكْرَانُ اللَّحْظِ مُعَرْبِدُهُ
يَنْضُو مِنْ مُقْلَتِهِ سَيْفًا وَكَأَنَّ نُعَاسًا يُغْمِدُهُ
فَيُرِيقُ دَمَ الْعُشَّاقِ بِهِ وَالْوَيْلُ لِمَنْ يَتَقَلَّدُهُ
كَلَّا لَا ذَنْبَ لِمَنْ قَتَلَتْ عَيْنَاهُ وَلَمْ تَقْتُلْ يَدُهُ
يَا مَنْ جَحَدَتْ عَيْنَاهُ دَمِي وَعَلَى خَدَّيْهِ تَوَرُّدُهُ
خَدَّاكَ قَدِ اعْتَرَفَا بِدَمِي فَعَلَامَ جُفُونُكَ تَجْحَدُهُ
إِنِّي لَأُعِيذُكَ مِنْ قَتْلِي وَأَظُنُّكَ لَا تَتَعَمَّدُهُ
بِاللَّهِ هَبِ الْمُشْتَاقَ كَرًى فَلَعَلَّ خَيَالَكَ يُسْعِدُهُ
مَا ضَرَّكَ لَوْ دَاوَيْتَ ضَنًى

- مع السلامة، ضَنَى صبٍّ، مع السلامة، مع السلامة، مُدهِش! ليث مُدْهِش! وسيكمل إدهاشه في الخارج!
- ههه!

- مع السلامة، لا، لا عذر، ليث ليس بالذي يُعتَذَّر عنه، ها، مع السلامة!
- لا حول ولا قوة إلا بالله!
- ههه!
- أحسنت يا ليث! أحسنت، لا عذر، مع السلامة، ها، من يكمل؟ من؟ ريان، أرأيتِ المستوى؟ وسيخرج! مع السلامة -ها!- ليث، مع السلامة! ليث هذا أقوى من الحاضرين، فينبغي أن يعاقَب ضعف العقاب!
- لكن دكتور...
- لا، يقرأ على قراءة حفص!
- ههه!
- أنا تدربت عليها "ضنًى" يعني طول الوقت.
- من الذي درَّبك؟ قاتله الله!
- أنا بنفسي.
- أحسنت، يا ليث لو كانت "ضنًى" لوضعنا فتحتين على النون، ها؟
- لم أنتبه لها.
- ثم لنفترض أنها "ضنًى"، ما سبب كسر "صبِّ" هذه؟ ها! لنفترض أنها "ضنًى"، تقول: "داويت ضنًى صبٍّ"! معقول هذا الكلام! كيف كنتَ ستقول -يا ربي، هذا شيء مثير فعلا، ليتني صبرت عليه حتى أعرف!- كيف كنت ستقول؟ صَبًّا، صَبٍّ، صَبُّ، كيف كنت ستنطقها -ها!- كيف كنت ستنطقها؟ تقول "صبٍّ" -"ما ضرك لو داويت ضنًى صبٍّ"- ولا في الهندية! مع السلامة، تفضل، تفضل!
- ريان، أكملي!
- أكمل؟
- أكملي!
- بسم الله...
- أعيدي هذا البيت، وأكملي، أعيدي السادس عشر، ثم أكملي إلى الثاني والعشرين.

- مَا ضَرَّكَ لَوْ دَاوَيْتَ ضَنَى صَبّ يُدْنيك وَتُبْعِدُهُ
لَمْ يبقِ هواكَ لَهُ رَمَقًا فلْيَبكِ عليهِ عُوَّدُهُ
وَغَدًا يمْضِي
- يمضي! امضي مع السلامة، يمضي! ما شاء الله! "وَغَدًا يَقْضِي"، منتهى التحقيق! ها، مع السلامة! ليث، إما أن تخرج، وإما أن أحذف خمس درجات!
- دكتور لكن...
- إذن نحذف خمس درجات.
- لا حول ولا قوة إلا بالله!
- ريان، تخرجين أو أحذف خمس درجات؟
- سأخرج.
- تفضلي!
- ليث!
- لا تقدر تضحّي بالدرس، صعب، صعب!
- الله عليك! الله عليك! هذا كلام الكبار هذا! هذا كلام طلاب العلم.
- لا أستطيع التضحية.
- ما شاء الله، ما شاء الله! هذا الكلام قالته من قبلُ زينبُ الخاطرية، قبِلت أن تخسر خمس درجات ولا تخرج! زينب فقط، وأحمد الناصري خسر عشر درجات وصمم على الجلوس، هذا موقف طلاب العلم. ليـث ناقص خمس درجات، وبالله التوفيق! طيب، ماذا بقي؟ ماذا بقي؟ لا، لا، هذا يُعلّمه التحقيق، ليكون في المرة القادمة أفضل. طردنا أسماء مرة، فجاءت مِن التي بعدها شيطانة من الشيطانات، ها! هكذا يتعلم الواحد. طيب، إلى أين وصلنا؟ أكملي يا ابنتي -ها!- ما اسمك؟
- ليلى.
- ليلى، ها، أعيدي "وَغَدًا...
- وَغَدًا يَقْضِي أَوْ بَعْدَ غَدٍ هَلْ مِنْ نَظَرٍ يَتَزَوَّدُهُ

يَا أَهْلَ الشَّوْقِ لَنَا شَرَقٌ بِالدَّمْعِ يَفِيضُ مُورِدُهُ
يَهْوَى الْمُشْتَاقُ لِقَاءَكُمُ وَصُرُوفُ الدَّهْرِ تُبَعِّدُهُ
مَا أَحْلَى الْوَصْلَ وَأَعْذَبَهُ لَوْلَا الْأَيَّامُ تُنَكِّدُهُ
بِالْبَيْنِ وَبِالْهِجْرَانِ فَيَا لَفُؤَادِي كَيْفَ تَجَلُّدُهُ"!

- أحسنتِ يا ليلى! بارك الله فيك! ها، تريدين أن تنافسي على الدرجات؟ أكملي من الأول، إلى حيث وقفت -ها!- حقها، سنعطيها حقها، ها! يبدو أنها عندها شغل في الخارج، ها!
- يَا لَيْلُ الصَّبُّ...
- لحظة، إلى كم استمعنا؟ إلى ليث وريان وهذه ليلى، ثلاثة ثم نعود إلى المجانية، ها!
- "يَا لَيْلُ الصَّبُّ مَتَى غَدُهُ أَقِيَامُ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُ

رَقَدَ السُّمَّارُ وَأَرَّقَهُ أَسَفٌ لِلْبَيْنِ يُرَدِّدُهُ
فَبَكَاهُ النَّجْمُ وَرَقَّ لَهُ مِمَّا يَرْعَاهُ وَيَرْصُدُهُ
كَلِفٌ بِغَزَالٍ ذِي هَيَفٍ خَوْفُ الْوَاشِينَ يُشَرِّدُهُ

- أعيدي، كَلِفٌ..
- كَلِفٌ بِغَزَالٍ ذِي هَيَفٍ خَوْفُ الْوَاشِينَ يُشَرِّدُهُ

نَصَبَتْ عَيْنَايَ لَهُ شَرَكًا فِي النَّوْمِ فَعَزَّ تَصَيُّدُهُ
وَكَفَى عَجَبًا أَنِّي قَنَصٌ لِلسِّرْبِ سَبَانِي أَغْيَدُهُ
صَنَمٌ لِلْفِتْنَةِ مُنْتَصِبٌ أَهْوَاهُ وَلَا أَتَعَبَّدُهُ
صَاحٍ وَالْخَمْرُ جَنَى فَمِهِ سَكْرَانُ اللَّحْظِ مُعَرْبِدُهُ
يَنْضُو مِنْ مُقْلَتِهِ سَيْفًا وَكَأَنَّ نُعَاسًا يُغْمِدُهُ
فَيُرِيقُ دَمَ الْعُشَّاقِ بِهِ وَالْوَيْلُ لِمَنْ يَتَقَلَّدُهُ
كَلَّا لَا ذَنْبَ لِمَنْ قَتَلَتْ عَيْنَاهُ وَلَمْ تَقْتُلْ يَدُهُ
يَا مَنْ جَحَدَتْ عَيْنَاهُ دَمِي وَعَلَى خَدَّيْهِ تَوَرُّدُهُ
خَدَّاكَ قَدِ اعْتَرَفَا بِدَمِي فَعَلَامَ جُفُونُكَ...

- جُفُونَكَ! مع السلامة! وانتهت المنافسة، الحمد لله الذي وفقنا إلى طرد ثلاثة! الحمد لله! اليوم استمتعنا! أمس استطاعت ميسون أن تقرأ من غير خطأ، وحصلت على خمس درجات. وأولَ من أمس استطاع مصعب أن يقرأ من غير خطأ ويحصل على خمس درجات. واليوم تفضل الله علينا بطرد ثلاثة، إلا أن واحدا آثر أن يجلس على الخسارة! ها، اختاري، اختاري الحب أو اللَّاحُب!
- أخرج.
- ماذا قال نزار؟ "إِنِّي خَيَّرْتُكِ فَاخْتَارِي"، ها!
- ما بين الـ...
- "مَا بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ" -لا أريد أن أذكر الأشياء الأخرى- ما بين الجنة والنار، ها!
- أخرج؟
- تفضلي، طبعا خمس درجات ما شُوَيَّة، تُخرج الميت من الحي بالحذف، وتُخرج الحي من الميت بالإضافة! طيب، الحمد لله! استمتعنا فعلا، هذه المنافسة فعلا مثيرة، أعرف أنكم تنتظرونها كل مرة: ها من الذي طُرِد؟ مَن الذي أخذ؟ من الذي فقد، شيء بديع مثير جدا! <u>**نكتب الآن بيتين من أول القصيدة، لأنني أرى أنها ستجري على ما جرت عليه في مطلعها، فلا حرج، لا قلق.**</u>

<u>**بسم الله!**</u>

يا ليل الصب متى غده أقيام الساعة موعده

رقد السمار وأرقه أسف للبين يردده

كتبنا، فهل من خطأ، بغض النظر عن فساد الخط؟ طيب! نُشَكِّل، نتقرب إلى الله بحسن الإملاء والتشكيل، نشكل في أثناء النطق لكيلا نُرَحِّلَ الحركات:

يَا لَيْلُ الصَّبُّ مَتَى غَدُهُ أَقِيَامُ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُ

يا أخي تَعلَّمْ!

رَقَدَ السُّمَّارُ وَأَرَّقَهُ أَسَفٌ لِلْبَيْنِ يُرَدِّدُهُ

طيب! ولحنها جميل، لحنها جميل، تعرفون أنها غنتها فيروز، أما معارضتها "مُضْنَاكَ جَفَاهُ مَرْقَدُهُ" فغناها محمد عبد الوهاب أستاذ الطائفة، ويسمى الدكتور، الدكتور محمد عبد الوهاب، منح الدكتوراة الفخرية، نعم؟

- عندي سؤال: ماذا عن "أسِفٌ"، ما هو الأصح في اسم الفاعل، أَسِف أم آسِف؟
- أَسِفَ، يَأْسَف، أَسَفًا، تقصد التوقف في آسِف؟
- نعم.
- آه، ننظر فيها، إن شاء الله! ماذا قال ربنا؟
- "فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا".
- نعم، وفي قراءات أخرى؟ ليث، هل قُرِئَتْ "أَسِفًا"، "آسِفًا"؟
- لا أعتقد، لا، لا أعلم.
- هذا إذن يؤكد أنها من نصيب الصفة المشبهة (حَزِن - يَحْزَن)، وهذا الأولى في الحقيقة، سامي مشغول دائمًا -وهذه مَشْغَلَةٌ طيبةٌ جدا- بتدقيق الأبنية، وهو كثير الاطلاع على كتب الأخطاء الشائعة، فالتقطها الآن؛ يقول الناس في كلامهم: "أنا آسِف"، و"نحن آسِفُون"، والمفروض على حسب تنبيهه، أن نقول: "أنا أَسِفٌ"، و"نحن أَسِفُون"، من "أَسِفَ، يَأْسَف أَسَفًا"؛ فهو "أَسِف" مثل حَزِنَ يَحْزَن حَزَنًا؛ فهو حَزِين، هذا حَزِين، وذاك أَسِف، وعندنا "أَسِيف" كذلك، فإذن أظن أن هذه هي، ماذا عندك فيها؟ قل، ماذا قرأت لصاحبنا؟
- قرأت أنه يمكن على أساس أن يكون اسم الفاعل من "أَسِفَ" .
- لا، ماذا قال في المروي عن العرب، ها، ماذا قالوا؟
- قالوا: أَسِفٌ.
- "أَسِف"، لكنه يحاول أن يُسَوِّغ كلمة "آسِف". عندنا -يا جماعة!- طريقة في تسويغ الشائع، حينما يجدون الكلمة قد شاعت يلتمسون لها العذر، وهذه طريقة كتبتُ عنها من قبل فجعلتها وجهًا من الفسوق اللغوي، أن تُسَوِّغَ الوجه لشهرته، يوشك هذا أن يخرجنا من أقطار السماوات والأرض، أن يخلعنا من العروبة، كلما شاع خطأ، وعندهم في هذا مثل يقولونه، يقولون: "خَطَأٌ شَائِعٌ خَيْرٌ مِنْ صَوَابٍ مَهْجُورٍ"، هذا قطعًا نمط من الفسوق اللغوي! كيف هذا! ألأنه شائع مشهور نقبله ونروِّج له، ومع الأسف تجري مجامعنا هذا المجرى! أكثر أعمالها تسويغ الشائع -مهما كان خطأ!-

وأنا لا أفعل هذا طبعا، بل أحقق وأدقق وأجتهد، وكلما عرفت شيئا التزمته حفاظا على وجه العربية الناصع. بارك الله فيك، يا سامي! ها، فانتبهوا إلى هذا اللحن[1]، ها، فلنغن البيتين!

يَا لَيْـ= دن دن

ـلُ الصَّبْـ= دن دن

ـبُ مَتَى= دددن

غَدُهُ= دددن

أَقِيَا= دددن

مُ السَّا= دن دن

عَةِ مَوْ= دددن

عِدُهُ= دددن

رَقَدَ السْـ= دددن

ـسُمَّا= دن دن

رُ وَأَرْ= دددن

رَقَهُ= دددن

أَسَفٌ= دددن

لِلْبَيْـ= دن دن

ـنِ يُرَدْ= دددن

دِدُهُ= دددن

ثم نُنْزِلُ هذا على الصفحة:

يَا لَيْـ| ـلُ الصَّبْـ| ـبُ مَتَى| غَدُهُ| أَقِيَا| مُ السَّا| عَةِ مَوْ| عِدُهُ

نستعمل الأحمر أحسن، نغير الألوان هذا أفضل، وأستطيع أن أوفق بين الدندنة والنفَس بغير ضرب هكذا هكذا، كأنني أتنفس بقلمي كذلك:

رَقَدَ السْـ| ـسُمَّا| رُ وَأَرْ| رَقَهُ| أَسَفٌ| لِلْبَيْـ| ـنِ يُرَدْ| دِدُهُ

(١) وقد تبين لي بعد ذلك أن الآسِف في العربية من قديم، مع الأسِف والأسيف والأسوف والأَسْفان.

طيب! نضيف التفعيلات:

يَا لَيْـ	ـلُ الصَّبْـ	ـبُ مَتَى	غَدُهُ	أَقِيَا	مُ السَّا	عَةِ مَوْ	عِدُهُ
دن دن	دن دن	دددن	دددن	دددن	دن دن	دددن	دددن
فاعلْ	فاعلْ	فعِلن	فعِلن	فعِلن	فاعلْ	فعِلن	فعِلن
مقطوعة	مقطوعة	مخبونة	مخبونة	مخبونة	مقطوعة	مخبونة	مخبونة

والآن يسرني أن أقدم لكم بحر المتدارَك بفتح الراء، والبيت منه "فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ"، مرتين، على طريقة الخليل في الاكتفاء بنصف البيت في الدائرة، وتوصيتك بأن تكرره مرة أخرى. و"فَاعِلُنْ" هذه تتكون من "فا= دن" السبب الخفيف، و"عِلُنْ= ددن" الوتد المجموع، عكس "فَعُولُنْ= ددن دن × لن فعو= دن ددن (فاعلن)"؛ فالمتدارك أخو المتقارب، ابن أمه وأبيه، من أسرة واحدة، ولكن بدلا من أن يبدأ البيت فيها بـ"فَعُو"، يبدأ بـ "لُنْ"، أي "لُنْ فَعُو لُنْ فَعُو لُنْ فَعُو لُنْ فَعُو"، مرتين، ثم يُخَصّ بتفعيلة: "فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ"، مرتين، كما سنراه في الدوائر مرسوما واضحا، ولكن بعد أن نفرغ من الأبحر، ونكشف لكم كيف جمع الخليل هذه الأشياء، وانتبه إلى تَكَوُّنِ الأسر منها. طيب، لماذا سمي "المُتَدَارَك"؟ لِزَعْمِ أن الأخفش تداركه على الخليل، ومن الأخفش؟ أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط، والأخافش كثيرون، وأشهرهم ثلاثة: الأصغر والأوسط والأكبر، الأكبر أستاذ سيبويه، والأوسط صديقه، والأصغر تلميذُ مَنْ بمنزلة تلامذته (تلميذ ثعلب والمبرد)، والأخفش الأوسط هو الذي ورث علم الخليل بالعروض، هو الذي اشتغل بالعروض، لأن وَرَثَةَ علوم الخليل قسموا خدمتها على أنفسهم، حينما قال بعضهم لبعض عَقِبَ وفاة الخليل: "هَلُمَّ نُحْيِ عِلْمَ الْخَلِيلِ" -ها!- فاعتنى كل واحد بعلم: اعتنى الأخفش...

- بالعروض.
- بالعروض، واعتنى سيبويه...
- بالنحو.
- بالنحو، واعتنى الليث بالمعجم، واعتنى إسحاق بالإيقاع، واعتنى فلان بكذا، واعتنى غيرهم بغيرها مما لا نعرف، لأن الخليل كان أمة، ولم يكن يعتني بكتابة علمه وقد قلت لكم هذا من قبل، وقد كتبت في هذا لمن شاء أن يقرأ على موقعي. أين ذهبت كتب الخليل؟ سألت سؤالًا، أين ذهبت؟

أين ذهبت كتبه في كذا وكذا من السبعين علما التي كان يعلمها؟ والجواب: ليست له كتب! مفاجأة -ها!- لم تكن للخليل كتب، كيف؟ لم يكن ممن يشتغلون بالتأليف، كان مشغولا بالاختراع، يرى أن التأليف مشغلة عن الاختراع، وهو ينبغي أن ينقل اختراعه للناس، فماذا كان يفعل؟ يعلم تلامذته، يكتفي بتعليم تلامذته، يظل طوال الوقت مشغولا بالاختراع، فإذا ما جاءه تلامذته صب عليهم ما اخترعه صبًّا، وانتقل إلى غيره، حتى لقد مات وهو يفكر في شي كالآلة الحاسبة، تعتمد عليه الجارية في السوق عند شراء الأشياء، فاصطدم بشيء، أو وقع عليه شيء، فمات! أسمعتم عن إيديسون ذي ألف الاختراع؟ شخص اخترع ألف اختراع -ليس هذا النمط بمستحيل إذن في الناس- يظل دائما يفكر يفكر، وكذلك كان الخليل، ولكننا أمة انقطع حبل خلفها من سلفها، نامت في الوسط، فانقطع ما بينها وبين مسيرتها قليلا، لعل الله أن يعيدنا إلى سيرتنا الأولى. طيب، سمي هذا البحر "المُتَدَارَك" إذن، لزعمِ أن الأخفش تداركه على الخليل، والحقيقة أن الخليل عرفه، وله فيه قصيدتان -فكيف يجهله!- وقد نص في أسرته (دائرته العروضية الخامسة)، على أنه "مهمَل"، لأنه لم يكن مستعمَلًا. لو كان معي جهازي لمررت بك في الشعر العربي منذ الجاهلية إلى الآن، لتقف على أنه لا وجود لشعر من بحر المتدارك، لا في الجاهلي، ولا في صدر الإسلام، ولا في عصر بني أمية، ولا في عصر بني العباس الأول. متى مات الحصري القيرواني؟ ألم أقل لكم سيفيدنا تاريخ وفاته؟ مات سنة ثمانٍ وثمانين وأربعمئة (٤٨٨). متى مات الخليل؟ مات سنة خمس وسبعين ومئة (١٧٥)، أي في عصر بني العباس الأول. لا ريب في أنه فتَّش عنه إلى زمانه فلم يجده، فالرجل معذور، والبحر كما قال، مهمل. ثم بعد هذا انتبه إليه الشعراء فاستعملوه، وهذا الحُصْري القيرواني أشهر من روَّجَه في الناس بهذه القصيدة التي عارضوها وافتتنوا بها، فانتشر البحر. لكن عندنا مشكلة، "فَاعِلُنْ" النظرية التي نبه عليها الخليل في المهمل، لا وجود لها في الحقيقة! انتبهوا معي: "يَا لَيْـ=دن دن، فاعلْ، مقطوعة"، "ـلُ الصَّبْـ=دن دن، فاعلْ، مقطوعة"، ما القطع -انتبهوا!- ما القطع؟ حذف ساكن الوتد المجموع من آخر التفعيلة وتسكين ما قبله. وهو علّة شديدة، ينبغي إذا ارتُكِبَت أن تُلتزَم. أسمعتم؟ ما الذي حدث؟ قطع -تمام؟- وهو علّة، تغيير شديد، ينبغي إذا ارتُكِب أن يُلتزَم، لكنكم ستُفَاجَؤون بأنه لم يَلْتزِمْهُ، تأملوا:

"ـبُ مَتَى= دددن، فَعِلُنْ، مخبونة"؛ ما الخبن؟ هو كما عَرَفْتَه في الرَّجَز: حذف ساكن السبب الخفيف متى كان...

- ثاني...
- ثاني حرف في التفعيلة، وهو هذه الألف من "فَاعِلُنْ"، تصير به "فَعِلُنْ"، طيب! "غَدُهُ= ددد،ن، فَعِلُنْ، مخبونة"، "أَقيَا= ددد،ن، فَعِلُنْ، مخبونة"، "مُ السَّا= دن دن، فاعلْ، مقطوعة"، "عَة مَوْ= ددد،ن، فَعِلُنْ، مخبونة"، "عِدُهُ= ددد،ن، فَعِلُنْ، مخبونة"، "رَقَدَ السْـ= ددد،ن، فَعِلُنْ، مخبونة"، "ـسُمَّا=دن دن، فاعلْ، مقطوعة" -انظروا إلى الورطة؛ هل نرمز إلى المقطوعة بـ[ط]، لتلتبس بالمطوية؟ مشكلة فَخَلُّوها؛ إذا ما رمزتم فَنَسّقوا الرموز، ونبهوا عليها في الصفحة الأولى، وإلا فاستعملوا الكلمة كاملة- ها! "ـرُ وأَرْ= ددد،ن، فَعِلُنْ، مخبونة"، "رَقَهُ= ددد،ن، فَعِلُنْ، مخبونة"، "أَسَفٌ= ددد،ن، فَعِلُنْ، مخبونة"، "لِلْبِيْـ=دن دن، فاعلْ، مقطوعة"، "ـنِ يُرَدْ= ددد،ن، فَعِلُنْ، مخبونة"، "دِدُهُ= ددد،ن، فَعِلُنْ، مخبونة"، هذا هو!

- دكتور!
- نعم.
- ألا تأتي سالمة؟
- أحسنت، سنقول الآن، أرأيتم -يا جماعة!- أرأيتم؟ أين "فَاعِلُنْ"؟ لا وجود لها، الذي أمامنا "فَاعِلْ فَاعِلْ فَعِلُنْ فَعِلُنْ فَعِلُنْ فَاعِلْ فَعِلُنْ فَعِلُنْ"؛ أَيْنَ "فَاعِلُنْ"؟ ولا تجدها في أي مكان من هذه القصيدة، فما الحل؟ جاء الدكتور عمر خلوف، العَروضيّ الفاضل الذي نبهتكم على كتابه "كن شاعرًا"، فقال: يستحيل مع هذا أن نجعله بَحْر المتدارك؛ فما هذا يا أستاذ؟ قال هذا بحر الخَبَب، وهو كالمتدارك، مستدرك على الخليل أيضا، ولكن العروضيين حملوه على المتدارك! و"الخَبَب" عند العروضيين من أسماء "المتدارَك"؛ لما لم يُسمِّه الخليل تعدَّدت أسماؤه، لما لم يُسمّه مخترعُ العلم تكاثرت فيه الأسماء! حينما يُستحدث الآن شيء جديد لا يُعرف مخترعه يتنازعه الناس؛ هذا يسميه كذا، وهذا يسميه كذا، هذا أمر معروف! لو كان الخليل سمى البحر لثبت له اسمه! جميل؟ ولما لم يفعل تنازعه الناس؛ فمنهم من سماه "دق الناقوس (الجَرَس)"، ومنهم من سماه "قَطْرَ المِيزاب (قصبة تصريف المياه من البيت إلى الشارع)"، ومنهم من سماه "الخَبَب (ركض الخيل)"، ومنهم من سماه

"المتدارَك (المستدرك)"، ولعل كل اسم من هذه الأسماء مصروف عند مُسمّيه إلى صورة من صور ذلك الوزن، وهذا ما أغرى الدكتور عمر خلوف بالتمييز بين المتدارك والخبب بحرَيْن اثنين أهملهما الخليل في دوائره، وخلط بينهما من بعده، كيف يا أستاذ؟ قال: أما المتدارَك فهو "فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ"، وأما الخبب فهو "فَاعِلْ فَاعِلْ فَعِلُنْ فَعِلُنْ فَعِلُنْ فَاعِلْ فعِلُنْ فَعِلُنْ"! ألا ما أشبه ذلك بالخَبَب، حين يكون على "فعِلن= دددن، فعِلن= دددن، فعِلن= دددن، فعِلن= دددن"، وما أشبهه بدَقّ الناقوس، أو قَطْر الميزاب، حين يكون على "فاعلْ= دن دن، فاعلْ= دن دن، فاعلْ= دن دن، فاعلْ= دن دن"! ولكننا لم نجد شيئا خَلَصَ لـ"فاعلْ= دن دن"، ولا لـ"فَعِلُنْ= دددن"، بل وجدنا الشاعر يجمع بينهما. وقد اكتشفت بالبحث أن بعض الشعراء يستعمل مع "دَنْ دَنْ" و"دَدَدَنْ"، "دَنْ دَدَنْ"، ومنهم الكِيذَاوِيّ (٩٨٣=١٥٧٥)، والحَبْسِيّ (١١٥٠=١٧٣٧)، العُمَانِيّان! هي أذواق، وهو حر، أنا أَستثقل ذلك، وهو يستخفه، وينبغي للعالِم أن يراعي الأذواق كلها لا أن يراعي ذوق نفسه، هذا خطأ، هذا عمل الفنان لا عمل العالِم، ينبغي للعالِم أن يراعي كل ما كان من الشيء، وأن يثبته مادام قد كثر وانتشر وهكذا، أما أن يقول ما قاله أخونا الدكتور عمر خلوف فهذا أشبه بعمل الفنّانين، والدكتور عمر خلوف شاعر أصلا! كيف إذن تردون مقالته؟ تقولون له: عندنا من الشعراء من جمع في البيت الواحد بين "فَاعِلْ" المقطوعة، و"فَعِلُنْ" المخبونة، و"فَاعِلُنْ" السالمة؛ ألا يقتضيك هذا أن تعود إلى اسم بحر المتدارَك؟ تمام؟ **طيب! الآن وقد أشرف الوقت، نحتاج إلى أن ننتهي من هذا. انتبهوا -يا جماعة!- شدوا دساتين أعوادكم -سريعا سريعا؛ يبدو أنه لا وقت لشد الدساتين!- وأَحموا طبولكم ودفوفكم -أرجو أن تكون مُحَمَّاةً من أمس!- واشربوا، واطربوا -ابتهجوا؛ هذا مقام من مقامات البهجة!- ولا يتقدمنَّ عازفٌ عازفًا؛ فإن ظنَّ أنه يحسن فإنه يسيء -فهذا عمل جماعي- واجعلوا النغمة أكثر زرقة! والزرقة مع الأسف عند العمانيين لون الحقد، معقول! فَلْنلونه لونا غير هذا -ها!- ولْنتحرك معًا:**

- يَا لَيْـ= دن دن
ـلُ الصَّبْـ= دن دن
ـبُ متَى= دددن

غَدُهُ= دددن

أَقِيَا= دددن

مُ السَّا= دن دن

عَةَ مَوْ= دددن

عِدُهُ= دددن

رَقَدَ السْ= دددن

ـسُمَّا= دن دن

رُ وَأَرْ= دددن

رَقَهُ= دددن

أَسَفٌ= دددن

لِلْبَيْ= دن دن

ـنُ يَرْ= دددن

دَدُهُ= دددن

فَبَكَا= دددن

هُ النَّجْ= دن دن

ـمُ وَرَقْ= دددن

قَ لَهُوْ= دددن

مَّا= دن دن

يَرْعَا= دن دن

هُ وَيَرْ= دددن

صَدُّهُ= دددن

كَلَفٌ= دددن

بِغَزَا= دددن

لٍ ذِي= دن دن

هَيَفَ= دددن

خَوْفُ الْـ= دن دن

وَاشِيـ= دن دن

ـنَ يَشُرُّهْ= دددن

رِدُهُ= دددن

نَصَبَتْ= دددن

عَيْنَا= دن دن

يَ لَهُ= دددن

شَرَكًا= دددن

فِي النَّوْ= دن دن

ـمِ فَعَزْ= دددن

ـزَ تَصَيْـ= دددن

يُدُهُ= دددن

وَكَفَى= دددن

عَجَبًا= دددن

أَنِّي= دن دن

قَنَصُ= دددن

لِلسِّرْ= دن دن

ـبِ سَبَا= دددن

نِي أَغْـ= دددن

ـيَدُهُ= دددن

صَنَمُ= دددن

لِلْفِتْـ= دن دن

ـنَةِ مُنْـ= دددن

ـتَصبُ= ددد ن
أَهْوَا= دن دن
هُ وَلَا= ددد ن
أَتَعَبْ= ددد ن
ـبَدُهُ= ددد ن
صَاحٍ= دن دن
وَالْخَمْ= دن دن
ـمْرُ جَنَى= ددد ن
فَمِهِ= ددد ن
سَكْرَا= دن دن
نُ اللَّحْ= دن دن
ـظِ مُعَرْ= ددد ن
بِدُهُ= ددد ن
يَنْضُو= دن دن
مِنْ مُقْ= دن دن
ـلَتِهِ= ددد ن
سَيْفًا= دن دن
وَكَأَنْ= ددد ن
ـنَ نُعَا= ددد ن
سًا يُغْ= دن دن
مِدُهُ= ددد ن
فِيَرُدْ= ددد ن
ـقُ دَمَ الْ= ددد ن
عُشَّا= دن دن

قِ بِهِ= دددن

وَالْوَيْـ= دن دن

ـلُ لِمَنْ= دددن

يَتَقَلْ= دددن

لَدُهُ= دددن

- انتظروا، سنقسم على أنفسنا التفعيلات، فلنا تفعيلة وللأعداء تفعيلة -ها!- نحن الآن خصمان واضحا الخصومة، نبدأ مع الشباب وثني الفتيات:

- كَلَّا= دن دن

لَا ذَنْـ= دن دن

ـبَ لِمَنْ= دددن

قَتَلَتْ= دددن

عَيْنَا= دن دن

هُ وَلَمْ= دددن

تَقْتُلْ= دن دن

يَدُهُ= دددن

يَا مَنْ= دن دن

جَحَدَتْ= دددن

عَيْنَا= دن دن

هُ دَمِي= دددن

وَعَلَى= دددن

خَدَّيْـ= دن دن

ـهِ تَوَرْ= دددن

رُدُهُ= دددن

خَدَّا= دن دن

ـكَ قَدِ اعْ= ددن

ـتَرَفا= ددن

بِدَمي= ددن

فَعَلا= ددن

مَ جُفُو= ددن

نُكَ تَجْ= ددن

ـحَدُهُ= ددن

إِنِّي= دن دن

لَأُعِيـ= ددن

ـذُكَ مِنْ= ددن

قَتْلِي= دن دن

وَأَظُنْ= ددن

ـنُكَ لا= ددن

تَتَعَمْـ= ددن

ـمَدُهُ= ددن

- لحظة، يبدو أنكم تضحكون عليَّ في الداخل؛ لهذا سأكشف هذا الإفساد الباطن بأن أستمع إليكم فردًا فردًا، يوسف!

- نعم.

- ابدأ بالخامس عشر، طمئنا على القراءة!

- بِاللَّهِ هَبِ الْمُشْتَاقَ كَرًى فَلَعَلَّ خَيَالَكَ يُسْعِدُهُ

- ها، خَرِّجْ!

- بِاللَّـ= دن دن

ـهِ هَبِ الْـ= ددن

- أَعِد!

- بِاللَّ= دن دن

ـهِ هَبِ الْ= ددن

- لا، ـهِ هَبِ الْ= ددن، ـهِ هَبِ الْ= ددن، أسرع، أسرع الضرب!
- بِاللَّ= دن دن

ـهِ هَبِ الْ= ددن

- لحظة! أرأيتم الخطأ حينما شكَّلْنَا -ها!- والجهاز يشكل تلقائيا؟ فانظروا! يجب علينا ألا نشكل اسم الجلالة، وإلا خرج على ما ترون، خطأ بشع، شكل بشع، نكتفي بالكسرة، وكسرة اللام تقع على كسرة الهاء -سامحوني!- لا كسرة لِلّام في رسمكم بهذا الخط: للهِ، لله الحمد؛ فكسرتها في "لله"، تقع على كسرة الهاء، فلا فائدة، ها!
- بِاللَّ= دن دن

ـهِ هَبِ الْ= ددن

مشتا= دن دن

قَ كَرًى= ددن

- لا، قَ كَرًى= ددن، أنت بطيء، تسقط ضربة!
- قَ كَرًى= ددن
- أحسنت!
- فَلَعَلْ= ددن
- أسقطت كذلك، بطيء، مسكين!
- فَلَعَلْ= ددن
- أحسنت!
- ـلَ خَيَا= ددن
- أحسنت!
- لَكَ يُسْـ= ددن

ـعِدُهُ= ددن

- تعلمت، الآن تعلمت! أحمد، ها!
- ما ضَرُّكَ...
- ما ضَرَّكَ.
- مَا ضَرَّكَ لَوْ دَاوَيْتَ ضَنىً...
- ضَنىً؟
- ضَنَى.
- ضَنَى...
- صَبٍّ يُدْنِيكَ وَتُبْعِدُهُ
- ها، خرِّج!
- مَا ضَرْ= دن دن

ـرَكَ لَوْ= دددن

داوَيْـ= دن دن

ـتَ ضَنَى= دددن
- لا، لا، أنت أيضا تحسن ضرب "دَنْ دَنْ"، وتسيء ضرب "دَدَدَنْ"، أكثرنا هكذا، أكثرنا يستسهل "دَنْ دَنْ"، ويستصعب "دَدَدَنْ"، لأنها تحتاج إلى سرعة ضرب؛ إذن: "مَا ضَرْ= دن دن" -هذا سهل!- "رَكَ لَوْ= دددن"، "رَكَ لَوْ= دددن"، أعِد!
- مَا ضَرْ= دن دن

رَكَ لَوْ= دددن

داوَيْـ= دن دن

ـتَ ضَنَى= دددن
- ـتَ ضَنَى= دددن
- ـتَ ضَنَى= دددن

صَبٍّ= دن دن

يُدْ= ددن

- يُدْنِيـ= دن دن
- يُدْنِيـ= دددن
- يُدْنِيـ= دن دن
- يُدْنِيـ= دن دن

ـكَ وَتُبْـ= دددن

ـعِدُهُ= دددن

- أَحسنت، أحسنت، مروان!
- نعم.
- طمئنا!
- لَمْ يَبْقَ هَوَاكَ لَهُ...
- لم...
- لَمْ يُبْقِ...
- لَمْ يُبْقِ هَوَاكَ...
- لَمْ يُبْقِ هَوَاكَ لَهُ رَمَقًا فَلْيَبْكِ عَلَيْهِ عُوَّدُهُ
- عُوَّدُهُ.
- نعم.
- ها!
- لَمْ يُبْـ= دن دن
- لَمْ يُبْـ.
- لَمْ يُبْـ= دن دن

ـقِ هَوَا= ددن

- ـقِ هَوَا= دددن، ـقِ هَوَا= دددن.
- ـقِ هَوَا= دددن

ـكَ لَهُ= دددن

رَمَقًا= د د دن

فَلْيَبْ= دن دن

ـكِ عَلَيْ= د د دن

ـهِ عُوْ= دن دن

وَدَهُ= د دن

- كذلك نثقل عن إضافة الحركة الزائدة في "دَدَدَنْ"، تأملوا! لم يبْ= دن دن، معي، معي، يا مروان!

- نعم.

- لَمْ يبْ= دن دن

- لَمْ يبْ= دن دن

- ـقِ هوَا= د د دن

- ـقِ هوَا= د د دن

- كَ لَهُ= د د دن

- كَ لَهُ= د د دن

- رَمَقًا= د د دن

- رَمَقًا= د د دن

- فَلْيَبْ= دن دن

- فَلْيَبْ= دن دن

- ـكِ عَلَيْ= د د دن

- ـكِ عَلَيْ= د د دن

- ـهِ عُوْ= دن دن

- ـهِ عُوْ= دن دن

- وهذا الضمير -انتبهوا!- لو لم نشبعه لانكسر الوزن! اسمعوا، يا جماعة! هذا الضمير في أصل اللغة يجوز إشباعه وعدم إشباعه، يجوز إشباعه واختلاسه، إلا إذا اقتضانا الوزن أن نشبعه أو أن نختلسه -هذا وارد، وهذا وارد- وهنا يقتضينا الوزن أن نشبعه، لأنكم لو اختلستموه لكان: "ـهِ عُو= دَدَنْ"!

ما "دَدَنْ" هذا في المتدارك، ما "ددَنْ"؟ "علُنْ" مثلًا من آخر التفعيلة؟ فأين أولها؟ لكن "ـهِي عُوْ= دن دن، فَاعِلْ، مقطوعة". وهنا أحب أن أقول ما نسيت أن أقوله. المفروض أن القطع علة شديدة إذا ما اقتُرِفَت أو ارْتُكِبَت وجب أن تُلْتَزَم، لكنه لم يلتزمها، فما هذا؟ ما اسم هذا؟ إجراء للعلة مُجرى الزحاف، لأن الذي لا يُلتزم هو الزحاف، والذي يُلتزم هو العلة، فإذا عُكس ما بينهما وجب أن نراعيه في التسميه، هكذا: هذا زحاف أُجرِيَ مُجرَى العِلَّة، وتلك عِلَّة أُجرِيَت مُجرَى الزحاف، دلالة على التزام ذاك وعدم التزام هذه؛ فـ"فَاعِلْ" المقطوعة في وسط البيت هذه -يا جماعة!- من إجراء العِلَّة مُجرى الزحاف. هذه طريقة الخليل في وصف مثل هذه الطوارئ، قد تعلمناها مما فعله بأبحرٍ أخرى؛ فأما المتدارك نفسه فهو عنده مهمل لا كلام له فيه، ثم اسْتُعْمِل بعده، فلما وجدنا الشعراء يفعلون به ما فعلوه بغيره مما ضبطه عندهم الخليل، طردنا الباب على الوتيرة نفسها، وربطنا الواقع بالمثال، وحكمنا على علّة القطع بأنها جَرت مَجرى الزحاف أو أُجْرِيَتْ مُجراه؛ فإن اخْتَلَسْت إشباع الهاء قلت: "ـهِ عُوْ= ددن"، وهذا جزء تفعيلة. وإذا أشبعت قلت: "ـهِ عُوْ= دن دن، فاعلْ، مقطوعة". "وَدُهُو= دَدَدَنْ، فَعِلُنْ، مخبونة"، والخبن زحاف معروف، لا مشكلة فيه، المشكلة في القطع في الخلال. طيب، ها، ثم من؟ من؟ أنت، ما اسمك؟

- أنا منذر.
- منذر، ها -"كَأَنَّهُ مُنْذِرُ قَوْمٍ يَقُولُ: صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمُ- ها!
- وَغَدًا يَقْضِي أَوْ بَعْدَ غَدٍ هَلْ مِنْ نَظَرٍ يَتَزَوَّدُهُ
- ها!
- وَغَدًا= دددن

يَقْضِي= دن دن

أَوْ بَعـ= دن دن

ـدَ غَدِ= دددن

هَلْ مِنْ= دن دن

نَظَرٍ= دددن

يَتَزَوْ= دددن

ـوده= ددددن

- أحسنت أحسنت، سامي!
- يَا أَهْلَ الشَّوْقِ لَنَا شَرَقٌ بِالدَّمْعِ يَفِيضُ مُوَرِّدُهُ
- مُوَرِّدَهُ!
- مُوَرِّدُهُ.
- فيها طرد هذه، "مُوَرِّدُهُ"، أحسنت، بارك الله فيك، ها!
- يا أَهْـ= دن دن

ـلَ الشَّوْ= دن دن

قِ لَنَا= ددددن

شَرَقٌ= ددددن

بِالدَّمْـ= = دن دن

ـعِ يَفِيـ= ددددن

ـضُ مُوَرْ= ددددن

رِدُهُ= ددددن

- أحسنت! منصور -"وَالْمَنْصُورُ مَنْ نَصَرَهُ اللهُ"!- أنا أحب أن أتبع كل اسم بإضافة كهذه للذكرى! كما قلت في منذر: "كَأَنَّهُ مُنْذِرُ قَوْمٍ يَقُولُ: صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ"، ها! كيف نقول؟ كيف نقرأ؟
- يَهْوَى الْمُشْتَاقُ لِقَاءَكُمُ...
- أحسنت!
- وَصُرُوفُ الدَّهْرِ تُبَعِّدُهُ
- أحسنت، ها!
- يَهْوَى الْـ= دن دن

ـمُشْتَا= دن دن

قُ لِقَا= ددددن

ءَكُمُ= ددددن

وَصُرُو= دددن

ـفُ الدَّهْ= دن دن

ـرِ تُبْعِـ= دددن

ـعِدُهُ= دددن

- اللهَ الله الله! أماني! أين أماني؟ طيب! من؟ مارية؟ سليمة؟ مريم؟

- مريم.

- مريم، تفضلي!

- مَا أَحْلَى الْوَصْلَ وَأَعْذَبَهُ لَوْلَا الْأَيَّامُ تُنَكِّدُهُ

- الله! هذا أداء يوحي بمهارة معينة سنكتشفها اللقاء القادم، إن شاء الله، ها!

- ما أَحْـ= دن دن

لَ الْوَصْـ= دن دن

لَ وَأَعْـ= دددن

ـذَبَهُ= دددن

- ها، هذا يوحي بالطرد! سنكتشفه كذلك اللقاء القادم، ها!

- ـذَبَهُ= دددن

- لَوْلَا الْـ= دن دن، صح؟

- طبعا صح.

- أَيَّا= دن دن

مُ تُنَكْـ= دددن

ـكِدُهُ= دددن

- أحسنتِ أحسنتِ، ها! من؟

- وعد.

- وعد -"وَعْد وَمَكْتُوب"!- ها!

- بِالْبَيْنِ وَبِالْهِجْرَانِ فَيَا لِفُؤَادِي...

- "فَيَا لِ"؟ هي جائزة في الأصل، لكننا قلنا: "فَيَا لَ"، هذه فيها طرد، يا وعد! وبعضكم قال: "فَيَا لَفُؤَادِي" وكذلك "دِيَ" هذه واردة جائزة، لكننا لم نشكلها بالفتح، اخترنا هذا الوجه، لماذا؟ لكي نتيح للمنشد في خلال المد أن يبكي: "فَيَا لَفُـؤَادِ ييييي"، أما "فَيَا لَفُؤَادِيَ" -كيف تجدونها؟- فحركة رجل سعيد، الحزين بطيء، والسعيد سريع، ها!
- فَيَا لَفُؤَادي كَيْفَ تَجَلُّدُهُ
- "كَيْفَ تَجَلَّدُهُ"! هندية هذه قطعا، ربما كانت من الهندية، أما العربية فـ"تَجَلُّدُهُ"!
- تَجَلُّدُهُ.
- "تَجَلَّدُهُ" هذه لا نعرفها، أعيدي، أو خَرِّجِي!
- بِالْبِيْ=دن دن
- بِالْبِيّْ=دن دن
- بِالْبِيّْ=دن دن
- انقطع الإرسال!
- ههه!
- عندنا خلل فني! فاصل ونواصل! ها!
- ـنِ وَبِالْ= دددن

ـهِجْرَا=دن دن

نْ فَيَا= دددن

لِفُؤَا= دددن
- لَفُؤَا.
- لَفُؤَا= دددن

دِيَ كَيْـ= دددن
- "دِيَ كَيْـ= دددن، فعلن، مخبونة" جائزة، لكننا اخترنا الوجه الآخر -وهو جائز كذلك- وفي الاختبار مثلا تقولين: هذا جائز، وهذا جائز، لكن هذا أفضل لملاءمته للمعنى مثلا، هكذا يفعل من أراد أن يُظهر علمه. ها! هي إذن -يا وعد- "دِي كَيْـ= دن دن، فاعلْ، مقطوعة"، ويجوز -

وإن لم يلائم!- "دِيَ كَيْـ= ددددن، فعلن، مخبونة"، كما يقولون في الإعراب مثلًا: يجوز كذا وكذا، فتقول له: كيف، يا أخي! هذا السياق لا يُناسبه إلا كذا فقط! اقتراح الإعرابات المتعددة هذا اقتراحٌ خارج عن السياق، لكن في السياق تحس أن إعرابًا واحدًا هو المُلائِم، ها!

- ـفَ تَجِ...
- ـفَ تَجَلْ= ددددن
- ـفَ تَجَلْ= ددددن
- ـفَ تَجَلْ= ددددن
- ـلِدُهُو= ددددن
- أحسنتِ، يا وعد، "وَعْد ومَكْتوب"! **نعود إلى القافية حتى نخرج، تأخَّرْنَا، أكثرنا من الاستطرادات، ها، ما قافية البيت الأول؟**
- موعده.
- ها!
- مَوْعِدُهُ.
- أكيد أكيد؟ آخِر آخِر؟ فَكِّرْ، أعِدِ النظر!
- مَوْعِدُهُ.
- مَوْعِدُهُ، كلاما واحدا، لا ثاني له؟
- عِدُهُ.
- يقترح ليث "عِدُهُ"، يحتاج إلى طرد غير الطرد السابق! لا، بل هي "مَوْعِدُهُ"، لماذا يا ليث؟ سيقولون لك: لماذا "مَوْعِدُهُ"، فبم تجيب؟
- لآخر ساكنين.
- أحسنت! أين كنت عن هذا النظر، إذن! نظر لا تطبيق معه، غير مفيد! آخر ساكنين في البيت، ها، أين هما؟ الواو الساكنة، والواو التي في الآخر غير المكتوبة هذه، بينهما العين المكسورة والدال المضمومة والهاء المضمومة، قبلهما الميم المفتوحة؛ فالقافية "مَوْعِدُهُ" كلها. وقد روي عن الخليل رواية متروكة، أنه يكتفي من مثل هذه الميم بحركتها، يقول: من فتحتها إلى...، لأنه لا يعبأ في

أجزاء القافية إلا بما يحاسب عليه الشاعر. وروي عنه أنه يأخذ مع مثل هذه الفتحة حرفَها، وهو ما رجَّحناه لأننا يستحيل أن ننطق الفتحة دون المفتوح! القافية إذن "مَوْعِدُهُ"، وانتبهوا إلى الإيقاع: "موعده= دن دددن"، وقيسوا عليه، وانطلقوا منه، ها!

- ـرَدِّدُهُ.
- ـرَدِّدُهُ، ها!
- يرْصَدُهُ.
- يرْصُدُهُ، ها!
- ـشَرِّدُهُ.
- ـشَرِّدُهُ، ها!
- ـصيِّدُهُ.
- ـصيِّدُهُ، أرأيتم كيف نستفيد من هذا الإيقاع، لكن مع الحذر، لأنه في بعض الأحيان سيخدعنا، وهو مع هذا نافع هنا جدا، ها!
- أَغْيِدُهُ.
- أَغْيِدُهُ، ها!
- ـعَبَّدُهُ.
- صحيحة، ـعَبَّدُهُ، ها!
- ـعَرْبِدُهُ.
- ـعَرْبَدُهُ، ها!
- يُغْمَدُهُ.
- يُغْمَدُهُ، ها!
- ـقَلَّدُهُ.
- ـقَلَّدُهُ، ها!
- ـتُلْ يَدُهُ.
- ـتُلْ يَدُهُ، ها!

- ـورده.
- ـورده، ها!
- تجحده.
- تجحده، ها!
- ـعمده.
- ـعمده، ها!
- يسعده.
- يسعده، ها!
- تبعده.
- تبعده، ها!
- عوده.
- عوده، ها!
- ـزوده.
- ـزوده، ها!
- ـورده.
- ـورده، ها!
- ـبعده.
- ـبعده، ها!
- ـنكده.
- ـنكده، ها!
- ـجلده.
- ـجلده، ما هذا، يا أستاذ، لماذا لا تقول: تَجَلُّدُهُ؟ لماذا اكتفيت بكذا؟ لأننا نكتفي كما قلت لكم، بالمقدار الذي سنحاسِبُ عليه الشاعر.
- سنحاكم الشعراء.

- سنحاكم الشاعر إلى هذا، فإذا أخلّ بشيء قلنا: أخللت، هذا معيب، هذا كذا، هذا كذا...، وهذا كله في علم القافية، في جزء القافية من علم العروض. **طيب، ما أقوى الحروف المكررة؟**
- الدال.
- الدال طبعا، الدال حرف منفجر "أَدْ"، ومجهور، لكن الرجل كرر عندنا الدال والهاء والمد، كرر هذه كلها، والدال أهم منها جميعا، طيب، ما حركة الدال؟
- الضمة.
- أَقَبْلَهَا شيء؟ ألف أو واو أو ياء ساكنة؟
- لا.
- أَقَبْلَ الذي قبلها ألف؟
- لا.
- إذن القافية مجردة. طيب! وهذه الدال المضمومة هل أُشْبِعَتْ ضمتها أو جاء شيء في موضع الإشباع؟
- جاء شيء.
- جاءت الهاء، هل الهاء ساكنة؟
- لا.
- لا، بل مضمومة، سنثبت هذا كله، والآن نضيف البيانات: هذه القصيدة متداركية الأبيات. هذه الأبيات في أطوالها تامة أم وافية أم مجزوءة أم مشطورة أم منهوكة أم موحدة؟
- وافية.
- وافية لا تامة، والوافي والتام يستوفيان الأعداد، لكن يتميز التام بتساوي تفعيلات البيت في إمكان السلامة والتغير، وتفعيلة الضرب واجبة الخبن دون غيرها من تفعيلات البيت؛ فلم تتساو التفعيلات، وهذا وفاء لا تمام، فهذه القصيدة متداركية الأبيات الوافية. طيب، ما صورتا العروض والضرب؟
- صحيحتان.
- صحيحتان، كيف، هل جاءت "فَاعِلُنْ"؟

- لا.
- فليستا بصحيحتين، يستحيل -أما العروض فقد خبنت غالبا (دددن= فعلن)، وقطعت نادرا (دن دن= فاعلْ)- يجب أن نثبت هذا في البيانات. أتدرون؟ لو سَلِمَتْ لعممنا السلامة، لكنها لم تسلم؛ فلهذا سنذكر كل التغييرات التي ظهرت عليها، فنقول: هذه القصيدة متداركية الأبيات الوافية المخبونة العروض أو المقطوعتها -ها!- وتفعيلة الضرب لم تأت إلا...
- مخبونة.
- مخبونة، فإذن المخبونة الضرب. ننتقل إلى القافية، ما القافية؟
- دالية القوافي.
- دالية القوافي الـ...
- المضمومة.
- الموصولة.
- لا في الحركة، المضمومة، ها!
- الموصولة.
- لا، قبل الدال؟
- المجردة.
- المجردة، بعد الدال؟
- الموصولة.
- الموصولة بالهاء...
- المضمومة.
- المضمومة فقط. الآن انتهينا من البيانات. ماذا كتبتم؟ هذه القصيدة...؟
- متداركية الأبيات.
- متداركية الأبيات...
- الوافية.
- الوافية...

- مخبونة العروض.
- المخبونة العروض أو المقطوعتها، المخبونة الضرب...
- دالية القوافي.
- دالية القوافي...
- المضمومة.
- المضمومة...
- المجردة.
- المجردة...
- الموصولة.
- الموصولة بالهاء...
- المضمومة.
- المضمومة، نعم؛ **بارك الله فيكم، وشكر لكم، وأحسن إليكم، والسلام عليكم!**

اَلْمُنَادَمَةُ الْعَاشِرَةُ(١)

- **سلام عليكم!**
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته!
- طبتم مساءً يا أبنائي، وطاب مسعاكم إلينا! بسم الله -سبحانه، وتعالى!- وبحمده، وصلاةً على رسوله وسلامًا، ورضوانًا على صحابته وتابعيهم حتى نلقاهم! كيف حالكم؟ كيف أمسيتم؟
- الحمد لله!
- بارك الله فيكم، وشكر لكم، وأحسن إليكم، ويَسَّر لنا ولكم كل عسير، وسَهَّل كل صعب! **اليوم نستمتع بتناول نمطين من الوزن ومن القافية من خلال قصيدة غرّاء لشاعر العربية الأكبر، من هو؟ هو أبو الطيب أحمد بن الحسين الجُعْفِيّ المتنبّي،** المتنبِّئ، هي في الأصل المتنبئ، لكنَّ الناس يتخففون منها، هي من النبأ، تنبّأ يتنبّأ، فعندنا نَبِيء، وعندنا متنبِّئ، وكذلك نخفف كلمة نبيء إلى نبِيّ، والمتنبئ إلى المتنبِّي. سمعتُ طالبةً تعرض عملها للماجستير في شعر المتنبي، فتنطقها "المتنبِّيّ"! توهَّمَتْ، انخدعت بـ"نبيّ"! لا، "نبيّ" في الأصل "نبِيء"، قُلبت همزتها ياء تخفيفا، لتدغم في الياء قبلها، فقيل: نبِيّ. لكن "متنبّيّ" هذه من أين تأتي! هي "متنبِّئ"، ليست فيها ياء أخرى، فلمَّا أُبدلت الهمزة ياءً لم تجد ما تُدغم فيه، فبقيت ياءً واحدةً، لكنها انخدعتْ بنبيّ، فقالت: مُتنبِّيّ- كما تنخدعون أحيانًا، فتقولون مثلًا: "سِنِيّ" -خطأ، فهي سِنِي- تقولون: كان هذا في سِنِيّ عُمُره الأولى. خطأ، والصواب: كان هذا في سِنِي عمره الأولى، لأن فيه ياءً واحدةً، ليس فيه ياء أخرى تُدغَم فيها الياء، هي كلها ياء واحدة، فكيف نقول: في سنِيّ؟ ويقع فيها كبار الناس! وبعضهم يقول مثلًا: استَرَقَّ السمعَ، خطأ، فهي: استرقَ السمعَ! أحيانًا يشدِّدون ما لا يُشدَّد. نتناول ما وعدناكم من

---

(١) رابط هذه المنادمة في قناتي اليوتيوبية:
https://www.youtube.com/watch?v=fAkQDb٧GGHw&list=PL٠_bvBmuM٥ySq٦hXNd٤GWcNFIUaI٤uqCM&index=١٠
وقد فرغها كريم عبد الفتاح، وراجعها له محمد العزب.

خلال قصيدة غراء مشهورة، فيها بيت تكادون تقولونه كل يوم -نبّهونا عليه حين يأتي!- تكادون تستعملونه كل يوم في حاجاتكم، وهذا كافٍ جدًّا، يكفي أنكم ما زلتم تستعملون كلامًا قاله رجل من أكثر من ألف سنة. متى وُلِد المتنبي؟ ولد سنة ثلاث وثلاثمئة. متى مات؟ سنة أربع وخمسين وثلاثمئة. كم عاش؟ خمسين عامًا تقريبا، ملأ فيها الدنيا وشَغَل الناس، مات أصغر مني -!- لكنه قَلَب الدنيا رأسًا لعَقِب، و"مَلَأَ الدُّنْيَا، وَشَغَلَ النَّاسَ"، كما قال فيه ابن رشيق القيرواني بكتابه "العمدة"، وهي كلمة من المبالغة لو أدرك ابنُ رشيق زمانَنا لقالها في محمود درويش وفي نزار قباني، مثلما قالها في المتنبي؛ فإلى أي شيءٍ طمح المتنبي؟ إلى المُلْك طمح، وفيه طمع؛ ولهذا تنقَّل بين البلاد، ثم لم ينَلْ ما أراد! قال في رثائه أبو القاسم الطَّبَسِيّ:

"مَا رَأَى النَّاسُ ثَانِيَ الْمُتَنَبِّي أَيُّ ثَانٍ يُرَى لِبِكْرِ الزَّمَانِ

عَاشَ فِي عَصْرِهِ نَبِيًّا وَلَكِنْ ظَهَرَتْ مُعْجِزَاتُهُ فِي الْمَعَانِي"!

ما رأى الناس ثاني المتنبي، لم يروا مثله. وحينما يدخل عليك، فيقول: أنا أحمدُ النبيّ - يلعب بالكلام!- فتقول له: وما معجزتك؟ يقول لك -وليعذرني فيما نحلتُه الآن من كلامي!-:

أَسْلُكُ الْكِلْمَةَ الْفَصِيحَةَ فِي الْجُمْلَةِ تَبْدُو فِي سِحْرِ ذَاتِ الْحُسْنِ

وَأُبِينُ الْكَلَامَ يَنْشَرِحُ الصَّدْرُ وَيَنْجَابُ عَنْ طَرِيقَةِ فَنِّي

فَأَجَابُوا مُزَيِّنٌ قُلْتُ بَهْرًا كَاتِبٌ شَاعِرٌ حَدِيدُ الذِّهْنِ!

فمعجزاته في المعاني، يستطيع أن يسحرك بكلامه! ولم يتنبأ، لكنه كان يُشَبِّه نفسه بالأنبياء، يعني كان يقول مثلًا:

"أَنَا فِي أُمَّةٍ تَدَارَكَهَا اللهُ غَرِيبٌ كَصَالِحٍ فِي ثَمُودِ"!

يُشَبِّه نفسه في قومه بسيدنا صالح في ثمودِ، صلى الله على رسله وأنبيائه، وسلم! وجدوه يشبه نفسه بالأنبياء، فقالوا: هذا متنبِّئ! ولما شاع عنه هذا ادَّعى الناس أنه تنبأ وقال كذا وكذا، ودَعَا الناس، وبلغه هذا، فسكت عليه، واستحسنه: دعوهم يظنون أنني تنبَّأت؛ فهذا مفيد على أية حال! إذا أذاع الناس عنك أنك ساحر، ومشيت في الجامعة وهم ينظرون إليك: هذا الساحر الذي تكلمنا عنه أمس- شيء بديع، ممتع ممتع! يخافونك، ويقدرونك، يدعونك إلى الغداء مجانًا، ويُهدون إليك الهدايا في المناسبات! شيء بديع جدًّا أن يعيش المرءُ ساحرًا، أن يعيش ساحرًا! فهكذا حدَّثُونا عن

المتنبي، أنه بَلَغه أن الناس يدَّعون أنه متنبِّئ؛ فأعجبته الدعوى، وتركها تنتشر: مفيدة، لن يضرني شيء على أية حال! ها، نعم!

- أيضًا أظن في فصل "دروب المعنى" من كتاب "فتنة المتخيل"، ذُكِرَ عن المتنبي أنه رُمي بكثير من الاتهامات: أنه تنبَّأ، وأنه بخيل، وأن أصله غير معروف...، كل هذه الاتهامات -وإن كانت ضده!- أسهمت في اشتهاره.
- طبعًا، طبعًا. ومِن أشهر من كتبوا عن المتنبي أستاذي أستاذ الدنيا الذي أحدِّثكم عنه دائمًا، من؟ محمود محمد شاكر، كتب عنه كتابه الذي حصل به على جائزة الملك فيصل. متى كتب هذا الكتاب؟ وهو في مثل سِنِّكم تقريبًا، وفاز بجائزة الملك فيصل، لكن بعد زمان طويل، لم يفز بها وهو صغير في مثل سنكم، لا -وسبحان الله!- كأن الصِّغَر يمنع من الجوائز! بلغني أنه تنافس الناس على وظيفة إمام بالبلاط السلطاني العُماني، وتقدم إليها فيمن تقدموا فتى مصري صغير، والمصريون كما تعرفون، مشغلون بعلوم القرآن الكريم، فغلب الجميع كبارًا وصغارًا على القراءات، قال لي راشد النوفلي الموظف بالبلاط: رفضناه لصغر سنه، لن تستقيم لمثله إمامة المُسنِّين! وكذلك تقدم هنا إلى وظيفة أستاذ بقسمنا هذا شاب أردني صغير اسمه وليد العناتي، وقد كنتُ في مُختبِريه فأعطيتُه الدرجة العالية، ولكنه رُفض! يريدون أستاذا كبيرا مُسِنًّا! ويلي على الشيوخ، وميلي إلى الشباب:

مَاذَا جَنَيْنَا مِنَ الْمُسْتَشْيِخِينَ وَمِنْ ضَلَالِ حِكْمَتِهِمْ هَذِي الَّتِي اتَّبَعُوا!

هذا أبو الطيب أحمد بن الحسين الذي لم يكن أبو العلاء يرى غيره شاعرًا، فكان إذا روى للمتنبي قال: قال الشاعر، وإذا روى لغيره ذكره باسمه: قال فلان! وما اسم الكتاب الذي كتبه الأستاذ؟

- المتنبي.
- وهو متاح على موقعي، فاطلبيه وغيره مجانًا، فكُتبه على موقعي. سبحان الله! كتابٌ لمّا قرأه العقاد -والعقاد أسنُّ من شاكر بعشرين عاما- ثم لَقِيَهُ في طريقهما إلى حي مصر الجديدة حيث يعيشان، وكان معه عدد جريدة المقتطف الذي صدر بالكتاب وحده في ذكرى وفاة المتنبي الألف -بهذه المناسبة احتفلت جريدة المقتطف، وتركت عددها كله لكتاب محمود محمد شاكر- ابتسم له، واحتفى به، ورحَّب، ولم يتكلم! كانت هذه الحفاوة تعبيرًا عن الإكبار، وهكذا كان الكبار يعبرون لا كما نعبر نحن الصغار، يكفي أن يبتسموا لك، أن يحيوك، أن يدعوك إلى الجلوس، هذه تحية كبيرة.

هذا أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي الذي عاش مكروبًا، ومات مكروبًا، تتناول نمطين جديدين وزنيًّا وقافويًّا، من خلال نونيته الشهيرة:

١) بِمَ التَّعَلُّلُ لَا أَهْلٌ وَلَا وَطَنُ وَلَا نَدِيمٌ وَلَا كَأْسٌ وَلَا سَكَنُ
٢) أُرِيدُ مِنْ زَمَنِي ذَا أَنْ يُبَلِّغَنِي مَا لَيْسَ يَبْلُغُهُ مِنْ نَفْسِهِ الزَّمَنُ
٣) لَا تَلْقَ دَهْرَكَ إِلَّا غَيْرَ مُكْتَرِثٍ مَا دَامَ يَصْحَبُ فِيهِ رُوحَكَ الْبَدَنُ
٤) فَمَا يَدُومُ سُرُورٌ مَا سُرِرْتَ بِهِ وَلَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْفَائِتَ الْحَزَنُ
٥) مِمَّا أَضَرَّ بِأَهْلِ الْعِشْقِ أَنَّهُمُ هَوُوا وَمَا عَرَفُوا الدُّنْيَا وَمَا فَطِنُوا
٦) تَفْنَى عُيُونُهُمُ دَمْعًا وَأَنْفُسُهُمْ فِي إِثْرِ كُلِّ قَبِيحٍ وَجْهُهُ حَسَنُ
٧) تَحَمَّلُوا حَمَلَتْكُمْ كُلُّ نَاجِيَةٍ فَكُلُّ بَيْنٍ عَلَيَّ الْيَوْمَ مُؤْتَمَنُ
٨) مَا فِي هَوَادِجِكُمْ مِنْ مُهْجَتِي عِوَضٌ إِنْ مُتُّ شَوْقًا وَلَا فِيهَا لَهَا ثَمَنُ
٩) يَا مَنْ نُعِيتُ عَلَى بُعْدٍ بِمَجْلِسِهِ كُلٌّ بِمَا زَعَمَ النَّاعُونَ مُرْتَهَنُ
١٠) كَمْ قَدْ قُتِلْتُ وَكَمْ قَدْ مُتُّ عِنْدَكُمُ ثُمَّ انْتَفَضْتُ فَزَالَ الْقَبْرُ وَالْكَفَنُ
١١) قَدْ كَانَ شَاهَدَ دَفْنِي قَبْلَ قَوْلِهِمُ جَمَاعَةٌ ثُمَّ مَاتُوا قَبْلَ مَنْ دَفَنُوا
١٢) مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ يُدْرِكُهُ تَجْرِي الرِّيَاحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي السُّفُنُ
١٣) رَأَيْتُكُمْ لَا يَصُونُ الْعِرْضَ جَارُكُمُ وَلَا يَدِرُّ عَلَى مَرْعَاكُمُ اللَّبَنُ
١٤) جَزَاءُ كُلِّ قَرِيبٍ مِنْكُمُ مَلَلٌ وَحَظُّ كُلِّ مُحِبٍّ مِنْكُمُ ضَغَنُ
١٥) وَتَغْضَبُونَ عَلَى مَنْ نَالَ رِفْدَكُمُ حَتَّى يُعَاقِبَهُ التَّنْغِيصُ وَالْمِنَنُ
١٦) فَغَادَرَ الْهَجْرُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمُ يَهْمَاءَ تَكْذِبُ فِيهَا الْعَيْنُ وَالْأُذُنُ
١٧) تَحْبُو الرَّوَاسِمُ مِنْ بَعْدِ الرَّسِيمِ بِهَا وَتَسْأَلُ الْأَرْضَ عَنْ أَخْفَافِهَا الثَّفِنُ
١٨) إِنِّي أُصَاحِبُ حِلْمِي وَهْوَ بِي كَرَمٌ وَلَا أُصَاحِبُ حِلْمِي وَهْوَ بِي جُبُنُ
١٩) وَلَا أُقِيمُ عَلَى مَالٍ أَذِلُّ بِهِ وَلَا أَلَذُّ بِمَا عِرْضِي بِهِ دَرِنُ
٢٠) سَهِرْتُ بَعْدَ رَحِيلِي وَحْشَةً لَكُمُ ثُمَّ اسْتَمَرَّ مَرِيرِي وَارْعَوَى الْوَسَنُ
٢١) وَإِنْ بُلِيتُ بِوُدٍّ مِثْلِ وُدِّكُمُ فَإِنَّنِي بِفِرَاقٍ مِثْلِهِ قَمِنُ
٢٢) أَبْلَى الْأَجِلَّةَ مُهْرِي عِنْدَ غَيْرِكُمُ وَبُدِّلَ الْعُذْرُ بِالْفُسْطَاطِ وَالرَّسَنُ

٢٣) عِنْدَ الْهُمَامِ أَبِي الْمِسْكِ الَّذِي غَرِقَتْ فِي جُودِهِ مُضَرُ الْحَمْرَاءِ وَالْيَمَنُ
٢٤) وَإِنْ تَأَخَّرَ عَنِّي بَعْضُ مَوْعِدِهِ فَمَا تَأَخَّرُ آمَالِي وَلَا تَهِنُ
٢٥) هُوَ الْوَفِيُّ وَلَكِنِّي ذَكَرْتُ لَهُ مَوَدَّةً فَهُوَ يَبْلُوهَا وَيَمْتَحِنُ

"بِمَ التَّعَلُّلُ لَا أَهْلٌ وَلَا وَطَنٌ وَلَا نَدِيمٌ وَلَا كَأْسٌ وَلَا سَكَنٌ"، ما التعلُّل، يا أصيلة؟ يمكنك أن تجيبي عن طريق الشبكة.

- التصبُّر.
- التصبر، الله! هذا هو الجواب، التعلل التصبر، التعلل التسلي كذلك، جميل، جميل! نتصبر بشيء، فهو يقول: بم أتصبر أصلاً؟ بم التعلل؟ أنا في مكان لا لي فيه أهل، ولا هو مكاني، ولا لي صديق ولا كأس ولا سكن، "وَلَا كَأْسٌ"، ولم يكن المتنبي يشرب الخمر، فكيف ذكر هذا؟ قال بعض الشباب عندما ذكرت هذا: يقولون ما لا يفعلون، كما قال ربنا من آخر سورة الشعراء: "يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ"، صدق الله العظيم! "أُرِيدُ مِنْ زَمَنِي ذَا أَنْ يُبَلِّغَنِي مَا لَيْسَ يَبْلُغُهُ مِنْ نَفْسِهِ الزَّمَنُ"، ما هذا؟ ما هذا الذي يريده ولا يبلغه الزمن نفسه من نفسه؟ أظن أنه الخلود، وماذا نريد؟ هكذا أراد أبونا آدم وزوجه شجرة الخلد، "فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا"- ثم هكذا أراد سيدنا إبراهيم -وإنْ بطريقة أخرى-: "وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ"، صدق الله العظيم! هذا هو الخلود، إما أن تعيش، وإما أن تعيش، إما أن تعيش بنفسك، وإما أن تعيش بآثارك، بأولادك، وأعمالك الصالحة، لكنَّك تريد دائمًا الخلود، الخلود، والزمن نفسه لا يَخْلُد، حتى إن الموت نفسه سيموت، ويبقى الواحد القهار وحده: أَنَا الْمَلِكُ، ثم يأمر الأشياء أن تنبعث مرة أخرى! ثم يبدأ أبو الطيب نصائحه، وهو محترف نصائح، يفجّر الحِكم طوال الطريق، والحكم عنده سهلة جدًّا، هو أستاذ هذا الفن. "لَا تَلْقَ دَهْرَكَ إِلَّا غَيْرَ مُكْتَرِثٍ مَا دَامَ يَصْحَبُ فِيهِ رُوحَكَ الْبَدَنُ"، لا تعبأ بما يفعله الزمان -أتذكرون الدهر في مقصورة أبي مسلم؟- يقول لك: لا تعبأ! ما إعراب "ما"؟ "ما" هذه مصدرية ظرفية، أي مدة دوام صحبةِ بدنِك روحَك، طوال هذا الزمان أوصيك ألا تكترث، أي طوال حياتك، تقول: المصدر المؤول من "ما" وما بعدها ظرف زمان في محل نصب، والمقصود لا تكترث طوال حياتك، لا تعبأ، "فَمَا يَدُومُ سُرُورٌ مَا سُرِرْتَ بِهِ وَلَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْفَائِتَ الْحَزَنُ"، عندك هنا "ما" و"ما"، فما الأولى، وما الثانية؟ أهما سواء؟

- لا.
- الأولى؟
- نافية.
- والثانية؟
- مصدرية.
- مثل السابقة -أحسنتِ!- مصدرية ظرفية، فما يدوم سرور طوال مدة سرورك به، ماذا يقصد هذا الرجل؟ ماذا يقصد؟ ماذا يريد؟ يريدك ألا تفضح نفسك أمام الزمان -وهو طبعًا كناية عن أهل الزمان- كما قلنا هناك، أي إذا كنت سعيدًا فأظهر أنك تَعِس، لكيلا تنقلب عليك الأحوال، كأنَّ الدهر لك بالمرصاد، إذا كنت سعيدًا فأخف سعادتك، فالدهر لك بالمرصاد، إذا رآك سعيدًا أتعسك، فما الحل؟ أن تخدعه، إذا حدث شيء، حصلت على كذا، عندك كذا كذا -ما شاء الله!- فتظاهر بالاكتئاب، تظاهر بالاكتئاب، هذه هي الوصية! "مِمَّا أَضَرَّ بِأَهْلِ الْعِشْقِ أَنَّهُمُ هَوُوا وَمَا عَرَفُوا الدُّنْيَا وَمَا فَطِنُوا"، "هَوَوْا" خطأ، "هَوُوا"، عندنا "هَوَوْا"، و"هَوُوا"، صعب هذا في النطق، وستخطئون فيها، وتطردون بعد قليل! عندنا "هَوَوْا"، وعندنا "هَوُوا"، ما معنى هَوَوا؟ سقطوا. ما معنى هَوُوا؟ أحبوا. وقد حاول ابن سناء المُلْك أن يلعب بهذه الصلة بين "هوَوا" و"هوُوا"، قال:

"نَفْسِي بِهَا قَدْ وَقَعْتُ فِي بَلْوَى تَهْوَى الْهَوَى وَالْهَوَى هُوَ الْمَهْوَى"!

فلعب بوحدة جذر "هَوِيَ"، و"هَوَى" ليحتج على نفسه المتعلقة! إن الهوى هو السقوط، وفي الحديث "حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعْمِي وَيُصِمُّ"؛ فهو المهوى في الحقيقة، لأنك إذا أحببت الشيء أعماك عن معايبه؛ فسقطت في الأخطاء؛ فمن ثَمَّ وجب عليك إذا أحببت أن تحب حبيبك هَوْنًا ما كما في الحديث؛ عسى أن يكون بَغيضَك يوما ما! وتمام النصيحة إضافة العكس -وهي بقية الحديث- أنْ إذا أبغضت أن تبغض بغيضك هونا ما؛ عسى أن يكون حبيبك يوما ما! وابن سناء الملك هو الوزير الأيوبي الشاعر، صاحب "دار الطراز في عمل الموشحات"، هو للشعر الموشح، بمنزلة الخليل للشعر العمودي. ماذا قال؟ قال: "نفسي بها قد وقعْتُ في بلوى"؛ ما لك؟ "تهوَى الهوى والهوى هو المهوَى"! فلأمر ما قال المتنبي إذن: "مِمَّا أَضَرَّ بِأَهْلِ الْعِشْقِ أَنَّهُمُ..."، "أنهمُ" -انتبهوا!- "أنهمْ" تكسر الوزن، و"أنهمُ" تسلِّمه، وضم الميم وإشباعها عربي مبين، قرئ به القرآن الكريم -"غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمُ وَلَا الضَّالِّينَ"،

في قراءة الكسائي- فهو وجه معروف، استفاد منه الشاعر، دون أن يرتكب مخالفة، لم يرتكب مخالفة، بل اختار اختيارًا متاحًا، ينبغي ألا تقول: هذا من لغة الشعر الخاصة، التي يسمونها أحيانًا ضرورة، لا هذا كلام متاح، يُقرأ به القرآن الكريم. "هَوُوا وَمَا عَرَفُوا الدُّنْيَا وَمَا فَطِنُوا"، لماذا قال: "وما فطنوا"، ولم يقل: "ولا فطنوا"، "ما عرفوا الدنيا ولا فطنوا"؟ لو قال: "ما عرفوا الدنيا ولا فطنوا"، لكان قد نفى الفعلين كليهما نفيا واحدا، كما تقول أنت في كلامك: ما سمعته ولا رأيته. إذا قلتَ: ما سمعته ولا رأيته. فنفيك واحد، و(لا) توكيد للنفي، لكن إذا قلتَ: ما سمعته وما رأيته، فقد استحدثت نفيًا ثانيًا بعد النفي الأول. فماذا يريد هذا الرجل؟ يريد أن يعتني بعدم الفطنة كما اعتنى بعدم المعرفة، ما عرفوا الدنيا وما فطنوا، أي ما انتبهوا -سبحان الله!- يؤسس نفيًا جديدًا بعد الأول، وهذا من زيادة عنايته بوصف الحال. كيف يا أستاذ؟ "تَفْنَى عُيونُهُم دَمْعًا، وَأَنْفُسُهُمْ فِي إِثْرِ كُلِّ قَبِيحٍ وَجْهُهُ حَسَنُ"، أو فلتقل: "تَفْنَى عُيونُهُم دَمْعًا وَأَنْفُسُهُمْ، فِي إِثْرِ كُلِّ قَبِيحٍ وَجْهُهُ حَسَنُ"، قراءتان فيه كلتاهما جائزة، فما الفرق؟

- نقف على الدمع مرة، ونقف على أنفسهم مرة.
- هذه الوقوف عبقرية، والعبقرية في القرآن الكريم الوقوف! كان عندي طالب حصل على دكتوراة في الوقوف فقط! كان ليبيًّا، وكان عندهم قارئ قرآن غريب الوقوف، اسمه الهِبْطِي، أدهشهم بوقوفه على مواضع لا يقفون عليها، لكي يفُجّر معانيَ لم تكن في البال -ها!- ما الفرق؟ أما "تَفْنَى عُيونُهُم دَمْعًا، وَأَنْفُسُهُمْ فِي إِثْرِ كُلِّ قَبِيحٍ وَجْهُهُ حَسَنُ"، فمعناه أنهم ينتحبون وأنفسهم متعلقة بالحِسَان الظاهرِ القِبَاح الباطنِ! وأما "تَفْنَى عُيونُهُم دَمْعًا وَأَنْفُسُهُمْ، فِي إِثْرِ كُلِّ قَبِيحٍ وَجْهُهُ حَسَنُ"، فمعناه أنهم ينتحبون ويموتون في تعقب الحِسَان الظاهر القِبَاح الباطن، هذا في وادٍ، وذاك في وادٍ.

ما إعراب دمعًا؟

- مفعول لأجله.
- خطأ!
- حال.
- خطأ!
- مفعول به.

- خطأ!
- مفعول مطلق.
- خطأ!
- تمييز.
- تمييز -أحسنت!- ك"شَيْبًا"، في قول الحق -سبحانه، وتعالى!- "اشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا" -الله أكبر، الله أكبر! هذا الأذان طبعًا، كنت قديمًا أطرد من أسمع جوَّاله في المحاضرة، أو ألغي المحاضرة وإنْ بالأذان، كنت أحاضر أحيانًا في الجموع الحاشدة، فأسمع الجوّال، فأقول: يا جماعة، من صاحب الجوّال؟ فيسكتون، من؟ فألغي المحاضرة، وأخرج! في المرات اللاحقة صاروا يضربونه، هم الذين يضربونه طبعًا! لا، لا، نحن طبعًا نردد مع الأذان، هذه هي السُّنة وكذا، هذا كله طبعًا واجب، لكن ليس من المقبول أن نترك الجوال مفتوحًا في المحاضرات، هذا من إهانة الأستاذ!- ما إعراب دمعًا؟ تمييز. طيب! "أنفسهم"، إذا عطفناها على "عيونهم" هذه، وقلنا الكلام واحد: "تفنى عيونهم دمعًا وأنفسهم"، طيب، هل تفنى أنفسهم دمعًا مثل عيونهم؟ وكيف؟ في الكلام تمييز مناسب محذوف، مفهوم من الأول، أي تفنى عيونهم دَمْعًا وأنفسهم نَفَسًا مثلا، شيئا فشيئًا، كما قال الشاعر:

"وَزَجَّجْنَ الْحَوَاجِبَ وَالْعُيُونَا"،

أي زججن الحواجب، وكحّلن العيون، هكذا يفعلون، يستعيضون بشيء عن شيء، ثم يقول لهم: "تَحَمَّلُوا حَمَلَتْكُمْ كُلُّ نَاجِيَةٍ فَكُلُّ بَيْنٍ عَلَيَّ الْيَوْمَ مُؤْتَمَنُ"، ما الناجية؟ الناقة السريعة، يقول لهم: تحملوا، ابتعدوا عني (غوروا في داهية)، حملتكم كل ناجية، أسأل الله أن تذهبوا وتَضيعوا وتفارقوني، حملتكم كل ناجية، فكل بين علي اليوم مؤتمن: وأنتم غير مؤتمنين، آمَنُ الفراق ولا آمَنُكم! كيف؟ وضح! "مَا فِي هَوَادِجِكُمْ مِنْ مُهْجَتِي عِوَضٌ إِنْ مُتُّ شَوْقًا وَلَا فِيهَا لَهَا ثَمَنُ"، ماذا سأستفيد إذا أهلكت نفسي في إثركم؟ ماذا سأستفيد؟ كلام غاضب طبعًا، أهكذا يقول المتغزل! أهكذا يقول! لكنه يقوله لشخص هو غاضب عليه، وهذه عادة العرب، كانوا يتغزلون في أول الهجاء! كيف تتغزل وأنت في هجاء! يتغزل بغزل يُقدِّم به الهجاء! من عجائب ما يحكون أنهم كانوا يعرضون لغرض الرحلة من أغراض القصيدة الواحدة، فإذا كانوا في رثاء قتلوا ثور الوحش، وأحيوا

كلاب الصيد! وإذا كانوا في مديح أحيوا ثور الوحش وقتلوا كلاب الصيد! يا سلام على الكلام الجميل! أبهذه الدقة، أَوَإلى هذا الحد يُدقِّقون! طيب، أهذا غزل أم سَبٌّ تمهيدًا للغضب العارم الذي سيأتي بعد قليل! لكن لو كان في مقام مدح مثلا لسمعتم شيئا آخر، كما في قصائد أخرى! كيف يقول لمحبوبته: "تَحَمَّلُوا حَمَلَتْكُمْ كُلُّ نَاجِيَةٍ -(غوروا في داهية)- فَكُلُّ بَيْنٍ عَلَيَّ الْيَوْمَ مُؤْتَمَنُ"! "مَا فِي هَوَادِجِكُمْ -والهوادج مراكب النساء، فالكلام عن النساء إذن- مِنْ مُهْجَتِي عِوَضٌ إِن مُتُّ شَوقًا وَلَا فِيهَا لَهَا ثَمَنُ"، أهذا كلام متغزلين؟ هذا كلام مقاتلين! وكان المتنبي يقول: "مُتُّ"، لا "مِتُّ" كما أقول أنا، وبهما قرئ القرآن، كلاهما فصيح. ثم انتقل الآن إلى الغضب العارم "يَا مَنْ نُعِيتُ عَلَى بُعْدٍ بِمَجْلِسِهِ كُلٌّ بِمَا زَعَمَ النَّاعُونَ مُرْتَهَنُ"، من يُكلِّم؟ سيف الدولة، لأن هذه القصيدة بعد سفره عن سيف الدولة في حلب، وفيها غضب عارم عليه. ذكروا لك في مجلسك أنني متُّ، وهل في الموت شماتة! من منكم لا يموت، يجيئه الموت فيقول له: لا، لا، لن أموت هذا العام، تأخر! كان الناس في الزمان الأول يأتيهم ملك الموت الذي وُكِّل بهم، يرونه حين يأتي ليقبض أرواحهم ويمضي! قيل -وهذا أثر معروف، على ما فيه من نظر شديد-: إنَّ إبْرَاهِيمَ -عليه السلام!- قَالَ لِمَلَكِ الْمَوْت حِينَ جَاءَهُ لِقَبْضِ رُوحِه: هَلْ رَأَيْتَ خَلِيلًا يُمِيتُ خَلِيلَهُ؟ فَأَوْحَى اللَّهُ -سبحانه، وتعالى!- إِلَيْهِ، أَنْ قُلْ لَهُ: هَلْ رَأَيْتَ خَلِيلًا يَكْرَهُ لِقَاءَ خَلِيلِهِ"! -قيل- فحَجَّه ملَكُ الموت، أي غلبت حُجَتُه حُجتَه! كانوا يرون ملك الموت رأي العين، فنحن الآن في نعمة، يأتينا بغتة، لا ندري من أين تأتينا الضربة، نموت في حادث، نموت في كذا، نموت في كذا! كانوا قديمًا يرونه قد نفذ إلى مضاجعهم: كيف دخلت والباب مغلق؟ لا تمنعني الأبواب! يشمتون في موتي! وهل في الموت شماتة! ربما متَّ وأنت تشمت! ثم يقول له: "كَمْ قَدْ قُتِلْتُ وَكَمْ قَدْ مُتُّ عِنْدَكُمُ ثُمَّ انْتَفَضْتُ فَزَالَ الْقَبْرُ وَالْكَفَنُ"، بيت مُدْهِش، يقول له: ما أكثر ما زعموا لك أنني مت، ثم فجأة وجدوني داخلًا من الباب، فجأة وجدوني، فقالوا: أعوذ بالله! يفرحون، ويُهنِّئ بعضهم بعضًا بوفاة المتنّبي: أسمعتم، لله الحمد والشكر، مات المتنبي! وفجأة يجدونه داخلًا! وفي هذا المقام أتذكر دائمًا حكاية جدتي، وكنت أستمع منها الى حكاية عنترة والزير سالم وسيرة بني هلال، وكانت تحفظ هذه، تحفظها كاملة. حكت لي أن رجلًا زار قبر عنترة، -ولا أدري أين قبره؟ لكن ثَمَّ مزارات ربما كانت معروفة، قبر حاتم الطائي معروف مثلا في حائل، يزار، وربما كان قبر عنترة معروفًا إلى وقت

معين مثلًا- ووقف على القبر وكأنه يكلم عنترة: أنت عنترة أبو الفوارس الذي حكوا عنه كذا وكذا، ماذا كنت لتستحق كل هذه الشهرة -قالوا- نخرج له من القبر -هكذا والله الحكاية- مسلسلًا في السلاسل! عجبا لهم، يُسَلْسِلونه في القبر وهو ميت، أيخافون أن ينتفض، أم يذكرون قوله:

"أَنَا الْمَوْتُ إِلَّا أَنَّنِي غَيْرُ صَابِرٍ عَلَى أَنفُسِ الْأَحْرَارِ وَالْمَوْتُ يَصْبِرُ"!

أي أنا أشدُّ عليهم من الموت، كما قال ربنا في كتابه، ماذا قال؟ ذكروني، ذكروني، أين ليث الكندي؟

- "لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ"!
- في صدورهم من الله نفسه، سبحان الله! "ثُمَّ انْتَفَضْتُ فَزَالَ الْقَبْرُ وَالْكَفَنُ"، رميت هذا يمينًا وهذا يسارًا ووقفت. "قَدْ كَانَ شَاهَدَ دَفْنِي قَبْلَ قَوْلِهِمُ جَمَاعَةٌ ثُمَّ مَاتُوا قَبْلَ مَنْ دَفَنُوا"، ماذا يقصد؟ ما أكثر ما قالوا لك في المجلس: مات، مات، ودفنَّاه، رأيناه، بأعيننا رأيناه، دفناه، دفناه، وكانوا كاذبين، بل ماتوا قبلي، دفنتهم، ولم يدفنوني! أعرف شخصًا هَرِمًا ذهبَت معه إلى الحج أختاه، ليموت، وتدفناه هناك، فَمَاتَا ودفنهما هو! يحدث ذلك كثيرًا، نعرفه، يذهب ناس مُسنُّون، ويذهب معهم من يساعد على دفنهم في الأماكن الطاهرة ويعود، فيموت ويدفنونه هم، ويعودون دونه! ثم تأتي عروس القصيدة "مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ يُدْرِكُهُ تَجْرِي الرِّيَاحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي السُّفُنُ"، لا "السَّفِنُ" كما تقولون! ثم يبالغ في الغضب العارم "رَأَيْتُكُمْ -أهذا كلام يقال للأمير!- لَا يَصُونُ الْعِرْضَ جَارُكُمُ وَلَا يَدِرُّ عَلَى مَرْعَاكُمُ اللَّبَنُ"، "لا يَدِرُّ": لا يسيل، أي أنا مُهان في مجلسكم، وهذا ليس من النبل ولا من النجابة، أهذا كلام يقال للأمير! لهذا كانوا يغضبون على المتنبي، يخاطب الأمير بخطاب السُّوقة (الرعيّة) العاديين! ومن عادات المتنبي مثلا أنه لم يكن ينشد إلا قاعدا، والشعراء جميعًا يقومون لإنشاد الأمير، فإذا ما رأوا منه ذلك حقدوا عليه، حتى لقد دبروا لقتله أكثر من مرة، وطالت الخصومة بينه وبين أبي فراس الحمداني الشاعر الجميل النبيل، نعم!

كان للمتنبي هيمنته وسلطته الأدبية، وهي ما أكسبه سلطته السياسية، لذلك يقال كثيرًا: إن الشعر الجاهلي أو القديم نزل عن منزلته، ثم كان المتنبي هو الذي رده إليها.

-أعاده سيرته الأولى، جميل، جميل! ثم يبالغ: "جَزَاءُ كُلِّ قَرِيبٍ مِنكُمُ مَلَلٌ وَحَظُّ كُلِّ مُحِبٍّ مِنكُمُ ضَغَنُ"، تَمَلُّون من يجالسكم، وتحقدون على من يحبكم، أللأمير يقال هذا! "وَتَغْضَبُونَ عَلَى مَنْ نَالَ

رِفْدَكُمُ حَتَّى يُعَاقِبَهُ التَّنْغِيصُ وَالْمِنَنُ" -"رفدكُمْ" بتسكين الميم يكسر الوزن- تغضبون على من نال رفدكُمُ، ما الرفد؟ نال رفدكم، الرفد إذن: العطاء. ناله أخذه، وهل في الحقارة أحقر من هذا! هل في اللؤم ألأم من هذا! ومن يُكَلِّم؟ سيفَ الدولة! ثم يقول بعد هذا -وأطالبكم أن تعرفوا الأسلوب-: "فَغَادَرَ الْهَجْرُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمُ يَهْمَاءَ تَكْذِبُ فِيهَا الْعَيْنُ وَالْأُذُنُ"، ما اليهماء؟ الصحراء. يهماء، كلمة فيها انطلاق صوت، فيها من هبوب الريح في الصحراء، تخدعك بالماء، "حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ" -صدق الله العظيم!- كيف تكذب العين في الصحراء؟ تقول له: أرى على البُعد ماءً، ولا ماءَ! كيف تكذب الأذن؟ تقول: أسمع في الأرجاء صوتَ ناس، ولا صوت! لماذا؟ لشساعة هذه الصحراء، وتلاطمِ الأهواء، وصفير الرياح، لا لوجود أحد، فما أسلوب "فَغَادَرَ الْهَجْرُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمُ يَهْمَاءَ"، ما هذا الأسلوب؟ ما هذا الأسلوب؟ يتكلم عن أن الهجر غادر فيما سبق بيني وبينكم يهماء؟

- يدعو عليهم.
- يدعو عليهم -أحسنت، يا سالمة!- يقول: أسأل الله أن يفرِّق بيني وبينكم، أن تفرِّق بيني وبينكم صحراء مترامية لا تُعرف لها حدود، لا أريد أن أراكم. منتهى الغضب، لا، بل يُمعن في وصف الصحراء، فيقول: هذه الصحراء من طولها "تَحْبُو الرَّوَاسِمُ مِنْ بَعْدِ الرَّسِيمِ بِهَا وَتَسْأَلُ الْأَرْضَ عَنْ أَخْفَافِهَا الثَّفِنُ"، والرسيم سير الإبل السريع، يقول: لطولها تجري فيها الإبل حتى تتعب فتضعف عن سير إلى سير، حتى تحبو على الأرض من العناء. الثَّفِن: جمع ثَفِنة، اسم جنس جمعي، لما يصيب الأرض من أعضاء الدابة، فمن كثرة الحفاء يسأل بعض أجزاء الجسم عن بعض، كما تقول أنت في السفر من طول المشي مثلا: أين نعلاي، بل أين قدماي؟ انبرَت النعلان، ثم القدمان، يسأل بعضك بعضا -"وَتَسْأَلُ الْأَرْضَ عَنْ أَخْفَافِهَا الثَّفِنُ"- فتسأل الثفناتُ الأرضَ: أين جسمي، ماذا فعلت به، أبَرَيْتِه، أوَأكَلْتِه! ثم يفتخر بنفسه "إِنِّي أُصَاحِبُ حِلْمِي وَهْوَ بِي كَرَمٌ وَلَا أُصَاحِبُ حِلْمِي وَهْوَ بِي جُبُنُ"، ما الحِلْم؟ سعة الصدر والصبر على أخلاق الناس اللئيمة، أي حين يكون مفخرة، لأنك أحيانًا تكرم اللئيم:
- "إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكْتَهُ وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ...
- تَمَرَّدَا!

- وهذا كلام المتنبي كذلك! "إِنِّي أُصَاحِبُ حِلْمِي"، لكن بشرط أن أكون به كريما، لا جبانا! "وَهْوَ بِي جُبُنُ"، إذا حركتم هاء "وَهْوَ" كسرتم الوزن، وإذا سكنتم باء "جُبُنُ" كسرتم الوزن! انظروا إلى الحالين المتضادتين في البيت نفسه -سبحان الله!- هاء "وهُو" مضمومة، أوجب الوزن عليك تسكينها -وهو معروف في العربية، لا يُعَدُّ من الضرورة، بل قُرِئ به القرآن الكريم- وباء "جُبُن" ساكنة، أوجب الوزن عليك تحريكها بالإتباع، وهو من ألطف ضرائر الشعر، حتى إنك نتوقع أن يكون في متن اللغة، وبين يديك قول الحق -سبحانه، وتعالى!- "فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ"، بفتح هاء "نَهَر"، وأنتم في الخليج تحركون الوسط الساكن من الكلمة الثلاثية، تقولون: بَحَر، نَهَر، بَدَر، صَقَر -!- هكذا تفعلون، ونحن في مصر نسكن وسطها المتحرك، وكلاهما عربي. "وَلَا أُقِيمُ عَلَى مَالٍ أُذَلُّ بِهِ وَلَا أَلَذُّ بِمَا عِرْضِي بِهِ دَرِنُ"، تظن أنك تذلّني بمالك الذي أعطيتني؟ لا! لا أذلّ به، ولا ألذّ -تأملوا بديع "أُذَلّ" و"أَلَذّ"، المنعكسي الأحرف انكاس حالي الذلة واللذة!- مهما أطعمتني وسقيتني! ما الدرِن؟ المتسخ، والدَرَن؟ الاتساخ. وما العِرض أصلًا؟ ما العِرض؟ ما يجب على الإنسان حمايته، لكأنه إنما سمي بهذا لأنه يظهر به في الناس، يُعرَضُ به على الناس. وكان سيف الدولة حبيب المتنبي، فلما سافر عنه تأرق مُدَّةً من الزمن، هكذا يقول: "سَهِرْتُ بَعْدَ رَحِيلِي وَحْشَةً لَكُمُ ثُمَّ اسْتَمَرَّ مَرِيرِي وَارْعَوَى الْوَسَنُ" -"لكمُ"، لا "لكمْ"- يقول: كنت أحبكم، وما زال في الحقيقة يحبهم، لكنه غاضب! استمر مَريري: استحصدتْ قوتي، تماسكتُ، المرير القوة، واستمر استحكم وقَوِي، كأنك تَفْتِل حبلًا فَتْلًا جيدًا، "وَارْعَوَى الْوَسَنُ"، ما معنى ارعوى؟ ازدجر، أطاعني على رغمه. ما الوسن؟ أنا كنت مؤرَّقًا، وبقيتُ مؤرقًا مدة من الزمن، ثم صرت أستطيع النوم بعد ما تناسيتكم، تذكَّرتُ إساءتكم، فتناسيتكم! "وَإِنْ بُلِيتُ بِوُدٍّ مِثْلِ وُدِّكُمُ فَإِنَّنِي بِفِرَاقٍ مِثْلِهِ قَمِنُ"، أي لن أصبر عليه، وستظل هذه عادتي. ما معنى قَمِن؟ القَمِن والقَمِين الجدَير، وليس في العربية "جَدِر" كـ"قَمِن"؛ فليست اللغة عناصر مادية نفعل بها ما نشاء!

- ما الفرق بين الوِد والوُد؟

- الوُد مصدر، والوِد اسم مصدر، وفي العربية الوَد أيضا؛ فالكلمة مما يسمى المثلَّث. وينبغي أن يكون الوَد مصدرا كالوُد، ولكن لغير صيغة "وَدِدْتُ"؛ فقد قيل: وَدَدْتُ أيضا -وإن ضعَّفها بعض اللغويين- فيكون مصدره هو الوَد. هذا باب من التدقيق يجلي عن عبقرية العربية، يغلقه علينا من

يرسلون الوجوه إرسالا واحدا فرحين بما حفظوا! ثم ينتقل المتنبي إلى الكلام عن كافور في مصر. كان قد هرب، ترك حلب، وهرب إلى مصر أملًا أن يُولَّى ولاية، فلم يُمَكِّنه كافور، وكان كافور هذا عبدًا وصيًّا على ولي العهد من آخر الدولة الأيوبية، الذي كان طفلًا، وكان كافور خادمه، مات الأب، فصار الخادم وصيًّا على الطفل، كما كان المنصور بن أبي عامر في قرطبة، فاستولى على الحكم كما استولى المنصور. هي إذن عادة -لا قطع الله لكم في الخير عادة، لا الشر!- أن يكون وصيًّا فيستولى على الأمر! فماذا حدث؟ كان عبدا زنجيًّا، والمتنبي متعصب للعرب، لا يرضى أن يحكم العربَ غيرُ عربي، على رغم "اسْمَعُوا، وَأَطِيعُوا، وَلَوْ أُمِّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ"! ليست المسألة بالألوان، ولا بالأعراق، ولا بكذا، لكن ماذا تفعل؟ المُلك عضوض، والعصبية جاهلية؛ فإنما ننتمي إلى الإسلام والعروبة الممتزجة بالإسلام التي رفعها الإسلام إلى أعلى علّيين، والعروبة نفسها ليست بأب لأحد ولا أم، بل هي اللسان؛ فمن تكلم العربية فهو عربي. وكان كافور هذا عالمًا من العلماء؛ لهذا كانوا يسمونه الأستاذ، لم يكن أي أحد، كان ذكيًّا جدًّا، عالمًا نحريرا خبيرا، فلم يخدع بقول المتنبي -اسمعوا كيف يخدعه!-: "أَبْلَى الْأَجِلَّةَ مُهْرِي عِنْدَ غَيْرِكُمُ وَبُدِّلَ الْعُذْرُ بِالْفُسْطَاطِ وَالرَّسَنُ"، يقول أنا بحمد الله اهتديت إلى المكان المناسب -الأَجِلَّة جمع جِلال، وهو كساء يُحمى به الحِصان من البرد- أنا الآن في مكان أستطيع فيه أن أحمي مُهري، وأن أكسوه الكِساء بعد الكساء! و"بُدِّلَ الْعُذْرُ"، ما العذر؟ "العُذْر" مخففة من "عُذُر"، و"عُذُر" جمع "عِذَار"، كـ"كُتُب" جمع "كِتَاب"، و"العِذَار" اللجام، أي أنا مرتاح جدًّا. إذا شبهنا المُهر بالسيارة كان كما تقول: وأغسل سيارتي، وأنظفها، وأموّنها مجانًا، وكذا، أستمتع في المزرعة التي أعيش فيها، فأنا في نعمة! "وَبُدِّلَ الْعُذْرُ بِالْفُسْطَاطِ وَالرَّسَنُ"، ما الفسطاط؟ أصل القاهرة، وهذا الحي هو الذي أنشأه سيدنا عمرو بن العاص -رضي الله عنه!- وسُمِّي الفسطاط باسم فسطاط خيمة سيدنا عمرو، أي عمودها الذي يرفعها، سُمِّي به مكانه، ثم صار مدينة تُسمَّى الفسطاط، وهي قريبة مني، فيها جامع سيدنا عمرو، نمشي إليه أنا وأبنائي لصلاة الجمعة؛ فليس قريبًا جدًّا، لكن نستطيع أن نمشي إليه. والجامع قديم على طريقة المساجد العُمانية القديمة؛ كان سيدنا عمرو في عُمان قبل أن يذهب إلى مصر، واليا على الأموال؛ فلعله بنى المسجد على طريقة المساجد العمانية القديمة! والآن ترتاح إذا زرته كثيرا، تجد الاتساع دون زخرفة؛ فيا جماعة، إذا ذهبتم إلى القاهرة فاحرصوا على زيارة جامع

عمرو بن العاص، أقدم جوامع إفريقية على الأطلاق. "وَبُدِّلَ الْعُذْرُ بِالْفُسْطَاطِ وَالرَّسَنُ"، الرسن القيد، أي صرت في نعمة، أفعل وأبدّل وأهيِّئ خيولي، وأغيّر ألجمتها وأقيادها! عند من؟ "عِنْدَ الْهُمَامِ أَبِي الْمِسْكِ الَّذِي غَرِقَتْ فِي جُودِهِ مُضَرُ الْحَمْرَاءِ وَالْيَمَنُ"، كان يسميه من سواده أبا المسك، الذي غرق في جوده العرب جميعا عدنانيين وقحطانيين، يحتال عليه، فلم يفعل له شيئًا بعدُ - وهيهات!- فيُملي له في المكيدة، "وَإِنْ تَأَخَّرَ عَنِّي بَعْضُ مَوْعِدِهِ فَمَا تَأَخَّرُ آمَالِي وَلَا تَهِنُ"، ما فرق ما بين "تَأَخَّرَ" و"تَأَخَّرُ"؟

- في الثانية "تَأَخَّرُ" بحذف تاء.
- اللّٰه! والأولى؟ هل نقلتِ عن أحد؟
- لا، هي في القرآن.
- في أي مكان؟ ماذا قال رب العالمين؟ "هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ"، أي تتنزل. ماذا حدث؟ حذف إحدى التاءين تخفيفًا، وكذلك "تأخر"، أي تتأخر، استثقل تكرار الأمثال، أما الأول فالفعل الماضي العادي، وإن تَأَخَّرَ عني في ما سبق بعض موعده فلن أملّ، وسيفعل لي ما أريد -إن شاء اللّٰه!- فما تأخر، ما تتأخر، لا أكف عن التأميل، ولا تهن آمالي أي لا تضعف. ثم يختم "هُوَ الْوَفِيُّ وَلَكِنِّي ذَكَرْتُ لَهُ مَوَدَّةً فَهُوَ يَبْلُوهَا وَيَمْتَحِنُ"، "هُوَ الْوَفِيُّ" -ما شاء اللّٰه، وما مِن أثر فيه!- سيحقق لي -إن شاء اللّٰه!- ما أريد، وكل ما في الأمر أنني ادعيتُ أنني أحبه، وهو محتاج إلى وقت حتى يختبر هذه الدعوى، وينكشف له صدقي! ولم يكن صادقًا في محبته، لم يحبه أصلًا، حتى إن النقاد زعموا أن مدحه له مبطن بالهجاء. وكان كافور أستاذًا خبيرا بالناس، لم يواجه المتنبي بحقيقته، وتركه يتوهّم، يعيش في الأوهام، ثم لما ملَّ المتنبي هرب، قال هذا، ثم هرب طبعًا، اختفى، ولم يكن من الأدب أن يسافر الشاعر الكبير عن الأمير إلا بعد أن يستأذنه، لكنه لم يكن يضمن، لم يكن يعرف ماذا سيفعل به كافور هذا الشيطان؛ فهرب! طيب، **<u>من يقرأ في منافسة بخمس زائدة، أو خمس ناقصة، أو طرد؟</u>** وأنا أستمتع بالطرد، ممتع! من، من؟

- أنا.
- من؟ ذكريني!
- بيان.

- طيب! وإن من البيان لسحرًا! ننظر في هذا، إن شاء الله! هذه إذن بيان قد نافست على خمس درجات زيادة أو نقصًا أو طردًا، معتمدة على اسمها الجميل، لكن هذه أسماء -يا بيان!- و"الأسامي كلام، شو خَصّ الكلام؟ عِنَيْنا هِنّ أسامينا" كما قالت السيدة فيروز! الأسامي كلام، اسم جميل -صحيح- اسم جميل -الشيخ علي الطنطاوي بنته اسمها بيان- و"الأسامي كلام شو خَصّ الكلام؟ عِنَيْنا هِنّ أسامينا"! العيون منها عين سوداء، وعين زرقاء، وعين خضراء، تكشف عما بداخلها، أما الأسامي فكلام! هذا طبعًا كلام باطل، هذا كلام باطل، تلعب علينا فيروز، اللغة أهم من أي شيء، اللغة أهم من أي شيء، تكَّلمْ حتى أراك، إذا فتحت فاك عرفناك! تفضلي، يا بيان!
- بِمَ التَّعَلُّلُ...
- أول القصيدة...!
- بِمَ التَّعَلُّلُ لَا أَهْلٌ وَلَا وَطَنُ وَلَا نَديمٌ وَلَا كَأْسٌ وَلَا سَكَنُ
أُرِيدُ مِنْ زَمني ذَا أَنْ يبلِّغَنِي مَا لَيْسَ يَبْلُغُهُ مِنْ نَفْسِه الزَّمَنُ
لَا تَلْقَ دَهْرَكَ إِلَّا غَيْرَ مُكْتَرِث مَا دَامَ يَصْحَبُ فِيهِ رُوحَكَ الْبَدَنُ
فَمَا يَدُومُ سُرُورٌ مَا سُرِرْتَ بِهِ وَلَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْفَائِتَ الْحَزَنُ
مِمَّا أَضَرَّ بِأَهْلِ الْعِشْقِ أَنَّهُمُ هَوُوا وَمَا عَرَفُوا الدُّنْيَا وَمَا فَطِنُوا
تَفْنَى عِيونُهُمُ دَمْعًا وأَنفُسُهُمْ...
- أعيدي!
- تَفْنَى عُيونُهُمُ دَمْعًا وَأَنْفُسُهُمْ فِي إِثْرِ كُلِّ قَبِيحٍ وَجْهُهُ حَسَنُ
تَحَمَّلُوا حَمَلَتْكُمْ كُلَّ نَاجِيَةٍ...
- خطأ! مع السلامة، والبقية تأتي! قالت: تَحَمَّلُوا حَمَلَتْكُمْ كُلَّ نَاجِيَةٍ، كلَّ ناجية! الحمد لله! أحمدك، يا رب! طردنا واحدة، مع السلامة! ثم من؟ انتصار؟ من؟ من ينافس على الطرد؟ الآن انخذل الجماعة، خافوا، نزلت الأيدي التي كانت مرفوعة، انتصار، سمعنا سالمة من قبل!
- من البداية؟
- ابدئي من البداية حتى نستمتع بطريقتك في الأداء، لكنها طبعا نتغير عند المنافسة، يتحول الإنسان شخصًا آخر عند المنافسة، ابدئي!

- بِمَ التَّعَلُّلُ لَا أَهْلٌ وَلَا وَطَنُ وَلَا نَدِيمٌ وَلَا كَأْسٌ وَلَا سَكَنُ
أُرِيدُ مِنْ زَمَنِي ذَا أَنْ يُبَلِّغَنِي مَا لَيْسَ يَبْلُغُهُ مِنْ نَفْسِهِ الزَّمَنُ
لَا تَلْقَ دَهْرَكَ إِلَّا غَيْرَ مُكْتَرِثٍ مَا دَامَ يَصْحَبُ فِيهِ رُوحَكَ الْبَدَنُ
فَمَا يَدُومُ سُرُورٌ مَا سُرِرْتَ بِهِ وَلَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْفَائِتَ الْحَزَنُ
مِمَّا أَضَرَّ بِأَهْلِ الْعِشْقِ أَنَّهُمُ هَوُوا وَمَا عَرَفُوا الدُّنْيَا وَمَا فَطِنُوا
تَفْنَى عُيُونُهُمُ دَمْعاً وَأَنْفُسُهُمْ فِي إِثْرِ كُلِّ قَبِيحٍ وَجْهُهُ حَسَنُ
تَحَمَّلُوا حَمَلَتْكُمْ كُلُّ نَاجِيَةٍ فَكُلُّ بَيْنٍ عَلَيَّ الْيَوْمَ مُؤْتَمَنُ
مَا فِي هَوَادِجِكُمْ فِي مُهْجَتِي عِوَضٌ...
- ماذا قالت؟
- في.
- قالت: في، مع السلامة!
- مهلاً!
- ما لي علاقة -ما لي خُصّ- ماذا قال؟ "مَا فِي هَوَادِجِكُمْ مِنْ...". ماذا قلتِ؟ تأثرت بـ"في" السابقة فقلت: " مَا فِي هَوَادِجِكُمْ فِي مُهْجَتِي..."! مع السلامة! من -ها!- من؟ مهلب، هل سمعناك من قبل؟ سمعنا أصيلة، سمعنا أمل، سمعنا سالمة، اسمعوا المهلب، وسمي بمهلبٍ جبارُ الأمويين! تبدأ من الأول؟
- نعم.
- تستطيع؟
- إن شاء الله!
- يكفيك نصف القصيدة، لكن صوت انتصار هذا صوت إعلامي، صوت جميل، معروفة، أعرفها من قبل -ما شاء الله!- تنطرد بشرف ورأسها في السماء، مع السلامة، واذكرينا -إن شاء الله! اجعلينا على بالك، لا تقطعي الزيارات، إن شاء الله! فصوتها فيه خصوصية، اسمعوا المهلب!
- بِمَ التَّعَلُّلُ لَا أَهْلٌ وَلَا وَطَنُ وَلَا نَدِيمٌ وَلَا كَأْسٌ وَلَا سَكَنُ
أُرِيدُ مِنْ زَمَنِي ذَا أَنْ يُبَلِّغَنِي مَا لَيْسَ يَبْلُغُهُ مِنْ نَفْسِهِ الزَّمَنُ

لَا تَلْقَ دَهْرَكَ إِلَّا غَيْرَ مُكْتَرِثٍ...

- أعد!
- لَا تَلْقَ دَهْرَكَ إِلَّا غَيْرَ مُكْتَرِث مَا دَامَ يَصْحَبُ فِيهِ رُوحَكَ الْبَدَنُ
  فَمَا يَدُومُ سُرُورٌ مَا سُرِرْتَ بِهِ وَلَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْفَائِتَ الْحَزَنُ
- مع السلامة، خديه معاك، يا انتصار!
-ههه!
- قلت لكم، هذه عين، تخصص، إذا ما أثنيت على الشخص دمرته تدميرًا! والآن نعمل مجانًا، من يقرأ مجانًا، من -ها!- من؟ من نسمع؟ سمعناك من قبل؟ اسمعوا سالمة، وهي -فلنثن عليها قليلًا!- طالبة تستحق التقدير، لَمَّا كانت عندنا في عمل سابق كانت عندها أفكار طيبة، ها!
- بِمَ التَّعَلُّلُ لَا أَهْلٌ وَلَا وَطَنُ وَلَا نَدِيمٌ وَلَا كَأْسٌ وَلَا سَكَنُ
  أُرِيدُ مِنْ زَمَنِي ذَا أَنْ يُبَلِّغَنِي مَا لَيْسَ يَبْلُغُهُ مِنْ نَفْسِهِ الزَّمَنُ
- ما ليس يبلُغه.
- ... يَبْلُغُهُ مِنْ نَفْسِهِ الزَّمَنُ
- لَا تَلْقى...
- لا تلقى! أين الجزم؟ لا تلقَ دهرك، سريعًا، ها!
- لَا تَلْقَ دَهْرَكَ إِلَّا غَيْرَ مُكْتَرِثٍ مَا دَامَ يَصْحَبُ فِيهِ رُوحَكَ الْبَدَنُ
  فَمَا يَدُومُ سُرُورًا
- فما يدوم سرورًا! ما شاء الله، أنتِ في نعمة هذه الليلة، في نعمة، وإلا طُرِدت عشر مرات، في نعمة كبيرة ينبغي أن تحمدي الله عليها، "فما يدوم سرورٌ".
- فَمَا يَدُومُ سُرُورٌ مَا سُرِرْتَ بِهِ وَلَا يَرُدُّ
- "ولا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْفَائِتَ الْحَزَنُ"، ها! "مِمَّا أَضَرَّ بِأَهْلِ الْعِشْقِ"، ها، ارفعي صوتك!
- أَنَّهُمُ هَوَوا...
- لا، "هَوَوْا" خطأ، "هَوُوا وَمَا عَرَفُوا الدُّنْيَا وَمَا فَطِنُوا"، ارفعي صوتك!
- تَفْنَى.

- "تَفْنَى"، لا "تُفْنَى"! كذلك كانت طالبة من الخريجات تقول: عِيون، وهي عُيون، على رغم أن عِيونًا لهجة موجودة، وبها قُرِئ القرآن، لكننا في المشتركة لا نفعل هذا، بل نقول: عُيُون، "تَفْنَى عيونُهُم دَمْعًا وَأَنْفُسُهُمْ...
- ... فِي إِثْرِ كُلِّ قَبِيحٍ
- ... وَجْهُهُ حَسَنُ
- تَحَمَّلُوا حَمَلَتْكُمْ كُلَّ...
- ... كُلٌّ.
- ... كُلُّ نَاجِيَةٍ فَكُلُّ بَيْنٍ عَلَيَّ الْيَوَمَ مُؤْتَمَنُ
- أصيلة، أكملي!
- مَا فِي هَوَادِجِكُمْ مِنْ مُهْجَتِي عِوَضٌ...
- أصيلة، هذا الصوت غريب! أصيلة المجرية، من أين يخرج هذا الصوت؟ لا أعرف! أصيلة، أكملي -لا بد- أصيلة المجرية حفيدتي!
- مَا فِي هَوَادِجِكُمْ مِنْ مُهْجَتِي عِوَضٌ إِنْ مُتُّ شَوْقًا وَلَا فِيهَا لَهَا ثَمَنُ
- جميل!
- يَا مَنْ نُعِيتَ...
- يَا مَنْ نُعِيتُ...
- يَا مَنْ نُعِيتُ عَلَى بُعْدٍ بِمَجْلِسِهِ كُلٌّ بِمَا زَعَمَ النَّاعُونَ مُرْتَهَنُ
  كَمْ قَدْ قُتِلْتُ وَكَمْ قَدْ مُتُّ عِنْدَكُمُ ثُمَّ انْتَفَضْتُ فَزَالَ الْقَبْرُ وَالْكَفَنُ
- جميل!
- قَدْ كَانَ شَاهَدَ دَفْنِي قَبْلَ قَوْلِهِمْ...
- ... قَبْلَ قَوْلِهِمُ، "قَوْلِهِمْ" تكسر الوزن.
- ... قَبْلَ قَوْلِهِمُ جَمَاعَةٌ ثُمَّ مَاتُوا قَبْلَ مَنْ دَفَنُوا
- مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءَ...
- " مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ..."، فاعل.

- مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ يُدْرِكُهُ تَجْرِي الرِّياحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي السُّفُنُ
- رَأَيْتُكُمُ...
- رَأَيْتُكُمْ...
- رَأَيْتُكُمْ لَا يَصُونُ الْعِرْضَ جَارُكُمْ...
- ...جَارُكُمُ.
- ... جَارُكُمُ وَلَا يَدِرُّ عَلَى مَرْعَاكُمُ اللَّبَنُ
- جَزَاءُ كُلُّ...
- جَزَاءُ كُلِّ...
- جَزَاءُ كُلِّ قَرِيبٍ مِنْكُمُ مَلَلٌ وَحَظُّ كُلُّ...
- وَحَظُّ كُلِّ...
- وَحَظُّ كُلِّ مُحِبِّ مِنْكُمُ...
- "... مِنْكُمُ ضَغَنٌ"، عبد الرحمن، أكمل "وَتَغْضَبُونَ..."!
- وَتَغْضَبُونَ عَلَى مَنْ نَالَ رِفْدَكُمُ حَتَّى يُعَاقِبَهُ التَّنْغِيصُ وَالْمِنَنُ
فَغَادَرَ الْهَجْرُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمُ يَهْمَاءُ تَكْذِبُ...
- ... يَهْمَاءَ...
- ... يَهْمَاءَ تَكْذِبُ فِيهَا الْعَيْنُ وَالْأُذُنُ
تَحْبُو الرَّوَاسِمُ مِنْ بَعْدِ الرَّسِيمِ بِهَا وَتَسْأَلُ الْأَرْضَ عَنْ أَخْفَافِهَا الثَّفَنُ
- لا، ... وَتَسْأَلُ الْأَرْضَ عَنْ أَخْفَافِهَا الثَّفِنُ
- إِنِّي أُصَاحِبُ حِلْمِي وَهُوَ بِي كَرَمٌ...
- ... وهْو بي كرم ...
- ... وَهْوَ بِي كَرَمٌ وَلَا أُصَاحِبُ حِلْمِي وَهْوَ بِي جُبُنُ
وَلَا أُقِيمُ عَلَى مَالٍ أُذَلُّ بِهِ وَلَا أَلَذُّ...
- ... ولا أَلَذُّ....
- ... وَلَا أَلَذُّ بِمَا عِرْضِي بِهِ دَرِنُ

- فيصل، ها، "سَهِرْتُ...
- سَهِرْتُ بَعْدَ رَحِيلِي وَحْشَةً لَكُمُ ثُمَّ...
- أين ملفك، يا مسكين؟ أنا حر، أحرك الصفحة كما أريد.
- سَهِرْتُ بَعْدَ رَحِيلِي وَحْشَةً لَكُمُ ثُمَّ اسْتَمَرَّ مَرِيرِي وَارْعَوَى الْوَسَنُ
- وَإِنْ بُلِيتُمْ...
- وَإِنْ بُلِيتُ...
- وَإِنْ بُلِيتُ بِوُدٍّ مِثْلَ...
- مِثْلِ...
- مِثْلِ وُدِّكُمُ فَإِنَّنِي بِفِرَاقٍ مِثْلِهِ...
- ...مثله...
- ... مِثْلِهِ قَمِنُ
أَبْلَى الْأَجِلَّةَ مُهْرِي عِنْدَ غَيْرِكُمُ وَبُدِّلَ الْعُذْرَ...
- ... وَبُدِّلَ الْعُذْرُ...
- ... وَبُدِّلَ الْعُذْرُ بِالْفُسْطَاطِ وَالرَّسَنُ
- أمس حصلت شروق على خمس درجات! قلت لها: جهزتِ النص، يا شروق؟ قالت: لا. والله! معقول، يا شروق، ما شاء الله! مدهشة، هذه التي حصلت قبل ذلك، لكن ضيعنا الدرجات في التأخر، ولم نعطها شيئًا، فأعطيناها أمس خمس درجات. من الطلاب من سيحصل على أكثر من مئة في النهاية، إن شاء الله -ها!- أكمل!
- عِنْدَ الْهُمَامِ أَبِي الْمِسْكِ الَّذِي غَرِقَتْ فِي جُودِهِ مُضَرُ الْحَمْرَاءِ وَالْيَمَنُ
وَإِنْ تَأَخَّرَ عَنِّي بَعْضُ مَوْعِدِهِ فَمَا تَأَخَّرُ آمَالِي وَلَا تَهِنُ
- يظن أنه يخدعه.
- هُوَ الْوَفِيُّ وَلَكِنِّي ذَكَرْتُ لَهُ مَوَدَّةً فَهْوَ يَبْلُوهَا وَيَمْتَحِنُ
- وقد بلاها، وامتحنها، فرده خائبا، وخيَّب ظنه! **نكتب البيتين الأولين، وهما كافيان جدًّا، فعلى منوالهما ستجري القصيدة كلها، لا خوف. بسم الله!** نحن نحاول أن نكتب بالنسخ:

بم التعلل لا أهل ولا وطن ولا نديم ولا كأس ولا سكن
أريد من زمني ذا أن يبلغني ما ليس يبلغه من نفسه الزمن

الله على الكلام الجميل! ماذا تريد؟ أريد الخلود. هل من خطأ؟ انتبهوا، فأنا أخطئ كثيرًا. اطمأننا إلى الإملاء، نضيف الشكل، ونتأنق فيه، ونتقرب إلى الله بتدقيق التشكيل بعد الهجاء. بِمَ التَّعَلُّلُ -يساعدني خط النسخ طبعًا، منتهى السهولة- لَا أَهْلٌ وَلَا وَطَنُ -انتبهوا هذه "وَطَنُ"، من كتبها "وطنٌ" أخطأ، كيف هذا؟ وما سر هذا؟ سر هذا أنه التزم في مطلع القافية وجهًا من التزيين نسميه التقفية، وأحيانًا نسميه التصريع، إذا خالفت التفعيلاتُ اللاحقة عن طريقة هذه التفعيلة، وَلَا نَدِيْمٌ وَلَا كَأْسٌ وَلَا سَكَنُ، في هذا الوجه يشبّه هذه التفعيلة بهذه التفعيلة وزنًا وقافية، فلأنه هنا يقول: "سَكَنُ"، يقول هنا: "وَطَنُ"، هل يقول هنا: "سَكَنٌ"؟ لا، وكذلك لن يقول هنا: "وَطَنٌ". طيب، أُرِيْدُ مِنْ زَمَنِي ذَا أَنْ يُبَلِّغَنِي مَا لَيْسَ يَبْلُغُهُ -متعة- مِنْ نَفْسِهِ الزَّمَنُ. يا سلام! كنا قديمًا نُشَكِّل المطبوعات يدويًّا، كنا نستمتع بهذا. طيب! هذا الوزن -يا جماعة!- وزن الأغاني الشعبية، وزن المواويل، هل سمعتم عن المواويل؟ هل سمعتم عن الزجل؟ هذا وزن الأزجال والمواويل الشعبية، وزن بردة البوصيري، أتعرفون بردة البوصيري؟

"أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانٍ بِذِي سَلَمِ مَزَجْتَ دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ
أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ كَاظِمَةٍ وَأَوْمَضَ الْبَرْقُ فِي الظَّلْمَاءِ مِنْ إِضَمِ"!

وفيها البيت المشهور:

"مَوْلَايَ صَلِّ وَسَلِّمْ دَائِمًا أَبَدًا عَلَى حَبِيبِكَ خَيْرِ الخَلْقِ كُلِّهِمِ"!

وهذا البيت كان منشدو البردة يرددونه بعد كل بضعة أبيات منها.

بِمَ التَّعَلْ ـلُلُ لَا أَهْلٌ وَلَا وَطَنُ وَلَا نَدِيـ ـمٌ وَلَا كَأْسٌ وَلَا سَكَنُ
أُرِيدُ مِنْ زَمَنِي ذَا أَنْ يُبَلْ ـلِغَنِي مَا لَيْسَ يَبْـ ـلُغُهُ مِنْ نَفْسِهِ الزْ زَمَنُ

هذا الغناء القديم. لو لم يعرف أي منكم أنه يمكنه أن يقول: يبلّغني، فقال: يبْلِغني مثلًا -أريد من زمني ذا أن يبْلِغني- انكسر الوزن، ينبغي إذن لكل واحد أن يعرف الوجوه الممكنة، كيف يعرفها وهو مسكين لا يعرف شيئًا؟ يذهب ليتعلم، ثم يأتي ليتعلم العروض، يذهب أولًا ليتعلم طرفًا من علوم العربية كلها أصواتها وصرفها ومعجمها ونحوها صغيرًا ووسيطًا وكبيرًا، ويطَّلِع على كل

شيء، ليأتينا فيما بعد ليتعلم علم العروض، أما أن يبدأ بعلم العروض فكما ترون سيقف حيران! طيب! ننزل هذا على السبورة. لا تنسوا أن الضمير تحرك بعد متحرك، فوجب إشباعه، والرجل يجري مجراه في سائر الكلام، لا يكاد يخالف عن الطريقة إلا نادرًا -وإلا انقطع ما بينه وبين الناس من فهم وإفهام!- هذا معروف. نضيف عزف العصا ونحن ننطق وكأننا ننطق بالعصا كذلك:

بِمَ التَّعَلْ= ددن ددن

ـلُلُ لَا= دددن

جميلة "لُلُلَا" هذه!

أَهْلُ وَلَا= دن دن ددن

وَطَنُ= دددن

وَلَا نَدِيـ= ددن ددن

ـمُ وَلَا= دن ددن

كَأْسُ وَلَا= دن دن ددن

سَكَنُ= دددن

أتنفس بالقلم!

أُرِيدُ مِنْ= ددن ددن

زَمَنِي= دددن

ذَا أَنْ يُبَلْـ= دن دن ددن

ـلِغَنِي= دددن

مَا لَيْسَ يَبْـ= دن دن ددن

ـلُغُهُ= دددن

مِنْ نَفْسِهِ الزْ= دن دن ددن

زَمَنُ= دددن

نسقت التقطيع والعزف، لكن لم أستطع بعدُ طبعا أن أزيد عليهما؛ ثلاثة في واحد هذه لم أقدر عليها بعد. طيب! "بِمَ التَّعَلْ= ددن ددن، متفعلن، مخبونة"، "لُلُ لَا= دددن، فعلن، مخبونة"، **وهنا يجب، أن أقدم لكم بحر البسيط، والبيت منه "مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن" مرتين، تمام؟** أما "مستفعلن" فكالتي عرفناها في الرجز، مم تتكون؟ من "مُس" السبب الخفيف، و"تف" السبب الخفيف، و"علن" الوتد المجموع. وأما "فاعلن" فكالتي عرفناها في المتدارك، تتكون من "فا" السبب الخفيف، و"علن" الوتد المجموع. و"مستفعلن" فيه يصيبها ما أصابها في الرجز، و"فاعلن" يصيبها الخبن فقط الذي يصيبها في المتدارك في الحشو، لكن في الأطراف يمكن أن يصيب الضرب القطع الذي سبق في المتدارك، كما سنرى، أو كما سترون في الأبحاث التي تُطْلِعكم على عجائب الشعراء في دواوينهم.

- دكتور، "وَطَنُ" أشبعناها؟
- طبعًا، هي في الأصل "وطنٌ"، ولكنني قلت لك: إنه من أجل تزيين مطلع القصيدة يشبه هذا الجزء بهذا الجزء؛ فكما يقول هنا: "سكنُ" لا "سكنٌ"، يقول هنا: "وطنُ" لا "وطنٌ"، بضمة مشبعة ممدودة -فكأن التنوين قُلب مدًّا- ليشابه بين هذه وهذه، كأنك تضعين على المكتب زَهريتَّيْنِ، هذه إلى اليمين، وهذه إلى اليسار، ليتزين المنظر. نضيف بقية التفعيلات:

بِمَ التَّعَلْ= ددن ددن، متفعلن، مخبونة
لُلُ لَا= دددن، متفعلن، مخبونة
أَهْلٌ وَلَا= دن دن ددن، مستفعلن، سالمة
وَطَنُ= دددن، متفعلن، مخبونة
وَلَا نَدِيـ= ددن ددن، متفعلن، مخبونة
ـمٌ وَلَا= دن ددن، فاعلن، سالمة
كَأْسٌ وَلَا= دن دن ددن، مستفعلن، سالمة
سَكَنُ= دددن، متفعلن، مخبونة، كدت أكتبها سالمة!
أُرِيدُ مِنْ= ددن ددن، متفعلن، مخبونة
زَمَنِي= دددن، متفعلن، مخبونة

ذَا أَنْ يُبِلْ= دن دن ددن، مستفعلن، سالمة

لِغَنِي= دددن، متفعلن، مخبونة، لا تنسوا اللام الثانية أخذنا الأولى لآخر السابقة والثانية لأول اللاحقة.

مَا لَيْسَ يَبْ= دن دن ددن، مستفعلن، سالمة، دققوا في وضع الخطوط!

لُغُهُ= دددن، متفعلن، مخبونة

مِنْ نَفْسِهِ الزْ= دن دن ددن، مستفعلن، سالمة

زَمَنُ= دددن، متفعلن، مخبونة

هذا هو، جميل، منظر بديع، مثل هذا نريده في الاختبار وفي البحث، نريد هذه المتعة. **معي: شدوا دساتين أعوادكم -يا أبنائي!- وأحموا طبولكم ودفوفكم، واشربوا، واطربوا -أي ابتهجوا!- ولا يتقدمن عازفٌ عازفًا -فإن ظنّ أنه يُحسِن فإنه يُسِيء!- واجعلوا النَّغْمة أكثر زُرْقة! معًا من الأول:**

- بِمَ التَّعَلْ= ددن ددن

لُلُ لَا= دددن

أَهْلٌ وَلَا= دن دن ددن

وَطَنُ= دددن

وَلَا نَدِيـ= ددن ددن

ـمٌ وَلَا= دن ددن

كَأْسٌ وَلَا= دن دن ددن

سَكَنُ= دددن

أُرِيدُ مِنْ= ددن ددن

زَمَنِي ذَا=

- لا، أخطأتم!
- أُرِيدُ مِنْ= ددن ددن

زَمَنِي= دددن

ذَا أَنْ يُبِلْ= دن دن ددن

ـلغَنِي= ددِدن

مَا لَيْسَ=

- خطأ!

- مَا لَيْسَ يبْـ= دن دن ددن

ـلغهُ= ددِدن

مِنْ نَفْسِهِ الزْ= دن دن ددن

زَمَنُ= ددِدن

لَا تَلْقَ دَهْـ= دن دن ددن

ـرَكَ إِلَّا=

- "ـرك إلا"، خطأ! أين اللحن؟ أين التلحين؟

- ـرَكَ إِلـ= ددِدن

لا غَيْرَ مُكْـ= دن دن ددن

ـتَرِث= ددِدن

مَا دَامَ يَصْـ= دن دن ددن

ـحَبُ فِيـ= ددِدن

ـهِ رُوحَكَ الْـ= ددن ددن

ـبَدَنُ= ددِدن

- لحظة! "ـهِ رُوحَكَ الْـ= ددن ددن، متفعلن، مخبونة"، من غير إشباع الهاء، "ـهِ(ي) رُوحَكَ الْـ= دن دن ددن، مستفعلن، سالمة"، بإشباع الهاء، وكلاهما جائز، لكنك تختار ما يلائم المعنى، فإذا كان حزينًا اخترت التسكين، وإذا كان سعيدًا اخترت التحريك. انتبه إلى هذا، فالسعيد كثير الحركات، والحزين بطيئها، تأمَّل، وتعمَّق، واختر ما يناسب، ها!

- فَمَا يَدُو= ددن ددن

مُ سُرُو= ددِدن

رٌ مَا سُرِرْ= دن دن ددن

تَ بِهِ= د د د ن

وَلَا يَرُدْ= د د ن د د ن

دُ عَلَيَّ= د د د ن

ـكَ الْفَائِتَ الْ= د ن د ن د د ن

ـحَزَنُ= د د د ن

مِمَّا أَضَرْ= د ن د ن د د ن

رَ بِأَهْـ= د د د ن

ـلِ الْعِشْقِ أَنْ= د ن د ن د د ن

ـنَهُمُ= د د د ن

هَوُوا وَمَا= د د ن د د ن

عَرَفُوا الدْ= د د د ن

دُنْيَا وَمَا= د ن د ن د د ن

فَطِنُوا= د د د ن

- لحظة! تقلبون الصفحة! يا للعار! أعيدوا البيت السابق!

- مِمَّا أَضَرْ= د ن د ن د د ن

رَ بِأَهْـ= د د د ن

ـلِ الْعِشْقِ أَنْ= د ن د ن د د ن

ـنَهُمُ= د د د ن

هَوُوا وَمَا= د د ن د د ن

عَرَفُوا الدْ= د د د ن

دُنْيَا وَمَا= د ن د ن د د ن

فَطِنُوا= د د د ن

تَفْنَى عُيُو= د ن د ن د د ن

نُهُمُ= د د د ن

دَمْعًا وأَنْـ= دن دن ددن

ـفُسُهُمْ= دددن

فِي إِثْرِ كُلْ= دن دن ددن

لِ قَبِيـ= دددن

ـحٍ وَجْهُهُ= دن دن ددن

حَسَنُ= دددن

تَحَمَّلُوا= ددن ددن

حَمَلَتْكُمُ كُلُّ

- ها! اضطربت الأنغام، اضطربت الأنغام، نُعيد!

- تَحَمَّلُوا= ددن ددن

حَمَلَتْ= دددن

ـكُمْ كُلُّ نَا= دن دن ددن

جِيَةٍ= دددن

فَكُلُّ بيـ= ددن ددن

ـنٍ عَلَيَـ= دن ددن

ـيٍ الْيَوْمَ مُؤْ= دن دن ددن

تَمَنُ= دددن

- ها!

- مَا فِي هَوَا= دن دن ددن

دِجُكُمْ= دددن

مِنْ مُهْجَتِي= دن دن ددن

عِوَضُ= دددن

إِنْ مُتُّ شَوْ= دن دن ددن

قًا وَلَا= دن ددن

فِيهَا لَهَا= دن دن ددن
ثَمَنُ= ددن
يَا مَنْ نُعِيـ= دن دن ددن
ـتُ عَلَى= ددن
بُعْدِ بَجِّـ= دن دن ددن
ـلِسِهِ= ددن
- ها! سمعت من يقول: "على بعـ"، أعيدوا!
- يَا مَنْ نُعِيـ= دن دن ددن
ـتُ عَلَى= ددن
بُعْدِ بَجِّـ= دن دن ددن
ـلِسِهِ= ددن
كُلٌّ بِمَا= دن دن ددن
زَعَمَ النْـ= ددن
ـنَاعُونَ مُرْ= دن دن ددن
ـتَهَنُ= ددن
كَمْ قَدْ قُتِلْـ= دن دن ددن
ـتُ وَكَمْ= ددن
قَدْ مُتُّ عِنْـ= دن دن ددن
ـدَكُمُ= ددن
ثُمَّ انْتَفَضْـ= دن دن ددن
ـتُ فَزَا= ددن
لَ الْقَبْرُ وَالْـ= دن دن ددن
ـكَفَنُ= ددن

- من هنا سنقسم على أنفسنا التفعيلات: للذكور تفعيلة، وللإناث تفعيلة، على رغم أنه للذكر مثل حظ الأنثيين، لكن لا بأس، في الموسيقى يستويان، ها! نبدأ مع الشباب: قَدْ كَانَ شَا...
- قَدْ كَانَ شَا= دن دن ددن
- هَدَ دَفْـ= دددن
ـنِي قَبْلَ قَوْ= دن دن ددن
لِهِم= دددن
جَمَاعَةٌ= ددن ددن
ثُمَّ مَا= دن ددن
تُوا قَبْلَ مَنْ= دن دن ددن
دَفَنُوا= دددن
مَا كُلُّ مَا= دن دن ددن
يَتَمَنَّى الْـ= ×
- ما شاء اللّٰه، عدم، فهي وجود عدم:
"طَالَ عَلَيْهَا الْقِدَمْ فَهْيَ وُجُودٌ عَدَمْ"!
هذا كلام أبي نواس أستاذ الحداثيين الأوائل، يتكلم عن الخمر -عافانا اللّٰه وإياكم!- نعيد، نعيد، ها!
- مَا كُلُّ مَا= دن دن ددن
يَتَمَنَّى الْـ= ×
- عدمان -ها!- نُعيد!
- مَا كُلُّ مَا= دن دن ددن
يَتَمَنَّى الْـ= ×
- خطأ! لحظة، لحظة، سنظل نعيد حتى ينقطع النفس عند الفاصل!
- مَا كُلُّ مَا= دن دن ددن
يَتَمَنَّى الْـ= ×

- لا، لا، سمعنا إضافة زيادة! يا جماعة، تُحسب الموسيقى، تُحسب جودتها بجودة الانقطاع؛ ألا ترون العازفين أحيانًا، يقفون فجأة، فينبهر الحاضرون، كيف اجتمعوا على الوقفة! منتهى الروعة. في الأكروبات، في الجمباز، في هذه الألعاب الأوليمبية، حينما يتقلب اللاعب ثم يقف وقفة واحدة من غير حركة إلى أمام ولا إلى خلف، منتهى الروعة! إذا تحرك فَشِل! ارموه بعيدًا! ذلك في الموسيقى، وفي الألعاب، وفي كل شيء. وفي البلاغة معرفة الوقف من الوصل كذلك! نُعيد.
- مَا كُلُّ مَا= دن دن ددن
يَتَمَنْ= ددن
نَى الْمَرْءُ يُدْ= دن دن ددن
رِكُهُ= ددن
تَجْرِي الرِّيا= دن دن ددن
حُ بِمَا= ددن
لَا تَشْتَهِي السْـ= دن دن ددن
ـسُفُنُ= ددن
- لحظة! تقلبون الصفحة، يا للعار!
- رَأَيْتُكُمْ لَا= ×
- رأيتكُم لا، خطأ!
- رَأَيْتُكُمْ= ددن ددن
لَا يَصُو= دن ددن
نُ الْعِرْضَ جَا= دن دن ددن
رُكُمُ= ددن
وَلَا يَدِرْ= ددن ددن
رُ عَلَى= ددن
مَرْعَاكُمُ الْـ= دن دن ددن
ـلَبَنُ= ددن

جَزَاءُ كُلْ= ددن ددن

ـلِ قَرِيـ= دددن

ـبِ مِنْكُمُ= دن دن ددن

مَلَلٌ= دددن

وَحَظُّ كُلْ= ددن ددن

ـل مُحِبْ= دددن

ـبِ مِنْكُمُ= دن دن ددن

ضَغَنٌ= دددن

وَتَغَضْبَو= ددن ددن

نَ عَلَى= دددن

مَنْ نَالَ رِفْ= دن دن ددن

ـدَكُمُ= دددن

حَتَّى يُعَا= دن دن ددن

قِبَهُ التْـ= دددن

ـتَنْغِيصُ وَالْـ= دن دن ددن

ـمِنَنُ= دددن

- نعكس، تبدأ الفتيات ويثّنِي الفتيان، لكيلا نظلم بعضًا دون بعض، فـ"مستفعلن" طويلة، و"فعلن" قصيرة، الآن ينبغي أن نعكس، تبدأ الفتيات.

- فَغَادَرَ الْـ= ددن ددن

ـهَجْرُ مَا= دن ددن

بَيْنِي وَبَيْـ= دن دن ددن

ـنَكُمُ= دددن

يَهْمَاءَ تَكْـ= دن دن ددن

ـذِبُ فِيـ= دددن

ـهَا الْعَينُ وَالْـ= دن دن ددن

ـأُذُنُ= دددن

تَحْبُو الرَّوَا= دن دن ددن

سِمُ مِنْ بعَـ= ×

- نعم! عُمر -بارك الله فيك، ما شاء الله!- نُعيد.

- تَحْبُو الرَّوَا= دن دن ددن

سِمُ مِنْ= دددن

بَعْدِ الرَّسِيـ= دن دن ددن

ـمِ بِهَا= دددن

وَتَسْأَلُ الْأَرْضَ

- وَتَسْأَلُ الْأَرْضَ! سمعت! من فعل ذلك؟ نورة؟ نورة -ها!- لا حول ولا قوة إلا بالله! نعيد.

- تَحْبُو الرَّوَا= دن دن ددن

سِمُ مِنْ= دددن

بَعْدِ الرَّسِيـ= دن دن ددن

ـمِ بِهَا= دددن

وَتَسْأَلُ الْـ= ددن ددن

ـأَرْضَ عَنْ= دن ددن

أَخْفَافِهَا الثْـ= دن دن ددن

ـثَفِنُ= دددن

إِنِّي أُصَا= دن دن ددن

حِبُ حِلْـ= دددن

وَهْوَ بِي= ×

- "وَهْوَ"، أين ذهبت "مِي"! نُعيد.

- إِنِّي أُصَا= دن دن ددن

حِبُ حِلْ= دددن

ـمِي وهْو بِي= دن دن ددن

كِرَمْ= دددن

وَلَا أُصَا= ددن ددن

حِبُ حِلْ= دددن

ـمِي وهْو بِي= دن دن ددن

جِبُنْ= دددن

وَلَا أُقِيـ= ددن ددن

ـمُ عَلَى= دددن

مَالِ أُذَلْ= دن دن ددن

ـلُ بِهِ= دددن

وَلَا أَلَذْ= ددن ددن

ذُ بِمَا= دددن

عِرْضِي بِهِ= دن دن ددن

دَرَنُ= دددن

- دَرَنُ! "دَرَنُ"، والسكوت على اليسير باب الوقوع في العسير؛ فلا تسكتوا على شيء!
- سَهِرْتُ بَعْـ= ددن ددن

ـدَ رَحِيـ= دددن

ـلِي وَحْشَةً= دن دن ددن

لَكُمُ= دددن

ثُمَّ اسْتَمَرْ= دن دن ددن

ـرَ مَرِيـ= دددن

ـرِي وَارْعَوَى الْـ= دن دن ددن

ـوَسَنُ= دددن

- عمر، وحدك اقرأ، وخَرِّج من الآخر حتى نرتاح!
- وَإِنْ بُلِيـ= ددن ددن
ـتُ بِودْ= دددن
- مثلِ= ×
- "د مثْلِ وُدْ"، أعد!
- وَإِنْ بُلِيتُ= ×
- وإن بُلِيـ، وإن بُلِيـ...
- وَإِنْ بُلِيـ= ددن ددن
ـتُ بِودْ= دددن
د مثْلِ وُدْ= دن دن ددن
دِكُمُ= دددن
فَإِنَّني= ددن ددن
بِفِراق= ×
- أيّ تعثر -يا عمر- يفسد العزف، أي تعثر، فإذا خطر لك خاطر، إذا تعثرت فلا بد أن تبدأ من الأول، أن تعيد الأنغام.
- وَإِنْ بُلِيـ= ددن ددن
ـتُو بِودْ= ×
- لا، لا، لا يجوز فيها أن تقول: "تو بود= دن ددن" مثلاً، وترتاح بين كل ضربتين.
- وَإِنْ بُلِيـ= ددن ددن
ـتُ بِودْ= دددن
د مثْلِ وُدْ= دن دن ددن
دِكُمُ= دددن
فَإِنَّني= ددن ددن
بِفِرا= دددن

قِ مِثْلِهِ= دن دن ددن

قِنٌّ= دددن

- فيصل!

- أَبْلِ الْأَجِلْ= دن دن ددن

ـلَةَ مُهْـ= دددن

ـرِي عِنْدَ غَيْـ= دن دن ددن

ـرِكُمُ= دددن

وبُدِّلَ الْـ= ددن ددن

ـعُذْرُ بِالْـ= دن ددن

ـفُسْطَاطِ وَالرْ= دن دن ددن

رَسَنُ= دددن

- أحسنت، أحسنت! مسعود!

- عِنْدَ الْهُمَا= دن دن ددن

مِ أَبِي= ×

الْمِسْكِ الَّذِي= ×

- والله! أنت قلت: أبي، ثم قلت: المسك الذي، أيجوز هذا؟ أعد!

- عِنْدَ الْهُمَا= دن دن ددن

مِ أَبِي= ×

الْمِسْكِ الَّذِي= ×

- أعد!

- عِنْدَ الْهُمَا= دن دن ددن

مِ أَبِي الْـ= دددن

ـمِسْكِ الَّذِي= دن دن ددن

غَرِقَتْ= دددن

فِي جُودِهِ= دن دن ددن
مُضَرُ الْـ= دددن
ـحَمْرَاءِ وَالْـ= دن دن ددن
ـيَمَنُ= دددن

- أحسنت! أحمد، جميل أن يحضر الطالب في شعبة أخرى إذا فاتته الأولى، شيء بديع، لكن هذه نعمة لا تتكرر، نحن الآن نُدَرِّس العروض أربع مرات لأربع شعب -وهو ما لم يحدث قط!- ثلاث من اللغويين، وشعبة من الموسيقيين! ولا حول ولا قوة إلا بالله! أحمد، ها!
- وَإِنْ تَأَخْـ= ددن ددن
ـخَرَ عَنْـ= دددن
ـنِي بَعْضُ مَوْ= دن دن ددن
عِدِهِ= دددن
فَمَا تَأَخَّرُ= ×
آمَالِي= ×
- تعثرنا، فسدت الأنغام!
- فَمَا تَأَخْـ= ددن ددن
خَرَ آمَا= ×
- لا، فَمَا تَأَخْـ، خَرَ آ، مَالِي وَلَا، تَهِنُ
- فَمَا تَأَخْـ= ددن ددن
خَرَ آمَا= ×
- لا، فَمَا تَأَخْـ، خَرُ آ...
- فَمَا تَأَخْـ= ددن ددن
خَرُ آ= دددن
مَالِي وَلَا= دن دن ددن
تَهِنُ= دددن

- هُوَ الْوَفِيـ= ددن ددن
يُ وَل(ا)= ددددن
كِنّي ذَكَرْ= دن دن ددن
تَ لَهُ= ددددن
مَوَدَّةً= ددن ددن
فَهْوَ يَبـْ= دن ددن
ـلُوهَا وَيَمْـ= دن دن ددن
ـتَحِنُ= ددددن

- هذا الناصري يعمل بيديه -والذي يعمل بكلتا يديه يسمى في العربية الأضبط- ونحن جميعًا مقصرون عن شأوه، يعمل ثلاثة أعمال في وقت واحد، ما شاء اللّٰه! **طيب! نعود إلى البيت الأول ما قافيته -حتى تذهبوا أسرعوا، كلما أسرعتم ذهبتم!- ما قافية البيت الأول؟**
- سَكَنْ، لا سكنُ.
- "سكنُ" أم "لا سكنُ"، فكروا، أعيدوا التفكير! آخِر آخِر!
- لا سكنُ.
- لماذا؟ لأنه الذي يوفي لك ما تريد، أما "سكنُ" فليس فيها غير ساكن واحد هو الأخير، فنحن محتاجون إلى ساكن قبله هو ألف "لا"، مع اللام، هي إذن "لا سكن"، صحيح. ها!
- ـهِ الزَّمَنُ.
- ـهِ الزَّمَنُ، ها!
- ـكَ الْبَدَنُ.
- ـكَ الْبَدَنُ، انتظري قليلًا، اعملوا عملًا جماعيًّا! ـكَ الْبَدَنُ، ها!
- ـتَ الْحَزَنُ.
- ـتَ الْحَزَنُ، ها!
- مَا فَطِنُوا.
- مَا فَطِنُوا، ها!

- ـهُ الحَسَنُ.
- ـهُ الحَسَنُ! أين هذا؟
- ـهُ حَسَنُ.
- في "ـهُ حَسَنُ"، طبعًا هاء متحركة مشبعة، لها بعدها مد غير مكتوب، دائمًا تحدث المشكلات في مثل هذا، "ـهُ حَسَنُ= دن ددن"، اعتمدوا على النغمة!
- مُؤْتَمَنُ.
- مُؤْتَمَنُ، ها!
- ـهَا ثَمَنُ.
- ـهَا ثَمَنُ، ها!
- مرتهنُ.
- مرتهنُ، ها!
- والكفنُ.
- والكفنُ، ها!
- من دفنوا.
- من دفنوا، ها!
- ـهِي السفنُ.
- ـهِي السفنُ، ها!
- ـمُ اللَّبن.
- ـمُ اللَّبن، ها!
- ـمُ ضَغَنُ.
- ـمُ ضَغَنُ -ها!- انقطع الإرسال!
- والمتنُ.
- والمتنُ، ها!
- والأذنُ.

- والأذنُ، ها!
- ـها الثفنُ.
- ـها الثفنُ، ها!
- بي جبنٌ.
- بي جبنٌ، ها!
- بِهِ درِنٌ.
- بِهِ درِنٌ؟
- ـهِ درِنٌ.
- ـهِ درِنٌ، ها!
- ـعوى الوسنُ.
- ـعوى الوسنُ؟
- ـوَى الوسنُ.
- ـوى الْوَسَنُ، ها!
- ـهِ قَمِنٌ.
- ـهِ قَمِنٌ، ها!
- والرسنُ.
- والرسنُ، ها!
- واليمنُ.
- واليمنُ، ها!
- لا تهنُ.
- لا تهنُ، ها!
- يمتحنُ.
- يمتحنُ. طيب، **ما أقوى المكررات؟**
- النون.

- النون، ولو وجدنا وقتًا -سنجده في قسم القافية من آخر الفصل، إن شاء الله!- لحدثتكم عن الأصوات، وعن أكثرها وأقلها وأوسطها، وَلَرَوَيْتُ لكم عن أبي العلاء، ونقلت لكم تمجيده لرب العالمين بمصطلحات القافية، في نصوص بديعة، سيدها أبو العلاء، لا يباريه فيها أحد! وما حركة النون؟
- مضمومة.
- الضمة. وهل قبل النون ألف أو واو أو ياء ساكنات!
- لا.
- وهل قبل الذي قبل النون ألف؟
- لا.
- بم أشبعت ضمة النون؟ بواو أم بهاء أم بغيرهما؟
- بواو.
- أضيفوا إذن بيانات القصيدة، هذه القصيدة: بسيطيّة الأبيات، التامة أم الوافية؟ أنتم الآن في حَيْرة، وستظلون في حَيْرة بين التام والوافي، أكثر الأساتذة يعممون التمام ولا يفرِّقون، وبينهما فرق: هل تفعيلات البيت سواء في السلامة والتغيُّر؟ لا طبعًا، لأن تفعيلة آخر البيت (العروض)، وتفعيلة آخر الصدر (الضرب)، التزمتا الخبن، وكل ما سواهما يسلم ويتغير؛ فقد ميز الشاعر إذن بين تفعيلتي العروض والضرب وسائر التفعيلات؛ فلم يستحق البيت صفة التمام، فهو واف فقط، لأنه استوفى أعداد التفعيلات. علَّمَنَا الخليل أن البيت من البسيط ثماني تفعيلات، وقد استوفاها البيت؛ فاستحق صفة الوفاء، لكنه لم يستحق صفة التمام. هذه القصيدة إذن بسيطية الأبيات...
- الوافية.
- الوافية، أحسنتِ! المخبونة العروض والضرب -ها!- نونية القوافي...
- المضمومة.
- المضمومة، ها!
- المجردة.

- المضمومة قبل المجردة، المضمومة المجردة، الموصولة بالواو، ولن تكون إلا واو مدٍّ، أحسنتم؛ فانتبهوا! المحاضرة الأولى من الأسبوع القادم تدريبات فقط، والثانية اختبار، لعلكم ترتاحون!
- عدد البحور دكتور؟
- ها؟
- في كم بحر تختبرنا؟
- في ستة أبحر: المتقارب، والهزج، والطويل، والرجز، والمتدارك، والبسيط، كما أفعل كل عام في الحقيقة، لكننا تأخرنا هذا العام، أو تقدمنا بالاختبار، وهذا أفضل. وسنجيب الاختبار نفسه الذي أرسلته إليكم -إن شاء الله!- حتى تحضروا الاختبار وأنتم على بينة من غير عذرٍ؛ **بارك الله فيكم، وشكر لكم، وأحسن إليكم، والسلام عليكم!**

الْمُنَادَمَةُ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ(١)

- **سلام عليكم!**
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته!
- طبتم مساء -يا أبنائي!- وطاب مسعاكم إلينا! بسم الله -سبحانه، وتعالى!- وبحمده، وصلاة على رسوله وسلامًا، ورضوانًا على صحابته وتابعيهم حتى نلقاهم! كيف حالكم، كيف أمسيتم؟ بارك الله فيكم، وشكر لكم، وأحسن إليكم، ويسر لنا ولكم كل عسير، وسهل كل صعب! اتفقنا على أن يكون هذا اللقاء مراجعة وتدريبا، وتجهّزًا للاختبار، واطمئنانا على الأعمال. أسألكم أولًا: كيف ملفاتنا؟ أَكْتَمَلَتْ أم ما زالت؟
- ما زالت!
- على كل ملف عشر درجات، نتسلم الملفات اللقاء القادم، في الاختبار، فإذا وجدناها كاملة فلكل منها عشر درجات، وإلا ضاعت، لا وسط، إمّا وإمّا، ها! من كَسِل وأخَّر العمل أخذ صفرًا حتى يكمل العمل، أي وضعنا له في القائمة صفرًا هكذا واضحًا، واضح الصفريَّة حتى يأتي بالعمل من اللقاء التالي أو ما بعده متى شاء، سيظل حاصلًا على صفر حتى يكمل العمل. من باب العدل جاءتني بنت بعد المحاضرة السابقة، فقالت: أمهلني! قلت لها: سامحيني؛ من باب العدل سأعطيك صفرًا على الملأ، حتى تكملي العمل؛ فعرفَت. هذا أولًا. هل من مشكلات في الملفات؟ ما المشكلات التي قابلتموها؟ من ضمن المشكلات أنكم أنجزتم الواجبات وكتبتم الزيادات في أوراق خارجية، والآن تستثقلون أن تضيفوها إلى الملفات، فأفضينا الآن إلى عبث، إلى أشتات من الأشياء، على رغم أنني نبهتكم من قبل المحاضرة الأولى أن افعلوا كذا كذا، فلم تفعلوا، فما

---

(١) رابط هذه المنادمة في قناتي اليوتيوبية:

https://www.youtube.com/watch?v=m٦sZPdPxhJI&list=PL٠_bvBmuM٥ySq٦hXNd٤GWcNFIUaI٤uqCM&index=١١

وقد فرغها سيد سعيد، وراجعها له علي جمال.

الحل؟ الحلّ أن تجهزوها وتضيفوها إلى الملف مخرَّمةً على طريقة أوراقه، فأضيفوها إذن إلى الملف نفسه! هذا هو الحل. أضيفوا كل ورقة إلى مكانها مخرمة بمنتهى النظام والنظافة...، إلى آخره، اتفقنا؟ هذا لا بأس به، هذه ميزة الأوراق المفصَّلة التي على طريقة أوراق الملف، نستطيع أن نخرمها ونضيفها إلى الملف وكأنها منه، من غير خطأ ولا خلل. طيب، وماذا عن الواجبات نفسها؟ ماذا فعلتم؟ هل عثرتم على القصائد المناسبة؟ ها، ألم تعثروا؟ هل عثرتم على قصائد الرجز مثلًا؟ من المشكلات التي تقابلكم قصائد الرجز، ها!

- نعم!

- ألم تعثري لها على مثال؟ طبعا مشكلة، لأن أكثركم يتورط في الكامل يظنه الرجز، يتورط في قصائد الكامل يظنها من الرجز، وهي من الكامل، لأنه يجدها في كثير من الأحيان تجري على "دن دن ددن| دن دن ددن| دن دن ددن"، فيقول: ما شاء الله! عثرنا على قصيدة من الرجز، عثرنا على قصيدة من الرجز، ليفاجأ بعد قليل بـ"諸ددن ددن"، فيقف حيران أسفا، كيف نخرِّج؟ هذه مستفعلن تفعيلة الرجز، وهذه متفاعلن تفعيلة الكامل، و"دن دن ددن"، التي وجدها كانت مغيرة عن "دددن ددن"، فما الحلّ إذن؟ الحلّ أن ينقل هذا الواجب إلى واجب الكامل الذي لم يأت بعد، وأن يفتِّش عن قصيدة مناسبة للرجز كقصيدة أبي مسلم التي درسنا منها. يمكنك أن تذهب إلى قصيدة أبي مسلم نفسها -وهي أربعمئة بيت- لتأخذ منها مثلما أخذتُ أنا! عندما تعجز تستطيع أن تذهب إلى مقصورة أبي مسلم نفسها لتأخذ خمسة وعشرين بيتًا كالتي أخذتُها. طيب! كذلك من المشكلات أنكم أحيانًا تجمعون أشتاتا من الأبيات من على شبكة الإنترنت! جاءتني طالبة منذ قليل، قالت: يا دكتور، ما هذا الكلام؟ قلت لها: أهذه قصيدة؟ قالت: نعم، قصيدة. قلت: هل نقلتها عن ديوان؟ قالت: لا. قلت: فعن شبكة الإنترنت؟ قالت: نعم. قلت: هذه ليست قصيدة، هذه أبيات مجمعة وكل بيتين من قصيدة، هذه أشتات مجمعة للتدريب، ليست على طريقتنا! جاءتني مناهلُ مثلًا، واجتهدت، وحصلت على أرجوزة، وأتعبت نفسها، وفي النهاية نكتشف أنها من مشطور الرجز، وأنها كُتب كل بيتين منها في سطر، خطأً، فهي معذورة -وجدت كل بيتين في سطر، هكذا:

مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن

فقالت: هذه قصيدتي، ثم اكتشفنا أنها كان ينبغي أن تكتب هكذا:

مستفعلن مستفعلن مستفعلن

مستفعلن مستفعلن مستفعلن

شطرا تحت شطر، لأنها مبنية على أحد شطري البيت، والقصيدة التي اختارتها طبعا هي التي أحببناها لبشار وذكرناها في المحاضرة:

"يَا طَلَلَ الْحَيِّ بِذَاتِ الصَّمَدْ

بِاللّٰهِ خَبِّرْ كَيْفَ كُنْتَ بَعْدِي"!

ها! وهكذا يظل على "مستفعلن مستفعلن مستفعلن" في بيت، و"مستفعلن مستفعلن" في بيت، ويغيِّر من "مستفعلن" في الحشو بالخبن إلى "متَفْعلن" وبالطي إلى "مستعلن" وبالخبل إلى "متعلن"، وفي الضرب بالقطع إلى "مستفعلْ" وبالخبن والقطع (الكَبْل) إلى "متفعلْ"، وهكذا. **طيب! ومن المشكلات المعروفة أن تعجزوا عن قراءة الكلام، فتخربوا التخريج، وسترون هنا من خلال حل هذا الاختبار بيانا عمليا لهذا الأمر؛ فانظروا معي، هذا الاختبار الذي أرسلته إليكم.**

أبو دلف الخيرات أنداهم يدا وأبسط معروفا وأكرم محتدا تراث أبيه عن أبيه وجده وكل امرئ يجري على ما تعودا وغيث تألفه نوؤه فألبسه غلاا أربدا تظل الرياح تهادى به إذا ما تحير أو عردا كان الشباب لمة أزهى بها وصاحبا حرا عزيز المصطحب إذ أنا أجري سادرا في غيه لا أعتب الدهر إذا الدهر عتب كأن الناس جسم وهو منه موضع القلب إذا سالم أرضا غنيت آمنة السرب ألا رب هم يمنع النوم دونه أقام كقبض الراحتين على الجمر بسطت له وجهي لأكبت حاسدا وأبديت عن ناب ضحوك وعن ثغر خذها إليك من مليء بالثنا لكنه غير مليء بالنشب وأثو في الأرض أو استفزز بها أنت عليها الرأس والناس الذنب أعطيتني يا ولي الحق مبتدئا عطية كافأت مدحي ولم ترني ما شمت برقك حتى نلت ريقه كأنما كنت بالجدوى تبادرني

خَرِّجْ خَمْسَةَ أَبْيَاتٍ مِمَّا أَمَامَكَ، فِي عِلْمِ الْعَرُوضِ، تَقْطِيعًا، وَتَوْقِيعًا، وَتَفْعِيلًا، وَتَوْصِيفًا!

وهو الذي اختبرت به دفعة محمد الحوسني ونوح اللويهي ومن إليهما، تخرَّج نوح، وما زال محمد، وهو الآن في مجلس الطلاب الاستشاريّ. طالب ممتاز طبعا، وقد فاز بجائزة اختبار المنتصف، ثم أهمل قسم القافية؛ فحصل في اختبار المنتهى على أَلِف ناقص! نعم؛ هذا الذي كُرِّم في المنتصف،

وحصل على الهدية، حصل في النهاية على ألف ناقص، فجاءني يقول: دكتور، كل تقديراتي ألف (ممتاز) إلا تقدير مقرر العروض، قلت له: قد قصّرت في هذا، ولا حيلة، مستحيل أن أغير تقديرك! لقد أهمل القافية، وارتبك، وضيَّع على نفسه درجات من القافية -أعجزه تمييز أجزاء القافية، وتسميتها، والانتباه إليها كما سنرى- بعد أن اعتمد على براعته في الوزن، ولمسائل الوزن ثلاثون من خمسين، والعشرون لمسائل القافية (تحديدها، وتمييز أجزائها، وتلقيبها وكذا)، نسأل في القافية أربعة أسئلة -طيب!- ولكنني لا أريد منك في اختبار المنتصف إلا أن تخرج خمسة أبيات بالتقطيع والتوقيع والتفعيل والتوصيف، لا أريد أكثر من هذا. وهل الأبيات أكثر، يا أستاذ؟ طبعا، ربما كانت عشرة، وربما كانت أكثر، ولا نريد منها إلا خمسة؛ فاختر الخمسة بحيث تكون متأكدًا من أنك أتقنتها تمامًا مئة من المئة، لترتاح أولا، وبعد هذا إذا أردت أن تضيف فافعل؛ فأنت حر، لم أطالبك إلا بهذا، ومن أضاف تحمل نتيجة إضافته! سيُخرِّج بعضكم الأبيات كلها من أولها إلى آخرها تمييزًا لنفسه؛ ولابد للعالم أن يميز نفسه -وطالب العلم هو العالم- لابُدّ للعالم أن يقول: أنا عالم -"رَجُلٌ يَعْلَمُ وَيَعْلَمُ أَنَّهُ يَعْلَمُ؛ فَهَذَا عَالِمٌ فَتَعَلَّمُوا مِنْهُ"!- لابُدّ للعالم أن يعرف أنه عالم وأن يُعْلِم الناس أنه عالم، لا من باب التكبر، لا، بل من باب الاستعداد لإجابة الأسئلة. كان لنا أستاذ يجلس إلينا بعد الصلاة فيقول: اسألوني! وكان فاضلا متواضعا -رحمه الله!- مرّ في حياته بمراحل، كان ضابطًا في الجيش، وكان تجاريًّا، وكان كذا، إلى أن تفقَّه على خاله وكان من فقهاء الشافعية الكبار، ثم جلس يفتي الناس في المسجد، فكان من أروع من رأينا، واسمه عبد السلام العيسوي -رحمه الله!- كان شيخ الجزيرة التي أعيش فيها، فكان يقول بعد الصلاة: اسألوني! هل يتكبر؟ لا، بل هو رجل عالم، يعلم أنه عالم، ويريد أن ينشر علمه؛ فهو يقول: أنا عالم؛ فاسألوني! طيب! فهذا الشاب في الاختبار يقول: أنا عالم، وسأخرّج لك كل هذا، لا يصعب عليّ! ويفعل، ويتقن أحيانا. لكن هناك من لا يعلم، ولا يعلم أنه لا يعلم -ههه!- هذه مصيبة! فهذا جاهل فنبهوه، أو فاضربوه! هناك روايات مختلفة، يجوز أن تضربه -إن شاء الله!- ولا بأس عليك؛ هو جاهل ويدعي أنه عالم؛ فاضربوه، يستحق الضرب: من علمك هذا؟ هل علمتك أنا هذا؟ لا، بل علمتك ألا تقول إلا بما تعلم، فأما أن تتزيد وتتدلل علينا فهذا كما قيل، "دَلَالٌ لَا نُطِيقُهُ" -ها!- هذا "دَلَالٌ لَا نُطِيقُهُ"! طيب، ماذا نفعل في هذه المصيبة؟ نفك الخط؛ فقد تعمدت أن آتي

بالاختبار على هذا النحو لكيلا تجد ما تعتمد عليه إلا ثقافتك فقط، لا حيلة، لا تقسيم ولا ترقيم ولا تشكيل ولا مساعدة ولا أي شيء، إلا ما حصّلت في عمرك الطويل من علم بالعربية وما حصلته في محاضراتنا من علم بالعروض، نبدأ أولا بالاعتماد على علمنا باللغة نفك الخط، حتى إذا ما مضينا اعتمدنا على علمنا بالعروض، وأكملنا هذا بذاك وأتممنا العمل. من يقرأ؟ من يفك لنا الخط؟ كلام صعب، كلام صعب، ها، نورة!

- أَبُو دَلَفُ الْخَيّرَاتِ أَنْدَاهُمْ يَدًا وَأَبْسَطُ مَعْرُوفًا وأَكْرَمُ مُحْتَدَا
- ها! أخطأت ثلاثة أخطاء، بعضها يكسِر، وبعضها لا يكْسِر، "مُحتدا" هي "مَحتِدا"، والمحتد الأصل.

ستقول مناهل: ستحاسب على هذا! سهلة -إن شاء الله!- سهلة، لكن في التمييز بين الأوائل أحاسب. الأمور سهلة -إن شاء الله!- طيبة، كما تقولون في العمانية. "مُحتدا" و"مَحتِدا" ذوا وزن عروضي واحد، لكنني أريد طبعا أن تعرف أنها "مَحتِدا"، لا أريد أن تحرف الكلمة. ما زلنا مبدئيًّا على الطريق -ولا بأس- لكن إذا جئنا إلى الأوائل من باب التمييز فمستحيل أن أسوي بين من قال: "مُحتدا"، ومن قال: "مَحتدا"، مستحيل؛ هذا يعرف، وهذا لا يعرف، هذا يخبط، نورة الآن تخبط خبط عشواء "مَنْ تُصِبْ تُمِتْهُ وَمَنْ تُخْطِئْ يعمر فَيَهْرَمِ"، ها! كذلك في الأول، ماذا قلتِ في الأول، أخطأت ثلاثة أخطاء. هذا لا يكسر، وبعضها كذا، نورة ممتازة، لا بأس بها، من خلال ما استمعنا إليه منها، لكن هذه الأمور ينبغي ألا نتعجلها. بعد أن تمضي نورة من الأول إلى الآخر ستختار طبعا ما هي متأكدة ألفا من المئة، لتكتبه، وتحرره، وتقدم به، الإجابة. ها، لا تورطوا أنفسكم فيما لا تعرفون! ها، أعيدي! وأبو دُلَف -هذا اسمه- رجل مشهور في ثقافتنا -ها!- من الأمراء الممدوحين المعروفين، وفيه أبيات العَكَوَّك المشهورة:

"إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلَفٍ بَيْنَ بَادِيهِ وَمُحْتَضَرِهْ
فَإِذَا وَلَّى أَبُو دُلَفٍ وَلَّتِ الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِهْ"!

كلام من أروع الكلام! ونورة طبعا لا تعرف أبا دلف، لكن فلانًا يعرف؛ ففلان هذا أفضل منها! طيب، كيف أعرف، يا أستاذ؟ أين الأوراد اليومية من كتب الأدب؟ أين أورادكم من كتب الأدب بعد الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء، أين؟ لا وقت -يا أستاذ!- ننام بعد

الفجر، وننام بعد الظهر، وننام بعد العصر، وبعد المغرب والعشاء، يعني نقسم نومنا على الصلوات، الحمد لله، لله الحمد والشكر! ناموا إذن تصحوا:

"نَامُوا تَصِحُّوا نِعْمَ نَوْمُ الْمَرْءِ فِي الْكُرَبِ الْجِسَامِ"!

أو كما قال الجواهري، لكن فلانًا هذا يجلس ليقرأ كذا بعد الفجر وكذا بعد الظهر وكذا وكذا، كيف نسوي بين هذا وذاك، "هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ"، "لَا يَسْتَوُونَ"، صدق الله العظيم! "أَبُو دُلَفِ الْخَيْرَاتِ"، وأضاف الرجل إلى الخيرات، كما قالوا في مصعب الخير. ثم "أَنْدَاهُمْ"، تكسر الوزن -قلت لك: بعض الأخطاء لا يكسر، وبعضها يكسر- فهي "أَنْدَاهُمُ يدًا". طبعا تقولين: "يدًا" في المحاولة الأولى، و"أَبْسَطُ مَعْرُوفًا وَأَكْرَمُ مُحْتِدًا"، تقولين: هي إذن "مُحْتِدَا" غير منونة، فتعودين لتقولي: "يَدَا"، حتى تزيني البيت على أساس أنه مطلع أو شبه مطلع مِن الذي يُزَيَّن، من مطالع القصائد التي تزين بتشبيه آخر الصدر بآخر العجز وزنًا وقافية؛ فلهذا تعودين لتقولي: "أَنْدَاهُمُ يَدَا"، لا "يدًا"، لأنك تقولين في آخر البيت: "وَأَكْرَمُ مُحْتِدَا"، لا "محتدًا"، وهكذا، أكملي!

- تُرَاثُ أَبِيهِ عَنْ أَبِيهِ وَجَدِّهِ وَكُلُّ امْرِئٍ يَجْرِي عَلَى مَا تَعَوَّدَا
- الله! كلام سليم مئة من المئة، لا خطأ؛ هذا جدير إذن بأن يُبنى عليه تخريج عروضي سليم. أكملي!
- وَغَيْثٌ تَأَلَّفَهُ نَوْؤُهُ فَأَلْبَسَهُ غَلَلًا أَرْبَدَا

تَظَلُّ الرِيَاحُ تُهَادِي بِهِ إِذَا مَا تَحَيَّرَ أَوْ ...

- مسكينة! هذه التي قرأت ذلك فلم تخطئ، قرأت هذا فلم تصب؛ سبحان الله! ابن آدم! والحر يعجز لا محالة! مهما كان الواحد! "عَرَفْتَ شَيْئًا وَغَابَتْ عَنْكَ أَشْيَاءُ"! وأنا كذلك أعرف بعض الأشياء وأجهل بعضها، كلنا هذا! طيب، ما الحل في هذا؟ الحل أن تتأنّي، وأن تفتشي عن أي شيء يساعد على القراءة، وأن تتذكري، ولا تتسرعي؛ فإن استحال الأمر في الآخر تركت اختيار هذا البيت إلى ما أنت مطمئنة إليه، لا تبني على باطل. ما هذا الكلام؟ يبدو أن الرجل يتكلم عن غيث، والغيث معروف، والواو واو "رُبَّ" في أول الكلام، و"غَيْث" على مثل "وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ"، "وَغَيْثٍ" -ها!- ما لهذا الغيث؟ "تَأَلَّفَهُ نَوْؤُهُ"، النوء المنزلة التي تنزل فيها النجوم ويعرف بها وقت المطر؛ فكأن هذه المنزلة تتألفه تتحبب إليه تريد أن تعطفه على نفسها كما يتألف هو قلوب الناس

بالهدايا - كلام كبير هذا!- "وَغَيْث تَأَلَّفه نَوْؤُه" -يا ربي على الكلام الجميل!- "تَأَلَّفهُ نَوْؤُه"! تقرب إليه، وألف قلبه، وجذبه لنفسه! "تَأَلَّفهُ نَوْؤُه فَأَلْبسه غَلَلًا أَرْبَدا"، الغلل الثوب، والأربد المغبرّ. متى نُقَدِّر أن المطر سيهطل؟ إذا ما اغبر، ثم اسود، ثم كذا، فسبحان الله، كأنه يتألف قلب الغيث بتكثيف الغبرة إلى الاسوداد حتى يهطل.

وَغَيْث تَأَلَّفه نَوْؤُه فَأَلْبسه غَلَلًا أَرْبَدا

تَظَلُّ الرِّيَاحُ -طبعا أصابت هذه- "تَظَلُّ الرِّيَاحُ..."؟ "تَهَادَى"، يستحيل أن تقرئيها "تُهادِي" مثلا، لأننا لم نضع نقطتين؛ فهذه إذن ألف مقصورة -ها!- كيف نقول إذن: "تَهادى"؟ "تُهادى" ضعيف جدا هذا، "تَهَادَى"، وأصله "تَتَهَادَى"، تمايل، انظروا إلى الرياح كيف تمايل بالغيث! يا سلام!

تَظَلُّ الرِّيَاحُ تَهَادَى بِهِ إِذَا مَا تَحَيَّرَ أَوْ عَرَّدَا

"عرَّد" مال، "تَحَيَّرَ أَوْ عَرَّدَا": أين أهطل -يا ربي- أين أهطل؟ والرياح تميل به يمينا ويسارا، يميل وتميل.

"لَيْلَى عَلَى دِينِ قَيْسٍ فَحَيْثُ مَالَ تَمِيلُ
وَكُلُّ مَا سَرَّ قَيْسًا فَعِنْدَ لَيْلَى جَمِيلُ"!

طبعا لم تعرف هذا، لم تحسنه لكن عرفت بعضه دون بعض، تتأتى، تعيد النظر، تجتهد. اعتمدت على لغتها، فلم تنفعها تماما؛ فاعتمدت على العروض، فساعدها، وتظل هكذا تستعين بهذا على ذاك، وبذاك على هذا، حتى تكمل النظر، لكن ستجد طبعا أمورا أحسن من هذا تختارها، لكن الذين يُدلّون بأنفسهم ينبغي أن يحذروا وأن يراجعوا وأن يتأنوا، أما مسعد مثلًا، أما فلان فسيختار ما هو موقن منه ألفا من المئة، أكملي!

- كَانَ الشَّبَابُ...

ها! صعبة هذه، كيف تقرئينها؟ لِمَّة، واللمة الشعر النازل إلى الكتف، ها! "كَانَ الشَّبَابُ لِمَّةً...

- ... أَزْهى

- لا، عند العرب يقولون: أُزْهَى، يقولون: زُهِيَ يُزهى، أنا أُزهى أي أعجَب. "كَانَ الشَّبَابُ لِمَّةً أُزْهَى بِهَا"، ها!

- ... وَصَاحِبًا حُرًّا عَزِيزَ الْمُصْطَحَبْ

- "عزيز المصطحَب"، من الاصطحاب أي الصحبة. انظروا إلى نورة لم تنتبه إلى الخطأ الذي وقعت أنا فيه، هذه الألف خطأ هنا، لا، هي أحسنت، أنا أسأت! لكن انظروا، يبدو أن الأمر فرض نفسه، أن الصواب فرض نفسه وأعماها عن خطئي، أغفلها عن خطئي؛ فلم تنتبه إلى أنني وضعت ألفا خطأ هنا: "عزيزا المصطحب"، هذه خطأ؛ "عزيز" مضاف، و"المصطحب" مضاف إليه؛ فقرأتْها صوابا قالت:

كَانَ الشَّبَابُ لِمَّةً أُزْهَى بِهَا وَصَاحِبًا حُرًّا عَزِيزَ الْمُصْطَحَبْ

أي عزيز الصحبة، أي: "لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ يَوْمًا"، ها!

- إذ أنا أُجْرَى...

- هذه كذلك خطأ، "أَجرِي"، ما هذه الأخطاء؟ نعوذ بالله! يتكلم عن نفسه في أيام الشباب! يا جماعة، إذا حدث أن أخطأت أنا لم أكلفك عبء هذا الخطأ، وكافأتك على المضي، أي لم أنقص منك ما جره عليك هذا الخطأ، بل كافأتك على تصحيح ما أخطأ فيه الأستاذ. المفروض أنه يتكلم عن نفسه، فيقول: في أيام الشباب -ها!- إذ أنا أجري سادرًا في غيّ الشباب، أي راكبًا رأسي، "إذ أنا أجري سادرًا في غيه"، في ضلاله، ها، أكملي!

- ... لَا أَعْتِبُ الدَّهْرَ؟

- طيب! من يقرأ "إِذَا الدَّهْرُ عَتَبْ"، يعود ليقرأ البيت، فيقول: يا سلام! أين أيام الشباب، حينما كنت أركب رأسي وأجري في الضلال، لا أعبا بشيء؟ "لَا أُعْتِبُ الدّهر"، ما معنى "أُعْتِبُ"؟ أزيل العَتْب، إذا عتب عليَّ الزمان -يقصد أبناء الزمان طبعًا، وماذا يفعل الزمان بالنّاس؟ لا شيء؛ الذي يفعل أبناء الزمان- إذا لامَني أبي -لامتني أمي، لامني أصحابي- لم أعبأ! كنت في الشباب، و"الشَّبَابُ شُعْبَةٌ مِنَ الْجُنُونِ" -هذا كلام شريف- "الشَّبَابُ شُعْبَةٌ مِنَ الْجُنُونِ"، لا يبالي في شبابه. انظروا كيف نعتمد على ثقافتنا في فك الخط!

- إِذْ أَنَا أَجْرِي سَادِرًا فِي غَيِّهِ لَا أُعْتِبُ الدَّهْرَ إِذَا الدَّهْرُ عَتَبْ

- لا أعبأ، لا أعبأ بإرضاء الناس أصلًا، لكن إذا ما شِخْتُ اعتنيت بالناس أكثر، صرت حريصًا على رضا الناس، حتى يساعدوني في شيخوختي، لكن في الشباب أعتمد على شِرَّة الشباب! وعندنا كذلك شيء: "عَتَبْ"، وقفت عليها بالسكون، لماذا وقفت بالسكون؟ لأنها لو كانت مفتوحة لوضعنا

ألفًا: "إِذَا الدَّهْرُ عَتَبَا"، إضافة إلى شيء، أنها أحسّت أن هذا تكملة ذاك؛ "كان الشباب لمة أُزهَى بها وصاحبًا حرًّا عزيز المصطحبْ" -لم تقل: "المصطحبِ"، أحسَّت بأنها لو قالت: المصطحبِ، لتجاوزت حدود الوزن، وهذا صحيح. هي تعلمت شيئًا من العروض أصلًا، ليست مبتدئة، تعلمت شيئًا؛ فهي تعرف حدود الأشياء التي إذا ما تجاوزتها أفسدت، فوقفت: "... عزيز المصطحبْ"- ثم شفعته بأخيه "إذْ أنا أجري سادرًا في غيِّه لا أُعتب الدهر إذا الدهر عتب". أكملي!

- كَأَنَّ النَّاسَ جِسْمٌ وَهْوَ مِنْهُ مَوْضِعُ الْقَلْبِ
- الله! كلام سليم مئة من المئة! إِذَا سَالَمَ أَرْضَا...، أكملي!
- إِذَا سَالَمَ أَرْضَا...
- "إِذَا سَالَمَ أَرْضَا"! ما "أرضَا" هذه، إن شاء الله؟ فعل ماض؟ لو كانت فعلًا لكتبناها ألفًا يائيَّة! اسم؟ لماذا منعته من التنوين إذن؟ أهو في آخر بيت؟ أهو في آخر صدر زُيِّن مطلعه بتشبيه آخر الصدر بآخر العجز؟ لا هذا ولا ذاك ولا ذلك! ينبغي إذن أن يكون: "إِذَا سَالَمَ أَرْضًا"، ها، ماذا يحدث؟
- ... غَنَّيتُ...
- ... غَنَّيتُ...
- ... غَنَّيتُ آمنَةً...
- "إِذَا سَالَمَ أَرْضًا غَنَّيتُ آمِنَةً"، ما هذا الكلام؟ "إذا سالم"، هذا يبدو أنه يتكلم عن شخص تكلم عنه في الكلام السابق، ماذا قال: "كَأَنَّ النَّاسَ جِسْمٌ"، وهو من هذا الجسم "مَوْضِعُ الْقَلْبِ" -ها!- ثم يُرَشِّحُ، يزيد: "إِذَا سَالَمَ أَرْضًا"...
- ... غَنِيَتْ...
- أحسنت! غَنِيَتْ -إذا سالمها- غَنِيَتْ، ها!
- ... آمِنَةَ السِّرْبِ
- "مَنْ بَاتَ آمِنًا فِي سِرْبِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا"! فهذا الرجل جبّار، إذا سالم أرضًا غَنِيَتْ آمنةَ السرب، لكن إذا حاربها دمّرها تدميرا. أكملي!
- أَلَا رُبَّ هَمٍّ يَمْنَعُ النَّوْمَ...

- "أَلَا رُبَّ هَمٍّ"، ها! و"رُب" حرف جر، فتقول" رُبَّ همٍّ"!
- ... يَمْنَعُ النَّوْمَ...
- "أَلَا رُبَّ هَمٍّ"، ستقول لي نورة: خطأ لا يكسر الوزن! طيب! ها، من سكت على مثل هذا تورط في أبشع منه، أَلَا رُبَّ هَمٍّ...
- ... يَمْنَعُ النَّوْمَ دُونَه أَقَامَ كَقَبْضِ الرَّاحَتَيْنِ عَلَى الجَمْرِ
- جميل جدًّا! لم تخطئي إذن إلا في حكاية "هَمٍّ" هذه. "أَلَا رُبَّ هَمٍّ يَمْنَعُ النَّوْمَ دُونَهُ -يمنعني من النوم- أَقَامَ -هذا الهم- كَقَبْضِ الرَّاحَتَيْنِ عَلَى الجَمْرِ"، جميل! أكملي!
- بَسَطْتُ لَهُ وَجْهِي لِأُكْبِتَ حَاسِدًا...
- ... لأَكْبُتَ!
- ... لأَكْبُتَ...
- هي "أَكْبِت" في العربية، لكن نورة لا تعرف، معذورة، وربما لم تعرف أنه "كبَت يكبِت"، لا "كبَت يكبُت"، كيف نعرف هذا، يا أستاذ؟ ألا تقرؤون الكلام العربي، ألا تقرؤون القرآن الكريم والشعر النفيس والنثر الشريف؟ أليست لكم أوراد بعد الصلوات كل يوم في الإجازة وفي الدراسة كلما تيسر؟ أم تظنون أن السماء تمطر لغة وشعراً وقرآنا وكذا! إن السماء لا تمطر لغة ولا شعراً ولا معاجم ولا كذا، لا، كله بعمل يدك، هذه مشكلة، ولاسيما هذه المشكلة، ضبط الثلاثي من أصعب ما يكون: "كَبَتَ يكبِت" أم "كَبتَ يَكْبُتُ"، "يَكْبِتُ"، ها! بسطت له وجهي...
- ... لأكبتَ...
- لأكبته، لأقهره، أي على رغم أنني مهموم تظاهرت بالسعادة لأكبت حاسدًا، ها!
- ...وأَبْدَيْتُ عَنْ نَابٍ ضَحُوكٍ...
- "ضحوكٍ"! لماذا "ضحوكٍ"؟ "ضحوكٍ" مصروفة عادية، "عن نابٍ ضحوكٍ"...
- ... وَعَنْ ثَغْرُ
- "وَعَنْ ثَغْرُ"! طبعًا التي قالت: "رُبَّ همٍّ"، تقول: "وَعَنْ ثَغْرُ"، تقول هذا وأسوأ منه! ها! عن نابٍ ضحوكٍ...
- ... وعن ثغرِ

- "وَعَنْ ثَغْرِ"، جميل -يا نورة!- "بَسَطْتُ لَهُ أي للحاسد أو للهم -سامحيني!- بسطت له وجهي -تظاهرت بأنني سعيد، وأنا مهموم- لِأُكْبِتَ حَاسِدًا وَأُبْدِيْتُ عَنْ نَابٍ ضَحُوكٍ وَعَنْ ثَغْرِ". أرأيتِ؟ هذا البيت إذن أخو السابق، يُكْمِلُهُ، لكن لا تتوقعوا هذا دائمًا، بل كونوا على حذر، فأحيانًا يكون هذا التالي أخا السابق، وأحيانًا لا يكون. ها، أكملي!

- خُذْهَا إِلَيْكَ مِنْ مَلِيءٍ بِالثَّنَا لَكِنَّهُ غَيْرُ مَلِيءٍ بِالنَّشَبِ

- "بالنشَبِ" -ها!- هكذا تُحسِّين، "بالنشَبِ" -ها!- "خذها إليك من مليء بالثنا -أي بالثناء عليك- لكنه غير مليءٍ..."، هذه طبعًا كلمةٌ غريبة، النَّشَب المال وما يملكه الإنسان، يبدو أنه من العلوق بالشخص، أو من علوق الشخص به، نشِب به ونشَب نشِب ينشَب نشبًا وكذا، فالنشب المال، الأملاك، يقول: خذ هذه القصيدة، خذها إليك من مليء بالثناء عليك، بالثنا، لكنه غير مليء، إذا قال: "بالنشبِ"، خرج من حدود الوزن، تذكرون "المصطحب" المذكورة آنفا، وستعرفون سيتأكد لكم بالتدقيق، لكن من تَمَرَّنَ منكم كثيرًا عرف سريعًا، ومن لم يتمرن كثيرًا احتاج إلى المحاولة بعد المحاولة؛ فانتبهوا لهذا: من تمرن كثيرًا أجاب سريعًا، ومن تمرن قليلًا وجب أن يتأنى كثيرًا ليُعوّض عدم التمرن، لا حيلة إلا هذا. ها! "لَكِنَّهُ غَيْرُ مَلِيءٍ...

- ... بِالنَّشَبْ

- بِالنَّشَبْ". ها! صعبة هذه عندنا في العربية "ثوى يثوي"، ما معنى "ثوى يثوي"؟ أقام يقيم، ولكنها للموتى غالبًا، ثوى في الأرض، مات، وكذا. طيب! هذا "ثوى"، وأنا أَثْوَيْتُهُ، أي جعلته يثوي، هو ذهب إذن وأنا أذهبته، هو قام وأنا أقمته، هو جرى وأنا أجريته، فهو هنا يقول: وَأَثْوِ فِي الْأَرْضِ...

- ... أَوِ اسْتَفْزِزْ بِهَا أَنْتَ عَلَيْهَا الرَّأْسُ وَالنَّاسُ الذَّنْبِ

- "الذَّنْبِ"! جئت إلى أسهل بيت، "وَأَثْوِ فِي الْأَرْضِ" -هذه هي الصعبة- "وَأَثْوِ فِي الْأَرْضِ"، وقرأت "اسْتَفْزِزْ" -ما شاء الله!- "أَوِ اسْتَفْزِزْ"، طبعًا أخذتها من القرآن الكريم (اسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ) -هذه معروفة من القرآن- ما معنى "استفزز"؟ أَثِرْهُم، أقمهم، أطلقهم، اجعلهم يخرجون للقتال، "وَأَثْوِ فِي الْأَرْضِ" -أي اجعل من شئت يقيم- أَوِ اسْتَفْزِزْ -أي اجعل من شئت يرحل- أَنْتَ عَلَيْهَا الرَّأْسُ وَالنَّاسُ الذَّنَبْ". ما عكس الرأس؟ الذَّنَب، كيف تقولين: أنت عليها الرأس والناس الذَّنْب؟ كان ينبغي له عندئذ أن يغير كلمة الرأس فيقول: أنت عليها الخير مثلًا، أو أنت

عليها الثواب والناس الذنْب، أنت عليها الإحسان، لكن "أَنْتَ عَلَيْهَا الرَّأْسُ وَالنَّاسُ الذَّنَبْ"، بديهية هذه، أكملي!

- أَعْطَيْتَنِي يا وَلِيَّ الحَقِّ مُبتَدِئًا...
- ماذا أعطيتني؟
- ... عَطِيَّةً كافَأْتُ مَدْحِي ولَمْ تَرَنِي
- "كَافَأْتُ"! "أنا كافأتُ"، أنا المُعْطَى لا المُعْطِي.
- ... كافأتَ...
- "عطيةً كافأْتَ"، ما قولك في هذا الوزن؟ هي علي أي حال واردة مبدئيًّا، أعيدي: "أعطيتني يا ولي الحق مبتدأ -أي من قبل أن أطلب- عطيةً كافأْتَ بها مدحي ولم ترني"، ما قولكم؟ أما المتدربون فيقولون سريعًا، ها! "أَعْطَيْتَنِي يا وَلِيَّ الحَقِّ مُبتَدِئًا عَطِيَّةً...
- ... كَافَأْتْ
- هذا هو، "عطيةً كافَأَتْ" وهو وارد مع ذاك، يجوز له أن يقول: كافأتَ بها مدحي، وأن يقول: العطية نفسها كافأَتْ مدحي؛ فما الفيصل إذن؟ استقرار الوزن، وهو لا يستقر بـ"كافأتَ"، أرأيت الحِيَل؟ ونظل نحُور وندُور طوال الاختبار على هذا النحو، أكملي: وَلَمْ...
- ... تَرَنِي
- "وَلَمْ تَرَنِي"، سبحان الله! فعلت بي هذا ولم ترني، هذا من إحسانك، أكملي!
- ... ولَمْ تَرَنِي

ما شِمْتَ بَرقَكَ حَتّى نِلتَ رِيقَهُ كَأَنَّمَا كُنتُ بِالجَدوى تُبادِرُني

- أخطأت هنا طبعا عدة أخطاء، منها ما يكسر الوزن، ومنها ما لا يكسره، والسكوت على ما لا يكسر باب الوقوع فيما يكسر. يبدو أن هذا البيت تكملة السابق، وببعض التأني نفك خطَّه. "أعطيتنيَ يا وليَ الحقّ مبتدئا"، يبدو أنه يكلم الخليفة؛ فهو الذي يُسمَّى "ولي الحقّ"، "أَعْطَيْتَنِي يَا وَلِيَّ الحَقِّ مُبْتَدِئًا -من قبل أن أطلب- عَطِيَّةً كَافَأَتْ مَدْحِي وَلَمْ تَرَنِي"، ثم يكمل، هذا طبعًا كلام صعب، يحتاج إلى معرفة، من أين نأتي بها؟ إن السماء لا تمطر معجمًا، ولا لغة، ولا كذا، "ما شِمْتُ بَرْقَكَ"، شام البرق يشيمه أي تتبعه حتى يعرف متى سينزل الغيث، فتتبع البرق يسمى الشَّيْم

خاصة، شام البرق تتبعه -ها!- حتى يعرف ما حال الغيم، وأين سيمطر؟ فله فعل خاص، للبرق فعل خاص، لتأمُّله، يقال: شام البرق، فهو يتكلم عن نفسه: "ما شمت برقك"، أي ما تتبعت مسار عطيتك حتى نلتها فورًا، ما شمت برقك حتى نلت، ثم تأتي كلمة صعبةٌ أخرى...

- ... ريق...
- "رِيق" لا، "رَيِّقَه"، والرَيِّق الأول، "مَا شِمْتُ بَرْقَكَ حَتَّى نِلْتُ رَيِّقَهُ"، لم أُطِلِ التتبع، فورًا نزل علي الغيث فورًا، المفروض أن الشخص يسكت، يتتبع: ها! بدأ البرق، زاد، انتقل، كذا كذا، بقيت ساعة. لا، لم أبدأ حتى جاءتني العطِيَّة، نزل الغيث، "مَا شِمْتُ بَرْقَكَ حَتَّى نِلْتُ رَيِّقَهُ كَأَنَّمَا كُنْتَ بِالْجَدْوَى -أي العطية-... ها!
- تُبَادِرُنِي
- ما معنى "تُبَادِرُنِي"؟ تسابقني، يعني: أنت -سبحان الله!- لم تنتظر حتى أطلب، كأنك تسابقني، تسابق رغبتي أصلًا، تحرص دائمًا على أن تسبق طلبي ورغبتي، ما هذا الكرم؟ طبعًا كلام عرَفْنَا بعضه وجَهِلْنَا بَعْضَه، عرفنا قليلًا وجَهِلنا كثيرًا، فما مقتضى الحكمة؟ الحكمة أن نتتبع ما عرفنا، ونتجنب ما جهلنا. عندك أبيات كثيرة طالبتُك منها بخمسة فقط، فلماذا تورط نفسك فيما لا تعرف؟ لكن مبدئيًّا يجب أن تقرأ كما قرأنا، وأن تعود لتقتطع البيت بعد البيت، لتضع الفواصل. شَكِّل على الصفحة، شكل هنا، شكل هنا، ثم ضع الخطوط هنا، ثم أنزل البيت بعد البيت إلى أسفل، أو قبل أن تختار، طبق على هذا الكلام قبل أن تختار. ها، هيا فلنبدأ -ها!- نغني الآن، قرأنا، واطمأننا بالقراءة كما كنا نفعل في المحاضرات، قرأنا، وحاولنا أن نضبط قدر الطاقة، أخللنا ببعض الأشياء، وبمشيئة الرحمن سيساعدنا التغني على ضبط ما بقي. ها، فلنتغنَّ، وفي الاختبار تدندن في نفسك بإصبعك هكذا، لكيلا يسمعك أحد، هناك غش معروف، غش الأصابع معروف، في الاختبارات عندنا غش اسمه غش الأصابع، هكذا يسمع الدندنة فلانٌ فيلتقط الحبل، لا هذا غش، حرام حرام، وما بني على الحرام فهو حرام!
- يشعل لك الفتيل، فتنشئ القصيدة.
- نعم!
- يشعل لك الفتيل فتنشئ القصيدة.

- اللهْ! يشعل لك الفتيل فتنشئ...، فتحل الاختبار!
- استغلال.
- تأخذ منه أول الخيط بالإيقاع، هذا غش الأصابع هذا، ها لكن في نفسك ماذا تفعل؟ ماذا نقول؟
- أَبُو دُ= ددن د
لَفِ الْخَيْرَا= ددن دن دن
- ما هذا ما هذا؟ هل سيستقيم على هذا؟
- أَبُو دُ= ددن د
لَفِ الْخَيـ= ددن دن
رَاتِ أَنْدَا= دن ددن دن
- انكسر!
أَبُو دُلَفِ الْـ= ددن دددن
ـخَيْرَاتِ أَنْـ= دن دن ددن
ما هذا؟ ما هذا؟ نحن إطارنا معروف -يا عمر-: المتقارب "ددن دن، ددن دن، ددن دن، ددن دن"، المتدارك "دن ددن، دددن، دن دن، دددن"، الهزج "ددن دن دن، ددن دن دن"، الطويل "ددن دن، ددن دن دن، ددن دن، ددن دن دن"، البسيط "دن دن ددن، دن ددن، دن دن ددن، دن ددن". لن أختبرك إلا في هذه الستة فقط، وينبغي ألّا آتي -المفروض منطقيًّا ألّا آتي- بشيءٍ من غيرها، لأنه سيفسد علينا العمل. وفيما بعد -إن شاء اللهْ!- بعد أن نتعلم العروض كله، تواجه بكل شيء، لأنك لا تدري في أي شيء ستُسأل، يسألك أي واحد في الشارع تقابله أو في أي مكان: خرِّج لي هذا البيت؛ فعليك أن تكون قد عرفت كل شيء حتى تتعرض للفتوى، لكنك الآن في مرحلة وسطى؛ فأنا الآن أسالك فيما درّست لك فقط، في ستة الأبحر؛ فهذا إما من هذا، أو ذاك أو كذا، أو كذا، إلى آخر الستة فقط. فالذي قاله عمر (ددن دددن، ددن دددن)، من خارج الستة، هذا الوافر (مفاعلتن، مفاعلتن)، ها!
- أَبُو دُ= ددن د

لَفِ الْخَيْرَا= ددن دن دن

ت أَنْدَا= ددن دن

هُمُ يَدًا= ددن ددن

وَأَبْسَ= ددن د

ـطُ مَعْرُوفًا= ددن دن دن

وَأَكْرَ= ددن د

ـمُ مُحْتَيِدًا= ددن دن دن

- أحسنت لكن أحب أن تحافظ على اللحن؛ "ـمُ مُحْتَيِدًا" هذه التي تقول، هي...

- ـمُ مُحْتَدِا= ددن ددن

- أحسنت! انظروا إلى فيصل، ها، ثم ماذا؟

- الطويل.

- طبعًا الطويل، تسمية البحر هذه عندي في الآخر، هل ذكرتها لك؟ هل طلبتها منك؟ ها! ما الذي طلبته منك هنا؟ "... تقطيعًا وتوقيعًا وتفعيلًا وتوصيفًا"، فقط! من أراد أن يذكر فليذكر، وهذا طبعًا من تمام العلم! إذا أردنا أن نميز في الأعلى بين الممتازين، هذا عرف وهذا لم يعرف، هذا أضاف الاسم صوابًا وهذا أضافه خطأً، وعلى هذا الأساس نميز. لكن مبدئيًّا من أجل الحصول على خمسٍ وعشرين لم أطالبك بتسمية البحور، لم أطالبك، تحصل على خمسٍ وعشرين من غير ذكر أسماء البحور، لأنك عرفت كل شيء، عرفت الحقائق؛ فكافأتك على الحقائق. لكن إذا استوى طلاب في خمسٍ وعشرين وجب عليَّ أن أميز، فأرتفع أرتفع إلى آخر المدى في التدقيق والتمييز! طيب! ها، ثم ماذا؟ أكملوا معي، ها! "تراث= ددن د"، "أبيه عن= ددن دن دن"، يبدو إذن أنه أخو السابق مبدئيًّا!

- تراث= ددن د

أبيه عن= ددن دن دن

أبيه= ددن دن

وجدّه= ددن ددن

وكلّ امـ= ددن دن

ـرئٍ يجري= ددن دن دن

على ما= ددن دن

تعوّدا= ددن ددن

- طبعا بِفَكِّكَ البيتَ الأول بنيتَ عليه؛ فجاء معك الثاني على وفق الأول. ربما جاء الثالث كذلك؛ حاول!

- وَغَيْث= ددن دن

تَأَلَّفَهُ= ددن ددن

- تعطلت المسيرة؛ ففكر إذن في شيء آخر، ها، ما قولكم؟ "وَغَيْثٍ" -يا أخي!- "وَغَيْثٍ" هذه: "وَغَيْثٍ تَـ= ددن دن د"، مفاعيل، هزج؟ ها! "ـأَلَّفَهُ نَوْ= دن ددن دن"؛ فشلت المحاولة! ها، ما الحل؟ ها، جربوا!

- وَغَيْث= ددن دن

تَأَلَّـ= ددن د

ـفَهُ نَوْ= ددن دن

ؤُهُ= ددن

فَأَلْبَـ= ددن د

ـسَهُ غَـ= ددن د

ـلَلاً أَرْ= ددن دن

بَدَا= ددن

- ما هذا البحر؟

- متقارب.

- متقارب، طيب! نجحنا في هذا، نبني عليه ما بعده؛ فربما كان مثله، ها!

- تَظَلُّ الرْ= ددن دن

رِيَاحُ= ددن د

تَهَادَى= ددن دن

بِهِ= ددن

إِذَا مَا= ددن دن

تَحَيَّـ= ددن د

ـرَ أَوْ عَرْ= ددن دن

رَدَا= ددن

- نجحنا.

- طويل.

- لا، هذا أخو السابق متقارب بعد متقارب. طيب فلنفكر في التالي، ربما كان مثله!

- كَانَ الشْـ= دن دن

- ما هذا؟ ها، كيف نقول؟ كيف نُمسك الخيط؟ "كَانْ الشْـ= دن دن"، أي من المتدارك جميل:

- كَانَ الشْـ= دن دن

شَبَا= ددن

- ها!

- كَانَ الشَّبَا= دن دن ددن

- "كَانَ الشَّبَا= دن دن ددن"؟ طيب، أكملي، دعي الدندنة إلى ما بعد، نريد أن نغني البيت كاملا، وبعد هذا يَسْهُل الأمر، ها!

- كَانَ الشَّبَا= دن دن ددن

بُ لَمَّةً= ددن ددن

- بُ لَمَّةً= ددن ددن

- أُزْهَى بِهَا= دن دن ددن

- أُزْهَى بِهَا= دن دن ددن

- وَصَاحِبًا= ددن ددن

- وَصَاحِبًا= ددن ددن

- حُرًّا عَزِيـ= دن دن ددن
- حُرًّا عَزِيـ= دن دن ددن
- ـزَ الْمُصْطَحَبْ= دن دن ددن
- ـزَ الْمُصْطَحَبْ، الله! ما هذا؟ بحر طبعًا، اسم هذا يأتي في الأخير، لكن ما هذا أصلًا "دن دن ددن، ددن ددن، دن دن ددن"، درسناه...
- البسيط.
- البسيط "دن دن ددن، دن ددن، دن دن ددن، دن ددن"، أما هذا فـ"دن دن ددن، ددن ددن، دن دن ددن"؛ فهو إذن...
- الرجز.
- الرجز. طيب! نفكر في الذي بعده؛ ربما كان مثله،، ربما، ها!
- إِذَا أَنَا= ×
- أين "إذا" هذه يا عمر؟ "إذْ". ومبدئيًّا تفكر في أن يكون مثل السابق حتى يثبت العكس، حتى تتعثر المسيرة، ها، كيف نقول؟ نسيتم أن ألف "أنا" تحذف من الوصل، لا تُنطق وكأنها غير موجودة؛ فكيف نقول إذن؟
- إِذْ أَنَا أَجْـ= دن ددن
- إِذْ أَنَا أَجْـ= دن ددن
- ـرِي سَادِرًا= دن دن ددن
- ـرِي سَادِرًا= دن دن ددن
- فِي غَيِّهِ= دن دن ددن
- فِي غَيِّهِ= دن دن ددن
- لَا أُعْتِبُ الدْ= دن دن ددن
- لَا أُعْتِبُ الدْ= دن دن ددن
- دَهْرًا إِذَا= ×
- دهرًا!

- دَهْرَ إِذَا= ×
- أخطأتُ أخطأتُ، أنا أخطأتُ: "دَهْرَ إِذَا الدْ= دن دددن"...
- دَهْرُ عَتَبْ= دن دددن
- دَهْرُ عَتَبْ= دن دددن، الله، جميل، جميل! هذا إذن أخو السابق، لكن لا تعتمدوا على هذا، ربما خدعتكم كما سترون بعد قليل في الاختبار التالي! ها! هذه سهلة، هذه أغنية واضحة، ها!
- كَأَنَّ النَّا= ددن دن دن

سَ جِسْمٌ وَهَـ= ددن دن دن

ـوَ مِنْهُ مَوْ= ددن دن دن

ضِعُ الْقَلْبِ= ددن دن دن

إِذَا سَالَ= ددن دن د

ـمَ أَرْضًا غَـ= ددن دن د

ـنِيَتْ آمِـ= ددن دن د

ـنَةَ السربِ= ددن دن دن

- جميل، هزج جميل جدا، طيب، التالي!
- أَلَا رُبَّ= ×

هَمٍّ يَمْـ=×

أَلَا رُبْـ= ددن دن

ـبَ هَمٍّ= ددن دن

يَمْنَعُ النَّـ=×

- إذن...
- أَلَا رُبْـ= ددن دن

ـبَ هَمٍّ يَمْـ= ددن دن دن

- أحسنت، يا عمر! أرأيتم؟ دخلتم إذن في المحك، الآن صرتم مجهزين للاختبار، أعد، يا عمر!
- أَلَا رُبْـ= ددن دن

ـبَ هَمٍّ يمـْ= ددن دن دن

ـنُعَ النَّوَّ= ددن دن

مِ دُونَهُ= ددن ددن

أَقَامَ= ددن د

كَقَبْضِ الرَّا= ددن دن دن

حَتَيْنِ= ددن د

عَلَى الجَمْرِ= ددن دن دن

- اكتمل بيت، لأنك تعلمت أن هذا البيت ثماني تفعيلات، وقد تمت الثماني. لا تفعل كما فعلَت طالبة، أضافت إليها بعدها جزءا، تفعيلتين، علاوة، ما هذه العلاوة! أضافت علاوة على البيت، البيت من الرجز مثلا ست تفعيلات على "مستفعلن"، فجعلتها ثماني، ما هذه العلاوة! وقفنا عند الحدود إذن، وقد تعلمناها: البسيط مثمن، والمتدارك مثمن، والرجز مسدس، والمتقارب مثمن، ماذا بقي؟ الهزج مربع -عرفنا- والطويل مثمن، عرفنا هذه الأشياء -سبحان الله!- فكيف تزيد عليها؟ ها -طيب!- ها، أكملوا!

- بَسَطْتُ= ددن د

لَهُ وَجْهِي= ددن دن دن

لأَكْبِـ= ددن د

تَ حَاسِدًا= ددن ددن

وَأَبْدَيْـ= ددن دن

ـتُ عَنْ نَابٍ= ددن دن دن

ضَحُوكٍ= ددن دن

وَعَنْ ثَغْرِ= ددن دن دن

- جميل جدا جدا! تبين لنا إذن أن هذا أخو ذاك؛ لكن لا تركنوا إلى هذا "فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ"! أكملوا!

- خُذْهَا إِلَيـْ= دن دن ددن

- ها! كيف نقول؟

- خُذْهَا إِلَيْـ= دن دن ددن

ـكَ مِنْ مَلِيـ= ددن ددن

- ـكَ مِنْ مَلِيـ= ددن ددن

- ـءٍ بِالثَّنَا= دن دن ددن

- ـءٍ بِالثَّنَا= دن دن ددن

- لَكِنَّهُ= دن دن ددن

- لَكِنَّهُ= دن دن ددن

- غَيْرَا مَلِيـ= ×

- "غَيْرَا مَلِيـ"! غَيْرُ مَلِيـ= دن دددن

- ـءٍ بِالنَّشَبِ= ×

- ـءٍ بِالنَّشَبِ، أم "ـءٍ بِالنَّشَبْ"؟

- ـءٍ بِالنَّشَبْ= دن دن ددن

- "ـءٍ بِالنَّشَبِ= دن دن دددن" تخرجنا من حدود التفعيلة -ههه!- "ـءٍ بِالنَّشَبْ= دن دن ددن"، ها!

- وَاثْوِ فِي الْـ= ×

- هذه "وَأْثْوِ"، لا "وَاثْوِ"؛ أتدرون لو كانت "وَاثْوِ" لانكسر الوزن! إذن...

- وَأْثْوِ فِي الْـ= دد ندددن

ـأَرْضِ أَوْ اسْـ= دن دددن

ـتَفْزِزْ بِهَا= دن دن ددن

أَنْتَ عَلَيْـ= دن دددن

ـهَا الرَّأْسُ وَالنْـ= دن دن ددن

ـنَاسُ الذَّنَبْ= دن دن ددن

- جميل! وقد دل البيت على البيت، دلّ الأخ على أخيه، لكن لا تركنوا إلى هذا "فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ"!

ها، ثم ماذا؟

- أَعْطَيْتَنِي= دن دن ددن

- أَعْطَيْتَنِي= دن دن ددن، هذا إذن مثل السابق.
- أَعْطَيْتَنِي= دن دن ددن
يَا وَلِيَّ الْـ=×
- كيف نقول إذن؟ "أعطيْـ= دن دن"، ربما كان من المتدارك مثلًا؟ ربما، فلنجرب المتدارك! "أَعْطَيْـ= دن دن"، "ـتَنِي=×"، لا، فما الحل إذن؟ أرأيت -يا عمرا- كيف نبني علمنا هذا على ضبط اللغة أولًا، ثم على تجريب الألحان! إذا كنت قد تدربت بما يكفي أجبت سريعًا وإلا احتجت إلى التأني! لا مشكلة، معنا وقت، خمسة أبيات في ساعة ونصف تقريبًا، قسِّم الوقت على خمسة أبيات، وتأنَّ إلى آخر المدى؛ فالمسألة تستحق! منتهى الروعة، منتهى الروعة، ها!
- أَعْطَيْتَنِي يَا= ×
- "أَعْطَيْتَنِي يَا= دن دن ددن دن"، هذا أكثر من تفعيلة؛ فكيف نقول إذن؟
- أَعْطَيْتَنِي= دن دن ددن
يَا وَلِيـ= دن ددن
يِ الْحَقِّ مُبْـ= دن دن ددن
ـتَدِئًا= ددن
عَطِيَّةً= ددن ددن
كَافَأْتَ= دن ددن
مَدْحِي وَلَمْ= دن دن ددن
تَرَنِي= ددن
- هذا اللحن الذي تعلمناه في البسيط -وتَسميتُه آخِرُ ما نعتني به- هذا هو اللحن "دن دن ددن، دن ددن، دن دن ددن، دن ددن"، أو يمكن أن تكون "ددن"، كل الاحتمالات في ذهنك، حاضرة في ذهنك، ها، أكملوا! هذا الذي خرجناه، طبعًا سيصعب عليكم بعض الكلام -سبحان الله!- كما يحدث في الأبحاث التي تمونها الآن: واحد وضع بحثه مثلًا في شعر امرئ القيس، والكلام وحشيّ، كلامه لا نعرفه هذه الأيام؛ فهو الآن على حذر، يفتش عن الضبط الصحيح حتى يحسن التخريج، وقد تدربتم بما يكفي، تكفيكم أعاجيب البحث! أو واحد أخذ رؤبة بن

العجاج مثلا، رؤبة هذا كان إذا ذُكِر عندنا في مجلس مؤسسة معجم الدوحة التاريخي، نقول جميعا: "حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ"! لماذا؟ لأنه مغرم بالغريب، وقد أتعبنا، وأزعجنا، وضيّع وقتنا، وأهلكنا سعيا وراء ألغازه -ههه!- ما هذا الكلام؟ كل الكلام غريب، كان يتعمد، عرف أن اللغويين ينتظرون كلامه، فبالغ في الإغراب حتى يحفظوا عنه: انظروا كيف قال؟ وهذه معناها كذا، وهذه معناها كذا، وهذه غريبة! أهذا شعر؟ طيب، ها!

- مَا شِمْتُ بَرْ= دن دن ددن
قَكَ حَتْ= دددن
تَى نِلْتُ رَيْ= دن دن ددن
يِقَهُ= دددن
كَأَنَّمَا= ددن ددن
كُنْتَ بِالْ= دن ددن
جَدْوَى تَبًا= دن دن ددن
دِرُنِي= دددن

- جميل! هذا هو الاختبار. لكن عندنا بنظام الوُورد على الحاسوب شيء سنستطيع بحرية أن نعامله، معنا حرية كاملة على الجهاز نستطيع الآن -أنا مع الأسف كنت أظن أن الفلاشة معي، لكنها اختفت! أين ذهبت؟ لا أدري! فاعتمدت على ميزة الخزائن الإلكترونية، ويا لها من ميزة أن تكون عندك خزانة إلكترونية، وموقعي أهم خزائني الإلكترونية! ذهبت إلى الرسائل التي أرسلتها إلى الطلاب، فأخرجت منها هذه الأشياء- طيب! الآن نسخنا اختبارًا من الاختبارات، لنجربه.

*****

تلك الثغور عليها وهي زينتها مناهل عذبت للقوم فازدحموا في كل لج حواليها لهم سفن وفوق كل مكان يابس قدم تعالج كفاك بؤس الحياة فكف تداوي وكف تهب ويستمسك الدم في راحتيك وفوقهما لا يقر الذهب تفدي الرؤوس رأسك العظيما فقف أشاهد حسنك الوسيما لله ما أظرف هذا القدا وألطف العظم وأبهى الجلدا يقول أُناس لو وصفت لنا الهوى لعل الذي لا يعرف الحب يعرف فقلت لقد ذقت الهوى ثم ذقته فوالله ما أدري الهوى كيف يوصف ويشيد العز بأيدينا

وطن نفديه ويفدينا اليوم نسود بوادينا ونعيد محاسن ماضينا سلام حالب الشاة سلام غازل البرد ومن صد عن الملح ولم يقبل على الشهد

خرّج خمسة أبيات مما أمامك، في علم العروض، تقطيعًا، وتوقيعًا، وتفعيلًا، وتوصيفًا!

*****

- من يقرأ؟ الكلام هنا أسهل كثيراً، ها، من؟ فيصل!

تلك الثغور عليّ...

- ما لك! ها!
- تلك الثغور عليها وهي زينتها مناهل عذبت للقوم فازدحموا
- ها!
- في كلّ لجّ حواليها لهم سفن وفوق كلّ مكان يابس قدم
- "وفوق كلّ مكان يابسٌ"! يابسٍ. تعالجُ...، ها!
- تعالجُ كفّاك بؤس الحياة بكفٍّ...
- "بكفّ" هذه؟
- فكفُّ...
- يا أخي، يقول: تعالجُ كفّاك، تعالج كفّاك بؤس الحياة، فكفٌّ...
- تُداوي...
- وكفٌّ...
- تهْب
- ما "تهِبْ" هذه، إن شاء الله؟
- تهبْ
- تهَبْ، وهب يهبُ، لا يقال: وهَب يهِبُ، "وهَب يهِبُ" هذه لا نعرفها، أهبهُ، وهبتهُ أهبه. إذا عرفت اللحن من الأول قلت: تهَبْ، طبعا، "فكفٌّ تُداوي وكفٌّ تهَبْ"، وإذا لم تعرفه قلت: "وكفٌّ تهَبُ"، حتى تتأنى وتجرب. هذه هي مسألة الاختبارات: من كان موهوبًا موهبةً واضحةً أو متدربًا تدربًا واضحًا عرف سريعًا، وإلا احتاج إلى دقيقة إضافية، لا مشكلة! ها، أكمل!

- وَيَسْتَمْسِكُ الدَّمُ فِي رَاحَتَيْكَ وَفَوْقَهُمَا لَا يَقِرُّ الذَّهَبُ
- "لَا يَقَرُّ الذَّهَبُ"، هكذا ترى؟ طيب، أكمل!
- تَفْدِي الرُّؤُوسُ رَأْسَكَ الْعَظِيمَا فَقِفْ أُشَاهِدُ حُسْنَكَ الْـ...
- ... أُشَاهِدْ حُسْنَكَ الْوَسِيمَا
- ... أُشَاهِدْ حُسْنَكَ الْوَسِيمَا
- سأرسل إليكم هذه الاختبارات -إن شاء الله!- هذا المساء، هذه سبعة تفعلون بها ما تشاءون. ها!
- مَا أَظْرَفَ هَذَا الْقَدَا
- وأين ذهبت هذه الكلمة "لله"؟
- لِلَّهِ مَا أَظْرَفَ هَذَا الْقَدَا
- "هَذَا الْقَدَّا"، "الْقَدَّا" من قدَّ؟ ركِّزْ؛ لا نعرف "القَدَا" أصلاً، لا نعرف ما يسمى "القَدَا"، أما "القَدّ" فنعرفه؛ "مَا أَظْرَفَ هَذَا الْقَدَّا"، ها!
- وَأَلْطَفَ الْعَظْمَ وَأَبْهَى الْجِلْدَا
- يا سلام!
- يَقُولُ أُنَاسٌ لَوْ وَصَفْتَ لَنَا الْهَوَى لَعَلَّ الَّذِي لَا يَعْرِفُ الْحُبَّ يَعْرِفُ
- يا سيدي، ها!
- فَقُلْتُ لَقَدْ ذُقْتُ الْهَوَى ثُمَّ ذُقْتُهُ فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي الْهَوَى كَيْفَ يُوصَفُ
- يا سلام، يا سلام على الكلام الجميل، هذا كلام شوقي، أظن أن هذا الكلام كله لأحمد شوقي أمير الشعراء. كنت أحيانًا أذهب إلى ديوان الشاعر، وأسأل من خلاله فقط، من خلال شاعر واحد. هذه الأيام فكرت في شاعر يشغلني وهو مظلوم، لن أذكره لكم طبعًا -ربما جعلت الاختبارات كلها في شعر هذا الشاعر!- هو كبير، ولكنه مهمل، وقد أدّى للعرب وللمسلمين خدمة كبيرة، ولكنها لم تُقدَّر قدرها. ها، أكمل! انظر كيف يقول شوقي! ماذا يقول! "يَقُولُ أُنَاسٌ"، اسمعوا، اسمعوا الكلام الجميل!
- يَقُولُ أُنَاسٌ لَوْ وَصَفْتَ لَنَا الْهَوَى لَعَلَّ الَّذِي لَا يَعْرِفُ الْحُبَّ يَعْرِفُ
- ينوبك ثواب!

- فَقُلْتُ لَقَدْ ذُقْتُ الْهَوَى ثُمَّ ذُقْتُهُ فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي الْهَوَى كَيْفَ يُوصَفُ
- الله، الله، أكمل!
- وَيُشِيدُ الْعِزُّ بِأَيْدِينَا وَطَنٌ نَفْدِيهِ وَيَفْدِينَا
- أين الفاعل إذن، وأين المفعول؟
- وَيَشِيدُ الْعِزَّ...
- أحسنت! "وَيَشِيدُ الْعِزَّ بِأَيْدِينَا وَطَنٌ"، هذا الوطن إذن يَشيد، إنها من "شاد يَشيد"، لا "أشاد يُشيد"، "أشاد" بمعنى عرَض، عرض الشيء على الناس، أشاد، ورفع صوته، يقول: يا جماعة، هل رأيتم كذا؟ أما "بنى يبني" فـ"شاد يَشيد"، "وَيَشِيدُ الْعِزَّ بِأَيْدِينَا وَطَنٌ"، الوطن إذن هو الفاعل، يَشيد العز بأيدي أبنائه، أكمل: وَيَشِيدُ الْعِزَّ بِأَيْدِينَا وَطَنٌ...
- ... وَطَنٌ نَفْدِيهِ وَيَفْدِينَا
- الْيَوْمَ نَسُودُ بِوَادِينَا وَنُعِيدُ مَحَاسِنَ مَاضِينَا
- كلام سهل جميل جدا، ليت الاختبار كذلك، ها! وقعنا في مصيبة -ها!- حسدْنا الرجل!
- سَلَامٌ حَالِبَ الشَّاةِ سَلَامٌ...
- والله! ما "سَلَامٌ حَالِبَ الشَّاةِ سَلَامٌ" هذا؟ ها! يبدو أنه مثلا -ها!- اغتر، اغتر!
- سَلَامٌ حَالِبَ الشَّاةِ سَلَامٌ غَازِلَ الْبُرْدِ
- كلام سهل جدا، مازلنا في الكلام السهل. أكمل!
- وَمَنْ صَدَّ عَنِ الْمِلْحِ وَلَمْ يَقْبَلْ عَلَى الشَّهْدِ
- وَلَمْ يَقْبَلْ! أَقْبَلَ يُقْبِلُ، "وَلَمْ يُقْبِلْ"، من هذا الرجل؟ البدوي، سبحان الله! قرأنا إذن، أحسنت القراءة، كلام جميل، فلْنشكّلْ!
- تِلْكَ الثُّغُورُ عَلَيْهَا وَهْيَ زِينَتُهَا مَنَاهِلٌ عَذُبَتْ لِلْقَوْمِ فَازْدَحَمُوا فِي كُلِّ لُجِّ...
- لا، نسيت أن أسألكم -ها، لابُدّ أن نحدد بالخط أولًا حدود الأبياتٍ- فأين نضعه؟
- فازدحموا.
- تِلْكَ الثُّغُو| رُ عَلَيْـ| ـهَا وَهْيَ زِيـ| نَتُهَا| مَنَاهِلٌ| عَذُبَتْ| لِلْقَوْمِ فَازْ| دَحَمُوا
لو كنا على الجهاز، لو كانت الاختبارات على الجهاز لكان أسهل! ها!

- قدم.
- في كُلّ لجْ|جٍ حوا| ليْها لهُمْ| سُفنٌ| وفوق كُلْ| لِ مكا| نٍ يابِسٍ| قدمُ
- ها!
- تهب.
- تعالِ| جٍ كفّا| كَ بؤْس الْ| حياةِ| فكفُّ| تداوِي| وكفُّ| تهبْ

سهلة، ننزل، ها!

- ذهب.
- ويستمْ| سِكُ الدّ| مُ في را| حتيْك| وفوق| هما لا| يقرُّ الذْ| ذهبْ

يستمسك الدم في راحتيك، ولكن الذهب لا يستمسك، سبحان الله! هذا فارس فيما يبدو، ها!

تفْدي الرؤُو| سُ رأْسكَ الْ| عظِيما|

يبدو أن هذا من ديوان الأطفال لشوقي، تعرفون ديوان الأطفال؟

"يمامةٌ كانتْ بِأعْلى الشّجرةِ آمِنةً في عُشّها مُسْترةْ"!

منه هذا في الشوقيات.

تفْدي الرؤُو| سُ رأْسكَ الْ| عظِيما| فقِف أُشا| هِدْ حُسْنكَ الْ| وسِيما

أين نضع الخط من آخر البيت؟

- وسِيما
- هنا؟ ها، متأكدون؟ وكذلك...
- للّهِ ما أظْرفَ هذا القدّا وألْطفَ العظْمَ وأبْهى الجِلْدا

أين نضع الخط؟

- الجِلْدا
- للّهِ ما| أظْرفَ هـ(ا)| ـذا القدّا| وألْطفَ الْ| عظْمَ وأبْـ| ـهى الجِلْدا

هنا؟ متأكدون؟ أما أنا فأرى أن نفعل هذا:

للّهِ ما| أظْرفَ هـ(ا)| ـذا القدّا

وألْطفَ الْ| عظْمَ وأبْـ| ـهى الجِلْدا

وليس هذا الشعر من العمودي، بل من المُشَطَّر المزدوِج، المبنيّ على هندسة الشطرين، يُسمى هذا النوع من المشطر "المزدوِج"، كألفية ابن مالك:

"كَلَامُنَا لَفْظٌ مُفِيدٌ كَاسْتَقِمْ
وَاسْمٌ وَفِعْلٌ ثُمَّ حَرْفٌ الْكَلِمْ
بِتَا فَعَلْتَ وَأَتَتْ وَيَا افْعَلِي
وَنُونِ أَقْبِلَنَّ فِعْلٌ يَنْجَلِي"!

لا أجعل في كل سطر إلا شطرا، ما هذا الشعر؟ عمودي؟ لا، ليس بعمودي، لكن الذي عَثَرَتْ عليه مناهلُ عمودي:

"يَا طَلَلَ الْحَيّ بِذَاتِ الصَّمَدْ
بِاللّٰهِ خَبِّرْ كَيْفَ كُنْتَ بَعْدِي
صَدَّتْ بِخَدّ وَجَلَتْ عَنْ خَدِّ
ثُمَّ انْثَنَتْ كَالنَّفَسِ الْمُرْتَدّ"!

ولا أجعل في كل سطر إلا بيتا، والبيت من هذه الأربعة مشطور (يتكون من شطر واحد)، لا مُشَطَّر، فأما من تلك (ألفية ابن مالك مثلا) فمشطَّر (يتكون من أكثر من شطر)، لا مَشطورا! وفي الاختبار تحلل ما أمامك، فإذا فعلت أخذت الدرجة كاملة، لكن من انتبه إلى رسم البيت بما يستحق كان أفضل في تقدير الممتازين! طيب، ها، أين نضع الخط من آخر البيت التالي؟

- يَعْرِفُ.
- طيب، ها!
- يُوَصَفُ.
- الكلام أكبر من الصفحة؛ نحتاج إلى تصغير الخط، انتبهوا إلى الخط، انتبهوا إلى الصفحة، لابُدّ من أن تستوعبك الصفحة، وإلا وقعت في ورطة، كما وقعت أنا الآن، فصغرت الخط! لكن كيف تصغر أنت خطك؟ مشكلة، ها!
- بِأَيْدِينَا.
- بِأَيْدِينَا! والتالي؟

- وَيَفْدِينَا.
- "وَيَفْدِينَا"، هذا، ها؟ يبدو أنكم تعودتم على هذا، ظننتم أن الأمور تجري هذا المجرى! طيب، فلنجرب؛ يمكن، على رأي عمر، كل شيء وارد، ها!
- اَلْيَوْمَ نَسُودُ بِوَادِينَا
وَنُعِيدُ مَحَاسِنَ مَاضِينَا
- ما هذا؟ سبحان الله! استقام، فماذا يعني؟ ها!
- وَيَشِيدُ الْعِزَّ بِأَيْدِينَا
وَطَنٌ نَفْدِيهِ وَيَفْدِينَا
- ما هذا؟ ها، ما هذا؟ تذكروا: "يَا لَيْلُ الصَّبُّ مَتَى غَدُهُ" = "اَلْيَوْمَ نَسُودُ بِوَادِينَا" = "وَنُعِيدُ مَحَاسِنَ مَاضِينَا"! ما هذا؟ المتدارك، لكن الذي نعرفه أن المتدارك مثَّمن، معنى هذا أننا شطرناه مثلًا، أن هذا مشطور! الذي يقرأ هذا لابُدّ أنه سيضطر إلى أن يقول: هذه قصيدة من المشطور -يا دكتور!- واضحة أمامك، لكن الحقيقة طبعًا أن هذا حدث من غير قصد داخل القصيدة، وأنها استقامت على الطريقة فيما بعد، ولا بأس عليكم؛ من قال هذا أو ذاك أخذ الدرجة، كل هذا وارد، من قال لي هنا هذه قصيدةٌ مشطورةٌ من المتدارك -يا دكتور!- أصاب، وأخذ الدرجة، على رغم أنها ربما لم تكن كذلك، لكن ماذا أفعل؟ أأُكلفه علم الغيب؟ هو يحكم على الذي أمامه، والذي أمامه أن الرجل قدَّم لنا هذا كله على نحو واحد وزنًا وقافية، فما الحل؟ الحل أن نخضع، لكن إذا اقترح، إذا قال: لا، نحن لم نسمع عن مشطور المتدارك هذا، لا نعرفه، لم يسبق أن عثرنا عليه، فماذا يفعل؟ يقول بعلمه؟ فيقول: لا، لابُدّ أن هذا الرجل أورد في خلال القصيدة ما يدل على أنها مثمنة الأبيات، لكن حدث فيها هذا في الداخل، وسيأخذ الدرجة كذلك. ها، ثم ماذا؟ "سَلَامٌ حَالِبَ الشَّاةِ"، ها، أين نقف؟
- البُرْدِ.
- هذه "البُرْدِ"، اعزف!
- سَلَامٌ حَا= ددن دن دن
لِبَ الشَّاةِ= ددن دن د

سَلَامٌ غَا= ددن دن دن
زِلَ الْبُرْدِ= ددن دن دن
وَمَنْ صَدَّ= ددن دن د
عَنِ الْمِلْحِ= ددن دن د
وَلَمْ يُقْبِلْ= ددن دن دن
عَلَى الشَّهْدِ= ددن دن دن

- أرأيت؟ ما الذي حدث؟ ما الذي فعلته أنت هنا؟ حاولت أولًا أن تقرأ، وبدا الكلام سهلًا أسهل من الاختبار السابق، قرأت، واطمأننت، مبدئيًّا تبني على هذا المقدار الذي حققته -مهما كان ما فيه من خطأ- لكنك لا تقصد الخطأ، فأولا صممتَ على الصواب التام، ثم جئت لتلحّن، فقلت:

تِلْكَ الثُّغُو= دن دن ددن
رُ عَلَيْـ= دددن
ـهَا وَهْيَ زِيـ= دن دن ددن
ـنَتُهَا= دددن
مَنَاهِلُ= ددن ددن
-معي، يا مناهل!-
مَنَاهِلُ= ددن ددن
عَذُبَتْ= دددن
لِلْقَوْمِ فَازْ= دن دن ددن
دَحَمُوا= دددن

ثماني تفعيلات؟ تنزل الخط، اكتمل البيت، البيت من البسيط مثمن، وهذه ثمان، انتقل!

فِي كُلِّ لُجْ= دن دن ددن
جِ حَوَا= دن ددن
لَيْهَا لَهُمْ= دن دن ددن

سُفُنٌ= دددن

وَفَوْقَ كُلْ= ددن ددن

لِ مَكَا= دددن

نَ يَابِسٍ= دن دن ددن

قَدَمُ= دددن

ثمان، بيت، تنزل يبدو إذن أنه أخوه، حظ، هذا حظكم، لكن لا تعتمدوا على هذا، فقد شَتَّتُّ الأبيات في بعض الاختبارات، شَتَّتُّها، لكن اجعلوه احتمالا واردًا من الاحتمالات!

- حسنًا!

- تمام؟ طيب -ربما- فهو احتمال من الاحتمالات، إذا حدث كان هذا حسنا جدّا، لأن البيت يساعد على البيت! طيب، ها!

- يُعَالِـ= ددن د

جُ كَفَّ= ددن د

ـكَ بؤسَ الْـ= ددن دن

ـحَيَاة= ددن د

فَكَفُّ= ددن دن

تُدَاوي= ددن دن

وَكَفٌّ= ددن دن

تُهَبُ= ×

تَهَبْ = ددن

- "تَهَبْ= ددن، فعو محذوفة".

- ويَسْتَمْـ= ددن دن

ـسِكُ الدَّ= ددن د

- وهذه "الدَّمُ"، لا "الدمّ"؛ يقول بعض العرب: الدمّ، والمعاصرون يشددونها مثلهم، يقولون: الدَّمّ، دمّه، دمّه ثقيل، دمّه خفيف، دمّه كذا، هي في الأصل دَمُهُ. جرِّب أن تثقل!

وَيَسْتَمْـ= ددن دن

ـسكُ الدَّمْ= ددن دن

مُ فِي رَا= ددن دن

استقامت -يا أخي!- استقامت، بل اكتملت سالمة؛ فهي على "الدَّمُ" بالتخفيف مقبوضة، وهي على "الدَّمُّ" بالتثقيل سالمة، تأمل!

وَيَسْتَمْـ= ددن دن

ـسكُ الدَّمْ= ددن دن

مُ فِي رَا= ددن دن

لكن "الدمّ" هذه ليست من لغتنا المشتركة طبعا، بل من المتروكات اللهجية القديمة، التي اتُّبِعت لهجيًّا فقط، كما اتُّبِع "بقَى" و"رضَى" الواردان عن تميم، وليسا في المشتركة؛ الذي في المشتركة "بقِي في مكانه"، و"رضِي بقوله"، لكن أحيانًا يعتمد عليهما الشاعر؛ فإذا اقتضاهما الوزن فلا بأس! ويمكنك هنا أن تذكر لي الاحتمالين قائلا: يا أستاذ، هي في المشتركة مخففة، "وَيَسْتَمْـ= ددن دن، فعولن، سالمة"، "ـسِكُ الدَّ= ددن د، فعول، مقبوضة"، "مُ فِي رَا= ددن دن، فعولن، سالمة"، وربما أراد الشاعر الاحتمال الآخر اللهجي، من باب تسليم التفعيلة "وَيَسْتَمْـ= ددن دن، فعولن، سالمة"، "ـسِكَ الدَّمْ= ددن دن، فعولن، سالمة"، "مُ فِي رَا= ددن دن، فعولن، سالمة". ها!

- وَيَسْتَمْـ= ددن دن

ـسكُ الدَّ= ددن د

مُ فِي رَا= ددن دن

حَتَيْكَ= ددن د

وَفَوْقَ= ددن د

ـهُمَا لَا= ددن دن

يَقَرُّ الذْ= ددن دن

ذَهَبُ= ×

- لا، ليس في المتقارب "دددن= ذهبُ"، هذا في المتدارك، أما الذي في المتقارب فـ"ذَهَبْ= ددن"، ها!

- تَفْدي الرُّؤُو= دن دن ددن

سُ رَأْسَكَ الْـ= ددن ددن

ـعَظِيمَا= ددن دن

- هذا طبعا رجز واضح.

- فَقَفْ أُشَا= ددن ددن

هدْ حُسْنَكَ الْـ= دن دن ددن

- ـوَسِيمَا= ددن دن

ها!

- لِلّهِ مَا= دن دن ددن

أَظْرَفَ هَـ(ا)= دن دددن

- ـذَا الْقَدَّا= دن دن دن، مستفعلْ، مقطوعة.

تقول: يا أستاذ لم نتعلم في الرجز "مُسْتَفْعِلْ"! لا بأس عليك، تكفيني "غ"، أي مغيرة، لتأخذ الدرجة كاملة، إن لم نكن درسناها، إن لم نكن درسنا التغيير في المحاضرة فـ"غ" كافية لتأخذ عليها الدرجة، وهذا منطقيّ معقول طبعا، لكن إذا كنا درسناها ولم نتذكرها فربما أعطيتك الدرجة وميزت عليك مَن عرَف! طيب، ها!

- وَأَلْطَفَ الْـ= ددن ددن

ـعَظْمَ وَأَبْـ= دن دددن

ـهَى الْجِلْدَا= دن دن دن، مستفعلْ، مقطوعة

- وما هذا الذي أمامنا؟ ربما قال بعضكم: هذه قصيدة أخرى -يا دكتور!- أو من قصيدة أخرى، هذان بيتان من قصيدة، وهذان من قصيدة، وارد، وارد. أتدرون ماذا سيقول عندئذ؟ تأملوا التفكير! سيقول: هذان بيتان من قصيدة من مشطور الرجز، وهذان بيتان من قصيدة أخرى من مشطور الرجز. لكن لو أضاف هذه إلى هذه، فماذا سيقول؟ سيقول: ما هذه القصيدة بعمودية،

بل من الشعر المشطَّر الذي يعتمد على هندسة الأشطر. وهذا نوع منه اسمه المزدوج يعتمد على هندسة الأشطر شطرين شطرين، كألفية ابن مالك؛ أرأيتم؟ سبحان الله! أُعيد عليكم: نحن الآن لا نعرف ما أمامنا، لا مستند لدينا، ليس لدينا الديوان، ولم نر كيف مضى الشاعر في سائر أبيات قصيدته، ليس أمامنا غير هذا، فماذا نفعل؟ ربما رأينا أن هذا المقدار من قصيدة وهذا من قصيدة، طيب! يصعب علينا أن نحكم من خلال بيت واحد على القصيدة؛ لهذا أقول لكم: لابُدّ من بناء بطاقة التخريج العروضي على بيتين أو أكثر، كما اتفقنا، أرأيتم؟ طيب! تخيل أن هذا بيت واحد؛ كيف نخرِّج به وحده القصيدة في علم العروض؟ لا أعرف! لكن إذا قلنا: هذان بيتان من المشطور عرفنا، فقلنا مثلًا: هذه القصيدة رجزية الأبيات (أرجوزة)، مشطورة -أو رجزية الأبيات المشطورة -"عَظِيمَا= ددن دن، متفعلْ"، "وَسِيمَا= ددن دن، متفعلْ"، مخبونة الضرب ومقطوعته وليس لها عروض، القصيدة مشطورة ليس لها عروض، بل ضرب فقط، والآن "ددن دن، متفعلْ" ضرب مخبون مقطوع، مخبون من الأول، مقطوع من الآخر- هذه القصيدة رجزية الأبيات بين قوسين (أرجوزة)، المشطورة، المخبونة الضرب المقطوعته. وتنتقل إلى هذا:

لِلّٰهِ مَا= دن دن ددن

أَظْرَفَ هَـ(ا)= دن دددن

ـذَا الْقَدَّا= دن دن دن، مستفعلْ، مقطوعة

وَأَلْطَفَ الْـ= ددن ددن

ـعَظْمَ وَأَبْـ= دن دددن

ـهَى الْجِلْدَا= دن دن دن، مستفعلْ، مقطوعة

فتقول: يا أستاذ، هذه القصيدة رجزية الأبيات (أرجوزة)، المشطورة، المقطوعة الضرب، فقط، بعد أن جعلت هذين من قصيدة، وذَيْنِ من قصيدة. لكن إذا عُدْنا، فجعلنا ذلك من غير العمودي -ولن يكون ذلك الشعر منّا؛ فنحن مشغولون بالعمودي فقط!- فسنقول هذه القصيدة رجزية الأبيات المشطَّرة -لا المشطورة؛ فربما بنى البيت المشطّر من شطرين منسقين، أو من ثلاثة، أو من أربعة، أو من خمسة، أو من ستة، أو من سبعة، أو من كذا، وهذا الذي بلغ أَوْجَه في

الموشحات، ينبني البيت الواحد بناء معقدًا على قسمين: دور وقُفْل، لكل منهما نظام، بناء بالغ التعقيد، أوله هذا الذي هنا، وهناك في الموشحات آخره! طيب، ها!

- يَقُولُ= ددن د

أُنَاسٌ لَوْ= ددن دن دن

وَصَفْتَ= ددن د

لَنَا الْهَوَى= ددن ددن

لَعَلَّ الْـ= ددن دن

ـذِي لَا يَعْـ= ددن دن دن

ـرِفُ الْحُبْـ= ددن دن

ـبَ يَعْرِفُ = ددن ددن

- أما هذا فسهل؛ الرابعة هنا "ددن ددن"، مقبوضة، والثامنة هنا "ددن ددن"، مقبوضة، ها!

- فَقُلْتُ= ددن د

لَقَدْ ذُقْتُ الْـ= ددن دن دن

ـهَوَى ثُمْـ= ددن دن

ـمَ ذُقْتُهُ= ددن ددن

فَوَاللَّـ(ا) = ددن دن

ـهِ مَا أَدْرِي الْـ= ددن دن دن

ـهَوَى كَيْـ= ددن دن

ـفَ يُوصَفُ= ددن ددن

- كذلك "ددن ددن، مقبوضة"، و"ددن ددن، مقبوضة"، فإذا انضاف إلى البيتِ البيتُ كما قلت لكم، جاز لك أن تخرِّج القصيدة، لكن إذا لم يكن هذا فكيف تخرج القصيدة؟ لا تستطيع! لكن سيقول بعضكم: وقعت لنا في ديوان البحث قصائد لم يبق منها غير بيت واحد، فماذا نفعل بها، يا أستاذ؟ كانت فتواي أن تُعامل البيت على أنه بقية قصيدة كاملة، كل أبياتها المفقودة مثل هذا الموجود تماما، وأن تخرجه هو وحده قياسًا على أمثاله مما درست، وكأنه قصيدة كاملة. ماذا أفعل؟

هناك شعر ذَهَبَ طبعا وبقي بعضه، كما قال أبو عمرو -ها!- "لَوْ جَاءَكُمْ وَافِرًا لَجَاءَكُمْ عِلْمٌ وَشِعْرٌ كَثِيرٌ"، ذهب، ضاع لأنه لم يكن يُكتب، كان يحفظ، فمات حُفَّاظه، فماذا نفعل؟ طيب، نعم!

- كيف نكتفي بهذا البيت الواحد؟
- يا عمر، إذا انضاف لك البيت إلى البيت، جاز لك أن تتكلم عن القصيدة، لكن إذا لم ينضَفْ في الاختبار؟ أنت غير مطالب أصلًا بتخريج قصيدته، ولكن هذا الكلام لمن يحب هذا. ستجدون عجائب في إجابات الاختبار، ستجدون من يقطع الأبيات من أولها إلى آخرها إدلالًا بنفسه، وتجدون من يخرج القصائد! طيب، كيف خرجت القصيدة؟ إذا اطمأننت إلى أن هذا البيت أخو ذاك فقد أحسنت! وإذا تكلفت -فهو ليس أخاه- فقد أسأت. تمام؟ في المسألة إذن تفصيل. طيب، ثم ماذا؟ ها!

- وَيَشِيـ= دددن

ـدُ الْعِزْ= دن دن

زَ بِأَيْـ= دددن

ـدِينَا= دن دن

وَطَنٌ= دددن

نَفْدِيـ= دن دن

ـهِ وَيَفْـ= دددن

ـدِينَا= دن دن

اَلْيَوْ= دن دن

مَ نَسُو= دددن

دُ بِوَا= دددن

دِينَا= دن دن

وَنُعِيـ= دددن

ـدُ مَحَا= دددن

سِنَ مَا= دددن

ضِينَا= دن دن

- ما هذا؟ هو كما قلت لك، إما أن يكون من مشطور المتدارك، وعندئذ تقول: هذه قصيدة متداركية الأبيات...
- المشطرة...
- المشطرة! لا؛ المشطَّر غير المشطور، المشطر عالم آخر غير العموديّ، المشطور عمودي بُنِي على نصف البيت فقط، كما في الأراجيز المشهورة، المشطر مصطلح على نوع آخر جاء بعد العمودي، بدأ في العصر الأمويّ، قام على هندسة الأشطر من داخل الأبيات، يبني الشاعر فيه البيت على شطرين مهندسين، وينتقل إلى شطرين آخرين، وربما أكثر من الأشطر، فتجاوز الاثنين إلى الثلاثة فالأربعة فالخمسة فالستة فالسبعة، إلى أن بلغ أَوْجَه في الموشحات؛ فالموشحات من الشعر المشطر، هذا الذي بدأ في عصر بني أمية، بدأه الوليد بن يزيد حينما خطب به الجمعة، جعل الخطبة كلها من المزدوج الذي منه بيتنا هذا "تفدي الرؤوس رأسك العظيما فقف أشاهد حسنك الوسيما" -ها!- قال:

"اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ وَلِيِّ الْحَمْد
أَحْمَدُهُ فِي يسرِنَا وَالْجَهْد
هُوَ الَّذِي فِي الْكَرْبِ أَسْتَعِينُ
وَهْوَ الَّذِي لَيْسَ لَهُ قَرِينُ"!

أرأيت؟ هذه خطبة الجمعة، خطبة أمير المؤمنين الوليد بن يزيد الشاعر، الذي حكم بضعة عشر شهرا ثم قُتِل؛ ألا يستحق -ها!- بعد هذه الخطبة! فقد غيَّر النظام، بَلْبَلَ الناس، دمرهم تدميرا! أما هذا فشيء آخر، أنت حر، ستقول لم نعرف القَسم على قسمين في المتدارك، فلهذا -يا أستاذ- جعلتُهما بيتين، وهذه قصيدة متداركية الأبيات، الوافية، المقطوعة العروض والضرب ("دن دن"، "دن دن")، وجرت على هذا -تخيل أنها ستجري على هذا! وإذا أردت غير هذا واخترعت -ولا حرج على الشعراء من أن يخترعوا- قلت: هذه القصيدة متداركية الأبيات، المشطورة، المقطوعة الضرب، وليس لها عروض. طيب، وأخيرًا!

- سَلَامُ حَا= ددن دن دن
لِبَ الشَّاةِ= ددن دن د

سَلَامٌ غَا= ددن دن دن

زِلَ الْبُرْدِ= ددن دن دن

وَمَنْ صَدَّ= ددن دن د

عَنِ الْمِلْحِ= ددن دن د

وَلَمْ يُقْبِلْ= ددن دن دن

عَلَى الشَّهْدِ= ددن دن دن

- ما هذا؟ هذا الهزج معروف، ولابد في آخر البيت من "ددن دن دن، مفاعيلن، سالمة"، لأن حركة رويّ القصيدة مشبعةٌ حتمًا في موضع الوقف من آخر بيت. ولعلك انتبهت الآن إلى أن هذا أخو هذا، ومن ثم يجوز لك أن تتكلم -إذا شئت!- عن القصيدة، لكنني يكفيني التقطيع والتوقيع والتفعيل والتوصيف، لا أريد تسمية بحر ولا تخريج قصائد ولا أي شيء، لكنني أعرف أن بعضكم من أهل العلم، يريد أن يميز نفسه؛ فهو يتزيد، فإذا تزيد عومل بما زاد!
- يا دكتور، ثانية واحدة!
- نعم!
- "سَلَامٌ حَالِبَ الشَّاةِ سَلَامٌ غَازِلَ الْبُرْدِ"، بيت واحد؟
- طبعا، هذا بيت واضح، وهذا "وَمَنْ صَدَّ عَنِ الْمِلْحِ وَلَمْ يُقْبِلْ عَلَى الشَّهْدِ"، بيت، لكن لا تستطيع أن تفعل هنا ما فعلته بـ"وَطَنٌ نَفْدِيهِ وَيَفْدِينَا" -ها!- فأنت هنا (وَطَنٌ...) وجدت هذه العجيبة، لكن أين هي هنا (سَلَامٌ...)؟ مستحيل، هذا غير موجود أصلًا، فأنت حتما لا حيلة لك إلا أن تعاملهما على أنهما بيتان: "سَلَامٌ حَالِبَ الشَّاةِ سَلَامٌ غَازِلَ الْبُرْدِ" بيت، و"وَمَنْ صَدَّ عَنِ الْمِلْحِ وَلَمْ يُقْبِلْ عَلَى الشَّهْدِ (العسل)" بيت، والكلام متناسق جميل. هل من سؤال؟ سيكون الاختبار على هذا النحو، وستفعلون به ما علمتكم تمامًا. **بارك الله فيكم، وشكر لكم، وأحسن إليكم، والسلام عليكم!**

الْمُنَادَمَةُ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ(١)

- **سلام عليكم!**
- وعليكم السلام!
- طبتم مساءً -يا أبنائي!- وطاب مسعاكم إلينا! بسم الله -سبحانه، وتعالى!- وبحمده، وصلاة على رسوله وسلامًا ورضوانًا على صحابته وتابعيهم حتى نلقاهم! كيف حالكم؟ كيف أمسيتم؟ بارك الله فيكم، وشكر لكم، وأحسن إليكم، ويسر لنا ولكم كل عسير، وسهّل كل صعب! **هذه ملفاتكم قد قرأتها، وعلقت عليها، ووقفت على بعض الأخطاء التي تقعون فيها، فنبهتكم عليها.** من أشهر الأخطاء: صعوبة حصولكم على قصيدة للرجز واستبدالكم منها ما لا ينتمي إليها. وتعثركم أحيانا فيما تضيفونه من قصائد مماثلة، مما أدى بكم إلى إضافة بعض ما لا ينتمي الى العمودي أصلًا! أحيانًا تعتمدون على بعض الحر، هل يعقل هذا، أن تستشهدوا للعمودي بالحر! هذه صعبة. وأحيانًا تستشهدون بالشعر المشطر الذي يصل إلى الموشح أحيانًا، ولاسيما أنكم في هذه الأيام مثلًا تدرسون الأدب الأندلسي، فبعضكم يمثل بأمثلة من الموشحات، وهذا لا يجوز، فقد درسنا العمودي ولم ندرس الموشح، وإلا لوجب علي أن أقول كلامًا آخر غير الذي قلت، لكن ما درستموه علينا في هذا المستوى يساعدكم على نقد الشعر الموشح -لا ننكر- لأننا ندعي أن أكثر الموشحات فيه روح العمودي، الروح العروضية أقصد، فيه روح العمودي العروضية، إضافة إلى الإبداعات التي استدعاها تطور الموسيقي والغناء في الأندلس إلى نوع النوبة وما يقتضيه من أداء جماعي شديد التعقيد. وأحيانًا كنتم تعجزون عن ضبط النصوص. من الملحوظ طبعًا أن ملفات الفتيات متأنقة بالقياس إلى ملفات الفتيان الشاردة هكذا، يندر أن تجد في الشباب من يتأنق تأنق الفتيات، يندر، وإذا ما

---

(١) رابط هذه المنادمة في قناتي اليوتيوبية:
https://www.youtube.com/watch?v=I٩syv_LCjbQ&list=PL٠_bvBmuM٥ySq٦hXNd٤GWcNFIUaI٤uqCM&index=١٢

وقد فرغتها صباح سعد، وراجعتها لها ندى صلاح.

وجدت هذا راجعته أكثر من مرة: معقول! وجدت طالبًا اسمه صلاح، نعم؟ من صلاح هذا؟ أعندنا صلاح في مجموعة أخرى؟

- صلاح صالح.
- وجدته إلى حد ما يتأنق، فشككت في الموضوع! وجدته يتأنق مثلًا ويرتب وينظم ويحرص! أما التأنق الكامل فمعروف في الفتيات طبعًا، لكن في الداخل فروق: فمن الفتيات من تثبت كل شيء حتى النفَس، وقد كتبت في هذا الأمر مقالًا ليتكم قرأتموه، بناءً على ما قرأته في ملفاتكم كتبت مقالًا، ونشرته على موقعي، وأشرت إليه في تويتر، ونشرته على الفيسبوك، ولاقى قبولًا عند الناس، ذكرت فيه ما وجدت في بعض ملفاتكم. **هذا هو الاختبار:**

دخلت العريش على نعجتيك فسبحان ربك ما أعظمه قعدت فلما كرهت القعود نفرت حثيثا إلى الملحمة لقد كان فيما قال أربد زاجر عن الشر لو يخشى امرؤ السوء زاجرا رأى آية تغتال همة نفسه وتذهل منه اللب لو كان ناظرا الظافرون بنو الإسلام لا فزعا يرى العدى في الوغى منهم ولا خورا هم الألى يلبسون الحرب زينتها إذا تعرت وولى الذادة الدبرا نعيم يروق وظل يشوق وعيش يسرك أن تغنمه فذكرك الله حر الجهاد وألهم قلبك ما ألهمه أبا بكر اخترت أبقى الثراء وجنبت نفسك بلبالها تمنيتها نعمة سمحة فألبسك الله سربالها

خَرِّجْ خَمْسَةَ أَبْيَاتٍ مِمَّا أَمَامَكَ، فِي عِلْمِ الْعَرُوضِ، تَقْطِيعًا، وَتَوْقِيعًا، وَتَفْعِيلًا، وَتَوْصِيفًا!

- هذا اختباركم، أليس كذلك؟ من يمكن أن يجرب القراءة الآن؟ من يحاول؟ من؟ من؟ ها! مسعد -يا تنور، يا مجمع الزينات- اقرأ!
- أقرأ أم أخرّج؟
- بل اقرأ -علمتكم أولًا أن تفكوا عقد اللغة، أولًا نفك الخط، بعد هذا نعود إلى التغني، بعد هذا نفصل الفصول، بعد هذا نختار ما نريد، بعد هذا نحلله تحليلًا كاملًا مربعًا تقطيعًا وتوقيعًا وتفعيلًا وتوصيفًا. أعيد عليكم: ماذا نفعل؟ نفك اللغة، نفك عقد اللغة، نحل عقد اللغة، حللناها، نعود لنتغنى، فرغنا، بناءً على التغني نفصل الفواصل، نختار ما نريد، نحن مطالبون بخمسة، نختار الخمسة، نخرجها للخارج، نضعها في المواضع، نحللها عروضيًّا (تقطيعًا وتوقيعًا وتفعيلًا وتوصيفًا)، بعد هذا

من أراد أن يضيف فليضف، لكن هذا أساس العمل. وقد حاول كثير منكم أن يضيف، فمنكم من وفق، ومنكم من أخفق. ها، تفضل!

- دخلت العريش على نعجتيك فسبحان ربك ما أعظمه
- "ما أعظمه"؟ ها، أكمل!
- قعدت فلما كرهت القعود نفرت حثيثا إلى الملحمة
- هذا الأداء الذي أديته، يبدو أنه لم ينتبه! على أية حال سنحاول، سننقح، سنعود إلى هذا بالتنقيح، أكمل!
- لقد كان فيما قال أربد زاجر عن الشر لو يخشى امرؤ السوء زاجرا

رأى آية تغتال همة نفسه وتذهل منه اللب لو كان ناظرا
الظافرون بنو الإسلام لا فزعا يرى العدى في الوغى منهم
ولا خورا هم الآل يلبسون الحرب زينتها إذا تعرت وولى الذادة الدبرا
نعيم يروق وظل يشوق وعيش يسرك أن تغنمه
فذكرك الله حر الجهاد وألهم قلبك ما ألهمه أبا بكر
اخترت أبقى الثراء وجنبت نفسك بلبالها
تمنيتها نعمة سمحة فألبسك الله سربالها

- ها، من يضيف من الفتيات؟ ها، من الفتيات، أصيلة، تفضلي!
- دخلت العريش على نعجتيك فسبحان ربك ما أعظمه

قعدت فلما كرهت القعود نفرت حثيثا إلى الملحمة
لقد كان فيما قال أربد زاجرا عن الشر لو يخشى امرؤ السوء زاجرا
رأى آية تغتال همة نفسه وتذهل منه اللب لو كان ناظرا
الظافرون بنو الإسلام لا فزعا يرى العدى في الوغى منهم ولا خورا
هم الألى يلبسون الحرب زينتها إذا تعرت وولى الذادة الدبرا
نعيم يروق وظل يشوق وعيش يسرك أن تغنمه
فذكرك الله حر الجهاد وألهم قلبك ما ألهمه

أَبَا بَكْرٍ اخْتَرْتَ أَبْقَى الثَّرَاءْ وَجَنَّبْتَ نَفْسَكَ بِلْبَالَهَا
تَمَنَّيْتُهَا نِعْمَةً سَمْحَةً فَأَلْبَسَكَ اللهُ سِرْبَالَهَا

- رأيت لميس تشير إلى بعض الأشياء كأنها تريد أن تقرأ، اقرئي!

- دَخَلْتَ العَرِيشَ عَلَى نَعْجَتَيْكْ فَسُبْحَانَ رَبّكَ مَا أَعْظَمَهْ
قَعَدْتُ فَلَمَّا كَرِهْتُ الْقُعُودْ نَفَرْتَ حَثِيثًا إِلَى الْمَلْحَمَةْ
لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَالَ أَرْبَدُ زَاجِرًا عَنِ الشَّرِّ لَوْ يَخْشَى امْرُؤُ السُّوءِ زَاجِرًا
رَأَى آيَةً تَغْتَالُ هِمَّةَ نَفْسِهِ وَتُذْهِلُ مِنْهُ اللُّبَّ لَوْ كَانَ نَاظِرًا
الظَّافِرُونَ بَنُو الْإِسْلَامِ لَا فَزَعًا يُرَى الْعِدَى فِي الْوُغَى مِنْهُمْ وَلَا خَوَرًا
هُمُ الْأُلَى يَلْبِسُونَ الْحَرْبَ زِينَتَهَا إِذَا تَعَرَّتْ وَوَلَّى الذَّادَةُ الدُّبُرَا
نَعِيمٌ يَرُوقُ وَظِلٌّ يَشُوقُ وَعَيْشٌ يَسُرُّكَ أَنْ تَغْنَمَهْ
فَذَكَّرَكَ اللهُ حَرَّ الْجِهَادْ وَأَلْهَمَ قَلْبَكَ مَا أَلْهَمَهْ
أَبَا بَكْرٍ اخْتَرْتَ أَبْقَى الثُّرَاءْ وَجَنَّبْتَ نَفْسَكَ بِلْبَالَهَا
تَمَنَّيْتُهَا نِعْمَةً سَمْحَةً فَأَلْبَسَكَ اللهُ سِرْبَالَهَا

- طيب! قرأنا الآن، اجتهدنا أن نضبط -طيب!- الآن سنحاول أن نتغنى ونستعين بالتغني على إكمال ما نقص -تمام؟- على إكمال ما نقص كما تدربنا قبل الاختبار تمامًا. إذا بدأنا بهذه الكلمة فأين ينبغي أن نقطع وننزل؟

- بعد "أعظمه".

- أكيد، أكيد؟

- نعم.

- وإذا بدأنا بهذا، فأين؟

- بعد "الملحمة".

- أكيد، أكيد؟

- نعم.

- ... ها!

- بعد " زاجرا".
- أكيد، أكيد؟
- نعم.
- ... ها!
- بعد "ناظرا".
- أكيد، أكيد؟ جميلة هذه اللعبة ممتعة، وهي على الجهاز أمتع منها على الورق، ها؟
- بعد "خورا".
- أكيد، أكيد؟
- نعم.
- ... ها!
- بعد "الدبرا".
- أكيد، أكيد؟
- نعم.
- ... ها!
- بعد "تغنمه".
- أكيد، أكيد؟
- نعم.
- ... ها!
- بعد "ألهمه".
- أكيد، أكيد؟
- نعم.
- ... ها!
- بعد "بلبالها".
- أكيد، أكيد؟

- نعم.
- ... ها!
- بعد "سرباِلها".
- ما شاء الله! لا تجتمع الأمة على ضلالة! قلت هذا الكلام أمس لأحد زملائي -وهو أستاذ تاريخ، بروفيسور- فقال: لا، الآن تجتمع على ضلالة! إي والله -هههه!- ولا حول ولا قوة إلا بالله! طيب! قد قرأنا، وبناءً عليه إذن فككنا الخط أولًا، ثم تَغَنَّينا، لم نتغن بعد لكن يبدو أنكم وفَّرتم عليّ دقيقة من التغني من أجل إنزال الخطوات، لكن سنتغنى الآن تغنياً حقيقيًّا، حتى هذا الفصل يحتاج أصلا إلى تغنٍّ. وفَّرتم عليّ أن أجلس هكذا، ولكن لا أستطيع أن أهرب من التغني، هذا أصل الكلام هنا، ها؟ كيف أقرأ؟ "دخلت"، قال بعضكم: دخلتُ، وقال بعضكم: دخلتَ، وقال بعضكم: دخلتِ -هههه!- قدمتم -ما شاء الله!- كل الاحتمالات! دعوها الآن! "العَرِيش"، هذه لا شيء فيها -وهو نَوعٌ من البيوت- "نعجتَيْ"، منكم من قال: ـكَ، ومنكم من قال: ـكِ -طيب!- هل يجوز أن يقول: "دخلتُ"، وهو يقول: "نعجتَيْكَ"؟
- لا.
- فإذن بطل احتمال، مستحيل، مستحيل أن يقول: دخلتُ! أو كيف نقول: دخلتُ على نعجتيكَ، لا، بل ما زال واردًا، انتظروا قليلًا! "فسبْحَانَ ربِّكَ، ربِّكِ" -دعوها الآن!- "ما أعظمهُ"!
- أعظَمَهْ
- قرأ مسعد -يا تنور، يا مجمع الزينات!- ما أعظمهُ! والآن يستحيل -ها!- بعد أن اتضحت الأمور يستحيل، لأن "أعظمهُ" هذه تخرجُ من أقطار السماوات والأرض، تخرج من الحدود، تتجاوز بنا الحدود، ولاسيما أنه سيقول بعد قليل -ها!-: قعدْتَ قعدْتُ قعدْتِ -لَا، لُو، لِي!- أخروها قليلًا! "فلما كرهتَ"، "كرهتُ"، "كرهتِ القعودَ"، "نفرتَ، نفرتُ، نفرتِ" -تذكرون المُلْحَة طبعا "هل أخاك أخوك أخيك موجود؟ لا، لو، لي "!- "نفرت حثيثًا إلى المَلْحَمَةِ"!
- إلى الملحمةْ.
- الآن تبين لنا أن هذا البيت أخو ذاك وتكملته. لم يكن شرطا أن يكون أخاه وتكملته، ولكن حدث، ولله الحمد والشكر، نرفض النعمة! هذه نعمة جاءتنا على طرف الثُّمام كما يقولون في الكلام

القديم، أي سهلة، غنيمة باردة، يسمونها الغنيمة الباردة، أي التي تُغنَم من غير حرب -ههه!- هذه إذن غنيمة غنمناها من غير حرب، أن هذا البيت أخو ذاك، يدل عليه. طيب! "قعدتَ فلما كرهتَ"، "قعدْتُ فلما كرهتُ القعودَ نفرت حثيثًا"، لابُدّ أن تجري مجرًى واحدًا، أما أن تناقض بالبيت البيت، فهذا غير مقبول، ها! الكلام فيه لوم؛ فالرجل يلوم غيره، يقول: "دخلت العريش على نعجتيك -أي على زوجتيك- فسبحان ربك" -وهذا من الكلام القديم، ها! "لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ" -صدق الله العظيم!- طريقتهم في الكلام القديم، أمر وارد. "دخلت"، "قعدت"، "دخلت" -ما شاء الله!- كنت متزوجا من زوجتين، فدخلت، فلما قعدت فكرهت القعود، نفرت حثيثًا الى الملحمة، كلامكم إذن صحيح "الملحمةْ"، وقد اتفقنا على وضع النقطتين مع نطقها على رغم ذلك هاءً، حفاظًا على طريقة الكتابة العامة؛ فالكتابة عُرف، ومن المصلحة أن نحافظ على الأعراف، لا أن نُشَوّه الكتابة من أجل طروء شيء. طيب! وهذان البيتان في غزوة تبوك، وكل شعر هذه الدفعة جئت به من شعر شاعر واحد، إلا اختبار طلاب الموسيقى -فهو محتاج طبعا إلي شيء آخرا- كل هذا الشعر كما قلت لكم في المحاضرة، من شعر شاعر واحد، هو "أحمد محرم" في ديوان "مجد الإسلام". وضع محرم ديوانا من خمسة آلاف وخمسمئة بيت في سيرة رسول الله -صلى الله عليه، وسلم!- وأصحابه -عليهم رضوان الله!- اسمه "مجد الإسلام"، دعاه إليه أحد أنصار فكرة الدعوة الإسلامية، وكان قد ذهب إلى أحمد شوقي، وعرض عليه الفكرة، فلم يجد منه نشاطا، ثم ذهب الى أحمد محرم؛ فنشط للفكرة، وقدم ديوانًا ضخمًا في خمسة آلاف بيت وخمسمئة، في سيرة رسول الله -صلى الله عليه، وسلم!- وغزواته فقط. طيب! ماذا فعلتم إذن؟ حاولتم أن تقرؤوا قراءة أوليّة، بعد هذا حاولتم أن تتغنوا تغنيا يساعدكم على فصل الفواصل، بعد هذا دخلتم إلى الاقتحام أكثر فأكثر فنقّحتم أكثر. "دخلتَ..."، على أي أساس قلتم هذا؟ يبدو أنكم انتبهتم الى العروض. ها، من انتبه؟ فيصل، ها، خرّجْ في العروض، واعزف على الخشب!

- دَخَلْتَ الـ= ددن دن

  ـعَرِيشَ= ددن د

  عَلَى نَعْـ= ددن دن

ـجَتَيْكَ= ددن د

فَسُبْحَا= ددن دن

نَ رَبِّـ= ددن د

ـكَ مَا أعْـ= ددن دن

ـظَمَهْ= ددن

- اللهُ اللهُ اللهُ! منكم طبعا من استعمل الخطوط التي من أعلى إلى أسفل كما أفعل على السبورة، ومنكم من حاول أن يتشبه بالملف فاستعمل فواصل البياض الواضح -ها!- ومنكم من فصل بفواصل كالتي سأفعلها الآن، وكأنه على الجهاز خارج الجداول. أنا الآن مضطر أنا أفعل هذا، لكن أفضل طريقة ما فعلتم أنتم بخط من أعلى إلى أسفل، لأن هذا سيضطرك كما ترى إلى خط بعد خط بعد خط! يا أخي، خط واحد من أعلى إلى أسفل أسهل! وسأضع في الأماكن الأشياء. اجتهد أن تكتب بطريقة مرتاحة، لكيلا تضيّق على نفسك! "على نَعْـ| جَتَيكَ"، "فَسُبْحَا"، هنا؟ ها! أين أضع الخط من "فَسُبْحَانَ رَبِّ"، بعد الباء أم في الوسط؟
- بعد الباء.
- أحسنت، بعد الباء! "فَسُبْحَا= ددن دن، فعولن، سالمة"، " نَ رَبِّـ= ددن د، فعول، مقبوضة"، "ـكَ مَا أعْـ= ددن دن، فعولن، سالمة"، "ـظَمَهْ= ددن، فعو، محذوفة"، وقد درسنا الحذف، فالذي كتب "غ (متغيرة)، استحق أن يعاقب، لماذا؟
- لأننا درسناه.
- لأن هذا درسناه، لكن ستأتي أشياء لم ندرسها، فيكتب "غ"، فيأخذ الدرجة كاملة طبعا، الحلال بيّن والحرام بيّن، أما المشتبهات في هذه فنحملها على ما ينفعكم ولا يضركم.
- يا دكتور!
- نعم.
- هل نجحنا بأن نكتب "غ"؟
- طبعًا.
- لكن ما درسناه غير هذا؟

- لا، قلت: إذا لم تكن متأكدًا!
- دكتور أنت قلت: أنا في ميزان مفارقات بين...
- قلت لك: إذا لم تكن متأكدًا! لا، لا، يبدو أنك تسرعت قليلا، يا عمر! عندنا أشياء لا نعرفها - لحظة، لحظة!- عندنا تغييرات لا نعرفها فكيف نفتي فيها! هذا ممنوع. عندنا أشياء درسناها لكن نسيتَها -يا أخي- لا نتقنها، لا نتذكرها تمامًا، فمن الحكمة إذن أن تكتبها "غ"، لا أن تدَّعي شيئا لا تعرفه! لكن هناك شخص أفضل منك تذكر وكتب بالنص، هذا في الأشياء التي درسناها ينبغي أن يعتبر، لابُدّ. طيب! "قَعَدْتَ فَلَمَّا.." -ها!- عزفت هذا؟ أعد، وأكمل!
- قَعَدْتَ= ددن د

فَلَمَّا= ددن دن

كَرِهْتَ الْـ= ددن دن

ـقُعُودَ= ددن د

نَفَرْتَ= ددن د

حَثِيثًا= ددن دن

إِلَى الْمَدْ= ددن دن

ـحَمَةْ= ددن

- وهذا الإيقاع ساعدنا على أن نقول: "حَمَةْ"، وأن نعود لنثقف ما سبق: ...

قَعَدْتَ= ددن د، فعول، مقبوضة

فَلَمَّا= ددن دن، فعولن، سالمة

كَرِهْتَ الْـ= ددن دن، فعولن، سالمة

ـقُعُودَ= ددن د، فعول، مقبوضة

نَفَرْتَ= ددن د، فعول، مقبوضة

حَثِيثًا= ددن دن، فعولن، سالمة

إِلَى الْمَدْ= ددن دن، فعولن، سالمة

ـحَمَةْ= ددن، فعو، محذوفة

- دكتورا!
- نعم، هل أخطأتُ في شيء؟ انتبهوا فأنا أخطئ!
- هل التشكيل مطلوب؟
- كلام جميل! انتبهوا! الخطوات الأربع هي المطلوبة: لخطوة التقطيع هذه درجتان، وللدندنة بعدها درجة، ثم للتفعيلات درجة، ثم للتوصيفات درجة. التشكيل تمييز للأفاضل، لأفاضل الناس، لأني أعطيت الدرجة الكاملة لمن لم يشكل -لكنه أَحْسَنَ- فأنا أحمل عمله على حسن الظن، أقول: لم يجد وقتًا، هو -ما شاء الله!- عالم، لكن لم يجد وقتًا لعرض علمه. لكن في تمييز الأوائل لا، في تمييز الأوائل لا أُدْخِل إلى المعمعة إلا من شكّل وأتقن وتجاوز إلى الحدود. منذ قليل كنا في مجموعة حصلت فيها هِبَة على خمس وعشرين، وحصلت مَوَدَّة على خمس وعشرين. لم تشكل هبة أي حرف -ما شاء الله!- هربت، وأنا قلت هذا صراحةً: هربت من الساحة! أما مَوَدَّة -ما شاء الله، سبحان الخالق!- فهذه شاعرة أصلًا متميزة، تعرفون مودة، أستاذة، لم تتقن فقط، لا، بل كتبت بخط واضح وألوان مختلفة، منتهى الجمال والنظام، فوقفنا لها مقدرين -ها!- مقدرين، وحصلت على المرتبة الأولى، وأَخَذَت الجائزة. ثم قلت لها: انتظري فهناك جائزة على وجه العموم، عندنا إذن جائزة لكل شعبة، ثم عندنا جائزة للأول على الشُّعب كلها، سيأخذ جائزته الأصلية وجائزة إضافية، لأنه أفضل الأفاضل! مودة -ما شاء الله، سبحان الخالق!- هذا هو الإتقان. ههه! كنت أزيد الطلاب: تفضلوا، ما رأيكم؟ انظروا إلى هذه وإلى هذه، لا يتكلمون، انتهت، واضح، كلام واضح، ها! "هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ"، ها!
- لا يستوون.
- طيب، ها، عمر، أكمل من هنا، وعلى أساس كلامك سنشكل ونقطع ونفعل كل شيء، ها! أو فلنشكل كما قلتم أولًا: لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَالَ...، هذه مشكلة، عندكم مشكلتان في هذه الكلمة "أربد"، وهذه الكلمة "زاجر"، لكنكم -ما شاء الله!- أبدعتم في هذه "زاجر"، أيما إبداع، هي أمامكم هكذا "زاجر"، فكتبتم لها ألفًا! أكثركم فعل هذا، حتى الممتازون، طيب، لماذا، إن شاء الله؟ أتدرون لماذا؟ لقد حمل كتابتي على الخطأ! كيف تنصبها؟ على أي أساس؟ أنها خبر كان؟ طيب، أين اسم كان؟ شبه الجملة "فيما قال"؟

- لا.

- هل يقع شبه الجملة اسمًا لكان؟ لا وجه إذن لتخطيء الأستاذ. الخطأ وارد، وليس هناك معصوم، وقد نبهتك، أنا جرأتك على تخطيء الأساتذة، وما زلت أجرئك، كنتُ أنا أخطئ الأساتذة في المحاضرات -إي والله!- حتى أكبر الأساتذة، كنت أقول له: خطأ، هذا خطأ، ومنهم حَبْر جَلِيل، رأس مدرسة نقدية، وقفت له، وقلت: لا، بل خطأ، هذا غير صحيح، هذا كذا، وعلى الملأ، وكنا في المدرج مئات من الطلاب، والطلاب يتعجبون: من هذا الذي يخطِّئ الأستاذ على الملأ؟ لكن الأستاذ كان أستاذا كبيرا عظيما، عرف هذا، وشجع الطالب، لم يفهم الطالبَ خطأً على رغم أنني كنت شديدًا عليه، لم أكن حسن الأداء، كنت غليظًا، أقرب إلى سوء الأدب، لكنه كان رجلًا فاضلًا، هذه علامات الكبار -يا جماعة!- هذا جبل، جبل! ماذا يضيره من الحصى حوله، ماذا يضيرهُ! أما الحصى فهو الذي يغضب من الحصى، الحصى هو الذي يغضب من الحصى، أما الجبل فكما قال المبرد -وكان إذا جاءه شخص ليسلم عليه سلم عليه جالسًا ولم يقم من مكانه، وقال له على مسمع الحضور: "ثَهْلَانُ ذُو الْهَضَبَاتِ لَا يَتَحَلْحَلُ"، أو كما يقول مغني اليمن المعاصر أبو أصيل -ها!-: يَا جَبَلْ مَا يهِزَّكْ رِيحْ -هههه!- فعلى هذا تربينا، وقد جرأتك على تخطيء الأستاذ، لكن على أساس، قلت لك: فكر ألف مرة قبل تخطيء الأستاذ، ولكنكم -ما شاء الله!- جعلتموه الاقتراح الأول، أنه أخطأ، أخطأتم، "زاجر" اسم كان: لقد كان في قوله زاجرٌ له، فلم يزدجر -ثم "أربد" هذا شخص- "لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَالَ أَرْبَدُ زَاجِرٌ" -لَكِنْ أين العاقل الذي يزدجر؟- "عَنِ الشَّرِ لَوْ" -ماذا نقول "يُخشى"؟- معقول! "يَخشى" -"يُخشى" مستحيلة- لو يَخشى امرؤ السوء -ها!- زاجرا، كتبها كثير منكم هكذا "زَاجِرًا"، خطأ تنقص بها الدرجة، لأنه يخالف ما علمتكم في علم العروض، خطأ صريح في العروض، لا في التشكيل الذي قلت لكم فيه: يمكن ألا تشكلوا، لا، هذا خطأ صريح في العروض، لأن البيت لا ينون على هذا الشكل، يُؤَدَّى بالإشباع هكذا "زاجرا":

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ(ي) بِسِقْطِ اللِّوَي بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ(ي)

لم يقل: فحوملٍ، ولا كذا -ها!- فعلى هذا بُنِيَ، وعلى هذا يُبنى الشعر، فيأتي فلان ليقول: زاجرًا، وكأننا في نثر، خطأ! نأتي إلى "امرِؤ السوء"، فمن أخطائكم كسر الراء من هذه الكلمة المرفوعة -ها!- ولو كانت مكسورة لوجب أن تكتب علي ياء، ثم هذه الكلمة معروفة في العربية بأنها تُعرَب

من مكانين! هذه الكلمة لغز، إذا سئلت: ما الكلمة التي تعرب من مكانين فقل: امرؤ، فإنها إذا كانت مرفوعة قلت "امرُؤٌ" -فكأنها مرفوعة بضمة على الهمزة وضمة على الراء!- وإذا كانت منصوبة قلت: "امرَأً" -فكأنها منصوبة بفتحتينَ- وإذا كانت مجرورة قلت: "امرِئٍ" -فكأنها مجرورة بكسرتين!- هذا لغز نلعب به، لكن بعض المتفلسفة منكم كسروا راءها وهي مرفوعة! طيب، ها، قَطِّعْ، يا عمر!

- لَقَدْ كَا= ددن دن
- نَ فِيمَا قَا= ددن دن دن
- أحسنت، أحسنت، أكمل! الآن يحضرنا اللحن، لا حيلة إلا اللحن، لا حيلة إلا التغني؛ قالت طالبة ممتازة عاقلة: اكتشفت -لكن بعد الاختبار، بعد فوات الأوان!- أن هذا الأمر مبناه على التغني، ومع الأسف لم أفعل هذا في الاختبار! بعد الاختبار اكْتَشَفَتْ أن الأصل التغني، وأنا طوال الفصل أقول هذا! ولا بأس؛ يحتاج المرء إلى التداوي بلسعة الخطأ في الاختبار! ها، تغنّ، وحافظ على اللحن!
- لَقَدْ كَا= ددن دن

نَ فِيمَا قَا= ددن دن دن

لَ أَرْ= ×

- ها! لا، أخللت باللحن؛ "لَقَدْ كَا= ددن دن"، "نَ فِيمَا قَا= ددن دن دن"، هكذا فلْتُغنِّ!
- لَقَدْ كَا= ددن دن

نَ فِيمَا قَا= ددن دن دن

لَ أَرْبَـ= ددن د

ـدُ زَاجِرٌ= ددن ددن

عَنِ الشَّرْ= ددن دن

رِ لَوْ يَخْشَى=×

- رِ لَوْ يَخْشَى امْـ= ددن دن دن،، مفاعيلن، سالمة
- رِ لَوْ يَخْشَى= ددن دن دن

- أرأيتم! يعود إلى اللحن.

رِ لَوْ يَخْشَى امْـ= ددن دن دن

- رِ لَوْ يَخْشَى امْـ= ددن دن دن

- ـرُؤُ السُّو= ددن دن

ءِ زَاجِرَا= ددن ددن

- هذا الخط غير الخط الذي اختبرتكم فيه؛ فهو غير متاح هنا أصلا، وعدتكم أن أرسله، ولم أرسله، أظن أني وعدتكم مرة أن أرسله لكم بالبريد، فهو غير متاح هنا، فلهذا يحول جهاز المكان الخط إلى خطه، ما هذا الخط؟ إيريال، أعوذ بالله من غضب الله! أين هو من اللوتس الجميل الذي اخترعه الشباب في الأقاليم، اخترعه الشباب؛ فلهذا ترى، تأمل كسرة "الشَّرِّ"، أين هي؟ تحت الحرف، ولم نعد نشكل هذا التشكيل، بل نضعها تحت الشدة فوق الحرف، لكنه غير متاح؛ فماذا نفعل؟ نغير. طيب! فوائد كثيرة في هذه المحاضرة، فوائد محاضرة ما بعد الاختبار، فوائد ليست في المحاضرات، مستحيل أن تجدها في المحاضرات!

لَقَدْ كَا= ددن دن، فعولن، سالمة

نَ فِيمَا قَا= ددن دن دن، مفاعيلن، سالمة

لَ أَرْبَـ= ددن د، فعول، مقبوضة

ـدُ زَاجِرٍ= ددن ددن، مفاعلن، مقبوضة

عَنِ الشَّرْ= ددن دن، فعولن، سالمة

وهذه كيف نفعلها على الجهاز، إن شاء الله؟ هذه فائدة الكتابة اليدوية على الورق وعلى السبورة، لكل شيء مناقبه ومثالبه، ها! أنتم على الورقة تريحون أنفسكم، من أعلى الحرف إلى وسط الشدة، إلى الحرف الى الأسفل، كيف أفعل هذا هنا، إن شاء الله؟ لابُدّ أن أدخل إلى برنامج الرسام لأُعدّ مثل هذا الخطّ وأضعه في مكانه -ها!- وهذا إذا نقلته إلى جهاز آخر انحذف أو تحرك يميناً أو يسارًا، لأعلى أو أسفل، انظروا إلى الحل!

عَنِ الشَّرْ= ددن دن، فعولن، سالمة

رِ لَوْ يَخْشَى امْـ= ددن دن دن،، مفاعيلن، سالمة

ـرؤُ السُّو= ددن دن، فعولن، سالمة

ءِ زَاجِرَا= ددن ددن، مفاعلن، مقبوضة

هذا الحل، هذا هو الحل الوحيد، أن تفصل بينهما وتسكن الأول وتحرك الثاني، هذا أقصى ما نستطيع، ماذا نفعل؟ طيب! وهذا:

وتذهل منه اللب لو كان ناظرا

نشكل، ماذا قلتم؟ "رَأَى"، مَنْ الذي رأى؟ أربد الذي في البيت السابق، ماذا رأى؟ رأى آية تغْتَالُ، مع الأسف حتى بعض التشكيلات يدخل تحت السطر العلوي. أعوذ بالله من هذا الخط! بشع! على رغم أنه أحسن من غيره، أحسن قليلا من السمبل فايد، أحسن لكن!

رَأَى آيَةً تَغْتَالُ هِمَّةَ نَفْسِهِ

ها! وهذه "وتذهل"، كيف نشكلها؟ قال أكثركم: تَذْهَل، تُذْهَل! تُذْهِل، أي تُنْسِي وَتُحير.

وَتُذْهِلُ مِنْهُ اللُّبَّ لَوْ كَانَ نَاظِرَا

وهنا لا نقول: ناظراً، كذلك خطأ، ناظرَا. ها، أكمل، يا عمر!

- دكتور!
- نعم.
- لم نشكل التاء المربوطة في كلمة "همة"!
- لا، شكلناها، ودخل التشكيل تحت السطر العلوي، ماذا نفعل؟ انظروا كيف قال؟ ههه! طبعًا هذه أنتم في راحة منها على الورق، في نعمة، أين الفتحتان؟ تأمل هذا الكِيان الباقي، تأمل! ذهب! ها، سبحان الله! أستطيع أن أدخل لك أعالي هذا الكلام وأسافله بعضها في بعضه، قديمًا كنت أفعل حينما كنت أمينًا للقسم قبل أكثر من عشرين سنة، ماذا كنت أفعل؟ كنت حينما أصدر بيانات القسم أحاول أن أجعلها كالمخطوطات القديمة، فكيف أوحي بهذا المعنى؟ ها! كنت أظلل الكلام، وأذهب إلى مسافة ما بين الأسطر، فأجعلها نصف مسافة، أستعمل خط النسخ وأقسم المسافة؛ فيبدو الكلام كأنه مخطوطات قديمة، وهكذا كانت منشورات القسم -ههه!- كأنها مخطوطات مما قبل الإسلام، ها! هيا غنِّ هذا، يا عمر!
- رَأَى آ= ددن دن

يَةً تَغْتَا= ددن دن دن

لُ همّـ= ددن د

ـةَ نَفْسِهِ= ددن ددن

وَتُذْهِـ= ددن د

ـلُ منْهُ اللُّبْ= ددن دن دن

بَ لَوْ كَا= ددن دن

نَ نَاظِرَا= ددن ددن

- هذا عمر الذي لم يكن يعمل هذا في أول الفصل، هو الآن -ما شاء الله!- مغنٍّ محترف!

رَأَى آ= ددن دن

يَةً تَغْتَا= ددن دن دن

صحح لي؛ فأنا أخطئ!

لُ همّـ= ددن د

ها، في الوسط؟

- لا.

- لا، ـةَ نَفْسِهِ= ددن ددن، لكن أخطأت أنا بالفتحتين، لا، هي فتحة واحدة.

رَأَى آ= ددن دن

يَةً تَغْتَا= ددن دن دن

نحتاج إلى التلحين في كل خطوة، كدت أخطئ!

رَأَى آ= ددن دن

يَةً تَغْتَا= ددن دن دن

لُ همّـ= ددن د

ـةَ نَفْسِهِ= ددن ددن

وَتُذْهِـ= ددن د

- أين؟

- بعد الهاء.
- ـلُ مِنْهُ اللَّبْـ= ددن دن دن
أين -ها!- أين؟
- في وسط الباء.
- ـبَ لَوْ كَا= ددن دن
نَ نَاظِرَا= ددن ددن
اللّه، جميل، جميل! أمل، اقرئي! أمل في ورطة الآن طبعًا، أو أكثرنا في ورطة! نعرف الصواب بعد فوات الأوان، فإذا ما سألَنا الأستاذُ القراءةَ في محاضرةٍ ما بعد الاختبار، قرأنا متألّمِين، لأننا نقرأ على الصواب وقد حللنا في الاختبار على الخطأ، هذه هي الأزمة، اقرئي!
- الظَّافِرُونَ بَنُو الْإِسْلَامَ لَا فَزَعًا يرى الْعَدَى...
- ما العَدَى هذا؟
- العدَى.
- العِدَى، لا العُدَى ولا العَدَى، العِدَى، لَا فَزَعًا يَرَى الْعِدَى فِي الْوَغَى مِنْهُمْ وَلَا...
- ... خَوْرَا
- خَوْرَا! وما "خَوْرا" هذا! أعرف خور(فكّان)!
- خُور.
- ها! "خُور" هناك في "صُور"!
- خَوَرَا
- خَوَرَا، والخَوَر الضعف، بفتح الواو -ههه!- أرأيتم هي الآن في منتهى الألم تتعذب بقراءةٍ على الصواب بعد إجابةٍ على الخطأ!
- الحمد للّه!
- إن لم تتعذبي أنت فلَمِيس إذن! ها، أكملي، أكملي -يا أمل!- اقرئي هذا!
- هُمُ الْأَلَى...
- ها، ها! أخذت هذا في الاختبار؟ كيف نقرأ؟

- ... يَلْبِسُونَ الْحَرْبَ زِينَتَهَا...
- نعم، نعم، لا، من الأول، ههه!
- هُمُ الْأُلَى...
- نعم، "الْأُلَى"، هذه الأُلَى، ألم تسمعوا عن "الألى" هذه! الألى الذين؛ أما التي بالواو في رسمها فمعناها "هؤلاء". عندنا إذن "أُلى" من غير واو، و"أولى" بواو غير منطوقة، نقول: أُولَى أصحابي الألى عرفتهم، أي هؤلاء أصحابي الذين عرفتهم! و"الأُلَى" بأل، و"أولى" بغير أل، يكفي هذا في التفريق. ها، أعيدي! هم الألى...
- هُمُ الْأُلَى يَلْبِسُونَ الْحَرْبَ زِينَتَهَا إِذَا تَعَرَّتْ وَوَلَّى الذَّادَةُ الدُّبُرَا
- هذه "الذادة" غريبة -ها!- ما الذادة؟
- الحُماة.
- الحُماة؛ وهي مثل الحماة، جمع مغيّر، فالحُماة (الفُعَلَة)، جمع الحامِي (الفاعِل)، والذَّادة (الفَعَلَة)، جمع الذائد (الفاعِل)، كالكَتَبَة (الفَعَلة)، جمع الكاتب (الفاعِل)، تماما -لولا التغيير- أصلها الذَّوَدَة، تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفًا، كما أصل الحُمَاة الحُمَيَة، تحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفًا، خففهما اللسان، أما الكتبة فخفيفة من أصلها، سهلة. أحسنت! نشكل إذن:
الظَّافِرُونَ بَنُو الْإِسْلَامَ لَا فَزَعًا يَرَى الْعِدَى فِي الْوَغَى مِنْهُمْ وَلَا خَوَرَا
هُمُ الْأُلَى يَلْبِسُونَ الْحَرْبَ زِينَتَهَا إِذَا تَعَرَّتْ وَوَلَّى الذَّادَةُ الدُّبُرَا
ربما يراني بعضكم أُشكّل سريعا فيقول: يحضر عفاريت! ولا بأس! ها، ماذا نقول؟ غني -يا أمل!- بالعزف غناء عروضيًّا لا حرج فيه، إن شاء الله!
- هذه كيف أقولها؟
- ها، حاولي -نحن في محاضرة- ها! من شاء منكم وضع فتحة على أول "اَلظَّافِرُونَ"، لأنه يبدأ بها البيت على أية حال، فكيف نقول؟
- اَلظَّافِرُو= دن دن ددن
نَ بَنُو الإِسْلَا= دن دن دن دن
- والله!

- ههه!
- ها، مسعود!
- الظَّافِرُو= دن دن ددن
نَ بَنُو الْ= دددن
ـإِسْلَامَ لَا= دن دن ددن
فَزَعَا= دددن

"فزعَا"! أمسكاك -ها!- أمسكاك! لماذا قلت "فزعَا"؟ كما قالت أصلية في قراءتها، قالت: "فزعَا"! ما شاء الله! على أي أساس؟ على أي أساس أنك وقفت هنا، خطأ، وإنما الوقف في البيت على آخره، ها! أين موضع الوقف السنة عند الشعراء؟ سنة الشعراء في الوقف أن يقفوا هنا فقط، لكن أحيانًا -انتبهوا!- أحيانًا في تزيين مطالع القصائد وما أشبهها من مُنْتَقَلات المعاني، من غزل إلى رحلة، ومن رحلة إلى هجاء، ومن كذا إلى كذا، يزينون بيت الانتقال كذلك كما يزينون بيت المطلع، فيفعلون شيئا يتيح لك أن تقف على العروض نحوًا من وقوفك على الضرب، لكن أين هذا هُنا؟ هل قال: "طمعَا"، وهنا "فزعَا"، حتى تقول: "فزعَا"؟ لا، لم يقل، فإذن تقول: "فزعًا". أكمل!

- اَلظَّافِرُو= دن دن ددن
نَ بَنُو الْ= دددن
ـإِسْلَامَ لَا= دن دن ددن
فَزَعًا= دددن
يَرَى الْعِدَى= ددن ددن
فِي الْوَغَى= دن ددن
مِنْهُمْ وَلَا= دن دن ددن
خَوَرَا= دددن
- قالها في الاختبار: "خَوْرَا" -ها!- فماذا يفعل الآن؟ هو رجل صادق مع نفسه، ولا حيلة له إلا أن يخضع للصواب! جميل! ها، أكمل!

- هُمُ الْأُلَى= ددن ددن
يَلْبِسُو= دن ددن
نَ الْحَرْبَ زِيـ= دن دن ددن
ـيًـنَتَهَا= دددن
إِذَا تَعَرْ= ددن ددن
رَتْ وَوَلْ= دن ددن
لَى الذَّادَةُ الْـ= دن دن ددن
ـدُبُرَا= دددن

- ماذا قلت؟ "لَى الذَّادَةُ الْـ= دن دن ددن" -هكذا سمعتك تقول، وهذه لام شمسية!- "لَى الذَّادَةُ الْـ= دن دن ددن"، "ـدُبُرَا= دددن"، خطأ، "لَى الذَّادَةُ الدْ= دن دن ددن"، "دُبُرَا= دددن"، أعد!
- لَى الذَّادَةُ الدْ= دن دن ددن
- دُبُرَا= دددن
- هذه لام شمسية -واعجبوا!- تظهر بـ"اللَّيل"، وتختفي بـ"النَّهار"، ها! "هُمُ الْأُلَى| يَلْبِسُو| -أين؟- نَ الْحَرْبَ زِيِ| -أين؟- يًنَتَهَا| إِذَا تَعَرْ| -ها! ماذا أفعل في هذه المشكلة كالعادة، ها!- رَتْ وَوَلْ| -ها! مشكلة أخرى، ها!- لى الذَّادَةُ الدْ| -مشكلة، هذا كله مشكلات!- دُبُرَا"، ماذا أفعل! يا سلام! بعضكم كان يكتب كتابة عروضية -اسمعوا!- أتعرفونها، تلك التي مرت بكم في الثانوية؟ هي خطأ، نعم؛ الكتابة العروضية إفساد في الأرض، ثم إن الذي يستعملها لا يعرفها! هل تدرون كيف نكتب "هم الألى" مثلا؟ لو أردنا كتابتها عروضيًّا كما يدعون، وجب أن نكتبها -تأملوا!- "هُمُلْؤُلَا" ها! من يكتبها هكذا، من؟ أتحدى! هاتوا لي واحدا منذ هلهلَ الشعرَ عديٌّ إلى أن هلهله صلاحٌ، واحدًا فقط، يحسن الكتابة العروضية! لنكتب مثلًا -هيهِ!- "لى الذَّادَةُ الدْ"! كيف نكتبها؟
- لذادةُ...
- تأملوا، هكذا: "لَذْذَادَتُدْ"، من يكتبها على هذا الشكل، مَن؟ مَن؟ كأنها حُرُوزا! طيب، ما الفائدة؟ يشغلونك بالباطل وكأنهم -ما شاء الله!- من علماء الحِيَل، كأنهم من المخترعين العظماء، كل هذا

عبث وكلام فارغ، يا ضيعة الوقت الذي يبذل في هذا ولا يوصل أحدًا إلى هذا الصواب! حتى الخليلي المحقق في "مُظْهِر الخافِي"، الذي حققتُه له، لم يكن يحسن الكتابة العروضية، وكان يحاولها! طيب، لماذا ورطتَ نفسك! قلتُ هذا في مقدمة تحقيقي، ولم أتحرج: ورط نفسه في الكتابة العروضية دون داع؛ فلا هو أتقنها، ولا هو أهملها! طيب، لماذا تشغلنا بها؟ هذه مشغلة بالباطل. لقد كتب الخليلي هذا الكتاب في صغره طبعا -كان في الرابعة عشرة من عمره أو أقل- وربما لو كتبه وهو كبير لعرف، وقال: هذا باطل، هذا من شَغْل الناس بالباطل، مثلما يكتب بعض المدرسين هذه الكتابة وهو نفسه لا يعرفها، يريد أن يشعرك أنه مهم!

- ويخطئ.
- لا، لا تعرف طبعا أنه أخطأ، ولكنك تتهيب على كل حال، تجد لغة كسجع الكُهان، تجد شيئا يُكتب كسجع الكُهّان أو كلغة الأطباء، يقول لك وأنت مسكين، تستمع ولا تعرف، يقول لك الطبيب: ... وعندك كذا وكذا، فتحس أنك ستموت الآن -تقول له: يعني هَمُوتْ؟ ههه!- كلام فارغ! ولو شَخَّصَ الأطباء بالعربية لقلت لهم: تشخيصكم خطأ، أنا أعرف التشخيص! لكنهم طبعا يتخَفَّوْن خلف الكلام، أو كما قال بعض الأطباء من العظماء قال: نحن نَمْرَض بالعربية؛ فكيف نُعالَج بالإنجليزية! ينبغي أن نعلِّم الناس الطبَّ بالعربية. كلام من أطرف ما قيل في الدعوة إلى تعريب العلوم. ها، من يكمل؟ من؟ ميسون، ها!
- نَعِيمٌ يَرُوقُ وَظِلٌّ يَشُوقُ وَعَيْشٌ يَسُرُّكَ أَنْ تَغْنَمَهْ
- يا سلام، أداء جميل! لكن في الاختبار شيء آخر، ها!
- فَذَكَّرَكَ اللّٰهُ حَرَّ الْجِهَادِ وَأَلْهَمَ قَلْبَكَ مَا أَلْهَمَهْ
- تذكرون "لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا"، عافانا الله وإياكم! "حَرّ" هذه إذن هي التي قيلت في ذلك الوقت، ها! أحسنت الأداء مئة من المئة، لكن في الاختبار، يعلم الله، ها! "نَعِيمٌ -سأكتب لها ما قالت- يَرُوقُ -الله!- وَظِلٌّ يَشُوقُ وَعَيْشٌ يَسُرُّكَ أَن تَغْنَمَهُ"؟
- أَنْ تَغْنَمَه.
- "أَنْ تَغْنَمَهْ"، جميل! وقالت هذه: فَـ...
- فَذَكَّرَكَ اللّٰهُ

- تأملوا كيف قالت! فَذَكَّرَكَ اللهُ -فهي تعرف ماذا تفعل، لا "فَذِكْرُكَ" أو كذا، من التخريجات الفاسدة التي خرجتموها!- فَذَكَّرَكَ اللهُ حَرَّ -لا "حُرَّ" كما قال بعضكم، وهذا من أكثر الأخطاء "حُرّ"، حتى شككوني أنا فيها -هه!- من كثرة ضبطها على "حُرّ" -إي والله!- قلت لنفسي: حُرّ أم حَرّ! وكيف أرتاب في "حَرّ الجِهَاد" -سبحان الله!- "لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا"! فَذَكَّرَكَ اللّهُ حَرّ الجِهَادِ وَأَلْهَمَ قَلْبَكَ مَا أَلْهَمَهُ؟

- أَلْهَمَهْ

- أَلْهَمَهْ، الآن تأكدت، انضاف الأخ إلى أخيه، فظهرت الحقيقة. طيب، كيف نقول؟ غني هذا، واعزفي عليه عزفًا واضحًا!

- نَعِيمٌ= ددن ددن

يَرُوقُ= ددن ددن

- وَظِلٌّ...، أكملي!

- نَعِيمٌ= ددن ددن

يَرُوقُ= ددن ددن

وَظِلٌّ= ددن ددن

يَشُوقُ= ددن ددن

وَعَيْشٌ= ددن دن

يَسُرُّ= ددن ددن

كَ أَنْ تَغْ= ددن ددن

ـنَمَهْ= ددن

- والله!

نَعِيمٌ= ددن دن

يَرُوقُ= ددن د

وَظِلٌّ= ددن دن

يَشُوقُ= ددن د

وَعَيشٍ= ددن دن

يسرُّ= ددن د

كَأَنْ تَغْـ= ددن دن

ـنمَهْ= ددن

أما أنتِ فتضيفين -كريمة طبعًا!- بعض الضربات، هكذا: نعيمٍ= ددن ددن، يروق= ددن ددن، وظلٌّ= ددن ددن، يشوق= ددن ددن...! أسأل الله أن يزيدنا ولا ينقصنا -من أدعية رسول الله -صلى الله عليه، وسلم!- أن يقول: "أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْرِ"، أي من النقصان بعد الزيادة- فهي تحب هذا!

نَعِيمٍ يرُوقُ وَظِلٍّ يَشُوقُ وَعَيْشٍ -سهلة، ما شاء الله!- يَسُرُّكَ أَنْ تَغْـ...

- ـنمه

- ـنَمَهْ= ددن، فعو، محذوفة. ها، واعزفي!

- فَذَكَّـ= ددن د

ـرَكَ الد(ا)= ددن دن

ـهُ حَـرَّ الْـ= ددن دن

ـجِهَادِ= ددن ددن

- لا! جِهَادِ= ددن د

- ـجِهَادِ= ددن د

وَأَلْهَـ= ددن د

ـمَ قَلْبَـ= ددن د

ـكَ مَا أَلْـ= ددن دن

ـهَمَهْ= ددن

- أحسنتِ! هذا أحسن كثيرًا من السابق، وكل هذا شيء، والذي في الاختبار شيء رابع! ها، أين نضع الخطوط؟

فَذَكَّرَكَ اللهُ حَـرَّ الْجِهَادِ وَأَلْهَمَ قَلْبَكَ مَا أَلْهَمَهْ

- بعد الكاف الثانية.
- هنا "فَذَكَّـ|" -ها!- هكذا، طيب -هِهِه!- هذه "ـرَكَ الد"، صنعت لكم مشكلة، لحظة، قال بعضكم: "ـرَكَ الد= ددن د، فعول، مقبوضة"، خطأ، نسي أن عندنا في اسم الجلالة مدًّا غير مكتوب، لو كُتِبَ كما ينبغي لكُتِبَ بألف! لي قريب اسم أبيه في بطاقته الشخصية "عبد اللاه"!
- كتابة صوتية.
- أحسنت، يا عمر! وهكذا يكتبونه عندنا في ريف مصر أحيانا، ويثبت لصاحبه على وضعه طوال حياته! وهو الأصل -نعم- ولكن الكتابة عُرف، وقد تعارفنا على كتابته هكذا "اللّٰه"، مثل كتابة المصحف. طيب! ظننتم -ما شاء اللّٰه!- أن الكتابة أمينة! لا، بل خائنة خداعة في اللغات كلها، بل هي في لغتنا أحسن حالا، وبحسبكم كتابة الفرنسية العاجزة، وكتابة الصينية الأعجز، وكتابة كذا وكذا! تكتب أحيانا ما لا تنطق، وتنطق أحيانا ما لا تكتب، فما الحل؟ الحل أن تكون على حذر، لا كمن كتب "ـرَكَ الد= ددن د، فعول، مقبوضة"، خطأ، صفر! "فَذَكَّـ|ـرَكَ الد(ا)|ـهُ حَرَّ الْ|ـجِهَادِ| وَأَهْـ|ـمَ قَلْبَـ|ـكَ مَا أَلْـ|ـهَمَهْ". ها! ثم مَن، مَنْ؟
- شفاء.
- شفاء، أكملي!
- تَمَنَّيْتَهَا نِعْمَةً سَمْحَةً فَأَلْبَسَكَ اللّٰهُ سِرْبَالَهَا
أَبَا بَكْرٍ اخْتَرْتَ أَبْقَى الثَّرَاءِ وَجَنَّبْتَ نَفْسَكَ بَلَابِيلَهَا
- ها! بَلَابِلَهَا، ها!
- تَمَنَّيْتَهَا نِعْمَةً سَمْحَةً فَلَبَّسَكَ اللّٰهُ سِرْبَالَهَا
- فَلَبَّسَكَ!
- فَأَلْبَسَكَ اللّٰهُ سِرْبَالَهَا
- وإذا أضفنا هذا البيت إلى هذا تم المعنى، ونقحنا أكثر، فعدنا، فعدَّلنا، وضبطنا: "أَبَا بَكْرٍ اخْتَرْتَ أَبْقَى الثَّرَاءِ" -يبدو أنه يتكلم عن أنه تصرف تصرفًا هو الباقي فعلا، حينما بذل ماله كله مثلا، فقيل له: ماذا تركت لأولادك؟ فقال: تركت لهم اللّٰه ورسوله- "أَبَا بَكْرٍ اخْتَرْتَ أَبْقَى الثَّرَاءَ" -"الثَّرَاءِ" مضاف إليه، يا شفاء، ها!- وَجَنَّبْتَ نَفْسَكَ...

- ... بِلْبَالَهَا.
- "بِلْبَالَهَا" هذه لا نعرفها، "بَلْبَالَهَا". ها، ماذا فعل؟ "تَمَنَّيْتِهَا نِعْمَةً سَمْحَةً فَأَلْبَسَكَ اللهُ سِرْبَالَهَا"، الله على الكلام الجميل! نشكل على هذا الأساس، وعلى مثل ما فعلنا تفعلون دائمًا: "أَبَا بَكْرٍ..."، لماذا نفعل هذا؟ لكيلا تنخدعوا بطباعة الشعر على الصفحات، فبعض الناس لا يعرف كيف يطبع الشعر، فأحيانًا يطبعُ لك الشطر مثلا تحت الشطر، هكذا، وأحيانا هكذا، وأحيانا بجواره، وأحيانا يُدخل جزءًا من الشطر في شطر آخر، لا، لقد تجاوزت هذا أصلاً، لم تعد تعتمد على الكتابة. طيب! أقول لكم شيئا أشد: عندكم شعراء من المجددين يكتبون العمودي على طريقة الحر، مَن يعرف هذا؟ أمل دنقل مثلًا، وصلاح عبد الصبور، وعندك في عُمان سيف الرحبي، وعندك أيضا هذا الشاب العماني الجميل حسن المطروشي -ها!- يكتب العمودي على طريقة الحر، طيب، ما المنجى؟ يكتب هذا هكذا:

أَبَا بَكْرٍ
اخْتَرْتَ أَبْقَى الثَّرَاءِ
وَجَنَّبْتَ نَفْسَكَ بَلْبَالَهَا

ماذا نفعل؟ نخدع؟ لا، فقد علمتكم أن تتجاوزوا هذه الخدعة. إي والله -يا جماعة!- هذا صحيح! حسن المطروشي هذا صديقي، وعندي أعماله أو بعض أعماله، يكتب لك العمودي هكذا! أين إذن طريقة الكتابة التي تربينا عليها، حتى نعرف البيت؟ قضى عليها! لماذا كتب هذا؟ هذا من تفجير الشعر العمودي -يستعملون مصطلح التفجير- بإعادة توزيعه كما يعيد العازفون توزيع الألحان القديمة، ينثرون لكم البيت على الصفحة، يعرضونه بغير ما تعودتم، لتحسوا أنه شيء جديد! أرأيتم؟ هذا يسمونه التفجير، تفجير كتابة الشعر، كأنهم وضعوا في طواياه لُغْمًا فانفجر، فتشتَّت الكتابة! ها، ما رأيك؟ على أي شيء تعتمد؟ على الكتابة! قد خدعتك! لا، إذا تعلمت عليَّ هذا الذي علمتك تقول لحسن المطروشي: قد كشفناك، هذه عمودية، نَثَرتها على الصفحة! والعكس بالعكس، إذا كتب لك كاتب قصيدته الحرة على طريقة العمودي فماذا تفعل؟ لي كتاب شعر أهديه الطلاب في المحاضرات مكافأةً، كتبت فيه الشعر على طريقة الاختبارات هذه، فلم يدر الشباب أهو من الشعر أم النثر، وإذا كان من الشعر أَفَهُوَ من العمودي أم الحر، وإذا كان من كذا أَفَهُوَ كذا أم

كذا؟ لا منجى، لا، لا مساعد إلا من الثقافة. طيب! "أَبَا بَكْرٍ اخْتَرْتَ أَبْقَى الثَّرَاءِ وَجَنَّبْتَ نَفْسَكَ بِلْبَالَهَا -ها، ماذا فعلت؟- تَمَنَّيْتَهَا -يكلم أبا بكر، لا تَمَنَّيتُهَا، ثم هي نِعْمَة، لا نَعْمَة، عندنا في العربية: نَعْمَة ونِعمة ونُعْمَة -ها!- والمطلوبة هنا هي "نِعْمَة"، والنِّعمة المُنْعَم به، والنَّعْمَة رغد العيش، والنُّعْمَة قُرَّةُ العين -ها!- يسمونه عندنا المثلث، ما المثلث؟ الذي يُقرأ بالحركات الثلاث، يقال مثلًا...

- جَنَّة، وجِنَّة، وجُنَّة.
- نعم، جَنَّة، وجِنَّة، وجُنَّة، ويقال...
- ذِرْوَة، وَذَرْوَة، وَذُرْوَة.
- نعم، ذِرْوَة، وَذَرْوَة، وَذُرْوَة، ويقال...
- كَلَامٌ، وكَلَامٌ، وَكُلَامٌ.
- نعم، كَلَامٌ، وكِلَامٌ، وَكُلَامٌ، ...، وهكذا، بارك الله فيكم! هذا يُجمع، وتخرج به الكتب، بهذا العنوان "المثلث". لقطرب تلميذ سيبويه كتاب "المثلث"، ومنه "حَبْوة" و"حِبوَة"، وَ"حُبْوَة"، كذا وكذا وكذا، يظن الظان أن الثلاثة بمعنى واحد، خطأ، وإلا كان المتكلم العربي الأول مجنونًا من المجانين، يهذي ولا يعرف ما يريد، أين الكَلَام من الكِلام والكُلام؟ أين عَلاقَة من عِلاقَة وعُلاقة؟ العَلَاقَة اتصال، والعِلَاقَة مِشْبَك،والعُلَاقَة محبة، كل واحدة في واد. طيب! الكَلام والكِلام والكُلام، والكَلَام الحديث، الكِلام الجِراح، والكُلام مرض مثلًا. "تَمَنَّيْتَهَا نِعْمَةً سَمْحَةً فَأَلْبَسَكَ اللهُ -عندنا مشكلة طبعًا، فالجهاز مبرمج على هذا الشكل "اللهٌ"، فنريح أنفسنا، ونتجاوز، ونكتفي بتشكيل الهاء- فَأَلْبَسَكَ اللهُ سِرْبَالَهَا". طيب، ماذا نقول؟ من يغني؟ من؟ ها! لميس، غني البيتين، ها!

- أَبَا بَكْ= ددن دن
- رِ اخْتَرْ= ددن دن
- تَ أَبْقَى= ددن دن
- ثَرَاءِ= ددن د
- والله! "أَبْقَى ثَرَاءِ"، طيب أين "أل" في المنتصف، سقطت من البين، ها!
- أَبَا بَكْ= ددن دن

ـرِ اخْتَرْ= ددن دن

تَ أَبْقَى الثْـ= ددن دن

ـثَرَاءِ= ددن د

وَجَنَّبْـ= ددن دن

ـتَ نَفْسَـ= ددن د

ـكَ بَلْبَا= ددن دن

لَهَا= ددن

- جميل، ها!

- تَمَنَّيْـ= ددن دن

ـتَهَا نعْـ= ددن دن

ـمَةً سَمْـ= ددن دن

ـحَةً= ددن

فَأَلْبَـ= ددن د

ـسَكَ اللَّـ(ا)= ددن دن

ـهُ سِرْبَا= ددن دن

لَهَا= ددن

- جميل! لم تخدع، انظروا! هنا عندنا "ـثَرَاءِ= ددن د، فعولُ، مقبوضة"، وهذه "ـحَةً= ددن، فعو، محذوفة"، وكلتاهما الرابعة في بيتها، ونحن مدربون على هذا، وسوف تدربون على كل بحر هذا التدريب -إن شاء الله!- على رغم أن المدى المتاح فصل واحد، ستخرجون -إن شاء الله!- وقد تدربتم على البحور كلها هذا التدرُّب، وعندكم الملف، وعندكم البحث، وعندكم كذا، والاختبارات المثيرة، تخرُجون قادرين سماعًا على تخريج الشعر في علم العروض، سماعًا لا كتابةً؛ الكتابة عمل العاديين، وأنتم غير عاديين! يقول العاديون: هات ورقة وقلمًا، واتركني نصف ساعة! لا، أنت في اللحظة تجيب، في اللحظة! ها، أين نضع الخطوط؟ "أَبَا بَكْـ| ـرٍ اخْتَرْ| تَ أَبْقَى الثْـ| ...، آه، هذه مشكلة الجهاز، أين؟

- بعد الهمزة.
- أحسنت أحسنت! "... ـثَرَاءٍ| وَجَنَّبْـ|ـتَ نَفْسَـ|ـكَ بَلْبا| لَهَا"، تعجبني الأبيات المريحة -يا أخي!- ها، هل أخطأت في شيء؟ ها! "تَمَنَّيْـ|ـتَهَا نِعْـ|ـمَةً سَمْـ| -نغني لكل خطوة، للتقطيع، والتوقيع، والتفعيل، والتوصيف، وخطوة التوصيف غير مفتقرة إلى هذا التغني، لأنها مبنية على التفعيلة قبلها- حَةً| -حةً، أم حةً فَ؟ حةً؛ لو قلنا: "حةً فَ= ددن د، فعولُ، مقبوضة"، انتقلنا إلى "أَلْبَسَكَ"؛ فانكسر، ههه!- فَأَلْبَـ|ـسَكَ اللَّـ(ا)| -وقعنا في المشكلة نفسها، هكذا تكتب أنت في الجهاز، مسكين، لكن في الورقة تمد خطك في الشدة من أعلى إلى أسفل؛ ها، كيف ندندن هذه "ـسَكَ اللَّـ(ا)"، ما دندنتها؟
- ـسَكَ اللَّـ(ا)= ددن دن.
- "ـسَكَ اللَّـ(ا)= ددن دن، فعولن، سالمة"، كيف؟ أين الساكن؟ غير مكتوب، لأن الكتابة خداعة، لا تمثل النطق تمثيلًا تامًّا، وهذه عادتها في اللغات كلها، ولغتنا أحسن حالًا من غيرها. "ـهُ سِرْبَا| لَهَا". يا سلاااام! هذا الاختبار، فكيف كانت الأجوبة؟ هذه الهدايا، وهذه النتائج، في القوائم، وهذا جسم الجريمة. سنرى بعض الفضائح، أين؟ أين؟ معقول، غاب! لا، لا، هذا -الحمد لله!- موجود. ها! نمرُّ قليلًا بالأخطاء: هذه ورقة ممتازة، معقول لم تخطئ في شيء! هذه ممتازة جدًّا، ولكنها قالت -واسمعوا، اسمعوا، اسمعوا ها السَّمْعَةَ!-: "فلمّا= ددن د، فعول، مقبوضة"! ها! لم تعبأ بالمد، لا قيمة له عندها -عند الورقة طبعا، فربما كانت لطالب لا طالبة، نتكلم عن تأنيث الورقة، هي صاحبة المشكلة، هذه الورقة!- ها! وقالت: "فَذَكَّرَكَ اللّهُ حُرّ الجِهَادِ"، كما ذكرت لكم عن أكثر الطلاب، والحرّ حُر، وإن مسّه الضر! وهذه ورقة أخرى، بل هذه، تلك أخطاؤها كثيرة جدًّا، وإذا كانت كثيرة لم نستطع أن نختار منها. هذه مثلًا ممتازة، لكن انظروا هنا كيف قالت مثلًا: "رَأَى آيَةً"، كتبتُها "آية" بالمد "آ"، فكتبَتْها بهمزة قطع دون مد، ثم قَطّعَتْها صوابًا؛ فماذا أفعل؟ قالت: "رَأَى أَ -بألف القطع العادية- ددن دن، فعولن، سالمة"، ومع هذا لم أعاقبها عليه وهو خطأ صريح، ولكنها أوقعها ربنا بعد قليل في خطأ صريح فعاقبناها عليه! جاءت إلى "وتُذْهِلُ مِنْهُ اللُّبَّ"، فقالت: "ـلُ منهُ اللُّ= ددن دن د، مفاعيلُ، مكفوفة" -وقد جعلت "تُذْهِلُ" "تَذْهَلْ"، ولكنني مشغول بما بعدها- والكلمة "اللبّ"، لا "اللُّبا" مثلا، وصواب التقطيع: "ـلُ مِنْهُ اللُّبْ= ددن دن

دن، مفاعيلن، سالمة". ها، أرأيتم؟ الأمور واضحة أمامكم كما ترون، يمكنكم أن توازنوا الخطأ بالصواب. طيب! يكفي هذا من هذه الورقة. هذه كذلك ممتازة، في أي شيء أخطأت؟ ها، "زاجرًا"، غيرت "زاجرٌ" إلى "زاجرًا"، غيرت الكلمة عمّا أمامها، أنا الذي جرأتها طبعا، كما قالت المرأة في حديث أم زرع: "فَبَجَّحَنِي، فَبَجِحَتْ إِلَيَّ نَفْسِي"، أي جرّأني فاجترأت! تتكلم عن زوجها، بأنه هو المشكلة، كان ينبغي أن يضربها صباحَ مساءَ، لكيلا تتجاوز حدها، جرأها: تفضلي يا هانم، تفضلي يا جميلة، تفضلي يا كذا، فتجاوزت حدَّها، هذه نتيجة التدليل، ههه! طيب! هذه تقول: "دخلتَ العريش على نعجتيكِ"، بغض النظر عن "نعجتيكِ"، "دخلتَ على نعجتيكِ"، بالهندية! وعلى رغم هذا جاءت عند "نعجتيكِ" فقالت: ددن دن، فعولن، سالمة! كيف هذا! بغض النظر عن "دخلتَ على نعجتيكِ" -ها!- هذا الفساد غير المقبول، نجدها تقول: "جَتَيْكِ= ددن دن، فعولن، سالمة"، أي خطأ بشع! وهنا في الثاني، قالت: "حثيثًا إلى الملحمةِ"، "حمةِ= ددن، فعول، مقبوضة"؛ ما هذا العبث! هذه أمامكم. هذه ورقة كذلك ممتازة، تقول: "فسبحان رَبْكَ"، بوضع سكون على الباء، ثم قالت في وسط البيت: "نَ رَبْ= ددن، فعو، محذوفة"؛ فكيف هذا! وهل تحدث "فعو" في الحشو، مستحيل؛ "فعو" إما أن تكون في آخر البيت، وإما أن تكون في العروض ونحن متعجبون من وجودها في العروض أصلًا، لكنها نجحت -ماذا نفعل؟- نَجَحَتْ! هذه كذلك "جتيكَ= ددن دن، فعولن، سالمة"، وكذلك "كرهت القعودَ"، "قعودَ= ددن دن، فعولن، سالمة"، ما هذا! وهنا قالت: "خُورًا -وهو اقتراح ضبط جديد عجيب!- دن دن، فاعل"، طيب، كيف، أ"ددن" هذه "دن دن"! وكذلك أدركتها مشكلة "فَذَكَّرَكَ اللهُ"، ـرَكَ اللَّـ= ددن د، فكأنها لا تعرف -أو لا تذكر- أن في آخرها مدًّا غير مكتوب -وهو خطأ منتشر، صوابه: ـرَكَ اللَّا(ا)= ددن دن، فعولن، سالمة- ثم تصفها بالمتغيرة، على رغم أنها تعلمت صفة القبض، وهذا خطأ من كل جهة، من فوق ومن تحت! وهذه كذلك ورقة أخرى ممتازة، لا أختار الآن إلا أوراق الممتازين، بأخطاء ينبغي ألا يقع فيها أحد! منها مثلًا: "إِلَى الْمَلْ ـحَمَةِ= ددن، فعلن، خ"، وقد وضعت هذه الورقة كسرتين تحت "الملحمةٍ"؛ وهل ينون المعرَّف بأل؟ معقول! و"أل" ضد التنوين! هذه كذلك "أربدُ زاجرًّ"، ووضعت فتحتين على الراء، ولم تضع ألفًا للمنصوب! عندنا مشكلة؛ فلا هي قالت: زاجرٌ، ولا هي قالت: زاجرًا، بألف؛ هي مؤمنة بأنه خبر كان، ولكنها لم تجترئ على أن

تضيف ما ليس في النص، لا، خطأ، هذا اسم كان، لا خبرها. وهكذا تتوالى الأخطاء من هذا النوع! ثم ماذا؟ تأتي الدرجات من خمس وعشرين: فيصل معمري ٢٥، أصيلة الكلبانية ١٥، عمر ٢٠,٥، حنين ٢٥، أنوار ٢٥، مهلب ٢٥، مروة ٦,٥، منى سليم ٢١، رحمة ٢، أمل سيف ٢٤,٥، ميسون ٢٠، ابتسام ٢٤، سليمة غابت أو حَذَفَت، مريم ٢٤، نورة الشريقية ٢٣,٥، نورة الجهورية ٧,٥، بدرية الشكيلية ٢٣، مسعود ٢٢، سلمى -غابت اليوم، أين سلمى!- ٢٤,٥، كاذية ٢٤، لميس ٢٤، راية ٢٣، أزهار ٢٤، حنان ٢٥، مسعد -يا تنور، يا مجمع الزينات!- ٢٣، مروان ٢٣,٥، أماني ٢٤,٥، ذكرى ٢٢، خديجة ٢٥، انتصار ٢٤,٥، هاجر ٢٥، أصيلة ٢٣، أصيلة الحجرية -الجالسة على الإنترنت، سَايْبَانَا وجالسة على الإنترنت، ولا يهمك المفروض نشيل عشرين ونخلي الثلاثة- ٢٣، شفاء ١٣,٥، نوف ٢٣، مناهل ٢٤,٥، أحمد الناصري -اللي حرص يجلس معنا، ويختبر مع الناس، لكن محاولة أحمد المفروض تُدَرّس! المفروض نسيب كل الإجابات ونجلس على إجابته، هذه المحاولة الطريفة التي...، هو مبدع فيما فعل، هو حرص على أن يجلس معنا ويجيب على الجهاز مباشرة هذا شيء بديع، وأنا معجب بهذا الذي فعل- ١٩,٥ . طيب! عندنا الآن -ما شاء الله!- فيصل، وحنين، وأنوار، ومهلب، وحنان، وخديجة، وهاجر، كل هؤلاء حصل -ما شاء الله!- على الدرجة كاملة (٢٥/٢٥)؛ ليقف هؤلاء الحاصلون على الدرجة كاملة (٢٥)، قفوا -ها!- قفوا، قف -فيصل!- قف -مهلب!- ها، والبنات -ما شاء الله!- أهذه الأعداد كلها؟ يا جماعة، حيُّوا هذه المجموعة أولًا! لكن انتظروا! لابُدّ أن نختار منهم. هذا المهلب، اصبرْ؛ فالأعمال بخواتيمها! هذه المجموعة الكاملة التي كانت في الآخر، ما شاء الله، كل هذا! يبدو فيهم من حضر من الخارج، نعم؛ عندنا واحدة حضرت من الخارج. طيب، من هذه؟ خديجة، أين خديجة؟ قالت: قعدْتُ، كرهتُ، أبقى الثراءَ، فقلنا: لا، لا، خل هذه! خديجة، اجلسي! راحت مع الأسف، طارت خديجة. من هذه؟ هاجر، أين هاجر؟ قالت: قَعِدْتُ، وكأنها لا تتكلم العربية -ها!- كأن لغتها الأولى الصينية مثلًا، من هذا الذي يقول: قَعِدْتُ، بكسرة تحت العين، وفي الآخر قالت: حثيثًا إلى الملحمةَ، هذا كله مع أنها حاصلة على ٢٥! وفي الخلف: نعيمٍ يروقُ وظلٍّ، وبعد ذلك: لقد كان فيما قال أربدٍ زاجرًا، ما هذا! ما هذا! اجلسي! طارت، قضينا عليها! أنوار! أنوار هربت من التشكيل أصلًا، هذا الهروب الكبير، اجلسي! قضينا عليها! حنين!

حنين الصَّمُوت! ما شاء اللهُ! عرض جميل، منتهى النظام والأناقة، فيها بارِض (قوة باقية كامنة)، كما تقولون بالعمانية! عندها ألوان، وتخرج من هذا إلى هذا -تمام- وحصلت على ٢٥، لكن انظروا إلى "فَزَعَا"، قالت: الظافرون بنو الإسلام لا فزعَا، كما قال مسعود في الأداء، خطأ، والصواب "لا فزعًا"، ثم قالت: يُرَى العدى، وهي "يُرَى العِدَى"، هذان فقط، طارت، اجلسي! فيصل -ما شاء اللهُ!- قال: تَمَنَّيتَهَا نَعْمَةً، قال: نَعْمَةَ!

- نِعْمَةً.
- وخطأ آخر، لحظة، قال: "إلى الملحمهْ"، فحذف نقطتي "الملحمة"، على غير ما علّمته، وحولها إلى هاء، على رغم أنني ركزت على هذا المعنى كثيرًا، هذا اجتهاد طبعًا، لكنني علمته، وكتبت له بطريقة، وقلت له السبب، لماذا كنت أفعل كذا، ولماذا صرت أفعل كذا؟ اجلس! حنان ليست منا، حنان حصلت -لكن لا يخبرها أحد، هذا سر، ها! طيب! جميل ألا تعرفوها- نأتي إلى المهلب، والمهلب في الأصل طالب ممتاز، درس عليّ من قبل، وقد فرحت بأدائه، فرحت بأدائه، ويبدو أنني كنت أريد أن أكافئه، فتجاوزتُ عن خطأ، ثم انتبهت إليه! هو من الذين قالوا: فَأَلْبَسَكَ اللَّـ -هو يعرف هذا الخطأ، انظروا، ها!- سَكَ اللَّـ= ددن د، فعول، مقبوضة"، لكنه تأنق تأنقًا عاليًا جدًّا جدًّا، في النظام والتشكيل والروعة والتنبيهات المختلفة، لهذا استحق أن يُكَرَّم بِهَذا الكتاب، هذا مهلب -فحيّوه!- وهذا هو الكتاب العزيز لدي! لكن انتبهوا، لم أكشف بعد أول الأوائل! ما زالت عندنا هدايا، وهذا الكتاب للأول على الأوائل، وسنعرفه بعد الفراغ من نتائج المجموعات كلها، **بارك الله فيكم، وشكر لكم، وأحسن اليكم، والسلام عليكم!**

الْمُنَادَمَةُ الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ(١)

- **سلام عليكم!**
- عليكم السلام ورحمة الله وبركاته!
- طبتم مساءً -يا أبنائي!- وطاب مسعاكم إلينا! بسم الله -سبحانه، وتعالى!- وبحمده، وصلاةً على رسولِهِ وسلامًا، ورضوانًا على صحابته وتابعيهم، حتى نلقاهم! كيف حالكم؟ كيف أمسيتم؟
- بخير.
- لله الحمد والشكر! بارك الله فيكم، وشَكر لكم، وأحسن إليكم، ويسَّر لنا ولكم كل عسير، وسهَّل كل صعب! بعد ثلاثِ محاضرات من التدريبات والاختبارات والمراجعات نعود -والعودُ أحمد- سيرتنا الأولى. نعود إلى قصائدنا المختارة نقرؤها ونغنيها ونمارس من خلالها علم العَروض، نتذوقها ونعالجها، حتى نَصِل من خلالها إلى ما خطر للشاعر أولَ ما خطر -معي؟- فنحن هنا نعكس كما قلت لكم في أسئلة التقديم، عمل الشاعر، فالذي بدأ به انتهينا إليه، والذي انتهى إليه بدأنا به. ما الذي بدأ به؟ النَّغم، الموسيقى، العروض. وما الذي انتهى إليه؟ القصيدة. وما الذي بدأنا به؟ القصيدة. وما الذي نريد أن ننتهي إليه؟ العَروض، النَّغم الذي خطر له أولًا، فعملُ العَروضيّ عكسُ عمل الشاعر، كما قلت لكم في إجابة الأسئلة. **اليوم نستمتع بقصيدةٍ معروفةٍ لديكم مشهورة كنتم تحفظونها في المدارس وتؤدونها في المناسبات. وهي قصيدةٌ مؤثرة حقا، للشاعر السوريّ الشهير عمر أبو ريشة الذي أدركنا زمانه، وله مسجَّلات يمكنكم أن تدخلوا اليوتيوب، لتروه يُنشد، وهو شاعر كبير، له ديوان لطيف طبعته دار العودة.** ويُقال: إنه سُجن بهذه القصيدة، وحينما نمضي فيها نحس أنه يستحق بها السجن حقا، وهذه أمور معروفة، فما أكثر ما سُجن الشعراء

---

(١) رابط هذه المنادمة في قناتي اليوتيوبية:

https://www.youtube.com/watch?v=PuBcl٣Vg٦Yc&list=PL٠_bvBmuM٥ySq٦hXNd٤GWcNFIUaI٤uqCM&index=١٣

وقد فرغتها ندى صلاح، وراجعتها لها صباح سعد.

بشعرهم، سُجن العقاد بشعره، سُجن بكلامه، سُجِن أستاذي مرتين بكلامه، أستاذي الذي أحكي لكم عنه كثيرًا من هو؟ محمود محمد شاكر سُجِن مرتين. وأنا كان يمكن أن أُسجَن -لولا أن الله سلم!- كنا نُنشِد في المواقف أحيانا والشُّرطة حول المكان، ولله الحمد على السلامة! على أية حال لا تتمنوا البلاء، واسألوا الله العافية، اللهم لا تبتَلِنا، اللهم إن ابتليتنا فارزقنا الصبر على البلاء! هكذا كان أستاذنا يقول: أشدُّ السجن السجن السياسي! هكذا قال، ومن باب المبالغة في إيلامك يُعذبونك.

تُوفي شاعرنا سنة تسعين وتسعمئة وألف الميلادية، فهو شاعرٌ معاصر، أدركناه -أنا أدركته- فهو معاصر، والمعاصر هو الذي عشنا في عصره، وعاش في عصرنا، ولا يعني هذا أنه حديث، لا يعني أنه يتبع منهجًا حديثًا، لا؛ الحديث شيء، والمعاصر شيء، هذا ما أفهمه، وأنتم في الأدب تدرسون هذا، فالأمر إليكم، لكن الذي آخذ به وأُجري عليه، أن المعاصر هو الذي أدركته وأدركني، عشت في عصره، وعاش في عصري، جمعنا زمن، جمعتنا مدة من الزمن، أما الحديث فهذا مذهب، الحداثة مذهب، أما المعاصرة فمدة -تمام!- يمكنه أن يكونوا معاصرًا وقداميًا أو حداثيًّا أو مستقبليًّا. هناك شعراء يكتبون ما لم يُكتب بعد، يكتبون لناس سيأتون في المستقبل يفهمون شعرهم، يكتبون ولا يفهمهم في عصرهم أحد، يُسمَّون المستقبليين، يكتبون للقادم -أكتب لمن لم يُولد بعد- وهناك ناس قداميّون، يُحبون عنترة وامرأ القيس وزهيرًا، ويتمنون أن لو عاشوا في زمانهم. زعموا أن رسول الله -صلى الله عليه، وسلم!- تمنى رؤية عنترة -زعموا- قرأت هذا الزعم في "الأغاني" للأصفهانيّ، زعموا أنه تمنى لقاء عنترة، لماذا تمنى لقاء عنترة؟ لكرم أخلاقه. كان عنترةُ فارسًا خلوقًا:

"وَأَغُضُّ طَرْفِي مَا بَدَت لِيَ جَارَتِي حَتَّى يُوَارِيَ جَارَتِي مَأْوَاهَا"!

هذا كلام عنترة، كأنه من الإخوان المسلمين، كأنه من جماعة الأمر المعروف والنهي عن المنكر، أو كأنه في عُمان من طُلّاب الإمامة، نعرف من هؤلاء جماعات في كل مكان، سنخرج من هنا إلى السجن جماعة!

- ههه!
- معًا يؤنس بعضنا بعضًا، إن شاء الله!
- هذا دليل على الأخلاق.

- أرأيت؟ يُقال تمنى لقاءه! يتمنى رسول الله سيد الخلق لقاء عنترة، لحسن خلقه؛ فاللهم حَسِّنْ أخلاقنا! طيب! هذا عُمر أبو ريشة ماذا يقول؟

أُمَّتي

١) "أُمَّتي هَلْ لَكِ بينَ الْأُمَمِ مِنبَرٌ للسَّيفِ أَوْ للقَلَمِ
٢) أَتلقَّاكِ وطَرفِي مُطْرِقٌ خَجلًا مِنْ أَمسكِ الْمُنصرِمِ
٣) ويَكَادُ الدَّمعُ يَهْمِي عَابثًا بِبَقَايَا كِبرِيَاءِ الْأَلَمِ
٤) أَيْنَ دُنْيَاكِ الَّتِي أَوْحتْ إِلى وَتَرِي كُلَّ يَتِيمِ النَّغَمِ
٥) كَمْ تَخَطَّيْتُ على أَصْدَائه مَلْعَبَ الْعِزِّ ومَغْنَى الشَّمَمِ
٦) وتَهَادَيْتُ كَأَنِّي سَاحِبٌ مِئْزَرِي فَوْقَ جِباهِ الْأَنْجُمِ
٧) أُمَّتِي كَمْ غُصَّة دَامِيَةٍ خَنَقَتْ نَجْوَى عُلَاكِ فِي فَمِي
٨) أَيُّ جُرْحٍ فِي إِبَائِي رَاعِفٍ فَاتَهُ الْآسِي فَلَمْ يَلْتَئِمِ
٩) أَلِإِسْرَائِيلَ تَعْلُو رَايَةٌ فِي حِمَى الْمَهْدِ وظِلِّ الْحَرَمِ
١٠) كَيْفَ أَغْضَيْتِ عَلَى الذُّلِّ ولَمْ تَنفُضِي عَنْكِ غُبَارَ التُّهَمِ
١١) أَوَمَا كُنْتِ إِذَا الْبَغْيُ اعْتَدَى مَوْجَةً مِنْ لَهَبٍ أَوْ مِنْ دَمِ
١٢) كَيْفَ أَقْدَمْتِ وأَحْجَمْتِ ولَمْ يَشْتَفِ الثَّأْرُ ولَمْ تَنْتَقِمِي
١٣) اِسْمَعِي نَوْحَ الْحَزَانَى واطْرَبِي وانْظُرِي دَمْعَ الْيَتَامَى وابْسِمِي
١٤) ودَعِي الْقَادَةَ فِي أَهْوَائِهَا تَتَفَانَى فِي خَسِيسِ الْمَغْنَمِ
١٥) رُبَّ وا مُعتَصِمَاهُ انْطَلَقَتْ مِلْءَ أَفْوَاهِ الْبَنَاتِ الْيُتَّمِ
١٦) لَامَسَتْ أَسْمَاعَهُمْ لَكِنَّهَا لَمْ تُلامِسْ نَخْوَةَ الْمُعْتَصِمِ
١٧) أُمَّتِي كَمْ صَنَمٍ مَجَّدْتِهِ لَمْ يَكُنْ يَحْمِلُ طُهْرَ الصَّنَمِ
١٨) لَا يُلَامُ الذِّئْبُ فِي عُدْوَانِهِ إِنْ يَكُ الرَّاعِي عَدُوَّ الْغَنَمِ
١٩) فَاحْبِسِي الشَّكْوَى فَلَوْلَاكِ لَمَا كَانَ فِي الْحُكْمِ عَبِيدُ الدِّرْهَمِ
٢٠) أَيُّهَا الْجُنْدِيُّ يَا كَبْشَ الْفِدَا يَا شُعَاعَ الأَمَلِ الْمُبْتَسِمِ
٢١) مَا عَرَفْتَ الْبُخْلَ بِالرُّوحِ إِذَا طَلَبَتْهَا غُصَصُ الْمَجْدِ الظَّمِي

٢٢) بُورِكَ الْجُرْحُ الَّذِي تَحْمِلُهُ شَرَفًا تَحْتَ ظِلَالِ الْعَلَمِ"!

"أُمَّتِي هَلْ لَكِ بَيْنَ الْأُمَمِ مِنْبَرٌ لِلسَّيْفِ أَوْ لِلْقَلَمِ"، لم يعد لك منبرٌ لا للسيف ولا للقلم، لم تعودي في مقدمة الغزاة، ولم تعودي في مقدمة المبدعين المؤلفين المبتكرين. "أَتَلَقَّاكِ وَطَرْفِي مُطْرِقٌ خَجَلًا مِنْ أَمْسِكِ الْمُنْصَرِمِ"، مطرق، ما الإطراق؟ النظر إلى الأسفل هكذا، تنظر إلى الأرض حزينًا أسيفًا بئيسًا. "خَجِلًا"، ولو كنت مكانه لقلتُ: خَجَلًا، لكن هكذا قال، فنقول ما قال، لا نحرّف الكلام عن مواضعه، لا كما فعلتم في الملفات، تغيرون شعر الشعراء على ما تحبون، وفي الاختبارات تغيرون على ما يريحكم -ها!- لا، هذا نص لا يجوز أن نغيره! وما فرق ما بين "خَجِل" و"خَجَل"؟ من يعرف؟ خجَل اسمٌ (مصدرٌ)، وخجِل صفة مشبهة -سبحان الله!- مثل فرق ما بين وَجَلٍ ووَجِلٍ، وَجَلٌ اسم، ووَجِلٌ صفة مشبهة، وهكذا. وما إعراب "خَجِلًا"؟

- حال.
- حال فقط، لكن لو كانت "خَجَلًا"...
- صفة.
- صفة!
- مفعول لأجله.
- مفعول لأجله، لا بأس، جميل، أوافق، بسبب الخجل المستولي عليّ، والخجل معنوي، يجوز أن يكون علة ذلك. "وَيَكَادُ الدَّمْعُ يَهْمِي عَابِثًا بِبَقَايَا كِبْرِيَاءِ الْأَلَمِ"، حتى كبرياء الألم التي بقيت لي يعصف بها الدَّمع الذي يهمي على حالنا التي انتهينا إليها، يهمي، يهطل. "أَيْنَ دُنْيَاكِ الَّتِي أَوْحَتْ إِلَى وَتَرِي كُلَّ يَتِيمِ النَّغَمِ"، الآن يفسر الحال الكئيبة. أين ذلك المجد الذي كنتُ أتملّأ به وأغني أحواله، أغنيها في الشعر؟ هكذا كان الشعر طوال الزمان، يُمجّد الأمم، وبهذا أَحَبَّه سيدنا عمر، لأنه يعلّم الناس الأخلاق، ويذكرهم المجد التليد. أين دنياك أين؟ "كَمْ تَخَطَّيْتُ عَلَى أَصْدَائِهِ مَلْعَبَ الْعِزِّ وَمَغْنَى الشَّمَمِ"، على أصداءِ مَهْ؟ على أصداء وتري. كنت أغني فأرى نفسي فوق النجوم:

"وَإِذَا شَرِبْتُ فَإِنَّنِي رَبُّ الْخَوَرْنَقِ وَالسَّدِيرِ
وَإِذَا صَحَوْتُ فَإِنَّنِي رَبُّ الشُّوَيْهَةِ وَالْبَعِيرِ"!

هذا البدويّ كان إذا طَرب وانتشى أحسَّ أنه ملكُ الملوك، ثم يعود ليُفاجأ بالحقيقةِ المؤلمة، زَوْجِهِ أمامه! "وَتَهَادَيْتُ كَأَنِّي سَاحِبٌ مِئْزَرِي فَوْقَ جِبَاهِ الْأَنْجُمِ"، ما معنى تهاديت؟

- تمايلت.

- تمايلت من تمايل الطروب، انظروا إلى الطرب الذي ألَّم به حينما كان يعيش حال المجد، وتؤيده ظروف أمته، تؤيده أمته بما تفعل! تسافر أنت مثلًا في أرجاء العالم، لدراسة الماجستير والدكتوراة، فإذا حَقَّقَتْ أمتُك في بلادك الانتصارات بعد الانتصارات، انتشيتَ سعيدًا بين الطلاب من أرجاء العالم في الشرق والغرب والشمال والجنوب. لكن إذا كان العكس كان العكس! لما دخل مصري إلى طائرة راحلة إلى أوربة أو أمريكة أيام الثورة المصرية، قال الطيار: راكب مصري! فصفق له كل من في الطائرة جميعًا، أيام الثورة! والآن ماذا يفعلون -ههه!- علامَ يصفقون؟ وماذا فعلت أنا؟ أُمتي فعلَت، إذا انتصرنا مثلًا في حرب، إذا اخترعنا اختراعات، إذا أنجزنا إنجازات، ثم سافر عُمانيّ مثلًا إلى أسترالية ودخل: في الطلبة عماني، يا جماعة! فيصفقون، لماذا؟ لأن الجماعة في عُمان حققوا انتصارات، فأنت تبني على مجد أهلك. "أُمَّتِي كَمْ غُصَّةٍ دَامِيَةٍ خَنَقَتْ نَجْوَى عُلَاكِ فِي فَمِي"، ما "كم" هذه؟ أَسْتفهامية أم خبرية؟

- خبرية.

- خبرية طبعًا، ما أكثر ما خنقتني الغُصّة، ولم أعد استطيع أن أتكلم وأتحدث عن عُلاك، كيف أتحدث ونحن الآن أذلة يدوسنا أنجاس الناس بأقدامهم! "أَيُّ جُرْحٍ فِي إِبَائِي رَاعِفٍ فَاتَهُ الْآسِي فَلَمْ يَلْتَئِمِ"، من الآسي؟

- الطبيب.

- الطبيب، الله! أسا يأسو. حينما سألتهم في المجموعة الأخرى قالوا: الآسي الحزين! مساكين! في العربية: أَسَا يَأْسُو فهو آس، وأَسِيَ يَأْسَى فهو أَسْوَان وأَسْيَان. ما معنى أَسِيَ يَأْسَى؟ حَزِنَ يَحْزَن. ما معنى أَسَا يَأْسُو؟ عَالَج يُعالِج، فالآسي الطبيب، والأُساةُ الأطباء -رَاعِف سائل، من الرُّعاف، وهو عندكم في اللهجة- ما أكثر ما بي من جروح سائلة لا تلتئم، كلنا جروح! "أَلِإِسْرَائِيلَ تَعْلُو رَايَةٌ فِي حِمَى الْمَهْدِ وَظِلِّ الْحَرَمِ"، "ألاسرائيل" دخلنا في الجد -سبحان الله!- كأنه مطَّلعٌ علينا الآن! متى قال هذه القصيدة؟ أظن أنه قالها في السبعينيات -وقد مات سنة تسعين- ونحن بعده بزمان،

تتدهور إلى الحضيض قليلا قليلا. "أَلإِسْرَائِيلَ تَعْلُو رَايَةٌ فِي حِمَى الْمَهْدِ وَظِلِّ الْحَرَمِ"، في كل مكان -يا أخي الكريم!- في كل مكان، ولو أدركنا هذا الرجل لانتحر! "كَيْفَ أَغْضَيْتِ عَلَى الذُّلِّ وَلَمْ تَنْفُضِي عَنْكِ غُبَارَ التُّهَمِ"، يقول لأمته، فما معنى "أَغْضَى عَلَى"؟ أتذكرون القصيدة الثانية: فَأَغْضَيْتُ عَلَى عَمْدٍ وَقَدْ يُغْضِي الْفَتَى الْحُرُّ"، لكن ذاك إغضاء القادر من باب العفو عند المقدرة، أما هذا فعفو في غير محله:

"وَوَضْعُ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعُلَا مُضِرٌّ كَوَضْعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى"!

هذا وضعٌ للحِلم في غير موضعه، يقتلك، ويقتل إخوتك، وتقول له: اذهب عفوت عنك لوجه الله! مسكين! تموت ولا تقول هذا الكلام، كيف تعفو عن شخص لا تملك العفو عنه أصلا! نحن مُتَّهَمون في العالم كله بالإرهاب والمتهم هو الأجدر بوصم الإرهاب -ها!- يتهمونك -سبحان الله!- ويملكون طبعًا وكالات الإعلام -وكالة رويتر الإعلامية يهودية، ووكالة كذا يهودية- ورجال المال يهود، واليهود أُس الفسادِ في العالم، سُوس العالم -ولاسيما الصهاينة منهم- استطاعوا أن يغيروا في العقيدة المسيحية، استطاعوا أن يستخرجوا من البابا تبريئًا لهم من قتل المسيح -نحن لا نُؤمن بقتل المسيح طبعًا- بعد أن صار في صميم العقيدة المسيحية، والبقية تأتي، سُوس العالم هؤلاء! "أَوَمَا كُنْتِ إِذَا الْبَغْيُ اعْتَدَى مَوْجَةً مِنْ لَهَبٍ أَوْ مِنْ دَمِ"، كنت تشْتعلِين، فماذا حدث؟ نحن قوم ننتصر أو نموت، لا حيلة، هكذا كانوا يقولون. كان القائد يفتح البلاد بهذا الكلام قبل أن يفتحها بالسّيف، يقول لهم كلمةً واحدة: "جِئْتُكُمْ بِجُنْدٍ يُحِبُّونَ الْمَوْتَ كَمَا تُحِبُّونَ الْحَيَاةَ"، انتهت! كلمة واحدة تُنهي لنا المسألة في الموقف، فينتصر! ماذا حدث؟ "كَيْفَ أَقْدَمْتِ وَأَحْجَمْتِ وَلَمْ يَشْتَفِ الثَّأْرُ وَلَمْ تَنْتَقِمِي"، هكذا يُؤَدَّى الشعر. كيف هذا؟ كيف حدث؟ ماذا حدث؟ الذي حدث أننا تغيرنا، إلى القبيح لا إلى الحسن! "اِسْمَعِي نَوْحَ الْحَزَانَى وَاطْرَبِي وَانْظُرِي دَمْعَ الْيَتَامَى وَابْسِمِي"، يسخر، يسخر، كيف نطرب لنوح الحزانى، أم كيف نبتسم لدمع اليتامى! ولكن هذا هو الذي يحدث الآن! نتغدى ونتعشى على مشاهد قتل المسلمين في كل مكان! ننتهز الغداء والعشاء فرصة لمشاهدة الأخبار، من باب اختصار الوقت! وما الذي في الأخبار؟ قتل هنا وقتل هناك، وتدمير هنا وتدمير هناك! ونأكل على دماء المسلمين في كل مكان! لم يعُد الأمر سخرية، كان الرجل يسخر بهذا الأمر في ذلك الزمان، وهو الآن واقع يحدث! استمتعي بمظاهر القتل، "وَدَعِي الْقَادَةَ فِي

أَهْوَائِهَا تَتَفَانَى فِي خَسِيسِ الْمَغْنَمِ" -فأنت السبب، أنت أوصلت هؤلاء القادة كما سيقول بعد قليل- ما معنى تتفانى؟

- تتفاخر.

- تفنى قليلًا قليلًا. خطر لي أولًا أن أقول يُفني بعضها بعضًا، لأنها "تفاعل يتفاعل"، صيغة من صيغ المشاركة، ثم قلت: لا يقال فناه، هذا يحتاج لأن يُقال في المجرد: فناهُ، حتى يُقال في المزيد: تتفانى، أي فَنَانِي وفَنَيْتُه، وهو لا يُقال، بل يقال: أَفْنَيْتُهُ وأَفْنَانِي؛ لهذا تُعرض عن أن تقول إن المراد بـ"تفانى" المشاركة، إلى أن تقول: إن المراد التدرج. درستم "معاني صيغ زيادة" في المستوى الأول من علم الصرف، وهي من أروع ما فيه، ولا نجد لها وقتًا، لأنها أكثرُ من الأوقات، كصُورَ بحور الشعر تماما، هذا مثل هذا! "تَتَفَانَى في خَسِيسِ المَغنَم"، تفنى فيه، كأنها تذوب، تذوب في خسيس المغنم كما يذوبُ الصوفيُّ في محبةِ اللهِ! سبحان اللهِ! يذوب الصوفيّ في محبة الله، ويذوب القائد الشهوانيّ هذا الضال في اللذة! كنت أستمع منذ قليل في المكتب إلى قصيدة لا يستطيع أحد أن يذيعها على الملأ، في بعض القادة -شيء عجيب- يقول فيه الشاعر ما لا يقال في إبليس، إبليس يقول لهذا القائد: يا أستاذي، علمني يا أستاذي! "رُبَّ وَا مُعْتَصِمَاهُ انْطَلَقَتْ مِلْءَ أَفْوَاهِ الْبَنَاتِ الْيُتَّمِ"، "لَامَسَتْ أَسْمَاعَهُمْ"، أسماعَ مَن لامستَ؟

- القادة.

- القادة، "لَكِنَّهَا لَمْ تُلَامِسْ نَخْوَةَ الْمُعْتَصِمِ"؛ كان المعتصم أمير المؤمنين، من أواخر أقوياء بني العباس، جاء بعده واحد أو اثنان ثم بدأ الضعف، كان قويًّا. ما الذي حدث في أيام المعتصم؟ ما أشهر ما حدث؟ هو مرتبط عندنا بـ"وَا مُعْتَصِمَاهْ"، قالتها امرأة مسلمة هناك في عَمّورية من بلاد يحكمها الروم. أهانها روميّ، يبدو أنه دخل مع جنود آخرين، فاقتحموا البلد، وأهانوا أهله، فأعد المعتصم جيشًا، فقال له المنجّمون: ليس هذا بوقت حرب، إذا ذهبتَ هُزمتَ، فلم يعبأ بقولهم وتوكل على الله. فقال أبو تمام قصيدته:

"السَّيْفُ أَصدَقُ إنباءً مِنَ الكُتُبِ فِي حَدّهِ الحَدُّ بيْنَ الجِدّ وَاللَّعِبِ
بِيضُ الصَّفَائِحِ لَا سُودُ الصَّحَائِفِ فِي مُتونِهِنَّ جِلَاءُ الشَّكِّ وَالرِّيَبِ"!

وسخر بالمنجمين فيما بعده، هذا أبو تمام الذي مات في الثلاثين من عمره، وكان أعظم الشعراء وما زال من أعظمهم؛ فكيف به لو عاش أكثر! وما أكثر الآن "وَا مُعْتَصِمَاهْ"! عندي تسجيلات للشاكين من كل مكان، من اليمن، ومن سورية، ومن آسية جهة البنغال، ومن مصر، ومن السودان، ومن كذا وكذا، من كل مكان، رسائل يشيب لها الولدان. "مِلْءَ أَفْوَاهِ الْبَنَاتِ الْيُتَّمِ"، فضلًا عن الذكور، من باب الإثارة، لكنَّك الآن تسمعها أحيانًا من الشيوخ، ورأينا رجلًا يقول في سورية: هذه الحياة، هذه العيشة، وهو رجل شيخ هرم! "لَمْ تُلَامِسْ نَخْوَةَ الْمُعْتَصِمِ"، نسمع هذا، ولا نتأثر. "أُمَّتِي كَمْ صَنَمٍ مَجَّدْتِهِ لَمْ يَكُنْ يَحْمِلُ طُهْرَ الصَّنَمِ"، وهل الصنم طاهر؟ الصنم في نفسه مظلوم، خشب وحجارةٌ، الخشب طاهر، والحجارةُ طاهرة، وأحيانًا يكون أشدَّ فائدة من هذا، أحيانًا يكون من الرُّطَب، في منتهى الروعة، يعبدونه ثم يأكلونه، كله منافع -ما شاء الله!- للعبادة وللطعام، يعبده العابد إلى أن يُشْبِعه عبادة، ثم يَشْبع به، هذا إله مفيد على كل المستويات! أما هؤلاء الآلهة القادة المتألّهون فغيرُ مفيدين على كل المستويات، بل هم بالعكس، عندهم صفقات مريبة وخيانات. "كَمْ صَنَمٍ مَجَّدْتِه"، لم تكن فيه طهارةُ الخشب ولا طهارة الحجر ولا طهارة الرُّطَب؛ فمن تلومين؟ تلومين إسرائيل! "لَا يُلَامُ الذِّئْبُ فِي عُدْوَانِهِ إِنْ يَكُ الرَّاعِي عَدُوَّ الْغَنَمِ"، ما عملُ الذئب؟ ما عملُ الذئب؟ ما عمله؟ أن يأكل الغنم هذا عمله، أنا الآن أمارس وظيفتي الرسمية، وظيفتي الرسمية أكل الغنم، هذه وظيفتي، الراعي وظيفته أن يطردني؛ كان عندي فِلْم مرة عن مزرعة في الأردن هاجمها ذئب فعاث فيها فأمسكوا به واستمتعوا بتعذيبه، أطلقوا عليه الكلاب، فكرة الفِلْم أن يُمكّنوا الكلاب من الانتقام من الذئب، شيء عجيب! الراعي عدو الغنم، لا حول ولا قوة إلا بالله! "يكُ" هذه أصلها "يَكُنْ"، حذفت منها النون، وأكثر ما يحدث هذا قبل المتحرك لا قبل الساكن، لكنّه هنا فعل القليل، واستفاد منه، ويمكنكم دائمًا أن تتأملوا مثل هذه الأفعال، ولن تعدموا معنى كامنًا يُلتمس وحكمة تُستنبط. "فَاحْبِسِي الشَّكْوَى فَلَوْلَاكِ لَمَا كَانَ فِي الْحُكْمِ عَبِيدُ الدِّرْهَمِ"، لا يحقُّ لك أن تشتكي لأنك السببُ؛ فاحبِسي الشكوى، أيتها الأمة؛ فأنت كما قيل في الأثر "كَمَا تَكُونُوا يُوَلَّ عَلَيْكُمْ"، صالحين لصالحين، وفاسدين لفاسدين! وفي المصرية نقول: قالوا لْفَرْعُونْ -وهكذا ننطقها!-: مِينْ فَرْعَنَكْ؟ قَالْ: مَا لِقِتْش حَدّ يرُدِّني"!

- هههه!

- نحن إذن كما قال ربنا في كتابه: "فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ" -صدق الله العظيم!- نَحنُ كما يقولون في الصحافة الآن: "نُجيد صُنع الآلهة"! فاحبِسِي الشكوى، لا يحق لك أن تشتكي، فعلت هذا بنفسك، فاحبِسِي الشكوى، فَلولَاكِ لَمَا كَانَ فِي الحُكمِ عَبِيدُ الدرهَمِ، هلّا وَلَّيتِ عَبيد الله، ضحك عليكِ عبيدُ الدرهم! "أَيُّهَا الْجُنْدِيُّ يَا كَبْشَ الْفِدَا يَا شُعَاعَ الْأَمَلِ الْمُبْتَسِمِ"، آه عليك، أيها الجندي المخلص المظلوم المسكين! عندنا في الجيش شباب يسألون الله الشهادة في سبيله، فيُوجَّهون جهات ضالة! شباب كثيرون من مصر ذهبوا إلى داعش المريبة من أصلها، وجبهة النصرة، وكذا وكذا، وشاركوا في أعمالها! أي إضلال هذا الذي أحاط بالناس! شباب جميل، شباب باحث عن الجهاد في سبيل الله، يوجَّه هذه التوجيهات الضالة! "مَا عَرَفْتَ الْبُخْلَ بِالرُّوحِ إِذَا طَلَبَتْهَا غُصَصُ الْمَجْدِ الظَّمِي"، حينما قيل لك: حيَّ على الجهاد، كنت أول المتقدمين! "بُورِكَ الْجُرْحُ الَّذِي تَحْمِلُهُ شَرَفًا تَحْتَ ظِلَالِ الْعَلَمِ"، أنت مظلوم، أنا أحييك، أنا لا أقصدك، أنت مظلوم، لكن هل يسوّغ له أن يقتل على الباطل؟ نعى في هذه القصيدة كثيرًا على القادة، نعى عليهم كثيرًا، ومن الشعراء من يسُبهم صراحةً! أدركت من المعاصرين شاعرًا عراقيًا يسبُ القادة وجهًا لوجه، اسمه مُظفّر النواب عراقيّ شيعيّ من أسرة عريقة، كان يسب القادة مواجهةً، حتى قيل لي إنه حضر مرة أُمسية كان في حاضريها حافظ الأسد، فكان يسبهم سبا صريحا: يا أولاد الكذا، في القصيدة، يا أولاد الكذا، فنظر إليه حافظ الأسد كأنه يحذره -قيل- فقال: لا أستثني منكم أحدًا! أي أنت داخل في الجماعة!

- مظفر...

- مُظفّر النواب.

- لكن أحيانًا كان يكتب باللهجة، وهو رسّام أيضا، والناس فيه مختلفون، هناك من يكرهه كراهة شديدة، ومن يتعلَّقُه تعلقا شديدا، ومن كان الناس فيه على هذين الفريقين فهو عبقري بلا ريب، إذا اختلف الناس في الشخص بين رافع إلى السماء وخافض إلى الأرض، فهو عبقريّ!

- تُوفي من زمن طويل؟

- لا، بل من سنتين تقريبًا. ومن هؤلاء مثلا أبو العلاء المعريّ، فمن الناس من قال فيه: "أديبُ الفلاسفةِ وفيلسوفُ الأدباء"، ومنهم من قال فيه: "كلبُ المعرَّة"! منهم من جعله في مُمجّدي رب العالمين، ومنهم من جعله فيمن يستخفّون بالقرآن الكريم! انظروا إليهم كيف غيروا اسم كتابه

"الفصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ"، إلى "الفصول والغايات في مجاراة الآيات"، وهو عندي باسمه الأول، وسأنقل لكم منه لاحقا -إن شاء الله!- كلامًا ممتعًا جدا في تمجيد ربِّ العالمين بمصطلحات علم العروض! **طيب! الآن هذا نص لطيف خفيف والمنافسة فيه مغرية؛ فمن ينافس على خمس درجاتٍ زيادة أو نَقصًا، عندنا شخص حذفنا منه عشر درجاتٍ، من؟** أحمد الناصري؛ فهو يستحق أن نترك له الفرصة لعله يداوي بعض ما جُرِحَ به، لكن إذا أخطأ حذفنا منه خمسًا أخرى، فمعنى هذا أن يستقيل من الجامعة أحسن، ويرتاح، ها!

- أستقيل، إن شاء الله!
- متأكد؟ أكيد، أكيد، متجهز؟
- إن شاء الله!
- توكل على الله، بِسم الله!
- أُمَّتِي هَلْ لَكِ بَيْنَ الْأُمَمِ مِنْبَرٌ لِلسَّيْفِ أَوْ لِلْقَلَمِ
أَتَلَقَّاكِ وَطَرْفِي مُطْرِقٌ خَجَلًا مِنْ أَمْسِكِ الْمُنْصَرِمِ
- جميل.
- وَيَكَادُ الدَّمْعُ يَهْمِي عَابِثًا بِبَقَايَا كِبْرِيَاءِ الْأَلَمِ
أَيْنَ دُنْيَاكِ الَّتِي أَوْحَتْ إِلَى وَتَرِي كُلَّ يَتِيمِ النَّغَمِ
- الله!
- كَمْ تَخَطَّيْتُ عَلَى أَصْدَائِهِ مَلْعَبَ الْعِزِّ وَمَغْنَى الشَّمَمِ
وَتَهَادَيْتُ كَأَنِّي سَاحِبٌ مِئْزَرِي فَوْقَ جِبَاهِ الْأَنْجُمِ
- الله!
- أُمَّتِي كَمْ غُصَّةٍ دَامِيَةٍ خَنَقَتْ نَجْوَى عُلَاكِ فِي فَمِي
أَيُّ جُرْحٍ فِي إِبَائِي رَاعِفٍ فَاتَهُ الْآسِي فَلَمْ يَلْتَئِمِ
أَلِإِسْرَائِيلَ تَعْلُو رَايَةٌ فِي حِمَى الْمَهْدِ وَظِلِّ الْحَرَمِ
كَيْفَ أَغْضَيْتِ عَلَى الذُّلِّ وَلَمْ تَنْفُضِي عَنْكِ غُبَارَ التُّهَمِ
أَوَمَا كُنْتِ إِذَا الْبَغْيُ اعْتَدَى مَوْجَةً مِنْ لَهَبٍ أَوْ مِنْ دَمِ

كَيْفَ أَقْدَمْتِ وَأَحْجَمْتِ وَلَمْ يَشْتَفِ الثَّأْرُ وَلَمْ تَنْتَقِمِي
إِسْمَعِي نَوْحَ الْحَزَانَى وَاطْرَبِي وَانْظُرِي دَمْعَ الْيَتَامَى وَابْسِمِي
وَدَعِي الْقَادَةَ فِي أَهْوَائِهَا تَتَفَانَى فِي خَسِيسِ الْمَغْنَمِ
رُبَّ وَا مُعْتَصِمَاهُ انْطَلَقَتْ مِلْءَ أَفْوَاهِ الْبَنَاتِ الْيُتَّمِ
لَامَسَتْ أَسْمَاعَهُمْ لَكِنَّهَا لَمْ تُلَامِسْ نَخْوَةَ الْمُعْتَصِمِ
أُمَّتِي كَمْ صَنَمٍ مَجَّدْتِهِ لَمْ يَكُنْ يَحْمِلُ طُهْرَ الصَّنَمِ
لَا يُلَامُ الذِّئْبُ فِي عُدْوَانِهِ إِنْ يَكُ الرَّاعِي عَدُوَّ الْغَنَمِ
فَاحْبِسِي الشَّكْوَى فَلَوْلَاكِ لَمَا كَانَ فِي الْحُكْمِ عَبِيدُ الدِّرْهَمِ
أَيُّهَا الْجُنْدِيُّ يَا كَبْشَ الْفِدَا يَا شُعَاعَ الْأَمَلِ الْمُبْتَسِمِ
مَا عَرَفْتَ الْبُخْلَ بِالرُّوحِ إِذَا طَلَبَتْهَا غُصَصُ الْمَجْدِ الظَّمِي
بُورِكَ الْجُرْحُ الَّذِي تَحْمِلُهُ شَرَفًا تَحْتَ ظِلَالِ الْعَلَمِ

- حيوا الناصري! أشهد أن لا إله إلا الله!
- ههه!
- الآن نعوّضه عن خمس.
- يستحق عشرا.
- لا، لا، خمس بس! عشان الحسد! سمعتموني أقول له: الله، الله، الله! وكلما قلت: الله! قال عُمر: مصيبة جاية! أحمد الناصري، زائد خمس درجات! أداء جميل، يا ناصري! والناصري هو كما رأيتم طروب أصلًا بطبعه. **طيب! نكتب البيتين الأولين، نستطيع أن نكتفي بهما. بسم الله!**

أمتي هل لك بين الأمم منبر للسيف أو للقلم
أتلقاك وطرفي مطرق خجلا من أمسك المنصرم
ما شاء الله، يا ناصري، عندك شعبية بين الفتيات!

- ههه!
- مرة أخرى بحسدك بعدين! طيب! هذا الإملاء ينبغي أن يكون صحيحًا، ثُم نُشكل نتقرب الى الله بحُسن التشكيل، متعة هذه متعة لا يعرفها إلا من عاشها! يا سلام! "أَتَلَقَّاكِ" هذه لم نضع لها

نقطتين، هذا خطأ، "أَتَلَقَّاكِ وَطَرْفِي"، ما فرق ما بين الطرْف والطرَف؟ الطرَفُ الجَانب، والطرْف العين. أما طَرَفَةُ الشاعر فمسمًّى بنبات.

- طرف النخلة؟
- نعم نعم، مَا الطرف عندك؟ طرْف أم طرَف؟
- طرَف.
- "مُطْرِقٌ نَجِلًا مِنْ أَمْسِك الْمُنْصَرِمِ"، طيب! كتبنا، هل من خطأ؟ نبهوني هل من خطأ؟ لا خطأ؟ طيب! هذا اللحن لابُدّ أن نتمسك به، لأنه سينجينا من التباسات قادمة، يلتبس بلحنَيْ بحرين آخرين:

أَمَّتِي هَلْ	لَكِ بَيْنَ الْ	ـأُمَمِ	مِنْبَرٌ لِلسْـ	ـسَيْفِ أَوْ لِلْ	قَلَمِ
أَتَلَقَّا	كِ وَطَرْفِي	مُطْرِقٌ	نَجِلًا مِنْ	أَمْسِكِ الْمُنْـ	ـصَرِمِ

نضع الخطوط بلون آخر كما فعلتم في الاختبار، كما تأنق منكم من تأنق؛ هذا مقامُ التأنق، ومشكلةُ هذا الجماعةُ، نحتاجُ إلى غناء لكل خطوة، لكيلا نُخطئ، لكل خطوة. بعد النون، هذه كأنها قبل النون، هذا إهمال، وضع هذا الخط بهذا الشكل إهمال. هنا بوضوح بعد النون ينبغي ألا أكون من المهملين حتى تقتدوا بهذا الأداء، طيب!

أُمَّتِي هَلْ= دن ددن دن

لَكِ بَيْنَ الْ= دددن دن

ـأُمَمِ= دددن

طبعًا هذه مشبعة "قَلَمِ(ي)"، والبيت هنا مطلع القصيدة -لعلكم لاحظتم!- فهذه الميم مشبعة، هذا الجزء مشبهٌ بهذا الجزء وزنًا...

- وقافية.
- وقافية، ["أُمَمِ(ي)"، "قَلَمِ(ي)"= دَدَدن]، وهذا لا يكون إلا إذا كان الأمر على هذا النحو.

مِنْبَرٌ لِلسْـ= دن ددن دن

ـسَيْفِ أَوْ لِلْ= دن ددن دن

قَلَمِ= ددددن

أَتَلَقَّا= ددددن دن

كَ وَطَرْفِي= ددددن دن

مُطْرِقً= دن ددن

خَجِلًا مِنْ= ددددن دن

أَمْسِكِ الْمُنْ= دن ددن دن

صَرِمِ= ددددن

جميل، نضيف التفعيل -تقطيع، توقيع، تفعيل، توصيف- ونغني لهذه الخطوةِ كذلك: "أُمَّتِي هَلْ= دن ددن دن، فاعلاتن، سالمة". **وإذا حضر ذكر التفعيلات وجب تقديمُ بحر الرَّمَل إليكم.** الرَّمَل بفتح الميم، لا الرَّمْل، وهو مأخوذ من الرَّمَل -ضربٌ سريع من السير- وفي الفقه في الطواف حول الكعبة، "يرمُلون"، أي يسرعون في مرحلة من المراحل سُنةً عن رسول الله -صلى الله عليه، وسلم!- والبيت من بحر الرمل "فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن" مرتين. وفاعلاتن هذه: "فا" سببٌ خفيف، و"علا" وتدٌ مجموع، و"تن" سبب خفيف. يصيبها من الزحافات الخبن الذي تحول به إلى "ددددن دن= فعلاتن"، والكف الذي تحول به إلى "دن ددن د= فاعلاتُ"، ها! أتذكرون مراتب الزحاف؟ من يذكر مراتب الزحاف؟ ما مراتب الزحاف؟

- خبن، وطي، وخبل.
- حسن، وصالح، وقبيح.
- أحسنت! هذه هي المراتب، أما الخبن والطي والخبل -يا سلمى!- فأنواع، لكن مراتبه مستوياته، هناك في الحضيض الزحاف...
- القبيح.
- القبيح. وفي الوسط الزحاف...
- الصالح.
- الصالح، وفي الأعلى الزحاف...
- الحسن.

- الحسن. وإذا طبقنا على ما بين أيدينا جعلنا من الصالح كفّ "فاعلاتن"، ومن الحسن خبنها -يا أخي، سبحان الله!- هذا الخبن دائمًا ناجح، هو في كل مكان حسن من المرتبة العليا. تحويل "فاعلاتن" إلى "فعلاتن" إذن، لطيف -سبحان الله!- مهما كان مكانه، حتى الكلمة (خبن) تحس أن فيها رخامة، طربًا معينًا. ها، طيب! "رُبَّ زِحَافٍ أَطْيَبَ فِي السَّمْعِ مِنَ الْأَصْلِ"، أي خبن "فاعلاتن" هذه إلى "فعلاتن" أحيانًا يكُون رائعًا جدًّا، تأملوا، اسمعوا! مرة أراد شاعر أن يعبر عن مشي الخيل وهي تضرب على الأرض، فقال:

"جَرَتِ الْخَيْلُ فَقَالَتْ حَبطَقْطَق حَبَطَقْطَقْ"!

"حَبَطَقْطَقْ= دددن دن، فعلاتن"، جرت الخيلُ فقالت، كأنها -ما شاء الله!- تتكلم، يقصد أنها نطقت بأرجلها على الأرض: "حَبَطَقْطَق حَبَطَقْطَقْ حَبَطَقْطَقْ حَبَطَقْطَق"، إذا تداخلت أصوات الأقدام والحَذَوات في الوقت نفسه، أحسست أنها كأنها تجري على بحر الرمَل؛ فاستفاد من الخَبن، وهذا ذكاءُ الشاعر! يا جماعة، هذا بحر الرمل، يا بحر الرمَل، هؤلاء جماعة من خيرة طلاب اللغة العربية، ها!

- تشرفنا!

- تشرفنا! سأكلّمكم عنه بعد قليل كلامًا عاطفيًّا، هذا يستحق التقدير، تشرفنا حقا، بحر الرمَل هذا بحرٌ مشرّف.

أُمَّتِي هَلْ= دن ددن دن، فاعلاتن، سالمة.

لَكِ بَيْنَ الْـ= دددن دن، فعلاتن، أي؟

- مخبونة.

- مخبونة، ما الخبن؟ حذفُ ساكن السبب الخفيف متى كان ثاني حرف في التفعيلة. وهو هذا، تحول به "فاعلاتن" إلى "فعلاتن"، فتُسرع الحركة؛ لهذا استفاد الشاعر في تمثيل سير الخيل "دددن دن، دددن دن". هناك في المتدارك "دددن، دددن"، تعبير عن درجة أسرع من هذه، أما هذه "دددن دن، دددن دن"، فأبطأ، أرأيت؟ هذه هي الحساسيةُ العالية!

ـأُمَمِ= دددن، ما هذه؟

- فاعلن.

- أين "فاعلن" هذه؟ ثم "فاعلن" في بحر المتدارك، يا مسكين! "دددن" هنا قطعة من "فاعلاتن"، فما هي منها؟
- فعلتن.
- بل "فَعِلا"، حُذفت من "فاعلاتن" هذه الألف، وهذا خبن، والتفعيلة به مخبونة، وحُذف السبب الخفيف كله من الآخر، وهذا حذف، علّة شديدة، والتفعيلة بها محذوفة؛ فـ"فَعِلا" إذن مخبونة من الأول محذوفةٌ من الآخر، أرأيتم؟ مخبونةٌ من أولها بحذف الألف، ومحذوفةٌ من آخرها بحذف السبب الخفيف "تن" كله. والخبن طبعا زحاف لَطيف، أما الحذف فعلة شديدة؛ لهذا ستجدون هذا الشاعر -انتبهوا إلى الأبيات، انتبهوا!- يخبن ولا يخبن، لكنه يلتزم الحذف، لأنه شديد؛ فلو فعله مرة ولم يفعله مرة لنشّز، أي كَسَرَ طبعًا، وخرج من الوزن، وأحس الناس باضطراب، وتأذُّوا سمعًا، ولاسيما المُوتَّرو الإحساس! فإذن، ها!

ـأُمَمِ= دددن، فعلا، مخبونة محذوفة

مِنبَرٌ للسـ= دن ددن دن، فاعلاتن، سالمة

ـسَيفِ أَوْ لِـ= دن ددن دن، فاعلاتن، سالمة

ـقَلَمِ= دددن، فعلا، مخبونة محذوفة

- كيف؟
- هو هكذا فَعَلَ، فالوضع النظري الذي أخرجته دائرة الرَمل للخليل هو "فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن" مرتين. لكن الحقيقة -يا جماعة!- أن الشعراء استثقلوه، لا تكاد تجد في الشعر العربي من أوله إلى آخره من يصبر على "فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن"، لكن الذي تجده كثيرًا "فاعلاتن فاعلاتن فاعلا فاعلاتن فاعلاتن فاعلا"؛ يبدو أنهم خففوا ذلك الثقل بحذف "تن" هذه -تمام؟- وأحيانًا يضيفون إلى الحذف الخبن، فيقولون: "دددن= فعلا"، فيزداد خفة. ستجد شاعرنا هنا يخبن ولا يخبن، ولكنه يحافظ على الحذف، لا يحيد عنه، لأنه تغييرٌ شديد لو فعله مرة وتركه مرة لتزلزل الإيقاع، وأحس الناس بنشاز بشع. طيب!

أَتلَقَّا= دددن دن، أي...

- فعلاتن.

- فعلاتن، أي؟
- مخبونة
- مخبونة، ها! كِ وَطَرْفِي (حَبَطَقْطَقْ)= دددن دن، أي...
- مخبونة.
- مخبوطة؟
- مخبونة.
- مُطْرِقٌ= دن ددن، ترك الخبن...
- فاعلن.
- فاعلن؟
- فاعلا.
- فاعلا، ما "فاعلا" ما هذه؟
- محذوفة.
- محذوفةٌ فقط، غير مخبونة. بالمناسبة في كتب العَروض تجدون الناس يُسمون "فاعلا" هذه "فاعلن" -ولم يخطئ تماما من قال منكم: "فاعلن"- أما أنا فلا أسميها إلا "فاعلا"، لماذا؟ لكي أذكرك دائما أنها مغيرةٌ عن "فاعلاتن"، أما الذين يسمونها "فاعلن" فإنهم يقطعون صلتها بأصلها. وهذه الظاهرة في علم العَروض تسمى النقل، فما النقل إذن؟ هو التعبير عن التفعيلة بعد تشويه التغييرات لها، بكلمة غير مشوهة؛ فمثلًا تذكرون "مستعلن" المطوية في الرجز، ما معنى "مستعلن" هذه؟ يستغربونها، فيغيرونها إلى "مفتعلن"، وهما سواء: مستعلن= دن دددن، مفتعلن= دن دددن. وكذلك "مُتَفْعلن" في الرجز، ما معنى "متفعلن" في العربية؟ ما "متفعلٌ" في الكلام العربيّ؟ لا نعرفها، فيغيرونها إلى "مفاعلن"، وهما سواء: متفعلن= ددن ددن، مفاعلن= ددن ددن. وكذلك "فَاعِلْ" في المتدارك، يستغربونها، فيغيرونها إلى "فَعْلُنْ"، وهما سواء: فاعلْ= دن دن، فَعْلن= دن دن. ما اسم هذه الظاهرة؟
- النقل.

- النقل، فما النقل إذن؟ تغيير التعبير عن التفعيلة من رمزها المشوّه بالتغييرات، إلى كلمة أخرى لطيفة النطق مساوية الوزن. طيب، ما فائدة هذا النقل؟ تلطيف التعبير. وما مضرّته؟ قطع الصلة! نعم؛ ففي الوافر مثلًا ينقلون "مُفَاعَلْ" في عروض البيت وضربه، إلى "فعولن" استقباحا لما صار إليه رمز التفعيلة -ما معنى "مفاعل" هذه؟ مُفاعل نووي!- ويفرحون بلطافة "فعولن"، ويقطعون صلتها بـ"مفاعلتن" أصل "مفاعلْ"؛ فلا يصفون "فعولن" بالقَطْف الذي تُوصف به "مُفاعَلْ"، بل يقولون: سالمة، وهي في الحقيقة مغيرة، ها، ماذا تقولون في هذا الإفساد؟ نعم؛ ألم يقطع صلة صور التفعيلة الواحدة بعضها ببعض! وإذا قلتم في "فَعِلا": "فَعِلُنْ"، فبِمَ تصفونها؟ ستقولون مثلًا: مخبونة، وهي مخبونة محذوفة! فيا جماعة، فائدة نقل التفعيلة من صورة مشوّهة إلى صورة لطيفة سليمة، التخفيف على الناس، والتلطُّف بهم، والتحبُّب إليهم، لكن ما مضرة هذا؟ قطع صلتها بالأصل العَروضي؛ فلهذا لا أفعله أبدًا! على رغم قول ابن الروميّ من مُخلّع البسيط (أشهر صور مجزوئه، والبيت منه على "مستفعلن فاعلن متفعلْ"، مرتين) -وهذا من إغارة الشعراء على كلام العروضيين-:

"مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ فعولُ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ فعولُ

بَيْتٌ كَمَعْنَاكَ لَيْسَ فِيهِ مَعْنًى سِوَى أَنَّهُ فُضُولُ"!

يهجو، هذه قصيدة هجاء، يقول للمهجوّ: مُستفعلن فاعلن فعول -يشتمه بالتفعيلات- مستفعلن فاعلن فعولُ، يا ابن الـ...! حُزُوز (ألغاز) -أليس كذلك!- والمعنى في بطن الشاعر! لا، هذا في تفنّن الشاعر وارد، لكنه في علم العَروضي تفريط في الأصل الذي ينبغي أن يتمسك به. طيب!

نَجِلًا مِنْ= دددن دن، فعلاتن، مخبونة

أَمْسِكِ الْمُنْـ= دن ددن دن، هذا الغناء يأتيك بالجواب فورًا:

ـصَرِمِ= دددن، أي...

- مخبونة محذوفة

- مخبونة محذوفة، لكن انتبهوا -"لَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ"- كونوا على قلق، على حذر، لا تعمموا الأحكام، احكموا على كل بيت بما فيه، لأن الرجل سيُغيِّر، لن يلتزم هذا. **طيب! الآن ينبغي أن تشدوا دساتين أعوادكم، وأن تحموا... نعيد إذن: شدوا دساتين أعوادكم،**

وأحموا طبولكم ودفوفكم، واشربوا، واطربوا -قدمتم في الملفات بعض هذا الكلام على بعض، قلتم: شدوا دساتين أعوادكم، واشربوا، واطربوا، وأحموا طبولكم ودفوفكم! لا، هذا من تخريب الكلام، لا يجوز، هذا من تحريف الكَلِم عن مواضعه؛ فإحماء الطبول والدفوف مناسب لشد الدساتين، أما "اشربوا، واطربوا" فالمراد منهما ابتهجوا. ومن أجمل ما وجدته لكم أنكم فسرتم العبارة صراحة: أي ابتهجوا! هذا مقام البهجة، هذا مقام من مقامات البهجة، لا يجوز أن تكتئب- ولا يتقدمن عازفٌ عازفًا؛ فإن ظنّ أنه يحسن فإنه يسيء -كنتم في الملفات تقولون: فهو يسيء، خطأ، فإنه يسيء. أما العبارة الأخيرة فلم يخطئ فيها أحد قط- واجعَلوا النغمَةَ أكثرَ زُرقة! لماذا لم يخطئ فيها أحد؟ لأنها غريبة، لا نعرف لها معنًى أصلًا، فنقلتموها كما هي، والشيء إذا كان غريبًا حفظناه على هيئته حتى يجد من يفهمه؛ "رُبَّ حَاملِ فقه إلى مَن هُو أَفقَهُ منه"، واجعلوا النغمة أكثَرَ زُرقة! ها، أعيدوا.. أعيدوا البيتين ثم أضيفوا إليهما ما بعدهما، ها، معًا معًا!

- أُمتِي هَلْ= دن ددن دن

لَكِ بَيْنَ الْـ= دددن دن

ـأُمَمِ= دددن

مِنبَرٌ لِلسْـ= دن ددن دن

ـسَيفِ أَوْ لِلْـ= دن ددن دن

ـقَلَمِ= دددن

أَتلَقَّا= دددن دن

كِ وَطَرْفِي= دددن دن

مُطْرِقٌ= دن ددن

خَجَلًا مِنْ= دددن دن

أَمْسِكِ الْمُنْـ= دن ددن دن

ـصرِمِ= دددن

وَيَكَادُ الدَّمْـ= ×

- وَيَكَادُ الدَّمْـ= دددن دن دن، هذه أضافت إلى التفعيلة ما ليس منها، ما هذه العلاوة! "وَيَكَادُ الدْ"، هنا انتهت التفعيلة، لكنّها قالت: "وَيَكَادُ الدَّمْـ"، ما هذا؟ هذا دلالٌ لا أطيقه، أعيدوا!

- وَيَكَادُ الدْ= دددن دن

دَمْعُ يَهْمِي= دن ددن دن

عَابِثًا= دن ددن، فاعلا

بِبَقَايَا= دددن دن

كِبْرِيَاءِ الْـ= دن ددن دن

ـأَلَمِ= دددن

- أحسنتم!

- أَيْنَ دُنْيَا= دن ددن دن

كِ الَّتِي أَوْ= دن ددن دن

حَتْ إِلَى= دن ددن

وَتَرِي كُلْ= دددن

لَ يَتِيمِ النْـ= دددن

ـنَغَمِ= دددن

كَمْ تَخَطَّيْـ= دن ددن دن

ـتُ عَلَى أَصْـ= دددن دن

دَائِه مَلْـ= ×

- ها! ما هذا! نُعيد.

- كَمْ تَخَطَّيْـ= دن ددن دن

ـتُ عَلَى أَصْـ= دددن دن

دَائِه مَلْـ= دن ددن دن

- جميلة -ما شاء الله!- وكاملة، "دَائِه مَلْـ= دن ددن دن، فاعلاتن، سالمة"، شيء بديع جميل -والكمال لله!- "ـعَبَ الْعِزِّ= ددن دن د، مفاعيلُ، مكفوفة"، خرجنا من النطاق! فرحتم بـ"فاعلاتن"،

فتورطتم في فساد شِطرٍ كامل من البيت، فرحتم بتفعيلة واحدة، وضيعتم ثلاثًا! ثم كيف تستقيم "فاعلاتن"؟ والقصيدة كلها على "فاعلا" أو "فعلا"! هذا مضطرب مستحيل، ينبغي أن تحافظوا على غنائكم بأصول الغناء، أعيدوا!

- كَمْ تَخَطَّيْـ= دن ددن دن
- ـتُ عَلَى أَصْـ= دددن دن

دَائه= دن ددن

مَلْعَبَ الْعِزْ= دن ددن دن

ـزِ ومَغْنَى الشْـ= دددن دن

ـشَمَمِ= دددن

- ها، لحظة، يقلبون الصفحة، يا للعار، يا للعار! هل سمعتم بعازفين يستمهلون الجمهور: لحظة بَسْ نقلب الصفحة؟ مستحيل! ماذا يفعلون؟ كيف يفعلون؟ كيف؟
- لا يقرؤون من النوتة.
- لا، بل يقرأون من النوتة، لكن ماذا يفعلون؟ هل رأيتم أيديهم؟ في لمح البصر يقلبون الصفحة، لا يتعطلون أبدًا، مستحيل، أنا أراهم، أتابعهم، ها!
- وتَهَادَيْـ= دددن دن

ـتُ كَأَنِّي= دددن دن

سَاحِبٌ مِئْـ= ×

- سَاحِبٌ مِئْ - ما شاء الله!- لا يُلدغُ المؤمن من جُحرٍ مرتين، فاتهموا إيمانكم -من الذين أكملوا التفعيلة؟- تحتاجون إلى إصلاح النية، وإصلاح العمل، أعيدوا!
- وتَهَادَيْـ= دددن دن
- ـتُ كَأَنِّي= دددن دن

سَاحِبٌ= دن ددن

مِئْزَرِي فَوْ= دن ددن دن

قَ جِبَاهِ الْـ= دددن دن

ـأَنْجُمِ= دن ددن

أُمَّتِي كَمْ= دن ددن دن

غُصَّةً دَا= دن ددن دن

- مِيَةً خَـ= ×

- آه! سمعنا، سمعنا إضافة، ما هذه العلاوة! أعيدوا، ها!

- أُمَّتِي كَمْ= دن ددن دن

- غُصَّةً دَا= دن ددن دن

مِيَةً= دددن

خَنَقَتْ نَجْـ= دددن دن

ـوَى عُلَاكِ= دن ددن د

فِي فَمِي= دن ددن

- عندنا هنا شيء جديد أو وحيد في القصيدة، لم يحدث إلا هنا، من انتبه؟

- دن دددن.

- لا؛ "دن دددن" هذه في الرجز.

- دن ددن.

- لا؛ "دن ددن" حدثت قبل هذا، ها!

- دن دن دن.

- "دن دن دن"، لا، لا، بل هو كفٌّ "فاعلاتن" إلى "فاعلاتُ"، الذي لم يحدث إلا في هذا البيت: "ـوَى عُلَاكِ= دَنْ دَدن د، فَاعِلَاتُ، مَكْفُوفة"؛ دلّوني على بيت فيه هذا! سنكمل، إن شاء الله! ليس في القصيدة موضع كُفّت فيه "فاعلاتن" إلى "فاعلاتُ" إلا هذا الموضع؛ لهذا تستغربه، وتحس أنك تُريد أن تقول: "وى عُلاكي= دن ددن دن، فاعلاتن، سالمة"، لكن لا تستطيع أن تشبع ما لا يُشبع. ليس لك أن تقول: هذا كتابكِي قد أحضرته لكِي، لا، بل هذا كتابكِ قد أحضرته لكِ، لا تقول ما تقول في اللهجة: أنتي، لا، الذي في اللغة أَنْتْ، إذا وقفت، وأَنْتِ كذا، إذا

وصلت، لا يقول العرب: أنتي، وأنتا، لا يقولون، ربما كانوا يقولونهما في الجاهلية، لكن عندما نزل القرآن ثبَّت العربية على وضع. كيف نقول إذن؟

- أُمَّتِي كَمْ= دن ددن دن

غُصَّةٌ دَا= دن ددن دن

مِيَةٍ= دددن

خَنَقَتْ نَجْ= دددن دن

وَى عُلَاكِ= دن ددن د

فِي فَمِي= دن ددن

أَيُّ جُرْحٍ= دن ددن دن

فِي إِبَائِي= دن ددن دن

رَاعِف= دن ددن

فَاتَهُ الْآ= دن ددن دن

سِي فَلَمْ يَلْ= دن ددن دن

تَئِمِ= دددن

أَلِإِسْرَا= دددن دن

ئِيلَ تَعْ= ×

- ئِيلَ تَعْ، أعيدوا!

- أَلِإِسْرَا= دددن دن

ئِيلَ تَعْلُو= دن ددن دن

رَايَةٌ فِي= ×

- رَايَةٌ فِي، ما هذه العلاوة؟ أعيدوا!

- أَلِإِسْرَا= دددن دن

ئِيلَ تَعْلُو= دن ددن دن

رَايَةٌ= دن ددن

فِي حِمَى الْمَهْـ= دن ددن دن

ـدِ وَظِلِّ الْـ= ددددن دن

ـحَرَمِ= ددددن

كَيْفَ أَغْضَيْـ= دن ددن دن

ـتَ عَلَى الذُّلِّ= ×

- ـتَ عَلَى الذُّلِّ، ما هذه العلاوة؟ هذا دلالٌ لا أطيقه!

- كَيْفَ أَغْضَيْـ= دن ددن دن

ـتَ عَلَى الذُّلْـ= ددددن دن

ـلِ وَلَمْ= ددددن

تَنْقُضِي عَنْـ= دن ددن دن

ـكَ غُبَارَ التُّـ= دن ددن دن

ـهَمِ= ددددن

- اصبروا قليلًا أحدثكم عن هذا البحر حديثًا عاطفيًّا استطرادًا قبل أن ينقضي الوقت! هذا بحر الرمَل، بحرٌ قديم جدًّا، وهو أخو الرجز والهزج لأبٍ واحد وأم واحدة، تأملوا "فَاعِلَاتُنْ= دن ددن دن"، قلّبوا أجزاءها (قدّموا منها وأخروا): "عِلَاتُنْفَا= ددن دن دن، مفاعيلن" في الهزج، "تُنْفَاعِلَا= دن دن ددن، مستفعلن" في الرجز -ما شاء الله!- إخوة حقًّا، الرمل والهزج والرجز إخوة لأبٍ واحد وأمٍّ واحدة، تستطيع أن تعبر عن كل واحد بتقليب تفعيلات الآخر، وهذه تفعيلة الرجز "مستفعلن= دن دن ددن": "تَفْعِلُنْمُسْ= دن ددن دن، فَاعِلَاتُنْ"، و"عِلُنْمُسْتَفْ= ددن دن دن، مَفَاعِيلُنْ" -أرأيت!- فالهزج والرجز والرمل إذن إخوةٌ أشقاء، وكما قالوا في الرجز قالوا في الرمَل، قالوا: "فاعلاتن" هذه أصل التفعيلات، والرمل أصلُ البحور. حدثتكم في مسائل التقديم -أتذكرون؟- عن ذلك البدويّ الذي وقع من على ناقته في رحلة سفر القافلة، فانكسرت ذراعه، فصرخ:

"وَا ذِرَاعِي وَا ذِرَاعِي وَا ذِرَاعِي"!

ما "وا ذراعي"؟ فاعلاتن- يصرخ ويبكي؛ فطربت الإبل -تطرب للمصائب!- وانعطفت عليه! وهل تطرب الإبل؟ تطرب، وكذلك الغنم تطرب، أما سمعتم قولَ البدويّة المعاصرة: "رَعينَا الغَنَمْ وسُقناها، وكم بالعصا ضَربناها، لَقينا الغَنم، تحب الطرب، ولو تنشتَم، ولو تنضرَب"! اللهُ، اللهُ! ماذا قال البدويُّ القديم؟ قال: "لَنْ تَدَعَ الْعَرَبُ الشِّعْرَ حَتَّى تَدَعَ الْإِبِلُ الْحَنِينَ"، فربط بين الشعر ووجود الإبل حينما تحن إلى صغارها في معاطنها: ححححـ، هذا غناءُ الإبل، هذا شعرُ الإبل، لا تعرفون هذا طبعًا، تحضَّرتم ولم تعُد لكم بالإبل صلة! أما أنا فقد كان في دار جدي دائمًا جمل أو ناقة، فعرفتها، وركبتها، وجريت بها! ولا ريب في أنها تفرح بإيابها إلى صغارها في معاطنها. تأملوا: "لَنْ تَدَعَ الْعَرَبُ الشِّعْرَ حَتَّى تَدَعَ الْإِبِلُ الْحَنِينَ"، والإبل لا تدع الحنين، لأنه خِلقة فيها، فكأنه يقول: والشعر في العرب خِلقة، حياة أو موت، يا سلام على الكلام الجميل! هذا إذن بحر الرمَل، والرمَل سرعة، إذا خبنت تفعيلات البيت منه وكففتها أسرعت جدًّا جدًّا حتى كدت تتعثر وتنقلب؛ ولهذا تمنعك قوانين الزحاف، هذه التي استصعبت أن أُدَرِّسَها لكم: المُعاقبة والمُراقبة والمُكانفة، تضبط لك من الزحاف ما يجوز وما لا يجوز، لكيلا تتكاثر الحركات المتوالية تكاثرا يُعثّر الشاعر والمؤدي، فهمتم؟ دعوا عنكم حكاية القبيح والصالح والحسن؛ هذا شيء آخر، هو له به علاقة، لكن هذا شيء آخر يمنعك من أن تقع في القبيح، ما القوانين التي تحكمك لكيلا تقع في قبيح الزحاف؟ المُعاقبةُ والمُراقبةُ والمُكانفة، ما معناها؟ إذا كان كذا فلا تفعل كذا، إذا زاحفت كذا فلا تُزاحف كذا، يكفي هذا، لا تجمع بين هذا وهذا -أرأيت؟- هذه خلاصة حقيقتها، وهي رفيعة التخصص. طيب! هل بقي شيء من أمور الرمَل؟ بقي نقول: إنه كذلك من الأبحر المقربة إلى الرومانتيكيين (الرومانسيين)، تعرفون مدرسة أبولو مثلا، من أشهر شعرائها؟

- إيليا أبو ماضي.
- إيليا أبو ماضي مثلًا جميل -وإن كان في المُهَاجر- قريب من روح هذه المدرسة. منهم محمود حسن إسماعيل العظيم، هذا ابنُ كليتنا، وكذلك علي محمود طه المهندس -شاعرٌ مهندس من كبار الشعراء- وكذلك إبراهيم ناجي، الطبيب، شاعرُ الأطلال -كل هؤلاءِ يحبون الرمَل- ومن عشاق الرمَل هؤلاء أبو القاسم الشابيّ. نعم؛ أحسوا أنه بحرهم الذي يُعبّر عن الطبيعة والحياة والجمال وكذا، تجدون هذا كثيرًا في شعرهم، وكذلك قيل في شعر نازك الملائكة قبل أن تتحول إلى الحُر. طيب!

ننتقل الآن إلى العمل الفردي؛ فبمن نبدأ؟ بمن؟ سالمة، لأنني أحسست أنها لا تعزف معنا.

ابدئي بالحادي عشر، طمئنينا على القراءة، أسرعي لكيلا تتأخر!

- أَوَمَا كُنْتِ إِذَا الْبَغْيُ اعْتَدَى مَوْجَةً مِنْ لَهَبٍ أَوْ مِنْ دَمِ

- كنتُ -والله!- ثم قسَتْ قلوبنا!

- أَوَمَا كُنْـ= دددن دن

ـتِ إِذَا الْبَغْـ= دددن دن

ـيُ اعْتَدَى= دن ددن

مَوْجَةً مِنْ= دن ددن دن

لَهَبٍ أَوْ= دددن دن

مِنْ دَمٍ= دن ددن

- الله، جميل، جميل، كيف هذا، متى هذا، أنَّى هذا! ثم من؟ ذكّريني، سأحفظ -إن شاء الله!- الأسماء!

- مريم.

- مريم، تفضلي!

- كَيْفَ أَقْدَمْتِ وَأَحْجَمْتِ وَلَمْ يَشْتَفِ الثَّأْرُ وَلَمْ تَنْتَقِمِي

كَيْفَ أَقْدَمْـ= دن ددن دن

ـتِ وَأَحْجَمْتِ= ×

وَلَمْ= ×

- أعيدي، أعيدي!

- كَيْفَ أَقْدَمْتِ= ×

- خطأ، أعيدي!

- كَيْفَ أَقْدَمْـ= دن ددن دن

- أحسنت! هو هذا.

- ـتِ وَأَحْجَمْـ= دددن دن

- أحسنتِ!
- ـتِ وَلَمْ يَشْـ= ×
- خطأ، ما هذه العلاوة؟ أعيدي من الأول!
- كَيْفَ أَقْدَمْـ= دن ددن دن
ـتِ وأَحْجَمْـ= دددن دن
ـتِ وَلَمْ= دددن دن
- أحسنتِ!
- يَشْتَفِ الثَّأْ= دن ددن دن
رُ وَلَمْ= ×
- خطأ!
- يَشْتَفِ الثَّأْرُ= ×
- خطأ!
- يَشْتَفِ الثَّأْ= دن ددن دن
رُ وَلَمْ= ×
- خطأ! "يَشْتَفِ الثَّأْ= دن ددن دن"، "رُ وَلَمْ تَنْـ= دددن دن".
- يَشْتَفِ الثَّأْ= دن ددن دن
رُ وَلَمْ= ×
- لا، "يَشْتَفِ الثَّأْ= دن ددن دن"، "رُ وَلَمْ تَنْـ= دددن دن"، لكن فلنجرب وجهة نظرها: "يَشْتَفِ الثَّأْ= دن ددن دن"، "رُ وَلَمْ= دددن" -على رغم أن هذه "فعلا" فقط!- "تَنْتَقِمِي= دن دددن، مستعلن"، تفعيلة بحر رجز! عبث، ما هذا العبث!
- يَشْتَفِ الثَّأْ= دن ددن دن
رُ وَلَمْ تَنْـ= دددن دن
ـتَقِمِي= دددن
- أحسنتِ! هو هذا، أنوار!

- اِسْمَعِي نُوحَ الْحَزَانَى...
- نُوح!
- نَوح...
- أعيدي!
- اِسْمَعِي نَوْحَ الْحَزَانَى وَاطْرَبِي وَانْظُرِي دَمْعَ الْيَتَامَى وَابْسَمِي
- وَابْسِمِي. أظن أن بعض الناس يربط بين اسم سيدنا نوح والنواح، فلم تُبعِدي كثيراً!
- اِسْمَعِي نَوْ
  حَ الْحَزَانَى
  وَاطْرَبِي
- عزف سري، عزف سري، لا، لابُدّ أن يكون العزف من طبقة الغناء كما ترين في الأغاني المعروفة.
- اِسْمَعِي نَوْ= ددن ددن دن
- خطأ.
- اِسْمَعِي نَوْ= دن ددن دن
- أحسنتِ! هذا هو.
- حَ الْحَزَانَى= ددن ددن دن
- خطأ.
- حَ الْحَزَانَى= دن ددن دن
  وَاطْرَبِي= دن ددن
- جميل!
- وَانْظُرِي دَمْـ= ددن ددن دن
- خطأ!
- وَانْظُرِي دَمْـ= دن ددن دن
- أحسنتِ!

- عَ الْيَتَامَى= ددن ددن دن
- خطأ!
- عَ الْيَتَامَى= دن ددن دن
- أحسنتِ!
- وَابْسِمِي= ددن ددن
- خطأ!
- وَابْسِمِي= دن ددن
- أحسنتِ!
- حصلت أنوار على خمسٍ وعشرين، هناك ناس يحصلون على ممتاز، ولا يعرفون العَروض، ليست منهم أنوار -إن شاء الله!- لكنني أحذرها أن تكون منهم! هناك ناس يحصلون على ممتاز ولا يعرفون العَروض، متى يتورطون؟ في المواقف، فيما بعد يتورطون؛ فأنا أخاف عليها أن تتورط. كان عندنا أستاذ عظيم معروف، محمد أبو الفضل إبراهيم، محقق كامل المبرد وكذا وكذا، فتح عليه المحققون باب جهنم باقتراح أن يضيف إلى فهارسِ تحقيقاته الفهارسَ العَروضية! تورّط، قال: منهم لله! وكان يحصل على "ممتاز" في العَروض، ولا يعرف العَروض! هذه الطريقة التي نمارسها الآن، هي معرفة العَروض؛ فاتبعوها، والتزموها! ها، من؟
- منى.
- منى، تفضلي!
- وَدَعِي الْقَادَةَ فِي أَهْوَائِهَا تَتَفَانَى فِي خَسِيسِ الْمَغْنَمِ
- جميل!
- وَدَعِي الْقَا= دددن دن

دَةَ فِي أَهْ= دددن دن

وَائِهَا= دن ددن

تَتَفَانَى فِي= ×
- خطأ!

- تَتَفَانَى= دددن دن

فِي خَسِيسِ الْـ= دن ددن دن

ـمَغْنَمِ= دن ددن

- أحسنت، أحسنت! من؟

- راية.

- راية صاحبة الاسم الجميل، تفضلي!

- رُبَّ وَا مُعْتَصَمَاهُ

- نعم؟

- رُبَّ وَا مُعْتَصَمَاهُ

- معتَصَم؟ هو كان يُسمي نفسه المعتصِم بالله، أإذا ناديناه المعتصَم يجيب؟ لا يجيب! هذا مُحَمَّد، أإذا قلت: يا مُحِّمد يجيب؟ لا يُجيب! هذا المعتصِم، المعتصِم بالله، لا المعتصَم، وإن كان في "المعتصَم" معني جميل كذلك، ها "رُبَّ وَا مُعْتَصِمَاهُ"، اسمه المعتصِم، هذا اسمه، أعيدي!

- رُبَّ وَا مُعْتَصِمَاهُ انْطَلَقَتْ مِلْءَ أَفْوَاهِ الْبَنَاتِ الْيُتَّمِ

- جميل، خرِّجي!

- رُبَّ وَا مُعْـ= دن ددن دن

ـتَصِمَاهُ= ×

اِنْطَلَقَتْ= ×

- اِنْطَلَقَتْ، أعيدي!

- رُبَّ وَا= ×

- خطأ!

- رُبَّ وَا مُعْـ= دن ددن دن

ـتَصِمَاهُ انْـ= دددن دن

طَلَقَتْ= دددن، فعلا

- أحسنتِ، أكملي!

- مِلْءَ أَفْوَا= دن ددن دن

هِ الْبَنَاتِ الْـ= دن ددن دن

ـيتِمِّ= دن ددن، فاعلا

- جميل، بديع، بديع! في الآخر من؟ لا، في الآخر، ها، من؟

- حنان.

- حنان، تفضلي!

- لَامَسَتْ أَسْمَاعَهُمْ لَكِنَّهَا لَمْ تُلَامِسْ نَخْوَةَ الْمُعْتَصِمِ

- ما أكثر القادة طبعًا، وما أقل المعتصمين، ما أكثرَ القادة، والمُعتصِم واحد!

- لَامَسَتْ

- أين العزف؟ لا أسمع!

- لَامَسَتْ

أَسْمَاعَهُمْ

لَكِنَّهَا

لَمْ

تُلَامِسْ

نَخْوَةَ الْمُعْتَصِمِ

- والله! ما هذا؟ لا، لا، أعيدي!

- إحم، إحم!

- وهل سيغير "إحم، إحم"، من الموضوع! لن يغير من الموضوع شيئا! تتنحنح، وإذا ما تنحنح المُغني عرفنا أنه عنده مشكلة!

"فَلَمَّا الْتَقَيْنَا نَحْنَحَتْ -هو في أصله [جَلْجَتْ]- فِي حَدِيثِهَا وَمِنْ آيَةِ الصَّرْمِ الْحَدِيثُ الْمُنَحْنَحُ"!

ها!

- لَامَسَتْ

- خطأ! لَامَسَتْ أَسْـ= دن ددن دن

- لَامَسَتْ أَسْـ= دن ددن دن

مَاعَهُمْ= ×

- "مَاعَهُمْ لَـ(ا)"، عندنا هنا مشكلة اسم الجلالة نفسها، ما دندنتها؟ "دن ددن دن، فاعلاتن، سالمة". أين آخرها؟ الألف غيرُ المكتوبة، لـ(ا)كنها، هل نخدع بالكتابة؟ لا. تخيلوا أننا نكتب أي شيء باللاتينية، بأي شيء، لا يعنينا، الأمر أمر الأصوات فقط. أعيدي: لَامَسَتْ أَسْـ= دن ددن دن!

- لَامَسَتْ أَسْـ= دن ددن دن

مَاعَهُمْ= ×

- لا، مَاعَهُمْ لَـ(ا)!

- أَسْمَاعَهُمْ لَـ(ا)= ×

- لا، لا يجوز، سبحان الله! أين وقفنا؟ عند "أَسْـ"، نبدأ بما بعدها: "مَاعَهُمْ لَـ(ا)"!

- مَاعَهُمْ لَـ(ا)= دن ددن دن

كِنَّهَا لَمْ= ×

- لا، لا، "كِنَّهَا لَمْ"، طبعًا ستفرحين بها "كِنَّهَا لَمْ= دن ددن دن، فاعلاتن، سالمة"، لكن بعدها "تُلَامِسْ نَخْـ= ددن دن دن، مفاعيلن"، تفعيلة هزج، خطأ، كسر، نشاز! هي إذن "كِنَّهَا -فقط- دن ددن، فاعلا، محذوفة"، أكملي!

- كِنَّهَا لَمْ= ×

- خطأ، بعد كل هذا! "كِنَّهَا"، فقط، أكملي!

- كِنَّهَا= دن ددن

لَمْ= ×

تُلَامِسْ= ×

- خطأ، "لَمْ تُلَامِسْ، دن ددن دن

- لَمْ تُلَامِسْ، دن ددن دن

نَخْوَةَ الْـ= ×

مُعْتَصِمِ= ×

- خطأ، "نَخْوَةَ الْمُعْـ= دن ددن دن
نَخْوَةَ الْمُعْـ= دن ددن دن
- ـتَصَمِ= دددن
- لا، هذه ليست "تَصَمِ"، بل "تَصِمِ"! طيب! نريد منكِ وعدًا أن تجتهدي أكثر، اتفقنا، وعد؟
- وعد.
- والناس عند وعودهم! ها، من؟
- هاجر.
- هاجر، تفضلي!
- أُمَّتِي كَمْ= دن ددن دن
- صَنَمٍ مُجْـ= دددن دن
- ـجِدَّتِهِ= دن ددن
- أحسنت!
- لَمْ يَكُنْ يَحْـ= دن ددن دن
ـمِلُ طُهْرَ الصْـ= دددن دن
- ـصَنَمِ= دددن
- أحسنت، جميل! ثم من؟ من؟ لميس!
- لَا يُلَامُ الذْ= دن ددن دن
ـذِئْبُ فِي عُدْ= دن ددن دن
وَانِهِ= دن ددن
إِنْ يَكُ الرَّاعِي= ×
- خطأ! ابدئي من الأول، أعيدي!
- لَا يُلَامُ الذْ= دن ددن دن
ـذِئْبُ فِي عُدْ= دن دن دن

- خطأ، أخطأت العزف، ثم تعزفين بآلة حادة، لا بالممحاة، سبحان اللهْ! ما هذا؟ هذا عزف يريد أن يهرُب من العزف، ها!
- لَا يُلَامُ الذْ= دن ددن دن
ـذِئْبُ فِي عدُوْ= دن ددن دن
وَانِهِ= دددن دن
- وَانِهِ= دن ددن
- وَانِهِ= دن ددن
إِنْ يَكُ الرْ= ×
- خطأ، إِنْ يَكُ الرَّا= دن ددن دن
- إِنْ يَكُ الرَّا= دن ددن دن
عِي عَدُوَّ الْ= دن ددن دن
ـغَنَمِ= دددن
- من؟
- كاذية.
- كاذية، تفضلي!
- لَا يُلَامُ الذْ= دن ددن دن
- لا، أضيفي التاسع عشر!
- فَاحْبِسِي الشَّكْوَى فَلَوْلَاكِ لَمَا كَانَ فِي الْحُكْمِ عَبِيدُ الدِّرْهَمِ
- فَاحْبِسِي الشَّكْـ
- جميل!
- ـوَى فَلَوْ
- لا، ـوَى فَلَوْلَا= دن ددن دن
- فَاحْبِسِي الشْـ= ×
ـشَكْوَى= ×

- لا، فَاحْبِسِي الشَّكْ= دن ددن دن، "ـوَى فَلَوْلَا= دن ددن دن!
- فَاحْبِسِي الشَّكْ= دن ددن دن
ـوَى فَلَوْلَا= دن ددن دن
كِ لَمَا كَا= ×
نَ فِي الْحُكْ= ×
ـمِ عَبِيدُ الدْ= دددن دن
ـدِرْهَمِ= دن ددن
- فرصة، براحتك!
- ههه!
- إلى أين وصلنا، هذا الجهاز مُتعب، سبحان الله، فرصة! "فَاحْبِسِي الشَّكْ= دن ددن دن، فاعلاتن، سالمة"، "ـوَى فَلَوْلَا= دن ددن دن، فاعلاتن، سالمة"، "كِ لَمَا= دددن، فعلا، مخبونة محذوفة"، فقط، أكملي!
- كَانَ فِي الْحُكْ= دن ددن دن
ـمِ عَبِيدُ الدْ= دن دن دن
ـدِرْهَمِ= دن دددن
- أسقطت ضربة من هنا، وزدْتِها هنا! "ـمِ عَبِيدُ الدْ= دددن دن، فعلاتن، مخبونة"، "ـدِرْهَمِ= دن ددن، فاعلا، محذوفة"، فيصل!
- أَيُّهَا الْجُنْدِيُّ يَا كَبْشَ الْفِدَا يَا شُعَاعَ الْأَمَلِ الْمُبْتَسِمِ
- ها!
- أَيُّهَا الْجُنْ= دن ددن دن
- ـدِيَّ يَا= ×
- خطأ!
- أَيُّهَا الْجُنْ= دن ددن دن
ـدِيُّ يَا كَبْـ= دن ددن دن

ـشَ الْفِدَا= دن ددن

يَا شُعَاعَ الْـ= دن ددن دن

ـأَمَلِ الْمُبْـ= دددن دن

ـتَسِمِ= دددن

- أحسنت! عمر!

مَا عَرَفْتَ الْبُخْلَ بِالرُّوحِ إِذَا طَلَبَتْهَا غُصَصُ الْمَجْدِ الظَّمِي

- أحسنت، خرِّج بآلة حادة!
- مَا عَرَفْتَ الْـ= دن ددن دن

ـبُخْلَ بِالرُّو= دن ددن دن

ـحِ إِذَا= دددن

طَلَبَتْهَا= دددن دن

غُصَصُ الْمَجْـ= دددن دن

ـدِ الظَّمِي= ×

- "ـدِ الظَّمِي"! ـدِ الظَّمِي.
- ـدِ الظَّمِي= دن ددن
- أحسنت! "مِسعد يا تنور يا مجمع الزينات"، هذه أغنية شعبية -يا جماعة!- جميلة، أحبها جدًّا جدًّا، أغنية سورية شعبية، والتنور طبعًا الفرن، معروف، يجتمع حوله الناس البسطاء في القرى، جميل، مجلس جميل، مجلس الطَّهْو والخبز، فيغني يقول: "مِسعد يا تنور يا مجمع الزيادات"، مجمع الأحباب والناس الحلوين، هكذا نفعل في قريتنا؛ كان عندنا فرن في الشارع، وفرن في الدار، وفرن في كل غرفة من غُرف الدار! كتبت عن هذا قصتي "مهرجان الفرن الأكبر"، أعني فرن الشارع، وهو لابُدّ أن يقف عنده الناس جميعًا، ويُحيِّي بعضهم بعضًا، وإذا كان عندنا عرس نزلوا عنده، ومشوا على الأرجل إلى الدار، يا سلام! اقرأوا هذه القصة حصلت بها على جائزة القصة الأولى.
- ما اسمها؟
- اسمها "مهرجان الفرن الأكبر". مِسعد يا تنور يا مجمع الزينات، ها!

- بُورِكَ الْجُرْحُ الَّذِي تَحْمِلُهُ شَرَفًا تَحْتَ ظِلَالِ الْعَلَمَ
- خَرِّجَ!
- بُورِكَ الْجُرْ= دن ددن دن
حُ الَّذِي تَحْ= دن ددن دن
ـمِلُهُ= دددن
شَرَفًا تَحْ= دددن دن
ـتَ ظِلَالِ الْ= دددن دن
ـعَلَمَ= دددن
- جميل، لكن مع سرعة في بعض الأحيان! **عودوا إلى البيت الأول، ما قافيته؟ مضى الوقت، مضى الوقت، عندي شغل.**
- لِلْقَلَمَ.
- لماذا؟ قدمت لك ما تريد، وما الذي أريد؟
- أول ساكنين.
- آخرُ ساكنين، آخرُ ساكنين، أين هما؟ أين؟
- اللام.
- من الآخر إلى الأول: الياء غير المكتوبة، واللام، بينهما القاف المفتوحة واللام المفتوحة والميم المكسورة، وقبلهما اللام المكسورة. هي إذن "لِلْقَلَمِ"، لا تخدعوا بإيقاعها! سيخدعكم بعد قليل، ها!
- مُنْصَرِمِ.
- مُنْصَرِمِ، ها!
- ءَ الْأَلَمِ.
- ءَ الْأَلَمِ، ها!
- ـمِ النَّغَمِ.
- ـمِ النَّغَمِ، ها!

- ـنَى الشَّمَمِ.
- ـنَى الشَّمَمِ، ها!
- ـهِ الْأَنْجُمِ.
- انخدعتم! قلت لكم من قبل: لا تنخدعوا بإيقاع القافية، فربما اختل، تغير! هي "أَنْجُمِ"، ها!
- فِي فَمِي.
- فِي فَمِي، ها!
- يلْتَئِمِ.
- عاد "يلْتَئِمِ"، ها!
- ـلِ الْحَرَمِ، من الذي قال: وَظِلِّ الْحَرَمِ، لا -يا عمر!- بل "ـلِ الْحَرَمِ"، ها!
- ـرَ التُّهَمِ.
- ـرَ التُّهَمِ، ها!
- مِنْ دَمِ.
- مِنْ دَمِ، أرأيتم! لا تطمئنوا إليه، لا تسلموا له زمامكم، ها!
- تَنْتَقِمِي.
- تَنْتَقِمِي، ها!
- وَابْسَمِي.
- وَابْسَمِي، ها!
- ـسِ الْمَغْنَمِ.
- "ـسِ الْمَغْنَمِ"! خطأ، خدعك! "ـمَغْنَمِ"، فقط، ها!
- ـتَمِ.
- "ـتَمِ"! ما "ـتَمِ" هذه؟
- ـيتُّمِ.
- ـيتُّمِ، صحيح، ها!
- ـمُعْتَصِمِ.

- ـمُعْتَصِمِ، ها!
- ـرَ الصَّنَمِ.
- ـرَ الصَّنَمِ، ها!
- ـدَ الْغَنَمِ.
- أين "دَ الْ" هذه؟ أين "دَ الْ"؟ دلّني على "دَ الْ"، بل "ـوَ الْغَنَمِ"، ها!
- ـدِرْهَمِ.
- ـدِرْهَمِ، ها!
- ـمُبْتَسِمِ.
- ـمُبْتَسِمِ، ها!
- ـدِ الظَّمِي.
- ـدِ الظَّمِي، ها!
- ـلِ الْعَلَمِ.
- ـلِ الْعَلَمِ، أرأيتم؟ خدَّاعة، قافية خدَّاعة! **طيب، ما أقوى المكرّرات؟**
- الميم.
- طبعا، وما حركتها؟
- مكسورة.
- هل قبلها ألف أو واو أو ياء ساكنات؟
- لا.
- هل قبل الذي قبلها ألف؟
- لا.
- ما الذي بعدها؟
- ياء.
- ياء مد، هيا، أضيفوا بيانات القصيدة إلى بطاقتها الشخصية كما تفعلون في كل مكان، ها! هذه القصيدة...

- رملية الأبيات.
- رملية الأبيات، ما طول البيت؟ أتام أم وافٍ؟
- وافٍ.
- طبعًا وافٍ، لأن عندك بعض التفعيلات أصابها مثلًا حذف يستحيل أن يصيب غيرها، فهي غير متساوية، فهذه القصيدة إذن رملية الأبيات الوافية، ها!
- الصحيحة.
- كيف تصح؟ هل جاءت العَروض "فاعلاتن" مرة؟ هل جاء الضرب "فاعلاتن" مرة؟
- لا.
- فكيف إذن تذكر الصحة؟ لا سبيل إلى الصحة، لكن المشكلة هنا في خبنها مع حذفها، فقد وقع حينا، ولم يقع حينا، لهذا لن نذكره في التصوير، لأنه لم يلتزمه، فماذا نقول؟ المحذوفة العَروض والضَرب. ننتقل إلى القافية، ها؟
- ميمية.
- ميمية القوافي، ها!
- المكسورة.
- المكسورة، ها!
- الموصولة.
- الموصولة؟ بل قبل هذا!
- المجردة.
- المجردة، ها!
- الموصولة بالياء.
- الموصولة بالياء فقط -نعم- لأن هذه الياء لا تكون هنا إلا مدًّا أصلًا، فيكفي أن نقول: الموصولة بالياء. ممتع هذا -أليس كذلك!- ممتع أن نفك الخط هكذا، وأن نضيف هذه البيانات على حسب الظروف. ماذا قلتم على وجه العموم؟ هذه القصيدة...
- رملية الأبيات الوافية المحذوفة العَروض والضرب، ميمية القوافي المكسورة المُجردة الموصولة بالياء.

- بَارِكَ اللهُ فِيكُمْ، وشكرَ لكُمْ، وَأَحْسَنَ إِلَيكُمْ، والسَّلام عَلَيكُمْ!

الْمُنَادَمَةُ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ(١)

- **سلام عليكم!**
- وعليكم السلام!
- طبتم صباحا -يا أبنائي!- وطاب مسعاكم إلينا! بسم الله -سبحانه، وتعالى!- وبحمده، وصلاة على رسوله وسلاما، ورضوانا على صحابته وتابعيهم حتى نلقاهم، آمين! كيف حالكم، كيف أصبحتم؟
- بخير.
- لله الحمد والشكر، بارك الله فيكم -هذه نُقَلِّدُ فيها الشيخ حمودًا الصوافي- بارك الله فيكم، وشكر لكم، وأحسن إليكم، ويسر لنا ولكم كل عسير، وسهل كل صعب! اليوم نستمتع استمتاعا كبيرا جدا بقصيدة ملحمية، ننظر من خلالها في نمطين جديدين من الوزن ومن القافية، هي رائية أبي فهر محمود محمد شاكر، أستاذنا أستاذ الدنيا، الذي جلسنا إليه تسع السنوات الأخيرة من عمره، رحمه الله، وطيب ثراه! ولد سنة تسع، وتوفي سنة سبع وتسعين؛ عاش قريبا من تسعين عاما، وكان يحسب عمره بالهجري لا الميلادي، فبالهجري بلغ التسعين وتجاوزها، أما بالميلادي فمات في الثامنة والثمانين. كان معمرا كما ترون ببركة حرصه على صلة الرحم، وبركة بره بأهله وبأصحابه. رجل معروف بالعلم أكثر من معرفته بالشعر. تشرفت بأنني اتصلت به سنة تسع وثمانين، وبقيت إلى أن توفي سنة سبع وتسعين. وقد حاولت قناة الجزيرة الفضائية أن تعرفه للناس بفِلم رفعتُه على موقعي.

---

(١) رابط هذه المنادمة في قناتي اليوتيوبية:

https://www.youtube.com/watch?v=IyP١u٣A_fgI&list=PL٠_bvBmuM٥ySq٦hXNd٤GWcNFIUaI٤uqCM&index=١٤

وقد فرغتها منى عبد اللطيف، وراجعتها لها نورة محمد.



هذه -يا جماعة!- صورتي معه في مناقشة رسالتي للماجستير (١٩٩٣/٣/٢٧)، وكنت في تلك الأيام في العشرينيات، قريب العمر منكم، ولا حول ولا قوة إلا بالله -ههه!- وكان هو كما ترون -انظروا!- شيخًا كبيرًا، وعلى رغم هذه السن جاء قبل الوقت، وذهب بعده، لم يأت ليمر سريعا، لا، بل جاء قبل الوقت، وبقي الوقت كله، ثم مضى بعدما فرغنا من كل شيء. وهذا في الصورة معي عن يسار أستاذنا هو الدكتور محمد أشرف مبروك المشد، الأستاذ الآن بجامعة الإمام، كنا صغارا طبعا، وهذا الرجل خلفي هو الدكتور إبراهيم عبد المجيد ضوة، كان أستاذا هنا بالقسم، وأبَّنه القسم قريبا -أي أقام له حفل تأبين (ثناء على المتوفَّى) إكراما للمدة التي خدم بها القسم- وهذه السيدة خلفي هي أم فِهْر زوج أستاذنا، يَكْتَنِيان بفِهْر ابنهما الأستاذ الآن بقسم اللغة العربية من كلية الآداب بجامعة القاهرة، وكان حاضرا هذا المشهد، ولم يظهر في الصورة. سماه أبوه فِهْرا، وذهب ليسجله؛ فاستغرب الاسمَ أحدُ الموظفين المسلمين، واستنكره، وقدره كثيرا أحدُ الموظفين النصارى، بعدما ذكر لهما أستاذنا أن فهراً هذا هو قريش، وأستاذنا شريف النسب أبا وأما، يحفظ باسم ابنه نَسَبَه. وعلى رغم غرابة الاسم آنذاك سماه الناس بعده تقليدا له، كما سمَّوا اسم ابنته وحَبَّة قلبه "زُلْفى" -وعندكم "مسجد الزُّلْفى"- وليس له غيرهما، بارك الله فيهما وفي ذريّتهما! وهذا المكان في الصورة، هو مدرج "علي مبارك باشا" مؤسس كليتنا -وكان أحد كبار رجال مصر المعدودين،

في دولة أبناء محمد علي باشا الكبير- سمينا باسمه هذا المدرج إكراما لمن أنشأ كليتنا سنة اثنتين وسبعين وثمانمئة وألف -وانظروا إلى الزمان البعيد- لتكون أكبر من جامعة القاهرة بستة وثلاثين عاما، بنتا أكبر من أمها الجامعة التي تضمها، كانت قبلها تسمى كغيرها "مدرسة"، لا "كلية"! **وهذا فلم قناة الجزيرة "العلامة محمود شاكر.. ملامح من سيرته – مصر"[(1)]، فشاهدوا معي!** سنمر به سريعا إلى أن نصل إلى...، تأملوا الكلمة التي بدأ بها، "طريق الحرية شاق طويل، ولكنه وحده هو الطريق"، اختاروا هذه لتكون مفتتَح الفِلم! أين الصوت؟ أين الأصوات؟

- لا يوجد صوت!

- سبحان الله، آه! هذه الجزيرة الوثائقية، هذه الإسكندرية -يا جماعة!- هذه خادمتهم -تمثيل، هذا تمثيل طبعا- وهذا شاكر -ههه!- هذا الشيطان الذي سيقلب الدنيا رأسا لعقب. هذا الغناء القديم! في أوائل القرن موسيقى قديمة! هذا أبوه جاء ليراه، يمسك بمسبحة، لم يكونوا يستعملونها، لم يكونوا يستعملون المسابح، ليست من السُّنّة، استعمال المسابح ليس من السنة، الناس متمسكون إلى حد بعيد، هذا كلام فارغ حدث فيما بعد. من يومه كانوا يسمونه الفاتك، لأنه مدمر، هذا محمود محمد شاكر المدمر الفاتك، يسمونه الأديب الفاتك، فكم فتك بعلماء ونقاد سيئين مسيئين فسدة مفسدين في الأرض، وله في هذا كتابه "أباطيل واسمار"، تدمير، اكتساح، ما قام له شيء إلا أقعده. هذا الطفل المسكين، هذا الوالد -يا سلام!- تأملوا، يتكلم عن طفله، سماه محمود سعد الدين، ثم لما كره الأستاذ سعد زغلول، ذهب لحذف من اسمه "سعد الدين"، ههه! اقرؤوا هذه كلمة نجيب محفوظ: "خَشِيتُ الذَّهَابَ لِنَدْوَتِهِ، حَتَّى لَا تَتَأَثَّرَ لُغَتِي بِأُسْلُوبِهِ"، هذه معروفة عن نجيب محفوظ، طيب! هذا الغنيم الأستاذ الكويتي الكبير، يقول -اقرؤوا!-: "إِذَا كُنْتُمْ لَا تَعْرِفُونَ قِيمَةَ هَذَا الرَّجُلِ فَامْنَحُوهُ إِذْنًا بِالسَّفَرِ، وَسَنَحْمِلُهُ عَلَى رُؤُوسِنَا فِي الْكُوَيْتِ"! ونعم، حين كنت في مجلسه جاءه سلام أمير الكويت، ودخل علينا في مجلسه الدكتور عبد الله تركي الوزير السعودي، وظنني ابنه لما فتحت له الباب! وأستاذنا مُقدّر محبوب عند سماحة مفتي عمان الشيخ "أحمد الخليلي"، هذا رجل عظيم، اقرؤوا قول مالك بن نبي المفكر الجزائري العظيم: "لَوْ أَدْرَكَ الْجَاحِظُ زَمَانَهُ لَتَرَكَ لَهُ مَكَانَهُ"، ومالك بن نبي هذا رجل خطير جدا! وهذا بلال فضل الصحفي والإعلامي المصري،

(1) https://www.youtube.com/watch?v=LsNSoNW٥KgY

الذي نوافقه ونخالفه، يقول فيه وهو من واد غير واديه: "أَيُّ تَعْرِيف لِهَذَا الرَّجُلِ سَيُخِلُّ حَتْمًا بِعَظَمَتِهِ وَقَدْرِهِ"! صار أستاذنا بعد أستاذه مصطفى صادق الرافعي، يُلَقَّب عند المشتغلين بالعربية بشيخ العربية، مدرسة بعضها من بعض، تلميذ الرافعي الذي تمكن بعده في مكانه، وأفضى الأمر إليه بعده. أحب أن تنظروا إلى الأماكن، انظروا إلى المكتبة -يا جماعة!- البيت كله مكتبة، كله -وهو كبير- مكتبة من الأرض إلى السقف، إلا المطبخ والحمام فقط! الأماكن كلها والحجرات كلها -وهي كثيرة- والممرات، كل ذلك كتب، للواحد من الناس مكتبةٌ في بيته، أما أستاذنا فله بيتٌ في مكتبته! وأهم ما في هذه المكتبة أنه قرأ كل ما فيها، وهذا كالمستحيل طبعا، أكثرنا يحشد الكتب ولا يقرؤها، والدليل أنك إذا ما ذهبت إلى أي كتاب فأخذته وفتحته وجدت تعليقات أستاذنا على الحواشي، شيء كالمستحيل هذا، بركة، هذه بركة الوقت، كان أحيانا يعمل ثماني عشرة ساعة كل يوم! هذا ابنه الدكتور فهر. هذا هو الدكتور محمد أبو موسى أحد تلامذته، وهو الآن الفيلسوف البلاغي المعروف، عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر، يتكلم عن الشيخ محمد شاكر أبي أستاذنا، هذه عائلة شريفة -يا جماعة!- من آل أبي العلياء أشراف جرجا من محافظة سوهاج بصعيد مصر، عرب أقحاح طبعا، كان أبوه الشيخ محمد شاكر من طبقة شيخ الأزهر، أحد كبار مصر، يَفِدُ عليهم في بيته الكبراءُ والثوار والقادة من كل مكان شرقا وغربا وشمالا وجنوبا، وكما كان الأب كان الابن، وقد أدركت بعض هؤلاء دون بعض. هذا المجلس الذي يجلس فيه الدكتور فهر، صنعة أحد اليهود المصريين -انظروا!- هذه نجمة داوود -ولليهود كيان بمصر، وقد قلوا كثيرا بعد البغي الإسرائيلي، لعنة الله على الظالمين!- وقد حفر هذا اليهودي على الخشب عبارات من الأدب العالي -لا كما يفعلون هذه الأيام، يزخرفون بالحروف الأجنبية- عبارة "زِينَةُ الرِّجَالِ الْأَدَبُ"، وعبارة "زِينَةُ النِّسَاءِ الْجَوَاهِرُ وَالذَّهَبُ"! انظروا، هذا مكتبه، هذه كتب، كتب! وعلى الأرض كما نرى حقائب مغلقة، ماذا فيها؟ أشياء أخرى كثيرة لم يجد لها مكانا! وهنا بجوار مكتبه مكتبة دوارة، فيها لسان العرب بطبعة بولاق التي لا وجود لها الآن طبعا، وكل جزء في مجلد، وكل هذه المكتبة مجلدة باسمه، حفر على الجلد من تحت "أبو فهر محمود محمد شاكر"، بخط من؟ بخط سيد إبراهيم (سيد الخطاطين)! كتب، كتب، كتب حتى على باب البيت من داخل، فأما من خارج فعليه بطاقة نحاسية فيها اسمه الكريم بخط سيد إبراهيم

على النحو نفسه الذي عمَّمَه على أغلفة كتبه! هذه صورة أخيه الشيخ أحمد محدث العصر، أستاذه الذي علمه وكلفه في أوليته حفظ المتون وحدد له منها أوراد ما يحفظه: احفظ من هنا إلى هنا، ثم من هنا إلى هنا، افعل كذا ثم كذا ثم كذا- نعمة كبيرة طبعا. صورة من هذه؟ صورة مصطفى صادق الرافعي، أمير البيان الحديث. وهذا الدكتور حسام عقل، شاب جميل من جامعة عين شمس، يحسن الكلام. هذا تمثيلٌ للمشكلة التي حدثت بجامعة القاهرة حينما كان وهو العالِم الصغير طالبا في السنة الأولى بقسم اللغة العربية من كلية الآداب، يسمع طه حسين يدعي ما ليس له - وأصل ما يدعيه كذبٌ على العروبة والإسلام- فيقف له ملجِمًا بلجام جميل الدكتور طه حسين الذي شفع له في دخول قسم اللغة العربية وهو خريج القسم العلمي في الثانوية، لكنه كان يعرفه ويزور أباه فيمن يزوره، فشفع له عند صديقه أحمد لطفي السيد رئيس الجامعة! جلس مقيدا بإحسانه إليه، ثم ذهب إليه وحده يكلمه عبثا: يا أستاذ، هذا كلام مرجليوث لا كلامك! ثم لما وجد إصرار الدكتور طه حسين قام، فتكلم، فغضب منه الدكتور طه حسين، فترك له الجامعة وهو في السنة الثانية غير مأسوف عليها: هذه جامعة لا قيمة لها، ما دام الأساتذة فيها يكذبون ويدعون ما ليس لهم هذا الادعاء! وسقط في عينه معنى الجامعة، وكان في السابعة عشرة! يمثلون، انظروا إلى ملابس المصريين! هذا تمثيل الدكتور طه حسين وهو منزعج -هذا ممثل أستاذنا، شاب قريب الشبه، يقول: ما هذا الهراء، ما هذا العبث! الدكتور طه حسين أديب كبير، لكنه مُدَّعٍ مشغوف بإثارة الانتباه وتفجير الساحة وقلب الدنيا المستقرة، هكذا كان طوال عمره، هذه أسلوبه في تحريك الساحة الثقافية- فلما وقف وقال له ذلك الكلام وفيه يده المجلة الأجنبية التي فيها مقال مرجليوث نفسه، أحرجه، وأضحك عليه زملاءه! ماذا نريد الآن؟ نريد أن نصل إلى حفل كان ببيته. هذا المتكلم عن أستاذنا الآن رجل عظيم -يا جماعة!- فاعرفوه، وابحثوا عنه! كنت أريد أن يأتي إلى قسمنا هنا، اسمه الدكتور إبراهيم عوض، أستاذ بجامعة عين شمس، درس بأوربة، وأحاط بالنقد والأدب من أطرافه، رجل عظيم، قلت له: ما رأيك في أن تأتي عُمان؟ قال: أنا مستعد، واستبشَر! لم أره إلى الآن، ولا علاقة لي به أصلا، عرفته بالإنترنت فقط، وقدَّرت ما عرفته عنه، فرجوت أن يكون هنا، لولا جدول الاستقطاب الصارم! علاقتهم بالكبار، الكبار طبقة واحدة، طبقة واحدة. ما هذا؟ يا سلام! هذا شعر من شعره:

"ولَسْتُ أَبُوحُ بِمَا قَدْ كَتَمْتُ وَلَوْ حَزَّ فِي النَّفْسِ حَدُّ الأَلَمْ
تُمَزِّقُنِي مَا حَيِيتُ الْمُنَى فَأَرْقَعُ مَا مَزَّقَتْ بِالظُّلَمْ
فَكَمْ كَتَمَ اللَّيْلُ مِنْ سِرِّنَا وَفِي اللَّيْلِ أَسْرَارُ مَنْ قَدْ كَتَمْ"!

لكن هذا الخط أحسن من خط الأستاذ محمود، خط الأستاذ محمود سيئ! ما هذا؟ تأملوا الطباعة القديمة، هذه الطباعة بالحجر. حين كان أستاذنا صغيرا كتب كتابا عن المتنبي فقلب به الدنيا رأسا لعقب! أعرف هذه السيدة سامية أبو زيد، مهندسة أديبة من شباب الأقارب. انتبهوا! من هذا؟ من يعرف هذا؟ هذا الأستاذ يحيى حقي الأديب العظيم -وهو تركي الأصل!- يسلم عليه رجل سأدرس لكم أحد نصوصه فيما يأتي من هذه المحاضرات، هو الدكتور عبد اللطيف عبد الحليم، يعرف له نفسه، فيحييه. من هذا؟ هذا أستاذ الأندلسيات الدكتور محمود مكي، يسلم عليه، اسمعوا ما يقول له باللهجة المصرية: "اسْمَحْ لِي أَمَلِّسْ عَلَيكْ"! كأنه مقام من مقامات الصالحين، يرى الأستاذَ يحيى حقي كمقام إبراهيم مثلا -ها!- يريد أن يتمسح به تبركًا، ههه! وهذا الدكتور محمود محمد الطناحي العالم الكبير يقدم له نفسه، فرحوا بحضور يحيى حقي كثيرا! وهذا أحد تلامذة الأستاذ. يلتقي في بيته العرب والعجم، مسلمين وغير مسلمين؛ بيته مفتوح لهم جميعا، يجلسون ويأكلون ويقرؤون ويكتبون، ومن شاء أقام في البيت، لكنه لا يقبل أن يُخرِج كتابا من المكتبة، من أراد فليذهب وليقم، أما أن يأخذ كتابا فلا! هؤلاء من الكويت، هذا الرجل كويتي، أنتظر عبارة معينة قالها الأستاذ يحيى حقي! هذا مقعد أستاذنا في الصدر هنا، لا يغيره، والكتب كما ترون في كل مكان، والباب من هنا، يدخل منه الزوار، ليتحلقوا هنا حول أستاذنا. هذا رجل كبير كذلك عظيم، الدكتور حسين نصار، توفي قريبا، أستاذ كبير جدا. اسمعوا كلام الأستاذ يحيى حقي عن أستاذنا -اسمعوا!-: "لأَوَّلِ مَرَّةٍ أَسْمَعُ مِنْ مَحْمُودٍ أَنَّ الْحَرْفَ الْعَرَبِيَّ لَهُ مَعْنًى، وَيَجِبُ أَنْ يَتَبَصَّرَ بِهِ الْكَاتِبُ وفِي كِتَابَتِه، ثُمَّ قَرَأْتُ عَلَيْهِ كَثِيرًا مِنَ الشِّعْرِ الْجَاهِلِيِّ وَالْعَبَّاسِيِّ وَالأُمَوِيِّ وَالْمُعَاصِرِ، مَا هُوَ جِدٌّ وَمَا هُوَ هَزْلٌ، وَكَمْ ضَحِكْنَا ضَحِكًا شَدِيدًا! مَحْمُودْ شَاكِرْ شَاعِرٌ لَا تَدْرِي لِمَاذَا لَمْ يَنَلْ حَقَّهُ مِنَ الذِّكْرِ كَشَاعِرٍ إِلَى الْآنَ"! **الآن نقف: سنعطيه حقه -يا أستاذ!- نحن هنا لنعطيه حقه بالنظر معا في هذه الملحمة!** هذه القصيدة من أربعة ومئة بيت، قبل ربع قرن حينما كنت هنا في الزمان الأول، قرَّرتها هي فقط بدل كتاب المتطلب، على طلاب هذه الجامعة، ومنهم

طلاب الهندسة والطب والعلوم والتجارة والزراعة وغيرهم، قررتُها وكنا ننظر فيها صوتا وصرفا ونحوا ومعجما ودلالة وبلاغة وغير ذلك، وأوجبتُ عليهم حفظها، لحفظوها وهي أربعة ومئة بيت! وما زال الشباب يسمعون تلك الحكاية ممن يلقونه من أولئك الطلاب! نعم، درستُ قريبًا لنوح اللويهي وزملائه -لعلكم تعرفونه!- فجاءني يحكي عن أخيه الطبيب الذي كان في أولئك الطلاب الذين درستُ لهم القصيدة وأوجبت عليهم حفظها، أنهم مازالوا يذكرون تلك الأيام الطيبة، وأنهم استوعبوا آنئذ الأمر، وقدروه، على رغم أننا ألغينا الكتاب كله، واكتفينا بالقصيدة طوال المقرر، لا ننظر إلا فيها، ولا نتكلم إلا عنها! هذه القصيدة "اعصفي يا رياح"، وقد خرج بها وبغيرها معها بعد وفاة أستاذنا -رحمه الله، وطيب ثراه!- كتاب باسمها، "اعصفي يا رياح وقصائد أخرى"، فابحثوا عنه على الإنترنت! يكفيكم أنهم سمَّوا الكتاب باسمها تقديرا لها! اسمعوا الكلام الجميل، وهي كما قلت لكم أربعة ومئة بيت، مقسمة على مقاطع، المقطع ثلاثة عشر بيتا، اخترت لكم منها مقطعين، أي ستة وعشرين بيتا، وهو حريص في آخر كل مقطع على إيراد حكمة يغلق بها دائرته، فتأملوا ماذا يريد هذا الرجل؟ أنا أدعي أنه يتتبع مسيرة الإنسان منذ أن نزل إلى الأرض إلى وقته حتى تقوم الساعة. طيب، ما هذه الرياح؟

١) "انْظُرِي يَا رِيَاحُ يَا وَحْشَةَ الطَّرْفِ إِذَا دَارَ يَمْنَةً أَوْ يَسَارَا

٢) مَا الَّذِي تُبْصِرِينَ أَشْبَاحَ فَانِينَ مِرَارًا تُرَى وَتَخْفَى مِرَارَا

٣) وُجِدُوا ثُمَّ أَوجدُوا ثُمَّ بَادُوا وَاحْتَذَى نَسْلُهُمْ فَزَادَ انْتِشَارَا

٤) وَتَمَادَى الْبَقَاءُ فِيهِمْ دَوَالِيْكَ فَشَيْءٌ بَدَا وَشَيْءٌ تَوَارَى

٥) أَوْغَلُوا فِي الْحَيَاةِ جِيلًا فَجِيلًا وَتَجَلَّى طَرِيقُهُمْ وَأَنَارَا

٦) فَمَضَوْا يَبْدَعُونَ فِي حَيْثُ حَلُّوا وَتَبَارَوْا حِضَارَةً وَابْتِكَارَا

الحِضارة بكسر الحاء، علم الحَضارة.

٧) مَا كَفَاهُمْ مَا بَلَغُوا فَاسْتَطَالُوا ثُمَّ خَالُوا فَأَسْرَفُوا إِصْرَارَا

ما "استطالوا"؟ تكبَّروا. و"خالوا" اختالوا.

٨) شُغِفُوا بِالْخُلُودِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا فَأَعْطَتْهُمُ الْخُلُودَ الْمُعَارَا

خدعتهم!

٩) عَمَرُوا الْأَرْضَ زِينَةً وَمَتَاعًا ثُمَّ نُودُوا كَفَى الْبِدَارَ الْبِدَارَا
أسرعوا، أسرعوا، حانت الساعة، دقت الساعة المتعبة!
١٠) ثُمَّ مَرُّوا أَشْبَاحَ فَانِينَ مَا تَمْلِكُ فِي حَوْمَةِ الزَّوَالِ قَرَارَا
نحن جميعا أشباح فانين؛ كيف نستقر في الزوال، كيف! "كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ"، صدق الله العظيم!
١١) لَمْ يَكُنْ غَيْرَ خَطْفَةِ الْبَرْقِ إِذْ تَبْنِي وَتُعْلِي وَلَمْ يَكَدْ فَانْهَارَا
كل ما أسسوه لم يكن غير خطفة البرق إذ تبني وتعلي، في لحظة تجد البرق يكنس السماء من شرقها إلى غربها، ويختفي!
١٢) ذَهَبَتْ رِيحُهُم وَهَبَّتْ رِيَاحٌ فَأَقَامَتْ عَلَى الْقُبُورِ الدِّيَارَا
في قريتنا كانوا يهيئون مكانًا ما، فانهارت الأرض، فإذا تحت المكان قبور قديمة لم يعرفوها! صدق حكيم المعرة إذن:
"خَفِّفِ الْوَطْءَ مَا أَظُنُّ أَدِيمَ الْأَرْضِ إِلَّا مِنْ هَذِهِ الْأَجْسَادِ"!
أي كل ما تدوسونه من الأرض قبور سابقة، ها! ولْتتأملوا ختام المقطع:
١٣) ضَلَّ هَذَا الْإِنْسَانُ يَكْدَحُ لِلْخُلْدِ وَأَقْصَى الْخُلُودِ كَانَ فَصَارَا
ها!
"كَأَنَّمَا قَدْ قِيلَ فِي مَجْلِسٍ قَدْ كُنْتُ آتِيهِ وَأَغْشَاهُ
صَارَ الْبَشِيرِيُّ إِلَى رَبِّهِ يَرْحَمُنَا اللَّهُ وَإِيَّاهُ"!
بينما يراه الناس في مجلسهم ويعجبون له، يموت فجأة فيقولون في المجلس نفسه: رحمه الله، وألحقنا به على خير!
١٤) انْظُرِي يَا رِيَاحُ ذَا الْقَبَسُ الْوَهَّاجُ قَدْ رَاوَغَ الْفَنَاءَ اقْتِدَارَا
- ما القبس الوهاج؟ إذا تكلمنا عن الإنسان، فما القبس الوهاج فيه؟
- العقل.
- عقله، أحسنت!
١٥) عَاشَ تَحْتَ الْأَطْبَاقِ دَهْرًا فَدَهْرًا يَتَلَوَّى بِثِقْلِهِنَّ انْبِهَارَا

ما هذه الأطباق التي على العقل؟ أطباق الجهل -ها!- بعضها فوق بعض، "إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ"، صدق الله العظيم!

١٦) كُلَّمَا رَامَ مَنْفَذًا رَدَّدَتْهُ فِي ظَلَامِ الْأَعْمَاقِ يَعْنُو صَغَارَا

رددته هذه الأطباق!

١٧) لَمْ يَزَلْ دَائِبًا يُنَقِّبُ مُلْتَاعًا وَيَحْتَالُ فِي صَفَاهَا احْتِفَارَا

ما الصفا؟ الصخر. يحتال في هذا الصخر حفرا حفرا، تُرى عن أي شيء يبحث؟

١٨) صَدَعَ الصَّخْرَةَ الْمُلَمْلَمَةَ الْكُبْرَى وَأَسْرَى حَتَّى نَمَا فَاسْتَطَارَا

و"أَسْرَى" هذا مطلوب، أسرى أي سار ليلا، فهي مناسبة لظلمة الجهل! ما هذه الصخرة الململمة الكبرى؟ لقد اخترق الإنسان في سعيه بعض الحواجز من غير شك، فالآن اخترق حجاب الصوت، وحجاب كذا، فسار في ليل الجهل هذا حتى نما فاستطار أي انتشر، ورأى نورَه هذا العقلُ!

١٩) وَرَأَى نُورَهُ فَجُنَّ مِنَ الْفَرْحَةِ أَعْمَى رَأَى الظَّلَامَ نَهَارَا

"رأى" أفضل أن يكون من إخوة "ظن"، بمعنى "علم"، وهكذا رأى الظلام، أي علمه، تيقن به، هكذا عَدَّه، وهذا طبعا من مخدوعيَّته وجهله وتسرعه! قبل قرن من الزمان سُئل أحد الحاصلين على نوبل: كم صرنا نعرف عن العالم؟ فقال: تسعين من المئة. ما شاء الله، أنجَزنا، وأوشكنا! وبعد عشرين عامًا من البحث والعلم سئل آخر، فقال: سبعين من المئة! بعدما ازددنا علما صرنا نعرف سبعين، وبعد عشرين سئل آخر، فقال: خمسين! بعدما ازددنا علما صرنا نعرف أقل، تأملوا الانعكاس -ههه!- حتى سئل أخيرًا أحمد زويل العالم المصري الحاصل على نوبل، فقال: خَمْسًا من المئة! وأنا أتوقع أنه لو سئل الآن أحد الحاصلين على نوبل، لقال: صِفْرًا، لا شيء، ولو سئل بعد عشرين، لقال: أقل من الصِّفر بكذا، إلى أن نصل إلى الحضيض طبعا! نعم، كنت تظن أنك تعرف، فلما اكتُشفت مليارات المجرات -والمجرة نفسها مليارات النجوم والكواكب- تَبيّن لك أنك أجهل مما كنت، وصدق الشافعي الإمام -رضي الله عنه!-:

"كُلَّمَا أَدَّبَنِي الدَّهْرُ أَرَانِي ضَعْفَ عَقْلِي
وَإِذَا مَا ازْدَدْتُ عِلْمًا زَادَنِي عِلْمًا بِجَهْلِي"!

ولهذا تقل النسبة، ولكن هيهات أن تحترم نفسك أيها الإنسان المغرور:

"عَزَّ عِلْمُ الذَّوْقِ أَنْ يَعْرِفَهُ عَالِمٌ جَانَبَنَا مَا احْتَرَمَا "!

أو كما قال ابن عربي. رأى نوره هذا العقل، فجُن من الفرحة، مسكين، أعمى، رأى الظلام نهارا، فماذا فعل؟ جلس يكلم نفسه المسكين، كأنه مجنون!

٢٠) أَيُّ شَيْءٍ هَذَا ومَا ذَاكَ بَلْ هَذَا وزَاغَتْ لحَاظُهُ اسْتِكْبَارَا

٢١) قَدْ رَأَى عَالَمًا مَهُولًا مِنَ الْمَجْهُولِ غَشَّاه نُورُهُ فَاسْتَنَارَا

٢٢) لَيْسَ يَدْرِي أَهُمْ عِدًى أَمْ صَدِيقٌ أَيُبِينُونَ لَوْ أَرَادَ حِوَارَا

صاروا يتكلمون عن كائنات أخرى في كواكب، منهم ستيفن هوكنج، عالم الفيزياء الإنجليزي، الذي توفي حديثا، الذي قال: "طبعًا هناك كائناتٌ أخرى، وهي أكثرُ مِنّا تطورًا، وليس مِنَ المصلحة أن نَتَّصل بها لكيلا نَهْلِكَ"، هكذا رأى!

٢٣) أَمْ صُمُوتٌ لَا يَنْطِقُونَ ازْدِرَاءً لِغَرِيبٍ عَنْهُمْ أَسَاءَ الْجِوَارَا

تظل تنقب في الجبل والجبل صامت طبعا، لا يتكلم، لأنك مقتحم عليه، متطفل!

٢٤) وَاغِلٌ يَعْتَدِي يُسَائِلُ عَنْ أَسْرَارِ خَلْقٍ أَجَلَّ مِنْ أَنْ تُثَارَا

من الواغل؟ الذي يقتحم على الناس شرابهم من غير أن يعرفوه، يكونون في مجلس القهوة، فيدخل عليهم، ويجلس يَتَقَهْوَى، فيسأله أحدهم: أتعرف منا أحدًا؟ فيقول: أعرف هذه، يشير إلى القهوة، ههه! هكذا فعل أشعب الطماع، اقتحم على المتطاعمين، فسألوه ذلك السؤال نفسه، فقال: أعرف هذا، يشير إلى الطعام! ولو أطال لقال: معرفة قديمة، هو من أعز أصدقائي، نحن أهل، يعرفني وأعرفه حق المعرفة! فما اسم الذي يقتحم على الناس شرابهم إذن؟

- واغِل.
- والذي يقتحم عليهم طعامهم وارِش، على ما أذكر، وهو مشهور بالطُّفَيْلِيّ، فلان هذا طفيلي -ومنه المُتَطَفِّل- نسبة إلى طُفَيْل، رأس هذه الطائفة، الذي اشتهر بالحضور دون دعوة حتى سمي طُفَيْلَ الأعراسِ، نسبة إلى الأعراس التي يحضرها دون دعوة، فرصة أن يأكل -ما شاء الله!- والناس كلهم سعداء لا يلتفتون إليه، يظنه أهل كلا العروسين من أهل الآخر، منتهى الذكاء! وقد استفاد من هذه الفكرة أحد المعاصرين، فقدم بها فِلمًا عن رجل يحضر الأعراس دون دعوة، ويلتهم من

أطيب الطعام، فيقول أهل كلا العروسين ممتعضين: انظروا إلى جشع هذا الرجل من أصهاركم! وهو مشغول بالطعام عن هؤلاء وهؤلاء، شيطان!

٢٥) كَيْفَ غَرَّتْهُ نَفْسُهُ كَيْفَ ظَنَّ الْغَيْبَ يُلْقِي لِثَامَهُ وانْخِمَارَا

يا للمغرور المسكين! كيف توقع بضآلة ما عرف، أن الغيب ينكشف!

٢٦) أَمَلٌ بَاطِلٌ فَلَوْ أَسْفَرَ الْغَيْبُ لَأَعْمَى بِنُورِهِ الْأَنْوَارَا

ماذا قال سيدنا موسى -عليه السلام!- لربه، سبحانه، وتعالى؟ قال: "رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا"، صدق الله العظيم!

- في بعض القراءات "دَكَّاءَ"، بالهمزة الممدودة.
- "دَكَّاءَ"، صفة طبعا، و"دَكًّا" اسم -أحسنت، بارك الله فيك!- وفي كلٍّ معنى لطيف، فسيدنا موسى سأل ما ليس له، فتلطف به ربه، والمسلمون طبعا مختلفون في مسألة الرؤية، وهذا كله يؤكد الفكرة. "أَمَلٌ بَاطِلٌ"، ما هذا الأمل؟ أن تعرف الغيب الذي لا ينكشف، "فَلَوْ أَسْفَرَ الْغَيْبُ لَأَعْمَى بِنُورِهِ الْأَنْوَارَا"، لخررنا مغشيا علينا، لو نزل علينا الآن أحد الكائنات الأخرى التي تخيلها ستيفن هوكنج، لخررنا جميعا مغشيا علينا، ماذا قال ربنا، سبحانه، وتعالى؟ "لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ"، صدق الله العظيم! **طيب! قصيدة جميلة جدا، وهذا غيض من فيضها، فمن ينافس على خمس درجات زيادة أو نقصا؟** قلت هذا في المحاضرة السابقة، فقال مسعود: أو طردا -تأملوا بلاغة العطف!- فضحكتُ، ثم أَتَحْتُ له الفرصة، فطُرِدَ في الآخر، جنى على نفسه! يا أخي، تفاءل -سبحان الله!- "تَفَاءَلُوا بِالْخَيْرِ تَجِدُوهُ"! تشاءم بالطرد، فطُرد، تَعَثَّر في شيء فطُرِد، وحصلت كاذبة على خمس درجات كاملة! من ينافس؟ لا أحد، ها! ننتقل إلى المجانية، أنتم أحرار، أين الجرأة؟ ريان غير جريئة، خوافة، الآن ننتقل إلى الأداء المجاني من غير فلوس.
- أنا أنافس!
- تنافسين!
- نعم.

- على خمس درجات زيادة أو نقصا أو طردا! تفضلي ريان، لا تنطقي، يا أسماء! ريان ممتازة طبعا، هي في نفسها ممتازة، قد عرفناها، ها!
- أُنْظُرِي يَا رِيَاحُ يَا وَحْشَةَ الطَّرْفِ يَا دَارَ يَمْنَةً أَوْ يَسَارَا
- نعم، نعم! مع السلامة، نقص خمس درجات! والله! عندك مشجعون من الشباب، عندك ناس!
- دكتور، أعطها فرصة!
- لا!
- ما زالت في البداية!
- لا!
- خذ من درجاتنا!
- والله! ما شاء الله! منتهى الـ... كذا! ها، ماذا تختارين؟ نقص خمس درجات؟
- أن أعيد.
- تعيدين! إذا أخطأت خطأ نقصتك عشر درجات! خوافة.
- الطرد!
- الطرد! ما شاء الله، عندك شعبية عند الشباب -ههه!- أعيدي، وأكملي، أخطئي!
- أُنْظُرِي يَا رِيَاحُ يَا وَحْشَةَ الطَّرْفِ إِذَا دَارَ يَمْنَةً أَوْ يَسَارَا
مَا الَّذِي تُبْصِرِينَ أَشْبَاحَ فَانِينَ مِرَارًا تُرَى وَتَخْفَى مِرَارَا
وُجِدُوا ثُمَّ أَوْجَدُوا ثُمَّ بَادُوا وَاحْتَذَى نَسْلُهُمْ فَزَادَ انْتِشَارَا
وَتَمَادَى الْبَقَاءُ فِيهِمْ دَوَالِيكَ...
- "دَوَالِيكَ"! مع السلامة! أَنْصَفْنَا -ها!- قد أَنْصَفْنا، تقول "دَوَالِيكَ"، ما "دَوَالِيكَ" هذه! هندية! "دَوَالَيْكَ"، مثل "حَنَانَيْكَ"، و"لَبَّيْكَ"، و"سَعْدَيْكَ"، بالتثنية، مفعول مطلق. ها، ماذا تختارين؟
رأت كلامنا وتقديرنا لمن يجلس ويقبل أن ينقص منه خمس درجات؛ فهي الآن في عذاب -ههه!- تقول: ماذا أفعل، يا ربي؟ هذا الوضع مقدر تقديرا كبيرا، ولكنني أخاف أن تنقص مني خمس درجات.
- لن أخاف.

- نقص خمس درجات مع التقدير الشديد -"وماذا سأستفيد بتقديرك - كأنها تقول، ههه!- تقديرك لا قيمة له!- ريان، ناقص خمس درجات، وأنا في هذه الأمور لا تراجع ولا استسلام. تجدين في آخر المطاف بعد تقديرك الممتاز تقدير جيد -أَبْعَدَ كل هذا العذاب!- وبالعكس تجدين بعد تقديرك الجيد تقدير ممتاز -كيف وقد أخطأتُ!- نفعتك الدرجات التي حصلتِها! كان عندي محمد الشحي، كاد يرسب لولا فائدة مثل هذه الدرجات المضافة! ها، من؟ من؟ ها! بالفلوس، بالفلوس، لا أحد! من؟ خوافون، ها، يوسف!

- نعم.

- اقرأ مجانا!

- أُنْظُرِي يَا رِيَاحُ يَا وَحْشَةَ الطَّرْفِ إِذَا دَارَ يَمْنَةً أَوْ يَسَارَا
مَا الَّذِي تُبْصِرِينَ أَشْبَاحَ فَانِينَ مِرَارًا تُرَى وَتَخْفَى مِرَارَا
وُجِدُوا ثُمَّ أَوْجَدُوا ثُمَّ بَادُوا وَاحْتَذَى نَسْلُهُمْ فَزَادَ انْتِشَارَا
وَتَمَادَى الْبَقَاءُ فِيهِمْ دَوَالَيْكَ فَشَيْءٌ بَادَ وَشَيْءٌ تَوَارَى

- هذه خمس درجات ضاعت -ههه!- "فَشَيْءٌ بَادَ"! فَشَيْءٌ بَدَا، ها!

- وَتَمَادَى الْبَقَاءُ فِيهِمْ دَوَالَيْكَ فَشَيْءٌ بَدَا وَشَيْءٌ تَوَارَى

- ها!

- أَوْغَلُوا فِي الْحَيَاةِ جِيلًا فَجِيلًا وَتَجَلَّى طَرِيقُهُمْ وَأَنَارَا
فَمَضَوْا يُبْدِعُونَ فِي حَيْثُ حَلُّوا وَتَبَارَوْا حِضَارَةً وَابْتِكَارَا

- "وَتَبَارَوْا حِضَارَةً"، هكذا كان يقول، والقصيدة بصوته على النت، بصوته -ها!- وصوته أجش، ها!

- فَمَضَوْا يُبْدِعُونَ فِي حَيْثُ حَلُّوا وَتَبَارَوْا حِضَارَةً وَابْتِكَارَا
مَا كَفَاهُمْ مَا بَلَّغُوا فَاسْتَطَالُوا ثُمَّ خَالُوا فَأَسْرَفُوا إِصْرَارَا

- ما معنى "خالوا"؟

- اختالوا.

- سئل بدوي: لم سميتم الخيل خيلا؟ قال: أَمَا تَرَاهَا تَخْتَالُ -ههه!- ها!

- شُغِفوا بِالخُلُودِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا فَأَعْطَتْهُمُ الخُلُودَ المُعَارَا
- "الخلودُ"! ما "الخلودُ" هذه؟
- شُغِفُوا بِالخُلُودِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا فَأَعْطَتْهُمُ الخُلُودَ المُعَارَا
- ها!
- عَمَرُوا الْأَرْضَ زِينَةً وَمَتَاعًا ثُمَّ نُودُوا كَفَى الْبِدَارَ الْبِدَارَا
- ها، أسرعوا، أسرعوا!
- ثُمَّ مَرُّوا أَشْبَاحَ فَانِينَ مَا تَمْلِكُ فِي حَوْمَةِ الزَّوَالِ قَرَارَا
لَمْ يَكُنْ غَيْرَ خَطْفَةِ الْبَرْقِ إِذْ تَبْنِي وَتُعْلِي...
- "إِذْ تبني وتعلي"، من شرق السماء إلى غربها في ثانية، ولم يكد...
- ... وَلَمْ يَكَدْ فَانْهَارَا
ذَهَبَتْ رِيحُهُم وَهَبَّتْ رِيَاحٌ فَأَقَامَتْ عَلَى الْقُبُورِ الدِّيَارَا
- يا سلام، ها!
- ضَلَّ هَذَا الْإِنْسَانُ يَكْدَحُ لِلْخُلْدِ وَأَقْصَى الخُلُودِ كَانَ فَصَارَا
- ها -يرحمنا الله وإياه!- ها!
- أُنْظُرِي يَا رِيَاحُ ذا القَبَسُ الوَهّاجُ قَدْ رَاوَغَ الْفَنَا اقْتِدَارَا
- "قَدْ رَاوَغَ الْفَنَاءَ اقْتِدَارًا"، ها!
- عَاشَ تَحْتَ الْأَطْبَاقِ دَهْرًا فَدَهْرًا يَتَلَوَّى بِثِقْلِهِنَّ انْبِهَارَا
- ... بِثِقْلِهِنَّ انْبِهَارَا
- كُلَّمَا رَامَ مَنْفَذًا...
- ... رَدَّدَتْهُ...
- ... رَدَّدَتْهُ فِي ظَلَامِ الْأَعْمَاقِ يَعْنُو صَغَارَا
- الصغار الذل -ها!- و"يَعْنُو" يذل، يخضع ذلا، ها!
- لَمْ يَزَلْ دَائِبًا يُنَقِّبُ مُلْتَاعًا وَيَحْتَالُ فِي صَفَائِهَا احْتِفَارَا

- "في صفائِها"! ما شاء اللّٰه! هذه خمس أخرى! "فِي صَفَاهَا"، "الصفاء" في واد، و"الصفا" في واد، ها!
- صَدَعَ الصَّخْرَةَ الْمُلَمْلَمَةَ الْكُبْرَى وَأَسْرَى حَتَّى نَمَا فَاسْتَطَارَا
- أي انتشر.
- وَرَأَى نُورَهُ فَجُنَّ مِنَ الْفَرْحَةِ أَعْمَى رَأَى الظَّلَامَ نَهَارَا
- يا سلام، ثم البيت المعجز:
- أَيُّ شَيْءٍ هَذَا وَمَا ذَاكَ بَلْ هَذَا وَزَاغَتْ لِحَاظُهُ اسْتِكْبَارَا
قَدْ رَأَى عَالَمًا مَهُولًا مِنَ الْمَجْهُولِ غَشَّاهُ...
- "غَشَّاهُ"، أي غطّاه.
- ... غَشَّاهُ نُورُهُ فَاسْتَنَارَا
- "فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى"، صدق اللّٰه العظيم!
- لَيْسَ يَدْرِي أَهُمُ عِدًى أَمْ صَدِيقٌ أَيُبِينُونَ...
- "أَيُبِينُونَ"!
- ... أَيُبِينُونَ لَوْ أَرَادَ حِوَارَا
- "بان، يَبين" أي "ظَهر، يَظهر"، "أَبان، يُبين" أي "أظهر، يُظهر".
- حتى في الآية "وَلَا يَكَادُ يُبِينُ"، صدق اللّٰه العظيم!
- "وَلَا يَكَادُ يُبِينُ"، هل قرئت "يَبين"؟
- سأبحث، وأسأل.
- "يَبين" لا تخلو طبعا من احتقار كذلك، فلان هذا لا يظهر من الأرض.
- سيدنا موسى "لَا يَكَادُ يُبِينُ".
- نعم، معروف عن سيدنا موسى أنه كانت في نطقه مشكلة، ها!
- أَمْ صُمُوتٌ لَا يَنْطِقُونَ ازْدِرَاءً لِغَرِيبٍ عَنْهُمْ أَسَاءَ الْجِوَارَا
وَاغِلٌ يَعْتَدِي يُسَائِلُ...
- ... يُسَائِلُ...

- ... يُسَائِلُ عَنْ أَسْرَارِ خَلْقٍ...
- ... أَجَلَّ مِنْ أَنْ تُثَارَا
- كَيْفَ غَرَّتْهُ نَفْسهُ كَيْفَ ظَنَّ الْغَيْبَ يُلْقِي لِثَامَه والْخِمَارَا
أَمَلٌ بَاطِلٌ فَلَوْ أَسْفَرَ الْغَيْبُ لأَعْمى بِنُورِهِ الْأَنْوارَا
- الله أكبر! هذان مقطعان فقط، بستة وعشرين بيتا. نأخذ الآن المطلع والذي بعده، أظن أنهما مقطعان من الوسط، استحسنتُهما؛ فليس أولُ أولِهما بمطلع إلا مجازا! بسم الله!

انظري يا رياح

يا سلام! ولأنه قال لها: "انظري يا رياح"، قال: "يا وحشة الطرف"، أي إذا نظرتِ أحسستِ بالوحشة كما أُحِسُّ!

انظري يا رياح يا وحشة الطرف إذا دار يمنة أو يسارا

كما قال: دعبل:

"إِنِّي لَأَفْتَحُ عَيْنِي حِينَ أَفْتَحُهَا عَلَى كَثِيرٍ وَلَكِنْ لَا أَرَى أَحَدَا"!

ما الذي تبصرين أشباح فانين مرارا ترى وتخفى مرارا

"ما الذي تبصرين"، ونقف قليلا هنا، يا سلام، يا سلام، إن كنت أخطأت فنبهوني! ينبغي ألا نخطئ الإملاء لكيلا نخطئ التشكيل؛ فهذا محمول على ذاك، نتقرب إلى الله بتدقيق التشكيل. **طيب!**
هذان البيتان، اخترت المطلع المجازي وبيتا بعده، وأسأل الله ألا يخذلاني!

- آمين!
- هكذا ألحن:

أُنْظُرِي يَا| رِيَاحُ يَا| وَحْشَةَ الطَّرْ| فِ إِذَا دَا| رَ يَمْنَةً| أَوْ يَسَارَا
مَا الَّذِي تُبْ| صِرِينَ أَشْ| بَاحَ فَانِيـ| ـنَ مِرَارًا| تُرَى وَتَخْ| فَى مِرَارَا

ننزل هذا بالفواصل، وانحط من أعلى المكتوب إلى أسفله، لا من تحت كما تفعلون -وإلا فليس غير الصفر!- بل من أعلى إلى أسفل، لا نقبل أن نبدأ من أسفل المكتوب! وأستطيع أن أكتب الدندنة في وقت نطقها، لكن لا أستطيع أكثر من هذا في وقت واحد -تأملوا!- لا أستطيع أن أعزفها أيضا، صعبة، لم أتقنها بعد، سَلُوا الله أن نتقنها! ولو فعلنا لشكَّ الناس فينا؛ كان العرب

إذا ما وجدوا الشخص متقنا فوق العادة، قالوا: له قرين من الجن! وأنا على كل حال لي قرين من الجن:

"وَلِي صَاحِبٌ مِنْ بَنِي الشَّيْصبَانِ فَطَوْرًا أَقُولُ وَطَوْرًا هُوَهْ"!

طيب! لما قلت هذا في محاضرة سابقة قال بعض إخوانكم: بسم الله، الله يكمل المحاضرة على خير! "انْظُرِي يَا= دن ددن دن، فاعلاتن، سالمة"، "رِيَاحُ يَا= ددن ددن، متفع لن -انظروا، انظروا إلى الفصل العجيب- مخبونة"! "وَحْشَةَ الطَّ= دن ددن دن، فاعلاتن، سالمة"، ما هذا يا أستاذ؟ أقدم لكم بحر الخفيف! ما البيت منه؟ "فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن" مرتين. لماذا؟ أما "فاعلاتن" فكما عرفناها في الرمل: "فا= دن، سبب خفيف"، "علا= ددن، وتد مجموع"، "تن= دن، سبب خفيف"، كل هذا عادي معروف. أما "مستفع لن" فجديدة: "مس= دن، سبب خفيف"، "تَفْعِ= دن د، وتد مفروق"، "لن= دن، سبب خفيف، هذا هو هذا هو الفرق، ونكتبها "مستفع لن"، تنبيها على هذا. طيب، ما عاقبة هذا الاختلاف؟ ما ثمرة هذا الاختلاف؟ ثمرته أنه يمتنع الطي؛ كنت في "مستفعلن" من الرجز، تطوي التفعيلة "دن دددن= مستعلن"، أما هنا فحرام، ممنوع؛ لماذا؟ ما الطيّ أصلا؟ حذف ساكن السبب الخفيف متى كان رابع حرف في التفعيلة. أين هذا السبب؟ هذا بعض وتد مفروق، لا سبب؛ فكيف تطوي تفعيلته! تمام؟

- تمام.

- حين تمضون معي في القصيدة لا تجدونه يطوى أبدا -سبحان الله!- هذا الخليل عبقري، عبقري جبار؛ استطاع أن يُحكم هذا كله، ما هذا بعملي أنا، هذا عمل الخليل! كيف! هذه بركة الوقت، وصفاء الذهن، وخلوص النية الطيبة للحق. رجل كان يظل طوال الليل والنهار يتأمل ولا يفعل شيئا يعطله عن التأمل، لا ولا الكتابة -لا يكتب!- لأن الكتابة تعطله عن التأمل، يقول: عندي تلامذة أعلمهم ويكتبون عني! طيب! "فاعلاتن" إذن كما عرفناها في الرمل، و"مستفع لن" هي الجديدة التي لم نعرفها من قبل. يكتبها بعض الناس كما يكتبها في الرجز، وهؤلاء يتبسطون، ويتسرعون كما يفعلون كل شيء، يقولون: لماذا نتعب أنفسنا؟ فهي هي مثلها، ما الفرق؟ لكن لا، ليست مثلها، وبحر الخفيف من أسرة غير أسرة بحر الرجز، بحر الرجز من الأسرة الثالثة، وبحر الخفيف من الأسرة الرابعة؛ فكيف! هذا من عائلة، وذاك من عائلة، أَلْتَبَسا عندك في سريع

الرأي؟ لا، تأمل، وتأن قليلا، ولا تتسرع! يقول لك فلان: هذا أخو فلان، لا، لا؛ تسرعت أنا، ليس أخاه، هذا غريب عنه -تمام؟- لكنك توهمت. طيب! نكمل: "ـفِ إِذَا دَا= دددن دن، فعلاتن، مخبونة" -والخبن ما الخبن؟ حذف ساكن السبب الخفيف متى كان ثاني حرف في التفعيلة، تحويل "فاعلاتن" إلى "فعِلاتن" خبن، تحويل "فاعلن" إلى "فعِلن" خبن، تحويل "مستفعلن" إلى "متَفعلن" خبن، كل هذا واحد، الظاهرة هي هي نفسها، فاسمها معها- "رَ يَمْنَةً= دد ن ددن، متفع لن، مخبونة"، "أَوْ يَسَارَا= دن ددن دن، فاعلاتن، سالمة"، "مَا الَّذِي تبٌّ= دن ددن دن، فاعلاتن، سالمة"، "ـصِرِينَ أَشْـ= ددن ددن، متفع لن، مخبونة"، "ـبَاحَ فَانِي= دن ددن دن، فاعلاتن، سالمة"، "ـنَ مِرَارًا= دددن دن، فعلاتن، مخبونة"، "تُرَى وَتَخْـ= ددن ددن، متفع لن، مخبونة"، "ـفَى مِرَارَا= دن ددن دن، فاعلاتن، سالمة". يا جماعة!

- نعم.

- **<u>هذا بحر الخفيف، يا بحر الخفيف، هؤلاء جماعة من نجباء قسم اللغة العربية، تعارفوا، يا جماعة -ههه!- تشرفنا، طبعا تشرفنا، هذا بحر مشرِّف، كيف؟ دعوني أشرح لكم!</u>** هذا من أكثر البحور استعمالا بعد الطبقة الأولى؛ فهو في الطبقة الثانية، أما أكثر البحور استعمالا على الإطلاق فهو الطويل والبسيط والكامل والوافر، يأتي بعدها الخفيف وغيره، ألا تكفيكم المعلقة، أتذكرون المعلقات؟

"آذَنَتْنَا بِبَيْنِهَا أَسْمَاءُ رُبَّ ثَاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ"!

- هذه معلقة الحارث بن حِلِّزَة اليَشْكُرِي، التي قالها على البديهة مرة واحدة من غير تجهيز، وكان في رحلة سياسية اعتذارًا عن خطأ أخطأه قومه عند الملك، وكان مريضا مجذوما -أي مريضًا مرضا معديا- فأمر الملك بحجزه عنه بسبعة حواجز، فوقف على البديهة، فقالها في اللحظة، وهي طويلة مئة بيت تقريبا -تمام؟- فكان الملك كلما سمع منها طَرِبَ؛ فأمر بإزالة حاجز، الأول فالثاني فالثالث فالرابع فالخامس فالسادس فالسابع -كأننا في فِلم شائق!- ثم أجلسه بجواره -سبحان الله!- على مرضه، بِشعره! عافاه من مرضه عنده شعرُه، رفعه من منزلة المريض إلى منزلة الصحيح، رفعه الشعر حتى أجلسه بجوار الملك وهو مريض مرضًا معديًا، كأنه يقول: ملاصقة هذا المريض الشاعر المفلِق أحسن من الصحة، أن أمرض وهو بجواري رديفي لصيقي أحب إليّ من أن أصحَّ

وهو بعيد عني! هذا رجل أحب أن ألاصقه حتى أشعر بنفَسه، حتى أشم عرقه، هناك ناس نحب أن نشم عرقهم! كان لي رجل من أهلي، كنت أحب أن أشم عرقه بعد أن يأتي من العمل -يا سلام!- هؤلاء الناس نتبرك بملاصقتهم، تحس بالسعادة وأنت معهم، تطيب لك الحياة وأنت معهم، فكيف تصطنع هذه الحواجز؟ كيف تشعره بأنه أقل منك؟ اجلس بعيدًا لكيلا تُعديني! لا، بل اجلس بجواري، لاصِقْني! ينبغي طبعا أن تساعده على تجاوز المرض حتى تطمئن من هذه الجهة، لكن في هذه اللحظة نتبرّك بملاصقته، وهكذا كان الحارث بن حلزة في جاهليته، والقصيدة كلها حكم وجمال وروعة: "آذَنَتْنَا| بِبَيْنِهَا| أَسْمَاءُ| أَسْمَاءُ= دن دن دن، فالاتن، مشعثة -هذه ظاهرة سنعرفها بعد قليل- رُبَّ ثَاوٍ| يُمَلُّ مِنْ| ـهُ الثَّوَاءُ"، بفتح الثاء. وقد قلدها شوقي بهمزيته:

"خَدَعُوهَا بِقَوْلِهِمْ حَسْنَاءُ وَالْغَوَانِي يَغُرُّهُنَّ الثَّنَاءُ"!

ماذا قال؟ "خَدَعُوهَا= دددن دن"، "بِقَوْلِهِمْ= ددن ددن"، "حَسْنَاءُ= دن دن دن" -وفيها التشعيث نفسه- "وَالْغَوَانِي= دن ددن دن"، "يَغُرُّهُنَّ= ددن ددن"، "نَ الثَّنَاءُ= دن ددن دن". هذه الهمزية التي فيه بيته المشهور عندكم:

- "نَظْرَةٌ فَابْتِسَامَةٌ فَسَلَامٌ فَكَلَامٌ فَمَوْعِدٌ فَلِقَاءُ"!

تشريع للفساد على مراحل، ترتيب ممتاز، ما شاء الله! "نَظْرَةٌ فَابْـ= دن ددن دن"، "ـتِسَامَةٌ= ددن ددن"، "فَسَلَامٌ= دددن دن"، "فَكَلَامٌ= دددن دن"، "فَمَوْعِدٌ= ددن ددن"، "فَلِقَاءُ= دددن دن".

وفيها بيته البديع:

"أَتُرَاهَا تَنَاسَتِ اسْمِي لَمَّا كَثُرَتْ فِي غَرَامِهَا الْأَسْمَاءُ"!

لا، هذا فَذٌّ! هذا البيت نقبله! "أَتُرَاهَا= دددن دن"، "تَنَاسَتِ اسْـ= ددن ددن"، "ـمِي لَمَّا= دددن دن"، "كَثُرَتْ فِي= ددن دن"، "غَرَامِهَا الْـ= ددن ددن"، "أَسْمَاءُ= دن دن دن". يقول لها: ألا تذكرينني؟ فتقول له باللهجة المصرية: "هُو أنا مُخّي دَفْتَر، أفتكر مين ولا مين ولا مين -أنت واحد، واحد من عالم، أو كما قال أبو فراس في قصيدته: "أَيُّهُمْ فَهُمُ كُثْرٌ"- إِنْتَ مِين فيهم أَصْلا"، ههه! الله على الكلام الجميل الخفيف! أرأيتم الخفيف؟ هذا الخفيف من الطبقة الثانية نتشرف بهذا البحر الذي افتتنت به مدرسة أبوللو (مدرسة الرومانتيكيين)، أكثر من افتتانها بالرمل، يكفيكم أن منه كثيرا من شعر الشابي:

"عَذْبَةٌ أَنْتِ كَالطُّفُولَةِ كَالأَحْلاَمِ كَاللَّحْنِ كَالصَّبَاحِ الْجَدِيدِ
كَالسَّمَاءِ الضَّحُوكِ كَاللَّيْلَةِ الْقَمْرَاءِ كَالْوَرْدِ كَابْتِسَامِ الْوَلِيدِ"!

وهذا الخفيف، ومنه قصائد كثيرة لمحمود حسن إسماعيل صاحب أستاذنا، حتى خطر لي مرة أن أوازن بين قصيدة اليوم ومثيلة لها من شعر محمود حسن إسماعيل؛ فقد كان يقال: إن الأستاذ شاكرا تَرَكَ الشعرَ لمحمود حسن إسماعيل، لما رآه فَذًّا فَحْلًا -قال لي فيه مرة: شاعر فحل- وكان صديقه وتلميذه، وكأنه يقول له: سد أنت هذا المسدّ، لأتفرغ لِمَسَدَّاتٍ أخرى! **هذا بحر الخفيف نتشرف به جميعا. هيا -يا جماعة!- فلتنشدوا الآن دساتين أعوادكم، وَلْتَحُموا طبولكم ودفوفكم -أي فلتتجهزوا!- ولتشربوا ولتطربوا -أي فلتبتهجوا!- ولا يتقدمن عازف منكم عازفا؛ فإن ظن أنه يحسن فإنه يسيء -أي فلتعملوا عملا جماعيا لا يختل!- ولتجعلوا النغمة أكثر زرقة -أي فلتتقنوا، لا نعرف لها معنى لكنها توحي بالإتقان!- معا معا، من البيتين إلى ما بعدهما، ها!**

- انْظُرِي يَا= دن ددن دن
رِيَاحُ يَا= ددن ددن
وَحْشَةَ الطَّرْ= دن ددن دن
ف إِذَا دَا= دددن دن
رَ يَمْنَةً= ددن ددن
أَوْ يَسَارَا= دن ددن دن
مَا الَّذِي تُبْـ= دن ددن دن
ـصِرِينَ أَشْـ= ددن ددن
ـبَاحَ فَانِيـ= دن ددن دن
ـنَ مِرَارًا= دددن دن
تُرَى وَتَخْـ= ددن ددن
ـفَى مِرَارًا= دن ددن دن
وُجِدُوا ثُمْـ= دددن دن
ـمَ أَوْجَدُوا= ددن ددن

ثُمَّ بَادُوا= دن ددن دن

وَاحْتَذَى نَسْـ= دن ددن دن

ـلُهُمْ فَزَا= ددن ددن

دَ انْتِشَارَا= دن ددن دن

وَتَمَادَى الْـ= دددن دن

ـبَقَاءُ فيـ= ددن ددن

ـهِمْ دَوَالَيْـ= دن ددن دن

ـكَ فَشَيْءٌ= دددن دن

بَدَا وَشَيْ= ددن ددن

ءُ تَوَارَى= دن ددن دن

أَوْغَلُوا فِي الْـ= دن ددن دن

ـحَيَاةِ جيـ= ددن ددن

ـلًا فَجِيلًا= دن ددن دن

وَتَجَلَّى= دددن دن

طَرِيقُهُمْ= ددن ددن

وَأَنَارَا= دددن دن

فَمَضَوْا يَـ= دددن دن

ـدعُونَ فِي= ددن ددن

حَيْثُ حَلُّوا= دن ددن دن

وَتَبَارَوْا= دددن دن

حضَارَةً= ددن ددن

وَابْتِكَارَا= دن ددن دن

- لحظة يقلبوا الصفحة!

- مَا كَفَاهُمْ= دن ددن دن

- مَا بَلَغُوا= دن دن ددن

فَاسْتَطَالُوا= دن ددن دن

ثُمَّ خَالُوا= دن ددن دن

فَأَسْرَفُوا= ددن ددن

إِصْرَارَا= دن دن دن

- قفوا هنا! " إِصْرَارَا= دن دن دن"، ما هذا؟ هذه تفعيلة متغيرة، فبم تغيرت؟ أصلها "فاعلاتن"، تغيرت بعلة شديدة أصابت الوتد الذي في الوسط فحذفت أحد متحركيه وأبقت الآخر، فمن الناس من يقول: حذف الثاني، فهي من ثَمَّ "فاعاتن"، ومنهم من يقول حذف الأول فهي من ثَمَّ "فالاتن"، وهما سواء: دن دن دن! ما اسم هذه العلة؟ التشعيث بالثاء المثلَّثة من فوق! ما التشعيث -شعَّثها فهي مشعَّثة- ما التشعيث في العربية؟ شعثت الأوراق، شعثتها، فرقتها، بعثرتها، فكأنهم بعثروا المتحركين، والتشعيث علة، والعلة كما تعلمتم تغيير شديد، ينبغي إذا ارتُكب أن يُلتزم، فأين؟ فهو لم يفعلها من قبل، وسيفعلها من بعد ولا يفعلها!

- جرت مجرى الزحاف.

- جرت مجرى الزحاف -أحسنت يا مُرشدي!- جرت مجرى الزحاف. أضيفوا إذن هذا الموضع إلى ما ذكرناه من قبل، أتذكرون الحذف في المتقارب -فعولن فعولن فعولن فعو"، ثم عاد إلى "فعولن"، علة جرت مجرى الزحاف، فلم لا تصنعون هامشا بالعلل التي جرت مجرى الزحاف؟ اكتبوا، واجعلوا منها مع الحذف في المتقارب التشعيث في الخفيف، وهكذا! سبحان الله! ربما قلتَ لي: هذا تغيير شديد -يا أستاذ!- كيف يفعل هذا! ما لي أنا! قد فعله، وتابعه عليه الشعراء، وقبله الناس، فأنا مضطر إلى اعتماده، أرأيتم! متى إذن يُضطر العالم طالب العلم إلى اعتماد الشيء؟ إذا تواتر على استعماله أصحابه وتواتر على قبوله متلقوه، فعلى رغمي أضيف هذا إلى العلم، لابُدّ أن أضيفه -وإن كرهته!- لأن العالم هذا طالب علم، لا فنان، لست الآن فنانا، ونعم، أنا أخلط العلم بالفن، لكنني الآن طالب علم، وطالب العلم غير طالب الفن، طالب الفن يجوز له أن يتعصب كما يشاء، يقول لك: هذا قبيح، هذا كلام فارغ، أنا لا أقبل هذا، كما يشاء- أما طالب العلم فلا، بل لابُدّ أن يعترف ويضيف إلى العلم ما حدث على الحقيقة! يقول الفنانون: هذا كلام فارغ، كل

ما يكتبه فلان كلام فارغ، كل ما ينظمه فلان كلام فارغ، هذا الفِلْم هابط، هذا المسلسل تافه، هذه القصيدة رائعة -وربما رأيتها أنت تافهة- وهذا مقبول من الفنانين، فأما العلماء فلا، بل يجمعون كل ما نجح، كل ما أثبت وجوده، يجمعونه إلى العلم، ويضعونه في موضعه المناسب، وإلا خانوا العلم! الفنان متعصب، بل ينبغي أن يكون متعصبا لفنه. كان عبد اللطيف عبد الحليم الذي سأدرس لكم بعض نصوصه، شاعرا متعصبا، يقبل نوعا واحد، ويلغي الأنواع الأخرى من الوجود -ها!- يقول في بعض شعره:

"مَا عَرَفْتُ الشِّعْرَ حُرًّا لَا وَلَنْ أَرْكَبَ الْبَحْرَ الْمُسَمَّى خَبَبَا"!

حتى الخبب العمودي كرهه من أجل أن شعراء الحر أكثروا منه؛ فكرهه من أجلهم. طيب! عندنا شيء آخر أحب أن أقوله لكم من خصائص البيت من الخفيف، أنه يغلب عليه التدوير، أتعرفون التدوير؟ ما التدوير؟ اشتراك شطري البيت في كلمة، يكون أولها آخر الصدر، وآخرها أول العجز؛ كتبتم؟

- لا.

- اكتبوا: التدوير ظاهرة عروضية وزنية، هي اشتراك شطري البيت في كلمة واحدة، يكون أولها آخر الصدر، وآخرها أول العجز، ككلمة "الطرف" هذه التي ترونها على السبورة، ينتهي صدر البيت برائها، ويبدأ عجزه بفائها- وكلمة "فانين"، ينتهي صدر البيت بيائها، ويبدأ عجزه بنونها! وقد كثر هذا جدا في الخفيف، واحتاج إلى تأمل. وإذا وجدتم وقتا فاذهبوا إلى المكتبة، وابحثوا عن كتاب "التدوير"، للدكتور أحمد كشك، الذي استطاع أن يلتقط الفكرة ويضع فيها كتابا -وهذه هي العبقرية- التقط الفكرة قبل غيره، ووضع فيها كتابا مستقلا، وتتبع التدوير في البحور، واعترف بأنه شائع كثير جدا في الخفيف، وأظن أنه حاول أن يفسر الظاهرة، شيء بديع!

- أولها آخر الصدر؟

- نعم، وآخرها أول العجز؛ فهي منقسمة بين الشطرين. طيب، أكملوا -ها!- معي معي، ها!

- شُغِفُوا بِالْـ= دددن دن

ـخُلُودِ فِي= ددن ددن

هَذِهِ الدُّنْـ= دن ددن دن

ـيَا فَأَعْطَتْ= دن ددن دن

ـهُمُ الْخُلُوُ= ددن ددن

دَ الْمُعَارَا= دن ددن دن

عَمَرُوا الْأَرْ= دددن دن

ضَ زِينَةً= ددن ددن

وَمَتَاعًا= دددن دن

ثُمَّ نُودُوا= دن ددن دن

كَفَى الْبِدَا= ددن ددن

رَ الْبِدَارَا= دن ددن دن

- لحظة! انتبهتُ إلى أنكم تخلطون وتخطئون عملَ الجماعة. يد الله مع الجماعة -نعم- ولكنه يختفي فيه المخربون والمفسدون في الأرض والمخطئون؛ فالآن أقسم التفعيلات عليّ وعليكم -عليَّ وعلى أعدائي!- آخذ تفعيلة، وتأخذون تفعيلة، بشرط أن تنقطع أنفاسنا عند الحدود، من غير زيادة، كأننا لم نعرف النطق قَطّ؟
- ثُمَّ مَرُّوا= دن ددن دن
- أَشْبَاحَ فَانِي= ×
- "نِي"! من الذي قال: "نِي"؟ عندنا "نِي"، صفية هي السبب، أفسدت علينا، وكلما أخطأتم عدنا -وإن بقينا للساعة الواحدة- كلما أخطأتم عدنا؛ فانتبهوا -"وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا"، ها! و"مَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ"؛ صدق الله العظيم!
- ثُمَّ مَرُّوا= دن ددن دن

أَشْبَاحَ فَا= دن دن ددن

نِينَ مَا تَمْـ= دن ددن دن

ـلِكُ فِي= ×

- "لَكَ فِي"؟ لا، ما لناش فيه! أعيدوا!
- ثُمَّ مَرُّوا= دن ددن دن

أَشْبَاحَ فَا= دن دن ددن

نِينَ مَا تَمْـ= دن ددن دن

ـلِكُ فِي حَوْ= دددن دن

- أرأيت؟ "لَكَ فِي حَوْ"، لا "لَكَ فِي"، ها!

مَةِ الزَّوَا= ددن ددن

لِ قَرَارَا= دددن دن

- سهلة طبعا، مرتاحون، فهي التفعيلة الأخيرة، لكن بعد قليل سنغير، لا بأس، و"على الباغي تدور الدوائر"!

- لَمْ يَكُنْ غَيْـ= دن ددن دن

ـرَ خَطْفَةِ الْـ= ددن ددن

بَرْقِ إِذْ تَبَـ= دن ددن دن

ـنِي وتَعُلِي= دن ددن دن

وَلَمْ يَكَدْ= ددن ددن

فَانْهَارَا= دن دن دن

- هذه "فَانْهَارَا= دن دن دن، فالاتن أو فاعاتن، مشعثة"، وهناك في عادات بعض العروضيين ينقلونها حقا -يا يوسف!- إلى "فِعْلاتن"، أتذكرون ظاهرة النقل؟ من يذكر؟ حدثتكم عن ظاهرة نقل التفعيلات، ما نقل التفعيلة؟ التعبير عنها بعد تشوهها بكلمة أخرى غير مشوهة؛ فمثلا "فالاتن" تنقل إلى "فِعْلاتن"، و"متفعلن" -ما متفعلن هذه!- تنقل إلى "مفاعلن"، ومستعلن -ما مستعلن هذه!- تنقل إلى "مفتعلن"، و"فاعلْ" تنقل إلى فَعُلْنْ، وهكذا!

- لها سلبية هنا.

- نعم -يا ليث!- لها سلبية، ما هي؟ أنها تقطع صلتنا بالأصل، يقول لك: "مفاعلتن، مفاعلتن، فعولن"، وهي "مُفَاعَلْ" أصلا، لا "فعولن"، و"فعولن" و"مُفاعلْ" سواء= ددن دن، فتنسى أنها "مفاعلْ" المقطوفة، وتجعل "فعولن" سالمة! نعم، يفعلون هذا! إلى أين وصلنا؟

- ذَهَبَتْ رِيـ= دددن دن

حُهُمْ وَهَبْ= ددن ددن

ـبَتْ رِيَاحُ= دن ددن دن

فَأَقَامَتْ= دددن دن

عَلَى الْقُبُو= ددن ددن

رِ الدِّيَارَا= دن ددن دن

- العمل جماعي -يا جماعة!- تذكروا أن العمل جماعي!
- ضَلَّ هَذَا الْـ= دن ددن دن

إِنْسَانُ يَكْـ= دن دن ددن

ـدَحُ لِلْخُلْـ= دددن دن

ـدِ وَأَقْصَى= ×

- ـدِ وَأَقْصَى!
- ـدِ وَأَقْصَى= ×
- أخطأ ليث، نعيد!
- ضَلَّ هَذَا الْـ= دن ددن دن

إِنْسَانُ يَكْـ= دن دن ددن

ـدَحُ لِلْخُلْـ= دددن دن

ـدِ وَأَقْصَى الْـ= دددن دن

ـخُلُودِ كَا= ددن ددن

نَ فَصَارَا= دددن دن

- نعم؟
- نَ فَصَارَا= دددن دن

اُنْظُرِي يَا= دن ددن دن

رِيَاحُ ذَا الْـ= ددن ددن

قَبَسُ الْوَهْـ= دددن دن

ـهَاجُ قَدْ رَا= دن ددن دن

وَغَ الْفَنَا= ددن ددن

ءَ اقْتدَارَا= دن ددن دن

عَاشَ تَحْتَ الْـ= دن ددن دن

أَطْبَاقِ دَهْـ= دن دن ددن دن

- لا، عندنا ضربة زائدة، نعيد، أعيدوا!
- عَاشَ تَحْتَ الْـ= دن ددن دن

أَطْبَاقِ دَهْـ= دن دن ددن

ـرًا فَدَهْرًا= دن ددن دن

يَتَلَوَّى= دددن دن

- لا تسرع، وحدوا العمل؛ العمل جماعي -يا ليث!- جماعي!
- عَاشَ تَحْتَ الْـ= دن ددن دن

أَطْبَاقِ دَهْرًا= ×

- لا، عندنا زيادة "رًا" هنا، متى هي السبب، نعيد:
- عَاشَ تَحْتَ الْـ= دن ددن دن

أَطْبَاقِ دَهْـ= دن دن ددن

ـرًا فَدَهْرًا= دن ددن دن

- يَتَلَوَّى= دددن دن
- اضرب على الخشب!
- بِثِقْلِهِنْ= ددن ددن

ـنَ انْهِارَا= دن ددن دن

- نعم؟
- ـنَ انْهِارَا= دن ددن دن
- العمل جماعي، يا جماعة، لا تنسوا هذا!

- كُلَّمَا رَا= دن ددن دن
مَ مَنْفَذًا= ددن ددن
رَدَّدَتْهُ= دن ددن دن
فِي ظَلَامِ= ×
- نعم؟
- فِي ظَلَامِ= ×
- لا حول ولا قوة إلا بالله! أنا أحفظ لكن لا أريد أن أعتمد على حفظي، إلى أين وصلنا؟ إلى العشرين؟
- إلى السادس عشر.
- كُلَّمَا رَا= دن ددن دن
مَ مَنْفَذًا= ددن ددن
رَدَّدَتْهُ= دن ددن دن
فِي ظَلَامِ الْ= دن ددن دن
أَعْمَاقِ يعْ= دن دن ددن
ـنُو صِغَارًا= دن ددن دن
لَمْ يَزَلْ دَا= دن ددن دن
ئِبًا يُنَقِّـ= ×
لا، عندنا إضافة، أعيدوا!
لَمْ يَزَلْ دَا= دن ددن دن
ئِبًا يُنَقْـ= ددن ددن
ـقِبُ مُلْتَا= دددن دن
عًا وَيَحْتَا= دن ددن دن
لُ فِي صَفَا= ددن ددن
هَا احْتِفَارَا= دن ددن دن

- والآن نعكس؛ فابدؤوا، وتحملوا ما تحملت، ابدؤوا، وعيشوا، تَعذَّبوا، ها!
- صَدَعَ الصَّخْـ= ددددن دن
ـرَةَ الْمُلَمّـ= ددن ددن
ـلَمَةَ الْكُبْرَى= ×
- واللهِ! أعيدوا، أعيدوا، هو ليث، معه آلة حادة -ههه!- وصوته -ما شاء اللهُ!- يخرب علينا كل شيء! أعيدوا -أقصد العكس طبعا، لكنني أريد أن أستفزه لإتقان أكثر- ها، أعيدوا!
- صَدَعَ الصَّخْـ= ددددن دن
ـرَةَ الْمُلَمّـ= ددن ددن
ـلَمَةَ الْكُبْـ= ددددن دن
ـرَى وَأَسْرَى= دن ددن دن
حَتَّى نَمَا= دن دن ددن
فَاسْتَطَارَا= دن ددن دن
وَرَأَى نُو= ددددن دن
- نعم!
- وَرَأَى نُو= ددددن دن
- ههه! أنا معذور، كل واحد في واد، أعيدوا -ها!- أرأيتم فائدة القائد؟ في العزف القائد هو الذي يوحد، وإلا تفرق العازفون، أعيدوا!
- وَرَأَى نُو= ددددن دن
- واللهِ!
- وَرَأَى نُو= ددددن دن
رَهُ نَجْمُنْ= ددن ددن
ـنَ مِنَ الْفَرْ= ددددن دن
- ما شاء اللهُ! أعوذ باللهِ من غضب اللهِ! أعيدوا من الأول!
- وَرَأَى نُو= ددددن دن

- من الأول!
- ورأى نو= دددن دن
- من الأول!
- ورأى نو= دددن دن

ره فجن= ددن ددن

ـن من الفر= دددن دن

ـحة أعمى= دددن دن

رأى الظلا= ددن ددن

م نهارا= دددن دن

أي شيء= دن ددن دن

- أعيدوا!
- أي شيء= دن ددن دن

هذا وما= دن دن ددن

ذاك بل= دن ددن دن

- ذاك بل هـ(ا) = دن ددن دن
- أعيدوا -ها!- أعيدوا!
- أي شيء= دن ددن دن

هذا وما= دن دن ددن

ذاك بل هـ(ا) = دن ددن دن

ذا وزاغت= دن ددن دن

لحاظه اسـ= ددن ددن

ـتكبارا= دن دن دن

قد رأى عا= دن ددن دن

لما مهو= ددن ددن، متفع لن

لًا مِنَ الْمَجْـ= دن ددن دن

ـهُول غَشَّا= دن ددن دن

ه نُورُهُ= ددن ددن

- نعم!
- ه نُورُهُ= ددن ددن

- نعم!
- ه نُورُهُ= ددن ددن

فَاسْتَنَارَا= دن ددن دن

لَيْسَ يَدْ= ×

- "لَيْسَ يَدْ"! أعيدوا!
- لَيْسَ يَدْرِي= دن ددن دن

أَهُمْ عِدًى= ددن ددن

أَمْ صَدِيقٌ= دن ددن دن

أَيُبِينُو= دددن دن

نَ لَوْ أَرَا= ددن ددن

دَ حِوَارَا= دددن دن

أَمْ صُمُوتٌ= دن ددن دن

لَا يَنْطِقُو= دن دن ددن

نَ ازْدِرَاءً= دن ددن دن

- عن... أي شرود مفسدة، أنا إذا شردت أفسدت!
- لِغَرِيب= دددن دن

عَنْهُمْ أَسَا= دن دن ددن

ءَ الْجِوَارَا= دن ددن دن

وَاغِلٍ يَعْـ= دن ددن دن

- واللهِ! مع نفسك! عازف مستقل يغرد خارج السرب، أعيدوا!
- وَاغِلٌ يَعْـ= دن ددن دن
ـتَدِي يُسَا= ددن ددن
ئِلُ عَنْ أَسْـ= דددن دن
ـرَارِ خَلْقٍ= دن ددن دن
أَجَلَّ مِنْ أَنْ= ×
- خطأ، أعيدوا من الأول، ها!
- وَاغِلٌ يَعْـ= دن ددن دن
- أعيدوا!
- وَاغِلٌ يَعْـ= دن ددن دن
ـتَدِي يُسَا= ددن ددن
ئِلُ عَنْ أَسْـ= دددن دن
ـرَارِ خَلْقٍ= دن ددن دن
أَجَلَّ مِنْ= ددن ددن
أَنْ يُثَارَا= دن ددن دن
كَيْفَ غَرَّتْـ= دن ددن دن
ـهُ نَفْسُهُ= ددن ددن
كَيْفَ ظَنَّ الْـ= دن ددن دن
ـغَيْبَ يُلْقِي= دن ددن دن
لِثَامَهُ= ددن ددن
وَانْحِمَارَا= دن ددن دن
أَمَلٌ بَا= دددن دن
- نعم!
- أَمَلٌ بَا= دددن دن

طِلُ فَلَوْ= ددن ددن

أَسْفَرَ الْغَيْـ= دن ددن دن

ـبُ لَأَعْمَى= دددن دن

بِنُورِهِ الْـ= ددن ددن

- نعم!
- بِنُورِهِ الْـ= ددن ددن

أَنْوَارَا= دن دن دن

- **نعود إلى البيت الأول سنَخْرُج الآن، إن شاء الله!- ما قافيته؟**
- أَوْ يَسَارَا
- نعم! "أَوْ يَسَارَا" -ما شاء الله!- لا "أَوْ يَسَارَا" ولا "يَسَارَا"!
- ـسَارَا
- "سارا" فقط، لماذا؟ هذه الألف الساكن الأول، وهذه الألف الساكن الثاني، وبينهما الراء، وقبلهما السين؛ فهي إذن "سَارَا"، وعلى هذا تسير إلى آخر القصيدة، وهذه من أسهل القوافي، على مثل قافية القصيدة الأولى "بِحَةْ"، و"ضِيحَةْ"، وكذا! وهذه كلها تدليلات للفتيات، كلها تدليلات، ها!

ـسَارَا

- ـرَارَا

ـشَارَا

ـوَارَى

ـنَارَا

ـكَارَا

ـرَارَا

ـعَارَا

ـدَارَا

ـرَارَا

ـهَارَا

ـيَارَا

- "ـيَارَا" هذه بنت فيروز المغنية، ولها سَمَّى بعض الناس، ها!
- ـصَارَا

ـدَارَا

ـهَارَا

ـغَارَا

- "ـغَارَا"، في داهية، ها!
- ـفَارَا

ـطَارَا

ـهَارَا

ـبَارَا

ـنَارَا

ـوَارَا

ـوَارَا

ـثَارَا

ـمَارَا

ـوَارَى

ـمَارَا

ـوَارَا

- ما شاء الله، منتهى الروعة! **ما أقوى المكررات؟**
- حرف الراء.

- طبعا، بلا تفكير كثير، أما الألف فهواء مفتوح -تذكرون مشكلة المقصورة التي أتعبتنا وما زلنا منها على قلق، لأنها لا تكرر شيئا غير الألف؟ وهل الألف مُمْسَكَة! هذه الألف انطلاق هواء- وأما الراء فسيد الحروف، "اللَّهُمَّ، قِنَا هَمْسَ الْمَجْهُورِ وَجَهْرَ الْمَهْمُوسِ، وَلَا تَفْتِنَّا بَعْدَ ذَهَابِ الْفُصَحَاءِ، اللَّهُمَّ اقْبَلْ مِنْ عَبْدِكَ حَرْفِ الرَّاءِ"! حرف الراء سيد الحروف: قرآن، رحمن، رسول -ها!- سيد الحروف، وهو في حروف أبنائي جميعا، تعمدت أن أجعل فيهم حرف الراء سيد الحروف! طيب، وحركة الراء؟

- الفتحة.

- هل قبلها ألف أو واو أو ياء؟

- ألف.

- هي إذن مردفة بالألف، يستحيل أن يكون معها تأسيس، فإما هذا وإما ذاك. طيب، هل أُشبعت فتحة هذه الراء، أو جاء بدلا من إشباعها شيء آخر؟

- أشبِعت.

- أشبعت، فهذه القصيدة إذن -ها، هذه هي البيانات، أسرعوا!- هذه القصيدة خفيفية الأبيات، الوافية أم التامة؟

- الوافية.

- الوافية، لماذا؟ لأن بعض تفعيلات البيت تميزت من بعض بأشياء لا يجوز أن تكون في غيرها، فالتشعيث مثلا يستحيل أن يكون في الأولى، ويستحيل أن يكون في الرابعة، ويمكن أن يكون في الثالثة أحيانا ولاسيما عند التصريع، حينما تُشبَّه هذه التفعيلة الثالثة بالسادسة، فإذن تميزت تفعيلات من تفعيلات، فامتنع التمام، فهذه قصيدة خفيفية الأبيات الوافية. ها، صوروا العروض والضرب، ها! الصحيحة العروض والضرب، على رغم أنها خُبِنت وشُعِّثت، فالخبن زحاف لطيف جدا، والتشعيث علة، ولكنها جرت مجرى الزحاف، نتغير، ثم تعود إلى السلامة، بهذا نثبت السلامة في التعريف، فنسميها بالصحة، أو نغلب عليها كلمة الصحة، لتتردد بين الصحة والسلامة، والصحيح طبعا غير العليل، والصحيحة خالية من العلة، لكننا عممنا هذا على السلامة كذلك، فهذه إذن قصيدة خفيفية الأبيات الوافية الصحيحة العروض والضرب، انتقلوا!

- رائية القوافي.
- رائية القوافي المفتوحة المردفة...
- الموصولة.
- بأي شيء يمكن أن تردف، الألف أو الواو أو الياء، وإذا أردفت بالواو أو الياء جاز أن تكونا واو المد أو ياءه، وأن تكونا واو اللين أو ياءه، كل هذا وارد؛ فلابد إذن من أن نحدد: رائية القوافي المفتوحة المردفة بالألف -والألف لا تكون إلا مدًّا، يكفي أن نقول: المردفة بالألف- ها!
- الموصولة بالألف.
- الموصولة بالألف، وإذا قلنا: الموصولة بالألف كفانا هذا، لأنها لا تكون إلا مدا، وكذلك الموصولة بالواو أو الياء في هذا الموضع؛ فكلتاهما لن تكون هنا إلا مدا، يمتنع، يا أخي. **بارك الله فيكم، وشكر لكم، وأحسن إليكم، والسلام عليكم! أرجو فيما بعد أن تشاهدوا فِلم الجزيرة عن أستاذنا كاملا؛ فهو جميل، وإن كان أقل من مقام أستاذنا، لكن فيه ذكريات طيبة.**
- دكتور، خطر لي سؤال.
- ما شاء الله، سمعتنا من الخارج!
- نعم! إذا كانت مردفة بالواو والياء فماذا نقول؟
- نعم، تقول مردفة بواو المد أو يائه، أو بواو اللين أو يائه، على حسب الأسبق ورودا في القصيدة.
- يعني لو القصيدة بها واو وياء مع بعض؟
- بأي شيء بَدَأَتْ؟ بواو المد وبعدها انتقلت إلى ياء المد؟ نقول: مردفة بواو المد أو يائه، وهذا معروف -يا أخي!- معروف مشهور. وإذا كانت بدأت بياء المد وانتقلت إلى واو المد قلت: مردفة بياء المد أو واوه -هذا أمر عادي- أما الردف بالواو أو الياء مع الألف أو العكس فعيب قافويّ مشكل، لأن ذبذبات الألف أعلى من ذبذبات الواو والياء جميعا معا؛ فتختل القافية.
- قرأت في بعض القصائد: "طبيبي"، و"خطوبي".
- أحسنت -صحيح، صحيح- أحسنت! لكنك لم تقرأ "خطابي" مع "خطوبي"، صعبة هذه جدا، صعبة، لبعد ما بين المشرقين. هذه المرة -ما شاء الله!- جميلة.
- حسيتك دكتور متحمس أكثر!

- عشان خاطرك، أسجل لك حاجة كده تليق بمقامك.
- الله يخليك!

اَلْمُنَادَمَةُ الخَامِسَةَ عَشْرَةَ(1)

- **سلام عليكم!**
- وعليكم السلام!
- طبتم مساء -يا أبنائي!- وطاب مسعاكم إلينا! بسم الله -سبحانه، وتعالى!- وبحمده، وصلاة على رسوله وسلاما، ورضوانا على صحابته وتابعيهم حتى نلقاهم!
- آمين!
- كيف حالكم، كيف أصبحتم، وأمسيتم؟
- بخير.
- بارك الله فيكم، وشكر لكم، وأحسن إليكم، ويسر لنا ولكم كل عسير، وسهّل كل صعب! اليوم يوم خفيف لطيف، حتى إننا في محاضرة المجموعة السابقة تجاوزنا هذه القصيدة إلى التي بعدها، لكنني ندمت، فلن أفعل ذلك في هذه المحاضرة، بل سأكتفي، وسنستفيد -إن شاء الله!- وتخرجون مبكرا مرة في العمر، وتستفيدون بوقتكم، أو ربما تفقَّدنا ملفاتكم أو تلقينا أسئلتكم. **اليوم نستمتع بالتفتيش عن وزن وقافية جديدين من خلال قصيدة لأحد كبار الشعراء العمانيين -ليس من مستوى أبي مسلم، ولكنه معروف مذكور في التاريخ- راشد بن خميس الحبسي العماني** المتوفى عام خمسين ومئة وألف الهجري، وكان كفيفا، وقد مررت بديوانه كله قديما حينما كنت أكتب عنه وعن أصحابه على مدار التاريخ، فأحسست أنه كان يَتقرَّى أبا العلاء المعري، يتنسّمه من بعيد، يقتدي به شعريا، فيجتهد أن ينوع الأوزان والقوافي، يقتحم ما كان أبو العلاء يقتحم، وأبو العلاء هذا فريد تاريخنا على الإطلاق، لا عصره ومكانه فقط، أبو العلاء أحمد بن سليمان التنوخي

---

(1) رابط هذه المنادمة في قناتي اليوتيوبية:

https://www.youtube.com/watch?v=٤jcm٠fRM_pA&list=PL٠_bvBmuM٥ySq٦hXNd٤GWcNFIUaI٤uqCM&index=١٥

وقد فرغتها نورة محمد، وراجعتها لها منى عبد اللطيف.

المعري نسبة إلى معرة النعمان -وما زال لها إلى الآن ذكر، وإن صار بنشرات الأخبار في الحروب والمآسي!- وكان يُسمَّى رَهِينَ الْمَحْبِسَيْنِ، يقصدون محبس عماه ومحبس غرفته؛ لم يكن يترك غرفته، وكان الناس يأتون إليه من كل مكان، أما هو فلم يكن يسافر إلا نادرًا، أسفاره محدودة جدا، تعد على بعض أصابع اليد الواحدة! وكبارنا الذين ابتكروا واخترعوا من غير أن يبرحوا مكانهم معدودون في ثقافتنا وفي غيرها، لأن العلم يحتاج إلى الرحلة، إلى السفر ورؤية الناس ومُثاقَفَتِهم والتَّثَقُّف بهم:

"سَافِرْ إِذَا مَا شِئْتَ قَدْرَا سَارَ الْهِلَالُ فَصَارَ بَدْرَا"!

تسافر، وتتعلم، السفر هذا أصل عندنا في ثقافتنا، الرحلة، نسميه الرحلة، كانت في الجاهلية لأمور، وصارت في الإسلام لأمور، تعددت الغايات والرحلة واحدة، يرحلون من مكان إلى مكان ليستفيدوا أشياء كثيرة، لكن هناك من لم يتركوا أماكنهم ومع هذا كانوا من المخترعين الكبار، منهم مثلا عبد القاهر الجرجاني مخترع علم المعاني، لم يترك مكانه، اخترع، وابتكر، وكان أديبا وناقدا كبيرا، ولم يترك مكانه!

- (...)!
- لا، أنا أحكم بما أعلم، وعلى كل واحد أن يثبت كلامه؛ فالذين اخترعوا وقدموا احتاجوا إلى السفر، هذا يحتاج إلى سفر، إلى مثقافة. عندنا من المعاصرين مثلا سيف الرحبي العماني، سافر إلى هنا وهناك، واستحدث أسلوبه، حتى أدونيس هذا المتطرف المشهور لم يستحدث مذهبه المتطرف إلا بعدما سافر إلى لبنان! والشافعي رحل إلى مصر؛ فاستحدث فقه الجديد، وغيرهم، وكثير من العمانيين كانوا في العراق وجاؤوا إلى عمان أو العكس، هذا الحراك الذي يحدث في العالم هو الذي يكوّن الواحد منا -"وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ"، صدق الله العظيم!- لهذا تُسأل: هل سافرت؟ حتى الشافعي نفسه سأل أحد المصريين: هل رأيت بغداد؟ فقال له: لا، فقال له: ما رأيتَ الدنيا! لقد أحبه المصريون، بل عشقوه -نعم- ولكنه كما ترون، بقي يقول هذا الكلام، يحمل في داخله بغداد، ويتحرك بها، سبحان الله! هذا الحبسي العماني الذي كان يتطلع إلى مقام أبي العلاء أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء، الذي فعل ما لم يُفعل وقلب الدنيا رأسا لعقب وما يزال الناس فيه مختلفين إلى اليوم، بين رافع له إلى أعلى عليين، وخافض

إلى أسفل سافلين، وإذا بلغ الأديب هذا المبلغ من اختلاف الناس فيه على رأيين متناقضين وجب أن يعد في العباقرة، ولا يكاد يعد في العباقرة حتى يكون بهذه المنزلة؛ فلك أن تفتخر بنفسك إذا بلغك عن الناس كلامٌ يرفعك إلى أعلى عليين وكلامٌ يخفضك إلى أسفل سافلين، لك أن تفتخر: أنا عبقري -يا جماعة!- أنا رجل عبقري! ماذا قال صاحبنا الحبسي، رحمه الله؟

١) لَا تُرَجِّ الْخَيْرَ مِنْ رَجُلٍ عِرْضُهُ لِلذَّمِّ مُتَّسِعُ
٢) فِي الْخَنَا مَشْتَى لَهُ وَلَهُ فِيهِ مُصْطَافٌ وَمُرْتَبَعُ
٣) لَسْتُ مِنْهُمْ إِنَّنِي رَجُلٌ بِجَمِيلِ الصَّبْرِ مُقْتَنِعُ
٤) لَيْسَ لِي فِيمَنْ أُحِبُّ إِذَا خَانَنِي فِي نَفْسِهِ طَمَعُ
٥) وَحَيَاتِي لَا أَغَارُ عَلَى جِيفَةٍ تَنْتَاشُهَا الضَّبُعُ
٦) لَا تَرَانِي طُولَ عَافِيَتِي دَاخِلًا فِي غَيْرِ مَا يَسَعُ
٧) وَإِذَا صَاحَبْتُ ذَا حُمُقٍ قَدْرُهُ فِي الْأَرْضِ مُتَّضِعُ
٨) سِرْتُ عَنْهُ مُعْرِضًا وَأَنَا فَوْقَ هَامِ النَّجْمِ مُرْتَفِعُ
٩) لَمْ يُصِبْنِي بَعْدَ فُرْقَتِهِ حَزَنٌ مُؤْذٍ وَلَا جَزَعُ
١٠) حَاشَ لِلَّهِ الْمُهَيْمِنِ لَمْ أَنَهْ نَذْلًا لَيْسَ يَرْتَدِعُ
١١) لَا وَلَا أَصْبُو إِلَى امْرَأَةٍ فِعْلُهَا الْمُسْتَقْبَحُ الشَّنِعُ
١٢) وَإِذَا مَا كَظَّنِي ظَمَأٌ وَأَنَا فِي الْقَفْرِ مُنْقَطِعُ
١٣) لَمْ أَرِدْ مِنْ مَوْرِدٍ كَدَرٍ فِيهِ أَصْحَابُ الْخَنَا كَرَعُوا

"لَا تُرَجِّ الْخَيْرَ مِنْ رَجُلٍ عِرْضُهُ لِلذَّمِّ مُتَّسِعُ"، وماذا يُرجى من رجل لا يعبأ بالذم، تقول له: كذبت، أسأت، لا يأبه، يقول لك في الكلام: الشتائم لا تلتصق بالجسد، كلام ناس لا عِرض لهم! "تُرَجِّ"، هذا فعل مضارع مجزوم بـ"لا" الناهية، وعلامة جزمه حذف الياء، رَجَّى يُرَجِّي. وهذا الفعل طبقات ثلاث: الأولى رَجَا يَرْجُو، والثانية رَجَّى يُرَجِّي، والثالثة تَرَجَّى يَتَرَجَّى، درجات من الإلحاح، أَرْجو الخير، هذه الأولى- أُرَجِّي الخير، هذه الثانية- أَتَرَجَّى الخير، هذه الأخيرة، بحسب إلحاحك في الطلب. ولا تجد مثل هذا في كثير من الأفعال، لا تنتظر أن تجد هذا كثيرا في الأفعال؛ ففرصة وغنيمة باردة أن تجد مثل هذا، لتتمسك به، وتقول: تأملوا عبقرية اللغة، هذه

طبقة من التعبير، وهذه ثانية، وهذه ثالثة، وينبهر الناس بهذا الكلام، عربا كانوا أو عجما! "فِي الْخَنَا مَشْتًى لَهُ وَلَهُ فِيهِ مُصْطَافٌ وَمُرْتَبَعٌ"، "فِي الْخَنَا"، ما الخنا؟ الخبث -ها!- "فِي الْخَنَا مَشْتًى لَهُ"، ما المشتى؟ ها! اسم مكان الإقامة شتاء -ها!- أين تشتون؟ تذهبون إلى الجنوب- أين تصطافون؟ تذهبون إلى الشمال- أين ترتبعون؟ تظلون في الوسط! "فِي الْخَنَى مَشْتًى لَهُ"، أي مكان إقامة شتاء- "وَلَهُ فِيهِ مُصْطَافٌ"، أي مكان إقامة صيفا- "وَمُرْتَبَعُ"، أي مكان إقامة ربيعا -ما شاء الله!- مقيم في الخبث طوال العام، فندق مستمر من الخبث والحقد والفساد وكذا! يقال لك: زائر أم مقيم؟ مقيم، هذا مقيم أبدا. "لَسْتُ مِنْهُمْ إِنَّنِي رَجُلٌ بِجَمِيلِ الصَّبْرِ مُقْتَنِعُ"، "لَسْتُ مِنْهُمْ"، أنا لست من هؤلاء، أعوذ بالله من هذه الحال. "إِنَّنِي رَجُلٌ بِجَمِيلِ الصَّبْرِ مُقْتَنِعُ"، "لَيْسَ لِي فِيمَنْ أُحِبُّ إِذَا خَانَنِي فِي نَفْسِهِ طَمَعُ"، "وَحَيَاتِي لَا أَغَارُ عَلَى جِيفَةٍ تَنْتَاشُهَا الضَّبُعُ"، ما هذا الأسلوب؟ ها!

- قسم!
- خطأ، أعرف أنكم ستقولون هذا، ورّطتكم في الخطأ -ما شاء الله!- يقسم بحياته! على طريقة قول ذكرى المغنية التونسية باللهجة المصرية: "وِحْيَاتِي عَنْدَكْ لَوْ كَانَ لِيَّ عَنْدَكْ خَاطِرْ لَتْرَاجِعْ قَلْبَكْ قَبْلِ مَا يِيجِي الْيُومْ وِتْسَافِرْ"! الحبسي يقسم على طريقة ذكرى التونسية! ما "وَحَيَاتِي"؟ ما "وَحَيَاتِي"؟ ظرف -يا مسكينة!- أي "وطوال حياتي"!
- قلت: وطوال حياتي!
- لم أسمع! أهي إجابة سرية! ما "وَحَيَاتِي" إذن؟ وطوال حياتي لا أفعل. معقول أن تنتظروا من الحبسي أن يقسم بحياة نفسه! ما هذا الكلام الفارغ! "وَحَيَاتِي لَا أَغَارُ عَلَى جِيفَةٍ تَنْتَاشُهَا الضَّبُعُ"، "تَنْتَاشُهَا"، أي تنتزعها، والضبع من أسوأ الحيوان، عندها تخلف عقلي في الأكل، عندها مرض وراثي يفسد عليها الفريسة، لهذا كانت العرب تدعو: اللَّهُمَّ، ضَبُعًا وَذِئْبًا! لا ضبعا فقط، حتى يضبط كل واحد أكل الآخر، هذه الضبع متخلفة في الطعام، فإذا هجم الذئب والضبع انضبط الاثنان، لكن لو تركت الضبع للافتراس لأفسدت الأكل، كرجل تطيش يده في الصَّحْفة، كما ورد في الأثر عن بعض الصحابة، فقال له رسول الله -صلى الله عليه، وسلم!-: "كُلْ مِمَّا يَلِيكَ"! فهكذا الضبع من الحيوان، فلهذا كان البدوي يدعو على غنمه بالذئب مع الضبع، لا بأحدهما، أمعقول هذا! نعم، حتى يضبط كلٌّ منهما الآخر، فتسلم الغنم، إن شاء الله! إذا أكلا غنمةً كانا

محترمين، أما أن تنفرد الضبع بالغنم تنهش من هذه ومن تيك ومن تلك دون تخطيط، فهذا الفساد المبين، ها! "لَا تَرَانِي طُولَ عَافِيَتِي دَاخِلًا فِي غَيْرِ مَا يَسَعُ"، لماذا أورط نفسي فيما لا يتسع لي؟ "وَإِذَا صَاحَبْتُ ذَا حُمُقٍ قَدْرُهُ فِي الْأَرْضِ مُتَّضِعُ"، وهي في الأصل "حُمْق"، حركها -ها!- لو تركها ساكنة لانكسر البيت، وهذا من ألطف ما يفعله الشعراء في شعرهم. ما اسم هذه الظاهره؟ الإتباع، أن تأتي إلى مسكَّن الوسط، فتحركه بحركة ما قبله، تقول في زَهْر: زَهَر، وفي جُبْن: جُبُن. وأنتم في عمان تفعلون هذا في الكلام العادي: بَحَر نَهَر صَقَر...، إلى آخره، محاضرة الدكتور صَقَر -"سَأُصْلِيهِ سَقَرَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ"، صدق الله العظيم!- حولتمونا إلى جهنم -"وَبِئْسَ الْمَصِيرُ"!- عافانا الله وإياكم! تحريك وسط الكلمة إذن من ألطف ما يقع في الشعر، حتى إنني أدعي أنه ربما كان من لهجات العرب، وبهذا يخرج إلى عموم الكلام. "قَدْرُهُ فِي الْأَرْضِ مُتَّضِعُ"، لاصق في الأرض، لاصق من الذل والهوان والغباء، ليس عنده شيء من العقل. "سِرْتُ عَنْهُ مُعْرِضًا وَأَنَا فَوْقَ هَامِ النَّجْمِ مُرْتَفِعُ"، ماذا قال ربنا، سبحانه، وتعالى؟ "وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا" -صدق الله العظيم!- سلاما، سلاما! "لَمْ يُصِبْنِي بَعْدَ فُرْقَتِهِ حَزَنٌ مُؤْذٍ وَلَا جَزَعُ"، على طريقة المتنبي، ماذا قال؟

"سَهِرْتُ بَعْدَ رَحِيلِي وَحْشَةً لَكُمُ ثُمَّ اسْتَمَرَّ مَرِيرِي وَارْعَوَى الْوَسَنُ"!

انزعجت قليلا، ثم تقوَّيت، ونسيته! هذا أصلا لا يستحق حزني عليه من الأساس! يتكلم المتنبي عن صاحبه سيف الدولة، يتكلم عن نظيره وحبيبه، أما هذا فيتكلم عن شخص لا يستحق أي شيء. "حَاشَ لِلَّهِ الْمُهَيْمِنِ لَمْ أَنَّهُ نَذْلًا لَيْسَ يَرْتَدِعُ"، نهيُ أمثالِ هذا صيحةٌ في واد، أو -كما يقول المصريون- نفخ في قربة مخرومة، يقولون: يَنْفُخُ فِي...

- رَمَاد.
- أحسنت، في رَمَاد، هذا كلام البدو، أما كلام المعاصرين المصريين فهو هذا الكلام الركيك "يَنْفُخُ فِي قِرْبَةٍ مَخْرُومَةٍ". يصيح في واد، وينفخ في رماد، فهذا الشخص من هذا النمط، مستحيل أن أضيِّع معه وقتي. تأملوا كيف كتبت "حَاشَ"، على طريقة كتابة القرآن، أما هي في متن اللغة ف"حاشى، يحاشي"، على مثل "عادى، يعادي"، فعل ثلاثي مزيد بالألف، على وزن "فاعل، يفاعل"، لكنها خُفِّفت هنا في الكتابة "حَاشَ لِلَّهِ"، وفي النطق "حَاشَى لِلَّهِ" المفروض أن تقول:

"حَاشَانِيَ اللهُ"، خففوها: "حَاشَى لِلَّهِ"، ليس هذا هو "حاش يحوش"، لا، بل "حاشى يحاشي"، ومنه قول النابغة:

"وَلَا أَرَى فَاعِلًا فِي النَّاسِ يُشْبِهُهُ وَلَا أُحَاشِي مِنَ الْأَقْوَامِ مِنْ أَحَدِ"!

في داليته "يا دارَ مَيَّةَ بالعَلياءِ فَالسَّنَدِ"، يقول: كذا كذا ولا أحاشي من أحد، أي لا أستثني. "لَا وَلَا أَصْبو إِلَى امْرَأَةٍ فِعْلُهَا الْمُسْتَقْبَحُ الشَّنِعُ"، ما معنى "أصبو"؟ أتطلع، صبا إليها، أي تطلع، وتشوق، وتعلق -تقولون: الشَّنيع، ويقول: الشَّنِع، فَعِيل وفَعِل كلتاهما صفة- ونحن الآن نصبو إلى مثل هؤلاء، نخدع بالمظاهر، نخدع مع الأسف بالمظاهر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم! "وَإِذَا مَا كَظَّنِي ظَمَأٌ وَأَنَا فِي الْقَفْرِ مُنْقَطِعُ"، ما معنى "كَظَّنِي"؟ لسعني، وهذه الكِظّة معروفة في الطعام لا في الشراب -هذا عِلْمي بها- لكنه نقلها إلى الشراب، إذا لسعني ظمأ يأكل معدتي -ها!- ليس عندي مادة -ماذا يفعل؟- "لَمْ أَرِدْ مِنْ مَوْرِدٍ كَدِرٍ فِيهِ أَصْحَابُ الْخَنَا كَرَعُوا"، ما معنى "كَرَعُوا"؟ شربوا بأفواههم، ينزلون بأرجلهم -والكوارع السيقان- ينزلون إلى المياه، إلى الفلج، كان العمانيون قديما يشربون من الفلج مباشرة، ومازال بعضهم، فينزل برجله، وهكذا كنا في بلادنا، عندنا في حقولنا أشباه الأفلاج، لكن أفلاجكم هذه عجيبة الشكل، ليس كمثلها شيء من أعمال الناس، حتى إنهم عثروا على مثلها في كَنَدَة -هل سمعتم هذا الخبر؟- فاستفدت أنا من هذا الخبر أن العرب وصلوا إلى أمريكة، وهذا معروف في الأخبار أصلا، في الكتب القديمة المخبوءة التي لا تتاح لأي أحد، كلام عن وصول العرب قبل هؤلاء الظلمة إلى أمريكة، في كتاب سري اسمه "في بحر الظلمات" على ما أظن، وصل إليه بعض الناس، وكتب عن هذا. جمعتُ بين المعلومات، فقلت: أكيد، ليس بغريب إذن أن يعثروا على أفلاج كالأفلاج العمانية في كنَدة، كلام غريب عليكم طبعا، غريب، لكنه موجود، وعلى الإنترنت منه، وعلى الجزيرة، ادخلوا إلى الإنترنت، واطلبوا هذا المعنى! من عاداتكم إذن أن تنزلوا الأفلاج، ومن عاداتنا في قريتنا مثل ذلك، ولكننا نسمي الفَلَج "الفَحْل"، يكون بين الأرض هكذا، فإذا كانت مياهه صافية شرب منه الفلاح، دون مشكلة، بل مياهه أفضل من مياه الخزنات المستنقعة أصلا! ينزلون ويشربون بأفواههم مباشرة، منتهى المتعة، وأنا في صغري فعلت هذا حينما كانت المياه تجري فيه صافية، وأحببته سعيدا بصحبة الفلاحين في الحقول! لكن هذا الرجل يقول: لا، مستحيل أن أشرب من مورد نزله

وشرب منه هؤلاء الخبثاء، يبدو أن الخبث يتسرب منهم عندئذ ويختلط بالمياه -أعوذ بالله!- هذا شبيه بقول أبي نواس:

"لَا أَذُودُ الطَّيْرَ عَنْ شَجَرٍ قَدْ بَلَوْتُ الْمُرَّ مِنْ ثَمَرِهْ"!

واعجبوا لبيت أبي نواس أستاذ الحداثيين الأوائل، يوافق وزنَه وزنُ قصيدة شاعرنا العماني الحبسي نفسه! وانتهت الأبيات الثلاثة عشر -ما شاء الله!- برقم التشاؤم، تحدى! **ها، نعم -يا أصيلة!- لحظة، اصبري؛ القصيدة قصيرة وسهلة، تريد أصيلة أن تستفيد -ها!- ولا بأس بأن نساعدك على هذا، منافسة بخمس درجات زيادة أو نقصا أو طردا، بلغة مسعود الذي جنى على نفسه، فكان من المطرودين!** طيب -يا أخي- تفاءل! قلنا: بخمس درجات زيادة أو نقصا، فقال: أو طردا، فكان في المطرودين! عَلَى نَفْسِهَا جَنَتْ بَرَاقِشُ! يقولون في المثل: عَلَى أَهْلِهَا جَنَتْ بَرَاقِشُ، ولكننا نغيره -إن شاء الله!- ليصير: عَلَى نَفْسِهَا جَنَتْ بَرَاقِشُ، ولا حول ولا قوة إلا بالله، "تَفَاءَلُوا بِالْخَيْرِ تَجِدُوهُ"! أصيلة متفائلة، واضح عليها أنها متفائلة، لا، لا، واضح عليها، تفضلي! نعم؟ تفاءلوا، تفاءلوا! أصيلة أول من قرأ في هذه الدنيا، وأول من طرد! لها تاريخ حافل من الإنجازات، من الرواد الأوائل، خرجت واطمأنت على الشوارع والقاعات، ها، تفضلي، وارفعي صوتك!

- لَا تَرْجُ الْخَيْرَ مِنْ رَجُلٍ عِرْضُهُ لِلذَّمِّ مُتَّسِعُ
  فِي الْخَنَا مَشْيٌ لَهُ وَلَهُ فِيهِ مُصْطَافٌ وَمُرْتَبَعُ
- ما شاء الله، تابعي، لا بأس، لا بأس!
- لَسْتُ مِنْهُمْ إِنَّنِي رَجُلٌ بِجَمِيلِ الصَّبْرِ مُقْتَنِعُ
  لَيْسَ لِي فِيمَنْ أُحِبُّ إِذَا خَانَنِي فِي نَفْسِهِ طَمَعُ
  وَحَيَاتِي لَا أَغَارُ عَلَى جِيفَةٍ تَنْتَاشُهَا الضَّبُعُ
  لَا تَرَانِي طُولَ عَافِيَتِي دَاخِلًا فِي غَيْرِ مَا يَسَعُ
  وَإِذَا صَاحَبْتُ ذَا حُمُقٍ قَدْرُهُ فِي الْأَرْضِ مُتَّضِعُ
  سِرْتُ عَنْهُ مُعْرِضًا وَأَنَا فَوْقَ هَامِ النَّجْمِ مُرْتَفِعُ
  لَمْ يُصِبْنِي بَعْدَ فُرْقَتِهِ حَزَنٌ مُؤْذٍ وَلَا جَزَعُ
  حَاشَ لِلَّهِ الْمُهَيْمِنِ لَمْ أَنَّهُ نَذْلًا لَيْسَ يَرْتَدِعُ

لَا وَلَا أَصْبُو إِلَى امْرَأَة فِعْلُهَا الْمُسْتَقْبَحُ الشَّنِعُ

وَإِذَا مَا كَظَّنِي ظَمَأٌ وَأَنَا فِي الْقَفْرِ مُنْقَطِعُ

لَمْ أَرِدْ مِنْ مَوْرِدٍ كَدِرٍ فِيهِ أَصْحَابُ الْخَنَا كَرَعُوا

- الله، الله، صوت جميل، أداء جميل، تستحقين التحية والدرجة. حظوظ، حظوظ، هذه القصائد حظوظ، أصيلة خمس درجات، ما شاء الله، اللهم، لا حسد! طيب، أتعرفون "أَرِد"، و"مَوْرِد"، وكذا، لم نعلق! "أرد" هذا ماض أم مضارع أم أمر؟

- مضارع.

- طبعا مضارع -فلا تدخل "لم" إلا على المضارع- فما ماضيه؟

- وَرَدَ، أَرَادَ...

- "وَرَدَ"، أم "أَرَادَ"؟

- وَرَدَ.

- نعم؛ ولو كان "أَرَادَ" لقال: "لَمْ أُرِدْ"، لأن بعض الناس قرأها "أُرد"، فقلت له: يا بُعْدَ ما بين المشرقين؛ هذا "وَرَدَ، يَرِدُ، فأنا أَرِدُ، لم أَرِدْ"، والثاني "أَرَادَ يريد، أنا أُرِيدُ، لَمْ أُرِدْ"، هذا في واد، وذاك في واد! ما معنى "أراد، يُريد"؟ قصد يقصد، وما معنى "وَرد يَرد"؟ جاءَ الماءَ يجيئه، والمورد في العمانية الشَّرِيعة، وكلمة "الشريعة" هي الأصل. قبل أن تطلق كلمة "شريعة" على الأوامر والنواهي المحددة، كان هذا هو الأصل، المعنى العماني هو أصل المعنى. **طيب! نكتب البيتين الأولين، والأمور سهلة لطيفة كما ترون.**

- ومورد الماء؟

- "مورد الماء" موضع الماء، الذي يذهب الناس إليه، يستقون يشربون. بسم الله!

لا ترج الخير من رجل عرضه للذم متسع

عرضه -ولا حول ولا قوة إلا بالله!- للذم متسع، أي لا يعبأ بأن يذم، لا حول ولا قوة إلا بالله!

في الخنا مشتى له وله فيه مصطاف ومرتبع

كلام لطيف سهل، المعنى صعب طبعا، لكن التعبير سهل، مشتى ومصطاف ومرتبع، كلها أسماء أَمْكِنة. طيب، هل من خطأ؟ أعرف أنني أخلط الخطوط! أرسل إلي بعض الناس صورة كتابة:

هل هذا الخط صحيح، يا أستاذ؟ فأعدت كتابته له حتى أعلمه كيف يكتب الخط، فقال: ما شاء الله، خطاط، فقلت له: لا، بل خلاط! لا أريد أن أخدعكم، انتبهوا، لست خطاطا، كان أبي خطاطًا، كان الخط من ضمن مواهبه، ورثت منه محبة الخط، فخلطتها، صرت إلى الخلط! نحتاج في هذه الجامعة إلى دورة خط، فاطلبوها من عمادة شؤون الطلاب يستقدموا لنا من الخارج أستاذ خط يعلمنا الخط، لا يجوز هذا، لا يجوز، عندكم -ما شاء الله!- أصحاب خطوط، لكن لم يتعلموا على أساس، هل كان عندكم في الثانوية أستاذ خط؟

- لا.

- حينما ذهبت إلى الصين -اسمعوا!- وقد ذهبت إليها أكثر من مرة، قابلت شابا في الدكتوراة يدرس العربية، قلت له: لماذا تدرس العربية؟ ما أول ما عطفك على العربية؟ فقال: الخط! كنت على الإنترنت أقلب، ففوجئت بهذا الخط! إي والله هكذا قال! دخل إلى دراسة العربية من مدخل الإعجاب بالخط العربي، بل في العالم ناس يدخلون الإسلام من هذا المدخل، ونحن أول المهملين، ولا حول ولا قوة إلا بالله! طيب، كتبنا؟ فلنشكل! ينبغي ألا نخطئ الإملاء حتى نستطيع أن ندقق التشكيل، نتقرب إلى الله بتدقيق التشكيل. يا سلام، متعة طبعا! أنا أكرر هذه العبارات لتستقر في أنفسكم كالعقائد، كالعقائد -ها!- لا أمزح فيها، لا، بل أرسخها كالعقائد -يا سلام، استمتع، ما شاء الله!- فيخرج الواحد منكم يعتقد أنه متعة حقًّا، عقيدة!

لَا تُرَجِّ الْخَيْرَ مِنْ رَجُلٍ عِرْضُهُ لِلذَّمِّ مُتَّسِعُ
فِي الْخَنَا مَشْتًى لَهُ وَلَهُ فِيهِ مُصْطَافٌ وَمُرْتَبَعُ

"فِي الْخَنَا مَشْتًى"، وهكذا تضع الفتحتين على ما قبل الألف، لا على الألف كما يفعلون في الكتب، وهو وجه قديم متروك. "... وَمُرْتَبَعُ"، ما شاء الله! مقيم طوال العام، رجل ثري بالفواحش! طيب، الآن نغني هذا، سنتكلم كلاما كثيرا عن هذا، ها!

لَا تُرَجِّ الْـ|ـخَيْرَ مِنْ| رَجُلٍ| عِرْضُهُ لِلذْ| ذَمِّ مُتْ| تَسِعُ
فِي الْخَنَا مَشْـ|ـتًى لَهُ| وَلَهُ| فِيهِ مُصْطَا| فٌ وَمُرْ| تَبَعُ

الله، الله، نعيد:

لَا تُرَجِّ الْـ|ـخَيْرَ مِنْ| رَجُلٍ| عِرْضُهُ لِلذْ| ذَمِّ مُتْ| تَسِعُ

فِي انْخَنَا مَشْـ| ـتَىً لَهُ| وَلَهُ| فِيهِ مُصْطَا| فٌ وَمُرْ| تَبَعُ

- تنزيل هذا على الصفحة بخطوط مختلفة، جميل، أنا كنت أشاهد بعضكم ومعه أقلام مختلفة الألوان كهذه، وقد أحسن أيما إحسان، جميل هذا، جميل، نستفيد من الألوان المختلفة، ما المانع؟ ما رأيكم في أن نكتب الدندنة على الأداء؟ كأننا ننطق بالدندنة كذلك هكذا، نكتب بالأحمر أحسن، أوضح، هكذا، نتنفس بالدندنة:

لَا تُرَجِّ الْـ= دن ددن دن

ـخَيْرَ مِنْ= دن ددن

رَجُلٍ= ددن

عِرْضُه لِلذُّ= دن ددن دن

ـلِّ مَتْـ= دن ددن

ـتَسِعُ = ددن، عندنا هنا واو غير مكتوبة، تعلمنا هذا، مللنا من تعلُّم هذا، "تَسِعُ(و)"!

فِي انْخَنَا مَشْـ= دن ددن دن

وياء "فِي" وألف "أَلْ"، كلتاهما ساقطة من النطق في هذا الملتقى شعراً وغير شعر.

ـتًى لَهُ= دن ددن

هذه الهاء طبعا واجبة الإشباع؛ إذا تحركت بعد متحرك وجب إشباعها، وإن وقع في بعض الشعر النادر على مدار التاريخ اختلاسُ إشباعها، فكان قبيحاً!

وَلَهُ= ددن

فِيهِ مُصْطَا= دن ددن دن

ترون أنه لم يشبع هذه الهاء، لو أشبعها لكسر الوزن جرب: "فيهِ(ي) مصطا= دن دن دن"، ما هذا!

فٌ وَمُرْ= دن ددن

تَبَعُ= ددن

طيب! "لَا تُرَجِّ الْـ= دن ددن دن، فاعلاتن، سالمة"، "ـخَيْرَ مِنْ= دن ددن، فاعلن، سالمة"، طيب، "رَجُلٍ= ددن"، ماذا نقول فيها؟

- فعِلُن.
- فعِلُن! لا، بل "فَعِلَا"! **ما هذا؟ أقدم لكم بحر المديد، وصلنا إلى التفعيلات فوجب أن نقدم البحر، والبيت منه "فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلن"، مرتين.** ما هذا يا أستاذ؟ هو هذا -ها!- البيت منه "فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلن"، مرتين! و"فاعلاتن" كما عرفناها في الرمل "فا، علا، تن"، و"فاعلن" كما عرفناها في المتدارك "فا، علن". ما "فا"؟
- سبب خفيف.
- وما "علا" أو "علن"؟
- وتد مجموع.
- وما تن؟
- سبب خفيف.
- ويجوز في هذه ما عرفناه من قبل، ما الذي عرفناه من قبل؟ عرفنا "الخبن" الذي يحول "فاعلاتن" إلى...
- فعِلاتن.
- "فعِلاتن= doddon دن، ويحول فاعلن إلى...
- فعِلن.
- "فعِلن= doddon"، لكن طبعا يستحيل أن نشوه التفعيلة بالعلة في الداخل، فنقول مثلا: "فاعلاتْ= دن ددنْ" بالقصر، مستحيلة في الداخل، أو أن نقول: "فاعلْ= دن دن"، كما قلنا في المتدارك، هذا الذي حدث في المتدارك أصلا غريب -فاعلْ= دن دن، يَا لَيْلُ الصَّبُّ مَتَى غَدُهُ، يَا لَيْـ= دن دن"، وهو من جَريان العلة مجرى الزحاف، وهو غريب، لا يقاس عليه، لا يقاس على العلة التي جرت مجرى الزحاف، ولا على الزحاف الذي جرى مجرى العلة؛ فالشذوذ لا يقاس عليه! طيب، ما هذا البحر؟ ما هذا، يا أستاذ! كأنك نسيت، هذا أخو الطويل والبسيط، من الأُسرة الأولى (الدائرة الأولى)، التي تسمى دائرة المختلف؛ فلكم إذن أن تقولوا على طريقة النسب العربية المستمرة في عُمان: هذا بحر المديد المُخْتَلِفِيّ، مِن بَني المختلف (الدائرة الأولى)، أَخَواه الطويل والبسيط! طيب، أيَّ بيتٍ عرفتم بيتَ الطويل؟ عرفناه مثمنًا، وكذلك بيت البسيط؛ فماذا

تنتظرون أن يكون بيت المديد؟ لابُدّ أن يكون كأخويه، أمعقول أن يكون أخواه بِطُول وهو بِطُولٍ آخر! هذا مريب، ما الذي حدث له؟ وَيْلُمِّهِ ما أصابه! أمَرَض؟ أم اختِصار؟ أم ماذا حدث؟ فالعادة أن يكون الإخوة على نمط واحد، لكن يحدث أحيانا ما يخالف العادة، بمرض -عافانا الله وإياكم!- أو بأي شيء. عندنا في مدينتنا شخص فنان، نصف إنسان، يمشي بنصف، حتى إنهم يسمونه النُّصّ (النصف)، ميكانيكي مدهش، يتحرك على بِساط متحرك بعجل، بَسْطة خشب متحركة، وينزل تحت السيارات -إي والله يا جماعة!- عندكم في أفلام الواتس طبعا رأيتم النصف الأمريكي شيطانًا من الشياطين، جاء إلى الخليج، يتحرك في العالم لِبَثّ التفاؤل في الناس، يعرف أشياء كثيرة لا نعرفها، وهو نصف إنسان، نصف فقط، ويَسْبَحُ، ويكتب على الجهاز، ويمارس عمله كاملا! طيب! هذا المديد أخو الطويل والبسيط، ولكنه لم يستعمل مثمنا قط، فما هذا التثمين إلا ضرورة علمية، لا مصداقَ لها من الواقع، كيف يا أستاذ؟ اشرح! تعرفون أن الخليل اخترع نظرية الدوائر، واكتشف بها أُسَر البحور، وهذا اكتشاف هائل، لا يُتخَيَّل أن يكون في ذلك الزمان -طيب، جميل!- ثم جعل الحركة داخل هذه الدوائر بنظام التقليب المعروف عنه أيضا في المعجم، ماذا عرفتم في المعجم؟ علم مثلا يقلبها على: عمل، معل، ملع، لعم، لمع! وهكذا يخرج من الكلمة ذات الأحرف الثلاثة ست كلمات! جميل؟ هل يمكنك عقلا في التقليب أن تُخرج: "لم" بدلا من "لمع"؟ طيب، وأين الحرف الثالث؟ مقتضى التقليب أن تثلث كل المخرجات -وإن لم تك مستعملة!- وهذا هو الذي حدث، فقد أخرج بيت المديد مثمنًا كغيره مما في دائرته، لأنه يعتمد على التقليب في توليد البحور من داخل الدوائر؛ فإذا رجعنا إلى الطويل، وحاولنا أن نخرج منه المديد، والطويل "فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن" -ها!- ابدأوا من "لن"! "لن مفاعي لن فعو لن مفاعي لن فعو"، وهذا المديد: "فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلن"، هذا مقتضى التقليب. تمين البيت من المديد إذن، ضرورة علمية نظرية، لا مصداق لها من الواقع، لم يحدث قط أن قال شاعر من المديد على ثماني تفعيلات، نعم؛ لم يحدث إلا من باب العبث، وسأطلعكم على بعض هذا العبث أواخر الفصل! ما الذي حدث في الواقع؟ تَسْدِيس المديد، فماذا يفعل الخليل؟ وصفه بأنه...

- مجزوء.

- أحسنتِ، هو هذا، وصفه بأنه مجزوء، كيف يربط العمل بالنظر؟ البيت عنده في النظر مثمن، وفي العمل مسدس، فكيف ربط بين النظر والعمل؟ قال: هذا مجزوء هذا، ما الجَزْء؟ حذف تفعيلة من كلا شطري البيت، ليصير المثَّمن...
- مسدَّسا.
- مسدَّسا. والمسدَّس...
- مربَّعا.
- مربَّعا... وهكذا، بحذف تفعيلة من كلا الشطرين -طيب!- فبيت المديد المجزوء إذن "فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلاتن فاعلن فاعلاتن"، ومنه قول ابن أخت تأبط شرًّا في ثأره من هذيل بقتلهم خاله:

"إِنَّ بِالشِّعْبِ الَّذِي دُونَ سَلْعٍ لَقَتِيلًا دَمُهُ مَا يُطَلُّ"!

هل سمعتم عن تأبط شرًّا؟
- نعم.
- سمعتم عنه طبعا لغرابة اسمه، لكن لم تقرؤوا قصته! كان تأبط شرا جبارا من الجبابرة، صعلوكا جبارا لا يقدر عليه أحد، كان يسبق الغزلان إذا ركض، وكان يغزو على رجليه، انظروا إلى الناس تركب الخيول وهو يركب رجليه! سألت أحد أساتذتنا مرة: كيف ستذهب إلى الجامعة؟ فقال باللهجة المصرية: بأتوبيس حِدَاشَر (١١) -الحوافل عندنا مرقمة: هذا خمسة، هذا تسعة، هذا مئة، هذا كذا- ماذا يقصد؟ يقصد رجليه! فكان تأبط شرا يهاجم ويجري على رجليه فقط، ويسبق الوحوش، لكنه قُتل، وكذلك عنترة وفلان وفلان من شياطين الصعاليك والفرسان، فالقتل تاج حياتهم، يحبهم ويحبونه -ها!- حتى إن سيدنا خالد بن الوليد حزن حزنا شديدا أنه لم يُقْتل: "لَقَدْ لَقِيتُ كَذَا وَكَذَا زَحْفًا، وَمَا فِي جَسَدِي مَوْضِعُ شِبْرٍ إِلَّا وَفِيهِ ضَرْبَةٌ أَوْ طَعْنَةٌ أَوْ رَمْيَةٌ، وَهَا أَنَا ذَا أَمُوتُ حَتْفَ أَنْفِي كَمَا يَمُوتُ الْعَيْرُ فَلَا نَامَتْ أَعْيُنُ الْجُبَنَاءِ"! يحبون ذلك، وأنا أيضًا أحبه، وأسأل الله إياه دائما: ... وعند الموت شهادةً في سبيلك! تعرفون ما كرامة الشهيد؟ لا يجد لألم الموت إلا مثلما يجد الملسوع للسعة بعوضة! ها، ما رأيكم؟ كرامة، هذه كرامة الشهيد، طيب، من يكره هذا؟ أتحبون أن تصارعوا الموت؟ حتى إن رسول الله -صلى الله عليه، وسلم!- صارع

الموت، ومن كلامه: "إِنَّ لِلْمَوْتِ لَسَكَرَاتٍ"! شدائد، فمن يكره أن يموت مقتولا ما دامت هذه كرامة القتيل في سبيل الله، من! بل نحتاجه جميعا، ونحبه طبعا. هؤلاء المسلمون على مدار التاريخ كانوا يحبون أن يموتوا مقتولين في سبيل الله، وأن يَغنموا! يضربون العصافير كلها بحجر واحد، يكونون في منازل النبيين والصدقين والشهداء والصالحين، ولا يجدون للموت مِن ألمٍ، ما شاء الله -طالع واكل، نازل واكل!- منشار، مستفيد من الجهتين، الحمد لله! طيب! هذه القصيدة الفاخرة أريدكم أن تراجعوها في الكتب وأن تحفظوها. وقد انتقم ابن أخت تأبط شرًّا لخاله، فلم يرتح له بال حتى فعل، ومن قوله فيها:

"تَضْحَكُ الضَّبْعُ لِقَتْلَى هُذَيْلٍ وَتَرَى الذِّئْبَ لَهَا يَسْتَهِلُّ"!

الضبع التي ذكرناها منذ قليل، تضحك لقتلى هذيل، أي دمرهم تدميرا، ومن قوله فيها أيضا:

"حَلَّتِ الْخَمْرُ وَكَانَتْ حَرَامًا وَبِلَأْيٍ مَا أَلَمَّتْ تَحِلُّ

سَقِّنِيهَا يَا سَوَادَ بْنَ عَمْرٍو إِنَّ جِسْمِي بَعْدَ خَالِي لَخَلُّ"!

تعرفون طبعا أنهم كانوا يحرمون على أنفسهم الخمر حتى ينتقموا، أي بعد صعوبة حَلَّتْ، بعد أن اجتهدْتُ في طلب الثأر. ولتأبط شرا له سمعة هائلة طبعا في تراثنا، له مثلا قصة ظريفة جدا مع أبي كبير الهذلي الشاعر الفارس الكبير، الذي تزوجته أمه بعد موت أبيه، فقد خافه أبو كبير على نفسه، فخرج به مَكْرًا ليقتله -قيل- فكان يتغفَّل نومه، فرصة، فيرميه بحصاة قبل أن يهجم عليه، فيجده ينتفض قائما، أكثر من مرة، حتى حذره تأبط شرا: لو أعدْتَها قتلتك -يقول هذا لزوج أمه!- فعَجَزَ عنه، وقال في ذلك أبياتا كان منها هذا البيت الذي يمثّل ما حاوله منه:

"وَإِذَا قَذَفْتُ لَهُ الْحَصَاةَ رَأَيْتَهُ يَنْزُو لِوَقْعَتِهَا طُمُورَ الْأَخْيَلِ"!

ومِثلُ هذا ينام! لكنه مع كل هذا الجبروت قُتل في النهاية، وقال فيه ابن أخته قصيدة مَديديّة من أنفس الشعر العربي، صورة البيت منها "فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلاتن فاعلن فاعلاتن" -وهي صورة صعبة نادرة جدا في الشعر العربي- جعلها أبو عبيد البكري هي نفسها نمطًا صعبًا! ثم مضت القرون، وترجمها عن الإنجليزية إلى الألمانية وتكلم في ترتيب أبياتها جوته الشاعر الألماني الكبير، فاضطرَّ محمود محمد شاكر أستاذَنا أستاذ الدنيا -رحمه الله، وطيب ثراه!- إلى بيان حقيقة ذلك، بطائفة من المقالات النفيسة، جمعت في كتاب بعنوان "نمط صعب ونمط مخيف"، أدعي أنه الأَوْلى

دون غيره من أعمال أستاذنا، بأن يُعَدَّ مجلى منهجه في تذوق الشعر العربي. ولصعوبة هذه الصورة من بيت المديد تجدون بعض الشعراء يتحدى فيها بعضا، مثل ذلك الشاب المصري الذي حصل أخيرا على بعض الجوائز الدولية، محمد المعصراني، الذي يتحدى الشعراء بالنظم من المديد -أرأيتم سُمعة المديد المخيف!- حتى لقد سمى أحد كتبه الشعرية "الهجرة إلى الخليل بن أحمد"! مثمن المديد إذن لا وجود له أصلا، ومسدسه بهذه الصورة شديد الصعوبة، فماذا يفعل الشعراء؟ يلطفونه قليلا! نعم؛ وقد فعلوا -ألا تذكرون أننا مررنا فيما سبق بالمتدارك، فلم نجد له أثرا قديما، ثم وجدنا الشعراء قد حاولوا تلطيف "دن ددن"، بـ"دن دن"، "دددن"، ونجحوا!- فجاؤوا في بيت المديد، إلى "فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلاتن فاعلن فاعلاتن"، فحذفوا "تن" من "فاعلاتن" العروض والضرب، هذه واحدة، ثم خبنوها، فصارت "دددن= فَعِلَا"، "فاعلاتن فاعلن فعلا فاعلاتن فاعلن فعلا". فعل هذا امرؤ القيس بقصيدته:

"رُبَّ رَامٍ مِنْ بَنِي ثُعَلٍ مُتْلِجٍ كَفَّيْهِ فِي قُتَرِهْ"!

وفعله زعيم الغزلين، من زعيم الغَزِلين؟ عمر بن أبي ربيعة، فزاده لطافة ورواجا، بمثل قصيدته:

"شَاقَ قَلْبِي مَنْزِلٌ دَثَرَا حَالَفَ الْأَرْوَاحَ وَالْمَطَرَا"!

حتى جاء الإمام الأكبر، لا شيخ الأزهر، بل أبو نواس، فقال من شعره الجميل الذي كالماء سلاسة -فزاده لطافة ورواجا- ما أحفظ منه عدّة قصار -وهي كثيرة في شعره؛ فلم يكن يحب الإطالة، كان بعيد النظر!- منها -واسمعوا!- هذا الكلام الجميل:

"يَا كَثِيرَ النَّوْحِ فِي الدِّمَنِ لَا عَلَيْهَا بَلْ عَلَى السَّكَنِ
سُنَّةُ الْعُشَّاقِ وَاحِدَةٌ فَإِذَا أَحْبَبْتَ فَاسْتَكِنِ

سنة العشاق أن يستكينوا!

ظَنَّ بِي مَنْ قَدْ كَلِفْتُ بِهِ فَهْوَ يَجْفُونِي عَلَى الظِّنَنِ

يتهمني من غير دليل!

بَاتَ لَا يَعْنِيهِ مَا لَقِيَتْ عَيْنُ مَمْنُوعٍ مِنَ الْوَسَنِ
رَشَأٌ لَوْلَا مَلَاحَتُهُ خَلَتِ الدُّنْيَا مِنَ الْفِتَنِ
كُلَّ يَوْمٍ يَسْتَرِقُّ لَهُ حُسْنُهُ عَبْدًا بِلَا ثَمَنِ

فَاسْقِنِي كَأْسًا عَلَى عَذَلٍ كَرِهَتْ مَسْمُوعَهُ أُذُنِي
مِنْ كُمَيْتِ اللَّوْنِ صَافِيَةٍ خَيْرِ مَا سَلْسَلْتَ فِي بَدَنِ
مَا اسْتَقَرَّتْ فِي فُؤَادِ فَتًى فَدَرَى مَا لَوْعَةُ الْحَزَنِ
مُزِجَتْ مِنْ صَوْبِ غَادِيَةٍ حَمَلَتْهَا الرِّيحُ مِنْ مُزُنِ
تَضْحَكُ الدُّنْيَا إِلَى مَلِكٍ قَامَ بِالْأَحْكَامِ وَالسُّنَنِ
يَا أَمِينَ اللهِ عِشْ أَبَدًا فَإِذَا أَفْنَيْتَنَا فَكُنِ
كَيْفَ تَسْخُو النَّفْسُ عَنْكَ وَقَدْ قُمْتَ بِالْغَالِي مِنَ الثَّمَنِ
سَنَّ لِلنَّاسِ النَّدَى فَنَدُوا فَكَأَنَّ الْبُخْلَ لَمْ يَكُنِ"!

منتهى السهولة، منتهى اللطافة، منتهى الجمال، منتهى الروعة، شيطان من الشياطين، بدأ حياته طالب قرآن وحديث وفقه، شديد الطلب -ها!- ثم انحرفت به صحبة السوء! قيل إنه استقام له الأمرُ آخر حياته. لقد نجح في ترويج المديد بهذه الصورة "فاعلاتن فاعلن فعلا فاعلاتن فاعلن فعلا"، ومن لطيف ما تلحظون أنه سَلَّم "فاعلن" في أبياته العشرة كلها، على حين خبنها ابن أخت تأبط شرا ست عشرة مرة في لاميته تلك، ذات الستة والعشرين بيتا؛ فكأن أبا نواس -ومثله سائر الملطِّفين- خشوا على الوزن بخبن "فاعلن" أن يلتبس بالمكسور! هذا بحر المديد، يا جماعة! هؤلاء جماعة من نجباء قسم العربية، يا بحر المديد! تعارفوا -يا جماعة!- تعارفوا! تشرفنا! هذا بحر على رغم أنه من أسرة الطويل والبسيط لم يشتهر! وما الطويل وما البسيط؟ الطويل ملك البحور، والبسيط وزيره، أما المديد فلم يبلغ أن يكون غفيرًا -ها!- لم يكد يُستعمل حتى استُحدِثت الصورة اللطيفة، فظهر قليلا! أسرة فيها ملك ووزير وبلطجي! ها، ما رأيكم، أمعقول هذا! شيء مدهش، حتى إن أبا العلاء المعري استنبط منه على طريقته في لزومياّته حكمة بليغة، فماذا قال؟ قال:

"إِذَا ابْنَا أَبٍ وَاحِدٍ أُلْفِيَا جَوَادًا وَعَيْرًا فَلَا تَعْجَبِ
فَإِنَّ الطَّوِيلَ نَجِيبَ الْقَرِيضِ أَخُوهُ الْمَدِيدُ وَلَمْ يَنْجُبِ"!

إذا وجدت في أبناء الراجل الواحد ابنا كالحصان وابنا كالحمار فلا تعجب! تأملوا كيف يستخرج الحكمة! ماذا قال؟ كتبتم؟ إذا وجدت في أسرة واحدة ملكا وبلطجيا فلا تعجب، "فَإِنَّ الطَّوِيلَ نَجِيبَ الْقَرِيضِ أَخُوهُ الْمَدِيدُ وَلَمْ يَنْجُبِ" -من نجُبَ ينجُب، من باب "كرُم يكرم"، أي خُلِقَ نجيباً-

يا سلام! وهكذا كان أبو العلاء يستنبط الحكمة من كل شيء، وسأطلعكم على كثير من مثل هذا حينما ننتقل إلى القافية، لأنني وجدت له عجائب في كتابه "الفصول والغايات". كتبتم؟ يكفي هذا الحديث العاطفي عن بحر المديد، تكلمنا كثيرا، فلنفعل شيئا آخر! ماذا سنقول إذا في "دددن= فعلا"؟ مخبونة من الأول، محذوفة من الآخر:

لَا تُرَجِّ الْـ= دن ددن دن، فاعلاتن، سالمة

ـخَيْرَ مِنْ= دن ددن، فاعلن، سالمة

رَجُلٍ= دددن، فعلا، مخبونة محذوفة

عِرْضُهُ لِلذْ= دن ددن دن، فاعلاتن، سالمة

ـذَمِّ مُتْـ= دن ددن، فاعلن، سالمة

ـتَسِعُ = دددن، فعلا، مخبونة محذوفة

فِي انْخِنَا مَشْـ= دن ددن دن، فاعلاتن، سالمة

ـتًى لَهُ= دن ددن، فاعلن، سالمة

وَلَهُ= دددن، فعلا، مخبونة محذوفة

فِيهِ مُصْطَا= دن ددن دن، فاعلاتن، سالمة

فٌ وَمُرْ= دن ددن، فاعلن، سالمة

تَبَعُ= دددن، فعلا، مخبونة محذوفة

كتبتم؟ صورتم؟ افعلوا ما تشاؤون، المهم أن تستوعبوا هذا وتسجلوه ولا تنسوه، ها! **الآن ينبغي أن تَشُدّوا دساتين أعوادكم وأن تُحَمّوا طبولكم ودفوفكم -أي أن تتجهزوا- وأن تشربوا وتطربوا -أي أن تبتهجوا- وألا يتقدمن عازف عازفا، فإن ظن أنه يحسن فإنه يسيء -أي أن تتحركوا حركة جماعية- وأن تجعلوا النغمة أكثر زرقة، ما معنى أن تكون أكثر زرقة؟ لا ندري، لكن غاية المراد فيما نظن، الإتقان- معي، معي، ها!**

- لَا تُرَجِّ الْـ= دن ددن دن

ـخَيْرَ مِنْ= دن ددن

رَجُلٍ= دددن

عِرْضُهُ لِلذْ= دن ددن دن

ـذَمِّ مُتْـ= دن ددن

ـتَسِعُ = ددددن

- لحظة، إذا افترضنا أنه سيقول: "رَجُلٍ عِرْ= ددددن دن، فعلاتن، مخبونة" -يا فيلسوف!- فأكملنا معه: "ضُهُ لِلذَّمْ= ددن دن دن، مفاعيلن"، خرجنا من المديد إلى الهزج! لا تفرحنَّ إذن بالغنيمة العاجلة -ها!- وانتظر حتى تُحصِّل الآجلة! كن أبعد نظرا من أن تنخدع بالتفعيلات القريبة التي تهدم عليك المسار، ها!

- فِي انْحَنَا مَشْـ= دن ددن دن

ـتًى لَهُ وَ= ×

- ما هذه الضربة؟ ما هذه العلاوة؟ أعيدوا!

- ـتًى لَهُ= دن ددن

وَلَهُ= ددددن

فيه مُصْطَا= دن ددن دن

فٌ وَمُرْ= دن ددن

تَبِعُ= ددددن

لَسْتُ مِنْهُمْ= دن ددن دن

إِنَّنِي= دن ددن

رَجُلٌ= ددددن

بِجَمِيلِ الصْـ= ددددن دن

ـصبرِ مُقْـ= دن ددن

ـتَنِعُ= ددددن

- أعيدوا أعيدوا، ها؟

- لَسْتُ مِنْهُمْ= دن ددن دن

إِنَّنِي= دن ددن

رَجُلُنْ= ددددن
بِجَمِيلِ الصْـ= ددددن دن
ـصبرِ مُقْـ= دن ددن
ـتَنِعُ= ددددن
- يكفي، مسعود خرّج، اقرأ!
- أي بيت؟
- الرابع.
- لَيْسَ لِي فِي مَنْ أُحِبُ بُ إِذَا خَانَنِي فِي نَفْسِهِ طَمَعُ
- ها، خرّج!
- لَيْسَ لِي= ×
- خطأ!
- لَيْسَ لِي فِي= دن ددن دن
مَنْ أُحِبْـ= دن ددن
ـبُ إِذَا= ددددن
خَانَنِي فِي= دن ددن دن
نَفْسِهِ= دن ددن
طَمَعُ= ددددن
- أحسنت! مسعد يا تنور يا مجمع الزينات، ها، "وحياتي عندك"!
- وَحَيَاتِي لَا= ×
- خطأ!
- وَحَيَاتِي...
- لا، غَنِّ هذا، غنِّ -ها!- وَحَيَاتِي...
- وَحَيَاتِي= ددددن دن
لَا أُغَا= دن ددن

- هذه "لا أُغَا"؟ ها؟ يرى ما لا يراه الناظرون!
- ... لَا أَغَا...
- أعد!
- وَحَيَاتِي= دددن دن

لَا أَغَا= دن ددن

رُ عَلَى= دددن

جيفَةً تَنْـ= دن ددن دن

ـتَاشُهَا الضْـ= دن ددن

ـضَبُع= ×
- ضبعُ!
- ـضبعُ= دددن
- أصلها "ضَبُع" كـ"سَبُع"، هكذا، لكننا في اللهجة طبعا نقول: ضبْع، ونقول: سبْع -ها!- والضبع مؤنثة، والذكَر ضبْعان، ظروف! ها، مروان!
- لَا تَرَانِي طُولَ عَافِيَتِي دَاخِلًا فِي غَيْرِ مَا يَسَعُ
- جميل!
- لَا تَرَانِي= دن ددن دن

طُولَ عَا= دن ددن

فِيَتِي= دددن

دَاخِلًا فِي= دن ددن دن

غَيْرِ مَا= دن ددن

يَسَعُ= دددن
- أحسنت، ناصري!
- وَا إِذَا صَا= ×
- "وَا إِذَا"! من الذي يقول في العربية: "وَا إِذَا"، إلا أم كلثوم، ها؟ تقول في الأطلال مثلا:

"كَانَ صَرْحًا مِنْ خَيَالٍ فَاهَوَى"!

"فاهوى"! أحَرام أن تقولي: فهوى! تقول لك: سيفسد عليَّ اللحن! رَتّبي اللحن على هذا الأساس، رتبيه من الأصل على هذا الأساس -سبحان الله!- ها!

- وَإِذَا صَا= ددددن دن

أُحْبِبْتُ ذَا= دن ددن

حُمُقٍ= ددددن

قَدْرُهُ فِي= ×

قَدْرُهُ فِي الْـ= دن ددن دن

ـأَرْضِ مُتْـ= دن ددن

ـتَضِعُ= ددددن

- أرأيتم؟ أحسنت! قال: "قَدْرُهُ فِي"، ثم جاء ليقول: "الْأَرْضِ"، فاستحالت عليه، فرجع، فرأى الحل "قَدْرُهُ فِي الْـ/ أَرْضِ مُتْـ". اسمعوا أمل -ها!- جالسة للاستماع فقط، لا تكتب، ولا تنطق، فلنحركها قليلا، ها!

- سِرْتُ عَنْـ= ×

- والله، خطأ، تستحقين!

- خطأ في الضرب أم في...؟

- في الاثنين، تقول: خطأ في الضرب أم في... القسمة! اقرئي البيت أولا، يا أمل!

- سِرْتُ عَنْهُ مُعْرِضًا وَأَنَا فَوْقَ هَامِ النَّجْمِ مُرْتَفِعُ

- الكلام لطيف حقا، هذه القصيدة لطيفة التعبير، رجل نقي التعبير، ها، خرِّجي!

- سِرْتُ عَنْـ= ×

- خطأ، أُعيدُ عليك البيت السابق حتى تطبقي عليه:

- وَإِذَا صَا= ددددن دن

أُحْبِبْتُ ذَا= دن ددن

حُمُقٍ= ددددن

قَدْرُهُ فِي الْـ= دن ددن دن

ـأَرْضِ مُتْـ= دن ددن

ـتَضِعُ= دددن

- ها، طبقي!
- سِرْتُ عَنْهُ= دن ددن دن

مُعْرِضًا= دن ددن

وَأَنَا فَوْ= ×

- ها؟ تستحقين، "وَأَنَا فَوْ= دددن دن"! "وَأَنَا= دددن"، أخطأت الخطأ الذي حذَّرتُ منه -طيب!- "وَأَنَا فَوْ= دددن دن"، سعيدة بأنها قدمت "دددن دن= فعلاتن، مخبونة" -ما شاء الله!- فإذا أكملت قالت: قَ هَامِ النَّجْـ= ددن دن دن، مفاعيلن، هزج! فإذن؟
- وَأَنَا فَوْقَ هَا= ×
- خطأ، لا فوقها ولا تحتها، أعيدي من الأول!
- سِرْتُ عَنْهُ= دن ددن دن

مُعْرِضًا= دن ددن

وَأَنَا= دددن

فَوْقَ هَامِ النْـ= دن ددن دن

ـنجْمِ مُرْ= دن ددن

ـتَفِعُ= دددن

- جميل! سلمى، أين ملفك؟ هذا ملفك، فاعتمدي عليه!
- لَمْ يُصِبْنِي بَعْدَ فُرْقَتِهِ حَزَنٌ مُؤْذٍ وَلَا جَزَعُ
- قال: حزَن لا حُزْن؛ فما فرق ما بينهما، من يذكره؟
- الحَزَن أشد.
- أشد! هو غيره أصلا، الحَزَن شيء والحُزْن شيء، الحَزَن العمل، أما الحُزْن فنتيجة الحَزَن، أي الآثار التي تظهر على الشخص، الاحمرار والتورم وانقطاع الأشياء، هذه حالة حزن واضحة على الشخص،

لكن الممارسة التي تنتمي إلى هذا الأمر نفسها حَزَن، حَزِن يحْزَن حزَنًا، مثل المَلْء والمِلْء، ما الفرق بين المَلْء والمِلْء؟ المَلْء عمل، أنا أملأ الآن، فأنا في "مَلْء"، ثم بعد هذا أقول: هذا مِلء وعاءٍ من التمر، "ملْء"، والحُزن نتيجة كالمِلْء، فأما الذي كالمَلْء فالحَزَن، فإن يكن الوزنان اختلفا فَعَلًا وفَعْلًا ثم فُعْلًا وفِعْلًا، فلأسباب لغوية أخرى، أرجو أن أعرض لها يوما! طيب، ها؟

- لَمْ يُصِبْنِي= دن ددن دن

بَعْدَ فُرْ= دن ددن

قَته= دددن

حَزَنُ مُؤْ= دددن دن

ذ وَلَا= دن ددن

جُزَرُ= دددن

- جميل جميل جميل! ها؟ من؟ منى؟ قليلا قليلا أحفظ الأسماء، لكم كل التقدير، ها؟

- حَاشَ لِلّٰهِ الْمُهَيْمِنِ لَمْ أَنَّهُ...

- أَنَّهُ! -عَلِي حَسَنْ سَلُّوكَهْ!- لا، لن أمررها هكذا سهلا، لابُدّ أن أعلق عليها نصف ساعة من التعليقات، تذكرون ما قلته لكم عن " عَلِي حَسَنْ سَلُّوكَهْ"؟ حكيت لكم مرة -تحملي يا منى، ولا تحرجي؛ نحن أهل، لا حرج بيننا!- يقال: إن بعض الملوك كان يقرأ خُطبة من ورقة، فقرأ هذه العبارة "عَلِي حَسَنْ سَلُّوكَهْ"، وهي أصلا "عَلَى حُسْنِ سُلُوكِهِ"! وحينما كنت أستاذنا بجامعة طيبة من المدينة المنورة، استطرفتُ ذكر ذلك في بعض محاضراتي -واسمعوا الخبر الصعب!- فجاءني طالب بعد المحاضرة، وقال: دكتور، إياك أن تعيد هنا هذه الطرفة! قلت: لماذا، ما الحكاية؟ قال لي: أتعرف من هذا الملك الذي أخطأ هذا الخطأ؟ قلتُ: من؟ قال: أبو متعب الملك عبد الله بن عبد العزيز، وكان عندئذ هو الملك! منى، سامحيني -بارك الله فيك!- أنا كذلك إذا تسرَّعتُ أخطئ مثل هذه الأخطاء، ها!

- حَاشَ لِلّٰهِ الْمُهَيْمِنِ لَمْ أَنَّهَ نَذْلًا لَيْسَ يَرْتَدِعُ

- ها، قطعي، خرجي!

- حَاشَ لِلْ= ×

لـ(ا)ـه المهي= ×

- خطأ! "حاشا للّـ(ا)= دن ددن دن".

- حَاشَ للْـ(ا)= دن ددن دن

ـهِ الْمُهَيْـ= دن ددن

ـمِنِ لَمْ= دددن

أَنَّهُ= ×

- عَلِي حَسَنْ سَلُّوكَةَ!

- أَنْهَ نَذْ= ×

- خطأ، أَنْهَ نَذْلًا= دن ددن دن

- أَنْهَ نَذْلًا= دن ددن دن

لَيْسَ يرْ= دن ددن

تَدَعُ= دددن

- بارك الله فيكِ! أنا قاس جدا -يا جماعة!- أبالغ، وأتجاوز، كثير المزاح شديد الوطأة على الطلاب، سامحوني، ها! مَن نختار حتى نَصُبَّ عليه مِن مثل هذا؟ مَن؟ عبد الرحمن، ها!

- لَا وَلَا أَصْبُو إِلَى امْرَأَةٍ فِعْلَهَا الْمُسْتَقْبَحُ الشَّنِعُ

- طيب، ها!

- لَا وَلَا= ×

- خطأ!

- لَا وَلَا أَصْـ= دن ددن

- أعد العزف!

- لَا وَلَا أَصْـ= دن ددن دن

- أحسنت!

- ـبُو إِلَى امْرَأَةً= ×

- خطأ، أعد، أعد!

- لَا وَلَا أَصْـ= دن ددن دن
- لَا وَلَا أَصْـ= دن ددن دن ، غنّها، واضرب بالغناء نفسه، والتزم هذا الأداء!
- لَا وَلَا أَصْـ= دن ددن دن
- لا، بهدوء!
- لَا وَلَا أَصْـ= دن ددن دن

ـبُو إِلَى امْـ= دن ددن

ـرَأَة= دددن

فِعْلُهَا الْمُسْـ= دددن دن، ×

- لا، خطأ! "فِعْلُهَا الْمُسْـ=دن ددن دن"، ضربك في واد، وأداؤك في واد، وحّدهما، هذا هو ذاك نفسه، ها!
- فِعْلُهَا الْمُسْـ=دددن دن
- فِعْلُهَا الْمُسْـ=دن ددن دن
- فِعْلُهَا الْمُسْـ= دن ددن دن

ـتَقْبَحُ الشْـ= دن ددن

ـشَنِعُ= دددن

- ها، مهلب!
- وَإِذَا مَا كَظَّنِي ظَمَأٌ وَأَنَا فِي الْقَفْرِ مُنْقَطِعُ

وَإِذَا مَا= دددن دن

- أعد، وارفع صوت العزف!
- وَإِذَا مَا= دددن دن
- أعد!
- وَإِذَا مَا= دددن دن

كَظَّنِي= دن ددن

ظَمَأٌ= دددن

وَأَنَا فِي الْـ= ددددن دن

ـقَفْرِ مُنْـ= دن ددن

ـقَطِعُ= ددددن

- عندنا في هذا البيت شيء حدث من قبل، ولكننا لم نتعوده كثيرا، ما هو؟

- قطع.

- ها! ألف "أنا"، تعودنا عليها محذوفة، لكنه هنا أثبتها. تأملوا: "وَأَنَا فِي الْـ= ددددن دن، فعلاتن، مخبونة"، لو اختلسها لقال: "وَأَنَ فِي الْـ= دددددن"، لانكسر، ما دددددن هذه؟ كيف نخرجها؟ خطأ! ربما جاءكم هذا البيت في الاختبار، أو سألكم فيه أحد، فقرأتَ له "أنا"، على ما تعودت في مثل "أنا هنا وأنت هناك"، مختطفة، فقلت: "وَأَنَ فِي الْـ= دددددن"، ثم لم تعرف كيف تخرجها، فقلت: أخطأ الشاعر! نسيت -يا مسكين!- أنه أحيانا يتمسك بالأنانيّة "أنا، أنا"، فيقول: "وَأَنَا فِي الْـ"، مثل قول حُمَيْدِ بْنِ بَحْدَل:

"أَنَا سَيْفُ الْعَشِيرَةِ فَاعْرِفُونِي حُمَيْدًا قَدْ تَذَرَّيْتُ السَّنَامَا"!

ها!

- سِرْتُ عَنْهُ= دن ددن دن

مُعْرِضًا= دن ددن

وَأَنَا= ددددن

فَوْقَ هَامِ النْـ= دن ددن دن

ـنَجْمِ مُرْ= دن ددن

تَفِعُ= ددددن

- ما هذا؟ اللهُ عليكِ، يا سلام! -"أَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا"!- نعم، ألف "أنا" هنا واجبة الإشباع، أنت إذن معذورة على ما سبق! انتبهوا: "سِرْتُ عَنْهُ= دن ددن دن، فاعلاتن، سالمة"، "مُعْرِضًا= دن ددن، فاعلن، سالمة"، "وَأَنَا= ددددن، فعلا، مخبونة محذوفة". نعم؛ وكيف تقولينها دون إشباع، جميل، جميل، أحسنتِ!

- خمس درجات!

- نعم! خمس درجات! لا حول ولا قوة إلا بالله! الدنيا خلاص -يا أخي!- الناس خلاص، لم يعد أحد يفعل شيئا لوجه الله! اللهم أحسن ختامنا، يا رب، ها، من؟ نرفه عن منى قليلا -ها!- بتوريط أماني! يرتاح الواحد أحيانا برؤية صاحبه متورطًا، ها!
- لَمْ أَرِدْ مِنْ

يا ما شاء الله، أَرِدْ؟ بل أحسنتِ -ها!- وأخطأت أنا، سبحان الله، انتقم مني رب العالمين، لا حول ولا قوة إلا بالله! أرأيتم النيات -يا جماعة!- الأعمال بالنيات، أردت أنا أن أخطئها، ولم تنطق إلا الصواب!

- لَمْ أَرِدْ مِنْ مَوْرِدٍ كَدِرٍ فِيهِ أَصْحَابُ الْخَنَا كَرَعُوا
- أحسنتِ، أعيدي -ربما أخطأتِ خطأ ما!- ها، اضربي على الخشب، أعيدي.
- لَمْ أَرِدْ مِنْ= دن ددن دن

مَوْرِدٍ= دن ددن

كَدِرٍ= ددن

- كَدِرْ= ددن! مُنَى السببُ، ها، أعيدي!
- كَدِرٍ= دددن

فِيهِ أَصْحَا= دن ددن دن

بُ الْخَنَا= دن ددن

كَرَعُوا= دددن

- أحسنتِ -بارك الله فيك!- **<u>طيب! نعود، نعود إلى البيت الأول، ما قافيته؟</u>**
- مُتَّسِعُ.
- مُتَّسِعُ، لماذا؟ قدمنا لك ما تريد. ما الذي نريد؟ آخر ساكنين مع ما بينهما، أين آخر ساكنين؟ نبدأ من الآخر إلى الأول، من الآخر الواو غير المكتوبة، والساكن الذي قبل هذا...
- التاء الأولى.
- التاء الأولى، هاتان تاءان، فالساكن الأول التاء الأولى، وبين الساكنين التاء الثانية والسين والعين، وقبلهما الميم؛ فالقافية إذن "مُتَّسِعُ"، ها!

- مُرْتَبَعُ.
- مُرْتَبَعُ، ها!
- مُقْتَنَعُ.
- مُقْتَنَعُ، ها!
- سِهِ طَمَعُ.
- سِهِ طَمَعُ؟ أخطأت، تسرعت، وثقت في نفسها أكثر مما ينبغي، نعلق قليلا، نستمتع -لا بأس- بقليل من التأنيب! "سِهِ طَمَعُ"؟ لا حول ولا قوة إلا بالله!
- ـهِ طَمَعُ.
- ولكنها قالت: "سِهِ طَمَعُ"، معقول هذا، لا حول ولا قوة إلا بالله! نعم؛ "ـهِ طَمَعُ"، أين الساكن الأول؟ الياء غير المكتوبة: ـه(ي)، ها!
- هَا الضَّبُعُ.
- هَا الضَّبُعُ، من الهاء -تأمل، يا مسعود!- فهذه الألف بعد الهاء لا قيمة لها، لأنها لم تنطق- وهمزة الوصل هذه لا قيمة لها، لأنها لم تنطق- وهذه اللام لا وجود لها لأنها أبدلت ضادا وأدغمت في الضاد- كل هذا لا اعتبار له عندنا، فالقافية إذن "هَا الضَّبُعُ"، ها!
- مَا يَسَعُ.
- مَا يَسَعُ، ها!
- مُتَّضَعُ.
- مُتَّضَعُ، ها!
- مُرْتَفَعُ.
- مُرْتَفَعُ، ها!
- لَا جَزَعُ.
- لَا جَزَعُ، ها!
- يَرْتَضِعُ.
- يَرْتَضِعُ، ها!

- حُ الشَّنِعُ.
- حُ الشَّنِعُ، ها!
- مُنْقَطِعُ.
- مُنْقَطِعُ، ها!
- كَرَعُوا.
- كَرَعُوا؟
- نَا كَرَعُوا.
- نَا كَرَعُوا، نعم، جميل، **فما أقوى المكررات إذن؟**
- العين.
- طبعا، وقد سميناها عينية الحبسي، فكشفناها أصلا. ها، لو قلنا مثلا: "لَا تُرَجِّ الْخَيْرَ"، للحبسي- لأخفينا العين، لا، بل نسبناها للعين، ماذا بعد؟ أقوى المكررات؟ العين. ما حركتها؟ ضمة. قبلها ألف؟ لا. قبلها واو؟ لا، قبلها ياء؟ لا. قبل الذي قبلها ألف؟ لا. القافية إذن مجردة. أأُشبِعت ضمةُ العين، أم جاءت بدلا من إشباعها هاء أو تاء أو كاف أو كذا أو كذا؟
- أُشبعت.
- أشبعت، جميل، نعود إلى إضافة البيانات، ماذا نقول؟ هذه القصيدة مديدية الأبيات... -أعرف أنكم ستنسون، لا، تَذَكَّرتْ سالمةُ، طبعا، "أَتبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ"!- هذه القصيدة مديدية الأبيات المجزوءة -نسيتم أن الواقع خالف النظر بحذف تفعيلة من كلا الشطرين وهذا هو الجَزْء؟ ما الجَزْء؟ حذف تفعيلة من كلا الشطرين- فهذه القصيدة مديدية الأبيات المجزوءة، ها!
- المحذوفة العروض والضرب.
- المحذوفة العروض والضرب؟ أهكذا ترون ألّا نذكر الخبن في التصنيف؟ لا، لقد جرى مجرى الزحاف -يا مسكينة!- ارتبط الخبن بالحذف، الحذف علة، تمام؟ سامحوني، جرى مجرى العلة، ارتبط هنا -يا سلام، سبحان اللهٰ! أهم المواضع التي يجري فيها الزحاف مجرى العلة إذن، هي التي يرتبط فيها بالعلة -خذوا هذه القاعدة، وستأتينا في الوافر!- أهم المواضع التي يجري فيها الزحاف

مجرى العلة فيلزم -والخبن زحاف سهل لطيف- المواضع التي يقترن فيها بالعلة. ما العلة التي هنا؟ حذف السبب الخفيف.

- الحذف.
- الحذف، ما الحذف؟ حذف السبب الخفيف من آخر التفعيلة؛ تحوُّل "فعولن" إلى "فعو"، و"فاعلاتن" إلى "فاعلا"، و"مفاعيلن" إلى "مفاعي"، كل ذلك حذف. فما الذي حدث؟ اقترن الخبن بالحذف؛ فلزما معا، كأنهما يتحركان معا، هاتوا لي بيتا واحدا لم يقل فيه: "دددن= فعِلا"، ها؟ هاتوا! لا شيء! لابُدّ إذن من أن يذكر هذا في التصنيف. أتدرون لو فعل ذلك ثم عدل عنه لوافقتُكم -هذه قاعدتنا التي نجري عليها من أول الفصل- لو فعل الشيء ثم رجع عنه، لم نذكره في التصنيف، لكنه التزمه. طيب، ماذا نقول؟ هذه القصيدة مديدية الأبيات المجزوءة المخبونة العروض والضرب المحذوفتهما، هذا هو التعبير الفصيح، ماذا قلتُ؟ مديدية الأبيات المجزوءة المخبونة العروض والضرب المحذوفتهما -بعضكم يقول: والمحذوفتهما بالواو، والواو فصل- إذا أردت أن تقول: حدث هذا في أثناء حدوث هذا وارتبطا جميعا معا، حذفت الواو، فدللت على المعنى؛ الواو عائق، حينما تقول: فلان دخل قعد أكل شرب نام من غير الواوات، توحي بأنه فعل كل ذلك معًا، هذا مستحيل طبعا، ولكنك تريد هذا وتوحي به، دخل. ما الذي حدث يا أخي؟ ماذا فعل فلان؟ دخل قعد أكل شرب نام، معقول، هذا كله حدث في وقت واحد؟ أوحيت بهذا بحذف الواوات. أما "دخل وقعد وأكل وشرب ونام"، فتشيرإلى فواصل كانت بين الأعمال. طيب! هذه القصيدة مديدية الأبيات المجزوءة المخبونة العروض والضرب المحذوفتهما. ها؟ انتقلوا!
- عينية القوافي.
- عينية القوافي.
- المضمومة.
- المضمومة.
- المجردة.
- المجردة.
- الموصولة.

- الموصولة.
- ما شاء الله محترفون، أساتذة، آه -يا جماعة!- لو استطعتم في نهاية الفصل أن تقدموا بطاقة تخريج لأي شيء يعرض عليكم سماعا، شفاهة، لبهرتم الناس! وهذا الذي يفعله تلامذتي دائما، يفعلون هذا شفاهة بالسماع، يسألك فتقول له: كذا كذا وكذا كذا، كيف عرفت هذا؟ تدربت عليه، العروض أصوات، لا حروف على الصفحة، أصوات، أعيدوا!
- هذه القصيدة مديدية الأبيات المجزوءة المخبونة العروض والضرب المحذوفتهما، عينية القوافي المضمومة المجردة الموصولة بالواو.
- والواو هنا لا تكون إلا مدا فلا نحتاج أن نقول: بواو المد. **بارك الله فيكم، وأحسن إليكم، والسلام عليكم!**

اَلْمُنَادَمَةُ السَّادِسَةَ عَشْرَةَ[1]

- **سلام عليكم!**
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته!
- طبتم صباحًا -يا أبنائي!- وطاب مسعاكم إلينا! بسم الله -سبحانه، وتعالى!- وبحمده، وصلاةً على رسوله وسلامًا، ورضوانًا على صحابتهم وتابعيهم حتى نلقاهم! كيف حالكم، كيف أصبحتم؟ بارك الله فيكم، وشكر لكم، وأحسن إليكم، ويسر لنا ولكم كل عسير، وسهل لنا كل صعب، آمين!
- آمين!
- **اليوم نستمتع بقصيدة لطيفة جدا من شعر الصوفية، سنتعرض في هذا الملف لأكثر من قصيدة من شعر الصوفية، هذه الأولى لعمر بن الفارض أبي حفص سلطان العاشقين، الذي لُقِّب "سلطان العاشقين"، العائش أواخر القرن السادس الهجري وأوائل السابع.** وكان يقيم بقريب من بيتي، بل أتشرف أنا بأنني أسكن قريبًا من المكان الذي كان يعيش فيه، وكذلك الذي دفن فيه؛ فأنا أعيش في مصر القديمة -يسمونها عندنا "العتيقة"!- إذا كان الناس قد تركوا أماكنهم العتيقة، وتعلقوا بالبنايات الحديثة أو بالأمكنة أو الأحياء الحديثة، فقد بقينا نحن في هذا الحي! حتى إنني قلت لابني مرة: ما رأيك، أتسكن في الأحياء الحديثة أحياء الذل والاستكانة، أم في أحياء التاريخ التي تختزن أيام عزتنا؟ فاختار هذه طبعًا! وفي كل موطئ قدم من المكان الذي نعيش فيه ذكرى من ذكريات كبارنا. أعيش في جزيرة كانت تسمى "بستان المسلمين"، كانت الجارية إذا خرجت من بيت أمها إلى بيت خالتها تحمل على رأسها طبقا، امتلأ بالفاكهة من غير أن تقطفها. هكذا قال الحافظ السيوطي وكان من أهل المكان! أتعرفون محمود سامي البارودي رائد الشعراء؟

---

(١) رابط هذه المنادمة في قناتي اليوتيوبية:

https://www.youtube.com/watch?v=٠٧nc٠O٣iIHQ&list=PL٠_bvBmuM٥ySq٦hXNd٤GWcNFIUaI٤uqCM&index=١٦

وقد فرغتها منار أحمد، وراجعتها لها دلال سامي.

كان من أهل المكان! يذكرون من أهله نجوما كِثارا من نجوم العلم والفن والسياسة، ولا ذكر لهم إلى من كان فيه من نجوم الهداية الزُّهر صحابة رسول الله -صلى الله عليه، وسلم!- الذين "بِأَيِّهِمُ اقْتَدَيْتُمُ اهْتَدَيْتُمْ"! أنا اليوم سعيد جدًّا بالنظر معكم في قصيدة من شعر هذا الرجل. هذا الرجل رحل إلى مكة، وجاور هناك خمس عشرة سنة معتزلًا الناس وحده، هكذا في سكنه، ينصت إلى صوت نفسه، ويراقب تطورها من حال إلى حال ومن مقام إلى مقام على طريقته في السلوك -يسمونه عندكم في الثقافة العمانية "السلوك"- يراقب نفسه وسلوكه إلى رب العالمين خمس عشرة سنة، ثم رجع فقال مثل هذا الشعر الذي تستمعون، صدح بأعذب الألحان، ففتن الناس جميعًا صوفيين وغير صوفيين. وعندنا رجل الآن صار مشهورًا جدا وله فضائية، متخصص لشعر هذا الرجل، ينشده في المواقف، وابحثوا عنه في الشبكة باسمه "ياسين التهامي"! منشد صعيدي تخصص له هو وابنه، وأظن أنه وضعت في طريقة إنشاده رسالة دكتوراة أمريكية، وهو من خريجي الأزهر، وقديما لامه الشيخ كشك -أتعرفون الشيخ عبد الحميد كشك، فارس المنابر، وكان متمسكا متشددا متحمسا!- على هذا الذي يفعله. طيب! نستمتع اليوم بتأمل هذه القصيدة وتحليلها عروضيًّا في المقام الأول، وإن كنا لا نخلي كلامنا من استطراد إلى مسائل مختلفة، حتى تستطيعوا أن تستفيدوا من العروض في تحليل القصيدة! وأنا أبالغ في تعليقكم بالقصيدة حتى تتعلقوا بما نعلقه عليها من أفكار عروضية -هكذا تجري الأمور- تتذكرونها، فتتذكرون ما قيل فيها، وهذا هو المراد.

ماذا قال صاحبنا أبو حفص عمر بن الفارض المتوفى عام اثنين وثلاثين وستمئة -والفارض صاحب الزكاة، يفرض على الناس الفرائض، يسمونه الفارض- ماذا قال؟

١) "أَنْتُمْ فُرُوضِي وَنَفْلِي أَنْتُمْ حَدِيثِي وَشُغْلِي

٢) يَا قِبْلَتِي فِي صَلَاتِي إِذَا وَقَفْتُ أُصَلِّي

٣) جَمَالُكُمْ نُصْبَ عَيْنِي إِلَيْهِ وَجَّهْتُ كُلِّي

٤) وَسِرُّكُمْ فِي ضَمِيرِي وَالْقَلْبُ طُورُ التَّجَلِّي

٥) آنَسْتُ فِي الْحَيِّ نَارًا لَيْلًا فَبَشَّرْتُ أَهْلِي

٦) قُلْتُ امْكُثُوا فَلَعَلِّي أَجِدْ هُدَايَ لَعَلِّي

٧) دَنَوْتُ مِنْهَا فَكَانَتْ نَارَ الْمُكَلَّمِ قَبْلِي

٨) نُودِيتُ مِنْهَا جِهَارًا رُدُّوا لَيَالِي وَصْلِي
٩) حَتَّى إِذَا مَا تَدَانَى الْمِيقَاتُ فِي جَمْعِ شَمْلِي
١٠) صَارَتْ جِبَالِي دَكًّا مِنْ هَيْبَةِ الْمُتَجَلِّي
١١) وَلَاحَ سِرٌّ خَفِيٌّ يَدْرِيهِ مَنْ كَانَ مِثْلِي
١٢) وَصِرْتُ مُوسَى زَمَانِي مُذْ صَارَ بَعْضِي كُلِّي
١٣) فَالْمَوْتُ فِيهِ حَيَاتِي وَفِي حَيَاتِي قَتْلِي
١٤) أَنَا الْفَقِيرُ الْمُعَنَّى رِقُّوا لِحَالِي وَذُلِّي"!

من يخاطب؟ المنتظر من الصوفية أن يخاطبوا بمثل هذا الكلام رب العالمين. "أَنْتُمْ فُرُوضِي وَنَفْلِي أَنْتُمْ حَدِيثِي وَشُغْلِي"، أنتم الأصل والفرع، أنتم كل شيء؛ إذا تحدثت تحدثت عنكم، وإذا لم أتحدث اشتغلت بكم، في حال الكلام أتكلم عنكم، في حال عدم الكلام أشتغل بكم، فأنتم كل شيء. "يَا قِبْلَتِي فِي صَلَاتِي إِذَا وَقَفْتُ أُصَلِّي"، هذا البيت...، قبل أن ننتقل إلى البيت الآخر، هل يخاطب الشاعر رب العزة بقوله: "أَنْتُمْ فُرُوضِي"، على سبيل التعظيم، كما قال الحق -سبحانه، وتعالى!-: "خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ"، "نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ"؟ صحيح طبعا هذا عادي، لكنه معروف حتى في خطاب المحبوبة أحيانا يقولون لها: أنتم. على أية حال المشكلة في الثاني لا الأول، حينما يقول: "يَا قِبْلَتِي فِي صَلَاتِي إِذَا وَقَفْتُ أُصَلِّي"، هذا كلام عادي في حق رب العالمين لأنه قبلتنا.

- نعم.
- في عقيدة المسلمين أنهم إذ يدخلون الصلاة، يتجهون إلى رب العالمين؛ من خلال قبلته التي حددها هو، وهو المراد أصلا، فأنت لا تتجه إلى القبلة من أجل هذه الحجارة أصلا؛ فلابد أن تتجه إلى اتجاه، إلى هنا أو هنا، وقديمًا كنا نتجه إلى بيت المقدس مثلًا، ولو قال لك: اتجه إلى الأهرام لاتجهت إلى الأهرام، أو اتجه إلى قلعة نزوى لاتجهت إلى قلعة نزوى، ليست المسألة في الشيء، لا قيمة للشيء، القيمة لمن قال لك: اتجه هذه الوجهة؛ "لَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا" -صدق الله العظيم!- طيب! هذا الكلام عادي، تقف في الصلاة، تتجه إلى رب العالمين، فما الإضافة التي في هذا البيت "يَا قِبْلَتِي فِي صَلَاتِي إِذَا وَقَفْتُ أُصَلِّي"؟ أنا أدعي أن هذا البيت تمويه علينا حتى يخدعنا عن أنه يتجه إلى رب العالمين، يخدعك بالثاني عن أنه يتجه بالكلام إلى رب العالمين، وهذه عادة الصوفية،

أن يخدعوك عن المتَّجه إليه بالكلام، تظنه رب العالمين ثم ترتاب، تظن، ثم ترتاب، تحاول أن تصل، توشك، يخدعونك، تضل، وتظل هكذا في شعرهم، تخرج، تظل على قلق، لا تدري: أيكلمون رب العالمين، أم يكلمون ناسًا من الناس، محبوبة من المحبوبات، من باب كتمان السر الذي سترونه بعد قليل في القصيدة! قديمًا قال مجنون ليلى في بعض شعره:

"وَإِنِّي إِذَا صَلَّيْتُ وَجَّهْتُ نَحْوَهَا بِوَجْهِي وَإِنْ كَانَ الْمُصَلَّى وَرَائِيَا (...)

أُصَلِّي فَمَا أَدْرِي إِذَا مَا ذَكَرْتُهَا أَثِنْتَيْنِ صَلَّيْتُ الضُّحَى أَمْ ثَمَانِيَا"!

لا يفكر في الصلاة إلا في ليلى حبيبته، الناس في الصلاة، وهو في ليلى، حتى إذا ما أمَّنوا أمَّن معهم، لكن على معناه لا على معناهم! هذا معروف في شعر المجنون، وهذه المعاني معروفة، فما هذا البيت؟ تمويه، يخدعك عن أنه يريد رب العالمين، كأنه يستعظم هذا! "جَمَالُكُمْ نُصْبَ عَيْنِي إِلَيْهِ وَجَّهْتُ كُلِّي"، عبارة "وَجَّهْتُ كُلِّي" هذه ركيكة، من كلام المتأخرين، لم يكن المتقدمون يقولون مثل هذا الكلام، فستجدون في هذا الكلام نمطًا متأخرًا من الأساليب، متأخرًا أي حديثًا، لا كفصاحة القدماء وعلو بيانهم، وهذا مقصود في شعر الصوفية، يقصدون أن يقاربوا الناس في الشوارع، شعر الصوفية يمكنكم تصنفوه -لولا جناية المصطلحات!- في الشعر الشعبي الذي يوضع للناس حتى يرددوه في الملتقيات، في الحَضَرات، في كذا، في كذا، كيف تضع للناس شعرا صعبا، لابُدّ أن تقاربهم، وعندكم في الإذاعة يذيعون خواطر الشيخ الشعراوي وهو صوفي أصلًا، فبم يتكلم؟ باللهجة المصرية! كيف وأنت أستاذ لغة؟ كان الشعراوي أستاذ لغة عربية أصلًا لا أستاذ تفسير، وشاعرًا لطيفا -طيب!- ما هذا، ألم تكن قادرا على الكلام بالفصحى؟ بلى، كان قديرا، سمعت له خطبًا قديمة من أول حياته بالفصحى كأحسن ما يتحدث الفصحاء، فأين هذا؟ أين ذهب؟ يبدو أنه صار يفهم هذا أكثر مما كان يفهمه من قبل، صار يرى أنه ينبغي أن يقارب الناس أكثر، وأن يكلمهم بكلامهم، فانتهى إلى ما ترون من الكلام باللهجة، حتى إنه أحيانًا يخطئ في بعض الآيات، تتسرب إليه اللهجة في نطقه للآية، فينطق الذال زاء -وهذا من تحريف كلام رب العالمين!- طغت عليه اللهجة، فورَّطته في هذا! ولماذا يفعله؟ تقربًا إلى الناس، وتأليفًا لقلوبهم على طريقة الصوفية. "جَمَالُكُمْ نُصْبَ عَيْنِي (أمام عيني) إِلَيْهِ وَجَّهْتُ كُلِّي"، "وَسِرُّكُمْ فِي ضَمِيرِي وَالْقَلْبُ طُورُ التَّجَلِّي"، الله على هذا الكلام الجميل! "وَسِرُّكُمْ"، طيب، ما هذا السر؟ سر إيمانكم،

سر وصالكم، سر فضلكم علي، واختصاصكم لي ببركتكم، أحفظه في قلبي، ولا أخرجه، أحفظه في سر نفسي، ولا أطلع عليه أحدًا، ولكن تظهر على قالَبي بركاته، يستقر في قلبي، وتظهر بركاته على قالبي، "مَا وَقَرَ فِي الْقَلْبِ وَصَدَّقَهُ الْعَمَلُ". ماذا حدث حتى كان ما كان؟ في الرابع يشرح كأنه يفصل ما بلغ به إلى الرابع: "آنَسْتُ فِي الْحَيِّ نَارًا لَيْلًا فَبَشَّرْتُ أَهْلِي"، ما هذا الحي الذي آنس فيه نارا؟ أنا أدعي أنه القلب، "فَبَشَّرْتُ أَهْلِي"، بشر نفسه: مرحبا بالزائرين، بوفود الرحمن، "آنَسْتُ فِي الْحَيِّ نَارًا"، هذا هنا تحميل على قصة سيدنا موسى، يسمونه...

- اقتباسًا؟

- لا، لا، ليس اقتباسًا، الاقتباس ربما جاء في بعض الآيات، والاقتباس انتزاع بعض الآيات والاستشهاد بها، هذا هو الاقتباس، لكن هذا يسمونه في هذه الأيام "التناص". لكن قبل هذا بخمسين عاما كانوا يسمونه "الاستلهام"، يستلهم قصة موسى، الآن يسمونه التناص ويُفصّلون في الداخل. "آنَسْتُ فِي الْحَيِّ نَارًا لَيْلًا فَبَشَّرْتُ أَهْلِي"، بشرهم! لماذا يبشرهم؟ لأنه أحس بوفود الرحمن، وحمّل قصته على قصة سيدنا موسى الذي "قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى" -صدق الله العظيم!- "قُلْتُ امْكُثُوا فَلَعَلِّي أَجِدْ هُدَايَ لَعَلِّي"، واستعمل كلمات الآية! لكن ما "أَجِدْ" هذا! ألا ترون أنه جزم الفعل بغير جازم؟ هذا معروف في شعر عربي قديم، لكنه نادر بشع كريه، أن تجزم الفعل من غير جازم، كما في قول امرئ القيس سيد الشعراء: "فاليوم أشربْ..."، يبدو أنه قاله بعد الانتقام لأبيه:

"فَالْيَومَ أَشْرَبْ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ إِثْمًا مِنَ اللهِ وَلَا وَاغِلِ"!

"أَشْرَبْ"، فاستغرب هذا بعضُ الناس، حتى إنهم غيروه، فقالوا: "فَالْيَومَ فَاشْرَبْ"، كأنهم استكبروا أن يقع في هذا سيد الشعراء، كيف يقول: "فَالْيَومَ أَشْرَبْ"، ويجزم من غير جازم! فماذا فعلوا؟ قالوا: "فَالْيَومَ فَاشْرَبْ"، ولا مشكلة على هذا، لكن لا يجوز لك أن تحرف الكلم عن مواضعه لهواك، هذه مشكلة، مصيبة! تستغرب الكلمة، فتغيرها، وتضع في موضعها غيرها مما يريحك، أبهذا ترتاح! قال ذو الرمة لراويته: "اكْتُبْ شِعْرِي، فَالْكِتَابُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْحِفْظِ، فَإِنَّ الرَّاوِيَ رُبَّمَا نَسِيَ الْكَلِمَةَ فَوَضَعَ فِي مَوْضِعِهَا غَيْرَهَا، وَالْكِتَابُ لَا يُغَيِّرُ وَلَا يُبَدِّلُ"، هذا كلام ذي الرمة، كلامه مباشرة، "وَالْكِتَابُ لَا يُغَيِّرُ وَلَا يُبَدِّلُ". "قُلْتُ امْكُثُوا فَلَعَلِّي أَجِدْ"، فما "أَجِدْ" هذا؟ أنا أدعي أن

"أجدْ"، من علامات استلهامه طريقة حديث الناس في الشوارع؛ فقد تدهورت العربية في أواخر القرن السادس وأوائل السابع، ولم يعد الناس يلتزمون الإعراب! تعرفون أن العربية بدأ تدهورها يبرز للعيان في البادية من أواخر الرابع وفي الحاضرة من أواخر الثاني؛ لهذا وقفوا في الاستشهاد عند آخر الرابع في البادية وعند آخر الثاني في الحاضرة، لأن الناس فسدت لغتهم على ما يرى اللغويون، وتدهور الكلام. قيسوا على كلامكم؛ من منكم يُعْرِبه؟ تكاد لا تجد كلمة معربة في اللهجات العربية، إلا ما كان من مثل "مثلًا"، و"فعلًا"، و"أبدًا"، وعندنا في الأمثال المصرية الشعبية يقولون: "خيرٍ تعْمِلْ شَرّ تلْقَى"، لا -ههه!- وجرُّوهما والمفروض أن ينصبوهما: "خَيْرًا تَعْمَلُ شَرًّا تَلْقَى"، فكلاهما مفعول به مقدم! وانحصر الإعراب في الأمثال وأشباهها! يحاول المسكين أن يؤلف قلوب الناس، فيكلمهم بكلامهم قدر الطاقة. "قُلْتُ امْكُثُوا"، لمن يقول: "امْكُثُوا"؟ يقول لنفسه؛ فأنت الآن متشتت، تريد أن تجمع نفسك في حضرة الإيمان، أعضاؤك ينكر بعضها بعضا، تريد أن تؤلفها. "دَنَوْتُ مِنْهَا"، من أي شيء؟ من النار، "دَنَوْتُ مِنْهَا فَكَانَتْ نَارَ الْمُكَلِّمِ قَبْلِي"، الله الله على الكلام الجميل! من المكلِّمُ قبله؟

- سيدنا موسى.

- سيدنا موسى؛ فهو الآن في مقام مثل مقام سيدنا موسى، دخل، فقال له ربنا -سبحانه، وتعالى!-: "إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ"، في طرف من القصة، وفي طرف آخر قال له: "يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ"، صدق الله العظيم! هذه العبارات كانت في ذهن صاحبنا هذا وهو يتكلم ويحس أنه في مقام كهذا المقام، "دُونَهُ كُلُّ مَقَامٍ". "نُودِيتُ مِنْهَا جِهَارًا"، يا موسى! بمَ نودي؟ "رُدُّوا لَيَالِيَ وَصْلِي"، سبحان الله! من المنادي؟ ومن المنادى؟ يناديه رب العالمين، يقول له: "رُدُّوا لَيَالِيَ وَصْلِي"! هذا خلط للحبيب بالمحبوب، من الحبيب؟ ومن المحبوب؟ من المنادي؟ ومن المنادى؟ هذه طريقة الصوفية في الكلام. يتكلم عن نفسه وكأنه يتكلم عن المحبوب، ويتكلم عن المحبوب وكأنه يتكلم عن نفسه، حتى قال ابن عربي، ماذا قال هذا الشيخ الأكبر، ماذا قال:

"أَنَا حَبِيبِي أَنَا مُحِبِّي أَنَا فَتَايَ أَنَا فَتَاتِي"!

اجتمعت فيه الأشياء. ومن قبل ما قال الحلاج:

"أَنَا مَنْ أَهْوَى وَمَنْ أَهْوَى أَنَا نَحْنُ رُوحَانِ حَلَلْنَا بَدَنَا

فَإِذَا أَبْصَرْتَنِي أَبْصَرْتَهُ وَإِذَا أَبْصَرْتَهُ أَبْصَرْتَنَا
أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ قِصَّتِنَا لَوْ تَرَانَا لَمْ تُفَرِّقْ بَيْنَنَا"!

الله الله الله! طبعا الكلام عندك طلي الظاهر، ولكن في الداخل مصائب، في الداخل يختلف الناس كثيرا: "فَإِذَا أَبْصَرْتَنِي أَبْصَرْتَهُ"، أي إذا رأيتني رأيت رب العالمين، "أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ قِصَّتِنَا لَوْ تَرَانَا لَمْ تُفَرِّقْ بَيْنَنَا"، أي أنا رب العالمين، هكذا كان الحلاج يقول، ولهذا قُتل؛ فقد تفوَّه بكلام لا يجوز! وكان يقول: "مَا فِي الْجُبَّةِ إِلَّا اللهُ"! أي ما في داخل عباءتي إلا الله، وكان يقول: "سُبْحَانِي"! مرة حضرت أمسية شعرية بمعرض القاهرة الدولي للكتاب، فسمعت فيها الشاعر الحداثي الكبير محمد سليمان، يقول مستفيدا من ذلك:

"لِدَمِي لُغَةٌ أُخْرَى
سُبْحَانَ دَمِي"!

ههه! تأملوا الشعراء كيف يتكلمون؟ وحضرت أمسية أخرى، فسمعت شاعرا يقول:

"قُلْ هُوَ الشِّعْرُ أَحَدْ"!

على مسامع الجماهير الغفيرة! ولكنني قرأت للدكتور محمد عباس في جريدة الشعب المصرية، مقالا في نقد الرئيس مبارك أو حاشيته، عنوانه "كَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: قُلْ هُوَ الرَّئِيسُ أَحَدٌ، الرَّئِيسُ الصَّمَدُ"! وهذه سخرية في مكانها، لا تجترئ على العقائد، بل على من يجترئ عليها! يحيرك ابن الفارض في هذا البيت: من المنادي، ومن المنادى، لتكتشف أن المنادي عنده والمنادى واحد. "حَتَّى إِذَا مَا تَدَانَى الْمِيقَاتُ فِي جَمْعِ شَمْلِي"، ألم أقل لكم: إن أعضاءه متشتتة، وإنه الآن يجمعها في المقام! ولكن هل اجتمع الشمل؟ "صَارَتْ جِبَالِي دَكًّا مِنْ هَيْبَةِ الْمُتَجَلِّي"، استفادة من قول ربنا على لسان موسى: "أَرِنِي...

- أَنْظُرْ إِلَيْكَ!
- "أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا...
- "... وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا".
- فهو هنا يتكلم بلغة طلية عن أنه وصل إلى هذا المقام، وتجلى عليه رب العالمين؛ ففَنِيَ فيه، وانتهى.

- نعم.
- فنِيَ، لم يعد يجد نفسه، لأنه ذاب، يسمونها مثلًا "الفناء"، قرأت في التصوف، قرأت دستور الصوفية مثلًا، إذا دخلتم موقعي وجدتم تعليقات كثيرة، عشرات التعليقات على دستور الصوفية، ما دستور الصوفية؟ "الرسالة القشيرية"، في مجلدين للقشيري، وهو رجل شهير، صارت رسالته هذه دستور الصوفية، بدأها بالكلام في علم التصوف، ثم انتقل إلى الكلام عن أئمة الصوفية، فقرأت هذا الكتاب، وعلقت ما أعجبني، نصصت على ما أعجبني، وعلى ما استغربته، ثم صورت الصفحات، ونشرتها على موقعي، لأعلم الناس كيف يعلقون على الكتب. وهذا هو موضوع محاضرتنا العامة القادمة في كلية الآداب مساء الثلاثاء أول مايو، واسمها "فن التعليق على الكتب"، وسأعرض في خلال المحاضرة -إِنْ شَاءَ اللَّهُ!- صورًا من هذه الصور، ولي كتاب اسمه دليل المتثقفين، أعلم الناس فيه أصلا، كيف يعلقون على الكتب، كيف يؤاخون الكتب؟ كيف يجعلونها من الأُسرة؟ ها، كيف تؤاخي الكتاب، فتحكي له كما يحكي لك، هذا ما سنعرِض له في المحاضرة -إن شاءالله!- واقترحَت موزة أن آتي بالكتب لأعلمهم مباشرة كيف يعلقون على صفحاتها -فكرةٌ مبدعةٍ، طالعة لأستاذك، ههه!- فربما فعلنا هذا الكلام.
- نعم.
- ربما جاؤوا بالكتب وعلمناهم كيف يعلقون، نقرأ عبارة، ونرى ما الذي يخطر ببالنا إذا قرأناها؟ تحس في النهاية أن الكتاب أخوك، شخص قريب وصديق حميم جدًّا، "وَخَيْرُ جَلِيسٍ فِي الزَّمَانِ كِتَابُ"! سنفعل هذا، وسنعرض -إن شاء الله!- صورا من رسالة القشيري وما عليها من تعليقات، وربما خضنا في معان كهذه. معانٍ غريبة أليس كذلك، حتى إن بعض الناس من طلاب التصوف كان يأتي بعد الجلسة لصاحبه في البيت يقول له: قال لنا الأستاذ كذا وكذا، فينكر عليه: ما هذه المعاني! كل مرة يأتي إليه ليحكي له ما سمعه، فينكر عليه، ففي مرة قال له: تعال، احضر معنا، وما بَدَا لكَ فاسأل، فجاء، فحضر معهم، ثم رجع عنه قائلا: والله لا أخالفك بعدها! انبهر، وكان المجلس مجلس ابن عربي نفسه الشيخ الأكبر، فانبهر الرجل. لما وصل ابن الفارض إلى هذا المدى، "صَارَتْ جِبَالِيَ دَكًّا مِنْ هَيْبَةِ الْمُتَجَلِّي"، عرف الأسرار، وسبر الأغوار، "وَلَاحَ سِرٌّ خَفِيٌّ يَدْرِيهِ مَنْ كَانَ مِثْلِي"، ما هذا السر؟ سر الحقيقة، انكشفت عنه الحجب، فسار على طريقة سيدنا

الحارث بن مالك الأنصاري -رضي الله عنه!- إذ قال: "كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي بَارِزًا"، فقال له رسول الله -صلى الله عيه، وسلم!-: "عَرَفْتَ فَالْزَمْ"! انكشفت عنه الحجب، فصار يرى أهل الجنة وأهل النار، ويرى عرش الرحمن، صار يرى، يبدو أنه كان من هؤلاء الواصلين، وهذا سر يمتنع البوح به. كنت أحفظ هذه القصيدة من طريق أخرى دون البيتين الثاني عشر والرابع عشر، وبعد "وَلَاحَ سِرٌّ..."، كنت أحفظ "فَالْمَوْتُ فِيهِ حَيَاتِي وَفِي حَيَاتِيَ قَتْلِي"، والكلام في الحقيقة متناسق، ولكنني تيسرت لي نسخة نفيسة من الديوان فيها هذان، فأضفتهما، خضعت لها على طريقة ما أوصيكم به من الخضوع للكتب! لما عرف ابن الفارض السر، كان بين أمرين: أن يفشيه وأن يكتمه، فإذا كتمه مات به، وإذا أفشاه قتل عليه، وقد حدث لغيره الأمران: حدثنا القشيري عن شاب من الصوفية الواصلين، أنه ورد على ناس جالسين، فقال لهم -فبهرهم سؤاله-: هَلْ عِنْدَكُمْ مَكَانٌ قَرِيبٌ نَظِيفٌ أَمُوتُ فِيهِ؟ قَالُوا: مَجْنُونٌ، هَذَا مَجْنُونٌ! فَلَمَّا وَجَدُوا مِنْهُ جِدَّ السُّؤَالِ قَالُوا: اذْهَبْ يَمِينًا فَيَسَارًا تَجِدُ -إِنْ شَاءَ اللهُ!- مَكَانًا نَظِيفًا! فَذَهَبَ إِلَيْهِ، فَمَاتَ فِيهِ! هذه هي الحال الأولى. وقد اشتهر بين الناس كيف باح الحلّاج والسُّهْرَوَرْدِيُّ -يسمى السهروردي القتيل- فقُتِلا، إذ مَنْ يسكت على مثل "مَا فِي الْجُبَّةِ إِلَّا اللهُ" -ها!- من يسكت على هذا؟ من يسكت؟

- لا أحد.

- حينما يقسم الألقاب على تلامذته: أنت محمد، وأنت عيسى، وأنت موسى، ويراهم أنبياء وملائكة، ويصرح بهذا، ها! تأملوا البيت الثالث عشر، كأنه بعد الحادي عشر حقا، لكني خضعت، "وَصِرْتُ مُوسَى زَمَانِي مُذْ صَارَ بَعْضِيَ كُلِّي"، "فَالْمَوْتُ فِيهِ حَيَاتِي وَفِي حَيَاتِيَ قَتْلِي"، "أَنَا الْفَقِيرُ الْمُعَنَّى رِقُّوا لِحَالِي وَذُلِّي"! لو كان الأمر بيدي لحذفت كما قلت لكم الثاني عشر والرابع عشر، لكنني خضعت للنشرة! لدي نشرتان: واحدة من غير شرح، لأحد المحققين المعاصرين، وواحدة قديمة جدا أهدتني إياها تلميذة لي من مكتبة جدها الذي كان صديق الأستاذ مصطفى صادق الرافعي جدنا الأدبي -هل سمعتم عن مصطفى صادق الرافعي، الذي يسمى أمير البيان الحديث؟- بهرتني البنت، جاءتني بالنشرة تقول: هذه هدية لك من مكتبة جدي! قلت: ومن جدك؟ قالت: صديق مصطفى صادق الرافعي! يا للنسخة النفيسة، كيف يفرط فيها مثلي! فلها الفضل، وهي من

طلاب العلم. وبهذه النشرة شرحان: ظاهري وباطني، فأما الظاهري فللنابلسي، وأما الباطني فللبُوريني، يشرحان الشعر نفسه، ويا بُعْدَ ما بين شرحَيهِما، يشرحه النابلسي على طريقة شراح الغزل، ويخوض البوريني في معاني الصوفية وكأنه أُوتِي علم الغيب، نخضعت لنشرة الديوان بالشرحين، وأضفت البيتين، أما النشرة الأولى فلم يكونا فيها. **طيب! هذه قصيدة لطيفة لا تحتمل المنافسة، لأنه لا يخطئ فيها أحد.**

- صح.
- ما قولكم في أن نقرأها فقط من غير منافسة؟ لماذا ننافس بينكم عليها وقد بذلَتْ لكم نفسها بنفسها؟ أم ماذا ترون؟
- ننافس عليها.
- ننافس عليها! كأننا بهذا نهديكم الدرجات مجانًا! لا بأس، من يقرأ بخمس درجات هكذا من الهواء، سهلة -ها!- بشرطها؟ لا تستخفوا بهذا، ففي المحاضرة السابقة طردنا ثلاثة طلاب!
- على هذه؟
- إي -والله- على هذه، طردنا نورة الجهورية، وطردنا عمر، أتعرفون عمر؟
- نعم.
- طردناه، استخف بكلامي، وفجأة وقع في ورطة! هو نفسه أنكر نفسه، كيف أخطأ هذا الخطأ، برًّا! كلهم اختاروا الطرد طبعًا! والأولى شروق، قلت لها: تقرئين زيادة أو نقصا، فقالت: أو طردًا؟ فطردناها في النهاية، سبحان الله! هذا التشاؤم معروف. فمن يقرأ دون أن يستخف بالكلام -ها!- من؟ المعولي، تفضل!
- أَنْتُمْ فُرُوضِي وَنَفْلِي أَنْتُمْ حَدِيثِي وَشُغْلِي
يَا قِبْلَتِي فِي صَلَاتِي إِذَا وَقَفْتُ أُصَلِّي
جَمَالُكُمْ نُصْبَ عَيْنِي إِلَيْهِ وَجَّهْتُ كُلِّي
وَسِرُّكُمْ فِي ضَمِيرِي وَالْقَلْبُ طُورُ التَّجَلِّي
آنَسْتُ فِي الْحَيِّ نَارًا لَيْلًا فَبَشَّرْتُ أَهْلِي
قُلْتُ امْكُثُوا فَلَعَلِّي أَجِدُ هُدَايَ لَعَلِّي

- خطأ، قال: أجدُ، ماذا قال؟ أجدُ!
- ماش على القواعد.
- "أجدُ"، مع السلامة، من؟ استخف، "اسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ"، صدق الله العظيم! تسنيم، أختار من أريد أن أطردهم -هههه!- لا طبعًا، بل أختار من أكرّمهم، يعلم الله نيتي! من؟ عهود، تشبهين تسنيم من المحاضرة السابقة، تكاثر الطلاب والطالبات، بارك الله فيكم، ها! من الأول -يا عهود!- من الأول حتى نتمكن من جمع الأخطاء!
- أَنْتُمْ فُرُوضِي وَنَفْلِي أَنْتُمْ حَدِيثِي وَشُغْلِي
يَا قِبْلَتِي فِي صَلَاتِي إِذَا وَقَفْتُ أُصَلِّي
جَمَالُكُمْ نُصْبَ عَيْنِي إِلَيْهِ وَجَّهْتُ كُلِّي
وَسِرُّكُمْ فِي ضَمِيرِي وَالْقَلْبُ طُورُ التَّجَلِّي
- نعم، والله!
- ... وسِرُّكُمْ...
- استثقلت في الأول "سِرُّكم" -"وَسِرَّكُمْ" أخف طبعًا- فالانتقال من المكسور إلى المفتوح أخف من الانتقال من المكسور إلى المضموم -ها!- نتركها لأنها رجعت قبل أن نخطئها، أعيدي، أعيدي، وارفعي صوتك!
- وَسِرُّكُمْ فِي ضَمِيرِي وَالْقَلْبُ طُورُ التَّجَلِّي
- ها، تخفض صوتها، تهرب، أعيدي!
- وَسِرُّكُمْ فِي ضَمِيرِي وَالْقَلْبُ طُورُ التَّجَلِّي
آنَسْتُ فِي الْحَيِّ نَارًا لَيْلًا فَبَشَّرْتُ أَهْلِي
قُلْتُ امْكُثُوا فَلَعَلِّي أَجِدْ هُدَايَ لَعَلِّي
دَنَوْتُ مِنْهَا فَكَانَتْ نَارَ الْمُكَلَّمِ قَبْلِي
نُودِيتُ مِنْهَا جِهَارًا رُدُّوا لَيَالِي وَصْلِي
- ها؟
- نُودِيتُ مِنْهَا جِهَارًا رُدُّوا لَيَالِيَ وَصْلِي

حَتَّى إِذَا مَا تَدَانَى الْمِيقَاتُ فِي جَمْعِ شَمْلِي
صَارَتْ جِبَالِي دَكًّا مِنْ هَيْبَةِ الْمُتَجَلِّي

- خطأ لن أصبر على هذا، قلت: "جبَالِي"، وهي فيما ضبطتُ لكم "جِبَالِيَ"! مسكينة تمشي على نار، على مسامير، كأن هذا الإعراب لها مسامير، وهذا طبعًا من الهلع الذي هي فيه، لا من تقصيرها، موقف صعب طبعًا، ولكن لابُدّ أن نتدربوا على هذا. ها! المحاولة الأخيرة، رحاب، وعدناها في المرة الماضية، من الأول!
- "أَنْتُمْ فُرُوضِي"، لعمر بن الفارض...
- لِعُمَرَ -إذا أردْتِ الإعراب!- لأنه ممنوع من الصرف -هذا خطأ من خارج النص- "أَنْتُمْ فُرُوضِي"، لعمرَ بن الفارض سلطان العاشقين. من لطائف سلطان العاشقين أن فتاة عمانية فذة غير طبيعية على مستوى العالم، وضعت بحثًا بينه وبين أبي نواس، وسمته "الخمر بين سلطاني عاشقيها"!
- الله!
- الخمر بين سلطانَيْ عاشقيها -هِهِه!- هذا أبو حفص عمر بن الفارض وهذا أبو نواس الحسن بن هانئ -يا سلام!- وحصلت به طبعًا على ممتاز، ها!
- أَنْتُمْ فُرُوضِي وَنَفْلِي أَنْتُمْ حَدِيثِي وَشُغْلِي
يَا قِبْلَتِي فِي صَلَاتِي إِذَا وَقَفْتُ أُصَلِّي
جَمَالُكُمْ نُصْبَ عَيْنِي إِلَيْهِ وَجَّهْتُ كُلِّي
وَسِرُّكُمْ فِي ضَمِيرِي وَالْقَلْبُ طُورَ التَّجَلِّي
- ما شاء الله، مع السلامة، لم تنتبه للخطأ طبعًا، ماذا قالت؟ "وَالْقَلْبُ طُورَ التَّجَلِّي"، هذه مسألة لسانك، لسانك حصانك، مَنِ الخيّال هنا؟ عندنا فرق بين الخيّال والخيليّ، الخيلي هو الذي يخدم الخيل في الحظيرة، والخيّال هو الذي يركبها، بينهما فرق شاسع! ها، اختاري -يا رحاب!- "مَا بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ"!
- فرصة؟
- فرصة؟ ها! تعودَتْ، لا، لا فرصة! ننقص مِن رحابَ إذن خمس درجات. لماذا تركت لعهود، لأنني توقعت أن تخطئ مرة أخرى وثانية وثالثة، فحدث ما توقعت، نتبين ما تقع فيه أخطاء،

رحاب ممتازة، هي في نفسها ممتازة، ينبغي أن نشتدّ عليها وعلى عهود كذلك، تفضلي! ها، من يكمل؟ انتهينا، انتهينا الآن من المنافسات المادية المقدرة، فمن يقرأ الآن بالمجان، من يقرأ بالمجان؟ مارية، تفضلي!

- أَنْتُمْ فُرُوضِي وَنَفْلِي أَنْتُمْ حَدِيثِي وَشُغْلِي
يَا قِبْلَتِي فِي صَلَاتِي إِذَا وَقَفْتُ أُصَلِّي
جَمَالُكُمْ نُصْبَ عَيْنِي إِلَيْهِ وَجَّهْتُ كُلِّي
وَسِرُّكُمْ فِي ضَمِيرِي وَالْقَلْبُ طُورُ التَّجَلِّي
آنَسْتُ فِي الْحَيِّ نَارًا لَيْلًا فَبَشَّرْتُ أَهْلِي
قُلْتُ امْكُثُوا فَلَعَلِّي أَجِدْ هُدَايَ لَعَلِّي
دَنَوْتُ مِنْهَا فَكَانَتْ نَارَ الْمُكَلَّمِ قَبْلِي
نُودِيتُ مِنْهَا جِهَارًا رُدُّوا لَيَالِي وَصْلِي
- "ليالِيَ"، وهذه خمس درجات غير محسوبة!
- نُودِيتُ مِنْهَا جِهَارًا رُدُّوا لَيَالِيَ وَصْلِي
حَتَّى إِذَا مَا تَدَانَى الْمِيقَاتُ فِي جَمْعِ شَمْلِي
صَارَتْ جِبَالِي دَكًّا مِنْ هَيْبَةِ الْمُتَجَلِّي
وَلَاحَ سِرٌّ خَفِيٌّ يَدْرِيهِ مَنْ كَانَ مِثْلِي
- "يُدْرِيه"! هذا الذي أخطأ فيه عمر، "يَدْرِيه"، ها!
- وَلَاحَ سِرٌّ خَفِيٌّ يَدْرِيهِ مَنْ كَانَ مِثْلِي
وَصِرْتُ مُوسَى زَمَانِي مُذْ صَارَ بَعْضِي كُلِّي
فَالْمَوْتُ فِيهِ حَيَاتِي وَفِي حَيَاتِي قَتْلِي
- ... وَفِي حَيَاتِي...
- أَنَا الْفَقِيرُ الْمُعَنَّى...
- "أنا الفقير المُعَنَّى"، المتعب، عندكم في العمانية "عِنيت"، "عَنَّيْتَني".
- ... رِقُّوا لِحَالِي وَذُلِّي

- و"رِقّوا"، فعل أمر من "رَقَّ، يَرِقُّ"، لكنه هنا لأمر الجماعة، وكثير من الناس لا يحسنون صيغة الأفعال. -أحسنت، يا مارية، بارك الله فيك، طيب! نكتب البيتين الأوليين.
- أستاذ، لو سمحت؟
- ها، من؟
- سامي.
- ها، سامي!
- ما الأصل، "يُدري" أم "يَدري"؟
- دَرَى هو يَدْرِي أي عَلِم، ودَرَيْتُ أنا أَدْرِي، مثل جَرَى يَجْرِي، أما أَدْرَى غيرَه يُدْرِيه أي أَعْلَمَه، وأَدْرَيْتُ غَيْرِي أُدْرِيهِ، فمثل أَجْرَى يُجْرِي، وأَجْرَيْتُ غيري أُجْرِيهِ، أي جعلت غيره يَدْري ويجري!
- أليست "يدري" بمعنى "يخفي"؟
- لا أعرف "دَرَى" بمعنى أَخْفى.
- أو "دارى"؟
- لا، "دارى" معروف، دَارَى يُدَارِي، أي خادع يخادع، وأخفى يخفي، لكن مالنا ولها الآن؛ نحن في " يدري"، على مثل يَعْلَمُ؛ هل تقول: يُعْلِم حينما تريد "يَعْلم"؟ لا، بل حينما تريد أنه جعل غيره يَعلم، وهو لا يقصد هذا هنا. **طيب! نكتب البيتين الأولين، وعندنا على السبورة فضاء كاف جدًّا.**

أَنْتُمْ فُرُوضِي وَنَفْلِي أَنْتُمْ حَدِيثِي وَشُغْلِي
يَا قِبْلَتِي فِي صَلَاتِي إِذَا وَقَفْتُ أُصَلِّي

هل من خطأ في الإملاء، هل من خطأ؟ ما شاء الله، خطّاط -يا أستاذ!- بل خلّاط! هذه خطأ، هذا ترحيل للحركات. طيب! نغني هذا، وهو من ألطف ما يكون، يُغَنّي بعضُه بعضًا من غير محاولة:

أَنْتُمْ فُرُو| ضِي وَنَفْلِي| أَنْتُمْ حَدِي| ثِي وَشُغْلِي
يَا قِبْلَتِي| فِي صَلَاتِي| إِذَا وَقَفْ| تُ أُصَلِّي

منتهى السهولة، نفصل بخط غير الخط، والنسخ أنفع، من أعلى إلى أسفل، منتهى السهولة، أقصد بخط غير الخط، نعود إلى خط آخر، لا بأس، نعود إلى الأحمر، إلى خط التشكيل:

أَنْتُمْ فُرُو= دن دن ددن

أَنْ= دن، تُمْ= دن، فُرُو= ددن

أَنْتُمْ فُرُو= دن دن ددن

ضِي وَنَفْلِي= دن ددن دن

ضِي= دن، وَنَفْ= ددن، لِي= دن

ضِي وَنَفْلِي= دن ددن دن

أَنْتُمْ حَدِيـ= دن دن ددن

أَنْ= دن، تُمْ= دن، حَدِيـ= ددن

أَنْتُمْ حَدِيـ= دن دن ددن

ـثِي وَشُغْلِي= دن ددن دن

يَا قِبْلَتِي= دن دن ددن

فِي صَلَاتِي= دن ددن دن

إِذَا وَقَفْـ= ددن ددن

ـتُ أُصَلِّي= دددن دن

- **<u>أقدم لكم بحر المجتث، والبيت منه "مستفع لن فاعلاتن فاعلاتن" مرتين.</u>** نستعمل خطا آخر في بيان بعض الأشياء. "مستفع لن" هنا كـ"مستفع لن" في الخفيف، تتكون من: مس= دن، سبب خفيف، تفع= دن د، وتد مفروق، لن= دن، سبب خفيف. و"فاعلاتن" كـ"فاعلاتن" في الرمل وفي الخفيف، تتكون من: فا= دن، سبب خفيف، علا= ددن، وتد مجموع، تن= دن، سبب خفيف. كتبتم؟ بعضكم في الاختبار والواجب ينسى خطوة من الخطوات، لكل خطوة تقديرها، لكن للأولى ضعف ما لكل واحدة مما بعدها لأنها الأساس. نعم، دالية!
- "مستفع لن"، لماذا لم تتصل؟

- للسبب نفسه الذي فيها بحر الخفيف، أن "تفع" وتد مفروق. ما الفرق؟ هي في الرجز "مس" سبب خفيف، و"تف" سبب خفيف، و"علن" وتد مجموع. أما هنا فـ"مس" سبب خفيف، و"تفْعِ" وتد مفروق، و"لن" سبب خفيف. لحظة، رأى بعض الناس أن الخليل متكلف؛ لماذا يفرق بين "مستفع لن" هنا و"مستفعلن" هناك، وهي مثلها؟ -كلام فارغ!- لماذا عقّد علينا الدنيا، وتكلف، ولم يكن ينبغي له أن يتكلف! لا، خطأ، لم يتكلف، بل وضع نظاما، واتبعه! ما النظام الذي وضعه؟ "الدوائر العروضية"، نظام عبقري جدًّا، استطاع به أن يجمع البحور في أُسر، كأن نجمع طلاب الجامعة في مجموعات، لكل مجموعة سرها وطبيعتها وخصائصها؛ لهذا وضعنا هؤلاء في مجموعة. هل نقول عندئذ: لماذا فرقت بين هذا الطالب وهذا الطالب؟ يا أخي، هذا من هذه المجموعة، وهذا من هذه المجموعة، فإذا لم تفرق خلطت بينهم؛ فهذا من مجموعة تحضر اليوم، وهذا من مجموعة تحضر غدا، وهذا من مجموعة تحضر الصباح، وهذا من مجموعة تحضر المساء. يأتيك أي واحد في أي وقت، فتقول له: اخرج! فيقول الناس السائرون في الشوارع: ظلمته، أخرجته، هذا طالب علم! يا أخي، هذا من مجموعة أخرى، وكذلك الرجز. حينما نجد إبراهيم أنيس في كتابه موسيقى الشعر يستغرب كيف نفرق بين "مستفع لن" و"مستفعلن"، لا نوافقه على هذا، وهو أستاذ كبير، رائد الدراسات اللغوية الحديثة، أول من ذهب من لُغَوِيِّينا إلى أوربا، ورجع يعرض على الناس ما استفاده. كنا قديما ندرس على طريقتنا -وهي طريقة قوية جديرة بكل التقدير- ثم نمنا طبعًا، ووثقنا بحضارتنا -وهي حضارة عظيمة بلا ريب- ولم يكن ينبغي لنا أن ننام هكذا، وننقطع عن مسيرة العالم؛ فحدثت بين ماضينا وحاضرنا هُوَّة واضحة، في خلالها استطاع الغرب أن ينهضوا نهضتهم بناءً على نهضتنا. والآن ينكرون حضارتنا أساسا -ولا حول ولا قوة إلا بالله!- وكلما قلت لهم شيئا يقولون: لا، خطأ، كل هذا غير مقبول! حينما تذهب -إن شاء الله!- إلى دراسة الدكتوراة في أي مكان من العالم ستعرف حقيقة ما قلت. يقولون: هذا كلام تقولونه في بلادكم! تقول: هذا اختراعنا! لا، لا، هذا كلام فارغ، هذا اختراعنا نحن، وهم يفعلون هذا أصلًا بين بعضهم وبعض، كما تجدون هذا في كتاب "التفكير العلمي" للدكتور فؤاد زكريا الذي تدرسونه متطلبَ كلية؛ ففيه بيان كيف ينكر بعضهم على بعض، يدعي الروس أنهم مخترعو كذا، ويدعي الادعاء نفسه الألمان والفرنسيون والإنجليز؛ ما هذا الاختراع، أين بدأ؟ أمة ينكر بعضها بعضًا،

تنتظرون أن تثبت لنا الأولية، مستحيل! عاد إبراهيم أنيس من أوربا، وصار يتكلم بطريقة الأوربيين، وصار كل حين يقدم كتابًا، حتى قدم كتاب "موسيقى الشعر" -هذا اسمه!- الذي حاول فيه أن يستفيد مما حصله من طريقة الغربيين في عرض المعلومات ونقدها. ولم ينتبه إلى أن الخليل بنى بنيانًا نظريًّا عبقريًّا اسمه "الدوائر"، استطاع به أن يكشف صلات بعض الأبحر ببعض، وجعل الأبحر المتصلة في مجموعة، لينتقل إلى متصلة أخرى في مجموعة أخرى، حتى وضع خمس دوائر: الأولى دائرة المختلف، والثانية دائرة المؤتلف، والثالثة دائرة المجتلب، والرابعة دائرة المشتبه، والخامسة دائرة المتفق. في الدائرة الأولى الطويل والمديد والبسيط، وفي الدائرة الثانية الوافر والكامل، وفي الدائرة الثالثة الهزج والرجز والرمل، وفي الدائرة الرابعة السريع والمنسرح والخفيف والمضارع والمقتضب والمجتث، وفي الدائرة الخامسة المتقارب والمتدارك، وفيها مع المُعْمَل بعض المُهْمَل، على طريقة الخليل بن أحمد في تقليب المواد المعجمية، يقول لك: من اللام والميم والعين مثلا يخرج كذا وكذا وكذا؛ فهذا منها معمل، وهذا مهمل، تأملوا العبقرية! أنا أدعي أن هذه الإعدادات التي أعدها الخليل نافعة لنا جدًّا هذه الأيام، نستطيع أن نُعمل المهمل في التعبير عن المعاني الحديثة التي تتوالى علينا كل يوم، انفجار المعلومات آلاف المعلومات كل يوم، كيف نعبر بالمتناهي عن غير المتناهي كما يقول الفلاسفة، كيف نعبر بالأصوات والحروف المتناهية عن المعلومات غير المتناهية! أصوات العربية وحروفها متناهية، فكيف! هذه حيلة من الحيل، أن نستفيد من المهمل في كل شيء، وهنا في بحور الدوائر مثلًا بعض هذا المهمل، لكن دعوه الآن إلى حين! اكتشف الخليل أن المجتث أخو الخفيف؛ ذكروني: كيف كان الخفيف؟

- مفاعيلن...
- لا، بل "فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن فاعلاتن مستفع لن فعلاتن". كان البيت من الخفيف مسدسًا، وهذا المجتث أخوه! إذا قالوا لك: فلان أخو فلان، أو قيل لك: عندنا فلان في المجموعة، وهو أخو فلان؛ فقدرت أن يكون مثل أخيه طبعًا، طويلًا كأخيه أو قصيرا، وسمينا أو نحيفا، وكريما أو بخيلًا، وصالحا أو فاسدًا، هذا العادي أن تقيس الأخ على أخيه، و"من أشبه أخاه فما ظلم"، على رغم أن المثل "مَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ"!
- وأمه كذلك!

- نعم، وأمه كذلك -تُدخلنا في العصبية الجنسية!- والكلام عن الرجال كلام عن النساء كذلك، وفي المثل: "إِنَّ النِّسَاءَ شَقَائِقُ الْأَقْوَامِ"، حينما يتكلمون يقصدون هذا كله، "وَمَنْ يُشَابِهْ أَبَهُ فَمَا ظَلَمْ"، غيّرها ابن مالك أو بعض الرجاز قليلًا، والمثل في الأصل "مَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ"، وأمه كذلك كما تقول ريّان، لكن هذا داخل في ذاك، وربما كانوا يتحرجون من ذكر الأم، على أنه ربما كانت الأم أشهر فنسبوا إليها الابن، كعمرو ابن هند -وكان من ملوك العرب!- والسُّلَيْك ابن السُّلَكة -وهو صعلوك!- ويزيد ابن الطَّثْرِيّة -وهو شاعر- والشاعر الذي بنينا على بيتيه بطاقة التخريج العروضي سويد ابن كراعَ، وغيرهم! نعود، هذا بيت الخفيف "فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن"، إذا قلبنا تفعيلاته خرج "فاعلاتن فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن فاعلاتن مستفع لن" -وهو مهمل- و" مستفع لن فاعلاتن فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن فاعلاتن"، وهو بحرنا المجتث! ونعم، هذا تنظير دَوَائِرِيّ عقلي، وبيت المُجَتَث في الواقع مُربَّع "مُستَفْعِ لن فَاعِلَاتن مُستَفْعِ لن فَاعِلَاتن"، هكذا تسير الأمور، كما رأيتم: "أَنْتُمْ فُرُو| ضِي وَنَفْلِي| أَنْتُمْ حَدِيـ| ثِي وَشُغْلِي" -طيب!- فماذا يفعل الخليل في تحرير اختلاف التنظير والتطبيق؟ قد ورَّط نفسه باختراع نظام الدوائر، جمع البحور، واستدل ببعضها على بعض، فخالف الواقع، فماذا يفعل، كيف يعالج هذه المشكلة؟ كيف كان يعالجها مثلها؟
- كان يقول: هذا مجزوء.
- أحسنت، كان يستعمل حيلة القول بالجزء، فيقول في المجتث وما أشبهه مَثَلًا: "وَلَا يُسْتَعْمَلُ إِلَّا مَجْزُوءًا"، فيستغرب ناس كإبراهيم أنيس: سبحان الله! تتخيَّل، وتفرض علينا تخيُّلاتك! لكن إبراهيم أنيس في هذا الكلام يقلل من قيمة الفائدة العظيمة التي أفادنا إياها الخليل، والتي يصغر في جوارها كل شيء، كأن تبني قصرًا عظيمًا، وتَكْفِي، وتوفي، وتفعل كل شيء، وتنسى شيئًا هينًا، فيغتفر لك بجوار هذا. لا أنكر أن ادعاء أن بيت المجتث "مستفع لن فاعلاتن فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن فاعلاتن"، خيال لا حقيقة له، لكن اكتشاف أنه أخو الخفيف في أسرة واحدة شيء هائل مدهش، وإفضاؤه إلى أن أصل المجتث "مستفع لن فاعلاتن فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن فاعلاتن"، وأن الواقع مغير عن أصل مهمل، كلام أحبه ولا أستنكره مثلما استنكره إبراهيم أنيس، لأننا نرى في اللغة أسماء لا نعرف لها أفعالا، وأفعالا لا نعرف لها أسماء، فنقول: هناك نقص هُجر

على مدار الزمان، حتى إن مجمع اللغة العربية -وهو جهة الفتوى اللغوية المعاصرة- حكم بجواز إكمال المواد الناقصة. عندنا مثلا "يَدَعُ (يترك)، دَعْ"، وليس عندنا "وَدْعٌ، وَدَعَ"، ومقتضى قرار المجمع أن نزيدهما، ولاسيما أن الماضي في قراءة عروة بن الزبير آية "مَا وَدَعَكَ رَبُّكَ"، ويؤكد ذلك قول ابن جني في وَيْح ووَيْل ووَيْب: إنها مصادر مماتة الأفعال، ولو حَيَّتْ لكانت على مثل "وَاحَ، يَوِيحُ"؛ فبمقتضى قرار المجمع يجوز لك أن تقول: وَاحَ يَوِيحُ، وَالَ يَوِيلُ، وَابَ يَوِيبُ". وهنا كذلك الفكرة نفسها؛ فنحن نكمل المواد الناقصة، وبهذا يُرَدُّ على إبراهيم أنيس نفسه، وكان هو نفسه عضوا بمجمع اللغة العربية الذي قضى بإكمال المواد الناقصة! يا أخي، طبق هذا هنا، وهذه الموسيقى موسيقى لغوية، نحن في عروض، والعروض موسيقى كلمات، لا موسيقى آلات! فأَجْرِ على هذا ما أجريتَه على ذاك! طيب! يا جماعة، سماه الخليل بحر "المجتث"، لأنه يبدو في الظاهر مجتثا من الخفيف، تأملوا بيت المجتث المستعمل واقعيا "مستفع لن فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن"، وقيسوه على بيت الخفيف المستعمل واقعيا "فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن"، لتفهموا كيف يبدو الشاعر لكم كأنما اقتطع من بيت الخفيف أربع تفعيلات دون اثنتين!

- نعم.
- ألا نستطيع أن نقول إن بيت المجتث صورة خفيفيّة مجزوءة؟ لا، لماذا؟ لأن علة الجزء الشديدة المعروفة، تحذف فيها تفعيلة من آخر كل شطر، لا من أوله، فهمتم؟ ما الجزء إذن؟ علة شديدة، فيها تحذف تفعيلة من آخر كل شطر من شطري البيت، لا من أوله، وماذا نقول في هذا؟ حذفت منه تفعيلة من أول كلا شطري بيت الخفيف لا من آخره؛ فلهذا جعله بيت بحر جديد، سماه المجتث، ودل بتسميته على تلك العلاقة! مريم!
- نعم.
- شردت بعيدا، ها، معي، يا جماعة! ما الاجتثاث عندكم في اللغة؟ "اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ".
- الانتزاع.
- اقتلعت، انتزعت، واقتطعت، وانتسفت بها الأرض انتسافا؛ لم يقدر الخليل أن يحكم عليه بالجزء، لأنه ليس بمجزوء على طريقة الجزء؛ فقال: مجتث. طيب! وبحر المجتث بحر لطيف جدًّا، البيت منه لطيف كما ترون، يُغَنِّي نفسه بنفسه، فلماذا لم يكثر في العصر الجاهلي ولا في العصر الإسلامي ولا

في العصر الأموي؟ لماذا؟ كيف يغفل الناس عن هذه اللطافة، عن هذه الأناقة، كيف يغفلون عن هذا؟ أظن أن السر هو ما ترونه من حال الشِّيب عندكم -تسمونهم الشّيّاب- تجاه الغناء الحديث، عندك جَدُّك مثلا في البيت، إذا أحب أن يستمع أغنية -إذا كان ممن يستجيزون الاستماع إلى الغناء!- فإلى من سيستمع؟ إلى رابح صقر، على الرغم أنه من العائلة -ههه!- لا، بل إلى رجل بدوي قديم، كان يسمعه في المجالس والمنتديات القديمة، ولا يحب هذه الأشياء. أتخيل أن القدماء استخفوا بهذا البحر إلى الطويل والبسيط والكامل والوافر، كأنه من سخافات الشباب، ينبغي ألا تكون له قيمة عندهم، هذا هو السر، أم ماذا ترون مع هذه اللطافة؟

- كأن الخليل عندما أنشأ هذه البحور كان يعرف مستقبل الشعر؟
- وبمناسبة كلام ليث، أشير إلى شيء: تأسيس الخليل للدوائر وترتيبها كان يقصد به التنبيه على درجة استعمالها؛ فبحور الدائرة الأولى أكثر البحور استعمالًا، وبحور الدائرة الثانية هي الثانية استعمالًا -سبحان الله!- رتب الدوائر كما نبَّهنا العروضيون، على حسب شيوع الأبحر، وهذا المجتث يأتي في الدائرة الرابعة طبعا، لا في الأولى، ولا في الثانية، ولا في الثالثة. **طيب! الآن لا تحتاجون إلى أن تشدوا دساتين أعوادكم، ولا إلى أن تُحموا طبولكم ودفوفكم، ولا إلى أن تشربوا، ولا إلى أن تطربوا، ولا إلى أن تلتزموا ألا يتقدم عازف عازفا -فإن ظن أنه يحسن؛ فإنه يسيء!- ولا إلى أن تجعلوا النغمة أكثر زرقة؛ فهذه القصيدة يغني بعضها بعضا، لا تحتاج إلى شيء، ولكن مع هذا سنلاطفها، ونحللها جميعا معا في نفس واحد، سنعملها معا، ثم سنختار طالبا يؤديها كلها بضربة واحدة من الأول إلى الآخر، أو طالبة، سهلة -يا أخي!- لا تحتاج إلى عناء، معي، ها!**
- أنْتُمْ فُرُو= دن دن ددن

ضِي وَنَفَلِي= دن ددن دن

أنْتُمْ حَدِيـ= دن دن ددن

ـثِي وَشُغْلِي= دن ددن دن

يَا قِبْلَتِي= دن دن ددن

فِي صَلَاتِي= دن ددن دن

إِذَا وَقَفْـ= ددن ددن

ـتُ أُصَلِّي= ددن دن
جَمَالُكُمْ= ×
نُصْبَ عَيْنِي= ×
إِلَيْهِ وَجْـ= ×
ـجهْتُ كُلِّي= ×
- ليث رأس الفتنة، ليث رأس الفتنة بآلته الحادة -هههـ!- أعيدوا!
- جَمَالُكُمْ= ددن ددن
نُصْبَ عَيْنِي= دن ددن دن
إِلَيْهِ وَجْـ= ددن ددن
ـجهْتُ كُلِّي= دن ددن دن
- تَدَلَّلْ تَدَلَّلْ، ادَّلَّلْ عِيني كما يقول العراقيون، ادَّلَّلْ عِيني، هههـ!
- وَسرُّكُمْ= ددن ددن
فِي ضَمِيرِي= دن ددن دن
وَالْقَلْبُ طو= دن دن ددن
رُ التَّجَلِّي= دن ددن دن
- الله! لحظةً يقلبوا الصفحة -هههـ!- يا للعار!
- آنَسْتُ فِي الْـ= دن دن ددن
ـحَيِّ نَارًا= دن ددن دن
لَيْلًا فَبَشْـ= دن دن ددن
ـشرْتُ أَهْلِي= دن ددن دن
قُلْتُ امْكُثُوا= دن دن ددن
فَلَعَلِّي= دددن دن
أَجِدْ هُدًا= ددن ددن
يَ لَعَلِّي= دددن دن

دَنَوْتُ مِنْـ= ددن ددن

ـهَا فكَانَتْ= دن ددن دن

نَارَ الْمُكَلْـ= دن دن ددن

ـلِمِ قَبْلِي= دددن دن

نُوديتُ مِنْـ= دن دن ددن

ـهَا جِهَارًا= دن ددن دن

رُدُّوا لِيَا= دن دن ددن

لِيَ وَصْلِي= ×

- تَدَلَّلْ، ادْلَّلْ عِيني، "لِيَ وَصْلِي= دددن دن، فعلاتن، مخبونة"، هذا الدلال، أما "دن دن دن"، فلا دلال فيه!

- لِيَ وَصْلِي= دددن دن

حَتَّى إِذَا= دن دن ددن

مَا تَدَانَى الْـ= دن ددن دن

ـمِيقَاتُ فِي= دن دن ددن

جَمْعِ شَمْلِي= دن ددن دن

صَارَتْ جِبَا= دن دن ددن

لِيَ دَكًّا= دددن دن

مِنْ هَيْبَةِ الْـ= دن دن ددن

ـمُتَجَلِّي= دددن دن

وَلَاحَ سِرٌ= ددن ددن

ـرٌ خَفِيٌّ= دن ددن دن

يَدْرِيهِ مَنْ= دن دن ددن

كَانَ مِثْلِي= دن ددن دن

وَصِرْتُ مُوسَى= ×

خطأ!

- وَصِرتْ مُو= ددن ددن

سَى زَمَانِي= دن ددن دن

مُذْ صَارَ بعَْ= دن دن ددن

ـضِي كُلِّي= دددن دن

فَالْمَوْتُ فِيـ= دن دن ددن

ـهِ حَيَاتِي= دددن دن

وَفِي حَيَا= ددن ددن

تِي قَتْلِي= دددن دن

أَنَا الْفَقِيـ= ددن ددن

ـرُ الْمُعَنَّى= دن ددن دن

رِقُّوا لِحَا= دن دن ددن

لِي وَذُلِّي= دن ددن دن

- عاشوا، عاشوا، فيكم طرب، وفيكم وناسة! طيب! نحتاج إلى التنبيه على بعض الأشياء قبل أن نترك القصيدة لمن يؤديها كلها. القصيدة كلها مبنية على اليائات، كلها ياءت.

- نعم.

- كلها ياءات متكلم، حتى لقد بنى القافية على اللام المكسورة، حتى يملأ الدنيا باليائات، أنا أنا أنا أنا، "أَنَا مَنْ أَهْوَى وَمَنْ أَهْوَى أَنَا"، شغله شغلي وشغلي شغله، فالقصيدة كلها ياءت: "فروضي، حديثي، شغلي، قبلتي، صلاتي، عيني، كلي" -يا ربي!- منتشرة هذه الياءات في القصيدة، لكي يملأ عليك الدنيا بما كان بينه وبين حبيبه من علاقات خاصة، جعلت الحبيب محبوباً، والمحبوب حبيباً. طيب! وياء المتكلم هذه يجوز في أصل لغتنا أن تسكن وأن تفتح.

- نعم.

- فهاتان إمكانتان بين يديك، تختار منهما، حتى يضطرك العروض إلى أن تختار إحداهما، هنا مثلا "أَنْتُمْ فُرُوضِيَ وَنَفْلِي" يكسر الوزن تحريكها، وكذلك "أَنْتُمْ حَدِيثِيَ"، و"في صلاتيَ"، ...، وهكذا، لكن في مواضع أخرى مثلا...
- هداي.
- أحسنت! "هداي" هذه يستحيل فيها التسكين أصلا، لكيلا يلتقي ساكنان الألف والياء.
- ليالي.
- و"ليالي" -وإن كانت ياؤها منها، لا ياء متكلم!- يستحيل...، لحظة! تخيلوا أن تسكنوها: "لِي وَصْلِي= دن دن دن، فالاتن، مشعثة"، والتشعيث علة جائزة، إذا قبلت على كراهة في الضرب، لم تكن في العروض بمثل منزلتها في الضرب، إلا عند التصريع. وفي "صَارَتْ جِبَالِيَ دَكًّا" -انتبهوا!- " لِيَ دَكًّا= دددن دن، فعلاتن، مخبونة"، و"لِي دَكًّا= دن دن دن، فالاتن، مشعثة"، وهو لا يكون في العروض إلا عندما نشبهها بالضرب، وأين هذا التشبيه؟ هناك في المطلع، حينما شبه "ضِي وَنَفْلِي"، بـ"ثِي وَشُغْلِي"، من تزيين المطلع وما أشبهه من أبيات في خلال القصيدة، ولم يشبهه شيء في هذا القصيدة. طيب! الهاءات كذلك مشكلة مستمرة، تعرفون أن الهاء المتحركة بعد متحرك يجب إشباعها: "هُـ(و)"، "بِهِـ(ي)" إلى آخره- وأن الهاء المتحركة بعد ساكن يجوز إشباعها واختلاسها -إن كانا متاحين!- حتى يضطرَّك العروض إلى أحدهما. هنا مثلا "يَدْرِيهِـ(ي) مَنْ= دن دن دن دن"، لا، مستحيل طبعا، "يَدْرِيهِ مَنْ= دن دن ددن، مستفع لن، سالمة". أما "يَدْرِيهِـ(ي) مَنْ= دن دن دن دن"، فلا تدخل في شيء إلا أن تكون تفعيلتين من المتدارك المقطوع التفعيلات. طيب! لكن هذه -تأملوا هذه في الثالث عشر!- "ـهِ حَيَاتِي= دن ددن دن، فاعلاتن، سالمة"، جائزة، وقد قلتم في أدائكم: "ـهِ حَيَاتِي= دددن دن، فعلاتن، مخبونة"، يجوز هذا وذاك، لكن أيهما أرجح؟
- هذا.
- لماذا؟ يا فيلسوف! يقول منذر: هذا أرجح، الاختلاس والخبن أرجح من الإشباع والتسليم! لماذا؟ ألأنه أسهل؟ نتكلم عن السهولة، وفي السهولة والصعوبة نظر، لا، كنت أرجو أن تعتمد على شيء آخر. ومنذر له عناية بالدلالة، كان ينبغي أن يعتني بالدلالة؛ ألم أعلمك من قبل -وانتبه إلى هذا،

وابنِ عليه كلامك!- أن السعيد كثير الحركة، والحزين بطيء الحركة؛ ومن ثم ينبغي أن تربط بالفرح تكثير الحركات، وبالحزن تقليلها وتكثير السكنات؛ فماذا ترى هنا؟ يقول الرجل: "فَالْمَوْتُ فِيهِ حَيَاتِي وَفِي حَيَاتِيَ قَتْلِي"، إما أن يحيا في الموت، وإما أن يموت في الحياة، أيهما الحزين، وأيهما السعيد؟ ها! حيرتنا، يا أستاذ! أيهما السعيد، وأيهما الحزين؟ الموت في الحياة أم الحياة في الموت؟

- الحياة في الموت.
- الموت في الحياة، أم الحياة في الموت؟ ماذا قال ابنُ الرَّعْلاء؟

"لَيْسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَاحَ بِمَيْتٍ إِنَّمَا الْمَيْتُ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ
إِنَّمَا الْمَيْتُ مَنْ يَعِيشُ ذَلِيلًا سَيِّئًا بَالُهُ قَلِيلَ الرَّجَاءِ"!

أيهما الحزن، وأيهما الفرح، الحياة في الموت، أم الموت في الحياة؟

- الحياة في الموت.
- سعيدة؟ هذا كلام صحيح؛ السعادة الحياة في الموت، أحسنت، بالله!
- "لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا...
- أحسنت، أكمل!
- "بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ".
- الله أكبر، حتى الفرح مذكور، هات الآية من الأول!
- "وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ"؛ صدق الله العظيم!
- الله أكبر، سعداء فرحون، يرجون لأخوانهم مثل ما حصلوه، من كرامة ما يجدون؛ فالحياة في الموت إذن فرح سعادة، والموت في الحياة أعوذ بالله من هذه الحال! هذا هو المناسب إذن؛ فالحركة تدل على فرح الحياة؛ "فَالْمَوْتُ فِيهِ حَيَاتِي": "ـهِ حَيَاتِي= دددن دن، فعلاتن، مخبونة"، سعيد، "ـهِـ(ي) حَيَاتِي= دن ددن دن، فاعلاتن، سالمة"، حزين، ... وهكذا. طيب، من يؤدي هذه القصيدة كلها من أولها؟
- بخمس درجات.

- بخمس درجات! الدنيا خلاص، ما عاد فيها خير، خلاص! كله بالفلوس، مصالح، الدنيا مصالح! موافق، لكن بشرط: إذا هفا هفوة نقصنا خمس درجات، ولم نطرده!
- ولا يدخل المحاضرة القادمة!
- لا، لا، يكفي هذا، أن ننقص منه خمس درجات، يكفيني هذا، وسأكون به كثير الحركة من السعادة. موافق، فمن؟ لا أحد! دعوا عنكم هذا إذن، من يؤدي مجانا؟ من؟
- هاجر.
- هاجر، من الأول، لا وقت لدينا، أسرعي!
- أَنْتُمْ فُرُو= دن دن ددن

ضِي وَنَفْلِي= دن ددن دن

أَنْتُمْ حَدِيـ= دن دن ددن

ـثِي وَشُغْلِي= دن ددن دن

يَا قِبْلَتِي= دن دن ددن

فِي صَلَاتِي= دن ددن دن

إِذَا وَقَفْـ= ددن ددن

ـتُ أُصَلِّي= دددن دن

جَمَالُكُمْ= ددن ددن

نُصْبَ عَيْنِي= دن ددن دن

إِلَيْهِ وَجَّهْـ= ×

ـتُ كُلِّي= ×
- والله! هذه خمس درجات، أعيدي!
- إِلَيْهِ وَجْـ= ددن ددن

ـجهْتُ كُلِّي= دن ددن دن
- هكذا.
- وَسِرُّكُمْ فِي= ×

ضَمِيرِي= ×

- خطأ، عدنا، أعيدي! هذه خمس أخرى، عشر درجات -ها!- سيكون عليها لنا في الآخر درجات!
- وَسِرُّكُمْ= ددن ددن

فِي ضَمِيرِي= دن ددن دن

وَالْقَلْبُ طو= دن دن ددن

رُ التَّجَلِّي= دن ددن دن

- الله! لحظةً يقلبوا الصفحة -هههه!- يا للعار!
- آنَسْتُ فِي الْـ= دن دن ددن

ـحَيِّ نَارًا= دن ددن دن

لَيْلًا فَبَشْـ= دن دن ددن

ـشَرْتُ أَهْلِي= دن ددن دن

قُلْتُ امْكُثُوا= دن دن ددن

فَلَعَلِّي= دددن دن

أَجِدْ هُدًا= ددن ددن

يَ لَعَلِّي= دددن دن

دَنَوْتُ مِنْـ= ددن ددن

ـهَا فَكَانَتْ= دن ددن دن

نَارَ الْمُكَلْـ= دن دن ددن

ـلَمِ قَبْلِي= دددن دن

نُودِيتُ مِنْـ= دن دن ددن

ـهَا جِهَارًا= دن ددن دن

رُدُّوا لَيَا= دن دن ددن

لِيَ وَصْلِي= دددن دن

حَتَّى إِذَا= دن دن ددن

مَا تَدَنَّى= ×

- "تَدَنَّى"، ما شاء الله! هذه ينبغي أن يجمع عليها الطرد ونقص الدرجات! "تَدَنَّى" هذه، "تَدَنَّى"، أعيدي!
- حَتَّى إذَا= دن دن ددن
- مَا تَدَانَى= ×
- "مَا تَدَانَى"، خطأ كذلك! من هذا العربي الذي يقول: "تَدَانَى أَلْمِيقَاتُ"، إلا إذا كان مذيعا من المذيعات الأحياء منهم والأموات، في القنوات العربية، إلا الجزيرة -ههه!- من هذا، يا مسكينة!
- حَتَّى إذَا= دن دن ددن

مَا تَدَانَى الْـ= دن ددن دن

ـمِيقَاتُ فِي= دن دن ددن

جَمْعِ شَمْلِي= دن ددن دن

صَارَتْ جِبَا= دن دن ددن

لِي دَكَّا= دددن دن

مِنْ هَيْبَةِ الْـ= دن دن ددن

ـمُتَجَلِّي= دددن دن

وَلَاحَ سِرْ= ددن ددن

ـرٌ خَفِيٌّ= دن ددن دن

يَدْرِيهِ مَنْ= دن دن ددن

كَانَ مِثْلِي= دن ددن دن

وَصِرْتُ مَوْ= ددن ددن

سَى زَمَانِي= دن ددن دن

مُذْ صَارَ بَعْـ= دن دن ددن

ـضِي كُلِّي= دددن دن

فَالْمَوْتُ فِيـ= دن دن ددن

ـه حَيَاتِي= دددن دن
وَفِي حَيَا= ددن ددن
تِي قَتْلِي= دددن دن
أَنَا الْفَقِيـ= ددن ددن
ـرُ الْمُعَنَّى= دن ددن دن
رِقُّوا لِحَا= دن دن ددن
لِي وَذُلِّي= دن ددن دن

- أحسنت، يا هاجر، هذا جميل جدا، بارك الله فيك! **طيب، ما قافية البيت الأول؟**
- شُغْلِي.
- ها، أكيد، آخر كلام، آخر كلام؟
- شُغْلِي.
- لماذا؟ اشتملت على مكوناتها: الساكن الأول الغين، والثاني الياء، وبينهما اللام المكسورة، وقبلهما الشين المضمومة؛ فهي إذن "شُغْلِي"، فلتسيروا على هذا الإيقاع حذرين، لكي تجنبوا المفاجآت، ها!
- ـصَلِّي.
كُلِّي.
ـجَلِّي.
أَهْلِي.
ـعَلِّي.
قَبْلِي.
وَصْلِي.
شَمْلِي.
ـجَلِّي.
مِثْلِي.

كُلِّي.
قَتْلِي.
ذُلِّي.

- جميل، **<u>ما أقوى المكررات؟</u>**
- اللام.
- اللام طبعا، اللام، وهو من أكثر الحروف المستعملة في القوافي على الإطلاق، وهو عند الخليل من حروف الذلاقة الغالبة على الحروف، ولا يخلو منها كلام: الراء، واللام، والميم، والنون. ها، طيب، ما حركة هذه اللام؟
- الكسرة.
- قبلها ألف أو واو أو ياء؟
- لا.
- لا ردف إذن. قبل الذي قبلها ألف.
- لا.
- لا تأسيس إذن، فالقافية مجردة. كسرة اللام مشبعة، أم بعدها شيء في مكان الإشباع؟
- مشبعة.
- مشبعة، لأنه يجوز أن يقول مثلا: شغله، شغلك، هذا وارد، وسترونه فيما بعد. من يقول إذن عبارة البيانات في نفس واحد، هكذا؟ من يقول هذا؟ روان، روان محترفة في هذا الأمر، نعطيها فرصة، لم تقرأ من قبل، ولم تعلق، وأنا أعرف أنها تتقن هذا. ها! قولي كل ما نريد في عبارة واحدة نضيفها إلى البطاقة الشخصية!
- هذه القصيدة مجتثّية الأبيات الوافية...
- خطأ، ما كنت أتوقع أن تخطئ هذا الخطأ، حسدناها، العين، الحسد عندي فوري، لا رد له! وافية! هذه مجزوءة، يا مسكينة!
- صح.
- "صح"! بعد الاختبار تعرف الصواب، أعيدي!

- هذه القصيدة مجتثّة الأبيات المجزوءة الصحيحة العروض والضرب، لامية القوافي المكسورة المجردة الموصولة بالياء.
- أحسنتِ، بارك الله فيك! أحب لنفسي ولكم طبعا، أن نتعلم الأداء العربي الفصيح الكامل، وأن نفصل بين الكلام في مواطن الفصاحة، والكلام في تحرير المسائل. أنا أقول مثلا بفصاحة واضحة: هذه القصيدة مجتثية الأبيات المجزوءة الصحيحة العروض والضرب، لامية القوافي المكسورة المجردة الموصولة بالياء. هكذا ننطق التعبير نفسه، نتأنق في صياغة تعبير التحليل كما نتأنق في نظم الشعر، وفي الخطابة بالنثر، وهكذا. طيب!
- هل يمكن أن تعيد العبارة؟
- نعيدها! قد فعلنا، ولكن لا بأس: هذه القصيدة مجتثية الأبيات المجزوءة الصحيحة العروض والضرب -صحيحة العروض والضرب طبعا، لأنها كانت ترجع إلى "فاعلاتن"، تخبن وترجع إلى "فاعلاتن"، وكل ما رجعنا عنه فلا اعتبار له- لامية القوافي المكسورة المجردة الموصولة بالياء، والياء هنا لا تكون إلا مدا أصلا. **بارك الله فيكم، وشكر لكم، وأحسن إليكم، والسلام عليكم!**

المُنَادَمَةُ السَّابِعَةَ عَشْرَةَ(١)

- **سلام عليكم!**
- وعليكم السلام!
- طبتم مساء -يا أبنائي!- وطاب مسعاكم إلينا! بسم الله -سبحانه، وتعالى!- وبحمده، وصلاةً على رسوله وسلاما، ورضوانا على صحابته وتابعيهم حتى نلقاه! كيف حالكم، كيف أمسيتم؟
- بخير، الحمد لله!
- بارك الله فيكم، وشكر لكم، وأحسن إليكم، ويسر لنا ولكم كل عسير، وسهل كل صعب! **اليوم ننظر في قصيدتين متآخيتين: إحداهما رسالة، والأخرى جواب، على طريقة الشعر الإخواني، هل تعرفون شعر الإخوانيات؟** هل سمعتم عن هذا؟ لا نقصد شعر الإخوان المسلمين -وللإخوان المسلمين شعراؤهم بالمناسبة، وهم معروفون، وقد وُضعت فيهم رسائل ماجستير ودكتوراة، حضرت مرة واحدة مناقشة باحث من الإخوان المسلمين، وضع رسالته للدكتوراة في شعراء الدعوة، هكذا يسمونهم، ومنهم جمال فوزي، ومحمود مفلح، وأحمد بسام ساعي، وحسن الأمراني، وغيرهم كثيرون، بعضهم مشهور، وبعضهم مغمور- لا، بل شعر الإخوانيات، شعر العلاقات الاجتماعية بين الإخوة والأصدقاء، وهو معروف عندكم في عُمان، في مراسلات الأدباء والأصدقاء، يرسل بعضهم إلى بعض، يسأله، فيجيب الآخر، وأحيانا يمازحه، هذا معروف عندكم. وإذا فتحتم دواوين العمانين ولاسيما المتأخرون، وجدتم جانبا منها في هذا. والعادة أن يجيب المجيب من وزن قصيدة المرسل وقافيتها. وهذا الحُصْري -ولعله قيرواني!- المتوفى سنة ثمان وثمانين وأربعمئة (٤٨٨هـ) يكتب لابن خَلَصة الذي لن يكون إلا في زمانه -وسيبدو من القصائد أن

---

(١) رابط هذه المنادمة في قناتي اليوتيوبية:
https://www.youtube.com/watch?v=csxMbZJi٤٩g&list=PL٠_bvBmuM٥ySq٦hXNd٤GWcNFIUaI٤uqCM&index=١٧
وقد فرغها بندر فالح، وراجعتها له أنوار محمد.

ابن خلصة هذا كان شخصا مهمًّا، كأنه كان الكاتب، والكاتب آنئذ بمنزلة الوزير- يتوسل بالكلام في الغزل إلى الكلام في الأخوّة. ندرس من خلال القصيدتين اللتين كأنهما قصيدة واحدة، نمطا من الوزن قال فيه حازم القرطاجني في كتابه "منهاج البلغاء وسراج الأدباء": "أَرْبَأُ بِالْعَرَبِ أَنْ تَكُونَ قَالَتْ مِنْ هَذَا الْوَزْنِ"! إلى هذا الحد يحتقر هذا الوزن! حرام عليك، يا أخي، لا يستحق كل هذا الاحتقار كما سترون! ولكننا نكاد لا نجد له مادة حقا، هو موجود منذ العصر الجاهلي، لا مفقود كالمتدارك مثلا، لكن في أبيات معدودة على بعض أصابع اليد، حتى إننا في الإحصائية -إن شاء الله!- بعد أن ننتهي، سنجده في الحضيض! ماذا قال فيه حازم -وحازم هذا عالم وشاعر له ديوان- عالم كبير، وشاعر وسط، ومثل هذا معروف، أما أن تجد الشخص عالما كبيرا وشاعرا كبيرا فهذا يكاد لا يوجد إلا في الزمان الطويل بعد الزمن الطويل، عند العرب وعند غيرهم، ومعنا عبد الرحمن يدلّنا على هذا وهو خريج الإنجليزية، يؤكد لنا أن هذا كذلك عزيز في الأمم الأخرى، عنده في الانجليزية يعدُّون الشعراء الكبار العلماء الكبار على أصابع اليد الواحدة على مدار التاريخ، نعم؟

- الشافعي كان يقول: كنت سأكون أشعر من لبيد؟
- "وَلَوْلَا الشِّعْرُ بِالْعُلَمَاءِ يُزْرِي لَكُنْتُ الْيَوْمَ أَشْعَرَ مِنْ لَبِيدِ"!

هذا الشافعي عبقري زمانه وهدية السماء، الفذ، لكنه لم يكن كما تظن مشغولا بالشعر، بل كان يقول في المناسبة البيتين والثلاثة. أما أن يكون شاعرا كبيرا وعالما كبيرا مشتغلا بهما معا فصعب جدا، يكاد لا يكون. والمعروف عن الشافعي أنه كان مشغولا بالعلم، فصيحًا حُجةً، يأتي مجلسه طلاب الحديث، وطلاب الفقه، وطلاب الأدب، وغيرهم، يجلسون حتى يستمتعوا بلفظه كما أستمتع أنا هذه الأيام بشاب مغربي، أستمع إليه فأستمتع بكل ما يقول، أتدرون من هو؟

- سعيد الكَملي.
- نعم، سعيد الكملي، أوصيكم أن تتابعوه على اليوتيوب، أهو الكَمْلي أم الكَملي، أم ماذا؟
- علق هو نفسه على هذا.
- فماذا قال؟
- قال: الكَمَلي، لا الكِمْلي.

- الكَمَلي بفتح الميم، سعيد الكَمَلي شاب في أواخر الثلاثينيات -ما شاء الله، تبارك الله!- من يستمع إليه يطمئن على أن الخير في هذه الأمة إلى يوم القيامة حقا! ما شاء الله! فرغ من كل شيء وهو طفل، كنا نحن نلعب الكرة في الشارع، وكان هو يحفظ الكتب بعد الكتب بعد الكتب، حتى فرغ منها، وانتقل إلى تأملها، ووصل الآن إلى ذروة لا يدانيه فيها كثير من الناس، مع وسامة ولطافة وأناقة، بهجة يجلس على كرسي الإمام مالك في مسجد السنة من مدينة الرباط المغربية، وعلى صغر سنه يجلس يشرح للناس الموطأ، يشرح لهم كل شيء في الموطأ، فإذا عرضت عبارة حكى لهم حكايتها منذ أن كانت إلى الآن، إذا ذُكر اسم حكى لهم كل ما يخصه حفظا من صدره لا قراءة من الكتب. حينما حكيت هذا لبعض الناس أمس، قال لي: ازددنا كتابا! لا، لا، هذا تقليل من الرجل، أشبه بالحقد، لا، ينبغي أن نفرح لوجوده، ثم هو غير مقتصر على الترديد، لا، بل عنده ما يحمل عنه، بدليل أنه يُدعَى للمؤتمرات، ويستفتى، ويشارك في القضايا، وله على اليوتيوب مشاركات، وقد ظهر نجمه وسطع، وصار يُدعى إلى البلاد، كما ظهر نجم الشاب فلسطيني المقيم في النمسا، من؟ من هذا؟ الذي جاء إلى هنا قريبا؟
- عدنان إبراهيم.
- عدنان إبراهيم، هو كذلك مدهش، شباب ما شاء الله في عمر واحد تقريبا، منتهى الجمال، ينظر إليّ مِسعِد شزرا طبعا، يقول: كيف تُعجَب بهذا وبذاك، وكل واحد في واد، كأنّهما متناقضان! أنا أحب هذا، أقدر كل شخص مهما كان اتجاهه. عدنان إبراهيم عند مِسعِد مثلا خارج عن العادات، وخارج عن كذا، لا، لا، أنا أحبه كذلك جدا، نعود. فحازم هذا الذي كان عالما كبيرا وشاعرا وسطا، يربأ بالعرب أن تكون قالت من هذا الوزن؛ فلماذا؟ سنعرف. نبدأ بقصيدة الحُصرِي ونُثنّي بقصيدة ابن خلصة.

"وَفَيْنَا"، لِلْحُصْرِي، المتوفى عام ثمانية وثمانين وأربعمة الهجري:

١) "وَفَيْنَا لَهُمْ وَخَانُوا كَذَا النَّاسُ وَالزَّمَانُ
٢) لَحَوْنِي عَلَى غَرَامِي وَقَالُوا الْهَوَى هَوَانُ
٣) وَمَا ضَرَّ أَنْ يَقُولُوا صَبَا فِي الْهَوَى فُلَانُ
٤) لَحَا اللَّهُ كُلَّ خِلٍّ لَحَا فِي هَوًى يُصَانُ

٥) وأَبْقَى الْأَدِيبَ فَرْدًا لِمُلْك بِهِ يُزَانُ
٦) فَدَيْنَاكَ مِنْ أَدِيبٍ عَلَيْهِمْ بِهِ امْتِنَانُ
٧) أَسَيْفٌ بِفِيكَ يَقْضِي عَلَى الدَّهْرِ أَمْ لِسَانُ
٨) كَذَا تُنْتجُ الْمَعَالِي كَذَا يَسْحَرُ الْبَيَانُ
٩) وَفِي كُلِّ حَاجَةٍ لِي عَلَى جَاهِكَ الضَّمَانُ"!

"وَفَيْنَا لَهُمْ وَخَانُوا كَذَا النَّاسُ وَالزَّمَانُ"، يقصد أنه وفي لأحبابه وخانوه، وخيانة الأحباب أشد علي النفس "مِنْ وَقْعِ الْحُسَامِ الْمُهَنَّدَّ"، كما قال الشاعر. "لَحَوْنِي عَلَى غَرَامِي"، ما "لَحَوْنِي"؟ لاموني؛ من أين جاء معنى "لاموني" في "لَحَوْنِي"؟ جاء من لحاء الشجر، لحا الشيء قشره، كما تَقشرُ عن الشجرة لحاءها، فكأنهم يقشرونه بالعيب! "لَحَوْنِي عَلَى غَرَامِي وَقَالُوا الْهَوَى هَوَانُ"، تأملوا اللعب بالكلمة؟ "الْهَوَى هَوَانُ"، كنا قديما نقول مع ابن سناء الملك: "الْهَوَى هُوَ الْمَهْوَى"، طبعا، واللعب بكلمتي الهوى والمهوى أقرب وأشد، لكنه هنا لعب بكلمتين أخريين، الهوى والهوان، والهوى طبعا من مادة "هـ، و، ي"، والهوان من مادة "هـ، و، ن"، أما الهوى والمهوى فكلتاهما من مادة واحدة. "وَمَا ضَرَّ أَنْ يَقُولُوا صَبًا فِي الْهَوَى فُلَانُ"، ما الذي ضرنا به ذلك؟ ما المشكلة؟ هذه طبيعتنا، فطرتنا! "لَحَا اللَّهُ كُلَّ خِلٍّ لَحَا فِي هَوًى يُصَانُ"، يرد عليهم اللَّحْو، "مَنْ نَجَلَ النَّاسَ نَجَلُوهُ"، أي من عابهم عابوه! يسمى الصديق خلًّا في مرحلة عليا من الصداقة، المرحلة التي يتخلل فيها كل واحد صاحبه، فيسمى خِلًّا وخليلًا -أتذكرون حينما كنا نتكلم؟ هذا هو!- "الْغُولُ وَالْعَنْقَاءُ وَالْخِلُّ الْوَفِي"، هذا أين نجده؟ في الأحلام، إن شاء اللهُ! "وَأَبْقَى الْأَدِيبَ فَرْدًا"، ها! يدعو لصاحبه، بدأ بالغزل من باب التلطف والمفاكهة وكذا، ثم انتقل، "وَأَبْقَى الْأَدِيبَ فَرْدًا لِمُلْك بِهِ يُزَانُ"، هذا البيت هو الذي يدل على أن صاحبه كان ذا شأن في المملكة، كان الكاتب بمنزلة الوزير. "فَدَيْنَاكَ مِنْ أَدِيبٍ عَلَيْهِمْ بِهِ امْتِنَانُ"، على من؟ على الأدباء، وصل منهم واحد إلى الوزارة، حينما يصل عندنا إلى وزارة الثقافة شاعر مثلا، أو إلى وزارة الرياضة رياضي، يتنفس الصعداء الرياضيون هنا والأدباء هناك، ويستبشرون خيرا: نحن على الطريق -إن شاء اللهُ!- قد اقتربنا من تحقيق أحلامنا! كان في كليتنا أكثر من واحد حصل على الوزارة، بل عندنا شيء طريف -فاسمعوا هذه الملحة!- يحكون أن المصريين الذين عملوا هنا عندكم في كلية الآداب بجامعة السلطان قابوس،

عادوا فتولوا الوزارات والمناصب العالية، فقلت للمسؤول: جئت أجهز نفسي للوزارة -إي، والله!- ونعم؛ صابر عرب كان هنا في قسم التاريخ، فعاد، فتولى وزارة الثقافة، وكذلك شاكر عبد الحميد وكان في قسم المسرح، وغيرهما، ما هذه الحكاية، ما شاء الله! أيُّ فأل طيب هذا على أساتذتك المصريين، يا كلية الآداب! وأقل المناصب منصب عميد كلية -مشّ حالك!- أقل شيء عميد كلية، ما شاء الله! ما سر هذه الكلية! "فَدَيْنَاكَ مِنْ أَدِيبٍ عَلَيْهِم بِهِ امْتِنَانُ"، "أَسَيْفٌ بِفِيكَ يَقْضِي عَلَى الدَّهْرِ أَمْ لِسَانُ"، وقَرْنُ اللسان بالسيف هذا معروف، قال سيدنا حسان بن ثابت:

"لِسَانِي وَسَيْفِي صَارِمَانِ كِلَاهُمَا وَيَبْلُغُ مَا لَا يَبْلُغُ السَّيْفُ مِذْوَدِي"!

كان للكفار شاعرهم وللمسلمين شاعرهم، وقد حكيت لكم مرة أنه لما سب ابن الزِّبَعْرَى شاعرُ الكفار -وكان سبَّابا- رسول الله -صلى الله عليه، وسلم!- نَدَبَ سيدنا حسان -رضي الله عنه!- فأخرج لسانه، فضرب به أنفه - لسان طويل، ما شاء الله، هكذا يحكون، أخرج لسانه، فضرب به أرنبة أنفه!- وكأنه يقول: أنا لهم! وما كان أشدَّه عليهم عندئذ! كان للرسول -صلى الله عليه، وسلم!- من الأنصار ثلاثة شعراء: سيدنا حسان بن ثابت، وسيدنا كعب بن مالك، وسيدنا عبد الله بن رواحة -رضي الله عنهم جميعا!- تمام؟ فكان سيدانا حسان وكعب يُعيّران كُفار العرب بمثالبهم العربية الجاهلية، وكان سيدنا عبد الله يُعيّرهم بكفرهم، فأما في إِبّان كفرهم فكان شعر سيدَيْنا حسان وكعب أشدَّ عليهم -فلم يكونوا يرونه مَسَبًّا!- وأما بعدما أسلموا فكان شعر سيدنا عبد الله أشد عليهم! قال سيدنا حسان:

"لِسَانِي وَسَيْفِي صَارِمَانِ كِلَاهُمَا وَيَبْلُغُ مَا لَا يَبْلُغُ السَّيْفُ مِذْوَدِي"!

مذودي لساني الذي أذود به عن نفسي، أي لِساني أقطعُ من سِناني، وله بيت آخر غَيَّر به عجز هذا البيت، فقال:

"لِسَانِي وَسَيْفِي صَارِمَانِ كِلَاهُمَا وَلَلسَّيْفُ أَشْوَى وَقْعَةً مِنْ لِسَانِيَا"!

أي السيفُ أكثرُ خطأً من لساني، لساني يصيب المقتل فورا، أما سيفي فربما أصاب وربما لم يصب! "أَسَيْفٌ بِفِيكَ يَقْضِي عَلَى الدَّهْرِ أَمْ لِسَانُ"، والمراد بالدهر أهل الدهر، كما تعلمنا من قبل. "كَذَا تُنْتَجُ الْمَعَالِي كَذَا يَسْحَرُ الْبَيَانُ"، بمثل ما تفعل -أيها الوزير، أيها الكاتب الوزير!- نبلغ المعالي ونسحر بالبيان. وبمناسبة "تُنْتَج"، أحب أن أنبهكم على طائفة من الأفعال لم تروَ إلا مبنية للمجهول،

هل سمعتم عنها؟ عندنا طائفة من الأفعال لم يسمعها أكثر الناس إلا مبنية المجهول، منها "تُنْتَج"، يقال: نُتِجَت الناقةُ، ومنها "جُنَّ"، يقال: جُنَّ فلان، ومنها "حُمَّ"، أي أصابته الحمى -عافانا الله وإيا كم!- يقال: حُمَّ فلانٌ، ومنها "سُقِط"، في قول ربنا -سبحانه، وتعالى!- "سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ". قال كثير من اللغويين: لم تردنا هذه الأفعال وما أشبهها إلا مبنية للمجهول هكذا، لكن استطاع غيرهم أن يصل إليها مبنية للمعلوم في بعض النصوص، فوقعنا في مشكلة: أبكلام أولئك نأخذ، أم بكلام هؤلاء؟ لا، عندنا قاعدة نرجع إليها، ما هي؟ "مَنْ حَفِظَ حُجَّةٌ عَلَى مَنْ لَمْ يَحْفَظْ"! هؤلاء الذين قالوا: إن "جُنَّ" لم يردنا إلا مبنيا للمجهول ضربنا كلامهم بكلام من قال: بل وردنا مبنيا للمعلوم، ومنه "جَنَّه الليل" مثلا، فماذا تقولون في هذا؟ ترون أن الجنون من مسار آخر! كيف والجنون ستر، "جُنَّ"، أي سُتِر عقله، وهكذا، فهذا منها. "كَذَا تُنْتَجُ الْمَعَالِي كَذَا يَسْحَرُ الْبَيَانُ"، "يَسْحَرُ" مبني للمعلوم، و"تُنْتَجُ" أخوه الذي قبله مبني للمجهول. عندنا مثلا في مصر كانوا يركزون على "نُتِج"؛ يقولون في المصنوعات: مَنْتُوجات، وعندنا هيئات كثيرة بهذا الاسم "مَنْتُوجات" -لا يقولون: "مُنْتَجَات"، بل مَنْتُوجات- شركة كذا للمَنْتُوجات الزراعية، أخذا من "نُتِج"؛ فمنه يخرج "منتوج" اسمه المفعول، لا "ناتج" اسم الفاعل -ها!- منتوج لا ناتج، ومجنون لا جانّ. "وَفِي كُلِّ حَاجَةٍ لِي عَلَى جَاهِكَ الضَّمَانُ"، أنا مطمئن إلى حصولي على حاجتي بضمان جاهك. فبماذا أجابه صاحبه الكاتب الوزير؟ هذا وزير، لكنه صديقه، والصداقة عنده فوق الوزارة.

"أَفِقْ"، لابْنِ خَلَصَة:

١) "أَفِقْ فَالْهَوَى هَوَانُ لَعَهْدِ الصِّبَا أَوَانُ

٢) إِذَا مَا انْطَوَى شَبَابٌ طَوَتْ وُدَّكَ الْحِسَانُ

٣) لَعَمْرِي وَإِنَّ عَمْرِي لَمَا لَيْس يُسْتَعَانُ

٤) أَيَا صَادِقًا هَوَاهُ إِذَا الْمُدَّعُونَ مَانُوا

٥) فَلَمْ يَمْحُ مَا حَوَاهُ زَمَانٌ وَلَا مَكَانُ

٦) وَلَمْ يَفْرِ مَا فَرَاهُ حُسَامٌ وَلَا سِنَانُ

٧) إِذَا سَلَّ مُرْهَفَاتٍ مِنَ الْمَنْطِقِ الْبَيَانُ

٨) تَبَيَّنْتُ أَنَّ أَمْضَى مِنَ الصَّارِمِ اللِّسَانُ

٩) فَعِشْ لِلْوَرَى مَلِيًّا فَفِي عَيْشِكَ ازْدِيَانُ

١٠) وَلَا زَالَ لِلَّيَالِي بِإِبْقَائِكَ امْتِنَانُ"!

"**أَفِقْ فَالْهَوَى هَوَانُ، يعابثه كما عابثه!** تأملوا كيف قلنا: "هوانُ"، لم نقل: "هوانٌ"، لماذا؟ لمراعاة التقفية. صاحبه قَفّى، لكنه لم يفعل شيئا، تيسر له الكلام من غير تصرف، "خَانُوا" هي بنفسها مسندة إلى الواو والكلام مستقيم. لكن هذه "أَفِقْ فَالْهَوَى..."، العاديّ أن يقول: "... فَالْهَوَى هَوَانٌ"، خبرا للمبتدأ "الهوى"، فلماذا لا ينونها؟ إما أن يقف عليها بالتسكين، وإما أن ينونها في الوصل، يقول: "أَفِقْ فَالْهَوَى هَوَانٌ لِعَهْدِ الصِّبَا أَوَانْ"، هذا في طريقة النثر، ولكننا هنا في شعر لا نثر، وللشعر طريقته الخاصة التي منها أن يحافظ على التحريك ويشبعه فيقول: "أوانُ"، ومنها أن يأتي إلى المنتصف إذا أراد أن يزين المقطع، فيفعل مثل هذا، يقول: "هَوَانُ"، لتشبه "أَوَانُ". "إِذَا مَا انْطَوَى شَبَابٌ طَوَتْ وُدَّكَ الْحِسَانُ":

"يُرِدْنَ ثَرَاءَ الْمَالِ حَيْثُ عَلِمْنَهُ وَشَرْخُ الشَّبَابِ عِنْدَهُنَّ عَجِيبُ"!

ومن هنا كان قولهم في المثل: "الصَّيْفَ ضَيَّعْتِ اللَّبَنَ"! ما أصل هذا المثل؟ جاءها الشيخ يخطبها وهو ثري ذو مال لا حصر له، وجاءها شاب فقير، فآثرت الشاب على الشيخ -"وَشَرْخُ الشَّبَابِ عِنْدَهُنَّ عَجِيبُ"!- وعاشت في ضنك، فاحتاجا، فذهبَت الى الشيخ -يبدو أنه كان بجوارهم- فقال لها: "الصَّيْفَ ضَيَّعْتِ اللَّبَنَ"، أيام جئت أخطبك فرفضتني ضيعتِ اللبن، فابكي على ما أصابك، وليسعك بيتك -وابكي على خطيئتك!- هذا طبعا نصب واحتيال، وهو المخطئ، لا هي! "لَعَمْرِي وَإِنَّ عَمْرِي لَمَا لَيْسَ يُسْتَعَانُ"، ما هذا الأسلوب؟

- قسم.
- قسم، فبم أقسم؟ بعَمْرِه هو، وما عَمْرُه هذا، إن شاء الله؟ العَمْر الذي به يُسمى الرجل التَّعْمِير.
- الإحياء.
- أحسنت! أو كأنه الإحياء، كما في تعمير البيوت، تقول أحيانا تنسب التعمير إلى الله: لَعَمْرُ اللهِ! هذا العاديّ، وهذا المقبول عند المسلمين، أن تقسم بتعمير رب العالمين للأشياء. لكن ما قيمة أن تُقسم بتعميرك أنت للأشياء، كأنك تقسم بنفسك، تقول: لعمري! وما ألطف قسم رب العالمين -سبحانه، وتعالى!- بعَمْر رسوله -صلى الله عليه، وسلم!-: "لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ"! وهو

عند المفسرين من التقدير الرفيع الباهر، أن يقسم بعمره! وهو -سبحانه، وتعالى!- الذي يقسم بما يشاء، أعلم بكل عظيم، يقول: لَعَمْرُكَ! و"لَعَمْرِي" هذا معروف عند الشعراء، وهو من تبسطهم. في مرة كتبت هذا على طريقة الشعراء، في فتواي بالمجمع المكي، فاستُثْقِل، ولم يُقبل: تقسم بعمرك! "أَيَا صَادِقًا هَوَاهُ إِذَا الْمُدَّعُونَ مَانُوا"، ما معنى "مانوا"؟ كذبوا، ومنه "المَيْن" الكذب. "فَلَمْ يَحْوِ مَا حَوَاهُ زَمَانٌ وَلَا مَكَانُ"، لا، هذا بيت ممتاز، أحسن ما في القصيدتين كلتيهما جميعا معا، وفي الحق أن الرجل فيها أعلى كعبا! ومن فورنا نذكر الأثر المتوقَّف فيه "مَا وَسِعَتْنِي أَرْضِي وَلَا سَمَائِي، وَسِعَنِي قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ"! ألا ما أعظم جدوى هذا الأثر على الشعراء! "وَلَمْ يَفْرِ مَا فَرَاهُ حُسَامٌ وَلَا سِنَانُ"، ما الحسام؟

- السيف.
- السيف، وما السنان؟
- الرمح.
- الرمح، والسنان أصلا سلاح الرمح، فهذا مجاز مرسل علاقته الجزئية. والسنان السن، بدليل قول المتنبي:

"كُلَّمَا أَنْبَتَ الزَّمَانُ قَنَاةً رَكَّبَ الْمَرْءُ فِي الْقَنَاةِ سِنَانَا"!

يقصد هذا، فالسنان هو هذه الحديدة المسنونة فقط، لكن يُعبَّر بها مجازا عن الكل. والرمح أصلا ثلاثة أجزاء: السنان والقناة والزُّجّ. والزج سلاح صغير هنا، يُركَز به الرمح في الأرض، وهو عندكم في عصا الشِّيب؛ في هذه العصا حديدة من هنا وحديدة من هنا، على طريقة الرماح، يبدو أنها من بقايا العادات القديمة، ولهم فيها مآرب أخرى عند الحاجة! وما معنى "يَفْرِ"، يقطع؛ فَرَى يَفْرِي: قَطَع يَقْطَع. وقد استفاد هنا من الحديث الشريف، الذي ذكر فيه رسول الله -صلى الله عليه، وسلم!- أنه رأى في رؤياه أصحابه يغترفون من بئر، وسيدنا عمر يغترف أكثر منهم -ولعله أُوِّل بطول العمر أو الخلافة أو كثرة الأعمال العجيبة!- فقال "فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا يَفْرِي فَرِيَّهُ"، فمنذئذ نقلد التعبير، وهكذا يعبر العرب، كيف يعبرون؟ يقرؤون القرآن الكريم والنثر الشريف والشعر النفيس، ويستفيدون من التعبيرات ما يقلدونه، ثم ينتقلون بعد زمان إلى كلام أنفسهم، يبدؤون بالتقليد، وينتقلون من التقليد الأعمى إلى التقليد البصير، ثم ينتهون إلى الإبداع، لابُدّ من هذه المراحل

الثلاث: تقليد أعمى، ثم تقليد بصير، ثم إبداع، أو اتباع أعمى، ثم اتباع بصير، ثم ابتداع. "إِذَا سَلَّ مُرْهَفَاتٍ..." -بهذا أجاب قسمه "لَعَمْرِي"- "إِذَا سَلَّ مُرْهَفَاتٍ مِنَ الْمَنْطِقِ الْبَيَانُ"، "تَبَيَّنْتُ أَنَّ أَمْضَى مِنَ الصَّارِمِ اللِّسَانُ"، معنا -يا بيان!- اسمعي الكلام، يتكلم عنك! إذا سلَّ البيان -والبيان فاعل- سيوفًا من المنطق (الكلام)، تبينت أن أمضى من الصارم اللسان، وحين يقول الواحد كلمة يقطع بها أشد مما يقطع السيف، تُعرف فضيلة البيان. ثم يدعو له: "فَعِشْ لِلْوَرَى مَلِيًّا فَفِي عَيْشِكَ ازْدِيَانُ"، ما معنى مليا؟

- طويلا.
- طويلا، وما "ازديان" هذه؟ ما معنى ازديان؟
- زينة.
- زينة، ومن أين جاءت؟ هي من الزاء والياء والنون حقا، لكن فيها تغيير تدرسونه في الإعلال والإبدال، تقول: زِنْته فَازْدَانَ، مثل جمعته فاجتمع؛ فأصل ازْدَان ازْتَيَن، بتاء فياء -واعْجَبْ للسِّحر اللغوي!- ثم قلبت التاء دالا والياء ألفا! تدرسون هذا في المستوى الرابع، بعد عمر طويل -إن شاء الله!- إن وصلتم إلى هذا المستوى!
- الفصل القادم، إن شاء الله!
- القادم مباشرة؟ لا حول ولا قوة الا بالله! هذه الأيام -يا أخي!- تجري سريعة! "وَلَا زَالَ"، ما هذا الأسلوب -"لا زال"، غير "ما زال"- ما هذا الأسلوب؟
- دعاء؟
- دعاء، أحسنتِ، بارك الله فيك! إذا قال: ما زلتَ حاضرا، أخبر أنك ما زلتَ حاضرا، لكن إذا قال: لا زلتَ حاضرا، سأل الله أن تظل حاضرا! يا سلام، أرأيتم الفرق! "وَلَا زَالَ لِلَّيَالِي بِإِبْقَائِكَ امْتِنَانُ"! **هاتان القصيدتان بمنزلة قصيدة واحدة، نحتاج في أدائهما إلى شخصين صديقين جدا، ومن خلال خبرتي بكم لا أرى في الفتيان اثنين متلازمين، لكن أرى في الفتيات مثلا منى وإيمان، وأمل وميسون -ها، ومن؟- أصيلة ومريم؟ ولكنْ بينكما كرسي؛ لماذا هذا الفاصل؟ هل يدل الفاصل المادي على...، لا، بل على كل خير، إن شاء الله! طيب، من يؤدي؟ نتنافس أم لا**

نافس؟ طيب، ماذا نفعل؟ نعطي كل واحد خمس درجات؟ طيب، وكيف نطرد؟ كيف نعاقب؟ أإذا أخطأ واحد طردنا الاثنين؟ هذا، طيب!

- لا، لا!
- لا، هو هذا، أليسا أخوين حبيبين متصافيين؟ يحمل كل واحد صاحبه في السراء والضراء؟ ها؟ منطق، نتيح إذن لاثنين من الطلاب أو الطالبات، أن يؤديا القصيدتين، يقول هذا بيتا ويقول هذا البيت الذي أمامه، وبهذا نكتشف أن الثانية فيها بيت زائد، على طريقة قول الحق -سبحانه، وتعالى!-: "إِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا"، فقد أجاب الرجل التحية بأزيد منها! يجيب "السلام عليكم"، بـ"وعليكم السلام ورحمة الله"، و"السلام عليكم ورحمة الله"، بـ"وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته" -طيب!- فكيف يجيب "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته"؟ اخترعوا، لا، اخترعوا زيادة، قيل "وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته وأطيب صلواته"! سمعتها -ما شاء الله!- إحسانات لا نهاية لها، ولا حدود للإبداع -ها!- فمن نختار؟ من؟ من؟ سالمة وانتصار، وإذا أخطأت واحدة طردنا الاثنتين!
- إذا طُرِدْنَا نتغدى!
- ما شاء الله، طيب، اعزميني معاكي! طيب، من تبدأ؟ تبدأ انتصار، وتثني سالمة.
- أنا أبدأ.
- تبدئين؟ نعم، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام، يسلم عليك، من؟ مادح نفسه! من؟ إبليس! ابدئي، يا سالمة!
- وَفِينَا...
- "وَفِينَا" -ما شاء الله، مع السلامة!- خطأ!
- ما بدينا أصلا!
- خطأ، خطأ!
- لا، دكتور، ما بدينا!
- الغداء، الغدا بسرعة، الغداء، يا الله، مع السلامة، سالمة وانتصار، برًّا! "وفِينا"؟ المرة الماضية لما قالت: "وا"، طردناها، فما الفرق؟ كلكم في محبة واحدة، وبمنزلة واحدة، مع السلامة! من نختار؟ من؟

مروة وأصيلة، من تبدأ؟ مروة، تبدئين؟ أصيلة؟ طيب، انتبهي، المسألة صعبة! تبدئين ببيت، وثني أصلية ببيت، أو تبدأ أصيلة، وثنين، لأي خطأ من أي جهة نطرد الاثنين جميعا، أو نحذف خمسا من هنا وخمسا من هنا! إذا لم تخطئي حصلتما جميعا على عشر درجات، اسمعوا، اسمعوا ها السَّمْعَة!

- وَفَيْنَا لَهُمْ وَخَانُوا كَذَا النَّاسُ وَالزَّمَانُ
- أَفِقْ فَالْهَوَى هَوَانٌ لِعَهْدِ الصِّبَا أَوَانُ
- لَحَوْنِي عَلَى غَرَامِي وَقَالُوا الْهَوَى هَوَانُ
- إِذَا مَا انْطَوَى شَبَابٌ طَوَتْ وِدَّكَ الْحِسَانُ
- مع السلامة، برا! يا جماعة، ما شاء الله، الغداء في انتظاركم، طعام الاثنين يكفي الأربعة، وطعام الأربعة يكفي الثمانية! على شدة السهولة! أصيلة، أين صديقتك؟ أصيلة تغيب كثيرا، والغياب كثيرا يقطع الصداقة، ما هذه الحكاية؟ يا جماعة، مدة الجامعة هذه فرصة لتكوين الصداقات، أنا لا أدعو إلى التكثُّر من الأصدقاء، صديق واحد كاف جدا، إذا أكثرنا من الصحب لم نستطع أن يُنصت كلٌّ منا إلى نفَس الآخر، صديق واحد بسبعين صديقا، بسبعين زميلا، ها، من؟ لميس، أين صديقتك، يا أصيلة؟ أين؟ ها؟ لميس، وبيان.
- وَفَيْنَا لَهُمْ وَخَانُوا كَذَا النَّاسُ وَالزَّمَانُ
- أَفِقْ فَالْهَوَى هَوَانٌ لِعَهْدِ الصِّبَا أَوَانُ
- لَحَوْنِي عَلَى غَرَامِي وَقَالُوا الْهَوَى هَوَانُ
- إِذَا مَا انْطَوَى شَبَابٌ طَوَتْ وُدَّكَ الْحِسَانُ
- وَمَا ضَرَّ أَنْ يَقُولُوا صَبَا فِي الْهَوَى فُلَانُ
- لَعَمْرِي وَإِنَّ عُمْرِي لَمَا لَيْسَ يُسْتَعَانُ
- لَحَا اللَّهُ كُلَّ خِلٍّ لَحَا فِي هَوًى يُصَانُ
- أَيَا صَادِقًا هَوَاهُ إِذَا الْمُدَّعُونَ مَانُوا
- وَأَبْقَى الْأَدِيبَ فَرْدًا لِمُلْكٍ بِهِ يُزَانُ
- فَلَمْ يَحْوِ مَا حَوَاهُ زَمَانٌ وَلَا مَكَانُ

- فَدَيْنَاكَ مِنْ أَدِيبٍ عَلَيْهِمْ بِهِ امْتِنَانُ
- وَلَمْ يَفْرِ مَا فَرَاهُ حُسَامٌ وَلَا سِنَانُ
- أَسَيْفٌ بِفِيكَ يَقْضِي عَلَى الدَّهْرِ أَمْ لِسَانُ
- إِذَا سَلَّ مُرْهَفَاتٍ مِنَ الْمَنْطِقِ الْبَيَانُ
- كَذَا تُنْتَجُ الْمَعَالِي كَذَا يَسْحَرُ الْبَيَانُ
- تَبَيَّنْتُ أَنَّ أَمْضَى مِنَ الصَّارِمِ اللِّسَانُ
- وَفِي كُلِّ حَاجَةٍ لِي عَلَى جَاهِكَ الضَّمَانُ
- فَعِشْ لِلْوَرَى مَلِيًّا فَفِي عَيْشِكَ ازْدِيَانُ

وَلَا زَالَ لِلَّيَالِي بِإِبْقَائِكَ امْتِنَانُ

- الله، الله، ما شاء الله، ما شاء الله! عشر درجات؟ ولا حول ولا قوة إلا بالله! عشر درجات؟ تستحقان، تستحقان! حتى لميس في أدائها لمحت في صوتها خصوصية، يبدو أننا سنصنفها مع انتصار، في ذوات الأصوات الخاصة، جميل، جميل، أداء طيب جدا! عندنا إذن لميس حصلت في المنتصف على أربع وعشرين، وستتجاوز بهذا المئة! وبيان -وإن من البيان لسحرا!- من مجموعة أخرى، لا حول ولا قوة إلا بالله! من أية مجموعة؟ في المساء أم الصباح؟
- الصباح.
- نعم، بيان خليفة، درجتها في المنتصف كذلك أربع وعشرون ونصف، ستتجاوز بهذا الشكل المئة! ما شاء الله، هذه خمس درجات، ولا بأس. **طيب! نكتب مطلع هذه ومطلع تلك، لا بأس. جميل هذا الذي فعلناه، يبدو أن الواحد في هذه المحاضرة يطرب أكثر. بسم الله!** ماذا يقول الحصري؟ "أَفِقْ فَالْهَوَى هَوَانٌ"، لا، لا، "وَفَيْنَا لَهُمْ":

وفينا لهم وخانوا كذا الناس والزمان

أفق فالهوى هوان لعهد الصبا أوان

هل من خطأ في الإملاء؟

- لا.
- نشكِّل؟ نتقرب إلى الله...

- بالتشكيل.
- وَفَيْنَا لَهُمْ وَخَانُوا كَذَا النَّاسُ وَالزَّمَانُ
أَفِقْ فَالْهَوَى هَوَانٌ لِعَهْدِ الصِّبَا أَوَانُ

طيب، أنصتوا إلى غناء هذين،البيتين وتذكروا كلمة حازم القرطاجني، هل يستحق هذا الوزن ما وصمه به؟

وَفَيْنَا لَـ| ـهُمْ وَخَانُوا| كَذَا النَّاسُ| وَالزَّمَانُ
أَفِقْ فَالْهَـ| ـوَى هَوَانٌ| لِعَهْدِ الصِّـ| ـبَا أَوَانُ

سهل، وواضح، لماذا قال ما قال؟ يبدو أن الذي يؤديه يؤديه خاليا من النغم على طريقتنا الغنائية، فيحس أنه تكاثرت فيه الحركات، فكاد يشبه النثر، فاستقبحه لهذا -ربما!- لكننا نوصيه أن يغنيه كما غنيناه. طيب! ننزل هذا الغناء على السبورة نفصّل بلون، ونضيف بلون، نستفيد من الألوان المختلفة، ...، "لِعَهْدِ الصِّـ"، أين نضع الخط؟ في الصّاد؟ لا، بعد الصاد، هكذا نغني، هكذا نغني، ونتدلل، نطرب، هكذا في الأداء، أظن أن هذا يعالج ما كَرِهَهُ حازمٌ، فالمشكلة إذن عنده أنه لم يحسن الغناء، وربما لم يحسن الشعراء كذلك، أو تلهَّوا بغيره، أو لأي سبب آخر، ...، "وَالزَّمَانُ"، هذه كيف ندندنها؟

- دن ددن د
- دن ددن د!
- دن ددن دن
- نعم، دن ددن دن، الآن أحسنت، لأننا في آخر البيت، فالضمة مشبعة، "وَالزَّمَانُ(و)= دن ددن دن"، لكن منكم من ينسى هذا، مهما نبهت طوال الفصل تجده في البحث أو في الاختبار يقول: "دن د دن د"! هذه مشبعة، يا مسكين!

"وَمَا سُمِّيَ الْإِنْسَانُ إِلَّا لِنَسْيِهِ وَلَا الْقَلْبُ إِلَّا أَنَّهُ يَتَقَلَّبُ"!
"أَفِقْ فَالْهَـ"، طيب! وهذه "ـوَى هَوَانٌ"، ما دندنتها؟

- دن د دن د
- خطأ، دن ددن دن

- أو دن ددن د
- إما هذا أو ذاك؟ أخطأت، انتهى -فيها خمس درجات هذه!- "ـوَى هَوَانُ"، في المنتصف -نعم- لكن البيت مزيَّن، ففي موضع العروض إشباع، تشبه فيه هذه "ـوَى هَوَانُ= دن ددن دن"، بهذه "ـبَا أَوَانُ= دن ددن دن" -طيب!- وهذه الدندنة لغة عالمية مشتركة. الآن سننتقل إلى غير المشترك، إلى المشكلات، إلى المصطلحات:

وَفَيْنَا لَـ= ددن دن د، مفاعيلُ، مكفوفة، وكفها معروف

ـهُمْ وَخَانُوا= دن ددن دن، فاع لاتن، سالمة، و"فاع" بالفصل

كَذَا النَّاسُ= ددن دن د، مفاعيلُ، مكفوفة

وَالزَّمَانُ= دن ددن دن، فاع لاتن، سالمة

أَفِقْ فَالْهَـ= ددن دن د، مفاعيلُ، مكفوفة

ـوَى هَوَانُ= دن ددن دن، فاع لاتن، سالمة

لِعَهْدِ الصَّـ= ددن دن د، مفاعيلُ، مكفوفة

ـبَا أَوَانُ= دن ددن دن، فاع لاتن، سالمة

ما هذا يا أستاذ؟ ما أعجب هذا؟ كأنك بالغت، يا أستاذ! ما بالغت؛ **فهذا بحر المضارع، والبيت منه "مفاعيلن فاع لاتن مفاعيلن"، مرتين،** و"مفاعيلن" هنا كـ"مفاعيلن" في الهزج، معروفة؛ مم تتكون؟ من "مفا= ددن" الوتد المجموع، و"عي= دن" السبب الخفيف، و"لن= دن" السبب الخفيف. و"فاع لاتن" هذه -ولا مثيل لها من قبل- تتكون من "فاع= دن د" الوتد المفروق، و"لا= دن" السبب الخفيف، و"تن= دن" السبب الخفيف. و"مفاعيلن" الآخرة كـ"مفاعيلن" الأولى. كتبتم، فرغتم؟ أرأيتم؛ عندنا تعليقات كثيرة على هذا! سمي بحر المضارع لمضارعته غيره في دائرته، وهو من أسرة الخفيف والمجتث، وهي الأسرة الرابعة. كم أسرة عندنا؟ كم أسرة؟
- أربع.
- خمس أسر: الأولى دائرة المختلف وفيها الطويل والمديد والبسيط، والثانية دائرة المُؤتلف وفيها الوافر والكامل، والثالثة دائرة المُجتلب وفيها الهزج والرجز والرمل، والرابعة دائرة المُشتبه وفيها السريع والمُنسرح والخفيف والمضارع والمقتضب والمجتث، والأخيرة دائرة المتفق وفيها الأخوان المتقارب

والمتدارك. كل هذا مرسوم عندكم مكتوب بعد القصائد، وسننظر فيه معا. هذه الصور المنقولة عندكم في صفحات الدوائر، منقولة من مخطوطة كتاب سعيد بن خلفان الخليلي، مصورة منسوخة. لم أكن أفعل هذا، هذه السنة أول ما أفعل هذا، قلت: فلننسخ هذه الصور، فنسخناها من المخطوطة نفسها؛ فهذا منقول عن مخطوطة "مظهر الخافي في علمي العرض والقوافي"، لسعيد بن خلفان الخليلي. طيب، ما حكاية هذا البحر؟ انتبهوا إذن، يا جماعة! سماه المضارع لمضارعته بعض إخوانه في دائرة المشتبه، التي يسميها صاحب "مظهر الخافي"، المجتلب، يعكس ما بينها وبين التي قبلها. والبيت من بحر المضارع "مفاعيلن فاع لاتن مفاعيلن"، مرتين، مسدَّس كإخوته في الدائرة. كانت الأبيات من بحور الدائرة الأولى كلها مثمَّنة، هذه طبيعتها: "فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن"، بيت الطويل، و"فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلن"، بيت المديد، و"مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن"، بيت البسيط. والأبيات من بحور هذه الدائرة (دائرة بحر المضارع)، كلها مسدَّسة، هذه طبيعتها، ومنها مثلا بيت الخفيف: "فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن"، وغيره مما سيأتي. طيب، لكن بيت المضارع في الواقع مربع، "مفاعيل فاع لاتن مفاعيل فاع لاتن"، وهو في الدائرة ينبغي أن يكون كإخوته مسدسا؛ فإننا إذا ذهبنا نقلب تفعيلات بيت الخفيف، على منهج التقليبِ الخليليِّ الدوائريِّ، كما في تقليب حروف "علم" لإخراج "عمل، ولمع، ولعم، ومعل، وملع"، نبدأ من مكان آخر، وننتهي إلى حيث بدأنا، هذا هو التقليب؛ ما التقليب؟ أن تنتقل في كل مرة إلى موضع لندور فنعود إلى حيث بدأنا، هل يجوز في تقليب "علم"، أن تقول: "لمع" فقط؟ لا، بل تبدأ باللام وتكمل، ثم تبدأ بالميم وتكمل، وهكذا، فالفكرة هي هي. نبدأ مما بعد السبب الأول من التفعيلة الأولى من بيت الخفيف، فيخرج لنا المضارع مسدسا، على النحو الآتي: "علاتن مس= ددن دن دن (مفاعيلن)، تفع لن فا= دن ددن دن (فاع لاتن)، علاتن فا= ددن دن دن (مفاعيلن)، علاتن مس= ددن دن دن (مفاعيلن)، تفع لن فا= دن ددن دن (فاع لاتن)، علاتن فا= ددن دن دن (مفاعيلن)". لا تنسوا أن "مستفع لن" في الخفيف مفروقة، و"تفعِ" فيه هي "فاعِ" في المضارع تأملوا، سبحان الله!- عبقرية، شيء خيالي، هذا الرجل في خُصّ من أخصاص البصرة يفعل كل هذا، ولا يكتب، بل يركّز -يكتب في مخه على طريقة ستيفن هوكنج

العالم الإنجليزي الفذ المتوفى قريبا، وأعظم كثيرا طبعا- يركز ولا يكتب، حتى إذا ما جاء الطلاب طرح عليهم كل ما فكر فيه، فكتبوا هم، لا وقت عنده للكتابة، لأنه مشغول دائما، مشغول. شيء بديع، يستخسر الوقت، يضن بالوقت على الكتابة: إذا جلست أكتب ضيعتُ وقتي! يا أخي، إن الكتابة تساعد على التفكير، تساعد على التأنق وسد الخلل وكذا! لا، لا، قد طور مهارته -ما شاء الله!- وتجاوز هذه المرحلة! الكتابة عندنا تساعدنا على الضبط وسد الخلل وإكمال الناقص، وحذف الفضول، لا؛ قد استطاع هو ذلك بالتركيز دون كتابة! وهذا حدث؛ فقد قال عن ستيفن هوكنج زملاؤه وقد كان كما تعرفون معوَّقًا معطَّل الجسم، حتى إن جوجل صنعت له كرسيا خاصًّا يتحرك بالعين مثلا: نذهب نحن بالأوراق والأقلام، ونكتب نحن المعادلات، ويكتبها هو في عقله فقط، يركز، يركز. وهذه القدرات كامنة فينا، ولكننا لا نُعْمِلُها، فلما تَوَرَّطَ أَعْمَلَهَا، فكان يستطيع أن يركز ويصوغ المعادلة التي يكتبونها بالأقلام على الأوراق في عقله فقط -ها!- حتى صار مثال قهر التعويق، لا نستطيع أن ندعي أنه أعظم الفيزيائيين -فلم يكن ذلك- لكننا نقول: إِنَّهُ مِثَالُ قَهْرِ التَّعْوِيقِ، لا يتحرك أي حركة، لا يقدر، ما هذا؟ سبحان الله! وعلى رغم ذلك وصل إلى هذا المستوى، وله كتب مهمة، وإن لم يكن أعظم الفيزيائيين! وَالْخَلِيلُ مِثَالُ قَهْرِ عَدَمِ التَّعْوِيقِ، ينقطع في خُص من أخصاص البصرة، والناس يأكلون بعلمه الأموال، لا يكتب، ولكن يركز، يركز، ويقلب تفعيلات بيت الخفيف، فيخرج له بيت المضارع مسدسا، وهو في الواقع مربع، و"مفاعيلن"، مكفوفة أبدا، فما الكف؟ حذف ساكن سبب الخفيف متى كان...

- خامس حرف.
- متى كان...
- سابع حرف.
- سابع حرف -نعم- فحذف الخامس قبض، وقد كدت أنا أنسى؛ لا تظنوا أنني أحفظ كل شيء، لكن اربطوا بعضها ببعض: الخبن حذف الساكن الثاني، والطي حذف الساكن الرابع، والقبض حذف الساكن الخامس، والكف حذف الساكن السابع، وهي كلها كما ترون، حذف ساكن السبب الخفيف. طيب! كل "مفاعيلن" في كل مكان "مفاعيلُ"، ماذا نسمي هذا الزحاف؟ زحافًا جرى...

- مجرى العلة.
- جرى مجرى العلة، لأن العلة في الأصل ينبغي أن تُلتزم. ويجوز أيضا أن تجري العلة مجرى الزحاف، فهذا عندنا وذاك عندنا، لكن الحلال بيّن والحرام بيّن، للزحاف طبيعته، وللعلة طبيعتها، يشبه بعضهما أحيانًا بعضًا، ولكن لا يخرجه الشبه عن أن يكون شاذا عارضا، والشاذ لا يقاس عليه، والعارض لا يعتد به، طيب! قد وجّه التزام كف "مفاعيلُ"، بأنه زحاف جرى مجرى العلة، فكيف وُجه تَرْبيع البيت؟ بأنه واجب الجَزْء. والجَزْء كما تعرفون حذف تفعيلة من آخر كلا شطري البيت، لأننا لو قلنا: من أي مكان في البيت، أحدثنا اضطرابا كبيرا، ووقعنا في خلل، وتفلتت منا البحور، فالأمور منضبطة. ليس الجزء إذن حذف أي تفعيلة، لا، بل حذف أخرى تفعيلات الشطرين، أو آخرتها، ما فرق ما بين "أخرى" و"آخرة"؟ أخطئ أحيانا، فأقول: أخرى تفعيلات الشطرين، والأخرى الغَيْر، أما الآخرة فالأخيرة! الأخرى المخالِفة، ما لنا بالمخالفة؟ نحن نريد التي في الآخر. ماذا فعل الخليل إذن؟ قال: بيت المضارع مجزوء أبدا، كما قال في بيت المجتث، وكما قال في بيت الهزج، أي لم يُعثَر لعربي منه على شعر مسدس، لا من الهزج، ولا من المجتث، ولا من المضارع، حتى إن بعض الناس جمع هذه البحور في كتاب وسمّاها القصار. كان ينبغي لبيت الهزج أن يكون مسدسا (مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن)، فلم يستعمل إلا مربعا (مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن)، وكان ينبغي لبيت المجتث أن يكون كذلك مسدسا (مستفع لن فاعلاتن فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن فاعلاتن)، فلم يستعمل إلا مربعا (مستفع لن فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن)، وكذلك كان ينبغي لبيت المضارع أن يكون مسدسا (مفاعيلن فاع لاتن مفاعيلن مفاعيلن فاع لاتن مفاعيلن)، فلم يستعمل إلا مربعا (مفاعيلن فاع لاتن مفاعيلن فاع لاتن)، فجمع تلك الأبحرَ بعضُ الباحثين في كتاب سماه "القصار"، يعني أنها قصيرة في نفسها منذ استعملت. وإذا سألتَني عن السبب ذكرتُ لك الطرب، فالشاعر حر فيما يطرب وفيما يرتاح إليه، وقد ارتاح إلى هذا! **طيب! والآن لا تحتاجون كذلك إلى أن تشدوا دساتين أعوادكم، ولا إلى أن تحموا طبولكم ودفوفكم، ولا إلى أن تشربوا، ولا إلى أن تطربوا، ولا إلى أن تتعبوا أنفسكم بالعزف الجماعي - فسيتحدر وحده!- ولا إلى أن تجعلوا النغمة أكثر زرقة، وإن كان هذا أثقل قليلا من المجتث، أعترف بأن المجتث ألطف منه!** لكن هل يستحق أن يحتقره

حازم في "منهاج البلغاء"، ذلك الاحتقار، حتى يربأ بالعرب -أي ينزههم- عن أن يكونوا قالوا من مثل هذا! هيا، معا معا، نبدأ، وننتهي من القصيدة لنعود إلى الثانية، دعوا عنكم الأداء الثنائي الذي جلب عليكم العقاب، نحن هنا في عمل آخر، ها!

- وَفَيْنَا لَـ= ددن دن د، مفاعيل، مكفوفة، وكفها معروف

ـهُمْ وَخَانُوا= دن ددن دن، فاع لاتن، سالمة، و"فاع" بالفصل

كَذَا النَّاسُ= ددن دن د

وَالزَّمَانُ= دن ددن دن

لَحَوْني عَـ= ددن دن د

ـلَى غَرَامِي= دن ددن دن

وَقَالُوا الْهَـ= ددن دن د

ـوَى هَوَانُ= دن ددن دن

وَمَا ضَرَّ أَنْ= ×

- نعم، نعم، آه! بعد أن نعرف كل الثنائيات التي في هذا المكان، سنطرد الجماعة مثنى مثنى! سمعت طرفا من ثنائيةٍ ما، يقول: وَمَا ضَرَّ أَنْ= ددن دن ددن، أعيدوا، ها!

وَمَا ضَرَّ= ددن دن د

أَنْ يَقُولُوا= دن ددن دن

صَبَا فِي الْهَـ= ددن دن د

ـوَى فُلَانُ= دن ددن دن

ها!

- لَحَا اللَّهُ= ددن دن د

كُلَّ خِلٍّ= دن ددن دن

لَحَا فِي هَـ= ددن دن د

ـوًى يُصَانُ= دن ددن دن

وَأَبْقَى الْأَ= ددن دن د

دِيبَ فَرْدًا= دن ددن دن

لِمُلْكِ بِـ= ددن دن د

ـهِ يَزَانُ= دن ددن دن

فَدَيْنَاكَ= ددن دن د

مِنْ أَدِيبٍ= دن ددن دن

عَلَيْهِمْ بِـ= ددن دن د

ـهِ امْتِنَانُ= دن ددن دن

أَسَيْفٌ بِـ= ددن دن د

ـفِيكَ يَقْضِي= دن ددن دن

عَلَى الدَّهْرِ= ددن دن د

أَمْ لِسَانُ= دن ددن دن

كَذَا تُنْتَـ= ددن دن د

ـجُ الْمَعَالِي= دن ددن دن

كَذَا يَسْحَـ= ددن دن د

ـرُ الْبَيَانُ= دن ددن دن

وَفِي كُلِّ= ددن دن د

حَاجَةٍ لِي= دن ددن دن

عَلَى جَاهِـ= ددن دن د

ـكَ الضَّمَانُ= دن ددن دن

- "أَفِقْ فَالْهَـ= ددن دن د

ـوَى هَوَانُ= دن ددن دن

- لِعَهْدِ الصِّـ= ددن دن د

ـبَا أَوَانُ= دن ددن دن

إِذَا مَا انْطَـ= ددن دن د

ـوَى شَبَابٌ= دن ددن دن
طَوَتْ وُدَّ= ددن دن د
كَ الْحِسَانُ= دن ددن دن
لَعَمْرِي وَ= ددن دن د
إِنَّ عَمْرِي= دن ددن دن
لَمَا لَيْسَ= ددن دن د
يُسْتَعَانُ= دن ددن دن
أَيَا صَادِ= ددن دن د
قًا هَوَاهُ= دن ددن دن
إِذَا الْمُدَّ= ددن دن د
عُونَ مَانُوا= دن ددن دن
فَلَمْ يَحْوِ= ددن دن د
مَا حَوَاهُ= دن ددن دن
زَمَانٌ وَ= ددن دن د
لَا مَكَانُ= دن ددن دن
وَلَمْ يَفْرِ= ددن دن د
مَا فَرَاهُ= دن ددن دن
حُسَامٌ وَ= ددن دن د
لَا سِنَانُ= دن ددن دن
إِذَا سَلَّ= ددن دن د
مُرْهَفَاتٍ= دن ددن دن
مِنَ الْمَنْطِـ= ددن دن د
ـقِ الْبَيَانُ= دن ددن دن
تَبَيَّنْتُ= ددن دن د

أَنَّ أَمْضَى= دن ددن دن

مِنَ الصَّارِ= ددن دن د

مِ اللِّسَانُ= دن ددن دن

فَعِشْ لِلْوَ= ددن دن د

رَى مَلِيًّا= دن ددن دن

فَفِي عَيْشِـ= ددن دن د

ـكَ ازْدِيَانُ= دن ددن دن

وَلَا زَالَ= ددن دن د

لِلَّيَالِي= دن ددن دن

بِإِبْقَائِـ= ددن دن د

ـكَ امْتِنَانُ= دن ددن دن

- الله، الله! عاشوا، عاشوا! فيكم طرب، وفيكم وناسة! جميل، جميل! حتى إنكم فعلتم شيئا جديدا، لما كنت أقول لكم إذا سكتم لتقلبوا الصفحة: يا للعار- تجنبتم ذلك العار، ووجدت من يقلب الصفحة فورا قبل أن يصل إلى البيت! ما شاء الله! لو حضَرَنا الخليل بن أحمد، لو جالَسَنا لأعجبه هذا الذي فعلنا، ولقال: هذا هو الذي كنت أفعله في السوق! في مرة بعد أن طوَّرنا هذا الأسلوب حضر معنا ناس ممّن درسوا علينا قبل أن نطوره، فاحمرَّت وجوههم طربًا لما نفعل: معقول، أمثل هذا يحدث، أمثل هذا يكون، ما شاء الله! طيب! نريد طالبا واحدا -أو طالبة- يخرِّج هذا في نفس واحد من غير خطأ، وإذا فعل أعطيته خمس درجات -من غير خطأ- لكن لو أخطأ حذفنا منه خمس درجات، أو طردناه، سُنَّةً عن أخيكم مسعود -رضي الله عنه!- زيادة أو نقصا أو طردا! صار الناس جميعا يقولون هذا! هل تريدين يا نورة؟ أكيد؟ أكيد؟
- فيها طرد؟
- نعم؛ فيها كل شيء، فيها ما لاعين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب طالب.
- القصيدتين كاملتين؟

- نعم، كاملتين، وفي المجموعة السابقة خاف الطلاب من هذا في الحقيقة، ثم أفضى الأمر إلى هاجر، فأدت أداء لا بأس به، وإن أخطأت عدة أخطاء، لا، فلوس، هذه فلوس، خَفْ على فلوسك!
- نورة، ها!
- هذه القصيدة مضارعية الـ...
- لحظة، لحظة! ماذا تفعلين؟ ماذا فهمتم عني؟ ستعيدين تخريجها، لا بياناتها، ما شاء الله! أهذا بخمس درجات! ولا بنصف درجة! نريد أداء كاملًا، أفهمتِ هذا -يا رحمة!- أفهمت هذا في الأول؟ فهمت هذا المقصود؟ متأكدة؟ طيب! أما نورة ففهمت إضافة العبارات: هاتان القصيدتان بمنزلة قصيدة واحدة كذا كذا، مسكينة! طيب، رحمة، توكلنا على الله، يا رب، بسم الله، ها!
- وَفَيْنَا لَـ= ددن دن د
ـهُمْ وَخَانُوا= دن ددن دن
كَذَا النَّاسُ= ددن دن د
وَالزَّمَانُ= دن ددن دن
لَحَوْنِي عَـ= ددن دن د
ـلَى غَرَامِي= دن ددن دن
وَقَالُوا الْهَـ= ددن دن د
ـوَى هَوَانُ= دن ددن دن
وَمَا ضَرَّ= ددن دن د
أَنْ يَقُولُوا= دن ددن دن
صَبَا فِي الْـ= ×
ـهَـ= ×
ـوَى فُلَانُ= دن ددن دن
- نعم! ما هذا، ما هذه التقطُّعات، ما هذه الفواصل من غير داع، أعيدي! سؤال قبل أن تمضي في عملك -وأنا محترف طبعا-: هل وضعتِ خطوط التقطيع على أبيات القصيدة قبل أن تخرجيها؟

- نعم.
- أحسنت -ههه!- أعيدي البيت ها؟ أعيدي، وانتبهي؛ في هذه حذف وطرد، انتبهي، وأعيدي!
- وَمَا ضَرَّ= دن دن د
- أعيدي!
- وَمَا ضَرَّ= ددن دن د

أَنْ يَقُولُوا= دن ددن دن

صَبَا فِي الْهَـ= ددن دن د

ـوَى فُلَانُ= دن ددن دن
- أحسنت!
- لَحَا اللَّهُ= ددن دن د

كُلَّ خِلٍّ= دن ددن دن

لَحَا فِي هـ= ددن دن د

ـوًى يَصُانُ= دن ددن دن

وَأَبْقَى الْأَ= دن دن د
- أعيدي!
- وَأَبْقَى الْأَ= دن دن د
- لا، أعيدي، وانتبهي!
- وَأَبْقَى الْأَ= ددن دن د

ديبَ فَرْدًا= دن ددن دن

لِمُلْكٍ بِـ= دن دن د
- ها!
- لِمُلْكٍ بِـ= ددن دن د

ـهِ يُزَانُ= دن ددن دن

- عندك مشكلة مكررة، تسقطين ضربة، لم تُخطِئي في التقطيع، لكنك أخطأت في العزف، دائما تُسقطين ضربة، كأنك حذفت عند العزف فاء "فَدَيْنَاكَ"، وبدأت بـ"دَيْنَاكَ"، تكرر هذا!
- والدرجات!
- نعم! أريد أن أعطيك الدرجات -تمام!- فلا تُكرري هذا الخطأ، إذا كررتِهِ حذفت من درجاتك وطردتك معا! أكملي! تقدرين؟ إذا أخطأت مثل هذا الخطأ مرة أخرى حذفت خمس درجات وطردتك، انتبهي! أنتِ في العادة، فيما سبق -حدث منك أكثر من مرة- جئتِ إلى "مفاعيلن" مثل هذه، فعزفتها كأنها "فاعيلن" فقط! مثلا "وَأَبْقَى الْأَ"، تحذفين الضربة الأولى "و=د"، كأنك تفرغين من نطق "وَ"، وتبدئين العزف من "أَبْقَى"، و"فَدَيْنَاكَ"، تنطقين "فَ"، وتبدئين العزف من "دَيْنَاكَ"، وهكذا تفعلين، هذه مشكلتك المتكررة؛ عندنا هنا مشكلة في أصل تنسيق العزف بين الإصبع والقلم وأداء الفم، ها!
- فَدَيْنَاكَ= ددن دن د
مِنْ أَدِيبٍ= دن ددن دن
عَلَيْهِمْ بِـ= ددن دن د
ـهِ امْتِنَانُ= دن ددن دن
- أكملي!
- أَسَيْفٌ بِـ= ددن دن د
ـفِيكَ يَقْضِي= دن ددن دن
عَلَى الدَّهْرِ= ددن دن د
أَمْ لِسَانُ= دن ددن دن
كَذَا تُنْتَـ= ددن دن د
ـجُ الْمَعَالِي= دن ددن دن
كَذَا يَسْحَرُ= ×
الْبَيَانُ= ×
- واللهِ!

- كَذَا يَسْحَـ= ددن دن د
ـرُ الْبَيَانُ= دن ددن دن
وَفِي كُلِّ= ددن دن د
حَاجَةٍ لِي= دن ددن دن
عَلَى جَاهِـ= ددن دن د
ـكَ الضَّمَانُ= دن ددن دن
أَفِقْ فَالْهَـ= ددن دن

- ها!

- أَفِقْ فَالْهَـ= ددن دن د
ـوَى هَوَانُ= دن ددن دن
لِعَهْدِ الصِّـ= ددن دن د
ـبَا أَوَانُ= دن ددن دن
إِذَا مَا انْطَـ= ددن دن د
ـوَى شَبَابٌ= دن ددن دن
طَوَتْ وُدَّ= دن دن د

- ها!

- طَوَتْ وُدَّ= دن دن د

- ها!

- طَوَتْ وُدَّ= ددن دن د
كَ الْحِسَانُ= دن ددن دن
لَعَمْرِي وَ= ددن دن د
إِنَّ عَمْرِي= دن ددن دن
لَمَا لَيْسَ= ددن دن د
يُسْتَعَانُ= دن ددن دن

أَيَا صَادِ= ددن دن د
قًا هَوَاهُ= دن ددن دن
إِذَا الْمُدَّ= دن دن د

- ها!
- إِذَا الْمُدَّ= ددن دن د

عُونَ مَانُوا= دن ددن دن
فَلَمْ يَحْوِ= دن دن د

- ها!
- فَلَمْ يَحْوِ= ددن دن د

مَا حَوَاهُ= دن ددن دن
زَمَانٌ وَ= ددن دن د
لَا مَكَانُ= دن ددن دن
وَلَمْ يَفْرِ= دن دن د

- ها!
- وَلَمْ يَفْرِ= ددن دن د

مَا فَرَاهُ= دن ددن دن
حُسَامٌ وَ= ددن دن د
لَا سِنَانُ= دن ددن دن
إِذَا سَلَّ= ددن دن د
مُرْهَفَاتٌ= دن ددن دن
مِنَ الْمَنْطِ= ددن دن د
ـقِ الْبَيَانُ= دن ددن دن
تَبَيَّنْتُ= ددن دن د
أَنَّ أَمْضَى= دن ددن دن

مِنَ الصَّارِ= ددن دن د

مِ اللّسَانُ= دن ددن دن

فَعِشْ لِلْوَ= ددن دن د

رَى مَلِيًّا= دن ددن دن

فَفِي عَيْشِـ= ددن دن د

ـكَ ازْدِيَانُ= دن ددن دن

وَلَا زَالَ= ددن دن د

لِلَّيَالِي= دن ددن دن

بِإِبْقَائِـ= ددن دن د

ـكَ امْتِنَانُ= دن ددن دن

- بارك الله فيك! مستوى رحمة أحسن مما حصلت عليه في المنتصف؛ لهذا كنت حريصا على تطوير الوضع، تستحق، إن شاء الله! رحمة عبد الله خمس درجات، بارك الله فيك! **طيب -يا جماعة!- ما قافية البيت الأول؟**
- ـمَانُ.
- "ـمَانُ"، ما شاء الله! "ـمَانُ"، متأكد؟ على أي أساس؟ أنني قدمت لك آخر ساكنين مع ما بينهما ومع المتحرك الذي قبلهما، من غير أن أزيد ولا أنقص. هذا الساكن الأول الألف، وهذا الساكن الثاني الواو غير المكتوبة، وبينهما النون المضمومة، وقبلهما الميم المفتوحة، فالقوافي إذن: ـمَانُ، ـوَانُ، ـلَانُ، نستطيع أن نطمئن إلى هذا الإيقاع، فسيمنع عنا هذا الردف المفاجآت، ها!
- ـصَان، ـزَان، ـنَان...
- نانوتكنولوجي!
- ـسَانُ، ـيَان، ـمَان، وَان، ـسَان، ـعَانُ، مَانُوا، ـكَانُ، ـنَانُ، ـيَانُ، ـسَانُ، ـيَانُ، ـنَانُ.
- كأنكم محرجون -ههه!- من ترديد هذه الأصوات: ـنَان، ـيَان، ـسَانُ...، فهي أشبه بكلمات ملاعبة الأطفال وتدليلهم، ها! عندنا شيء آخر سنفعله حين نأتي إلى القوافي، سنقول: ما مقدارها من الكلمات الأخيرة؟ فتقولون: هي كلمة، أو أقل، أو أكثر- وما أثر هذا في الشعر؟ ما أثره؟ إذا ما

طابقت القافية الكلمة ظهرت أكثر، أي إذا كانت القافية بكلمة تميزت جدا، لأن للكلمة كيانًا، فيكون معنى هذا أن الشاعر يزيد من ظهور قافيته بأدائها بكلمة مستقلة لها كيان مستقل، هذا يزيد القافية قوة، أما إذا كانت بعض كلمة فستقل فرادتها! يا سلام، كلام جميل جدا! **طيب، من يقدم لنا عبارة البيانات؟** نورة، قدمي هذا الذي أردته، مجانا هذه المرة مجانا!

- هذه القصيدة مضارعية الأبيات نونية القافية...
- خطأ!
- صحيحة...
- ما شاء اللهُ! اختصرَت الدنيا كلها، بدأَت بعبارة من الأول، ثم ثَنَّت بعبارة من الآخر، والحشو ساقط! هذه القصيدة، أو قولي: هاتان القصيدتان -فهما بمنزلة القصيدة الواحدة- مضارعية الأبيات...
- صحيحة...
- خطأ! فاتَكِ شيء، المجزوءة، في الاختبار واحد من عشرين، هاتان القصيدتان بمنزلة قصيدة واحدة مضارعية الأبيات، المجزوءة...
- الصحيحة...
- أحسنت! الصحيحة العروض والضرب، انتقلي!
- نونية القوافي المردوفة...
- المَرْدُوفة!
- المُرْدَفة...
- قبل هذا، أهم من هذا، النون هذه مفتوحة، مكسورة، مضمومة؟ هذا خطير جدا في القافية! أتدرين أنك إذا جمعت الضمة إلى الكسرة وقعتِ من عيوب القافية البشعة في عيب الإقواء، وإذا جمعت أيا منهما إلى الفتحة وقعت في عيب الإصراف، كما سيأتي في حينه! ماذا نقول إذن؟ نونية القوافي...
- المضمومة...

- المضمومة، ثم نلتفت إلى ما قبلها: المردفة -ومردوفة كذلك كلمة صحيحة لكنني لا استعملها، قليلة، يستعملونها من باب أن في العربية رَدِفَه وأَرْدَفَه، أنا أقول أردفها، جعل لها ردفا، فأنا أحس أن "أَفْعَلَ" هو الذي يساعدني هنا على التعبير- هذه القصيدة نونية القوافي المضمومة المردفة بالألف -وإذا أُرْدِفت بالألف لم يشاركها شيء، لكن إذا أردفت بالواو جاز أن تشاركها الياء - طيب!- وإذا أردفت بالياء جاز أن تشاركها الواو، أما الألف فلا، لماذا يا أستاذ؟ لأن مقدار الذبذبات التي في الألف أكثر مما في الواو والياء معا، بقياس الأصوات، بقياس الذبذبات، فكيف يحدث هذا الخلل، هذا النشاز، ها!- نونية القوافي المضمومة المردفة بالألف...
- الموصولة بالواو...
- الموصولة بالواو فقط. ماذا بقي؟ تقول الموصولة بالواو، وتريد أن تكمل! لا، أكملي بنغمة هادئة هابطة، الموصولة بالواو. يا جماعة، على موقعي هذه الأشياء، هذه صور التمرينات التي في كتاب "العروض المغنى"، كلها، انظروا إليها في الفلاشة، هذه كلها، فليذهب من شاء أن يتدرب أكثر، يستطيع أن يذهب إلى الموقع، ويبحث باسم أسئلة "العروض المغنى"، لتخرج له. يستطيع أن ينزّلها ويستفيد منها، فقد تعب فيها كثيرا هلال الحجري. أسئلة مهمة، ومنها سؤال يذهب فيه إلى بيت من البحر، فيغير ترتيبه، ليقول لك: هذه الكلمات المبعثرة بيت من الطويل، فرتبها! فتستمتع بالتفكير في المعنى: ما المعنى؟ كيف أغني؟ تقدم، وتؤخر حتى تصل، سعيدا جدا إذا وصلت إلى البيت. عنده مثلا أسئلة يحذف لك فيها من البيت حرفا، ليقول لك: ما الحرف الناقص، أو كذا، أو في هذا البيت أو في أي هذه الأبيات خلل... عنده إبداعات أسئلة لا يصوغها إلا فنان. نعم؟
- أو يغير العبارة، ويخيّرنا، ويسأل: بأي ذلك يستقيم الوزن!
- أحسنت! تنوعات باهرة جدًّا، إضافة إلى قطعة يقول لك: قطعها! قطعة كاملة، لكن عنده قبل هذه على كل بحر ستة أسئلة أو ثمانية، يُحاسِن بعضُها بعضًا، وأصعبها على الإطلاق سؤال الترتيب (رتب هذا البيت)، منتهى التحدي! **بارك الله فيكم، وشكر لكم، وأحسن إليكم، والسلام عليكم!**

المُنَادَمَةُ الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ(١)

- **سلامٌ عليكم! طبتم مساءً -يا أبنائي!- وطاب مسعاكم إلينا! بسم الله -سبحانه، وتعالى!- وبحمده، وصلاةً على رسوله، وسلامًا ورضوانًا على صحابته وتابعيهم حتى نلقاهم! كيف حالكم، كيف أمسيتم؟**
- الحمد لله!
- لله الحمد والشكر، بارك الله فيكم، وشكر لكم، وأحسن إليكم، ويَسَّرَ لنا ولكم كل عسير، وسَهَّلَ كل صعب! اليوم نعمل على الهواء مباشرةً! لا بأس، لا بأس؛ فالمغني يحتاج إلى جمهور، الآن سيكون جمهورنا الجامعة كلها، لا بأس! **اليوم نستمتع بتناول نمطين جديدين من الوزن ومن القافية، من خلال قصيدة فاخرة من الشعر العربي، ما تزال كما قال محمود محمد شاكر أستاذنا أستاذ الدنيا -رحمه الله، وطيب ثراه!-: "تَتَرَدَّدُ بَيْنَ جِبَالِ الشِّعْرِ الْبَاذِخَةِ"، هي نونية الشريف الرضي.** وما أدرا كم ما الشريف الرضي! أسمعتم عنه؟ له ديوان في المكتبة كبير، وهو من أصحاب النفس الطويل، لا يصعب عليه أن يقول القصيدة من ثلاثمئة بيت أو قريبٍ من هذا، وهذا غير معروف كثيرًا في الشعر العربي. الشريف الرضي سيد من السادة آل البيت، شاعر آل البيت، أخوه الشريف المرتضى عالم كبير جدًّا، مقدر أيضًا عند أهل السنة، قرأت له أماليه في مجلدين على ما أذكر، وله فيها فتوحات طيبة مباركة. أما الشريف الرضي فشاعر فذ، والشعراء كما تعرفون متعصبون، وهو الذي أعَدَّ "نهج البلاغة"، لسيدنا الإمام علي، كرم الله وجهه! و"نهج البلاغة"، كتاب له تقدير كبير عند الشيعة، وقد حصلت تلميذتنا سعاد العجميّة قريبًا على الماجستير في بعض مسائله، وهي طالبة متميزة، لكن الناس اختلفوا في الكتاب: فمنهم من يقول: أكثره من إعداد الشريف الرضي،

---

(١) رابط هذه المنادمة في قناتي اليوتيوبية:
https://www.youtube.com/watch?v=OPEju٧KEfe٤&list=PL٠_bvBmuM٥ySq٦hXNd٤GWcNFIUaI٤uqCM&index=١٨
وقد فرغها محمد جمعة، وراجعها له جميل محمد.

وهو ما لا يقبله الشيعة طبعًا؛ فالكتاب عظيم القدر عندهم. وهو كتاب مهم، وله شروح وتحقيقات، يستحق أن تمتلكوا منها في مكتبتكم. وفي رمضان الماضي نقلت عنه مئات النقول في سلسلة سميتها "علويات"، إذا دخلتم إلى موقعي وكتبتم مثلا "علويات"، فربما جاءتكم ألف حكمة، أو أكثر، أخذتها مما شُهِرَ عن سيدنا علي من الكلام الموجز، كقوله مثلا: "قِيمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُ"، منتهى الروعة، منتهى الجمال؛ فسيدنا علي باب مدينة العلم، لا يُعلى عليه، ليس فوق كلامه غير كلام رسول الله -صلى الله وعليه، وسلم!- الذي ليس فوقه غير القرآن الكريم، شيء يستحق أن يحفظ. "علويات" نصوص موجزة، تستحق أن تحفظ، كنت أنشر منها كل يوم عشرات الحكم. اليوم نستمتع بمقطع طويل من نونية الشريف الرضي المتوفى سنة ست وتسعين وثلاثمئة؛ فهو إذن من أعيان القرن الهجري الرابع!

- الرابع أم الثالث؟
- الرابع؛ الشريف الرضي إذن من أعيان القرن الهجري الرابع، وفي هذا القرن معظم الكبار، معظم الكبار؛ فهو قرن تألق الحضارة العربية الإسلامية في المشرق.
- في المشرق والمغرب!
- في المشرق، أظن أن الخامس هو قرن تألق الحضارة العربية الإسلامية في المغرب، أي الأندلس وشمال إفريقية. ينبغي إذن أن تقدروا هذا الرجل تقديرًا خاصًّا جدا، وسيأخذ بعضكم ديوانه للبحث، وعلى رغم كبره سيستمتع به، ويستفيد منه، إن شاء الله! هذه قصيدة يُعَزِّي بها أحد الوزراء عن وفاة ابن له. ستجدون في هذه القصيدة جمرات تتوقّد -كما يقال- جمرات تتوقد؛ تُرى لو كان يقولها في ابنه هو فكيف كان سيقول؟ أظن أنه لم يكن ليقول شيئا! ها، ماذا قال؟

مَا أَسْرَعَ الْأَيَّامَ، لِلشَّرِيفِ الرَّضِيِّ، في تعزية الوزير أبي الحسن بن أحمد، عن ولد له توفي سنة ست وتسعين وثلاثمئة.

١) "مَا أَسْرَعَ الْأَيَّامَ فِي طَيِّنَا تَمْضِي عَلَيْنَا ثُمَّ تَمْضِي بِنَا
٢) فِي كُلِّ يَوْمٍ أَمَلٌ قَدْ نَأَى مَرَامُهُ عَنْ أَجَلٍ قَدْ دَنَا
٣) أَنْذَرَنَا الدَّهْرُ وَمَا نَرْعَوِي كَأَنَّمَا الدَّهْرُ سِوَانَا عَنَى
٤) تَعَاشِيًا وَالْمَوْتُ فِي جِدِّهِ مَا أَوْضَحَ الْأَمْرَ وَمَا أَبْيَنَا

٥) وَالنَّاسُ كَالْأَجْمَالِ قَدْ قُرِّبَتْ تَنْتَظِرُ الْحَيَّ لِأَنْ يَظْعَنَا
٦) تَدْنُو إِلَى الشِّعْبِ وَمِنْ خَلْفِهَا مُغَامِرٌ يَطْرُدُهَا بِالْقَنَا
٧) إِنَّ الْأُلَى شَادُوا مَبَانِيَهُمْ تَهَدَّمُوا قَبْلَ انْهِدَامِ الْبُنَى
٨) لَا مُعْدِمٌ يَحْمِيهِ إِعْدَامُهُ وَلَا يَقِي نَفْسَ الْغَنِيِّ الْغِنَى
٩) كَيْفَ دِفَاعُ الْمَرْءِ أَحْدَاثَهَا فَرْدًا وَأَقْرَانُ اللَّيَالِي ثُنَى
١٠) حَطَّ رِجَالٌ وَرَكِبْنَا الذُّرَا وَعُقْبَةُ السَّيْرِ لِمَنْ بَعْدَنَا
١١) كَمْ مِنْ حَبِيبٍ هَانَ مِنْ فَقْدِهِ مَا كُنْتُ أَنْ أَحْسَبَهُ هَيِّنَا
١٢) أَنْفَقْتُ دَمْعَ الْعَيْنِ مِنْ بَعْدِهِ وَقَلَّ دَمْعُ الْعَيْنِ أَنْ يُخْزَنَا
١٣) كُنْتُ أُوَقِّيهِ فَأَسْكَنْتُهُ بَعْدَ اللَّيَانِ الْمَنْزِلَ الْأَخْشَنَا
١٤) دَفَنْتُهُ وَالْحُزْنُ مِنْ بَعْدِهِ يَأْبَى عَلَى الْأَيَّامِ أَنْ يُدْفَنَا
١٥) يَا أَرْضُ نَاشَدْتُكِ أَنْ تَحْفَظِي تِلْكَ الْوُجُوهَ الْغُرَّ وَالْأَعْيُنَا
١٦) يَا ذُلَّ مَا عِنْدَكِ مِنْ أَوْجُهٍ كُنَّ كِرَامًا أَبَدًا عِنْدَنَا
١٧) وَالْحَازِمُ الرَّأْيِ الَّذِي يَغْتَدِي مُسْتَقْلِعًا يُنْذِرُ مُسْتَوْطِنَا
١٨) لَا يَأْمَنُ الدَّهْرَ عَلَى غِرَّةٍ وَعَزَّ لَيْثُ الْغَابِ أَنْ يُؤْمَنَا
١٩) كَأَنَّمَا يَجْفُلُ مِنْ غَارَةٍ مُلْتَفِتًا يَحْذَرُ أَنْ يُطْعَنَا"!

"مَا أَسْرَعَ الْأَيَّامَ فِي طَيِّنَا تَمْضِي عَلَيْنَا ثُمَّ تَمْضِي بِنَا"، هذه الأيام تمضي علينا، تأملوا "عَلَيْنَا" هذه، كأنها تدوسنا، ثم تمضي بنا تطوينا وتأخذنا معها! تخيلوا أنكم تسيرون على سجادة مثلا، وبعدما تسيرون تجلبونها معكم، تأخذون السجادة بالطرف، وتسيرون، تدوسون عليها، وتأخذونها معكم مثلا -ها!- "كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ"، صدق الله العظيم! "فِي كُلِّ يَوْمٍ أَمَلٌ قَدْ نَأَى"، ما معنى "نَأَى"؟ ابتعد، أي استحال علينا، "قَدْ نَأَى مَرَامُهُ"، استحال تحقيقه، وتَكَشَّفَ "عَنْ أَجَلٍ قَدْ دَنَا"، كما قالوا في المثل القديم: "حَالَ أَجَلٌ دُونَ أَمَلٍ"، أي تأملنا الآمال، فاعترضتها الآجال، كلما تصبح تقول أحب كذا، أريد كذا، ولا تحسب حساب المُراقب الأكبر. "أَنْذَرَنَا الدَّهْرُ وَمَا نَرْعَوِي" -ما معنى "نَرْعَوِي"؟ نزدجر، نتعظ، نكُفّ- كأنما يصيح في واد، أو ينفخ في رماد، هذه الأمثال القديمة. كل يوم نجد الموتى، أصلي الجمعة بالقاهرة في مسجد، وكل صلاة

نصلي على الأموات، وآخذ أبنائي طبعا، وأمهم لا تحب هذا المنظر، تخاف منه، منذ أن توفي أبوها ترتعش لمناظر الموت، ولا أحب منها هذا، بل أدرّب أبنائي على أن يقوموا في هذا المقام، حتى إن ابني الكبير أرسل إليَّ أخيرًا صورة -والله، يا جماعة!- له وكأنه نائم في قَبر، فأعجبتني الصورة! قلت له: ذكرتني صاحب رسول الله -صلى الله عليه، وسلم!- الذي كان يحفر لنفسه في بيته قبرًا! ولو رأت أمه هذه الصورة لهلعت وأغمي عليها! أما أنا فأحب أن أتذكر الموت، وأن أرى ما يذكرني الموت دائمًا. فكان ذلك الصحابي -رضي الله عنه!- قد حفر لنفسه في بيته قبرًا، وكل حين يذهب ليتمدّد فيه، يتذكر مآله الذي سيؤول إليه. "كَأَنَّمَا الدَّهْرُ سِوَانَا عَنَى"، يكلم أناسًا آخرين، أما نحن فلا نموت، نحن مخلدون، أمثالنا لا يموتون، نحن أبناء الله وأحباؤه، وهل يُميت الحبيبُ حبيبَه، نحن أبناء الله وأحباؤه! كأنما غيرنا، أو كما قال الحسن بن أبي الحسن البصري: "مَا رَأَيْتُ يَقِينًا لَا شَكَّ فِيهِ أَشْبَهَ بِشَكٍّ لَا يَقِينَ فِيهِ مِنَ الْمَوْتِ"! الله على الكلام! كتبتم؟ هذا فتى الفتيان، تلميذ سيدنا علي -رضي الله عنهما!- ماذا تتوقعون أن يقول؟ يتكلم ببيان النبوة، يُوقِّع عن رب العالمين -سبحانه، وتعالى!- القائلِ واليقينُ في كلامه الموت: "كُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ"، صدق الله العظيم!- لماذا نفعل هذا؟ "تَعَاشِيًا"، ما إعراب "تَعَاشِيًا"؟

- مفعول لأجله.
- مفعول لأجله، فما معنى تعاشياً؟
- تناسيا.
- بل أشد أشد، تعامياً، التعاشي التعامي. في العربية "عَشَا يَعْشُو"، و"عَشِي يعشَى"، كما في "عَرَا يَعْرُو"، و"عَرِيَ يَعْرَى". ما "عَشَا يَعْشُو"؟ ضَعُفَ بصره. ما "عشِي يعشَى"؟ عَمِي؛ ولهذا قالوا في الكلمة القديمة: "لَا يَعْشَى إِلَّا بَعْدَمَا يَعْشُو"! تعامى "وَالْمَوْتُ فِي جِدِّهِ"، لا يتعامى، هذا -ما شاء الله!- في طريقه، شغال، والموت في جده، "مَا أَوْضَحَ الْأَمْرَ وَمَا أَبْيَنَا"، أي ما أوضح الأمر وما أبينه، لكن لم يتمكن من أن يقول: "وَمَا أَبْيَنَهُ"، فقال: "وَمَا أَبْيَنَا"، هذا معروف، جرى فيه مجرى قول ربنا: "مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى"، "أَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى"، هذا معروف، أي أن تحذف الضمير وهو مفهوم. "وَالنَّاسُ كَالْأَجْمَالِ"، الناس كالجمال، ما فرق ما بين "جِمال" و"أَجمال"؟ كلاهما جمع جمل، لكن جمال جمع...، وأجمال جمع...

- قلة وكثرة.

- قلة وكثرة، أجمال جمع قلة، وجمال جمع كثرة. لم يشبههم بالجمال الكثيرة، ومَنْ هؤلاء في ملك الله؟ "وَالنَّاسُ كَالْأَجْمَالِ قَدْ قُرِّبَتْ تَنْتَظِرُ الْحَيَّ لِأَنْ يَظْعَنَا"، هم في هذا البيت مركوبون لا راكبون، فمن الراكب يا تُرى؟ وسيأتينا بعد قليل بيت يكونون فيه راكبين لا مركوبين -سبحان الله!- وهم في الحالين يبدون ضعفاء جدا -ها!- "تَنْتَظِرُ الْحَيَّ لِأَنْ يَظْعَنَا"، الحي القبيلة، لكن مَنْ هذا، مَنْ هذا المقصود بالحي؟ هل يركبهم الموت مثلاً، فهم دوابّ الموت! أم هم ركائب الآمال إلى الآجال، تركبهم الآمال إلى الآجال! "تَدْنُو إِلَى الشِّعْبِ"، والشعب عادة مكان الأهل -ها!- على رغم قول شوقي:

"بِاللهِ يَا حَادِ
فَتِّشْ بِتَوبَادِ
فَالْقَلْبُ فِي الْوَادِي
والْعَقْلُ فِي الشِّعْبِ"!

وكنت أظن أن الشعب هو موطن القلب، ولعله أراد أن صاحبته قد سال بها السيل، ورحلت عن الأهل، فتعلق بها في الوادي القلبُ! "تَدْنُو إِلَى الشِّعْبِ وَمِنْ خَلْفِهَا مُغَامِرٌ يَطْرُدُهَا بِالْقَنَا"، من هذا المغامر الذي خلفها، والمغامر لا يخاف شيئًا؟ الموت هو هذا الشاب المغامر الذي يركب الأهوال ولا يخاف شيئًا، من خلف الأجمال يضربها، يسوقها سوقًا شديدًا. طيب! هذا السائق، وهؤلاء الركائب المركوبة، فمن الراكب؟ خطر لي الآن أن يكون الراكب هو الأمل الذي ينتهي بالأجل! "إِنَّ الْأُلَى شَادُوا مَبَانِيهِمُ"، ها، ما معنى الألى؟

- الأوائل.

- ما شاء الله! ها، ألم تقرؤوا قول عَبيد لامرئ القيس:

"نَحْنُ الْأُلَى فَاجْمَعْ جُمُوعَكَ ثُمَّ وَجِّهْهُمْ إِلَيْنَا"!

نَحْنُ الْأُلَى نَحْنُ الَّذِينَ، لكن لم يأت بصلة الموصول، نحن الذين غلبنا وانتصرنا، فاجمع جموعك، ثم وَجِّهْهُمْ إِلَيْنَا! الألى الذين. عندنا "ألى" بمعنى الذين، و"أُولَى" بمعنى هؤلاء، ما فرق ما بينهما؟ واضح يكشفه السياق، لكن في رسم الإملاء كذلك اختلاف، كيف؟

- "أُولَى" التي بمعنى "هؤلاء"، تكتب فيها واو.
- أحسنت! عندنا إذن "أُولَى" و"أُولاء" و"هؤلاء" و"أُولئك"، لكن دعنا فيما نحن فيه، عندنا "أُولى" بمعنى هؤلاء، و"أُلى" بمعنى الذين -والنطق واحد- ولكن التي بمعنى "الذين" فيها "أل": "نَحْنُ الْأُلَى"، والتي بمعنى "هؤلاء" ليست فيها "أل"، إضافة إلى وجود الواو هذه. "إِنَّ الْأُلَى شَادُوا مَبَانِيهِمُ تَهَدَّمُوا قَبْلَ انْهِدَامِ الْبُنَى"، "البُنى" جمع "بُنية"، وهي البناء المبني. جلس -ما شاء الله!-يبني القصر، ثم مات، وبقي القصر! هذا معروف مشاهد في بلادنا كلها، يظل يبني يبني، ثم يموت، ويستمر البناء! من الذي يستفيد؟ الوارث:

"هَوِّنْ عَلَيْكَ وَلَا تُولَعْ بِإِشْفَاقِ فَإِنَّمَا مَالُنَا لِلْوَارِثِ الْبَاقِي"!

نسأل الله لنا ولكم ألا نغفل عن هذا المعنى وأن نعمل لأنفسنا قبل أن نعمل لغيرنا! والعمل للأبناء مطلوب، لكن دون أن نستهلك فيه أنفسنا. "إِنَّ الْأُلَى شَادُوا مَبَانِيهِمُ تَهَدَّمُوا قَبْلَ انْهِدَامِ الْبُنَى"، يا ربي على هذا الكلام! ما معنى "شَادُوا"؟ لها في العربية معنيان: "رَفَعوا" و"طَلَوْا"، رفعوا البناء هكذا، وعظموه -ها!- أو طلوه بالشِّيد (الجص)، حتى بدا جميلًا هكذا في المنظر. يا ويلهم! كيف تهدموا؟ ماتوا! كيف ماتوا؟ "لَا مُعْدِمٌ يَحْمِيهِ إِعْدَامُهُ وَلَا يَقِي نَفْسَ الْغَنِيِّ الْغِنَى"، لا مفر من الموت، لا مفر، أين المفر؟ ها! "كَلَّا لَا وَزَرَ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ"، صدق الله العظيم! هل سمعتم بفقير جاءه الموت، فاعتذر إليه بفقره، حتى يكتسب لأولاده شيئا؟ لم يحدث. أم هل سمعتم بغني جاءه الموت، فرشاه بمليون ريال، حتى يؤخره إلى العام القادم؟ لم يحدث لا هذا ولا ذاك، والموت لا يقبل لا توسل فقير ولا رِشوة غني! "كَيْفَ دِفَاعُ الْمَرْءِ أَحْدَاثَهَا فَرْدًا وَأَقْرَانُ اللَّيَالِي ثُنَى"، هنا فهمنا ضمير "أحداثها" أنه ضمير "الليالي"، لأنه جاء بها في آخر البيت، وقد فسرتُها بالأيام. لكن أحيانا يأتي العربي بالضمير اطمئنانًا إلى أنه سيفسره بعده سريعا -ها!- كأنه يقول: كيف دفاع المرء أحداث الليالي وحيدًا وأقرانها ثنى، فأضمر هنا وأظهر هنا، والمعنى واضح. "دِفَاع" هنا يحتمل أن يكون بمعنى مشاركة الدفع، وأن يكون بمعنى تكرار الدفع، في المشاركة تدفعه ويدفعك، وفي التكرار تدفعه أنت وحدك مرة بعد مرة. هذا وارد، وهذا وارد، لكن طبعًا المناسب للسياق أن يكون من المشاركة، يريد أنه يدفع المصائب وتدفعه، ولكنه يدفعها وحيدًا، وهي مصائب "يُرَقِّقُ بعضها بعضًا"، كما يقول الفقهاء، كلما جاءته مصيبة قال: هذه مصيبة المصائب، أعظم من السابقة،

فتأتيه أعظم منها، فأعظم، فأعظم، فقالوا: يرقق بعضها بعضًا، "يضيع ماله" مصيبة كبيرة، "يموت ابنه" أشد، كذا أشد، كذا أشد، ما هذا؟ هذه الدنيا! "كَيْفَ دِفَاعُ الْمَرْءِ أَحْدَاثَهَا (وقائعها) فَرْدًا (وحيدا) وَأَقْرَانُ الليالي (مصائبها) ثُنَى (جماعات)"! تحدث جماعات جماعات، ثنى ثنى، أي مثنى مثنى، ولكن المراد جماعات. "حَطَّ رِجَالٌ وَرَكِبْنَا الذُّرَا"، هنا معنى الراكبية، تكلم عن الناس بمعنى المركوبية فيما سبق، والآن يتكلم عنهم بمعنى الراكبية، وكلا المعنيين مخيف، وسواء أتحدث عنهم بمعنى مركوبين ركبتهم الآمال ودفعتهم الآجال، أم بمعنى ركاب يركبون قطار الحياة وينزلون عندما تأتي أوطانهم. "حَطَّ رِجَالٌ وَرَكِبْنَا الذُّرَا"، في غزوة العسرة كانت لديهم أجمال محدودة، فكانت المجموعة تتعاور على الجمل الواحد، ينزل هذا، ويركب هذا، ينزل، ويركب؛ فكانوا يسمون المرة عُقبة -لي نوبة هذا المساء في الحراسة مثلا، أو لي نوبة في قيادة السيارة، تقول: هذه عُقْبتي، بمعنى نوبتي- "وَعُقْبَةُ السَّيرِ لِمَنْ بَعْدَنَا"، أي هذه الدنيا كأنها قطار، فمن جاءت محطته نزل! هل هناك مَنْ يذهب ويجيء في هذا القطار، يذهب ويجيء؟ لا، الاتجاه واحد -one way، ههه!- فمن جاءت محطته نزل. وهنا أتذكر مُلحة لابُدّ أن أذكرها كل محاضرة، لابد: حكوا أن رجلًا مصريا ماتت حماته، وهذا عند المصريين خبر خير -ههه!- هذا عند المصريين خبر خير، نعمة كبيرة، طبعا هذه سخرية سخرية، نقول هذا من باب السخرية؛ كيف لا وقد رأيت جاري كما قلت لإخوانكم، تموت عنه زوجه وتبقى عنده أمها يخدمها إلى أن ماتت! ما شاء الله! هذا نعده من أولياء الله الصالحين. كنا نعزيه ونعرف له هذا العمل الصالح، ما شاء الله!- ماتت حماة رجل الحكاية، فجاء إلى أصحابه على المقهى -فهم إذن من أصحاب المقاهي العابثين- وقد اصطنع الاكتئاب على غير العادة والجميع عابثون وساخرون، فقالوا له: ما لك؟ فقال: ماتت حماتي. طيب! هذا خبر خير، لا يحتاج إلى كل هذه الكآبة، لكنه كان مكتئبًا، تظاهروا له بالكآبة رعاية مزيفة لمشاعره المزيفة، وبعد قليل حاول واحد أن يُسرّي عنه، أن يعزيه قائلا باللهجة المصرية: هييييهْ، دنيا، زَيِّ القَطْرْ، كُلِّ اللِّي بِتِيجِي مَحَطّتُه بِيِنْزِلْ، وَالَّا الْمَرْحُومَه كَانِتْ قَاطْعَه ذَهَابًا وَإِيَابًا!

- ههه!
- فانفجروا ضحكًا -ههه!- وزالت تلك الكآبة، وظهرت الحقيقة، ظهرت حقيقة الفرح بموت الحماة من تحت خداع الظاهر. ما حكاية الحماة؟

"إِنَّ الْحَمَاةَ أُولِعَتْ بِالْكَنَّةْ
وَأُولِعَتْ كَنَّتُهَا بِالظِّنَّةْ"!

هذا من كلام القدماء: إن الحماة أُولِعَتْ بِالْكَنَّةْ -أي زوج ابنها- وَأُولِعَتْ كَنَّتُهَا بِالظِّنَّةْ -أي سوء الظن فيها، ما شاء الله! سوء الظن متبادل!- فهي تلومها صباح مساء: فعلتِ كذا، فعلت كذا! "وَأُولِعَتْ كَنَّتُهَا بِالْظِنَّةْ"، تراها تفضل عليها غيرها، أو ترى أمثالها في نعيم دونها! "كَمْ مِنْ حَبِيبٍ هَانَ مِنْ فَقْدِهِ مَا كُنْتُ أَنْ أَحْسَبَهُ هَيِّنَا"، حفظت عجز هذا البيت أولَ ما حفظته "مَا لَمْ أَكُنْ أَحْسَبُهُ هَيِّنَا"، عن أستاذنا في "أباطيل وأسمار"، لكنني وجدته هكذا في الديوان، فلم أستطع أن أغيره، ومن مقتضيات تحقيق النصوص أن أثبت ما وجدته كما وجدته. كأنه يقول: ما كنت، ولا عشت، ولم يكن يجوز لي، ولا أتخيل ولا تخيل عني أن أكون بهذه المنزلة أن أستهين به، مستحيل! وفي العربية "أحسَب" و"أحسِب". "أَنْفَقْتُ..."، نعم!

- ما فرق ما بين التعبيرين؟
- "مَا لَمْ أَكُنْ أَحْسَبُهُ هَيِّنَا"، أي ما لم أكن أظنه هيِّنا، أما "مَا كُنْتُ أَنْ أَحْسَبَهُ هَيِّنَا"، فمعناها ما لم أكن بالمنزلة التي أحسبه فيها هيِّنا. هذا يقول: لا أظنه هيِّنا، وهذا يقول: لا يمكن أن أكون بالمنزلة التي أحسبه فيها هيِّنا، تعبيران. "أَنْفَقْتُ دَمْعَ الْعَيْنِ مِنْ بَعْدِهِ"، أنفقتُه حتى أفرغته، ولم يعد لدي ما أنفقه! "وَقَلَّ دَمْعُ الْعَيْنِ أَنْ يُخْزَنَا"، بجوار الأحباب، يستحيل، لماذا أحافظ عليه، وهو أقل من أن يُحافظ عليه بعدما ذهب مَنْ كان ينبغي أن أحافظ عليهم. "كُنْتُ أُوَقِّيهِ"، هنا جاء إلى معنى المحافظة، كنت أحميه -هذا الحبيب- فماذا حدث؟ مات. "فَأَسْكَنْتُهُ بَعْدَ اللَّيَانِ الْمَنْزِلَ الْأَخْشَنَا"، لا يعرف هذه المعاني إلا من عاناها -يا جماعة، عافانا الله وإياكم!- لا يعرفها إلا من اكتوى بنارها. يحكون عن المعتضد بن عبَّاد -وكان جبارًا من جبابرة الأندلس- أنه كان يحب ابنته إلى درجة امتزاج حياته بها، بل كانت هي حياته، كانت صغيرة -ها!- كانت ريحانة قلبه، فماتت، فتحولت حاله، وبعد أن كان جبار الأندلس صار تائه الأندلس، شريد الأندلس، حفر لها قبرًا في البيت، وجلس يبكيها إلى أن مات على القبر، هذا الجبار، هذا الجبار! "كُنْتُ أُوَقِّيهِ فَأَسْكَنْتُهُ بَعْدَ اللَّيَانِ الْمَنْزِلَ الْأَخْشَنَا"، بعدما كنت أصنع له المراتب من ريش النعام -ها!- طرحته في الأرض، وطرحت عليه التراب! تَذَكَّروا مشهد دفن رسول الله -صلى الله عليه، وسلم!-

وقول سيدتنا فاطمة -رضي الله عنها!-: "كَيْفَ طَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ، وَسَلَّمَ!- التُّرَابَ"! "دَفَنْتَهُ وَالحُزْنُ مِنْ بَعْدِهِ يَأْبَى عَلَى الأَيَّامِ أَنْ يُدْفَنَا"، يستحيل، كل مصيبة بعد وفاة رسول الله -صلى الله عليه، وسلم!- هيِّنة! "يَا أَرْضُ نَاشَدْتُكِ أَنْ تَحْفَظِي تِلْكَ الْوُجُوهَ الْغُرَّ وَالْأَعْيُنَا"، هل تحفظ؟ لا تحفظ، وكيف؟ بماذا ستجيب؟ أنصتوا إليها! أتدرون بماذا ستجيب؟ ستقول: هذه بضاعتي رُدَّتْ إليَّ! أنتَ مني أصلا، رجعتَ إليَّ، ينبغي أن تذوب فيَّ، حتى تتحول إلى تراب وماء، وتخرج في النباتات، ليأكلك الناس مرة أخرى، هذه دورة الحياة! "يَا ذُلَّ مَا عِنْدَكِ مِنْ أَوْجُهٍ كُنَّ كِرَامًا أَبَدًا عِنْدَنَا"، وهم الآن في أذل موضع؛ لهذا يكفيك أن تُذَكِّر المتكبر بالموت: ستموت! يكفي هذا؛ لهذا كان سيدنا عمر قد حفر على خاتمه "كَفَى بِالْمَوْتِ وَاعِظًا"، فقط، هكذا! أما رسول الله -صلى الله عليه، وسلم!- فقد كان على خاتمه "محمد رسول الله" -ولهذا كان يتركه خارج الخلاء، إذا دخل!- من أسفل إلى أعلى، ليكون اسم الله هو الأعلى، جل جلاله! تأملوا العبارات التي كانوا ينقشونها على خواتمهم، وعباراتكم التي تنقشونها، إذا نقشتم! ماذا تنقشون؟ تنقشون مثلًا: "حب ايه اللي انت جاي تقول عليه" -ها!!- أم ماذا تنقشون؟ "يَا ذُلَّ مَا عِنْدَكِ مِنْ أَوْجُهٍ كُنَّ كِرَامًا أَبَدًا عِنْدَنَا"، يكفي أن تُذَكِّر الشخص الموت؛ كان لي أستاذان توفيا -رحمهما الله!- مكثا في حياتهما متقاطعين مدة مديدة، ثم قال أحدهما للآخر: سنموت، فتراجعا! تكفي هذه العبارة، هذا المفتاح السحري، أنسيت الموت! سنموت؛ فتراجعا. هكذا قال لي أحدهما وكنا هنا في عمان عندئذ، وهو الذي سندرس له نصا فيما بعد. "وَالْحَازِمُ الرَّأْيِ -من الحازم الرأي؟- الَّذِي يَغْتَدِي مُسْتَقْلِعًا (متجهزًا للسفر) يَنْذِرُ مُسْتَوْطِنَا (مطمئنًا إلى الوطن)"، هذا الحازم الرأي الذي يُجَمِّع رأيه ويحزمه كأنه حُزْمة، هذا الحازم هو الذي يغتدي مستقلعًا، ها! "كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ"، وجاء العقاد العظيم فسمّى ديوانه "عابر سبيل"، هذا اسم ديوانه، تأملوا الاسم الجميل "عابر سبيل"؛ "كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ"، فأنت إذن على قلق، كأن الريح تحتك، تنتظر السيارة، الطائرة، تنتظر السفر مستقلعا تنذر مستوطنا -ها!- ومن صفاته كذلك "لَا يَأْمَنُ الدَّهْرَ عَلَى غِرَّةٍ"، على غفلة، لا يأمن أن يغافله الدهر، فينتزع روحه؛ لهذا لم يكن الصوفية ينامون، لا ليلا ولا نهارًا، كيف هذا؟ وهل يقدر على هذا أحد؟ كانوا يحاولون. دخلت على الربيع بن خُثَيْمٍ ابنتُه مرة -ويقال: خَيْثَم- فقالت: "يَا أَبَتَاهْ! مَا لِي أَرَى النَّاسَ

يَنَامُونَ وَأَنْتَ لَا تَنَامُ"! فقال: "إِنَّ أَبَاكِ يَخَافُ الْبَيَاتَ"! أي يخاف أن يُقبض بغتة، يرى أن إدراك الموت له وهو نائم كالقتل بغتة -أرأيتم!- ينبغي أن يموت وهو في عبادة، على رغم أن العبادة -سبحان اللّٰه، يا جماعة!- إذا توضأت ونمت على وضوء تنتظر الفجر كنت في عبادة، لكنَّ للصوفية في سياسة النفس منهجًا صعبًا، لهم طريقة شديدة، شدة في أشياء، وخفة في أشياء، وهذه طريقة مذاهب المسلمين على وجه العموم، يتشددون في أشياء، ويتخففون في أشياء؛ كان أهل المدينة مثلا يتخففون في الغناء، ويتشددون في النبيذ، وكان أهل العراق على العكس، يتشددون في الغناء، ويتخففون في النبيذ، مذاهب! نعم؟

- المدينة أحسن.

- ههه! راجع كتاب "الشعر والغناء في مكة والمدينة"، للدكتور شوقي ضيف. "لَا يَأْمَنُ الدَّهْرَ عَلَى غِرَّةٍ"، قالت للربيع ابنته: "مَا لِي أَرَى النَّاسَ يَنَامُونَ وَأَنْتَ لَا تَنَامُ"، فماذا قال لها؟ قال: "إِنَّ أَبَاكِ يَخَافُ الْبَيَاتَ"! ما البيات في العربية؟ أن يُؤخذ العدوُّ، أن تهاجم عدوك وهو نائم -ها!- أن تغتاله وهو نائم، فهو يرى أن إدراك الموت له وهو نائم بمنزلة اغتيال العدو له بغتة وهو نائم، ماذا تريد إذن؟ أريد أن يأتيني وأنا في ذكر، لأنه يفهم أنه مَنْ مات على شيء بعث عليه. طيب، ألم تعلم أنك إذا توضأت فصليت الوتر ثم نمت تنتظر الفجر كنت في عبادة طوال النوم إلى الفجر! "كَأَنَّمَا يَجْفُلُ مِنْ غَارَةٍ مُلْتَفِتًا يَحْذَرُ أَنْ يُطْعَنَا"، كأنما يجفل -ها!- يفزع من غارة لا يدري من أين ستأتي، أمن اليمين، أم من اليسار، أم من الأمام، أم من الخلف؛ فهو يتلفت يحذر أن يطعن! يا سلام على القصيدة، منتهى الروعة، تستحق أن تُحفظ، فاحفظوها -يا جماعة!- وعندنا مسابقة في الحفظ، ستكون أواخر الفصل، كما كانت من قبل تكون من بعد، والناس الآن يحفظون، منهم من حفظ إلى كذا -ها!- ومنهم من حفظ إلى كذا، ولا بد أن تحفظ على الصواب؛ خطأ واحد كالذي سنراه الآن يُخرِج من الساحة! <u>**مَنْ ينافس في قراءة هذه القصيدة على خمس درجات زيادةً أو نقصًا أو طردًا، مَنْ؟**</u> فيصل، اتق اللّٰه!

- اللهم اجعلنا من المتقين!

- مَنْ في الآخر؟ من؟ ذكريني اسمك!

- هاجر.

- هل قرأت من قبل، يا فيصل؟
- لا.
- وأنت يا هاجر؟
- نعم.
- فاقرأ إذن -يا فيصل!- وجرب الطرد مرة؛ فالطرد شيء لذيذ! هذا شطر بيت من الشعر، ما شاء الله، ها!
- "ما أسرِع الأيام"، للشريف الرضِي.
- للشريف الرضِيّ.
- للشريف الرضِيّ.
- أكثر مَنْ تسمع من المتكلمين لا يشددون ياء النسب، يقول لك: عمانِي، مصرِي، رياضِي، فلسفِي؛ أين ذهبت ياء النسب؟ ذهبت "إِلَى حَيْثُ أَلْقَتْ رَحْلَهَا أُمُّ قَشْعَمِ"، ها، اسمعوا!
- مَا أَسْرَعَ الْأَيَّامَ فِي طَيِّنَا تَمْضِي عَلَيْنَا ثُمَّ تَمْضِي بِنَا
فِي كُلِّ يومٍ أَمَلٌ قَدْ نَأَى مَرَامُهُ عَنْ أَجَلٍ قَدْ دَنَا
أَنْذَرَنَا الدَّهْرُ وَمَا نَرْعَوِي كَأَنَّمَا الدَّهْرُ سِوَانَا عَنَى
تَعَاشِيًا وَالْمَوْتُ فِي جِدِّهِ مَا أَوْضَحَ الْأَمْرَ وَمَا أَبْيَنَا
وَالنَّاسُ كَالْأَجْمَالِ قَدْ قُرِّبَتْ تَنْتَظِرُ الْحَيَّ لِأَنْ يَظْعَنَا
تَدْنُو إِلَى الشِّعْبِ وَمِنْ خَلْفِهَا مُغَامِرٌ يَطْرُدُهَا بِالْقَنَا
إِنَّ الْأُلَى شَادُوا مَبَانِيَهُمُ...
- ها!
- ... مبانيهمُ تَهَدَّمُوا قَبْلَ انْهِدَامِ الْبُنَى
- لحظة! بالمناسبة "مبانيهُم" جائزة في اللغة، "عليهُم" و"عليهِم"، كلاهما وجه جائز، لكننا لسنا هنا في الجائزات، بل في الالتزام بما شكلته لك، ها!
- لَا مُعْدِمٌ يَحْمِيهِ إِعْدَامُهُ وَلَا يَقِي نَفْسَ الْغَنِيِّ الْغِنَى
كَيْفَ دِفَاعُ الْمَرْءِ أَحْدَاثَهَا فَرْدًا وَأَقْرَانُ اللَّيَالِي ثِنَى

حَطَّ رِجَالٌ وَرَكِبْنَا الذُّرا وَعُقْبَةُ السَّيْرِ لِمَنْ بَعْدَنَا
كَمْ مِنْ حَبِيبٍ هَانَ مِنْ فَقْدِه مَا كُنْتُ أَنْ أَحْسَبَهُ هَيِّنَا
أَنْفَقْتُ دَمْعَ الْعَيْنِ مِنْ بَعْدِهِ وَقَلَّ دَمْعُ الْعَيْنِ أَنْ يُحْزِنَا
كُنْتُ أُوَقِّيهِ فَأَسْكَنْتُهُ بعد اللَّيَانِ الْمَنْزِلَ الْأَخْشَنَا
دَفَنْتُهُ وَالْحُزْنُ مِنْ بَعْدِهِ يَأْبَى عَلَى الْأَيَّامِ أَنْ يُدْفَنَا
يَا أَرْضُ نَاشَدْتُكِ أَنْ تَحْفَظِي تِلْكَ الْوُجُوهَ الْغُرَّ وَالْأَعْيُنَا
يَا ذُلَّ مَا عِنْدَكِ مِنْ أَوْجُهٍ كُنَّ كِرَامًا أَبَدًا عِنْدَنَا
وَالْحَازِمُ الرَّأْيِ الَّذِي يَغْتَدِي مُسْتَقْلِعًا يُنْذِرُ مُسْتَوْطِنَا
لَا يَأْمَنُ الدَّهْرَ عَلَى غِرَّةٍ وَعَزَّ لَيْثُ الْغَابِ أَنْ يُؤْمَنَا
كَأَنَّمَا يَحْفُلُ مِنْ غَارَةٍ مُلْتَفِتًا يَحْذَرُ أَنْ يُطْعَنَا

- الله الله، أحسنت! حيوا فيصل المعمري! أحسنت أحسنت! هذا أداء طيب طروب، يبدو أن القصيدة أثرت في فيصل تأثيرًا شديدًا. وفيصل حصل في المنتصف أصلًا، على خمس وعشرين؛ وبخمس درجات هذا الأداء إذن سيتجاوز المئة، ما شاء الله لا قوة إلا بالله! يبدو أننا سنقع في حرج كبير مع الإدارة، لأن الإدارة لا تقبل...
- فوق المئة.
- هيه، لا أقصد هذا! لا تقبل أن تكون أعداد الحاصلين على ألفات بهذا الشكل، وترد علينا الأوراق مرة أخرى، لكنني سأصر -إن شاء الله!- سأقول: لا، هذا مقرر ينبغي ألا يُقاس عليه، هذا مقررٌ أنجحُ الناس فيه العُمانيون. <u>**طيب! نكتب البيتين الأولين -بارك الله فيكم!- بسم الله!**</u>

ما أسرع الأيام في طينا...
ماذا تفعل؟
... تمضي علينا...
وعلى الباغي تدور الدوائر!
... ثم تمضي بنا...
تأخذنا معها، انظروا إلى الفصاحة، يا سلام!

في كل يوم أمل قد نأى...

أي ابتعد، يتباعد يتباعد، ونتعلق به!

... مرامه...

عندكم هذه في العمانية، أنتم تقريبًا في هذا المادة متفردون باستعمالها -رام، يروم، أروم، ما روم...

- هِهِه!

- أهي في أي مكان آخر؟ لا أظن، لكنها في عمان، ما روم (ما أروم): ما أستطيع، ما أريد، أو أظن أنها بمعنى ما أستطيع، ما أتمكن، لكن "رام، يروم" بمعنى "طلب، يطلب"، وهي قريبة على أية حال.

... قد نأى مرامه عن أجل قد دنا

لما عثر النعمان بن المنذر على عبيد بن الأبرص في يوم بؤسه -وكان للنعمان يومان: يوم سعد ويوم بؤس، إذا صادف أحدًا في يوم السعد أعطاه ما يغنيه طوال حياته، وإذا صادفه في يوم بؤسه قتله من ساعته، بغيًا وعدوانًا وتجبرًا في الأرض، شهرة تنتشر له في الآفاق بأنه ملك عظيم، له كذا وكذا!- كره هذا لأنه كان يقدره يحب شعره -هو صاحب المعلقة "أقفر من أهله ملحوب"، على القول بالمعلقات العشر- فقال له: أنشدنا -في يوم بؤسه، وسيقتله بعد قليل- فقال: "حَالَ الْجَرِيضُ دُونَ الْقَرِيضِ"! أي حال الموت دون الإنشاد، كيف أنشدك وستقتلني بعد قليل! "حَالَ الْجَرِيضُ -بالجيم، أي الموت- دُونَ الْقَرِيضِ"، فذهبت مثلا -ها!- وهكذا هنا: في كل يوم أمل -ها!- يحول دونه الجريض! هل من خطأ في الإملاء؟ هل من خطأ؟ زدنا شيئًا، نقصنا شيئًا، قدمنا، أخرنا، اطمئنوا، تمام؟ تمام. طيب الآن نضيف التشكيل، نتقرب إلى الله بتدقيق التشكيل؛ "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ"، فبهذا نتقرب إليه، سبحانه! ونشكل في وقت النطق، لكيلا نُرحِّل الحركات لا يمينًا ولا يسارًا:

مَا أَسْرَعَ الْأَيَّامَ فِي طَيِّنَا تَمْضِي عَلَيْنَا ثُمَّ تَمْضِي بِنَا

تمضي، هي التي تمضي علينا، ثم تمضي، تأملوا فصاحة العربية! "تمضي" فعل واحد، ولكن "تمضي علينا" في واد، و"تمضي بنا" في واد، تأملوا الحروف كيف تتنازع الأفعال -ها!- رغب فيه، رغب عنه، تمضي علينا، تمضي بنا. ومن كلام المتنبي في بعض شعره "كَتَلَاعُبِ الْأَفْعَالِ بِالْأَسْمَاءِ"،

يوظّف المعلومات النحوية في التعبير عن المشاعر، لكن الأفعال هنا هي المتلاعَب بها، نتلاعب بها الحروف!

فِي كُلِّ يَوْمٍ أَمَلٌ قَدْ نَأَى مَرَامُهُ عَنْ أَجَلٍ قَدْ دَنَا

نَأَى ينْأَى نَأْيًا، ودَنَا يَدْنُو دُنُوًّا. طيب، فَلْنُغَنِّ هذا -"إِنَّ الْغِنَاءَ لِهَذَا الشِّعْرِ مِضْمَارُ"- فَلْنُغَنِّه!

مَا أَسْرَعَ الْ| ـأَيَّامَ فِي| طَيِّنَا| تَمْضِي عَلَيْـ| ـنَا ثُمَّ تَمْـ| ـضِي بِنَا

فِي كُلِّ يَوْ| مٍ أَمَلٌ| قَدْ نَأَى| مَرَامُهُ| عَنْ أَجَلٍ| قَدْ دَنَا

جميل جميل! فلننزل هذا على الصفحة بخط آخر، بالأزرق نضع الخطوط، نضع الفواصل كالسيف -إن لم تقطعه قطعك!- من أعلى إلى أسفل، إذا صنعت لي هذا الخط من أسفل إلى أسفل حصلت على صفر! جميل، الأمور واضحة، لا لف ولا دوران، الأمور كلها في العربية طرب طرب، تجري العربية على وتيرة الطرب فقط، غَنِّ المراحل كلها، غنها، غَنِّ البيت، غَنِّ عند التشكيل، غَنِّ عند التقطيع، غَنِّ عند التخطيط، غَنِّ عند التوقيع، غَنِّ عند التفعيل، غَنِّ عند التوصيف، غَنِّ عند ذلك كله، "إِنَّ الْغِنَاءَ لِهَذَا الشِّعْرِ مِضْمَارُ"! نستعمل الأحمر، لننزل الخطوات الباقية. تعرفون أن للخطوة الأولى ضعف ما لكل خطوة من الخطوات. نستطيع أن ننطق بالقلم كما ننطق بالفم، هكذا:

مَا أَسْرَعَ الْـ= دن دن ددن

ـأَيَّامَ فِي= دن دن ددن

طَيِّنَا= دن ددن

تَمْضِي عَلَيْـ= دن دن ددن

ـنَا ثُمَّ تَمْـ= دن دن ددن

ـضِي بِنَا= دن ددن

فِي كُلِّ يَوْ= دن دن ددن

مٍ أَمَلٌ= دن دددن

قَدْ نَأَى= دن ددن

مَرَامُهُ= ددن ددن

عَنْ أَجَلٍ= دن دددن

قَدْ دَنَا= دن ددن

نطقت وكتبت الدندنة؛ الدندنة سهلة، لغة عالمية، دندنة، ودان دان، كما تقولون! صَغِّر الخط تستوعبك المسافة! لا تحتاج إلى أن تخرج من المسافة التي تركتُها لك في الملف. لغة عالمية الدندنة، موسيقى لغوية عالمية، يستطيع أي واحد أن يفعل هذا: دن دن ددن، وسيعرف هو، وإذا مضيت على هذا عرف أنك تُوقّع إيقاعًا معينًا فسألك: ما هذا الإيقاع؟ ما هذا اللحن؟ طيب! ننتقل إلى الخطوة التالية، خطوة التفعيلات.

مَا أَسْرَعَ الْـ= دن دن ددن، ماذا تشبه؟

- مستفعلن

- مستفعلن السالمة، وكذلك هذه:

ـأَيَّامَ فِي= دن دن ددن، مستفعلن، سالمة.

فما هذه:

طَيِّنَا= دن ددن، ماذا تشبه؟

- فاعلن.

- "فاعلن" في المتدارك، ولم نعثر عليها في أي شعر إلا شعر الكيذاوي، حينما خلط فعِلن وفاعلْ بفاعلن. صحيح، لكننا لن نسميها "فاعلن"، لأننا لسنا في المتدارك، إيقاعها إيقاع فاعلن -نعم- دن ددن، لكن اسمها هنا "مَفْعُلا"، ما هذا يا أستاذ؟ أقدم لكم بحر السريع، والبيت منه "مستفعلن مستفعلن مفعولاتُ" -لا حول ولا قوة إلا بالله!- مستفعلن مستفعلن مفعولاتُ"، لا حول ولا قوة إلا بالله! لابُدّ من أن تقول: "لا حول ولا قوة إلا بالله"، مرتين؛ لماذا؟ ستعرف. "مستفعلن" فيه كما عرفناها في الرجز: مُس= دن، سببٌ خفيف، تَف= دن، سببٌ خفيف، عِلن= ددن، وتدٌ مَجموع، و"مستفعلن" الثانية مثلها. أما "مفعولات" فجديدة، لم تسبق، مَف= دن، سببٌ خفيف، عُو= دن، سببٌ خفيف، لاتُ= دن د، وتدٌ مفروق. أرأيتم -ها!- كتبتم، انتبهتم! يا جماعة، هذا بحر السريع، يا بحر السريع، هؤلاء جماعة من نجباء قسم اللغة العربية، تعارفوا! تشرفنا! وبحر السريع يشرفنا حقا، يكفيكم أنه من أوائل الأبحر، فهو في المرتبة الخامسة أو السادسة مثلا، والأبحر ستة

عشر بحراً، معنى هذا أنه بارز مستعمل كثيرا. بحر السريع إذن بحر موروود إذا استعملنا التصوير الفني، بحر مورود، إذا عددنا الأبحر في الأعالي ذكرنا: الطويل والبسيط -ها!- والكامل والوافر والسريع والخفيف، هذه في الأعالي، في المقدمات، هناك، فلا تستهينوا، هذا بحر يتشرف به الناس على رغم شدة التباسه بالرجز حمار الشعراء -ها!- هو قريب من الرجز، حتى إنه عند التعميم يُسمّى مع الرجز رجزًا، وليس به، لكنْ هناك صور يشتدّ التباسها بالرجز، حتى إن الناس يحارون: أهي رجز أم سريع؟ يتوقّفون فيها لقرابتها من صور بيت الرجز. **هذا بحر السريع، والبيت منه "مستفعلن مستفعلن مفعولاتُ مستفعلن مستفعلن مفعولاتُ"**، مفعولات؟ متأكد؟ مفعولات؟ متأكد مرة أخرى؟ مفعولات في آخر البيت، نعم في آخر البيت، ما شاء الله! هل سأقف متحركًا؟ مَنْ هذا الذي يقف متحركا؟ هو كالذي ينام يقظان، ويَيْقَظ نائمًا، ويذهب جائيًا، ويجيء ذاهبًا، ويعيش ميتًا ويموت عائشًا، ما هذا التناقض؟ إما أن تقف، وإما أن تتحرك، وهذا ما لم يقع في شعر الشعراء قط، ولن يقع، أن تقف بالتحريك، هذا كله تنظير في عقل الخليل، تنظير في دوائره النظرية، أما في الواقع فلنا حديث آخر، وقد رأيتم هذا من قبل، رأيتم المجتث كيف كان في الدوائر وفي الواقع، رأيتم المضارع كيف خرج من الدوائر وكيف كان في الواقع؟ رأيتم المتدارك كيف وكيف، أضيفوا إلى هذه الكيفات بحر السريع، فلا وجود لـ"مستفعلن مستفعلن مفعولاتُ مستفعلن مستفعلن مفعولاتُ"! حدث مرة أن زارني أحد الضباط العمانيين وكان شاعرًا، فقدم لي قصيدة -أذكر هذا من ربع قرن- كانت من السريع، وكانت على "مفعولاتُ" بالتحريك مع الإشباع، "مفعولاتن": "مستفعلن مستفعلن مفعولاتن"، هذا غريب جدًّا، ولا تستغربوا عندكم ناس يجترئون على أشياء عجيبة ما أنزل الله بها من سلطان! "مستفعلن مستفعلن مفعولاتن مستفعلن مستفعلن مفعولاتن"، هذه تخرج من إطار عروض الخليل أصلًا، لا تستقيم في عروض الخليل، وإذا قلت لصاحبنا هذا قال: وليكن، أأظل عبدًا للخليل! وله الحق، لكل إنسان أن يقول ما يشاء، لكن ليس له أن يفرضه علينا، بل نقبل ونأبى، ولا نثبت في العلم إلا الأشياء الناجحة، التي تفرض نفسها على العلماء ليثبتوها في العلم. مرة ذهبوا إلى الخليل - على الإنترنت يا نورة، ما شاء الله، دعي الإنترنت!- مرة ذهبوا إلى أبي العتاهية -أنسيتِني ما أريد!- بعدما قال:

"لِلْمَنُونِ دَائِرَاتٌ يُدِرْنَ صَرْفَهَا هُنَّ يَنْتَقِينَنَا وَاحِدًا فَوَاحِدَا"،
فقالوا له: ما هذا؟ إنه لا يستقيم على العروض! فقال: أنا أكبر من العروض -هذه مشهورة عن أبي العتاهية- فحار الناس في توجيه العبارة بين توجيهين: أما الأول فأنه أسبق من اختراع الخليل للعروض -تمام؟ فقد عاش أبو العتاهية الخمسة والأربعين عاما الأخيرة من حياة الخليل، ولعله اخترع علم العروض بأَخَرة! التوجيه الثاني -وهو أرجح، ها!- أن يقصد أنه -أيها الشاعر- أعظم من أن يحاكم بعلم العالم، لأن فن الفنان مقدم على علم العالم! قديمًا قديمًا ذهب أحد طلاب الشعر إلى أبي نواس يسأله: أيهما أشعر جرير أم الفرزدق؟ فقال: جرير، فقال له: فإن أبا عبيدة لا يوافقك على هذا -أي يفضل الفرزدق، ولولا الفرزدق لذهب ثلث اللغة، كما يقولون!- فقال له أبو نواس: وما علم أبي عبيدة بالشعر، إنما يعرف الشعر من اضطُر إلى مضايقه! "لَا يَعْرِفُ الشَّوْقَ إِلَّا مَنْ يُكَابِدُهُ" -تمام!- ثم بعد عشرات السنين تكرر الموقف وكأنه يعيد نفسه؛ فذهب أحد طلاب الشعر إلى البحتري -وهو بعد أبي نواس بقرن تقريبا؛ أبو نواس من شعراء القرن الثاني، والبحتري من شعراء القرن الثالث- يسأله -وتأملوا- عن أبي نواس ومسلم بن الوليد صريع الغواني، أيهما أشعر؟ فقال: أبو نواس، فقال له: فإن ثعلبًا لا يوافقك على هذا -أي يفضل مسلم بن الوليد على أبي نواس- فقال: وما علم ثعلب وأضرابه بالشعر، إنما يعرف الشعر من اضطُرَّ إلى مضايقه! أعاد الكلام، عندما قرأته التبس علي الأمر: أَخَبَرٌ أم خَبَرَان! لم أنتبه في المرة الأولى! أهو هو -سبحان الله، "أَتَوَاصَوْا بِهِ"، صدق الله العظيم!- أحيانا ترتاب في نفسك: ما الحكاية؟ أأنا هناك أم هنا -ها!- أنا أنا، أم أنا غيري! أحيانا يختلط عليك الأمر، وفي ذلك كله ما يؤكد ما ادعيتُه لكم -ها!- من أن طَبْع الفنان مقدم على دقة العالم، طبع الفنان أسلم من دقة العالم؛ هذه قاعدة، واكتبوها: "طَبْعُ الْفَنَّانِ أَسْلَمُ مِنْ دِقَّةِ الْعَالِمِ"! طيب! فهذا صاحبنا العماني يقول من وزن "مستفعلن مستفعلن مفعولاتن مستفعلن مستفعلن مفعولاتن"، وإذا ذهبت تُخْرجها من عروض الخليل لم تخرج لك، لأن هذه النون التي في الآخر زائدة. بحر السريع -يا جماعة!- سيد الدائرة الرابعة (دائرة المشتبه). اعلموا أن لكل دائرة سيدًا، يبدأ به صفُّ البحور بحرًا بحرًا، ويسمون هذا "الفك"، أي به يبدأ الفك، يبدأ التنبيه على البحر بعد البحر، وعادة الخليل أن يُسَوِّدَ على الدائرة البحر المبدوء بالوتد المجموع، فسيد دائرة المختلف الأولى بحر الطويل، أوله "فعو= ددن"، وسيد دائرة المؤتلف الثانية بحر الوافر، أوله

"مفا= ددن" -ولم ندرسه بعد- وسيد دائرة المجتلب الثالثة بحر الهزج، أوله "مفا= ددن"، وسيد دائرة المتفق الخامسة بحر المتقارب، أوله "فعو= ددن"، طيب، ما الحكاية هنا؟ هذا أوله سبب "مس= دن"، لماذا خالفت نظامك؟ قال: وجدت أن الذي كان ينبغي أن يكون السيد لا يكاد الناس يستعملونه، بحر المضارع الذي درسناه اللقاء السابق "مفاعيلن فاع لاتن مفاعيلن مفاعيلن فاع لاتن مفاعيلن". فسوَّدت السريع، وكان أحق بالسيادة! ما أشبه هذا في الحُكام العرب بمن استولى على الأمر في وجود ولي الأمر، وهذا معروف في بلدين من البلاد العربية، هل تحتاجون إلى تحديدهما؟ هذا معروف، هناك شخص استولى على الحكم في وجود ولي الأمر، فصار هو الذي يبدئ ويعيد ويُحيي ويميت -ها!- ما أشبه ذاك بهذا! لكن الخليل معذور، وهذا الشخص غير معذور؛ الخليل معذور بندرة استعمال المضارع، قال: كيف أسوده ولا يكاد الناس يسمعونه أصلا! فسوّد السريع، فالسريع سيد دائرته. طيب، فإذا بدأنا الفكّ بـ"مستفعلن مستفعلن مفعولاتُ" خرج السريع، ثم بـ"مستفعلن مفعولاتُ مستفعلن" خرج المنسرح، ثم بـ"مفعولاتُ مستفعلن مستفعلن" خرج المقتضب! أرأيتم كيف قلّبنا؟ فـ"مفعولاتُ" هذه إذن بالحركة في آخرها مقصودة، لا يمكن لشاعر كأخينا هذا العماني أن يقول: "مفعولاتن"، لا، فبهذا يخرج من إطار عروض الخليل، وله أن يخرج، أحرام أن أخرج؟ لا، ليس بحرام، لكنَّ الحرام أن تُلزمنا أن نُثبت محاولتك في العلم وهي شاذة، كيف نثبتها في العلم وهي شاذة؟ كيف؟ لا يُبنى العلم على الشواذ، وقديما قالوا في العلم: الشاذ لا حكم له، أي لا يُعتد به، نعم؟

- لا يقاس عليه.

- نعم، لا يقاس عليه -أحسنت!- الشاذ لا يقاس عليه. طيب! بـ"يقاس" ندخل في العلم، طيب! تكلّمنا عنه بما يكفي، وهذا الكلام لا ينتهي، بل نحن نطمح في المستقبل -إن شاء الله!- إلى أمل نسأل الحق -سبحانه، وتعالى!- ألا يحول دونه أجل، أن نضع في كل بحر كتابا مجلدا، في كل بحر، لكن متى هذا، إن شاء الله؟ في المستقبل -إن شاء الله!- من آمال المستقبل، طيب، ما هذا؟ كيف تحولت "مفعولاتُ" إلى "مفعلا"؟ بتغيرين: أحدهما زحاف، والآخر عِلّة. ما الزحاف؟ الطي بحذف هذه الواو، وما الطي؟ حذف ساكن السبب الخفيف متى كان رابع حرف في التفعيلة، هذا الزحاف، فما العِلَّة؟ الكشف بحذف هذه التاء، وما الكشف؟ حذف آخر متحركي

الوتد المفروق من آخر التفعيلة -ها!- أو حذف متحرك الوتد المفروق متى كان سابع حرف في التفعيلة، كأننا كشفناها، كانت مستترة فكشفناها، كانت متسترة بهذا المتحرك فكشفناها، فهذه التفعيلة إذن مطوية مكشوفة، كيف نرمز إليها؟ بالطاء والشين: طش -طاش ما طاش!- لكن بِمَ رمزتم إلى التشعيث، حينما كان في الخفيف؟ الشين ورطة، هذا الرمز ورطة، بم رمزتم إلى التشعيث؟ بالثاء؟ التشعيث "دن دن دن= فالاتن"، في الخفيف والرمل وكذا، ها!

- مشعثة.
- قلتم: مشعثة، وأرحتم أنفسكم، أحسنتم إذن: مطوية مكشوفة. طيب!

مَا أَسْرَعَ الْـ= دن دن ددن، مستفعلن، س
ـأَيَّامَ فِي= دن دن ددن، مستفعلن، س
طَيِّنَا= دن ددن، مفعلا، طش
تَمْضِي عَلَيْـ= دن دن ددن، مستفعلن، س
ـنَا ثُمَّ تَمْـ= دن دن ددن، مستفعلن، س
ـضِي بِنَا= دن ددن، مفعلا، طش

انتبهوا ستجدون في كلام العروضيين من قديم إلى حديث، مَنْ يسمي "مفعلا"، "فاعلن"، يقول: "مستفعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن مستفعلن فاعلن"، ما هذا -قد علمتكم إياه، ونبهتكم عليه- ما هذا؟ ما اسم هذا؟

- نقل.
- نقل، أحسنت! ظاهرة النقل، ما ظاهرة النقل؟ هي تغيير رمز التفعيلة من وضع مشوه إلى وضع غير مشوه، فبدلًا من "مستعلن" يقولون: "مفتعلن"، وبدلًا من "مفعلا" يقولون: "فاعلن"، وبدلًا من كذا يقولون: كذا، وبدلًا من كذا يقولون: كذا، وهكذا، ما فائدة هذا عندهم؟ تحسين التعبير. وما ضرره؟ قطع الصلة! هل نتوقعون ممن يقول: "مستفعلن مستفعلن فاعلن"، أن يصف فاعلن بأنها "طش (مطوية مكشوفة)"؟ مستحيل، سيقول: سين (سالمة)! إذا قال: سين، قطع ما بين الطالب ونظرية الخليل (الدوائر العروضية). سيقول لك واحد من الناس: لتذهب نظرية الخليل إلى الجحيم! مسكين، لا يعرف قيمتها، لا يعرف كيف أطلعتنا على الأسرار وسبرت لنا

الأغوار ووضعت أيدينا على فوائد عظيمة! نبهتنا على أسر البحور، على أُخُوَّتها، على أوضاعها، لا، لا، هذا شيء لا يُفرَّط فيه، وهذا مخترع العلم، وهكذا بنى علمه، سبحان الله، طيب!

فِي كُلِّ يَوْ= دن دن ددن، مستفعلن، س

مِ أَمَلٍ= دن دددن، مستعلن، ها؟

- خبن.

- بل طي، فالخبن حذف الثاني.

قَدْ نَأَى= دن ددن، مفعلا، طش.

"طش" هذه عندنا في المصرية، من كلمات الطبخ والطَّهْو!

- وعندنا.

- والله، ما شاء الله! لكن "طاش" في المسلسل السعودي، ما معنى طاش ما طاش؟

- قَحَم.

- قفز! لكن "طاش" في العربية: طاشت الرمية، أي لم تُصب الهدف، يقولون: هذه أصابت، وهذه طاشت.

- هو هكذا، لكن الحركة غير موجهة.

- هذه قريبة منها، ومنها -أعزكم الله!- طَيْش الجاهل، يقولون: هذا طائش، طيب، جميل!

مَرَامُهُ= ددن ددن، متفعلن، مخبونة

عَنْ أَجَلٍ= دن دددن، مستعلن، مطوية

أرأيتم! صرتم فقهاء في الإيقاع!

قَدْ دَنَا= دن ددن، مفعلا، مطوية مكشوفة

شيء بديع شيء بديع سهل لطيف. **ينبغي إذن أن تشدوا دساتين أعوادكم، وأن تحموا طبولكم ودفوفكم بعد مدة من الصدأ، وأن تشربوا، وأن تطربوا (أن تبتهجوا)، وأن تعملوا عملًا جماعيًّا، فلا يتقدمن عازف عازفًا -فإن ظنّ أنه يحسن فإنه موهوم يسيء، يغرّد خارج السرب!- وأن تجعلوا النغمة أكثر زرقة (أكثر إتقانًا، أكثر تأثيرًا، لا أعرف). نعود لنبدأ بما فعلت ونبني عليه معي معي، ها!**

- مَا أَسْرَعَ الْ= دن دن ددن

ـأَيَّامَ فِي= دن دن ددن

طَيِّنَا= دن ددن، مفعلا

تَمْضِي عَلَيْ= دن دن ددن

ـنَا ثُمَّ تَمْـ= دن دن ددن

ـضِي بِنَا= دن ددن

فِي كُلِّ يَوْ= دن دن ددن

مٍ أَمَلٌ= دن دددن

قَدْ نَأَى= دن ددن

مَرَامُهُ= ددن ددن

عَنْ أَجَلٍ= دن دددن

قَدْ دَنَا= دن ددن

أَنْذَرَنَا الدْ= دن دددن

دَهْرُ وَمَا= دن دددن

نَرْعَوِي= دن ددن

كَأَنَّمَا الدْ= ددن ددن

دَهْرُ سِوَا= دن دددن

نَا عَنَى= دن ددن

تَعَاشِيًا= ددن ددن

وَالْمَوْتُ فِي= دن دن ددن

جِدِّه= دن ددن

مَا أَوْضَحَ الْ= دن دن ددن

ـأَمْرَ وَمَا= دن دددن

أَبْيَنَا= دن ددن

وَالنَّاسُ كَالْ= دن دن ددن
ـأَجْمَالِ قَدْ= دن دن ددن
قُرِّبَتْ= دن ددن
تَنْتَظِرُ الْ= دن دددن
ـحَيَّ لِأَنْ= دن دددن
يَظْعَنَا= دن ددن
تَدْنُو إِلَى الشْـ= دن دن ددن
ـشِعْبِ وَمِنْ= دن دددن
خَلْفِهَا= دن ددن
مُغَامِرٌ= ددن ددن
يَطْرُدُهَا= دن دددن
بِالْقَنَا= دن ددن
إِنَّ الْأُلَى= دن دن ددن
شَادُوا مَبَا= دن دن ددن
نِيَهُم= دن ددن
تَهَدَّمُوا= ددن ددن
قَبْلَ انْهِدَا= دن دن ددن
مِ الْبُنَى= دن ددن
لَا مُعْدِمٌ= دن دن ددن
يَحْمِيهِ إِعْـ= دن دن ددن
ـدَامُهُ= دن ددن
وَلَا يَقِي= ددن ددن
نَفْسَ الْغَنِيْـ= دن دن ددن
ـيِ الْغِنَى= دن ددن

كَيْفَ دفَا= دن døدن

عُ الْمَرْءِ أَحْـ= دن دن ددن

ـدَاثَهَا= دن ددن

فَرْدًا وَأَقْـ= دن دن ددن

ـرَانُ اللَّيَا= دن دن ددن

لِي ثنَى= دن ددن

حَطَّ رِجَا= دن دددن

لُ وَرَكِبْـ= دن دددن

ـنَا الذُّرَا= دن ددن

وَعُقْبَةُ السـ= ددن ددن

ـسَيْرِ لِمَنْ= دن دددن

بَعْدَنَا= دن ددن

كَمْ مِنْ حَبِيـ= دن دن ددن

ـبٍ هَانَ مِنْ= دن دن ددن

فَقْدِه= دن ددن

مَا كُنْتُ أَنْ= دن دن ددن

أَحْسَبُه= دن دددن

هَيِّنَا= دن ددن

أَنْفَقْتُ دَمْـ= دن دن ددن

ـعَ الْعَيْنِ مِنْ= دن دن ددن

بَعْدِه= دن ددن

وَقَلَّ دَمْـ= ددن ددن

ـعُ الْعَيْنِ أَنْ= دن دن ددن

يُحْزِنَا= دن ددن

كُنْتُ أُوَقْ= دن دددن

ـقيه فَأَسْ= دن دددن

ـكَنْتُه= دن ددن

بَعْدَ اللَّيَا= دن دن ددن

نِ الْمَنْزِلَ الْ= دن دن ددن

ـأَخْشَنَا= دن ددن

دَفَنْتُه= ددن ددن

وَالْحُزْنُ مِنْ= دن دن ددن

بَعْده= دن ددن

يَأْبَى عَلَى الْ= دن دن ددن

ـأَيَّامِ أَنْ= دن دن ددن

يُدْفَنَا= دن ددن

يَا أَرْضُ نَا= دن دن ددن

شَدْتُك أَنْ= دن دددن

تَحْفَظِي= دن ددن

تِلْكَ الْوُجُو= دن دن ددن

هَ الْغُرَّ وَالْ= دن دن ددن

ـأَعْيُنَا= دن ددن

يَا ذُلَّ مَا= دن دن ددن

عِنْدَك مِنْ= دن دددن

أَوْجُه= دن ددن

كُنَّ كِرَا= دن دددن

مًا أَبَدًا= دن دددن

عِنْدَنَا= دن ددن

وَالْحَازِمُ الرْ= دن دن ددن

ـرأْيِ الَّذِي= دن دن ددن

يَغْتَدِي= دن ددن، مفعلا

مُسْتَقَلعًا= دن دن ددن

يُنْذِرُ مسْـ= دن دددن

ـتَوْطنَا= دن ددن

لَا يَأْمَنُ الدْ= دن دن ددن

دَهْرَ عَلَى= دن دددن

غِرَّة= دن ددن

وَعَزَّ لَيْـ= ددن ددن

ـثُ الْغَابِ أَنْ= دن دن ددن

يُؤْمَنَا= دن ددن

كَأَنَّمَا= ددن ددن

يَجْفُلُ مِنْ= ددن ددن

ها، لا حول ولا قوة إلا بالله! كنت أنتظر أن أقول: عاشوا، عاشوا، فيكم طرب، وفيكم وناسة، لا حول ولا قوة إلا بالله! هذه الدنيا، يظل الواحد يعمل طوال حياته بعمل أهل الجنة...

- هها!
- ها! يظل يعمل طوال حياته بعمل أهل الجنة، فيُختم له بعمل أهل النار، فيكتب من أصحابها، أو العكس: يظل يعمل بعمل أهل النار، ثم يُختم له بعمل أهل الجنة، فيصنف في أهل الجنة؛ إنما الأعمال...
- بالنيات.
- بخواتيمها، وقد أفسدنا الخاتمة، ولا حول ولا قوة إلا بالله! اللهم، إليك ألجأ، ومن أفعالهم أبرأ، ولا حول ولا قوة إلا بك!

- أُعيدُ، ها، معي معي!
- كَأَنَّمَا= ددن ددن

يَحْفُلُ مِنْ= دن دددن

غَارَةً= دن ددن

مُلْتَفِتًا= دن دددن

يَحْذَرُ أَنْ= دن دددن

يُطْعَنَا= دن ددن

- كنت سأقول: هذه أحسن مجموعة في العزف الجماعي، كنت سأقول هذا، لكن لن أقول!
- واحد أخطأ!
- واحد -ما شاء الله!- يُخرب على الدنيا كلها! عندنا واحد جالس في مكان يخرب على الناس.
- ههه!
- عندنا واحد في مكان من العالم، جالس على كرسيه، يُخرب ما يفعل الناس في كل مكان، ها! ما قولكم؟ لا حول ولا قوة إلا بالله! لكن جميل جميل جدا، يا سلام، لو شهدنا الخليل لأعجبه هذا، ولانتعش ولابتسم: معقول، وفي عمان بلادنا التي لم نعش فيها، أو التي كنا نرجو أن نعيش فيها ونموت، لله الحمد والشكر! **طيب، ما قافية البيت الأول؟**
- ـضِي بِنَا.
- كيف هذا؟ على أي أساس؟ قدمنا لك آخر ساكنين، أين آخر ساكنين؟
- الياء.
- هذه الياء الساكن الأول، وهذه الألف الساكن الثاني، وبينهما الباء المكسورة والنون المفتوحة، وقبلهما الضاد المكسورة، هي "ـضِي بِنَا"، فما إيقاعها إذن؟ دن ددن، كأنها ائتلفت هي والتفعيلة الأخيرة "مفعلا"، وهذا يحدث أحيانا، وإذا حدث كان بديعا جدا، لكن لا تأمنوها، لا تأمنوا الإيقاع على القافية، "لَا تَأْمَنُوا الْـوَزْنَ عَلَى الْـقَافِيَةْ"، هذا شطر بيت من الشعر، وهو من بحر السريع نفسه؛ فكونوا على حذر -ها!- وما قافية البيت الثاني:
- قَدْ دَنَا.

- قَدْ دَنَا، ها!
- نَا عَنَى.
- نَا عَنَى، ها!
- أَبْيَنَا.
- أَبْيَنَا، ها!
- يَظْعَنَا.
- يَظْعَنَا، ها!
- بِالْقَنَا.
- بِالْقَنَا، ها!
- مِ الْبُنَى.
- مِ الْبُنَى، ها!
- ي الْغِنَى.
- ي الْغِنَى، ها! مسعود كان يريد أن يقول: الغنى، وخاف طبعا، لأنها خطأ، "ي الْغِنَى"، ها!
- لِي ثِنَى.
- لِي ثِنَى، ها!
- بَعْدَنَا.
- بَعْدَنَا، ها!
- هَيِّنَا.
- هَيِّنَا، ها!
- يُحْزِنَا.
- ما لك؟ يُحْزِنَا، ها!
- ـأَخْشَنَا.
- ـأَخْشَنَا، ها!
- يُدْفَنَا.

- يُدْفَنَا، ها!
- ـأَعْيُنَا.
- ـأَعْيُنَا، ها!
- عِنْدَنَا.
- عِنْدَنَا، ها!
- ـتَوْطِنَا.
- ـتَوْطِنَا، ها!
- يُؤْمَنَا.
- يُؤْمَنَا، ها!
- يُطْعَنَا.
- يُطْعَنَا، ها!
- ما هذا العبث -يا أستاذ!- ماذا تريد؟ أريد أشياء كثيرة جدًّا، أريد أن أحاكم الشعراء، أريد أن أنبه أنه إذا ائتلفت القافية والكلمة واستقلت بكلمة واحدة ظهرت أكثر، ودلت على نفسها، وتميزت من خلفها وأمامها -فالقافية "يُطْعَنَا"، الكلمة المستقلة، غير "تَوْطِنَا" جزء الكلمة- إذا استقلت بكلمة تميزت، ودلت على نفسها. طيب، **ما أقوى المكررات؟**
- النون.
- أكيد، أكيد؟ لا خلاف قطعا، وحركة النون؟
- الفتحة.
- هل قبلها ألف أو واو أو ياء؟
- لا.
- هل قبل الذي قبلها ألف؟
- لا.
- هل بعدها ألف أو هاء أو تاء أو كذا.
- ألف.

- من يقدم لنا البيانات كاملة من غير نقص -ها!- من غير نقص؟ إلهام؟ إلهام طبعا تنورنا من المجموعة السابقة، تطمئن علينا، حضرت معنا تطمئن على مسيرتنا التعليمية، ها، ما البيانات؟
- سريعية الأبيات.
- هذه القصيدة سريعية الأبيات...
- سريعية الأبيات الوافية.
- الوافية طبعًا، لأنكم إذا وازنتم بين ما كان وما قعده الخليل وجدتم فرقًا بين "مفعلا" و"مفعولاتُ"؛ فكيف تكون تامة قد أتمت كل شيء؟ يكفيها أن نسميها وافية، لنكون قد تكرمنا عليها، هذه القصيدة إذن سريعية الأبيات الوافية.
- متغيرة العروض والضرب.
- والله! متغيرة -ها!- كما تعودت هي أن تفعل، تعوّدت أن تريح نفسها من ذكر التغيير نفسه، فتقول: متغيّرة! هذا إذا لم نكن قد نبهنا على التغيير، وليس لهذا التصرف غير صفر من الدرجة، لو لم نكن قد علمناكم التغيير لاستحقت الدرجة كاملة، فأما وقد علمناكم فالصفر الكامل، إذا جاز أن يوصف الصفر بالكمال طبعًا! هذا لا يجوز -ها!- لا يجوز من ابنتنا أن تقول: هذه متغيّرة، وهي متغيّرة -نعم!- لكننا نبهنا على أن ما أصابها زحاف وعلة.
- مطوية مكشوفة.
- زحاف الطي وعلة الكشف؛ فهي مطوية مكشوفة "طش". أريد أن أنبه على شيء تذكرته الآن، والمعلومات -يا أخي!- ينسي بعضها بعضا! هذا الزحاف (الطي)، جرى مجرى العلة، لن تجد تفعيلة في أي مكان من هذا الموضع من العروض أو الضرب قد خلت من الطي، يستحيل؛ فما الذي حدث؟ تعاون الزحاف والعلة، على نقل "مفعولاتُ" نقلة بعيدة، إلى "دن ددن"، فماذا كانت النتيجة؟ ارتباط الزحاف والعلة. يعيش هذا بمعيشة ذاك، يعيشان معًا، ويموتان معا! ارتبطت حياة الزحاف هنا بحياة العلة؛ فجرى الزحاف مجرى العلة. ستجدون هذا كذلك في الوافر حين يأتي، ستجدون زحاف العصب يرتبط بعلة الحذف، يعيشان معًا، ويموتان معًا -ها!- فماذا نقول؟ هذه القصيدة سريعية الأبيات الوافية المطوية العروض والضرب المكشوفتهما -يا سلام على الفصاحة!- ها!

- نونية القوافي.
- نونية القوافي.
- المجرّدة.
- لا، قبل هذا نونية القوافي المفتوحة المجردة.
- المجردة الموصولة بالألف.
- الموصولة بالألف فقط، لا تكون الألف إلا مدا، ها، أعيدي إذن كيف نقول؟
- هذه القصيدة سريعية الأبيات الوافية المطوية العروض والضرب. عندنا فرق طبعًا بين "كذا وكذا" و"كذا كذا": محمد "طالب مجتهد"، "طالب ومجتهد"، إذا حذفت حرف العطف أدخلت الأشياء بعضها في بعض في الوقت نفسه، لكن إذا عطفت الأشياء بعضها على بعض ميزت: "[دخل، قعد، أكل، شرب، نام]، [دخل، وقعد، وأكل، وشرب، ونام]"؛ عندك فواصل، وفي الشعر الحديث لا يحبون هذه الفواصل -ها!-: "تتقدم تطلبني كذا كذا". ها، كيف نقول إذن؟ هذه القصيدة...
- سريعية الأبيات الوافية المطوية العروض والضرب المكشوفتهما -ها!- نونية القوافي المفتوحة المجردة الموصولة بالألف. نونية القوافي: أهم مكرراتها النون المفتوحة، المجردة: لا ردف قبل رويها ولا تأسيس، الموصولة بالألف: بعد رويها مباشرة إشباع لفتحته، بالألف: لأنه يجوز أن يأتي شيء غير الألف. **بارك الله فيكم، وشكر لكم، وأحسن إليكم، والسلام عليكم!**

اَلْمُنَادَمَةُ التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ(١)

- **سلامٌ عليكم! طبتم مساءً -يا أبنائي!- وطاب مسعاكم إلينا! بسم الله -سبحانه، وتعالى!- وبحمده، وصلاة على رسوله وسلاما، ورضوانا على صحابته وتابعيهم حتي نلقاهم! كيف حالكم، كيف أمسيتم؟**
- الحمد لله!
- لله الحمد والشكر، بارك الله فيكم، وشكر لكم، وأحسن اليكم، ويسر لنا ولكم كل عسير، وسهل كل صعب! **اليوم نستمتع بقصيدة الدكتور عبد اللطيف عبد الحليم أبي همام تلميذ العقاد، الأستاذ السابق بهذا القسم من هذه الكلية،** جاء الى هذه الجامعة سنة سبع وثمانين، أي في أوائلها تقريبا، متى بدأ العمل بالجامعة؟
- سنة ست وثمانين.
- نعم؟
- سنة ست وثمانين.
- سنة ست بدأ العمل فيها، لكن الإنشاءات بدأت سنة ثلاث وثمانين بعد خطاب صاحب الجلالة - حفظه الله!- والطريف أنّ هذا الخطاب كان في عام الشباب!
- الشبيبة.
- الشبيبة -سبحان الله!- في عام الشبيبة أمر بإنشاء جامعة الشبيبة، تلاقت المناسبتان، فجاء هذا الرجل (أبو همام)، ليعمل هنا - كأنه كان من الرواد- وقد درستُ عليه أنا أصلا في جامعة القاهرة قبل أن يأتي إليكم، ولكن بعد أن عاد بالدكتوراة من إسبانية. هو أصلا من طلاب الأزهر،

---

(١) رابط هذه المنادمة في قناتي اليوتيوبية:

https://www.youtube.com/watch?v=X٢yDytCVB٨E&list=PL٠_bvBmuM٥ySq٦hXNd٤GWcNFIUaI٤uqCM&index=١٩

وقد فرغها جميل محمد، وراجعها له محمد جمعة.

حصل على الثانوية الأزهرية، فالتحق بكلية دار العلوم من جامعة القاهرة، وكان قبلئذ قد ارتاد مجلس العقاد، وقد نصحه بدخول دار العلوم، فدخلها، وعاش طوال حياته بها معيشة الشعراء، لا يعبأ بأوليّة ولا تقدير، حتى كانت السنة الرابعة النهائية. وآنئذ كان التقدير المعتبر هو تقدير هذه السنة الأخيرة فقط؛ فإذا حصلت فيها على ممتاز فتقديرك العام ممتاز، وإذا حصلت على مقبول فهو تقديرك العام! مصيبة هذه -ها!- هكذا كانت الحال، كان عندنا شاب حَوَّلَ من الطب إلى الكلية، وتعثر في السنة الرابعة، فضاعت منه الفرصة! أما أستاذنا هذا الدكتور عبد اللطيف عبد الحليم فقد عاش حياته في الكلية كيفما اتفق طوال الأعوام الثلاثة الأول والثاني والثالث، ثم انقطع للدراسة في العام الرابع، وكان ذكيا جدا، وخطيرا جدا، كان يذهب إلى مسجد قريته أو مدينته -وهو ريفي من القرى- يجلس إلى أحد الجدران -ها!- يركز، لا يتلفت، بل يظل يدرس -هكذا حدثني عن نفسه- وكان واسع الحفظ، يحفظ كل شيء، يحفظ شعر الديوانيّين جميعا، وغيره من الشعر القديم والحديث -ما شاء الله!- فتفوَّق، وعين معيدا بقسم الدراسات الأدبية! هذا الذي بقي طوال حياته الجامعية شاردا في الشوارع، عُيِّنَ معيدا بقسم الأدب، فحاول أن يدرس الدراسات التمهيدية، وأن يحصل على الماجستير، وكان يسخر من زملائه ويضحك عليهم ويراهم يتعبون أنفسهم في المذاكرة وفي التحضيرات، يقول لهم: أنا استطيع أن أكتب رسالتي في وقت قصير، لا أحتاج إلى وقت! وصدق؛ فقد استطاع في أشهر أن يفرغ من الماجستير التي يفرغون منها في سنوات، لأنه كان يحفظ كل شيء، فاعتمد على ذاكرته، ووضع رسالة في المازني شاعرا -تعرفون إبراهيم عبد القادر المازني، صنو العقاد في مدرسة الديوان، ألَّفا معًا كتابها الدستوري (كتاب الديوان)- وحصل بها على درجة الماجستير، ثم فاز ببعثة إلى إسبانية، وسافر إلى هناك، فلما ذهب اصطدم بالمطالب والتكاليف الشديدة التي اضطرته هو وزملاءه أن يعودوا الى مستوى الثانوية بعد أن حصلوا على الماجستير، يقول: فرجع الناس، أما أنا فبقيت! ودرس من الصفر حتى وصل، وصار أستاذا، وعرف الناس، وعمل مترجما بالإذاعة، ونجح في النهاية! في تلك الأثناء زارهم في إسبانية محمود محمد شاكر أستاذنا أستاذ الدنيا -رحمه الله، وطيب ثراه!- الذي درسنا له قصيدة "اعصفي يا رياح" -كان مريضَ العينِ، فذهب للعلاج- فصحبه عبد اللطيف عبد الحليم طوال إقامته -وعندكم على الإنترنت صورهما هناك في قصر الحمراء، أو على

أسواره، عندكم هذه الصور، ها!- واقترب منه في هذه المدة، ثم لما رجع من هناك أستاذًا، كان يحضر مجلسه كل أسبوع -ومجلسه كل جمعة من العصر، وربما أدركنا معه الغداء، ثم أكملنا إلى آخر الوقت!- وله في بلوغه الثمانين قصيدة جرى فيها مجرى قول عَوْف بن مُحَلِّم الشيباني في عبد الله بن طاهر:

"يَا ابْنَ الَّذِي دَانَ لَهُ الْمَشْرِقَانْ طُرًّا وَقَدْ دَانَ لَه الْمَغْرِبَانْ
إِنَّ الثَّمَانِينَ وَبُلِّغْتَهَا قَدْ أَحْوَجَتْ سَمْعِي إِلَى تَرْجُمَانْ
وَبَدَّلَتْنِي بِالشَّطَاطِ انْحِنًا وَكُنْتُ كَالصَّعْدَةِ تَحْتَ السِّنَانْ
وَقَارَبَتْ مِنِّي خُطًا لَمْ تَكُنْ مُقَارَبَاتٍ وَثَنَتْ مِنْ عِنَانْ
وَبَدَّلَتْنِي مِنْ زَمَاعِ الْفَتَى وَهَمِّهِ هَمَّ الْجَبَانِ الْهِدَانْ
وَلَمْ تَدَعْ فِيَّ لِمُسْتَمْتِعٍ إِلَّا لِسَانِي وَبِحَسْبِي لِسَانْ
أَدْعُو بِهِ اللهَ وَأُثْنِي بِهِ عَلَى الْأَمِيرِ الْمُصْعَبِيِّ الْهِجَانْ
فَقَرِّبَانِي بِأَبِي أَنْتُمَا مِنْ وَطَنِي قَبْلَ اصْفِرَارِ الْبَنَانْ
وَقَبْلَ مَنْعَايَ إِلَى نِسْوَةٍ أَوْطَانُهَا حَرَّانُ وَالرَّقَّتَانْ"!

فقال:

"إِنَّ الثَّمَانِينَ وَضُوعِفْتَهَا لَمْ تُحْوِجِ السَّمْعَ إِلَى تَرْجُمَانْ
وَلَمْ تُبَدِّلْ بِالشَّطَاطِ انْحِنًا وَلَمْ تُذَلِّلْ مِنْكَ صَعْبَ الْبَيَانْ
بَلْ ظَلْتَ كَالْفِتْيَانِ مُسْتَوْفِزًا كَالرِّيحِ لَا يُغْرِيكَ طَعْمُ الْأَمَانْ
حَسْبُكَ أَنْ أَرْضَيْتَ فِيهَا الَّذِي مَلَأَهَا بِالْعَزْمِ وَالْعُنْفُوَانْ
حَسْبُكَ أَنْ أَرْضَيْتَ شَوْقَ النُّهَى لِعَالَمٍ عَزَّ بِهِ الْأَصْغَرَانْ
حَسْبُكَ أَنْ أَسْخَطْتَ فِيهَا الْأُلَى رَامُوا هَوَانًا لِفَتًى لَا يُهَانْ
إِذَا عَلَتْ فِي النَّاسِ أَقْدَارُهُمْ فَكَمْ عَلَا فِي غَيْرِ شَيْءٍ دُخَانْ
هَالَهُمُ أَنَّكَ فِي عُزْلَةٍ حَجَّ إِلَيْهَا كُلُّ قَاصٍ وَدَانْ
فَلَمْ يَزَلْ حَشْدُهُمُ صَاخِبًا يَرُومُ أَنْ يُوهِنَ مِنْكَ الْجَنَانْ
فَعُذْتَ بِالْبَأْسِ وَجَرَّدْتَهُ وَقُلْتَ كَانَ الْحَقُّ هَذَا فَكَانْ

مقْوَلُكَ الْعَضْبُ أَنِيسٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبُكَ يوْمَ الطِّعَانْ
سَجَنْتَ سَجَّانِيكَ فِي هوَّةِ الذُّلِّ فِيهَا وَالسُّطا تَوْأَمَانْ
سَلِمْتَ يَا مَحْمُودُ مِنْ كَيْدِهِمْ فَاغْفِرْ لَهُمْ مَا كُلُّ جَانٍ بِجَانْ"!

في بلوغه الثمانين قالها، ومهما عاش فسيموت، فمات! مَن مضربُ المثل في العمر الطويل؟ من؟ من الذي أُعطِيَ عُمَرَ سبعة أنسر، من هذا؟ من الذي خُيِّر فاختار أن يعيش مقدار عمر سبعة أنسر، كلما مات نَسْر وُلد نسر -والنسر أصلا مُعَمَّر- فعاش طويلا، حتى جاء النسر السابع -واسمه لُبَد- وفيه المثل "أَتَى أَبَدٌ عَلَى لُبَدَ"، أي مهما عُمِّرت فستموت، فمات أستاذنا أستاذ الدنيا -رحمه الله، وطيب ثراه!- وكان مباركا في عمره، لأنه كان واصل الرحم؛ فأنا أوصيكم: من أراد منكم أن يعيش طويلا فليصل رحمه -هذه معادلة مضمونة- من أراد منكم أن يعيش طويلا فليصل رحمه، دقائق تزور فيها الأهل تعيش بها سنوات طويلة، ما أربحها من صفقة! تزور الأهل دقائق يمتد بها عمرك سنوات، هذا معروف. وكان أستاذنا بارًّا بأهله وأصدقائه، فلما مات قال فيه أبو همام قصيدة اليوم، فاسمعوا ماذا يقول الشاعر في الشاعر، العالم في العالم، وكان عبد اللطيف عبد الحليم أستاذا جامعيا، أتدرون لِمَنْ دَرَّس حينما جاء إلى هنا؟ درس للرواد الأوائل من تلامذته: محمد المعشني، وهلال الحجري، ومحمد المحروقي، وشريفة اليحيائية الوزيرة، كل هؤلاء من تلامذته! فلما مات سنة أربع عشرة وألفين، بادر عميد الكلية الدكتور عبد الله الكندي -وهو من قسم الإعلام، نعم؛ ولكنه كان يحضر له مع الحاضرين، وكان إذا لقيه في الطريق قال له: تعال يا عبد الله تعال عندي محاضرة، فيأخذه، ويحضر معه وهو في قسم الإعلام؛ فكان الدكتور عبد الله يذهب سعيدا- بادر قبل جامعة القاهرة نفسها، فأقام له هنا حفل تأبين إكراما لهذا الرجل الذي رعاه وحنى عليه وعلى زملائه، وغيَّر لهم حياتهم حقا! اسمعوا رثاءه لمحمود محمد شاكر أستاذنا أستاذ الدنيا:

مَرْثِيَةٌ إِلَى أَبِي فِهْرٍ

١) "صوَّحَ نَادِيهِ وَانْطَوَتْ كُتُبُهْ يَا رَاحِلاً لَيْتَ صِدْقَهُ كَذِبُهْ
٢) قَدْ أَعْنَقَتْ لِلْمَنُونِ رِحْلَتُهُ وَأَوْغَلَتْ فِي يَقِينِهِ رِيَبُهْ
٣) وَاشْتَعَلَ الْحُزْنُ فِي الْعُرُوقِ فَمَا يُعْرَفُ إِلَّا بِدَفْقِهَا لَهَبُهْ
٤) وَطَفِئَ الدَّمْعُ فِي الْعُيُونِ وَقَدْ كَانَ سُلُوًّا أَنْ يَنْهَمِي صَبَبُهْ

٥) انْتَهِي يَا شُجُونُ أَفْئِدَةً كَانَ مُنَاهَا الْفِدَاءُ تَنْتَهِبُهْ
٦) يَحْصُدُنَا الْمَوْتُ كَيْفَ لَا كَيْفَ وَالْمَوْتُ وَشِيكٌ حَيَاتُنَا سَبَبُهْ
٧) نَقْتَاتُ بِالْمَوْتِ كَيْفَ يَقْتَاتُنَا الْمَوْتُ وَمَا غَالَ طَاعِمًا سَغَبُهْ
٨) إِخَالُنَا لِلْفَنَاءِ يَخْلُقُنَا اللهُ وَمَا يَنْقَضِي بِنَا عَجَبُهْ
٩) أَوْ أَنَّنَا وَاهِمُونَ لَا نَعْرِفُ الْعَيْشَ وَلَا الْمَوْتُ تَخْتَفِي حُجُبُهْ
١٠) يَغْلِبُنِي الْوَهْمُ كَيْفَ يَرْحَلُ مَحْمُودٌ وَكَيْفَ الْمَنُونُ تَغْتَصِبُهْ
١١) أَذَلِكَ الْوَجْهُ غَالَهُ رَيْبٌ أَذَلِكَ الْعَقْلُ تَنْطَفِي شُهُبُهْ
١٢) لِلتُّرْبِ يَا لَلْخِذْلَانِ يَخْلُقُ هَذَا الْخَلْقُ مَا جِدُّهُ وَمَا لَعِبُهْ
١٣) لِلتُّرْبِ يَا لَلْهَوَانِ يُخْلَقُ هَذَا الْخَلْقُ مَا حَظُّهُ وَمَا أَرَبُهْ
١٤) مَحْمُودُ ضَلَّ السُّؤَالُ وَانْشَعَبَ الْفِكْرُ وَقَدْ زَادَ حَيْرَةً شُعَبُهْ
١٥) فَهَلْ تَرُدُّ السُّؤَالَ أَحْسَبُهُ الْآنَ يَسِيرًا مَجْلُوَّةً سُحُبُهْ
١٦) أَمْ إِنَّنَا وَاهِمُونَ لَا يَكْشِفُ الْمَوْتُ سُؤَالًا يُؤُودُنَا وَصَبُهْ
١٧) مَحْمُودُ أَنْتَ السُّؤَالُ تَعْرِفُهُ مَحْمُودُ أَنْتَ الْجَوَابُ تَحْتَجِبُهْ
١٨) أَيْنَ يَرَاعٌ كَالْبَرْقِ يَسْتَرِقُ الْغَيْبَ عَصِيًّا فَيَنْجَلِي غَيَبُهْ
١٩) يُشْعِلُ فِينَا الرِّيَاحَ عَاصِفَةً وَقَدْ تَهَاوَتْ بِحَائِرٍ طُنُبُهْ
٢٠) أَيْنَ لِحَاظُ الْعُقَابِ لِلْأَبَدِ السَّاكِنِ لَا نَتَّقِيهِ تَجْتَذِبُهْ
٢١) يَهْرُبُ مِنْهَا الْبُغَاثُ يَخْتَانُهَا الرِّيشُ مَهِينًا يَصُونُهُ هَرَبُهْ
٢٢) وَأَنْتَ بَيْنَ الزِّحَامِ لَا لَقَبٌ يَحْمِيكَ إِنْ حَاطَ هَيِّنًا لَقَبُهْ
٢٣) مُؤْتَنِسًا أَنْتَ بِالتَّوَحُّدِ بِالْفَنِّ رَفِيعًا بِالْوُدِّ تَحْتَقِبُهْ"!

"صَوَّحَ نَادِيهِ وَانْطَوَتْ كُتُبُهْ يَا رَاحِلًا لَيْتَ صِدْقَهُ كَذِبُهْ"، ما "صَوَّحَ"؟ خلا وجف. وما النادي؟ مجتمع الناس -"فَلْيَدْعُ نَادِيَهْ"، صدق الله العظيم!- صوح ناديه، لأنه كان له مجلس كل جمعة، فصوَّح، كان يجلس في القلب هكذا كما رأيتموه في الفلم، وجميعنا حوله. ف "صَوَّحَ نَادِيهِ وَانْطَوَتْ كُتُبُهْ"، الهاء ساكنة إذا حركتموها كسرتم الوزن، "كُتُبُهْ"، "يَا رَاحِلًا لَيْتَ صِدْقَهُ كَذِبُهْ"، ليت الخبر كاذب، لكن كيف؟ هذا كأنه أخذه من المتنبي:

"طَوَى الْجَزِيرَةَ حَتَّى جَاءَنِي خَبَرٌ فَزِعْتُ فِيهِ بِآمَالِي إِلَى الْكَذِبِ"!

لكنه كان صادقا، معقول! وهذا يموت، معقول، محمود محمد شاكر ممن يموتون، "كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ"، يا أخي! حتى الذي قال: "أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى"، مات، ونجاه ربنا من أن يغرق في المياه ببدنه حتى يرى الناس كيف يموت هؤلاء المتكبرون؟ وما زال إلى الآن جثمان رمسيس هذا - رمسيس فرعون موسى، ها!- يراه الناس: أهذا الذي كان يقول: "أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى"، قد صار الأسفل! "قَدْ أَعْنَقَتْ لِلْمَنُونِ رِحْلَتُهُ"، ما "أَعْنَقَتْ"؟ أسرعت، والعَنَقُ سير سريع:

"يَا نَاقُ سِيرِي عَنَقًا فَسِيحَا

إِلَى سُلَيْمَانَ فَنَسْتَرِيحَا"!

وهذا رجز قديم! "قَدْ أَعْنَقَتْ"، أي سارت العنق السير السريع. "لِلْمَنُونِ"، ما "الْمَنُون"؟ الموت، "رِحْلَتُهُ"، أي سارت إلى الموت سريعا، على رغم أنه بقي طويلا، لكنه وقد كانت في حياته بركة عامة، مَرجوٌّ لخير كثير. "وَأَوْغَلَتْ فِي يَقِينِهِ رِيَبُهْ"، واليقين الموت -"حَتَّى أَتَاهُ الْيَقِينُ"، صدق الله العظيم! أي الموت- أي صارت كلُّ ريبة يقينا، "كَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ"، صدق الله العظيم! "وَاشْتَعَلَ الْحُزْنُ فِي الْعُرُوقِ فَمَا يُعْرَفُ إِلَّا بِدَفْقِهَا لَهَبُهْ"، ما يُعرف لهب الحزن بعد ما اشتعل إلا بتدفق الدماء في العروق تدفقا غريبا، ما الحكاية؟ الحزن قد أَلَمَّ به، "وَطَفِئَ الدَّمْعُ..."، تأملوا كيف قال: "وَطَفِئَ"، لم يقل: "وَانْطَفَأَ"، من منكم يقول: طَفِئَ؟ لا أحد، من منكم يقول: طَفِئَتِ الشُّعْلَةُ، من؟ تقولون: انطفأت، أما صاحبنا هذا فيدقق جدا. وعلى ذكر التدقيق أذكر أن له صاحبًا -هو الحساني حسن عبد الله- صعيديًّا، حصل مرة بأحد كتبه الشعرية على جائزة الدولة، يقول في بيت من شعره:

"إِذَا قَالُوا حِبَالٌ جَمْعَ حَبْلٍ أَقُولُ وَلَا أُبَالِيهِمْ حُبُولُ"!

أسمعتم! لا، لا نرضى أن نستعمل الكلام المبتذل! ثم "طفئ" غير "انطفأ"، في "انطفأ"؟

- مطاوعة.

- مطاوعة، أحسنت! أما "طفئ" فلا مطاوعة فيه، فكأنه يقول: طفئ الدمع من نفسه، لا من إطفاء غيره له، "وَقَدْ كَانَ سُلُوًّا أَنْ يَنْهَمِي صَبَبُهْ"، لكنه طفئ، ولم تعد لدينا مادة من الدمع نستعملها في التسلي. وعندنا في "ينهمي" ملحوظة، ما هي؟ "ينهمي" فعل مضارع منصوب بأن، فأين النصب؟

أين "أَنْ يَنْهَمِيَ"؟ لم ينصب بأن، أهملها، وهذا من لغة الشعر معروف. سيقول بعض المتمسكين منكم باللغة في الاختبار: "أَنْ يَنْهَمِيَ"، حتى إذا ذهب يُقَطِّعُها لم تتقطع، يتقطع هو ولا تتقطع هي، فما الحل؟ أن يتذكر دائما هذا الاحتمال الوارد، أن الشاعر يمكنه أن يهمل الأدوات. "انْتَهِي يَا شُجُونُ أَفْئِدَةً كَانَ مُنَاهَا الْفِدَاءُ تَنْتَهِبُهْ"، انتهي -يا أحزان!- أفئدة كانت تمنى أن تفديه بأنفسها: فداك فؤادي، اجعل فؤادي مكان فؤاده! "الفداء" اسم كان، و"منى" خبر كان -معي، يا منى!- و"تنتهبه" حال من الفداء، وربما قال بعضكم شيئا آخر، لكن هذا أحسن. "يَحْصُدُنَا"، سيتفلسف الآن -ها!- وأكثر الشعراء يتفلسفون في حضرة الموت: ما الموت؟ ما الحكاية؟ من أين؟ وإلى أين؟ من أين الطريق؟ إلى أين الطريق؟ أين المفر؟ -ها!- دائما يتفلسفون في حضرة الموت! والدنيا الآن في هذه المشكلة: هل هناك بعث؟ ما حكاية الموت؟ "يَحْصُدُنَا الْمَوْتُ كَيْفَ لَا كَيْفَ"، أرأيتم هذا الأسلوب؟ -ها!- تقول له: كيف؟ فيقول لك: لا كيف؟ أو تقول له: أين؟ فيقول لك: لا أين؟ أو متى؟ فيقول لك: لا متى، ما معنى هذا؟ لا وجه للسؤال! "وَالْمَوْتُ وَشِيكٌ حَيَاتُنَا سَبَبُهْ"، كيف تموت؟ إذا حييت! وهل تموت من غير أن تحيا؟ فالحياة نفسها إذن سبب الموت. ما "وَشِيك"؟ سريع. تريد أن تموت سريعا؟ عندي لك وَصْفة: احْيَ سَرِيعًا! وكيف أحيا سريعا؟ اقلب الدنيا رأسا لعقب، حقق أحلامك سريعا، هذا معروف، هذه وصفة مجربة، كالشمعة إذا احترقت سريعا انتهت، لكن إذا أشعلتها وتركتها، ثم أشعلتها وتركتها- بَقِيَتْ سنين طويلة، أليس كذلك؟ اللهم، بلى! ولتتأملوا حياة العباقرة، من اشتعل منهم سريعا مات سريعا -ها!- حتى إن بعضهم قال في بعض: هذا لا يعيش طويلا، فمات! حينما حضر أبو تمام الخليفةَ، وأنشده، وحضرت بديهته، ورَدَّ على الناس في المجلس ردودًا فذة، ثم خرج، قال فيه الخليفة: هذا لا يعيش طويلا، فمات في الثلاثين، هذا الإمام الكبير مات في الثلاثين، ومن العباقرة من مات في العشرين، ومنهم من مات في كذا أو كذا، وبقينا نحن مع الأسف، مات العباقرة، وبقي أمثالنا! "وَبَقِيتُ فِي خَلْفٍ كَجِلْدِ الْأَجْرَبِ"، كما قال لبيد -ها!- "يَحْصُدُنَا الْمَوْتُ كَيْفَ لَا كَيْفَ وَالْمَوْتُ وَشِيكٌ حَيَاتُنَا سَبَبُهْ"، "نَقْتَاتُ بِالْمَوْتِ"، نأكله كل يوم، نأكل الموت، نعيش على الموت، "نَقْتَاتُ بِالْمَوْتِ كَيْفَ يَقْتَاتُنَا الْمَوْتُ وَمَا غَالَ طَاعِمًا سَغَبُهْ"، الطاعم الشبعان، كيف يقتل الشبعانَ جوعُه، وهو شبعان أصلا! نحن أصلا طعامنا الموت، فكيف يقتلنا الموت؟ فالطعام إذن مسمّم -ها!- "إِخَالُنَا

لِلْفَنَاءِ يَخْلُقُنَا اللَّهُ وَمَا يَنْقَضِي بِنَا عَجَبُهْ"، ما حكاية "إخالنا" هذه؟ هذه تَلْتَلَةَ بَهْرَاءَ، أَثَارَةٌ فريدة باقية من تلتلة بهراء، ما "تَلْتَلَةُ بَهْرَاءَ"؟ طريقة لهجية قديمة، تكسر فيها قبيلة بَهراء حرف المضارعة، يقولون: تِعرف، تِفهم، تِقرأ! واللطيف أنها الآن المسيطرة على اللهجات العربية، في العمانية تقولون: ما يِدري -ها!- ما يِريد، ما يِشوف، ما يِفهم...، وهكذا عندنا: بتِعرف، تِعرف، تِفهم! هذه "تلتلة بهراء"، لكن لم يعد لها في الفصحى أثر، إلا في هذا الفعل فقط، ما أعجب هذا! عندك: "خال، يخال، أخال"، فما حكاية "إخال" هذه؟ يبدو أنّ ثَمَّ ظروفًا مكنت لنطق هذا الفعل من أن يسيطر حتى يكون وحده في اللغة المشتركة، سبحان الله! حظوظ، هذه حظوظ، أرزاق تُرْزَقُها الكلمات كما يُرْزَقُها البشر. "إِخَالُنا"، أي أظننا، أي أخالنا، لكن اللغة العالية المشتركة "إخال"، كيف -يا أستاذ!- وهي لهجة؟ ظروف، حظها أحسن من "أخال"، على غير العادة، "إِخَالُنَا لِلْفَنَاءِ يَخْلُقُنَا اللَّهُ وَمَا يَنْقَضِي بِنَا عَجَبُهْ"، وما ينقضي بنا عجب الخلق أو الفناء، هذه فلسفة الموت، "أَوْ أَنَّنَا وَاهِمُونَ لَا نَعْرِفُ الْعَيْشَ وَلَا الْمَوْتُ تَخْتَفِي حُجُبُهْ"، لا نحن نعرف ولا الموت يعرفنا، فنحن إذن في وهم، هذا كلام تسمعه هذه الأيام كثيرا، حتى إن عندنا فلمًا مصريا مُنِعَ من السينما، كان البطل فيه يقول للبطلة باللهجة المصرية: مصيبة لما يكونش فيه حساب، ساعتها هنكون خدنا حتة دين مقلب"، أي انخدعنا! هذا الكلام كُفريّة من الكُفريّات المنتشرة هذه الأيام -ما شاء الله!- التي صرنا نجدها على الفضائيات وعلى وسائل التواصل الاجتماعي، مُمَكَّنة -ها!- وعندكم في عمان اعتقالات بمثل هذه العبارات في الأيام الأخيرة! لماذا، يا أخي؟ قل ما تشاء، ودع عنك مثل هذه العبارات! لا، يريد أن يقلب الدنيا، أن يفجر ألغاما، لعله ينبه الناس! طريقة، أسلوب، ولعله مستقِر الإيمان، بل ربما كان أرسخ منا إيمانًا، لكنه يريد أن يقلب الدنيا، والكلام العادي لا يؤثر، فلْيفجر الناس إذن تفجيرا، يقول كذا كذا، ويسخر منا ببعض الطرق، ونعم، تنقلب الدنيا رأسا لعقب حقًّا، ويحدث ما يريد، وهو إنما لهذا أصلا قال هذا، فصاحبنا هنا يتماجن قليلا أو يتزندق، ولسان حاله: قليل من التماجن أو التزندق لا يضر!- "أَوْ أَنَّنَا وَاهِمُونَ"، كل هذا خداع -ها!- سنموت من غير بعث، مَقْلَب هذا، "انْضَحَك علينا"، كما نقول في اللهجة المصرية! "أَوْ أَنَّنَا وَاهِمُونَ"، مرة قيل لفرنسي من كبار الملحدين المعاصرين -قرأت هذا في كتاب له أخيرا، منذ سنتين أو

نحوهما-: ماذا ستفعل إذا بُعِثْتَ حقيقةً؟ إذا لقيت في آخر الطريق فلانا -شخصا موعودا في النصرانية الكاثوليكية- فماذا ستقول؟ قال: سأقول له لم تدُلَّنا عليك بما يكفي!

- ههه!

- لم تدلنا عليك بما يكفي، يا سلام! هذا عندهم -ها!- والكتّاب موجود! بمناسبة الإيمان بالبعث وغيره، عندنا في هذا السياق حوارات رائعة قوية جدا -فراجعوها!- أثرت في حياة بعض الناس، غيرتهم من الإلحاد إلى الإيمان، حوارات رزينة هادئة قوية موجودة. "يَغْلِبُنِي الْوَهْمُ كَيْفَ يَرْحَلُ مَحْمُودٌ وَكَيْفَ الْمَنُونُ تَغْتَصِبُهُ"، أمثل هذا يقدر عليه الموت؟ ها! وكان أستاذنا هذا جبارًا من الجبابرة، قويًّا جدًّا، حتى بنيان جسمه قوي، يبدو أنها صادقة حكمة "العقل السليم في الجسم السليم"! كان العقاد طويلا قوي البنية، وكان سيدنا عمر طويلا يجر رجله على الأرض إذا ركب الفرس، وكذلك سيدنا خالد، وخير منهم جميعا مثالا وأصدق تمثيلا رسول الله -صلى الله عليه، وسلم!- فالقوة البدنية معتبرة هنا اعتبارا كاملا، فاحرصوا علي تقوية أجسامكم؛ ففيها تقوية عقولكم أيضا! "أَذَلِكَ الْوَجْهُ غَالَهُ رِيَبٌ أَذَلِكَ الْعَقْلُ تَنْطَفِي شُهُبُهْ"، و"تنطفي" فيه ملحوظة كذلك، أصله "تنطفئ"، خُففت همزته، وهو من ألطف ما يفعله الشعراء، يقولون: تبتدي، وأصله تبتدئ -ها!- وهكذا، هذه معروفة سهلة لطيفة جدا. "أَذَلِكَ الْوَجْهُ غَالَهُ"، ما "غاله"؟ اغتاله، أخذه على غفلة، "غَالَهُ رِيَبٌ"، أي غالته ريب، والريب جمع يؤنَّث، ولكن يجوز أن يُذكَّر له فعله، يُذكّره مَن يَستثقله، ويُؤنّثه مَن يَستخفّه! "أَذَلِكَ الْعَقْلُ تَنْطَفِي شُهُبُهْ"، معقول! يختفي من الوجود! كان المازني في بعض ما كتب قال: كيف يمكن أن أكون أنا تحت الأرض والناس من فوقها يذهبون ويجيئون! "لِلتُّرْبِ يَا لَلْخِذْلَانِ يُخْلَقُ هَذَا الْخَلْقُ مَا جِدُّهُ وَمَا لَعِبُهْ"، "لِلتُّرْبِ يَا لَلْهَوَانِ يُخْلَقُ هَذَا الْخَلْقُ مَا حَظُّهُ وَمَا أَرَبُهْ"، ها! قليل من التماجن والتزندق! سنؤول جميعا إلى التراب، كما سبق في قصيدة الشريف الرضي:

"يَا أَرْضُ نَاشَدْتُكِ أَنْ تَحْفَظِي تِلْكَ الْوُجُوهَ الْغُرَّ وَالْأَعْيُنَا"!

فأجبنا نحن نيابة عن الأرض -لو كان لها لسان!-: هيهات، هذه بضاعتي رُدت إليّ! هذه فلوسي، أنتم مني أصلا، وقد رجعتم إليّ خالصين! "لِلتُّرْبِ يَا لَلْخِذْلَانِ يُخْلَقُ"، في كلمة الخذلان هذه قليل من الزندقة! "لِلتُّرْبِ يَا لَلْخِذْلَانِ يُخْلَقُ هَذَا الْخَلْقُ مَا جِدُّهُ وَمَا لَعِبُهْ"، كل هذا الجد وكل هذا اللعب

هباء، "نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ" -صدق الله العظيم!- دخلنا في الزندقة -ها!- وهذا من غضب الشاعر على الموت طبعا، ومن قبل ما قال محمود حسن إسماعيل:

"لَا أَرْفُضُ الْمَوْتَ لَكِنِّي أُسَائِلُهُ هَلْ ذُقْتَ مَا أَنْتَ بِالْإِنْسَانِ فَاعِلُهُ"!

قال لي أبو همام مرة: مساكين أساتذة الجامعات هؤلاء، يتنافسون في التفاهات، وفي التفاهات يتخاصمون! عندنا -يا جماعة!- في جامعة القاهرة أم الجامعات المصرية، كتب المقررات، من تأليف الأساتذة -هم الذين يؤلفون ما يُدرِّسون- تباع للطلاب، ويتنافسون في بيعها، وفي رفع أثمانها وخفضها كما يشاؤون، فهي عندهم غنيمة، وهو يراها حقيرة جدا، لأنه كان يأخذ مرتبا شهريا كبيرا من جريدة الأهرام، وجريدة الأهرام هذه هي المؤسسة الصحفية السادسة عالميًّا، وأموالها لا تحصى، فكان يرى كيف يتنافس أولئك المساكين في الملاليم، وصحفيو جريدة الأهرام يجمعون الملايين؟ فيسخط! "مَحْمُودُ ضَلَّ السُّؤَالُ"، ما هذا الأسلوب؟ ها!

- نداء.
- "محمود" نداء، أحسنت! "مَحْمُودُ ضَلَّ السُّؤَالُ وَانْشَعَبَ الْفِكْرُ وَقَدْ زَادَ حَيْرَةً شُعَبُهْ"، زادته شعبه حيرة، عدنا إلى تذكير الفعل للفاعل المؤنث مجازا؛ "فَهَلْ تَرُدُّ السُّؤَالَ"، كان من عادات محمود محمد شاكر أستاذنا أستاذ الدنيا -رحمه الله، وطيب ثراه! انتبهوا! أروي لكم الآن عن الكبار، فسلسلة رواياتي ذهبية، دون مقارنة ثَرايَ بِثُرَيّا سلسلةِ الإسناد الذهبية المعروفة بعكرمة عن ابن عباس عن رسول الله، صلى الله عليه، وسلم! أروي لكم عن محمود محمد شاكر بلا وسيط، ها! سلسلة ذهبية لا تُعوض، فانتبهوا!- كان أستاذنا يحب أن يُسأل، وكان إذا سُئل صَحَّحَ السؤال قبل أن يجيبه، يعلمك كيف تسأل أولا، فإذا أخطأت السؤال صححه لك، ثم تَأَنَّى للإجابة حتى ربما ظننت أنه لن يجيب! سألته مرة، ثم استأذنت، فقال: لم أجبك بعد! وهل أجلس انتظارَ الإجابة إلى الأسبوع القادم! فكان لا يَتعجَّل في الإجابة -وهذه طريقه العمانيين!- لكن تأملوا التنبيه الأول؛ يصحح لك السؤال إذا وجد فيه خطأ: ما هكذا تسأل الأسئلة! ثم يَتأنَّى، ولا يتعالم، ويطلب الكتب من مكتبته النفيسة: يا فلان، هات كتاب كذا، افتح كذا في كذا، وهو -ما شاء الله- في جنته، عنده مكتبه فذة، يعرف مكان الكتب وقد قرأها جميعا، فالآن يتذكر شاعرنا ذلك، يقول: "فَهَلْ تَرُدُّ السُّؤَالَ أَحْسَبُهُ الْآنَ يَسِيرًا"، لأنه كشفت عنك الحجب "كَشَفْنَا عَنْكَ

غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ"، صدق الله العظيم!- تستطيع أن تجيب الأسئلة، لكن هيهات، لم يعد إلينا من الموت أحد ليخبرنا ماذا كان هناك، حتى الذين أماتهم الله معجزةً لم يكونوا في الموت -ها!- بدليل أنه لما قام أهل الكهف مثلا تَساءلوا: كم نِمْنا، لا كم متنا! وغيرهم ماتوا، أماتهم الله -"أَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ"، صدق الله العظيم!- فرجع مستغربًا! وهناك من أماتهم ما لا ندريه، ثم بعثهم. لم يموتوا كما يموت الناس، معجزات لا يقاس عليها، فليس لك أن تسألهم -ها!- ما الموت، ولا كيف وجدتموه؟ لا، لم يموتوا كما يموت الميتون، بل ينتقلون إلى حياة خاصة لها ظروفها في فهم المسلمين، ولها شروطها وكذا، فيها كذا، وفيها كذا. ثم عاد الى الزندقة -وقليل من الزندقة عند بعض الشعراء لا يضر!- "أَمْ إِنَّنَا وَاهِمُونَ لَا يَكْشِفُ الْمَوْتُ سُؤَالًا يَؤُودُنَا وَصَبَهُ"، إلامَ تريد أن تصل، أن كل هذا خداع، مقلب! "مَحْمُودُ أَنْتَ السُّؤَالُ تَعْرِفُهُ مَحْمُودُ أَنْتَ الْجَوَابُ تَحْتَجِبُهْ"، تأملوا التعبير، أنت السؤال، وأنت الجواب، أنت نفسك في نفسك، أنت السؤال، وأنت الجواب، لكن يستدرك طبعا، فيقول: "تَعْرِفُهُ"، "أنت" مبتدأ، و"السؤال" خبر، و"تعرفه" حال، و"أنت مبتدأ، و"الجواب" خبر، و"تحتجبه" حال، و"محمود" ربما ظن بعضكم أن "أنت" مبتدأ، وجملة "السؤال تعرفه" خبره، لا، هذا أضعف، والأول أقوى وأدل وأصلح للشعر. "تَحْتَجِبُهْ"، تستقل به، لا يعرفه غيرك. "أَيْنَ يَرَاعٌ كَالْبَرْقِ"، ما اليراع؟ القلم، واليراع في الأصل القصب، وكانوا يصنعون الأقلام من القصب -ها!- أتذكرون في الحكايات القديمة كيف يأتون ويَسُنّون كذا -ويتواصَون: افعل كذا!- يأتون بشق من القصبة حتى يجعلوه قلمًا، ويغمسونه في الحبر، ويكتبون. "أَيْنَ يَرَاعٌ كَالْبَرْقِ يَسْتَرِقُ الْغَيْبَ عَصِيًّا فَيَنْجَلِي غَيَبُهُ"، تأملوا فرق ما بين الغيْب والغيَب، والغيَب الغائب. "يَسْتَرِقُ الْغَيْبَ عَصِيًّا"، على رغم أنه عصي، ينتزعه من مكامنه، مبالغات طبعا، "فَيَنْجَلِي غَيَبُهْ". وكان محمود محمد شاكر معروفا بأنه يدقق ويتأمل ويعيش في الكلام عند القراءة وعند الكتابة، يستغرقه الكلام، حتى إن إحدى الصحفيات كتبت عنه، قالت: جئتُ بيته، فطرقت الباب، ففتحَتْ لي زوجه، فدخلتُ، فوجدته على مقعده يقرأ، فخشيت أن أكون قطعت عليه، فقالت زوجه: لا، لا، هوني عليك، فهو إذا قرأ غاب عن الدنيا! هونت عليها: اهدئي، هوني على نفسك، هو الآن في عالم آخر! هذه مقدرة خاصة، لا أستطيع أنا أن أدعيها لنفسي، تستغرقني الكتابة، فأما القراءة فلم أبلغ منها بعدُ منزلة أن أدخل فيها وأغلق خلفي! هذا مقام من مقامات الصالحين، يسمى الواحد فيه قارئا،

أو كاتبا، فأين ذاك القارئ؟ وأين هذا الكاتب؟ "أَيْنَ يَرَاعٌ كَالْبَرْقِ"، قلمٌ كالبرق، "يَسْتَرِقُ الْغَيْبَ عَصِيًّا"، فجأة يذهب إلى الأفق، فيسترق الغيب، ويعود، فينجلي غيب الغيب، "يُشْعِلُ فِينَا الرِّيَاحَ عَاصِفَةً"، كلما قرأنا كلامه، نعم، أصابتني مرة مشكلة، أَزَمَتْني أزمة، فذهبت أقرأ له، وعدت قديرا عليها! كنا إذا وقعنا في المشكلات قرأنا كلامه -ها!- فعدنا أقوياء بعد ضعف، قادرين بعد عجز، قد حدث لي هذا حقا وصدقا ويقينا! "يُشْعِلُ فِينَا الرِّيَاحَ عَاصِفَةً وَقَدْ تَهَاوَتْ بِحَائِرٍ طنبه طُنُبُهْ"، ما الطُّنُب؟ حبل الخيمة، حينما تأتي الرياح الشديدة فتضرب الخيمة تتهاوى الحبال، وهذا الرجل هو نفسه يشعل فينا الرياح عاصفة، فكيف تصيبنا الرياح؟ نحن نقهر الرياح بالرياح! "أَيْنَ لِحَاظُ الْعُقَابِ لِلْأَبَدِ السَّاكِنِ لَا نَتَّقِيهِ تَجْتَذِبُهْ"، ما العُقاب؟ إحدى جوارح الطير، كالصقر، أقرب إلى الصقر منها إلى النسر، لأن النسر معروف بشيء من خساسة النفس، أما العُقاب - سبحان الله!- فكأنها من العِقاب، كأنها عقاب يصبه الله على الطيور! أين لحاظ العُقاب؟ وهذه الطيور تَرى أبعد مما نظن، ترى المياه في باطن الأرض -سبحان الله!- لهذا يتتبعونها حتى يعرفوا أماكن المياه! "أَيْنَ لِحَاظُ الْعُقَابِ لِلْأَبَدِ السَّاكِنِ لَا نَتَّقِيه تَجْتَذِبُهْ"، أين نظر العُقاب للأبد الساكن، لا تخاف منه، بل تنتزعه، تنتزع الأقدار من مكامنها! "يَهْرُبُ مِنْهَا الْبُغَاثُ"، ما البُغاث؟ خسيس الطير، ذاك شريف، وهذا وضيع خسيس، ومنه قولهم في المثل : "إِنَّ الْبُغَاثَ بِأَرْضِنَا يَسْتَنْسِرُ"، "يستنسر"، لا "يستعقب"، يتعاظم الحقير في غيبة العظيم -"إِنْ غَابِ الْقُطّ الْعَبْ يَا فَارْ"، كما نقول باللهجة المصرية، ها!- نعم:

"أَلْقَابُ مَمْلَكَةٍ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا كَالْهِرِّ يَحْكِي انْتِفَاخًا صَوْلَةَ الْأَسَدِ"!

"يَهْرُبُ مِنْهَا الْبُغَاثُ يَخْتَانُهَا الرِّيشُ مَهِينًا يَصُونُهُ هَرَبُهْ"، تخيلوا: هل رأيتم في السماء مرة جارحًا من جوارح الطير، يتتبع طيرًا عاديًّا، يمامة، أو حمامة؟ أنا رأيت هذا! ترون منظرًا عجبًا، كأنه سهم طائر، والآخر مسكين في هلع، لا يعرف يمينًا من يسار، والريش يتناثر ولا يحمله، لا يعينه الريش، مسكين، والآخر خلقه ربنا صاروخًا موجهًا! تأمل، فأنا دائما أتتبع هذا، وحقا تجد الحمامة أو اليمامة في الجو قد أصابها الهلع واختانها الريش ولم تدر إلى يمين تذهب أم إلى يسار، صارت في حالة يُرثى لها! "وَأَنْتَ بَيْنَ الزِّحَامِ"، بين زحام الناس في سياقات مختلفة في الحياة الثقافية، "لَا لَقَبٌ يَحْمِيكَ"، لم تكن معه شهادة لا أستاذية، ولا دكتوراة ولا ماجستير ولا بكالوريوس، لا شيء -

ها!- "إِنْ حَاطَ هَيِّنًا لَقَبُهُ"، ربما أراد بالهيّن طه حسين -هها!- وكان عميد كلية الآداب، فصار يسمى عميد الأدب العربي بغيًا وعدوانًا، أما صاحبنا هذا فليس في يده شيء، لكن بيته تحول إلى جامعة توازي الجامعة! "مُؤْتَنِسًا أَنْتَ بِالتَّوَحُّدِ بِالْفَنِّ رَفِيعًا بِالْوُدِّ تَحْتَقِبُهُ"، تشتمل عليه كله، لك الود كله، مؤتنسا أنت بالتوحد، هناك من غير لقب، تركن إليه، تأتنس بتفردك بالفن، في حال رِفْعَتِه، وبالود في حال استيلائك عليه كله. يحبه الناس حين يحبونه فيعطونه قلوبهم كلها، حتى إن أحد العلماء عند الكعبة قال للدكتور محمود محمد الطناحي -وهو الذي حدثنا بهذا-: أنا أحل للأستاذ محمود عرضي، أحل له عرضي، على أن يكتب، فليكتب، وعرضي له حلال! وإن الأستاذ محمودا قليل الكتابة، إذا عددتم ما كتبه بالقياس إلى ما يَعرف وما يُحكى عن علمه وجدتموه قليلا -وإن كان كثيرا بالقياس إلى غيره!- لكنه بالقياس إليه هو نفسه قليل. تأملوا هذه الكلمة، كأنها كبيرة من الكبائر، عند الكعبة يقول لمحمود محمد الطناحي: أحل له عرضي على أن يكتب، فليكتب وإن قذفني أنا، يقصد هذا، فليكتب وإن قذفني! قصيدة صعبة -ها!- مَنْ ينافس فيها على خمس درجات، وجودًا أو عدمًا وزيادة أو نقصًا أو طردًا، من؟ ميسون؟ لا، ميسون غابت اللقاء السابق ينبغي أن نعاقبها، لماذا غبت اللقاء السابق؟

- كنت مريضة.
- لله الحمد على سلامتك! ها، **من ينافس على خمس درجات زيادة أو نقصا أو طردًا؟** حصل مصعب في اللقاء السابق على خمس درجات، ولم يحصل أحد في التي قبلها على شيء، وطردنا الضيفة! نعم، كانت عندنا ضيفة مسكينة من كلية الطب، أرادت أن تقرأ، فأخطأت خطأً، فسكتنا عليه والطلاب ينظرون: واسطة واسطة! ثم أكرمنا الله بخطأ آخر، فقلت لها: وجبت، والجماعة يقولون: واسطة! فقالت لي: اسمح لي أن أجلس حتى أسمع بقية القصيدة، وتطوعت أسماء -وهي ممتازة- فأقرأناها، فأخطأت خطأ لن أذكره حتى تخطئوه -ها!- فقلت لها: برّا، فقالت: اسمح لي أن أكمل القصيدة! فأكملت القصيدة، ثم طردناهما معا صحبةً إلى الخارج -ها!- فمن يقدر على هذا؟ من؟ اتقوا الله؟ اتقين الله! النساء دائما جريئات -يا أخي!- تَعَلَّمْنَ من هؤلاء الحكماء! ها، أماني؟ قرأت من قبل؟ طيب، فرصة، جميل، أماني، لله الحمد والشكر -ها!- تفضلي ومنى طبعا بجوارك تنتظر! ها، اسمعوا ها السَّمْعَة، ها السَّمْعَة الطيبة، ها!

- صَوَّحَ نَادِيه وانطوتْ كُتُبُهْ يا رَاحِلًا لَيْتَ صِدْقَه كَذِبُهْ
قَدَ اعْنَقَتْ...
- ها، أعيدي!
- قَدَ اعْنَقَتْ...
- ها، أعيدي!
- قَدَ اعْنَقَتْ...
- ما "قَدَ اعْنَقَتْ" هذه؟ تخفيف على قراءة ورش!
- ههه!
- تقرئين على ورش! "قَدْ أَعْنَقَتْ"، برا! خطأ، تقول: "قَدَ اعْنَقَتْ"، ها!
- أعطها فرصة!
- فرصة للطرد، طيب! نسمح لك، نعديها هذه المرة، لأنها شيء بين بين، كأنها "قَدْ أَعْنَقَتْ"، نطقت نطقا موهما، لو سألتها لقالت: قُلتُ قَدْ أَعْنَقَتْ! طيب، ننتظر، وستخطئ خطأ آخر، أنا متأكد، أعيدي!
- قَدْ أَعْنَقَتْ لِلْمنُونِ رِحلتُه وأَوْغَلَتْ فِي يَقِينِه رِيبُهْ
وَاشْتَعَلَ الْحُزْنُ فِي الْعُرُوقِ فَمَا يعْرَفُ إِلَّا بِدَفْقِهَا لَهَبُهْ
وَطَفِئَ الدَّمْعُ فِي الْعُيونِ وَقَدْ كَانَ سُلُوًّا أَنْ يَنْهَمِي صَبَبُهْ
انْتَهِي يَا شُجُونَ...
- "يا شجونَ"، مع السلامة، قلت: يا شجونَ، هذا منادي مفرد مبني على الضم.
- هي السرعة!
- ها! طبعا، أعرف طبعا، أداء طيب لا بأس به، لكن نحتاج إلى تطوير أنفسنا، هذه منافسة عالية جدا.
- دكتور، أنا أقرأ بالمجان!
- بالمجان؟ لا، بعد أن ننتهي من المنافسات. ها؟ من؟ هاجر؟ اسمعوا هاجر، أكملي، عندنا فضاء واسع للخطأ! انْتَهِي...

- انتهِي يا شُجُونُ أفئدَةً كانَ مُنَاهَا الفِدَاءُ تنتهُ

- ارفعي صوتك!

- يحصدُنا الموتُ كيفَ لا كيفَ والموتُ وشيكٌ حياتُنا سببُه
نقتاتُ بالموتِ كيفَ يقتاتُنا الموتُ وما غالَ طاعمًا سغبُهْ
إخالُنا للفناءِ يخلقُنا اللهُ وما ينقضي...

- ها، ها، أعيدي! انقطع الإرسال، ها!

- ههه!

- ها!

- إخالُنا للفناءِ يخلقُنا اللهْ وما ينقضي بِنا عجبُهْ

- يخلقنا اللهْ!

- اللهُ.

- لا، لا، سمعتك سكنتِ الكلمة، أهي قراءة سرية -ها!- "يخلقُنا اللهُ"، ها!

- أعيدها.

- أعيديها، وحققي الحركات!

- إخالُنا للفناءِ يخلقُنا اللهُ وما ينقضي بنا عجبُهْ
أو أنَّنا واهمونَ لا نعرفُ العيشَ ولا الموتُ تختفي حُجُبُهْ
يغلبُني الوهمُ كيفَ يرحلُ محمودٌ وكيفَ المنونُ تغتصبُهْ
أذلكَ الوجهُ غالَهُ ريبٌ أذلكَ العقلُ تنطفي شُهُبُهْ
للتُّربِ يا للخذلانِ يُخلقُ هذا الخلقُ ما جِدُّهُ وما لعبُهْ
للتُّربِ يا للهوانِ يُخلقُ هذا الخلقُ ما حظُّهُ وما أربُهْ
محمودُ ضلَّ السُّؤالُ وانشعبَ الفكرُ وقدْ زادَ حيرةً شُعُبُهْ

- نعم؟

- ... شُعُبُهْ.

- مع السلامة، لكن لها صوتًا جميلًا، اكتشفته الآن، اكتشفته، نضمها إلى الخاصة، ها، من؟ أمل؟ أتقدرين؟ طيب، ولم لا تقدر؟ أكملي، عندنا فضاء من الخطأ ما زال! ابدئي بالرابع عشر.
- ما توقعت أن أُختار!
- ها! ما توقعت أني اختارك؟ طيب -الحمد لله!- لعله يكون باب الخطأ -يا رب!- ها!
- مَحْمُودُ ضَلَّ السُّؤَالُ وَانْشَعَبَ الْفِكْرُ وَقَدْ زَادَ حِيرَةً شُعَبُهْ
- ما شاء الله!
- ههه!
- معها، بسرعة قبل ما تطلع، انتظري، مع السلامة!
- ليه ما تعطيهم فرص؟
- لا، لا، "حِيرة"! "الحِيرة" هذه في العراق، أيام النعمان بن المنذر! "حِيرة" مع السلامة، انتهينا من المنافسات، انتهينا، مَنْ يقرأ مجانا؟ من؟ مسعد -مسعد يا تنور يا مجمع الزينات!- أكمل، "مَحْمُودُ ضَلَّ السُّؤَال..."!
- مَحْمُودُ ضَلَّ السُّؤَالُ وَانْشَعَبَ الْفِكْرُ وَقَدْ زَادَ حَيْرَةً شُعَبُهْ
فَهَلْ تَرُدُّ السُّؤَالَ أَحْسبهُ الْآنَ...
- ها، لا يجوز، "أَحْسَبُهُ الْآنَ"، ها!
- فَهَلْ تَرُدُّ السُّؤَالَ أَحْسَبُهُ الْآنَ يَسِيرًا مَجْلُوَّةً سُحُبُهْ
أَمْ إِنَّنَا وَاهِمُونَ لَا يَكْشِفُ الْمَوْتُ سُؤَالًا يُؤْدُنَا...
- ها، "يُؤْدنا"، ما "يُؤْدنا"هذه؟ آه، لم نتكلم فيها! في كتاب الحق -سبحانه، وتعالى!-: "لَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا"، ما معنى "يَؤُودُه"؟ يعجزه، يتعبه، يثقل عليه، ها "لَا يَؤُودُنَا وَصَبُهُ"، ها!
- أَمْ إِنَّنَا وَاهِمُونَ لَا يَكْشِفُ الْمَوْتَ...
- ... لَا يَكْشِفُ الْمَوْتُ...
- ... لَا يَكْشِفُ الْمَوْتُ سُؤَالًا يَؤُودُنَا وَصَبُهْ
- أحسنت!
- مَحْمُودُ...

- "مَحْمُودُ"! هذه سبعون درجة راحت -ها!- هذه القراءة المجانية ممتعة، نعمة كبيرة -ها!- لكن عندك طلاب حصلوا على عشر درجات، مصعب حصل في المساء على خمس بعد خمس، حظوظ! قلت له: مَنْ علمك؟ أعندك معلم يراعيك؟ قال: لا. قلت: أو مركز تذهب إليه لتقرأ وتتعلم؟ قال: لا. قلت: آلمدرس في المدرسة كان يعتني بك أكثر؟ قال: لا، هذا اجتهاد خاص. ما شاء الله لا قوة الا بالله، ها!
- مَحْمُودُ أَنْتَ السُّؤَالُ تعرِفُهُ مَحْمُودُ أَنْتَ الْجَوَابُ تَحْتَجِبُهُ
- "تَحْتَجِبُهُ"! ما شاء الله! خرجت من الحدود، من أقطار السماوات والأرض! "تَحْتَجِبُهْ". ها، أتدرون أن "تحتجبهُ" هذه تخرج الوزن من عروض الخليل -أتذكرون!- كما أخرجته "مفعولاتن" من بحر السريع، فيما قاله العُماني الذي عرض عليَّ شعره، قال: "مفعولاتن= دن دن دن دن، و"تحتجبهُ= دن دددن" مثلها تماما، تخرج الوزن من إطار الدوائر، ها!
- مَحْمُودُ أَنْتَ السُّؤَالُ تعرِفُهُ مَحْمُودُ أَنْتَ الْجَوَابُ تَحْتَجِبُهْ
أَيْنَ يَرَاعٌ كَالْبَرْقِ يَسْتَرِقُ الْغَيْبَ عَصِيًّا فَيَنْجَلِي غَيْبَهْ
- "غَيَبُهُ"؛ "غيْب" شيء، و"غَيَب" شيء، بينهما مثل ما بين "خَبْط" و"خَبَط"، وما بين "حسْب" و"حسَب"، ها.
- أَيْنَ يَرَاعٌ كَالْبَرْقِ يَسْتَرِقُ الْغَيْبَ عَصِيًّا فَيَنْجَلِي غَيَبُهْ
يُشْعِلُ فِينَا الرِّيَاحَ عَاصِفَةً وَقَدْ تَهَاوَتْ بِحَائِرٍ طُنُبُهْ
- ها!
- أَيْنَ لِحَاظُ الْعُقَابِ لِلأَبَدِ السَّاكِنِ لَا نَتَّقِيهِ تَجْتَذِبُهْ
يَهْرُبُ مِنْهَا الْبُغَاثُ يَخْتَانُهَا الرِّيشُ...
- مهينا ذليلا.
- يَهْرُبُ مِنْهَا الْبُغَاثُ يَخْتَانُهَا الرِّيشُ مَهِينًا يَصُونُهُ هَرَبُهْ
- وَأَنْتَ بَيْنَ الزِّحَامِ...
- ها!
- وَأَنْتَ بَيْنَ الزِّحَامِ لَا لَقَبٌ يَحْمِيكَ إِنْ حَاطَ هَيِّنًا لَقَبُهْ

- تجدون -سامحوني- حمارًا بدرجة دكتور، دكتور فلان، والحمار نفسه يستنكر أن يشبه به -ها!- وتجدونه لصًّا -عافانا الله وإياكم!- ومثله قلة -وإن تزايدت!- لكنهم المذكورون المدعوون إلى الندوات، الدكتور فلان، وأحيانا ألف دال (الأستاذ الدكتور)؛ فكان الدكتور محمود محمد الطناحي يسخر منهم قائلًا: الدال دلو!
- ههه!
- تعرفون الدلو -والتشبيه بها قبيح جدا- فيقال له: دال هذه دلو -يا أستاذ!- فماذا عن ألف دال؟ فيقال: أكبر دلو -دال الدكتور دلو، وألف دال الأستاذ الدكتور أكبر دلو- سخرية من هؤلاء الجهلة الذين حصلوا على الدكتوراة، ها!
- مُؤْتَنِسًا أَنْتَ بِالتَّوَحُّدِ بِالْفَنِّ رَفِيعًا بِالْوُدِّ تَحْتَقِبُهْ
- أحسنت، أحسنت، بارك الله فيك! **والآن نكتب البيتين الأولين، أعرف أنهما كافيان إلى حد بعيد، وانتبهوا؛ فاليوم صعب؛ لهذا سنعتمد على الأداءات الفردية اعتمادًا واضحًا. بسم الله!**

صوح ناديه وانطوت كتبه يا راحلا ليت صدقه كذبه

قد أعنقت للمنون رحلته وأوغلت في يقينه ريبه

هل من خطأ في الإملاء؟ دعوا عنكم الخلط -ها!- هذا قدَر مقدور، اللهم، لا حيلة لي فيه، طيب!

الآن نضيف التشكيل وشعارنا التشكيل التام أو الموت الزؤام:

صَوَّحَ نَادِيهِ...

شكلوا في وقت النطق كيلا تُرحِّلوا الحركات!

... وَانْطَوَتْ كُتُبُهْ

هكذا.

يَا رَاحِلًا لَيْتَ صِدْقَهُ كَذِبُهْ

يا سلام متعة!

قَدْ أَعْنَقَتْ لِلْمَنُونِ رِحْلَتُهُ

أي سافرت سريعا.

وَأَوْغَلَتْ فِي يَقِينِهِ رِيَبُهْ

طيب! لابُدّ أن نتفق على لحن لهذا الوزن الصعب، سأحكي لكم عنه كثيرا كثيرا، انتبهوا!
صَوَّحَ نَا| دِيهِ وَانْطَـ|ـوَتْ كُتُبُهْ| يَا رَاحِلًا| لَيْتَ صِدْقَـ|ـهُ كَذِبُهْ
قَدْ أَعْنَقَتْ| لِلْمَنُونِ| رِحْلَتُهُ| وَأَوْغَلَتْ| فِي يَقِينِـ|ـهِ رِيَبُهْ
هكذا نعيد:
صَوَّحَ نَا| دِيهِ وَانْطَـ|ـوَتْ كُتُبُهْ| يَا رَاحِلًا| لَيْتَ صِدْقَـ|ـهُ كَذِبُهْ
قَدْ أَعْنَقَتْ| لِلْمَنُونِ| رِحْلَتُهُ| وَأَوْغَلَتْ| فِي يَقِينِـ|ـهِ رِيَبُهْ
ونتنزل هذا على الصفحة بالألوان المختلفة، هكذا -طيب!- بالأحمر نكمل، والدندنة لا خلاف عليها بين قبائل الدنيا.
صَوَّحَ نَا= دن دددن
دِيهِ وَانْطَـ= دن ددن د
ـوَتْ كُتُبُهْ= دن دددن
يَا رَاحِلًا= دن دن ددن
لَيْتَ صِدْقَـ= دن ددن د
ـهُ كَذِبُهْ= دن دددن
لابد من الإشباع، هي أصلا بطبيعتها في اللغة يجب إشباعها، إذا تحركت بعد متحرك وجب إشباعها!
قَدْ أَعْنَقَتْ= قد: دن، أع: دن، نقت: ددن،
قَدْ أَعْنَقَتْ= دن دن ددن
لِلْمَنُونِ= دن ددن د
رِحْلَتُهُ= دن دددن
وهذه واجب الإشباع.
وَأَوْغَلَتْ= ددن ددن
فِي يَقِينِـ= دن ددن د
ـهِ رِيَبُهْ= دن دددن

لابد من إشباعها. طيب! هذه الدندنة، ولا خلاف عليها، فأما الاختلاف ففي رموز التفعيلات، نقول: "صَوَّحَ نَا= دن دددن"، أين عرفتموها؟

- مستعِلن، مطوية.
- مطوية، جميل، موافق -طيب!- "دِيهِ وَانْطَ= دن ددن د"، أين عرفتموها؟
- فاعلاتُ.
- "فاعلاتُ" صحيح، لكنها لن تسمى هنا "فاعلاتُ"، ستسمى "مَفْعُلَاتُ"! ما "مَفْعُلَاتُ" هذه، يا أستاذ؟ هي هي، و"مَفْعُلَاتُ" غريبة صحيح، لكنني هنا بإزاء بحر المنسرح! **يا جماعة، هذا بحر المنسرح، وتفعيلات البيت منه: "مستفعلن مفعولات مستفعلن" مرتين،** ما هذا يا أستاذ؟ هو هذا، وهذه رموزه، "مستفعلن" كما عرفناها في الرجز، مس= سبب خفيف، تف= سبب خفيف، علن= وتد مجموع. و"مستفعلن" الثانية مثل الأولى، أما "مفعولات" هذه فهي رأس الفتنة، مف= سبب خفيف، عو= سبب خفيف، لاتُ= وتد مفروق. هذه هي المشكلة، مأساة هذه الدائرة، هذه الأسرة، كما تقولون في أُسَر البَشَر: هذه الأسرة ما شاء الله، لكن عندها مشكلة، ما هي؟ الضيق مثلا، الانفعال، التسرع، وهكذا -تمام؟- ومشكلة هذه الأسرة "مفعولات"، أي الوتد المفروق! وبحر المنسرح من الدائرة الرابعة، دائرة بحر السريع، التي منها بحر الخفيف، وفيها تسعة أبحر، ستة معملة، وثلاثة مهملة. هذا أحد الأبحر المعملات: السريع والمنسرح والخفيف والمضارع والمقتضب والمجتث. إذا تخيلنا "مستفعلن" و"مفعولات" و"مستفعلن"، مكعبات مثلا، فحركنا قلب "مفعولات مستفعلن مستفعلن" -وهذا شطر المقتضب، ولمّا ندرسْه- إلى "مستفعلن مفعولات مستفعلن"، كان شطر المنسرح بحر اليوم، ثم إلى "مستفعلن مستفعلن مفعولات"، كان شطر السريع، وقد درسناه، إضافة إلى التقليبات من داخل التفعيلات، أرأيتم! كانت "مفعولاتُ" هذه شديدة الإشكال في بيت السريع، لأنه كان مستحيلا علينا أن نقف على متحرك، كيف نقف مُتحرِّكين أو نتحرك واقِفِين! ولم نرها سالمة في شعر قط، وإنما الغلبة لـ"مستفعلن مستفعلن مَفْعُلَا"! لا تنتظر أن يقف لك الشاعر متحركا، فسينقطع نفسه، وانقطاعه سكوت، وسكوته سكون. طيب! هذا بحر المنسرح، لا أدعي أنه من الأبحر العالية، لكنه يأتي سابعا مثلا أو ثامنا أو تاسعا! ولكنّ صاحب هذه القصيدة افتتن بالمنسرح منذ عرف الشعر. متى تعرفون الشعر؟ تعرفونه في

المراحل الابتدائية، أوائل ما تشتغلون بالأناشيد، تغنونها مع المغنيين، قليلا قليلا. وعندئذ افتتن صاحبنا بهذا الوزن! كان طلاب المعاهد الأزهرية يدرسون علم العروض، كما يدرسه عندكم طلاب المعاهد الدينية، كل شيء كان قديما أوسع منه حديثا، لأنهم كانوا، أو لأننا صرنا ندرس أشياء أخرى مع تلك الأشياء، فقللنا الساعات حتى نمكن لبعض الأشياء الحيوية، وفي هذا ما فيه من المنافع والمضار. عندكم الآن مثلا مقررات علمي النحو والصرف، كانت خمسة مستويات، فصارت أربعة، والبلاغة كانت كذا، فصارت كذا؛ لماذا؟ يريدون أن يفسحوا مكانا لمقررات أخرى جديدة، حتى تدرسوها، وأحيانا يُوفَّقون، وأحيانا يُخفِقون -طيب!- فافتتن صاحبنا بحر المنسرح بعدما عرفه، وصار يبحث عنه في الدواوين والمجاميع؛ كلما أمسك بشيء منها فتش عن قصائد المنسرح، ليعتني بها ويهمل ما عداها! افتتن به افتتانا شديدا، حتى صار لا ينظم إلا منه تقريبا؛ فلكم أن تقولوا هذا شاعر بحر المنسرح! ابحثوا في الإنترنت عن شاعر المنسرح، لم أفعل، ولكنني أتوقع أن يخرج لكم هذا الرجل! لقد تجمعت له مرة قصائد كلها من بحر المنسرح، وأراد أن يخرج بها كتابا، فقال له أحمد عبد المعطي حجازي -هذا شاعر كبير رائد كصلاح عبد الصبور، كان صديق صلاح عبد الصبور، وجاء إلى عمان هنا أكثر من مرة-: سَمِّه "مقام المنسرح"؛ فسماه! وديوان شعره الكامل كله متاح مجانا علي الإنترنت، مجلد كبير هكذا، فيه كتبه الشعرية كلها، قد نزلته كله مجانًا، وليس عندي ورقيًّا أصلا، فاستفدته رقميًّا! وفيه ستجدون مجموعة "مقام المنسرح"، كلها من المنسرح إلا قصيدة واحدة، سندرس بها بحر المقتضب -إن شاء الله!- تعمدت أن آتيكم بها لحكمة أذكرها في محلها. تأملوا كيف افتتن ببحر المنسرح، واشتغل به حتى انقاد له، في حين يثقل هذا البحر على أكثر مَنْ يدرس علم العروض أو يطلب فن الشعر، لاستعصائه عليهم بطبيعته الوزنية، حتى ليجوز أن نقول فيه خاصة ما قيل في الشعر عامة: لَا يُعْطِيكَ بَعْضَهُ حَتَّى تُعْطِيَهُ كُلَّكَ! قد ثقل على الناس جميعا، حتى إن عندنا محققًا كبيرا معروفا -هو محمد أبو الفضل إبراهيم الذي حقق ديوان امرئ القيس وديوان النابغة والكامل للمبرد وتاريخ الطبري، وكثيرا وغيرها، حتى صار مدير القسم الأدبي بدار الكتب المصرية، ورئيس لجنة إحياء التراث بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية- كان من طلاب كليتي دار العلوم، يحصل في علم العروض على تقدير ممتاز، ولم يكن يعرف العروض! كيف! بطريقة بعضكم: عُدَّ كذا وكذا مع كذا إلى كذا، تخرج لك التفعيلة

الأولى، ثم انتقل إلى التفعيلة الثانية، فإذا كانت كذا كان البحر كذا! مسكين، لم يدرس على طريقتنا، فلم يعرف العروض! أما هذه الطريقة التي قدرت أنه سلكها فمعروفة، تجدونها في مثل كتاب "صفوة العروض"، لعبد العليم إبراهيم صاحب "النحو الوظيفي"، ولا خير فيها! فلما اشتغل صاحبنا بالتحقيق وَرَّطه أفذاذ المحققين في ضرورة تخريج كل ما يجده في المخطوطات التي يحققها من شعر في علم العروض! يا للمصيبة! أدركونا بمن يعرف العروض! ومما حدثنا به عنه أستاذنا وصديقنا الدكتور محمود محمد الطناحي -وكان صديقه- أنه انتهى بعد معاناة تلك الورطة إلى حكمة يأخذ بها ويوصي غيره: "إِذَا لَمْ تَعرِفْ بَحْرَ الْبَيْتِ فَاجْعَلْهُ مِنَ الْمُنْسَرِحِ"!

- هههه!

- نعم -والله!- بهذا حدثنا عنه أستاذنا وصديقنا الدكتور محمود محمد الطناحي؛ فانظروا إلى المصيبة، وكان يحصل على ممتاز في الجامعة! مسكين! كان المنسرح له رعبا من الرعب، كان عفريت البحور -ها!- فجأة يخرج لك، فيُقِضّ مضجعك! ومشكلة المنسرح "مفعولات"؛ لهذا رمز بها أبو همام عبد اللطيف عبد الحليم إلى العروبة والعزة والكرامة، في قوله من قصيدته "صورة مصرية من زمن المماليك":

"فَلْتَغْضَبِي مَفْعولَاتُ وَارْتَقِبِي غَضْبَةَ وَادٍ تَرُدُّ مَا غَصَبُوا
وَلْتَجْرُفِي فِي الْوُلَاةِ قَزْمَتَهَا لَا تَتَسَاوَى الرُّؤُوسُ وَالذَّنَبُ"!

كأنه يقول: يَا مَفْعُولَاتُ ارْكَبِي، كما كان المسلمون يقولون في الزمن الأول: "يَا خَيْلَ اللهِ، ارْكَبِي"! وهي التي استعصت بالمنسرح وحده على مثل أبي الفضل إبراهيم! جميل يكفيكم هذا الاستطراد ولنعد الى ما نحن فيه، ها! كيف نصل بمفعُولَات (دن دن دن د)، إلى مفعُلَات (دن ددن د)؟ بالطي، وما الطي؟ حذف ساكن السبب الخفيف متى كان رابع حرف في التفعيلة، والتفعيلة به مطوية (ط)، طيب! "وَتْ كُتُبُهْ= دن دددن، مستعلن، ط (مطوية)"، كذلك. "يَا رَاحِلًا= دن دن ددن، مستفعلن، س (سالمة)"، "لَيْتَ صِدْقَ= دن ددن د، مفعلات، ط (مطوية)". ربما قال بعضكم: يا أستاذ، أليست هي "فاعلاتُ"؟ عندئذ أقول له: "فاعلاتُ"، على النقل، ونحن لا نقول بالنقل، لأنه يقطع صلتنا بالأصل، نفرح بـ"فاعلاتُ"، وننسى "مفعلاتُ"، كما قلنا في السريع: سموا "مَفْعُلَا" "فَاعِلُنْ"، وفرحوا بالكلمة القريبة، فانقطعوا من الأصل، حتى لقد

وصفوا التفعيلة بعد النقل بالسلامة وهي مُغيَّرة، ها! "ـهُ كَذِبُهْ= دن دددن، مستعلن، ط (مطوية)"، "قَدْ أَعْنَقَتْ= دن دن ددن، مستفعلن، س (سالمة)"، "لِلْمَنُون= دن ددن د، مفعلات، ط (مطوية)"، "رِحْلَتُهُ= دن دددن، مستعلن، ط (مطوية)"، "وَأَوْغَلَتْ= ددن ددن، يمين شمال...

- متفعلن.

- متفعلن، خ (مخبونة). ولا تنسوا مشكلة الرموز، لكيلا يلتبس بعضها ببعض! "فِي يَقِينِ= دن ددن د، مفعلات، ط (مطوية)"، "ـهِ رِيبُهْ= دن دددن، مستعلن، ط (مطوية)". ها، كتبتم؟ **طيب! ما ارتحنا به -ها!- سنحتاج الى تعويضه اليوم؛ فاستحضروا كل ما فقدتموه من اجتهاد في البحرين السابقين، استحضروه هنا، وأضيفوا إليه الاجتهاد العادي، وشدوا دساتين أعوادكم أكثر، وأحموا طبولكم ودفوفكم أكثر، واشربوا أكثر، واطربوا أكثر، ولا يتقدمن عازف عازفا -فإن ظن أنه يحسن فإنه يسيء أكثر!- واجعلوا النغمة أكثر زرقة أكثر فأكثر فأكثر، فنحن اليوم من بحر المنسرح في كرب عظيم -ها!- على رغم أنه عند من يعرفونه شديد اللطافة، يكفيكم أن الدكتور عبد الله الطيب المجذوب جعله بحرا راقصا في كتابه "المرشد الطيب إلى فهم أشعار العرب وصناعتها"، ها!**

- صَوَّحَ نَا= دن دددن
  ديه وَانْطَ= دن ددن د
  ـوَتْ كُتُبُهْ= دن دددن
  يَا رَاحِلًا= دن دن ددن
  لَيْتَ صِدْقَ= دن ددن د
  ـهُ كَذِبُهْ= دن دددن

- ها!

- قَدْ أَعْنَقَتْ= دن دن ددن
  لِلْمَنُون= دن ددن د
  رِحْلَتُهُ= دن دددن

وَأَوْغَلَتْ= ددن ددن

فِي يَقِينـ= دن ددن د

ـهِ رِيَبُهْ= دن دددن

- ها!

- وَاشْتَعَلَ الْـ= دن دددن

ـحُزْنُ فِي الْعُـ= دن ددن د

ـرُوقِ فَمَا= دن دددن

يَعْرِفُ إِلـ= دن دددن

ـلا بِدَفْقَـ= دن ددن د

ـهَا لَهَبُهْ= دن دددن

- ها!

- وَطَفِئَ الدْ= ×

- والله! عندنا في هذا البيت مشكلتان، واحدة من أوله، وواحدة من قبل آخره: أما الأولى فـ"وَطَفِئَ" هذه، ها؟

- وَطَفِئَ الدْ= ددددن...

- أحسنت، أحسنت! "وَطَفِئَ الدْ= ددددن، متعلن، مخبولة -مجنونة!- أي مخبونة مطوية، وهكذا يفعل المجانين -دددد!- هكذا يفعلون!

- وَطَفِئَ الدْ= ددددن

دَمْعُ فِي الْعُـ= دن ددن د

ـيُونِ وَقَدْ= دن دددن

كَانَ سُلُوْ= دن دددن

ـوًا أَنْ يَنْـ= ×

- آه! أخطأتم، أعرف، هذه "مفعولات" سالمة -يا مساكين!- "ـوًا أَنْ يَنْهَـ"، "ـوًا أَنْ يَنْهَـ"، "ـوًا أَنْ يَنْهَـ"، نعيد من الأول:

- وَطَفِئَ الدْ= ددددن
دَمْعُ فِي الْعُـ= دن ددن د
ـيونِ وَقَدْ= دن دددن
كَانَ سُلُوْ= دن دددن
ـوًا أَنْ يَنْـ= دن دن دن د
- و"مفعولات" هذه إذا سلمت اتهم الناس أنفسهم: مَنْ الذي أخطأ، نحن أم الشاعر، أو كذا، أو كذا! كنت في تحكيم مسابقة كبيرة، وكان معنا شاعر عراقي معروف، نخطأ بيت شاعر من المنسرح، ولم يكن فيه من خطأ، غير أن "مفعولات" قد سلمت! ألم أقل لكم إنها رأس الفتنة! إذا سلمت هي لم نسلم نحن -ها- إذا سلمت "مفعولات" لم يسلم المتلقون من أذاها، وإذا زُوحِفت سلموا وغنموا وارتاحوا كثيرا! ها، أكملوا!
- انْتَهِي= دن دددن
يَا شُجُونُ= دن ددن د
أَفْئِدَةً= دن دددن
كَانَ مُنَا= دن دددن
هَا الْفِدَاءُ= دن ددن د
تَنْتَهِبُهْ= دن دددن
- جميل، ها!
- يَحْصُدُنَا الْـ= دن دددن
ـمَوْتُ كَيْفَ= دن ددن د
لَا كَيْفَ وَالْـ= دن دن دن د
ـمَوْتُ وَشِيـ= دن دددن
ـكٌ حَيَاتُـ= دن ددن د
ـنَا سَبَبُهْ= دن دددن
نَقْتَاتُ بِالْـ= دن دن ددن

ـمَوْتِ كَيْـ= ×

- "ـمَوْتِ كَيْـ"، لا، "كَيْفَ"، ها! "نَقْتَاتُ بِالْـ"، "ـمَوْتِ كَيْفَ"، هكذا، "دن ددن د، مفعولات، مطوية". نعيد:

- نَقْتَاتُ بِالْـ= دن دن ددن

ـمَوْتِ كَيْفَ= دن ددن د

يَقْتَاتُنَا الْـ= دن دن ددن

ـمَوْتُ وَمَا= دن دددن

- ها!

- غَالَ طَا= ×

- خطأ، "غَالَ طَا= دن ددن"، مثل "مَوْتِ كَيْـ"، خطأ، أعيدوا!

- نَقْتَاتُ بِالْـ= دن دن ددن

ـمَوْتِ كَيْفَ= دن ددن د

يَقْتَاتُنَا الْـ= دن دن ددن

ـمَوْتُ وَمَا= دن دددن

غَالَ طَاعِـ= دن ددن د

ـمًا سَغَبَهْ= دن دددن

إِخَالُنَا= ددن ددن

لِلْفَنَاءِ= دن ددن د

يَخْلُقُنَا الـ= دن دددن

ـلَهُ وَمَا= دن دددن

يَنْقَضِي بِـ= دن ددن د

ـنَا عَجَبُهْ= دن دددن

أَوْ أَنَّنَا= دن دن ددن

وَاهِمُونَ= دن ددن د

لَا نَعْرِفُ الْـ= دن دن ددن
ـعَيْشَ وَلَا الْـ= دن دددن
ـمَوْتُ تَخْتَـ= دن ددن د
ـفِي حُجُبِهْ= دن دددن
يَغْلِبُنِي الْـ= دن دددن
ـوَهَمُ كَيْفَ= دن ددن د
يَرْحَلُ مَحْـ= دن دددن
ـمُودُ وَكَيْـ= ×
- ها، ها، أعيدوا!
- يَغْلِبُنِي الْـ= دن دددن
ـوَهَمُ كَيْفَ= دن ددن د
يَرْحَلُ مَحْـ= دن دددن
ـمُودُ وَكَيْـ= دن دن ددن
ـفَ الْمَنُونُ= دن ددن د
تَغْتَصِبُهْ= دن دددن
- طيب ننتقل الى الأداء الفردي، وبميسون نبدأ، لأنها رأس الفتنة!
- ههه!
- هي التي أفسدت علينا! ها، اقرئي "أَذَلِكَ الْوَجْهُ غَالَهُ رِيَبٌ أَذَلِكَ الْعَقْلُ تَنْطَفِي شُهُبُهْ"، معقول، أهذا يحدث! "كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ" -يا أخي!- صدق الله العظيم! ها، خَرِّجي، واضربي على الخشب وهو سُخْنٌ!
- أَذَلِكَ الْوَجْـ= ×
- خطأ!
- أَذَلِكَ الْوَجْهُ= ×
- خطأ!

- أَذَلِكَ الْ= ددن ددن
- جميل!
- وَجْهُ غَا= ×
- خطأ، طبعا خطأ!
- أَذَلِكَ الْ= ددن ددن
وَجْهُ غَالَهُ= ×
- خطأ! طيب، لحظة! ما رأيكم في أن نجعل للخطأ كذلك عقابا في اللقاء القادم: من أخطأ مرة أو مرتين أو ثلاثًا ينطلق الى الفضاء الواسع، ها!
- أَذَلِكَ الْ= ددن ددن
وَجْهُ غَالَهُ رِيـْ= ×
- والله! لم لا تكملين البيت كله في مرة واحدة، فترحينا، وتستريحي!
- دكتور، صعب!
- طيب! سأعيد عليك السابق، لتقيسي عليه اللاحق، تمام، ننتبه؟
يَغْلِبُنِي الْ= دن ددن
ـوَهْمَ كَيْفَ= دن ددن د
يَرْحَلُ مُحْـ= دن ددن
ـمُودٌ وَكَيْـ= دن دن ددن
ـفَ الْمَنُونُ= دن ددن د
تَغْتَصِبُهُ= دن ددن
ها، طبقي!
- أَذَلِكَ الْوَ= ×
- خطأ! "أَذَلِكَ الْ".
- أَذَلِكَ الْ= ددن ددن
ـوَجْهُ غَالَهُ= ×

- خطأ، "وَجْهُ غَالَ".
- أَذَلكَ الْ= ددن ددن
وَجْهُ غَالَ= دن ددن د
هُوَ رِيبٌ= دن دددن
أَذَلكَ الْ= ددن ددن
- أحسنت!
- عَقْلُ تَنْطَفِي= ×
- لا، "عَقْلُ تَنْطَ".
- عَقْلُ تَنْطَ= دن ددن د
فِي شُهُبُهْ= دن دددن
- جميل، سالمة!
- لِلتُّرْبِ يَا لَلْخِذْلَانِ يُخْلَقُ هَذَا الْخَلْقُ مَا جِدُّهُ وَمَا لَعِبُهْ
- إذا أسرعتم وأحسنتم خرجتم، وإلا بقينا إلى أن تطلع الشمس من مغربها، ها!
- لِلتُّرْبِ يَا= دن دن ددن
لَلْخِذْلَا= ×
- خطأ!
- لِلتُّرْبِ يَا= دن دن ددن
لَلْخِذْلَا= ×
- خطأ! وما الجديد؟ هو نفسه، أعيدي -زادت الأخطاء!- أعيدي!
- لِلتُّرْبِ يَا= دن دن ددن
لَلْخِذْلَانِ= دن دن دن د
- أحسنت! هذه هي مشكلتها، أنها سلمت، ألم أقل لكم: إذا سلمت لم نسلم! "لَلْخِذْلَانِ= دن دن دن د، مفعولات، سالمة".
- لِلتُّرْبِ يَا= دن دن ددن

لِلْخِذْلَانِ= دن دن دن د
يَخْلُقُ هَـ(ا)ـ= دن دددن
ذَا الْخَلْقُ مَا= دن دن ددن
جِدُّهُ وَمَا= ×

- خطأ!
- لِلتُّرْبِ يَا= دن دن ددن

لِلْخِذْلَانِ= دن دن دن د
يَخْلُقُ هَـ(ا)ـ= دن دددن
ذَا الْخَلْقُ مَا= دن دن ددن
جِدُّهُ وَ= دن ددن د
مَا لَعِبُهْ= دن دددن

- أحسنت! سارة، وإذا أسرعتم خرجتم!
- لِلتُّرْبِ يَا لَلْهَوَانِ يَخْلُقُ هَذَا الْخَلْقُ مَا حَظُّهُ وَمَا أَرَبُهْ

لِلتُّرْبِ يَا= دن دن ددن
لَلْهَوَانِ= دن ددن د
يَخْلُقُ هَـ(ا)ـ= دن دددن
ذَا الْخَلْقُ مَا= دن دن ددن
حَظُّهُ وَ= دن ددن د
مَا أَرَبُهْ= دن دددن

- اللّٰه، اللّٰه، أحسنت! مَنْ؟ راية؟ مَنْ؟ ذكرى؟ سامحيني، سأحفظ الأسماء، قد حفظت أكثر الأسماء، ها!
- مَحْمُودُ ضَلَّ السُّؤَالُ وَانْشَعَبَ الْفِكْرُ وَقَدْ زَادَ حِيرَةً شُعَبُهْ
- "حِيرة"! فيها خمس درجات، فيها طرد، مات فيها ناس هذه، مات فيها ناس، وهلكت أمم، طيب! "حَيْرَةً"، طيب، خرِّجي، واضربي على الخشب وهو سُخْن!

- مَحْمُودُ ضَـ= ×
- "مَحْمُودُ ضَـ"! وكيف نقرأ ما بعدها، إن شاء الله! "مَحْمُودُ ضَلْـ"، أعيدي!
- مَحْمُودُ ضَلْـ= دن دن ددن
ـلَ السُّؤَالُ= دن ددن د
وَانْشَعَبَ الْـ= دن دددن
ـفِكْرُ وَقَدْ= دن دددن
زَادَ حِيـ= ×
- خطأ!
- زَادَ حَيْرَ= دن ددن د
- أحسنت، أعيدي!
- مَحْمُودُ ضَلـ= دن دن ددن
ـلَ السُّؤَالُ= دن ددن د
وَانْشَعَبَ الْـ= دن دددن
ـفِكْرُ وَقَدْ= دن دددن
زَادَ حَيْرَ= دن ددن د
ةً شُعَبُهْ= دن دددن
- أحسنت، أحسنت! مَنْ، راية؟ تفضلي!
- فَهَلْ تَرُدُّ السُّؤَالَ أَحْسَبُهُ الْآنَ يَسِيرًا مَجْلُوَّةً سُحُبُهْ
- ها، اضربي على الخشب وهو سُخْنٌ!
- فَهَلْ تَرُدُّ= ×
- خطأ!
- فَهَلْ تَرُدُّ= ×
- خطأ! "فَهَلْ تَرُدْ".
- فَهَلْ تَرُدْ= ددن ددن

دُ السُّؤَالَ= دن ددن د

أَحْسَبُهُ= ×

- لا، "أَحْسَبُهُ الْ".

- أَحْسَبُهُ الْـ= دن دددن

آنَ يَسِيـ= دن دددن

ـرًا مُجَلِّو= ×

- ها! مشكلة هذه، سلمت فلم نسلم! "ـرًا مُجَلُّو= دن دن دن د، مفعولات، سالمة"!

- ـةً سُحُبُهْ= دن دددن

- أحسنت، مني!

- أَمْ إِنَّنَا وَاهِمُونَ لَا يَكْشِفُ الْمَوْتُ سُؤَالًا يَؤُودُنَا...

- وَصَبُهُ، أي عناؤه وتعبه، ها!

- أَمْ إِنَّنَا= دن دن ددن

وَاهِمُونَ= دن ددن د

لَا يَكْشِفُ الْـ= دن دن ددن

ـمَوْتُ سُؤَا= دن دددن

لًا يَؤُودُ= دن ددن د

نَا وَصَبُهْ= دن دددن

- البيت نفسه سهل، لم تفعل شيئا كثيرا، هو في نفسه سهل!

- هههه!

- أحسنت، أحسنت، أنوار -آه!- نورة!

- مَحْمُودُ أَنْـ= دن دن ددن

ـتَ السُّؤَالُ= دن ددن د

تَعْرِفُهُ= دن دددن

مَحْمُودُ أَنْـ= دن دن ددن

ـتَ الْجَوَابُ= دن ددن د

تَحْتَجِبُهْ= دن دددن

- أحسنت! وهذا البيت كذلك من نفسه يقطع بعضه بعضا! ابتسام، أنوار!

- أَيْنَ يَرَاعٌ كَالْبَرْقِ يَسْتَرِقُ الْغَيْبَ عَصِيًّا فَيَنْجَلِي غَيَبُهْ

- ها!

- أَيْنَ يَرَا= دن ددن

- "أَيْنَ يَرَا= دن دددن"، "أَيْنَ يَرَا= دن دددن"، "أَيْنَ يَرَا= دن دددن"!

- أَيْنَ يَرَا= دن ددن

- تسقطين ضربة، "أَيْنَ يَرَا= دن دددن"!

- أَيْنَ يَرَا= دن دددن، مستعلن، مطوية

عٌ كَالْبَرْ= ×

- لا، هذه سلمت؛ فلم نسلم! "عٌ كَالْبَرْقِ= دن دن دن د، مفعولات، سالمة"، "عٌ كَالْبَرْقِ= دن دن دن د، مفعولات، سالمة"، "عٌ كَالْبَرْقِ= دن دن دن د، مفعولات، سالمة"، سلمت، إذا سلمت لم نسلم!

- عٌ كَالْبَرْقِ= دن دن دن د

يَسْتَرِقُ الْغَيْـ= ×

- لا، "يَسْتَرِقُ الْـ".

- يَسْتَرِقُ الْـ= دن دن دن

- لا، "يَسْتَرِقُ الْـ= دن دددن"، "يَسْتَرِقُ الْـ= دن دددن"، "يَسْتَرِقُ الْـ= دن دددن"!

- يَسْتَرِقُ الْـ= دن دددن

ـغَيْبَ عَصِيْـ= دن دددن

ـيًّا فَيَنْجَـ= دن ددن د

ـلِي غَيَبُهْ= دن دددن

- ـلِي غَيَبُهْ= دن دددن

- ـلِي غَيْبَهُ= دن ددن

- أحسنت! مَنْ؟ مريم المقبالية من صُحار!

- يُشْعِلُ فِينَا الرِّيَاحَ عَاصِفَةً وَقَدْ تَهَاوَتْ بِحَائِرٍ طُنُبُهُ

- ها!

- يُشْعِلُ فِيـ= دن ددن

ـنَا الرِّيَاحَ= دن ددن د

عَاصِفَةً= دن ددن

وَقَدْ تَهَا= دن ددن

- لا، "وَقَدْ تَهَا= ددن ددن"، "وَقَدْ تَهَا= ددن ددن"!

- وَقَدْ تَهَا= ددن ددن

وَتْ بِحَا= ×

- لا، "وَتْ بِحَائِـ"!

- وَتْ بِحَائِـ= دن ددن د

ـرٍ طُنُبُهْ= دن ددن

- أحسنت البيان، وإن من البيان لسحراً! ها، من؟ تفضلي!

- أَيْنَ لِحَاظُ الْعِقَابِ لِلْأَبَدِ السَّاكِنِ لَا نَتَّقِيهِ تَجْتَذِبُهُ

- "العِقاب"! "العُقاب" الطائر الكاسر، أما "العِقاب" فالمعاقبة، ها، واضربي على الخشب وهو سخن!

- أَيْنَ لِحَا= دن ددن

ظُ العُقَابِ= دن ددن د

لِلْأَبَدِ السَّا= ×

- لا، "لِلْأَبَدِ السْـ".

- لِلْأَبَدِ السْـ= دن ددن

- لا، "لِلْأَبَدِ السْـ= دن ددن"، "لِلْأَبَدِ السْـ= دن ددن"، "لِلْأَبَدِ السْـ= دن ددن"!

- لِلْأَبَدِ السْـ= دن ددن

- عندك ضربة تضيع في الوسط، ها!
- لِلْأَبَدِ السْـ= دن ددن
- ها! طبعا يحتاج إلى سرعة، إلى سرعة فقط، لا تدريب؛ عليك ثلاث مرات بعد الأكل أن تحركي يدك عشر مرات: "دن ددن"، "دن ددن"، أو اجعليها "ددن"، لأنها أكثر الحركات المتوالية، بعد الأكل ثلاث مرات كل يوم "ددن" -إن شاء الله!- على مدار أسبوع تتقنيها منتهى الإتقان -إن شاء الله!- أعيدي!
- أَيْنَ لِحَا= دن ددن
- ها! سقطت؛ أرأيت؟ إذن بعد العشاء، ها!
- أَيْنَ لِحَا= دن ددن
- أحسنت!
- ظُ الْعُقَابِ= دن ددن د
- أحسنت!
- لِلْأَبَدِ السْـ= دن ددن
ـسَاكِنْ لَا= ×
- لا، ـسَاكِنِ لَا= دن ددن.
- ـسَاكِنِ لَا= دن ددن
- ها!
- تتَّقيه= دن ددن د
تَجْتَذِبُهُ= دن ددن
- لا تحتاج إذن إلى شيء بعد العشاء، يكفي بعد الإفطار والغداء! ها، ليس!
- يَهْرُبُ مِنْهَا الْبُغَاثُ يَخْتَانُهَا الرِّيشُ مَهِينًا يَصُونُهُ هَرَبُهْ
- يا سلام!
- يَهْرُبُ مِنْـ= دن ددن
ـهَا الْبُغَاثُ= دن ددن د

يَخْتَانُهَا الرْ= دن دن ددن

ـرِيشُ مِهَيـ= دن دددن

ـنًا يَصُونُـ= دن ددن د

ـهُ هَرَبُهْ= دن دددن

- اللهُ، اللهُ، مسعود!

- وَأَنْتَ بِيـْ= ددن ددن

ـنَ الزِّحَامِ= دن ددن د

لَا لَقَبٌ= دن دددن

يَحْمِيكَ إِنْ= دن دن ددن

حَاطَ هِيَّـ= دن ددن د

ـنًا لَقَبُهْ= دن دددن

- اللهُ، اللهُ! أحمد، من زمان لم تشارك، وختامه مسك، أحمد الناصري مسك الختام!

- مُؤْتَنِسًا= دن دددن

أَنْتَ بِالتَّـ= دن ددن د

- أحسنت!

- مُؤْتَنِسًا= دن دددن

- أَنْتَ بِالتَّـ= دن ددن د

- وَحُدَّ بِالْـ= دن دددن

- ـفَنِّ رَفِيـ= دن دددن

- ـعًا بِالْوُدّ= دن دن دن د

- تَحْتَقِبُهْ= دن دددن

- أحسنت، جميل! وأنا أعرف أنك تعرف، هذا أحمد الطروب بالفطرة! **هاء، ما قافيه البيت الأول؟**

أسرعوا، أسرعوا!

- كَذِبُهْ.

- ها، "كَذِبُهْ"، كذب!
- ـهُ كَذِبُهْ.
- أحسنت! هذا الصدق، هذا الصدق -سبحان الله!- ما قافية البيت الأول إذن؟ "ـهُ كَذِبُهْ". لماذا؟ عندك الساكنان: الهاء في الآخر، والواو غير المكتوبة بعد الهاء الأولى، بينهما الكاف المفتوحة، فالذال المكسورة، فالباء المضمومة، وقبلهما الهاء المضمومة، فهي إذن "ـهُ كَذِبُهْ"، ها!
- ـهُ رِيَبُهْ.
- ها!
- ـهَا لَهَبُهْ.
- ها!
- ـمِي صَبَبُهْ.
- ها!
- تَنْتَهِبُهْ.
- ها!
- ـنَا سَبَبُهْ.
- ها!
- ـمًا سَغَبُهْ.
- ها!
- ـنا عَجَبُهْ.
- ما شاء الله! طابقت التفعيلة؛ التقت القافية والتفعيلة على وزن، ها!
- ـفِي حُجُبُهْ.
- ها!
- تَغْتَصِبُهْ.
- ها!
- ـفِي شُهُبُهْ.

- ها!
- مَا لَعِبُهْ.
- ها!
- مَا أَرَبُهْ.
- ها!
- ةً شُعَبُهْ.
- ها!
- ةً سُحُبُهْ.
- ها!
- نَا وَصَبُهْ.
- ها!
- تَحْتَجِبُهْ.
- ها!
- ـلِي غَيَبُهْ.
- ها!
- ـرٍ طُنُبُهْ.
- ها!
- تَجْتَذِبُهْ.
- ها!
- ـهُ هَرَبُهْ.
- ها!
- ـنًا لَقَبُهْ.
- ها!
- تَحْتَقِبُهْ.

- أحسنتم! **فما أقوى المكررات؟** هل يجوز أن يكون الهاء؟ لا، لا يجوز. وهل تظل الهاء هكذا، مكتوبًا عليها ألا تكون يومًا ما حرفًا قويًّا! سأعلمكم بعد أسبوعين أو أسبوع، أنها تقوى إذا ضعف ما قبلها، إذا كانت قبلها ألف كما في "جناحاه" مثلا: "تَجِدْهُ كَالطَّيْرِ مَقْصُوصًا جَنَاحَاهُ"، قويت هي فكانت الروي! طيب، ما حركة هذه الباء؟
- مضمومة.
- هل قبلها ألف أو واو أو ياء ساكنات؟
- لا.
- هل قبل الذي قبلها ألف؟
- لا.
- هل بعدها مد أو هاء أو تاء أو كذا أو كذا؟
- هاء ساكنة.
- ينبغي أن نعتبر هذا كله، لماذا؟ لأننا سنحاكم إليه الشعراء، فنقول: أظهرتم أو أخفيتم، ووفقتم أو أخفقتم، وأحسنتم أو أسأتم. ها، ماذا نقول؟ من يقدم هذه البيانات كاملة، من؟ كاذية، تفضلي!
- هذه القصيدة منسرحية الأبيات الوافية.
- الوافية، نعم؛ فليست تامة، لأنكم ترون أنه طوى التفعيلتين الثالثة والسادسة، والتزم طيهما، فجرى الطي وهو زحاف مجري العلة، في حين أن "مستفعلن" الأخرى هنا وهنا، الأولى والرابعة، سلمت، وخبنت، وطويت؛ فلم تستو عنده التفعيلات إذن؛ فلا يستحق أن يسمى تامًّا، ولكنه واف، لأنه استوفى أعدادها، ها، هذه القصيدة إذن...
- منسرحية الأبيات الوافية المطوية العروض والضرب.
- أحسنت! على رغم أنه أفلتت منه "مستفعلن"، فسلمت مرة أو مرتين، لكنني أرى أن هذا من النشاز، لأن هذه الصورة معروفة بالطي في شعر العرب؛ فهذا من إفلات الإيقاع، ها!
- بائية القوافي المضمومة المجردة -أي المجردة من الردف ومن التأسيس- الموصولة بالهاء.
- الموصولة بالهاء الساكنة، ولابد من وصفها بأنها ساكنة. **بارك الله فيكم، وشكر لكم، وأحسن إليكم، والسلام عليكم!**

اَلْمُنَادَمَةُ الْعِشْرُونَ(١)

- **سلامٌ عليكم!**
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته!
- طبتم مساءً -يا أبنائي!- وطاب مسعاكُم إلينا! بسم الله -سبحانه، وتعالى!- وبحمدِه، وصلاةً على رسوله وسلامًا، ورضوانًا على صحابته وتابعيهم حتى نلقاهم! كيف حالكم؟ كيف أمسيتم؟
- الحمْدُ لله!
- للهِ الحمدُ والشكر! بارك الله فيكم، وشكرَ لكم، وأحسن إليكم، ويسّر لنا ولكم كلَّ عسيرٍ، وسهّل كل صعب! **اليوم نستمتع بتذوق قصيدة جديدةٍ نُفتّشُ فيها عن وزنٍ جديدٍ نزدادُه وقافيةٍ جديدةٍ. هذهِ قصيدةُ أبي همام عبد اللطيف عبد الحليم؛ الذي درسْنَا له من قبل مرثية أبي فِهْر.** نحن حريصون على تنويع القصائد والشعراء إلا إذا دعانا إلى غير ذلك داعٍ، وقد دعانا؛ فلأمرٍ ما اخترنا قصيدةً للرجلِ نفسِه الذي درسنا له القصيدةَ السابقةَ، أو حكمةٍ ما، فما هذه الحكمة؟ أنها القصيدة الوحيدة في كتابه "مقام المُنْسَرِح"، التي ليست من المنسرح، فكتابه كلُّه من المنسرح كما قلت لكم في اللقاء السابق -حتى إن أحمد عبد المعطي حجازي اقترح عليه أن يُسَمّيَه "مقام المنسرح"، فسماهُ- كلُّه من المنسرح إلا هذه القصيدة؛ فلماذا يا تُرى؟ لماذا؟ لابُدّ أنَّه يرى أنها كأنها من المنسرح، كأنها منسرحية؛ فلم يجِد فرقًا كبيرًا يدعوه إلى أن يستبعدها، وقصائدُه كثيرة، كتابُه هذا لقصائدِ المنسرح، سماه "مقام المنسرح"، لكي يدل على تَخَصُّصِهِ الشديد. فلماذا أضاف إليه قصيدة ليست من المنسرح؟ لابُدّ أنه يرى أنها كأنها من المنسرح، وهذا الذي سَنَخْتَبِرُه فيما يأتي. القصيدة لطيفة جدًّا، اسمها "رحلة الحروف"؛ فالرجل شاعرٌ معاصر يُعَنْوِنُ قصائدَه، تجدون لها عنوانًا

---

(١) رابط هذه المنادمة في قناتي اليوتيوبية:

https://www.youtube.com/watch?v=DHzT١h٥Ass٤&list=PL٠_bvBmuM٥ySq٦hXNd٤GWcNFIUaI٤uqCM&index=٢٠

وقد فرغها علي جمال، وراجعها له سيد سعيد.

واضحًا، هذا "رحلة الحروف"، ماذا يعني بـ"رحلة الحروف"؟ لابُدّ أنه يعني رحلته في نظم الشعر، لابد. بين الحين والحين تجدون الشاعر يكتب في معاناته الخاصة، بين الحين والحين يكتب في معاناته عند إبداع الشعر، وأنا قد اخترت لكم عُنوانًا لملف هذه المحاضرات، بيتين من شعرٍ لسويد ابن كُرَاعَ في معاناة قولِ الشِّعر، وكان هذا قديمًا شيئًا عجيبًا، لا يتكلم فيه الشعراء، أما الآن فأكثر الشعراء يتناولون هذا بين الحين والحين، وهذا أحدُهم أبو همام عبد اللطيف عبد الحليم أستاذُنا، الذي عَمِل بهذه الجامعة في أَوَائِلِهَا أربع سنوات. وعلى ذكر عمله هنا أذكر له قصيدة في ذمّ هذا العمل -هِهِه!- لا لأنه كره الجامعة، كيف وهو الذي قال لي: اذهب واعمل هناك، فالمكان طَيِّب، والناسُ طيِّبون، وكذا كذا، ولكن لأنه استثقل الأعباء الرتيبة، وهو الشاعر الطليق، فقال قصيدة في نَقْد دُولَاب العمل، اسمها "مرثِيَةُ أستاذ مُعَار"! ترى، ماذا يقول فيها؟ يَقُول:

"أَدْمَنْتُ لَوْنَ الرَّمْلِ دُونَ سَائِرِ الأَلْوَانْ
أَدْمَنْتُ لَوْنَ النَّقْد تَعْشُو نَحْوَهُ العَيْنَانْ
يَصْحَبُنِي الصَّبَاحُ نَحْوَ مَكْتَبِي فِي الجَامِعَةْ
أَسْتَقْبِلُ الأَصْحَابَ بِابْتِسَامَة مُخَادِعَةْ
أَرُوحُ نَحْوَ قَاعَةِ الدَّرْسِ بِنِصْفِ عَقْلِي
لَا بَاخِلًا بِهِ وَلَكِنِّي حَبَبْتُ جَهْلِي
لِأَنَّنِي أَدُورُ حَيْثُمَا يُرَادُ أَنْ أَدُورْ
تَحْتَرِقُ التُّرُوسُ لَكِنِّي بِلَا مَدًى أَسِيرْ"!

هذا ما قاله -هِهِه!- "أروح نحو قاعة الدرس بنصف عقلي"، وما بال النصف الآخر، يا أستاذ؟ "لا باخلًا به ولكني حببت جهلي"! لماذا؟ "لأَنِّني أدور حيث ما يراد أن أدور"، "تحترق التروسُ لكني بلا مدًى أسير"! ولم نكن أصلًا نتوقع من هذا الأستاذ أن يقبل أن يسافر إعارةً إلى أي مكان، لأنه لم يكن من طبيعته، حتى إنه لما هَمَّ بالسفر قلت له: أتسافر! -لم نكن ننوي أن نسافر إلى أي مكان!- فقال: وماذا أفعل؟ مرِضَ ابني، فعملت له أشعة بكذا جنيها -وذَكَر رقمًا كبيرًا، والمُرَتَّب هنا أكبر- فماذا أفعل؟ كان هذا جوابَه سنةَ سبعٍ وثمانين وتسعمئة وألف الميلادية، وهذه قصيدتُه! عاشَ هنا، وأَحَبَّ المكان والناس، أربع سنوات! يا أخي، شيء عظيم جدًّا أن يجلس

أربع سنوات، مثله لا يتحمل أربعة أشهر، فتحمُّلُه أربع سنوات معناه أنه أحَبَّ المكان والناس. ومنذُ جاء إلى هنا قَلَبَ الدُّنْيَا، له كتاب اسمه "شُعَرَاء عُمَان" أو كذا، هاجم فيه الشعراء، وقبل، ورفض، وأثنى، وذم، كان صريحًا جدًّا، قال في أحد شعراء عمان: أَدْخَلْتُهُ إِلَى الشُّعَرَاءِ لِأُخْرِجَهُ مِنْهُمْ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ! وَكَانَ من أحبابه طبعًا: هلال الحَجْرِيّ، ومحمد المحروقيّ، وشريفة اليحيائيّة، ومحمد المَعْشَنِيّ، كل هؤلاء وعبد الله الكِنْدِيّ كانُوا من أحبابه، افْتَتَنُوا بهذا الرَّجُلِ الجرِيء الصريح، صاحب المذهب، وإن خالفوه، هكذا يقول هلال: وإن خَالَفْنَاه، لَكِنَّنَا كُنَّا نجتمع على صدقه وأهميته وفضله. ماذا يقول؟ اسمعوا الكلام الجميل، اسمعوا كيف الكتابة؟ كيف يعاني نظمَ الشِّعر؟

من "رِحْلَةُ الحُرُوف"، لأبي همام عبد اللطيف عبد الحليم، في "مقام المنسرح":

١) "كُلُّ شَوْقنَا كَلِمٌ كُلُّ هَمِّنَا جَدَلُ
٢) أَحْرُفٌ مُقَطَّعَةٌ يرتَعِي بِهَا الْكَسَلُ
٣) لَا أَقُولُ كَاذِبَةٌ أَنْت بَلْ بِك الْبَخَلُ
٤) أَوْ تَخَوُّفٌ عَجَزَتْ دُونَ مَحْوِه الْحِيَلُ
٥) شَرَّدَتْك آسفَةً فِي ضَيَاعِهَا السُّبُلُ
٦) هَلْ أَرَاك مُقْبِلَةً زَانَ وَجْهَك الْجَذَلُ
٧) أَوْ أَرَاك يَصْرُخ فِيك الْإِحْجَامُ وَالْوَجَلُ
٨) أَنْت غَيْرُ واحِدَةٍ فِي الشُّخُوصِ تَنْتَقِلُ
٩) لَا يَرُدُّ غُرْبَتَهَا رُقْيَةٌ وَلَا عَمَلُ
١٠) قَدْ صَبَرْتُ مَا صَبَرَتْ مِنْ عَوَاصِفِي ذُلُلُ
١١) وَامْتَطَيْتُ جَامِحَهَا نَافِرًا وَلَا أَمَلُ
١٢) وَامْتَثَلْتُ صَاحَ بِي الْهَمُّ كَيْفَ تَمْتَثِلُ
١٣) مَا الْأَيَّامُ صَابِيَةً كَالْأَيَّامِ تَكْتَهِلُ
١٤) لَا تَرُعْك صِبْغَتُهَا كُلُّ صِبْغَةٍ دَخَلُ
١٥) وَارْتَحِلْ فَقَدْ رَحَلَتْ مِنْ شَبَابِهَا دُوَلُ"!

"كُلُّ شَوْقِنَا كَلِمٌ كُلُّ هَمِّنَا جَدَلُ"، كل شوقنا في الحياة، أيتكلمُ عن معشر الشعراء، أم يتكلم عن المثقفين؟ أم عن الناس على وجه العموم؟ تقولون تَكَلَّم حتّى أراك -وهذه كلمة أرسطو- تكلم حتى أراك، فإذا فتحت فاك عرفناك، فالكلام إذن شيء مهم جدًّا، نقيس به الأشخاص، نعرفهم، نقدرهم، لهذا كانت المقابلات الشخصية حتى نستمع إليهم، ونقدرَهم أقدارَهم. "كُلُّ شَوْقِنَا كَلِمٌ كُلُّ هَمِّنَا جَدَلُ"، ما الجدل؟ الحوار. يسمى الحوار جدلًا، لماذا؟ لأنه تجدل بكلامي وكلامك في الحوار جديلة، ضفيرة، ضفيرة من كلامي وكلامِك، ولا يجوز أن يسمى جدلًا إن لم يكن لك فيه مثلُ ما لي، إذا انفردت بالكلام لم يكن جدلًا، كيف يكون؟ من هنا كانت الجديلة، الضفيرة، الضفيرة تجدل فيها طاقتان، يسمونها الطاقة، هذه طاقة، والضفيرة من أكثر من طاقة، من ثلاث عادة، أو اثنتيْن على الأقل، إذَا كانَت وِتْرًا طبعًا كان أفضل، نعم!

- دكتور، هنا يوجه على معنى السلب؟
- لا يمتنع -"كُلُّ شَوْقِنَا كَلِمٌ كُلُّ هَمِّنَا جَدَلُ"- وسيأتي في هذه القصيدة كلام كثير، تستطيع أن توجّهَه على هذه الوجهة وعلى تلك. أنا حينما أتكلّم أتكلّم ما أُحِسُّ به الآن، ورُبَّما إذا أَعدت النظر غيرتُ الرأي، أو رجحتُ كلامك، وهذا يدل على أن الكلام يتحمل أن يوجه على هذه الوجهة، وعلى تلك، وأنا أرى أنّ الكلام الحَمَّال الأوجه كلام فيه من الإعجاز ملمح؛ فَمِنْ معاني الإعجاز كثرة التوجيهات التي يتحملها الكلام، لا عن عبث، بل عن خِصْب، وهذا في القرآن؛ في القرآن الكريم تتعدد التوجيهات أحيانًا، وهي التي تُفَرِّق بين المذاهب، يأخذ أحد المذاهب هذه الوجهة وغيره تلك الوجهة، لكن كُلُّ هذا في إطار العروبة، في إطار الاحتمالات. "كُلُّ شَوْقِنَا كَلِمٌ كُلُّ هَمِّنَا جَدَلُ"، هذا الكلام يوجه على السلب وعلى الإيجاب، على الخير وعلى الشر. "أَحْرُفٌ مُقَطَّعَةٌ يَرْتَعِي بِهَا الْكَسَلُ"، رُبّما قلت لي أنت: هذا البيت يؤيد معنى السلب، يا أستاذ! ولكن لماذا لا توجهه على أنه ساخط على حال الكسل التي يعيشها الآن، وأن القصيدة لا تواتيه؟ من كلام الفرزدق أنه كان يقول: أنَا أشعر تميم عند تميم، وربَّما جاء عليّ وقت وخَلْعُ ضرس أسهل عليّ من قول بيت شعر! وهو أشعر تميم عند تميم! والكلام في "رحلة الحروف" كما ترى؛ فالرجل يرجو أن ينطلقَ بالكلام، فما هذا الذي نراه؟ لابُدّ أنه غاضب على حال الكسل التي تنتاب حروفَهُ، أي تنتابه "أَحْرُفٌ مُقَطَّعَةٌ"، لا تتواصل، "يَرْتَعِي بِهَا الْكَسَلُ"، لا النشاط. ما هذا الغضب؟ "لَا أَقُولُ

كَاذِبَةٌ أَنْتِ بَلْ بِكِ الْبَخَلُ"، انظر كيف قال: بك البخل، ولم يقل: بخيلة، أي بك ملمح من ملامح البخل -والبَخَل هو المصدر: بَخِلَ يبخَل بَخَلًا، أمّا البُخْل فاسمُ مصدر كالحَزَن والحُزْن: حزِن يحزَن حَزَنًا، الحَزَن مصدر، والحُزْن اسم مصدر- أي أرى لك عملا من أعمال البَخَل لم أكن أحب أن أراه. "أَوْ تَخَوُّفٌ عَجَزَتْ دُونَ مَحْوِهِ الْحِيَلُ"، لهذا لا تطيعيني، لا تنطلقين على لساني! ها، لماذا لا تنطلقين؟ أبكِ بخل، أم تخوُّف؟ إما هذا وإما ذاك، إمّا أنّك بخيلة، إما أنك تَرَيْنَ بعض البخل رأيًا، ألَمَّ بكِ مُلِمٌّ من البخل، وإمّا أنّك خائفة. "شَرَّدَتْكِ -يُمْعِن- آسِفَةً فِي ضَيَاعِهَا السُّبُلُ"، ما الأسف؟ الأسفُ الحَزَن. شرَّدَتْكِ آسفةً حزينةً في ضياعها السبل. من هذه الحزينة؟ آلأحرف أم السُّبُل؟ ها! منكم من سيرى أن الأحرف هي المُشَرَّدَة الحزينة، لكن أيلائم هذا أن تمتنع منه كسلًا، أو بخَلًا، أو تخوفًا؟ أيلائم هذا ذاك؟ وجه طبعًا قويّ -أو ربّما كان الأقوى- أن تكون هي الحزينة، لكن احتمال أن تكون السبل هي التي تشردها وهي حزينةٌ أنها تشردها، تفعل بها هذا وهي حزينةٌ أنها تفعله، وَجْهٌ وارِد، ومن جمال الكلام أن يحتمل هذا وذاك. "هَلْ أَرَاكِ مُقْبِلَةً زَانَ وَجْهَكِ الْجَذَلُ"، ما الجذل؟ الفرح الشديد. هل سيحدث هذا يومًا من الأيام؟ أو "أَوْ أَرَاكِ يَصْرُخ فِيكِ الْإِجْآمُ وَالْوَجَلُ"؟ كأنه يصنّفُ، ينوّعُ الأحوالَ التي تكون عليها، فكانت تأتيه مرة جذلَى، وتأتيه مرةً وَجِلَى، تأتيه مرَّةً مقبلةً جذلى، ومرةً مُجحمةً وجلى، فيُحبُّها في هذه الحال، كما يُحبُّها في تلك. "أَنْتِ غَيْرُ وَاحِدَةٍ فِي الشُّخُوصِ تَنْتَقِلُ"، أنت غيرُ واحدة، أنت صاحبة أحوال، تبدين في كل حال شخصًا آخر، "أَنْتِ غَيْرُ وَاحِدَةٍ فِي الشُّخُوصِ تَنْتَقِلُ"، "لَا يَرُدُّ غُرْبَتَهَا رُقْيَةٌ وَلَا عَمَلُ"، إذا برحَت وتركتنا، لم يفُلح في إعادتها إلينا شيء، لا رُقية نرقيها بها، جَلَا جلا، جلا جلا:

"أَنَا ابْنُ جَلَا وأيُّ جَلَا جَلَا عَنِّي جَلَا الْأَجَلَا
أَظَلُّ هَنَاكَ تَحْتَ الْأَرْضِ أَرْقُبُ مَنْفَذِي وَجَلَا
فَيَبْعَثُنِي فَأَنْفُذُ ثُمَّ أَعْجَبُ مَا الَّذِي حَصَلَا"!

ليست هناك رُقية، نرقِي بها الحروف لنقول القصيدة، ليست عندنا رقية، على رغم أن للفنانين عادات تحمّسهم للإبداع، يقال لك: فلان مثلًا يسمع كذا، يأكل كذا، يخرج إلى المتنزهات. كان أبو تمام يوصِي البحتري: افعل كذا وكذا، إذا أردت أن تقول فافعل كذا، قُمْ قَبْلَ الفجر في السحَر، والبطن خفيف من الطعام، والجو خفيف من الزحام، واخرج إلى كذا! هناك جَوَالِب

ربما تُعَدّ في هذا، لكنّ الرجل يتكلم عن الحقيقة، إن لم تكُنْ قديرًا لم توافقك الحروف. "لَا يَرُدُّ غُرْبَتَهَا رُقْيَةٌ وَلَا عَمَلُ"، أمّا الرقية فقد عرفناها، نرقيها بالكلام ليحدث ما نريد، وأما العمل فَفِعْلٌ مُعَيَّنٌ شبيه بالسِّحر والحُرُوز كما تقولون، أفعال معينة: هات لي ذيلَ سمكة مُطَلَّقَة، ومنقار ديك غَريب، أو مظلوم، أو مهجور -ها!- أشياء عجيبة -يا أخي!- هات كل هذا، واطْحَنْهُ، وانْثُرْهُ مثلًا في مكان الكتابة، تنطلق لك القصيدة، إن شاء الله! "قَدْ صَبَرْتُ مَا صَبَرَتْ مِنْ عَوَاصِفِي ذُلُلُ"، ما إعربُ "ما"؟

- ظرفية.
- أحسنتِ! ظرفيةٌ زمانية، أي قد صبرتُ طَوالَ صبر عواصفي الذُّلُل، طوال صبر الذلل من عواصفي، كلمة "عواصف" أصلًا لا تلائم الذِّلَّة طبعًا، "عواصف" جبارة في العادة، لكنه قال: أستطيع أحيانًا أن أهدِّئَ من غضبي، حتّى تأتي إليّ -يا حروفي!- ولم تأتي! "قَدْ صَبَرْتُ مَا صَبَرَتْ مِنْ عَوَاصِفِي ذُلُلُ"، ما صيغة "ذُلُل" هذه؟ فُعُل، ما هي في الصرف؟ ما هي؟ مفرد أم جمع؟
- جمع.
- ما مفرده؟
- ذليل.
- ذليل! خطأ.
- ذلّة.
- ذلّة! خطأ.
- ذُلّ.
- ذُلّ! خطأ.
- ذُلّة.
- خطأ! ذَلُول؛ ذَلُول ذلُل، غَفور غُفُر، صَبور صُبُر. هذا جمع فَعُول ذَلُول، ذَلَّ فهو ذَلُول، الرجل ذَلُول، والمرأة ذَلُول، والشيء المؤنث ذَلُول، والشيء المذكر ذَلُول، صيغة واحدة لهذا وذاك، وجمعها ذُلُل. "قَدْ صَبَرْتُ مَا صَبَرَتْ مِنْ عَوَاصِفِي ذُلُلُ"، وهذا غريب في العواصف، فالعواصف جامحة. "وَامْتَطَيْتُ جَامِحَهَا -جاء كم الجُمُوح- نَافِرًا وَلَا أَمَلُ"، معي يا أمل، ولا أملُ، أي فعلت كل شيء

حتى تأتِيَ حروفي ولا تأتي. "وَامْتَثَلْتُ صَاحَ بِيَ الْهَمُّ كَيْفَ تَمْتَثِلُ"، خَضَعْت، عندك إذن صبر وجرأة وامتثال. طيب! ما فرق ما بين الامتثال والصبر؟ صبرْت: صبرتُ عليها، لكن امتثلت: امتثلت لها، الامتثال الطاعة، والصبر الموافقة، هذا غير ذاك. "وَامْتَثَلْتُ صَاحَ بِيَ الْهَمُّ"، سبق أن ذكر الهَمَّ في البيت الأول، "كُلُّ هَمِّنَا جَدَلُ"، "هَمّ" هذه تستعمل هذه الأيام -ها!- فما الهم هذه الأيام؟ الهم عنده...

- المصيبة.
- لا، تستعمل كلمة هَمّ بمعنى المسؤولية، يحمل هموم الناس على أكتافه، له هم، له مشروع يعيش له، ما همك هذه الأيام؟ همِّي كذا، أنا أعمل من أجل كذا. "وَامْتَثَلْتُ صَاحَ بِيَ الْهَمُّ (الذي أحمله) كَيْفَ تَمْتَثِلُ"، كيف تخضع؟ كيف تُطيع؟ كيف تقبل ما أنت عليه؟ كيف تقبل ألَّا تأتيك الحروف؟ عليك أن تنتزعها من مكامنِها، لا تنتظر أن تأتيك؛ فإن الشعر ملكيُّ الطبع -هكذا يقولون!- لا يُعطيك بعضَه حتى تُعطيَه كلك، ماذا أفعل؟ ماذا أفعل؟ "مَا الْأَيَّامُ صَابِيَةً كَالْأَيَّامِ تَكْتَهِلُ"، سعيد أنت بشبابك؟ سعيد بأيامك الأولى التي كنت فيها تحفظ كل شيء، وتقول كل شيء؟ خذ، اغتنم خمسًا قبل خمس، اغتنم شبابَك قبل هرَمك! بعض الناس يقولون: هرِمك، خطأ. عندنا في مصر يتحرجون من أن يقولوا هَرَم، لأنها تُذَكّر بالهَرَم الأكبر، فيغيرون الكلمة، يقولون: الهِرَم؛ فانظروا إلى أثر طبيعة المجتمع، إلى أثر الحال الخاصة، عندهم الهِرَم، يخاف الواحد منهم أن يقول: آه؛ بلغت أقصى الهَرَم، خشية أن يُسخر منه: قمة الهرم الأكبر! لا، هي الهَرَم طبعًا، وربما سمَّوْا بها الهرَم، لأنه قديم جدًّا، قال فيه شوقي أمير الشعراء:

"أَيَا لِدَةَ الدَّهْرِ لَا الدَّهْرُ شَبَّ وَلَا أَنْتَ جَاوَزْتَ حَدَّ الصِّغَرْ"!

أي يا أخا الزمان، لا الزمان تغير ولا أنت، "مَا الْأَيَّامُ صَابِيَةً كَالْأَيَّامِ تَكْتَهِلُ"، ما إعراب صابية؟

- حال.
- حال، فمن أي شيء؟
- من الأيام.
- من "الأيام"، فما إعراب "الأيام"؟
- مبتدأ.

- مبتدأ، ومجيء الحال من المبتدأ مشكل عند النحويين، ولكنه يحدث. وهذا دليل من الأدلة. "مَا الْأَيَّامُ صَابِيَةً"، في حال الصبا "كَالْأَيَّامِ تَكْتَهِلُ"، في حال الكهولة. لم تقرؤوا كلمة "صابية" من قبل طبعًا، ولا كلمة "تكتهل"، وهذا الرجل من المشغوفين بتفجير اللغة بإحياء المهجور، مُغرم بهذا، في شعره وفي نثره، هو ومن جرى مجراه من الشعراء. "مَا الْأَيَّامُ صَابِيَةً كَالْأَيَّامِ تَكْتَهِلُ"، طيب، ماذا تريد؟ "لَا تُرُعْكَ صِبْغَتُهَا كُلُّ صِبْغَةٍ دَخَلُ"، هذا الذي أريد. ما الدَّخَل؟ ها! العيب، ومنه قولهم في المثل: "تَرَى الْفِتْيَانَ كَالنَّخْلِ، وَمَا يُدْرِيكَ مَا الدَّخْلُ"! لكن المثل سكَّن الخاء من أجل البديع، وإلا قال -ولاسيما في عمان!-: "تَرَى الْفِتْيَانَ كَالنَّخَلِ، وَمَا يُدْرِيكَ مَا الدَّخَلُ"! هكذا تقولون في عمان، في "نَخَل" وما أشبهها من الثلاثي، وعندكم ولاية "نَخَل". هذا تعليق طريف حقا، لو أتيح لي أن أكتب لقلت هذا: لو قاله عماني لعكس: "تَرَى الْفِتْيَانَ كَالنَّخَلِ، وَمَا يُدْرِيكَ مَا الدَّخَلُ"، أي ما العيب؟ كما تقولون في المثل عندكم: "شِيفَة شِيفَة والمعاني ضَعِيفَة"، أهو من أمثال الأطفال؟ عادي؟ كلما قلته ابتسم الشباب، فأُحِسّ أنني وقعت في مشكلة، أهو من أمثال النساء؟
- لا.
- طيب، لماذا أغمضت عينك كأنني قلت إدًّا من القول؟ طيب! عندنا في المصرية يقولون: "مِن بَرَّا هالله هالله...
- وِمِنْ جُوَّا يِعْلَمَ اللهْ!
- وعندكم هذا، لكن تقولون: من داخل؟
- نعم.
- نقول: من جُوَّا، "مِن بَرَّا هالله هالله، وِمِنْ جُوَّا يِعْلَمَ اللهْ"! ترى الفتيان كالنخل -ما شاء الله!- الواحد كأنه نخلة، وما يدريك ما الدخل؟ كان عندنا هنا شاب عماني جميل -ها!- كان -ما شاء الله!- طويلًا عريضًا، كأنه مصارع، قالوا: هذا يعيش بِرِئَة واحدة، سبحان الله! طول بعرض - نتمنى أن تكون لنا عيونه الحادة- هذا الفتى الشاب يعيش برئة واحدة، سبحان الله! "ترى الفتيان كالنخل وما يدريك ما الدخل". "لَا تَرُعْكَ صِبْغَتُهَا"، في شبابها، أو في كهولتها. ما سِنّ الكهولة؟ متى يبدأ ومتى ينتهي؟ ها؟
- من خمسة وثلاثين لخمسين.

- تبدأ الكهولة من الأربعين، يقول فيصل: من الخامسة والثلاثين، وهذا على أية حال أحسن مما يظنه الناس، يظنون أنها تبدأ من الخمسين، هذا خطأ شائع، هذه الشيخوخة، يخلط الناس الكهولة بالشيخوخة، يظنون الكهولة هي الشيخوخة، خطأ، الكهولة قبل الشيخوخة، أي بعد الاشتداد مباشرةً، يدل عليها اسمها، كهولة: كَهْ كَهْ كهولة، من الأصوات حقا -يا جماعة!- حينما يبدأ في "كَهْ" هذه، حينما يتحمل الأثقال يقول: "كه" تبدأ الكهولة، والشيخ طبعًا يَخِرّ: نخخ، يخر يخر على الأرض! أما صاحبنا فحين يبدأ عند حمل الأثقال -ها!- يصدر صوتًا يعبر عن استثقاله! "لَا تَرُعْكَ صِبْغَتُهَا كُلُّ صِبْغَةٍ دَخَلُ"، ها، فماذا أفعل؟ "وَارْتَحِلْ"، سافر! و"سافر" هذه عامة، أي غيِّر حالك، تريد أن تبدع؟ فَكُلْ إذن غير الطعام الذي تأكل، واشرب غير الشراب الذي تشرب، والبس غير اللباس الذي تلبس، واركب غير الركاب الذي تركب، واسكن غير السكن الذي تسكن، وتزوج غير الزوج التي تزوجت -ههه!- غير العتبة، قال له: غير العتبة! إن شاء الله فستقول كل يوم قصيدة -آه لو سمعت زوجي هذا!- "وَارْتَحِلْ فَقَدْ رَحَلَتْ مِنْ شَبَابِهَا دُوَلُ"، لو قلت لها هذا لقالت باللهجة المصرية: وأنا كمان محتاجة أغيَّر، واحدة بواحدة، ها! لكن المعنى على أية حال جميل، أعرف أكثر من واحد، غيَّر، فأبدع، سافر من مكان إلى مكان، فأبدع، وأنا من هؤلاء أصلًا، جئت إلى عمان، فسمعت ما لم يخطر لي أن أسمع، وحاضرت ما لم يخطر لي أن أحاضر، وقرأت ما لم يخطر لي أن أقرأ، وكتبت ما لم يخطر لي أن أكتب! هذا مطلوب -يا جماعة!- غيِّر، غيِّر المكان، غيِّر، غيِّر، وارتحل! اغتربْ تَجَدَّد، واقتربْ تَبَدَّد! والدُّوَل جمع الدَّوْلة؟ المفروض أن تكون جمع "دُولة": دُولَة دُوَل، والدُّولة أصلًا المتداوَل، تُستعمل في جمع دَوْلة -نعم- لكن على غير قياس، ففَعْلَة لا تجمع على فُعَل، إلّا شذوذا، أما دُوَل فالمفروض أن تكون جمع دُولة -غُرْفة غُرَف، حُجْرة حُجَر، فُعْلَة فُعَل- هذا المعروف، هي إذن الأشياء المتداولة، ينفعنا أن نستحضر هذا المعنى، الأشياء تتغيَّر -يا أخي!- تحول، فتَحوَّل كما تحول! **هذا الكلام سهل لا يحتاج إلى منافسة، لا منافسة في هذه القصيدة، لكن سنأتي بعد قليل إلى المنافسة، لأنَّنا في هذا اللقاء سنأخذ قصيدتين، دخل الوقت دخل الوقت فلا وقت؛ فلهذا سنتجاوز المنافسة في هذه القصيدة لننافس في التي بعدها مباشرة؛ فمن يقرأ من غير منافسة؟** نريد أن نستمع إلى من لم نستمع إليه، هناك ناس

منعتهم المنافسة، وهم قديرون، لكنهم غلَّبوا العقل، قالوا: لماذا نُورِّط أنفسنا؟ الصمت حُكْم، أي حكمة! من الذي لم يقرأ من قبل أصلًا -ها!- قطعًا؟ ها، قرأتِ من قبل؟ ذكريني اسمكِ؟ ها؟

- أزهار.
- تفضلي -يا أزهار!- الكلام جميل وسهل، ولا بأس عليك!
- كُلُّ شَوْقنَا كَلِمٌ كُلُّ هَمِّنَا جَدَلُ

أَحْرُفٌ مُقَطَّعَةٌ يَرْتعِي بِهَا الْكَسَلُ
لَا أَقُولُ كَاذِبَةٌ أَنْت بَلْ بِك الْبَخَلُ
أَوْ تَخَوُّفٌ عَجَزَتْ دُونَ مَحْوِه الْحِيَلُ
شَرَّدَتْك آسفَةً فِي ضَيَاعِهَا السُّبُلُ
هَلْ أَرَاكِ مُقْبِلَةً زَانَ وَجْهَك الْجَذَلُ
أَوْ أَرَاكِ يَصْرُخُ فِيك الْإِحْجَامُ وَالْوَجَلُ
أَنْت غَيْرُ وَاحِدَة فِي الشُّخُوصِ تَنْتَقِلُ
لَا يَرُدُّ غُرْبَتَهَا رُقْيَةٌ وَلَا عَمَلُ
قَدْ صَبَرْتُ مَا صَبَرَتْ مِنْ عَوَاصِفِي ذُلَلُ

- ها! "مِنْ عَوَاصِفِي...
- قَدْ صَبَرْتُ مَا صَبَرَتْ مِنْ عَوَاصِفِي ذُلُلُ

وَامْتَطَيْتُ جَامِحَهَا نَافِرًا وَلَا أَمَلُ
وَامْتَثَلْتُ صَاحَ بِيَ الْهَمُّ كَيْفَ تَمْتَثِلُ
مَا الْأَيَّامُ صَابِيَةً كَالْأَيَّامِ تَكْتَهِلُ
لَا تَرُعْكَ صِبْغَتُهَا كُلُّ صِبْغَةٍ دَخَلُ
وَارْتَحِلْ فَقَدْ رَحَلَتْ مِنْ شَبَابِهَا دُوَلُ

- الله الله، يا أزهار، فلماذا إذن لا تشاركين؟ إيقاعك سريع، اهدئي قليلا! لكن قراءتك طيبة، ما شاء الله! يبدو أنها كانت ترى ما كنّا نفعله لعب أطفال، فكأنها قالت لنفسها: لعب أطفال، وأنا لا أشارك في ألعاب الأطفال! على رغم أنها نافعة جدًّا، لأنها أثارت الطلاب إلى تجهيز القصائد،

إلى الاشتداد في الإتقان، بدليل أن أكثر المشاركين من الممتازين جدًّا، الذين حصلوا على أرفع الدرجات، حاولي إذن أن تخيلي هذا العمل على أحسن ما يمكن، حتى نستفيد منه جميعًا، بارك الله فيك! **نكتب البيتين الأولين على السبورة، بسم الله!**

كل شوقنا كلم كل همنا جدل

أحرف مقطعة يرتعي بها الكسل

معقول هذا الكلام القصير، ما هذا البحر القصير! لو أني أعرف أن البحر قصير جدا...!

كُلُّ شَوْقِنَا كَلِمٌ كُلُّ هَمِّنَا جَدَلُ

لا تنسوا أن فيصلا وجَّه الكلامَ على الذم، ووجهناه على المدح!

أَحْرُفٌ مُقَطَّعَةٌ يَرْتَعِي بِهَا الْكَسَلُ

هل يريد هذا الكسل؟ لا يريده، هو يريد أن ينشط، لا أن يكسل؛ فهو إذن يرجو أن تطاوعه الحروف، لا أن تعانده!

أَحْرُفٌ...

وأحرف جمع قلة، وجمع الكثرة حروف، حتى الأحرف يرتعي بها الكسل.

... مُقَطَّعَةٌ...

ولهذا هي أحرف مقطعة.

... يَرْتَعِي...

يرتعي يرعى، كما نقول: رعى جسمَه المرضُ. "يرتعي" مبالغة في "يرعى"،

... يَرْتَعِي بِهَا الْكَسَلُ

يا سلام! هو يريد أن ينشَط إذن، لا أن يكسَل -يقال: كسِل يكسَل، ها!- يريد أن ينشط لا أن يكسَل، معنى هذا أنَّ تعلق شوقنا بالكلم تعلقٌ شريف، أن تعلق همنا بالجدل تعلق شريف؛ "وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ"، صدق الله العظيم! كيف نغني هذين البيتين؟ أسهل غناء:

كُلُّ شَوْقِ| نَا كَلِمٌ| كُلُّ هَمْ| مِنَا جَدَلُ

أَحْرُفٌ مُ| قَطَّعَةٌ| يَرْتَعِي بِ| هَا الْكَسَلُ

يا سلام، جميلة -ها!- جميلة، مرة ثانية:

كُلُّ شَوْقِـ| ـنَا كَلِمٌ| كُلُّ هَمِّـ| ـنَا جَدَلُ
أَحْرُفٌ مُـ| ـقَطَّعَةٌ| يَرْتَعِي بِـ| ـهَا الْكَسَلُ

الله الله، جميل، يا أخي! لكنّني حين أكلمك عنه بعد قليل، أكشف لك أنه قليل الاستعمال! يا أخي، الناس لا يسمعون مثلما نسمع، ولا يغنون مثلما نغني! ولو سمعوا وغنوا ما تركوا هذا! طيّب نُنْزِل هذا على الصفحة، الله الله الله! الواحد يقدم بالأوبرا فيما بعد، نعود إلى الأحمر، و"الحُسْن أحمر" -وهذا مثل قديم-:

- كُلُّ شَوْقِـ=...
- دن ددن د
- أحسنت!
- كُلُّ شَوْقِـ= دن ددن د
- ـنَا كَلِمٌ=...
- دن ددن.
- غنّي، غني كل مرحلة، لكيلا تخطئي!
- ـنَا كَلِمٌ= دن دددن
كُلُّ هَمِّـ= دن ددن د
ـنَا جَدَلُ= دن دددن
- طيب! تدعي ابنتنا أن "دن دددن"، "مستعلن"، وسنقبل دعواها، "مستعلن"، وهذه مطوية، لأن الطي حذف ساكن السبب الخفيف متى كان رابع حرف، والفاء التي في "مستفـ|علن"، هي الرابع؛ "مسـ" اثنان، "ـتفـ" الفاء الرابع، حذفناها، فطوينا التفعيلة؛ فالتفعيلة مطوية، ورمزها لدينا "ط"، إذا أحببنا أن نرمز؛ فماذا ستقول ابنتنا هذه في "دن ددن د"، يا تُرى؟
- فاعلاتُ.
- فاعلاتُ! "فاعلاتُ" هذه في الرمل نقبلها، في الخفيف نقبلها، لكننا هنا لا نقبلها، لأن الرمز هنا "مَفْعُلاتُ"، وهي مطوية كذلك. ما هذا، يا أستاذ؟ **هذا بحر المقتضب، والبيت منه "مفعولات مستفعلن مستفعلن"، مرتين هذا هو.** ما هذا، يا أستاذ؟ هذا بحر جديد، "لَوْ أَنِّي أَعْرِفُ أَنَّ الْبَحْرَ

[قَصِيرٌ] جِدًّا [مَا أَجْمَتْ]"! "مفعولاتُ": "مف": سبب خفيف، "عو": سبب خفيف، "لات": وتد مفروق، عرفناها في السريع، وعرفناها في المنسرح، وهي هنا مثلها هناك. و"مستفعلن" مثلها في الرجز: "مس": سبب خفيف، "تف": سبب خفيف، "علن": وتد مجموع، هذه معروفة. وبحر المقتضب قليل الاستعمال على رغم هذه اللطافة، سبحان الله! ألا يشعرون بهذه اللطافة! وقد بلغنا أن فتاةً كانت تغني النساء داخل خيمة في عرس أيام رسول الله -صلى الله عليه، وسلم!- فكأنه مر، فسمعها تقول:

"هَلْ عَلَيَّ وَيْحَكُمَا إِنْ لَهَوْتُ مِنْ حَرَجِ"!

فقال: "لَا حَرَجَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ"! ههه! لَهْوٌ مباح، ما المشكلة!

هَلْ عَلَيَّ= دن ددن د، مفعلات، مطوية

وَيْحَكُمَا= دن dددن، مستعلن، مطوية

إِنْ لَهَوْتُ= دن ددن د، مفعلات، مطوية

مِنْ حَرَجِ= دن ددن، مستعلن، مطوية

شيء في منتهى اللطافة، فلماذا لم ينتشر، ولم يشتهر؟ في المحاضرة القادمة -إن شاء الله!- سننتهي إلى إحصائية استعمال البحور على مدار التاريخ، من خلال الموسوعة الشعرية التي صدرت عن مجمع أبي ظبي الثقافي، وهي موجودة متاحة، تداولناها أولًا بالأقراص، وأظن أنكم الآن يمكنكم أن تحملوها عن الإنترنت، لكنها ذات إصدارين: إصدار سنة ثلاث وألفين، وإصدار ما بعدئذ، الذي عندي الأول فقط مع الأسف، فيها ستة عشر ألف قصيدة فقط، وفيما بعد زادوا القصائد، حتى وصلوا بأبياتها إلى أكثر من ستةِ ملايين ونصف تقريبًا، فزادت جدًّا، وقوِيَ الاستشهاد. طيب! إيقاعٌ لطيف جدًّا. في إحدى أماسي عام ١٨٩٧ الميلادي، ذهب أحمد شوقي أمير الشعراء إلى حفل بدار الأوبرا المصرية أو بقصر السلطان -كانوا يسمونه الخِدِيوِي- ويبدو أنها كانت حفلة راقصة ماجنة معربدة، فرجع منها، فكتب قصيدة طويلة من هذا الوزن، أتصدقون! راجعوا ديوانه! يقول:

"حَفَّ كَأْسَهَا الْحَبَبُ...

يتكلم عن الخمر، وربما لم يشربها، وهكذا الشعراء، "يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ"، صدق الله العظيم! سمعت في بعض ما كنت أحضر من مجالس الأدب إحدى الصحفيات تقول -وكانت امرأة مسنة-: لو كان طعم الخمر طيبا لشربناه! فحكيت ما قالت في مجلس آخر، فقال بعض من فيه ممن صار له بعدئذ شأن في قيادة المؤسسة الثقافية: لا، بعضها طعمه طيب! أهكذا! عافانا الله وإياكم! ماذا قال شوقي أمير الشعراء؟

"حَفَّ كَأْسَهَا الْحَبَبُ فَهْيَ فِضَّةٌ ذَهَبُ
أَوْ دَوَائِرٌ دُرَرٌ مَائِجٌ بِهَا لَبَبُ
أَوْ فَمُ الْحَبِيبِ جَلَا عَنْ جُمَانِهِ الشَّنَبُ"!

قصيدة طويلة؛ فأين الشعراء عن هذا الوزن اللطيف؟ ما الذي نفّرهم؟ أذواق، أذواق العصور، هذه أذواق العصور. كانوا من أنصار الأوزان الرزينة الطويلة "فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن"، البيت الذي يحتاج إلى عرض صفحة كلها، أما هذا فيقولون: ما هذا! هذا من أوزان أشعار أطفال، طيب! نكمل: "كُلُّ هَمِّ= ددن ددن د، مفعلات، مطوية"، طبعًا -طيب!- سؤال: لو كانت "فاعلاتُ" فكيف كان سيكون وصفُهَا؟ سالمة؟

- نعم.
- خطأ! مكفوفة، "فاعلاتُ" في الرمل أو الخفيف، "فاعلاتُ" من غير النون فقط، هذا كف، ما الكف؟ حذف ساكن السبب الخفيف متى كان سابع حرف في التفعيلة، لكنّها هنا مطوية -سبحان الله!- "دن ددن د"، إذا كانت "مفعولاتُ" كانت مطوية، وإذا كانت "فاعلاتُ" كانت مكفوفة، وإذا كانت كذا كانت كذا! طيب، "نَا جَدَلُ= دن دددن، مستعلن، مطوية" -ما شاء الله!- البيت كله مطويّ، القصيدة كلها مطوية، هكذا ستجدونها إلا نادرًا، هكذا ارتاح الشعراء، تأملوا! البيت من بحر المقتضب في نظر الخليل "مفعولات مستفعلن مستفعلن"، "مفعولاتُ" كما قلنا، و"مستفعلن" كما قلنا، وهذه مثل السابقة -تمام؟- لكن هذا كله نظر، لا تطبيق له، لم يحدث في واقع الشعر أن نَظَم الشعراء من بحر المقتضب على "مفعولات مستفعلن مستفعلن مفعولات مستفعلن مستفعلن"؛ فما هذا الوضع إذن؟ وضع نظريّ، في دوائر الخليل النظرية، أمّا الواقع فغير

ذلك! البيت من المقتضب في نظر الخليل في بنائه النظري إذن مُسَدَّس، لكنه في واقع الشعراء مُرَبَّع، فكيف يربط الخليل بين النظر والعمل؟ يقول: هذا...

- مجزوء.
- مجزوء. ما الجَزْء؟ علّة شديدة، فيها نحذف تفعيلة من آخر كِلَا شطري البيت، لا من أولهما. طيب! شطر البيت من المقتضب قبل الجَزْء "مفعولات مستفعلن مستفعلن"، وكان شطر البيت من المنسرح "مستفعلن مفعولات مستفعلن"، فقدّمنا، وأخرْنا، كأننا نلعب بالمكعبات -وبيت السريع "مستفعلن مستفعلن مفعولات"- وكلما قدمنا وأخرنا أخرجنا بحرا! وبحر المقتضب من الدائرة الرابعة، دائرة المشتبه؛ فهو إذن بحر مشتبهي، من بني المشتبه، أصل البيت (أصله النظري)، أن يكون على هذه التفعيلات الست "مفعولات مستفعلن مستفعلن مفعولات مستفعلن مستفعلن"، لكن هذا كله في عقل الخليل، لا في عمل الشعراء؛ لماذا؟ أما جواب "لماذا كان هذا هكذا في عمل الشعراء؟"، فأنه هو ما ارتاحوا لإيقاعه! وأما جواب "لماذا كان هذا هكذا في عقل الخليل؟"، فأنه هو ما اقتضته علاقة أبحر الدائرة الواحدة بعضها ببعض! فقد دلّ بعضُها الخليلَ على بعض، فلما جمع الإخوة في الأسرة تبين له أنه لابُدّ أن يكون المقتضب على هذا. كيف يا أستاذ؟ كيف تقول هذا؟ ولم يحدث هذا في شعر الشعراء. يقول لك: لم آت بشيء من عندي؛ هذه الأبحر إخوة لأب وأم، السريع والمنسرح والخفيف...، ولابد إذا خضعت للبنيان النظري أن أقول: البيت من المقتضب "مفعولات مستفعلن مستفعلن مفعولات مستفعلن مستفعلن"؛ فيأتي باحث معاصر كالدكتور إبراهيم أنيس، ليقول: ليذهب نظامُك النظريّ إلى الجحيم، لن نعبأ به، هذا تكلُّف! أما نحن فنقول: بل العكس، وليذهب استنكارك أنت -يا إبراهيم أنيس!- إلى الجحيم؛ فهذا بنيانٌ لا يُعوَّض، هذه الأبنية التي استطاع الخليل أن يكتشفها فيدُلَّنا على صلات الأبحر، شيء حكيم بديع مُدهش، ويميز لنا بدوائره النظرية طبيعة الشعر المستديرة، من طبيعة النثر المستقيمة، الشعر مستدير لا مستقيم، والنثر مستقيم لا مستدير! هذه الأفكار لم ينتبه إليها النقاد إلّا في أوائل القرن الميلادي العشرين، انْتَبَهَ الشكلانيُّون الرُّوس إلى أن الشعر مستدير، يدور بعضه على بعض، يدور بنفسه على نفسِه، وقد وضعه الخليلُ من قبل في دوائر، ألَا يدل هذا على ما حاولوا أن ينتبهوا إليه؟ كيف أفرّط في ذلك كله من أجلك، يا إبراهيم أنيس! استطاع الرجل بادعاء أن البيت من

المقتضب مجزوء أبدًا، أن يربط العمل بالنظر بالعمل؛ فسخروا منه، وعَبِثُوا بكلامِه، أما نحن فلا نسخر ولا نعبث. وهذا البحر كما قلت لكم، قليل الاستعمال، لا هو من المنزلة الأولى، ولا من الثانية، لا هو من بحور المستوى الأول الكثيرة الاستعمال، ولا من بحور المستوى الثاني الوسيطة الاستعمال، بل من بحور المستوى الأخير النادرة الاستعمال، وهذا البحر -يا جماعة!- هو والمضارع اللذان استنكر حازم القرطاجني على العرب في كتابه "منهاج البلغاء"، أن تكون قالت منهما! سبحان الله! تستنكر عليهم أن يكونوا قالوا من هذا الوزن الجميل: "دن ددن د، دن دددن، دن ددن د، دن دددن"! يقول: أربأ بالعرب أن تكون قالت من المضارع والمقتضب! إذا توقفنا في المضارع قليلًا لم نتوقف في المقتضب، بل قد درسنا المضارع بقصيدتين من شعر الإخوانيات، ظريفتين لطيفتين.

- دكتور، لما بحثنا عن شعر من المضارع...
- لم تعثري على شيء، لكنني دللتك منه على قصيدتين. لن تجدي كثيرًا، لكنك على أية حال كنت معي حينما تذوقناه فوجدناه سهلًا، فلماذا لم يكثر استعماله؟ لا حيلة، لا تفسير إلا ما قلتموه مرة، أذواق العصور، لا يقبل الشِّيب هذه الأغاني التي يسمعها الشباب؛ فهي عندهم عبث، كلام فارغ، ما هذا الكلام الفارغ! تَرَبَّوْا على مثل "مِيحَدْ حَمَدْ" البدوي، يقول: "خَمْسِ الحَوَاسِّ سَايِلَنِّي عَنَّكْ وَقَلْبِي فِيهْ جَرْحِينْ"؛ فكيف يصبرون على "راشد الماجد" الحضري يقول: "اللَّهْ يَا زِينِ اللِّي احْضَرَتْ غَطَّتْ عَلَى كِلِّ الحْضُورْ" -هِهِه!- وأنا أحب هذه الأغنية -هِهِه!- أمعقول أن يتركوا لهذا العبث، "ميحد حمد" والمعلقات التي ينشدها! أهو ذوق العصر حقًّا، أو ذوق السن! نكمل:

أَحْرُفٌ مُـ= دن ددن د، مفعلات، مطوية

ـقَطَّعَةٌ= دن دددن، مستعلن، مطوية

يرْتَعِي بِـ= دن ددن د، مفعلات، مطوية

ـهَا الْكَسَلُ= دن دددن، مستعلن، مطوية

التفعيلات كلها مطوية، أخشى أن يستمر على هذا، وسيستمر إلا قليلًا، وحينما تأبى تفعيلةٌ أن تتغير ستتعثرون بها! إذا ما تعثرتم فاعلموا أنه قد سلَّم التفعيلة؛ فإنها إذا سلمَت لم نسلم، هذه التفعيلة "مفعولات" إذا سلمت لم نسلم، وسترون هذا رأي العين! **فمعًا معًا، شُدُّوا دساتين أعوادكم -لا من**

أجل هذه وحدها، بل من أجلها ومن أجل التي بعدها، فهي شَدَّةٌ للقصيدتين!- وأحموا طبولكم ودفوفكم، واشربوا واطربوا -استمتعوا، هذا مقام من مقامات البهجة!- ولا يتقدّمنَّ عازفٌ عازفًا، فإنْ ظنَّ أنه يحسن فإنه يسيء -هذا عمل جماعيّ- واجعلوا النَّغْمَةَ أكثر زُرْقَةً، ها!

- كُلُّ شَوْقِ= دن ددن د
ـنَا كَلِمٌ= دن دددن
كُلُّ همـ= دن ددن د
ـنَا جَدَلُ= دن دددن
أَحْرُفٌ مـُ= دن ددن د
ـقَطَّعَةٌ= دن دددن
يرْتَعِي بِـ= دن ددن د
ـهَا الْكَسَلُ= دن دددن
لَا أَقُولُ= دن ددن د
كَاذِبَةً= دن دددن
أَنْتِ بَلْ بِـ= دن ددن د
ـك الْبَخَلُ= دن دددن
أَوْ تَخَوُّ= دن ددن د
فُ عَجَزَتْ= دن دددن
دُونَ مَحْوِ= دن ددن د
ه الْحِيَلُ= دن دددن
شَرَّدَتْكِ= دن ددن د
آسِفَةً= دن دددن
فِي ضَيَاعِـ= دن ددن د
ـهَا السُّبُلُ= دن دددن

لحظةً نقلب الصفحة، يا لَلعار!

هَلْ أَرَاكِ= دن ددن د

مُقْبِلَةً= دن دددن

زَانَ وَجْهَـ= دن ددن د

ـكَ الْجَذَلُ= دن دددن

أَوْ أَرَاكِ= دن ددن د

يَصْرُخُ فِيـ= دن دددن

ـكِ الْإِحْجَامُ= دن دن دن د

- هذه التي سلمتْ فلم نسلم، أعيدوا!

- أَوْ أَرَاكِ= دن ددن د

يَصْرُخُ فِيـ= دن دددن

ـكَ الْإِحْجَامُ= دن دن دن د

وَالْوَجَلُ= دن دددن

أَنْتِ غَيْرُ= دن ددن د

وَاحِدَةٍ= دن دددن

فِي الشُّخُوصِ= دن ددن د

تَنْتَقِلُ= دن دددن

لَا يَرُدُّ= دن ددن د

غُرْبَتَهَا= دن دددن

رُقْيَةٌ وَ= دن ددن د

لَا عَمَلُ= دن دددن

قَدْ صَبَرْتُ= دن ددن د

مَا صَبَرَتْ= دن دددن

مِنْ عَوَاصِـ= دن ددن د

ـفِي ذُلُلُ= دن دددن

وَامْتَطَيْتُ= دن ددن د

جَامِحَهَا= دن دددن

نَافِرًا وَ= دن ددن د

لَا أَمَلُ= دن دددن

وَامْتَثَلَتْ= دن ددن د

صَاحَ بِيَ الْ= دن دددن

ـهَمُّ كَيْفَ= دن ددن د

تَمْتَثِلُ= دن دددن

مَا الْأَيَّامُ= دن دن دن د

- سلمت سلمت -ها!- ولكنكم كنتم قد تعلمتم هذا؛ فتفاديتم، ها!

- صَابِيَةً= دن دددن

كَالْأَيَّام= دن دن دن د

تَكْتَهِلُ= دن دددن

- ها! صخب صخب، قاتل الله المتنبي:

"وَتَرْكُكَ فِي الدُّنْيَا دَوِيًّا كَأَنَّمَا تَدَاوَلَ سَمْعَ الْمَرْءِ أَنْمُلُهُ الْعَشْرُ"!

أي فَجِّر المكان، فَجِّر المكان بالحق أو بالباطل، ها!

- لَا تَرُعْكَ= دن ددن د

صِبْغَتُهَا= دن دددن

كُلُّ صِبْغَـ= دن ددن د

ـةَ دَخَلُ= دن دددن

وَارْتَحِلْ فَـ= دن ددن د

ـقَدْ رَحَلَتْ= دن دددن

مِنْ شَبَابِـ= دن ددن د

ـهَا دُوَلُ= دن دددن

- اللهُ، اللهُ! عاشوا، عاشوا! فيكم طرب! وفيكم وناسة! أَمِثْلُ هذا يقال فيه: أربأ بالعرب أن تكون قالت منه، ها! هذه فرطة من فرَطاته، وفلتة من فلتاته، وكتابه أو ما بقي من كتابه "منهاج البلغاء وسراج الأدباء"، تنظير لا تطبيق فيه، يُقال: إن جزء التطبيق ضائع، هل درستم علوم البلاغة؟
- لا.
- حين تدرسونها أوصيكم أن تبحثوا عن حقيقة هذا الأمر، ما حقيقة كتاب حازم القرطاجني "منهاج البلغاء"، يا أستاذ؟ اسألوا الدكتور إحسانًا مثلًا، أو غيره: أصحيح ما يقال عنه، من أنه كتاب تنظير لا تطبيق فيه؟ آلتطبيق ضائع حقا؟ فنحن نرى له آراء خطيرة، فيها نظر. **طيب، ما قافية البيت الأول؟**
- ـنَا جَدَلُ.
- أكيد، أكيد، آخر كلام، آخر، آخر؟ لماذا؟ قدمنا لك آخر ساكنين؛ أين هما؟ الألف إذا بدأنا من الأول، والواو غير المكتوبة، بينهما الجيم المفتوحة والدل المفتوحة واللام المضمومة، وقبلهما النون المفتوحة، لا الـ"نا". "ـنَا جَدَلُ"، إذن، القافية، وهذا أقوى رأيَي الخليل، والرأي الثاني أنها من فتحة النون، لا من النون، إلى الآخر، ولكن كيف ننطقها، يا أستاذ؟ كيف ننطق الفتحة دون نونها! نخاب هذا الرأي، ونجح ذاك. ها، واعتمِدوا على إيقاع "ـنَا جَدَلُ= دن دددن"، حذرين، حذرين!
- اَلْكَسَلُ.
- اَلْكَسَلُ! خطأ.
- ـهَا الْكَسَلُ.
- قلت: الْكَسَلُ! ما قافية البيت الأول، يا مسعود؟
- ـنَا جَدَلُ.
- جميل "ـنَا جَدَلُ"، وقافية الثاني؟
- ـهَا اَلْكَسَلُ.
- جميل! كيف تقرأ هذا البيت؟ اقرأ لي هذا البيت!
- أَحْرُفٌ مُقَطَّعَةٌ يَرْتَعِي بِهَا الْكَسَلُ

- أرأيت كيف قرأت؟ قلت: "بِهَا الْكَسَلُ"، ولم تقل: "بِهَا اَلْكَسَلُ"، وقد أحسنت -أجاب الآن، قال "ـهَا الْكَسَلُ"- من هذا العربي الذي يقرأ هذا البيت، هكذا: "أَحْرُفٌ مُقَطَّعَةٌ يَرْتَعِي بِهَا اَلْكَسَلُ"، إلا المذيعين والمذيعات الأحياء منهم والأموات، إلا...

- مذيعي الجزيرة!

- مَن؟ لا أحد! لو كانت معنا الآن مذيعة من مذيعات الفضائيات، لقالت: أحرفْ -هكذا تقول - مقطعةْ يرتعي -كأنهم عجزة!- بها اَلكسلْ -ما شاء الله! هل هنا أكسل من هذا!- كلّ شوقنا كلمْ كلّ همّنا جدلْ! وهكذا تقرأ الشعر إذا كانت في برنامج شعري، ولا حول ولا قوة إلا بالله! لا، الشعر مبنيٌّ في طبيعته على أصل الكلام العربي، والكلام متصل: "أَحْرُفٌ مُقَطَّعَةٌ يَرْتَعِي بِهَا الْكَسَلُ"، فالقافية إذن "ـهَا الْكَسَلُ"، من الهاء، ها!

- ـكَ البَخَلُ
ـهِ الْحِيَلُ
ـهَا السُّبُلُ
ـكَ الْجَذَلُ
وَالْوَجَلُ
تَنْتَقِلُ

- ها، تأملوا: "تنتقلُ"، هذه كلمة واحدة، ها!

- لَا عَمَلُ
ـفِي ذُلُلُ
لَا أَمَلُ
تَمْتَثِلُ

- وكذلك هذه كلمة واحدة، ها!

- تَكْتَهِلُ

- وهذه كذلك، ها!

- ـةٍ دَخَلُ

ـهَا دُوَلُ

- أردت أن أقول: إن القافية كما رأيتم، إما أن تكون كلمة، وإما أن تكون أقل، وإما أن تكون أكثر، ولا رابع لهذه الاحتمالات. إما أن تكون كلمة وعندئذ تميز بنفسها وتظهر للعِيان وتستحق الرعاية، وإما أن تكون أقل، وإما أن تكون أكثر، لهذا أخصها حين تخرج في كلمة مستقلة بمصطلح "طَبِيقَة"، من التطابق، طابقت القافيةُ الكلمةَ والكلمةُ القافيةَ، وهكذا. والتفعيلة كما ترون، خرجت في تفعيلة واحدة كذلك، فـ"تكتهلُ" تفعيلة "مستعلن"، و"تنتقل"، و"تمتثل"، كلهن هكذا، وهذا مما يزيد القافية قوة ونباهة. **طيب، ما أقوى المكررات؟**
- اللام.
- طبعا، وحركتها؟
- الضمة.
- بِمَدٍّ أشبعت أم بهاء أو تاء أو كاف؟
- بمد.
- وهذا هو الإشباع على الحقيقة. أقبلها ألف أو واو أو ياء؟
- لا.
- فكيف نقول إذن، من يقول عبارة البيانات؟ من؟ من يقول؟ من في الآخر؟ أنوار؟ تفضلي! ما هذه القصيدة؟
- مقتضبية الأبيات.
- مقتضبية، والمقتضب كما تفهمون من اسمه، مقتضب أي مقتطع. لم أكلمكم في هذه -سبحان الله!- والكلام ينسي بعضه بعضًا! لماذا سمّاه الخليل المقتضب؟ لأنّك إذا ما رأيته في حال التربيع أي الجَزْء، "مفعولات مستفعلن مفعولات مستفعلن"، أحسست أنه مُنتزَع من المنسرح، أتذكر المنسرح! "مستفعلن مفعولات مستفعلن مستفعلن مفعولات مستفعلن"، كأنّك حذفت هذه وهذه، وانتزعته من بطن المنسرح! وقد سبق هذا في بحر...
- المجتث.
- المجتث، نعم، وعندئذ قلنا: إنما سماه المُجتث لأنه يبدو للعيان أنه مقتطع من...

- الخفيف.
- الخفيف، نعم؛ "فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن"، كأنه مدَّ يدَه ثم أخرجه من أحشاء الخفيف؛ فصار المُجتث "مستفع لن فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن"؛ فماذا يسمي بحرنا اليوم؟ هل يسميه المجتث مرة أخرى؟ قد استعمل مصطلح "المجتث" من قبل؛ فاستحدث اسمًا آخر. لكن لو أدرك الخليل زماننا -اسمعوا هذه الملحة!- لربما سمى ذاك المجتث نمبر ون (number١)، وهذا المجتث نمبر تو (number٢)، واجتهد أن ينطقها إنجليزية أمريكية في هذا الزمان الإنجليزي الأمريكي -ومعنا عبد الرحمن من قسم الإنجليزية يصدق هذا أو يكذبه!- لعله يبدو عالما عظيما نمبر ون (number١)، ولا حول ولا قوة إلا بالله! وبعض الناس يُدرسون العربية في الجامعات بالإنجليزية، يقول لك: فرب (verb) مضارع! وقد قام عندنا على هذه الملحة فِلْم سينمائي -هل سمعتم عنه؟- اسمه "رمضان مبروك أبو العلمين حمودة"، لولا مَشاهِد فيه سيئة لَتَمَّ له الإتقان والإحسان -سبحان الله!- ولا أدري -وإن كنت أدري!- لماذا يضيفونها، لماذا يزعجوننا بها! فِلْم قائم على شخصية مدرس لغة عربية محترم قوي جدا على ضآلة جسمه، يحكم المدرسة، يوقفها على إصبع متى أراد، لا على رِجْل! شيء بديع، معلّم لغة عربية قوي الشخصية، مؤثر في المجتمع -هذه حكاية الفِلْم- جاءه ابن وزير، حولوه إليه لما وجدوه قويًّا هكذا لعله يُربّيه -بل أبوه الوزير هو الذي أمرهم بتحويله إليه في مدرسة قريته من المدرسة الإنجليزية الدولية المرفَّهة التي نعم فيها بكل شيء- فكان المدرس إذا أمره أن يعرب، قال له: فِرْب مضارع، فيستشيط عليه غضبا باللهجة المصرية: فِرْب يا وَلَا (ولد)! حتى علَّقه في سقف الفصل، وضربه، قبل أن يعرف أنه ابن الوزير، فهُرِع إليه المسؤولون يخبرونه: أتعرف ابن من هذا؟ فقال: ومن سيكون، ابن الوزير! قالوا: نعم! فأُغْمِيَ عليه! لكن الوزير لما عرف ذلك أعجبه، بل سمح للمدرس أن ينتقل بابنه إلى المدرسة الإنجليزية الدولية المرفهة، ليُعمّم أسلوبَه وأثره! فكرة جميلة جدا، لولا مشاهد سيئة! طيب، أكملي -يا أنوار!- هذه القصيدة إذن مقتضبية الأبيات...
- الوافية.
- خطأ! بعد كل ذلك الكلام تقولين الوافية! مقتضبية الأبيات المجزوءة، ها!
- المطوية العروض والضرب.

- المطوية العروض والضرب، ها!
- لامية القوافي.
- لامية القوافي، ها!
- المضمومة.
- المضمومة، ها!
- المجردة.
- المجردة طبعا من الردف والتأسيس، وإذا تجردت منهما لم نحتج إلى إضافة، تكفينا كلمة "المجردة"، ها!
- الموصولة بالواو.
- الموصولة بالواو. أحسنت، ما شاء الله، تبارك الله، جميل، جميل! **الآن نستطيع أن ننتقل إلى هذه القصيدة لنقرأها ونعلق عليها فقط، لكننا سنشتغل بها وبالتي بعدها اللقاء القادم. لم يعد لدينا وقت، لم يعد.** هذه تنافسون عليها، والمنافسة الآن في وقتها حقا، لماذا؟ لأنه إذا طُرِد واحد طرد في الوقت المناسب! أحسن ما ينبغي للطرد أن يكون الآن، فلن نخسر شيئًا، نُطرد على المحك، يقول لك: فرصة، أَخْرُجُ قبل الطلاب! اسمعوا الكلام الجميل! كلام من هذا؟ كلام مولانا أبي حفص سلطان العاشقين عمر بن الفارض -بُلْبُل يطربهم بألحانه- هذا الذي رحل من ماله وأهله، وجاور بيت الله خمس عشرة سنة، لا يستمع إلا إلى نفسه -ها!- حتى حصل له وعي خاص، غَنَّى بعدَه قصائد جميلة، منها هذه القصيدة التي فَتَنَت الناس، تسمع أولها مثلًا في كل مكان.

قَلْبِي يُحَدِّثُنِي، لعمر بن الفارض سلطان العاشقين

١) "قَلْبِي يُحَدِّثُنِي بِأَنَّكَ مُتْلِفِي رُوحِي فِدَاكَ عَرَفْتَ أَمْ لَمْ تَعْرِفِ
٢) لَمْ أَقْضِ حَقَّ هَوَاكَ إِنْ كُنْتُ الَّذِي لَمْ أَقْضِ فِيهِ أَسًى وَمِثْلِي مَنْ يَفِي
٣) مَا لِي سِوَى رُوحِي وَبَاذِلُ نَفْسِهِ فِي حُبِّ مَنْ يَهْوَاهُ لَيْسَ بِمُسْرِفِ
٤) فَلَئِنْ رَضِيتَ بِهَا فَقَدْ أَسْعَفْتَنِي يَا خَيْبَةَ الْمَسْعَى إِذَا لَمْ تُسْعِفِ
٥) يَا مَانِعِي طِيبَ الْمَنَامِ وَمَانِحِي ثَوْبَ السَّقَامِ بِهِ وَوَجْدِي الْمُتْلِفِ
٦) عَطْفًا عَلَى رَمَقِي وَمَا أَبْقَيْتَ لِي مِنْ جِسْمِيَ الْمُضْنَى وَقَلْبِي الْمُدْنَفِ

٧) فَالْوَجْدُ بَاقٍ وَالْوِصَالُ مُمَاطِلِي وَالصَّبْرُ فَانٍ وَاللِّقَاءُ مُسَوِّفِي
٨) لَمْ أَخْلُ مِنْ حَسَدٍ عَلَيْكَ فَلا تُضِعْ سَهَرِي بِتَشْنِيعِ الْخَيَالِ الْمُرْجِفِ
٩) وَاسْأَلْ نُجُومَ اللَّيْلِ هَلْ زَارَ الْكَرَى جَفْنِي وَكَيْفَ يَزُورُ مَنْ لَمْ يَعْرِفِ
١٠) لَا غَرْوَ إِنْ شَحَّتْ بِغُمْضِ جُفُونِهَا عَيْنِي وَسَحَّتْ بِالدُّمُوعِ الذُّرَّفِ
١١) وَبِمَا جَرَى فِي مَوْقِفِ التَّوْدِيعِ مِنْ أَلَمِ النَّوَى شَاهَدْتُ هَوْلَ الْمَوْقِفِ
١٢) إِنْ لَمْ يَكُنْ وَصْلٌ لَدَيْكَ فَعِدْ بِهِ أَمَلِي وَمَاطِلْ إِنْ وَعَدْتَ وَلَا تَفِ"!

وسميتها بمطلعها "قَلْبِي يُحَدِّثُنِي"، لم يكونوا يسمون القصائد. "قَلْبِي يُحَدِّثُنِي"، بم يحدثك؟ "بِأَنَّكَ مُتْلِفِي"، من هذا المخاطَب؟ المفروض أَنَّهُ رَبُّ العَالَمِين -طيب!- الحبيب الأكبر، "رُوحِي فِدَاكَ" - يا حبيبي الأكبر!- عرفت، أم لم تعرفِ! كيف يقال هذا لِرَبِّ العَالَمِين؟ أيعرف مرة ولا يعرف مرة؟ يستحيل! فما هذا إذن؟

- يُمَوِّه.
- هذا تمويه -أحسنت!- أنا أُفَسِّر هذا بالتمويه، يُمَوِّه عليك علاقته برب العالمين، لكيَلا تعرفها، هذه محبتي ينبغي أن تُربَّى في السر، استعينوا على محبتكم بالكتمان، استعينوا على بقاء محبتكم بالكتمان!

كانت زوج أحد الناس صالحة جدًّا، ترى بنور اللّٰه، تعرف ضمائر الأشياء، فانتبه منها مرة إلى ذلك -قرأت هذا الخبر في "طبقات الصوفيات المسلمات"، لعبد الرحمن السُّلَمِي، وفي هذا الكتاب ذكر رابعة العدوية، التي باسمها تتسمى الفتيات العُمانيات- فذهب إلى شيخ المنطقة -وكان رجلًا فاضلًا جدًّا- يستشكل عليه ذلك: أَجِدُ مِن امرأتي كذا وكذا! فعرف الشيخ أَنَّها ترى بنور اللّٰه - وهذا سر خطير، ينبغي ألّا يُعرَف، حال شريفة ينبغي ألّا تُكشَف؛ فإن عُرِفَت لم يكن لها علاج إلا الموت!

"وَلَاحَ سِرٌّ خَفِيٌّ يَدْرِيهِ مَنْ كَانَ مِثْلِي
فَالْمَوْتُ فِيهِ حَيَاتِي وَفِي حَيَاتِي قَتْلِي"!

فقال له الشيخ: طيب! ووَضَعَ له كتابًا على مكتبه، ثم قال له: اذهب، فقل لها: ماذا وضع الشيخ على المكتب؟ حتى نتأكد أنها ترى بنور اللّٰه! ثم لَمَّا خرج زوجها أنزل الكتاب من على المكتب! فذهب إلى زوجه، وقال لها: ماذا وضع الشيخ على المكتب؟ فقالت له: لا شيء على المكتب.

ماذا على المكتب؟ لا شيء على المكتب! فتوقف فيما كان رآه بها، واستقر في ضميره أنها لا تعرف، وهي تعرف، ولكن الشيخ سترها، عرَف أنها ترى بنور الله، وتعْرِف -حكايات الصوفية جميلة، أحب هذه الحكايات!- فأراد أن يستر حالها، فهذه حال ينبغي أن تُستَر، أو أن يموت صاحبها أو يُقتل؛ لا حياةَ له بعد افتضاحه. "قَلْبِي يُحَدِّثُنِي بِأَنَّكَ مُتْلِفِي رُوحِي فِداكَ عرَفْتَ أَمْ لَمْ تَعْرِفِ"، "لَم أَقْضِ حَقَّ هَوَاكَ إِنْ كُنْتُ الَّذِي لَمْ أَقْضِ فِيهِ أَسًى وَمِثْلِي مَنْ يَفِي"، انظروا إلى اللعب بالكلام -اسمعوا!- يلعب بالكلام، مفتونًا بالبديع! لم تدرسوا في الجامعة البلاغة بعدُ، ولكن درستموها في الثانوية دراسةً ما، تعرفون الجناس والطباق وكذا. هو مفتون بهذا، تأملوا: "لَمْ أَقْضِ"، "لَمْ أَقْضِ"، ما معناها في الموضعين؟ ما معناها في "لَمْ أَقْضِ حَقَّ هَوَاكَ"؟ لم أُتِمَّه، لم أَفِ به. طيب، وفي "لَمْ أَقْضِ فِيهِ أَسًى"؟ لم أمت، من "قضى نحبه"! أرأيتم اللعب! وسيتوسع فيه. "مَا لِي سِوَى رُوحِي"، ليست لي سوى روح واحدة، "وَبَاذِلُ نَفْسِهِ فِي حُبِّ مَنْ يَهْوَاهُ لَيْسَ بِمُسْرِفِ"، أقل ما يفعله الحبيب لحبيبه أن يبذل له وفيه نفسه، ثم يخاف ألا يقبل بعد كل هذا! يبذل نفسه، ويخاف ألا يُقبل! "فَلَإِنْ رَضِيتَ بِهَا فَقَدْ أَسْعَفْتَنِي"، أدركتني في الموت؛ أنا الآن أموت، "فَلَإِنْ رَضِيتَ بِهَا فَقَدْ أَسْعَفْتَنِي"، في الموت، فأحييتني في الموت، "يَا خَيْبَةَ الْمَسْعَى إِذَا لَمْ تُسْعِفِ"، "فَلَإِنْ رَضِيتَ بِهَا"، لأنه ربما قال له: "إِنَّمَا قَاتَلْتَ لِيُقَالَ: شُجَاعٌ، وَقَدْ قِيلَ، خُذُوهُ إِلَى جَهَنَّمَ"! يوم الموقف العظيم يأتي كل واحد بأعماله، فيأتي المنفق بإنفاقه، ويأتي المجاهد بجهاده، ويأتي المعلم بتعليمه -مثلي!- ويأتي فلان...، فأنا آتي يوم القيامة، فأقول: عَلَّمْتُ أَبْنَاءَ عُمَانَ مِنْ أَجْلِكَ، فيقال: إِنَّمَا عَلَّمْتَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، خُذُوهُ إِلَى جَهَنَّمَ! اللهم، قنا عذاب النار! يأتي هذا المجاهد مثلًا، يقول: أنا قاتلت فيك، فيقال له: إنما قاتلت ليقال بطل، وقد قيل، خذوه إلى جهنم، وهكذا! وربنا -سبحانه، وتعالى!- يعلم السر وأخفى، ونيتنا تفسد أحيانًا؛ لهذا ينبغي أن نصلحها دائمًا، أن نجدد النية، رَكِّزْ رَكِّزْ، إنها تفسد، فركِّزْ! ويعلم الله هذا الجهاد، هذا الجهاد الأكبر، "عُدْنَا مِنَ الْجِهَادِ الْأَصْغَرِ إِلَى الْجِهَادِ الْأَكْبَرِ"، إصلاح النية هو الجهاد الأكبر، إصلاح النية، تفسد، فتصلحها، وهكذا تظل إلى أن تموت: هذا أقصى ما نستطيع -يا رب- هذا أقصى ما نستطيع! "يَا مَانِعِي طِيبَ الْمَنَامِ"، انظروا إلى اللعب بالكلام: "يَا مَانِعِي طِيبَ الْمَنَامِ وَمَانِحِي ثَوْبَ السَّقَامِ بِهِ وَوَجْدِي الْمُتْلِفِ"، انظروا إلى الازدواج والمقابلة: "مانعي، مانحي"، "طيب ثوب، المنام السقام"! "يَا مَانِعِي طِيبَ الْمَنَامِ وَمَانِحِي

ثَوْبَ السَّقَامِ بِهِ وَوَجْدِي الْمُتْلِفِ"، أي "وثوب وجدي المتلف"، ماذا تريد؟ "عَطْفًا عَلَى رَمَقِي"، اعطف على ما بقي من نفسي، "وَمَا أَبْقَيْتَ لِي مِنْ جِسْمِيَ الْمُضْنَى وَقَلْبِي الْمُدْنَفِ"، أنا بذلت ما بذلت من أجلك، كما سأل رسول الله -صلى الله عليه، وسلم!- السيدة عائشة -رضي الله عنها!-: مَا بَقِيَ مِنَ الشَّاةِ؟ قالت: مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلَّا كَتِفُهَا، فقال: بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا! أَفَهِمْتُمْ؟ يسألها وقد ذبح شاة وتركها لها توزعها على الفقراء، فوزعتها، وبقيت كتفُها، فلما جاء سألها، فلما قالت ما قالت علَّمها أن المبذول هو الباقي! "فَالْوَجْدُ بَاقٍ"، انظروا إلى المأساة التي يعيشها في مصائب يرقق بعضها بعضًا: "فَالْوَجْدُ بَاقٍ وَالْوِصَالُ مُمَاطِلِي وَالصَّبْرُ فَانٍ وَاللِّقَاءُ مُسَوِّفِي"، مصائب، أنقذني منها -يا رب العالمين!- بالقبول فقط، لا أريد إلا القبول، كل هذا هيِّن إذا قبلت! ما معنى "مُسَوِّفِي"؟

- مؤجّلي.
- مؤجّلي، فمن أين جاءت؟
- من التسويف.
- من التسويف، فمن أين جاء التسويف؟
- من "سوف".
- من "سوف"، هذا اشتقاق من كلمة "سوف"، كاشتقاق التَّبْوِيب من كلمة "بَاب"، وقريب منه على اختلاف، نَحْت العَنْعَنَة من كلمة "عَنْ"، في "عن فلان عن فلان"، كما نحت البردوني في إحدى قصائده -يا أصيلة، تحب شعر البردوني!- اللَّكْنَنَة من كلمة "لَكِنْ"، في "لكن كذا كذا لكن كذا كذا"، من كلام من أُولِع بالاستدراك! درسناها في علم الصرف، لكن لكن: لَكْنَنَ يلَكْنِنُ، أي قال: "لكن" كثيرا.
- و"بَسْمَلَ".
- نعم، و"بَسْمَلَ" فعل البَسْمَلَة المنحوتة من "قال بسم الله"، بارك الله فيكم! ومع كل هذه المصائب "لَمْ أَخْلُ مِنْ حَسَدٍ عَلَيْكَ" -"حَتَّى عَلَى الْمَوْتِ لَا أَخْلُو مِنَ الْحَسَدِ"!- "لَمْ أَخْلُ مِنْ حَسَدٍ عَلَيْكَ"، يقال: ما شاء الله محبوب، محبوب! يرون الناس يرتاحون إليه، يرون هالة من الضوء تحيط بوجهه، "لَمْ أَخْلُ مِنْ حَسَدٍ عَلَيْكَ فَلَا تُضِعْ سَهَرِي بِتَشْنِيعِ الْخَيَالِ الْمُرْجِفِ"، فأنا أتخيل أنك طرحتني، أتخيل أنك عذبتني، أتخيل أنك فضحتني يوم الموقف! "وَاسْأَلْ نُجُومَ اللَّيْلِ هَلْ زَارَ الْكَرَى جَفْنِي"؟

هل نمت مرة؟ "وكيف يزور من لم يعرف"؟ لا أعرفه، ولا يعرفني، أتعرف منا أحدًا؟ أعرف هذا! وكيف يزورني من لم يعرفني! كيف يزورني الكَرى وهو لا يعرفني، كيف! "لا غَرْوَ"، ما معنى "لا غَرْوَ"؟ لا عجب. "لَا غَرْوَ إِنْ شَحَّتْ بِغُمْضِ جُفُونِهَا عَيْنِي وَسَحَّتْ"، انظروا إلى اللعب: "شَحَّتْ"، و"سَحَّتْ"، يسمونه في البديع -أذكر هذا المصطلح- جناس التصحيف، يوهمك أن الكلمة مصحَّفة، إذا ما قرأت "شحت"، قلت: وضع النقط عليها خطأ، وإذا قرأت "سحت"، قلت: حذف النقط منها خطأ، لا هذا خطأ ولا ذاك، هذا مقصود! "لَا غَرْوَ إِنْ شَحَّتْ بِغُمْضِ جُفُونِهَا عَيْنِي"، بخلت بالنوم، ولكنها -ما شاء الله!- سخية في الدموع، "وَسَحَّتْ بِالدُّمُوعِ الذُّرَّفِ"، و"الذُّرَّف" جمع "ذارف"، و"الذارف" هنا مجاز بمعنى مذروف؛ لأن الدموع مذروفة لا ذارفة، كما يقال ماء دافق أو دم دافق، وهو مدفوق لا دافق. "وَبِمَا جَرَى فِي مَوْقِفِ التَّوْدِيعِ مِنْ أَلَمِ النَّوَى شَاهَدْتُ هَوْلَ الْمَوْقِفِ"، أي قِسْتُ الغائب على الحاضر، قست ما سيكون بما يكون، "وَبِمَا جَرَى فِي مَوْقِفِ التَّوْدِيعِ مِنْ أَلَمِ النَّوَى شَاهَدْتُ -كيف سأجد- هَوْلَ الْمَوْقِفِ". ثم يختم: "إِنْ لَمْ يَكُنْ وَصْلٌ لَدَيْكَ فَعِدْ بِهِ أَمَلِي -في المستقبل- وَمَاطِلْ"، "مَاطِل" هذه جرأة طبعًا، يقول لرب العالمين: مَاطِل! هذا تمويه، عدنا إلى التمويه، لمخاطبة رب العالمين أدبٌ معروف، ولكن شعراء الصوفية يستبيحون لأنفسهم أن يسيئوا الأدب من أجل التمويه، "إِنْ لَمْ يَكُنْ وَصْلٌ لَدَيْكَ فَعِدْ بِهِ أَمَلِي وَمَاطِلْ"، ماطل، قل: بعد غد، بعد غد، بعد غد:

"كُلَّمَا قُلْتُ مَتَى مِيعَادُنَا ضَحِكَتْ هِنْدُ وَقَالَتْ بَعْدَ غَدْ"!

بعد غد، بعد غد! "وَمَاطِلْ إِنْ وَعَدْتَ وَلَا تَفِ"! **من ينافس؟ من -ها!- والباب مفتوح؟ ها، من؟**

مريم المقبالية من صحار -ههه!- ها، اقرئي، ها، بسرعة، نريد أن نخرج الطلاب واحدًا واحدًا، لا أسمع شيئًا!

- قَلْبِي يُحَدِّثُنِي بِأَنَّكَ مُتْلِفِي رُوحِي فِدَاكَ عَرَفْتَ أَمْ لَمْ تَعْرِفِ
لَمْ أَقْضِ حَقَّ هَوَاكَ إِنْ كُنْتُ الَّذِي لَمْ أَقْضِ فِيهِ أَسًى وَمِثْلِي مَنْ يَفِي
مَا لِي سِوَى رُوحِي وَبَاذِلُ نَفْسِهِ فِي حُبِّ مَنْ يَهْوَاهُ لَيْسَ بِمُسْرِفِ
فَلَئِنْ رَضِيتَ بِهَا فَقَدْ أَسْعَفْتَنِي يَا خَيْبَةَ الْمَسْعَى إِذَا لَمْ تُسْعِفِ
يَا مَانِعِي طِيبَ الْمَنَامِ وَمَانِحِي ثَوْبَ السَّقَامِ بِهِ وَوَجْدِي الْمُتْلِفِ

عَطْفًا عَلَى رَمَقِي وَمَا أَبْقَيْتَ لِي مِنْ جِسْمِيَ الْمُضْنَى وَقَلْبِي الْمُدْنَفِ
فَالْوَجْدُ بَاقٍ وَالْوِصَالُ مُمَاطِلِي وَالصَّبْرُ فَانٍ وَاللِّقَاءُ مُسَوِّفِي
لَمْ أَخْلُ مِنْ حَسَدٍ عَلَيْكَ فَلَا تُضِعْ سَهَرِي بِتَشْنِيعِ الْخَيَالِ الْمُرْجِفِ
وَاسْأَلْ نُجُومَ اللَّيْلِ هَلْ زَارَ الْكَرَى...

- أعيدي!
- وَاسْأَلْ نُجُومَ اللَّيْلِ هَلْ زَارَ الْكَرَى جَفْنِي وَكَيْفَ يَزُورُ مَنْ لَمْ يَعْرِفِ
لَا غَرْوَ إِنْ شَحَّتْ بِغُمْضٍ جُفُونُهَا عَيْنِي وَسَحَّتْ بِالدُّمُوعِ الذُّرَّفِ
- أعيدي!
- لَا غَرْوَ إِنْ شَحَّتْ بِغُمْضٍ جُفُونُهَا عَيْنِي وَسَحَّتْ بِالدُّمُوعِ الذُّرَّفِ
وَبِمَا جَرَى فِي مَوْقِفِ التَّوْدِيعِ مِنْ أَلَمِ النَّوَى شَاهَدْتُ هَوْلَ الْمَوْقِفِ
إِنْ لَمْ يَكُنْ وَصْلٌ لَدَيْكَ فَعِدْ بِهِ أَمَلِي وَمَاطِلْ إِنْ وَعَدْتَ وَلَا تَفِ
- أحسنتِ، حيُّوا مريم! مع الأسف، في المحاضرة السابقة طردنا الطلاب جميعا! حظوظ، حظوظ، ما شاء الله، ما شاء الله! **بارك الله فيكم، وشكر لكم، وأحسن إليكم، والسلام عليكم، اذهبوا إلى رحمة الله! قد فازت مريم بخمس درجات، هذا مسك الختام!**
- دكتور، هل يمكن أن ننافس فيها في المحاضرة القادمة، أن ننافس فيها مع التقطيع؟
- لا، فمعنا قصيدة ثانية ننافس فيها، فقد اتفقنا أن تكونا اثنتين.
- وهذه خلاص؟
- نعم، خلاص!
- مع التقطيع أستطيع أن أنافس فيها!
- نافس في الثانية.
- ما هي؟
- "نُعِدُّ الْمَشْرَفِيَّةَ وَالعَوَالِي".
- إن شاء الله!
- إن شاء الله!

اَلْمُنَادَمَةُ الْحَادِيَةُ وَالْعِشْرُونَ(١)

- **سلامٌ عليكم!**
- وعليكم السلام!
- طبتم مساء -يا أبنائي!- وطاب مسعاكم إلينا! بسم الله -سبحانه، وتعالى!- وبحمده، وصلاة على رسوله وسلاما، ورضوانا على صحابته وتابعيهم حتى نلقاهم! كيف حالكم، كيف أمسيتم؟
- بخير.
- بارك الله فيكم، وشكر لكم، وأحسن إليكم، ويسر لنا ولكم كل عسير، وسهل كل صعب! اليوم بمشيئة الرحمن ننتهي من أوزان الشعر لنتفرغ لقوافيه، ننتهي من أوزان الشعر بإكمال تحليل "قلبي يحدثني"، لمولانا أبي حفص سلطان العاشقين، ثم الانتقال إلى ما بعدها. كنا قد فرغنا من "قلبي يحدثني"، قراءة وتعليقا وإقراء، واليوم نحللها عروضيا. **نكتب بيتي أول هذه القصيدة هكذا حريصين على تدقيق الإملاء والتشكيل تمهيدا لتدقيق اللحن، ونستفيد من تلوين الألوان. بسم الله!**

قلبي يحدثني بأنك متلفي روحي فداك عرفت أم لم تعرفي
لم أقض حق هواك إن كنت الذي لم أقض فيه أسى ومثلي من يفي

- أسألكم: كيف يقول لرب العالمين حبيبه: عرفت أم لم تعرف؟ أمن الأدب أن يقول هذا؟ ماذا سمينا هذا؟
- المواربة.
- سميناه التمويه. هذا الإملاء -مهما كان!- يكفينا أن يكون صحيحا واضحا حتى نستطيع أن نضيف التشكيل.

---

(١) رابط هذه المنادمة في قناتي اليوتيوبية:

https://www.youtube.com/watch?v=G٧fxolwBiP٨&list=PL٠_bvBmuM٥ySq٦hXNd٤GWcNFIUaI٤uqCM&index=٢١

وقد فرغتها هبة كارم، وراجعتها لها ندى صبري.

قَلْبِي يُحَدِّثُنِي بِأَنَّكَ مُتلِفِي...
دون زحزحة حركة عن موضعها.
رُوحِي فِدَاكَ عَرَفْتَ أَمْ لَمْ تَعْرِفِ
لَمْ أَقْضِ حَقَّ هَوَاكَ إِنْ كُنْتُ الَّذِي لَمْ أَقْضِ فِيهِ أَسًى
نضع الفتحتين على السين، لا على الألف.
... وَمِثْلِي مَنْ يَفِي

هذا هو، بقي أن نلحن. ماذا فعلنا؟ ضبطنا اللغة، وعبرنا عن ضبطنا لها بحسن الإملاء وحسن التشكيل، أم كيف نعبر؟ هل في يدنا غير هذا؟ في التسجيل نؤدي، الآن على تسجيل أحمد الناصري يظهر للناس عندما يستمعون، أننا قد ضبطنا اللغة، لكن كيف يظهر على الورقة؟ بضبط الإملاء والتشكيل. الآن نلحن. لابُدّ من أن نتفق على لحن، واللحن هنا لطيف جدا أليف جدا، حتى إنكم إذا ما حاولتم أن تنظموا من الشعر أول محاولاتكم نظمتم من هذا اللحن، من أجل قربه منكم، وأُلْفته، اسمعوا!

قَلْبِي يُحَدْ دِثُنِي بِأَنْ نَكَ مُتْلِفِي رُوحِي فِدَا كَ عَرَفْتَ أَمْ لَمْ تَعْرِفِ
لَمْ أَقْضِ حَقْ قَ هَوَاكَ إِنْ كُنْتُ الَّذِي لَمْ أَقْضِ فِيـ ـهِ أَسًى وَمِثْ لِي مَنْ يَفِي

شيء كهذا نعرفه من قبل أن نعرف الأشياء، كأنه من طبيعة الممارسات اليومية. شيء سهل جدا، لطيف جدا. كيف ننزل هذا على الصفحة؟ بالكتابة، بالخطوط، نستعمل لونا آخر، الأخضر، الأحمر، ونغني للخطوط غناءها الخاص.

قَلْبِي يُحَدْ| دِثُنِي بِأَنْ| نَكَ مُتْلِفِي| رُوحِي فِدَا| كَ عَرَفْتَ أَمْ| لَمْ تَعْرِفِ
لَمْ أَقْضِ حَقْ| قَ هَوَاكَ إِنْ| كُنْتُ الَّذِي| لَمْ أَقْضِ فِيـ| ـهِ أَسًى وَمِثْ| لِي مَنْ يَفِي

هذا الأداء الذي أؤديه غناء، لا كلام عادي، لا خطابة، هذا غناء، درجة من درجات الغناء، ليس الغناء مقصورا على المغنين الذين يذهبون بالغناء إلى سماء الطرب؛ هذا كذلك غناء. وكان سيدنا معاوية -رضي الله عنه!- يطرب للإنشاد أكثر مما يطرب للغناء، والإنشاد غناء. كان يطرب لهذه الدرجة أكثر مما يطرب للدرجة المبالغة.

قَلْبِي يُحَدْ| دِثُنِي بِأَنْ| نَكَ مُتْلِفِي| رُوحِي فِدَا| كَ عَرَفْتَ أَمْ| لَمْ تَعْرِفِ

غناء:

لَمْ أَقْضِ حَقْ| قَ هَوَاكَ إِنْ| كُنْتُ الَّذِي| لَمْ أَقْضِ فِيـ|

بعد الياء، قبل الهاء:

ـهِ أَسًى وَمِثْ| لِيَ مَنْ يَفِي

غناء:

"تَغَنَّ بِالشِّعْرِ إِمَّا كُنْتَ قَائِلَهُ إِنَّ الْغِنَاءَ لِهَذَا الشِّعْرِ...

- ... مضْمَارُ

- ... مِضْمَارُ"، تجري فيه مبدعا ومنشدا ومحللا. نعود إلى الأحمر، "والحُسْن أحمر"، "والعَوْد أحمد"! تستطيع أن تعزف، أو أن تنسق على زفراتك معًا هكذا من الأول:

قَلْبِي يُحَدْ| دِثُنِي بِأَنْ| نَكَ مُتْلِفِي| رُوحِي فِدَا| كَ عَرَفْتَ أَمْ| لَمْ تَعْرِف

دن دن ددن| دددن ددن| دددن ددن| دن دن ددن| دددن ددن| دن دن ددن

لَمْ أَقْضِ حَقْ| قَ هَوَاكَ إِنْ| كُنْتُ الَّذِي| لَمْ أَقْضِ فِيـ| ـهِ أَسًى وَمِثْ| لِيَ مَنْ يَفِي

دن دن ددن| دددن ددن| دن دن ددن| دن دن ددن| دددن ددن| دددن ددن

أكلم الآن خبراء، لا مبتدئين؛ صرتم خبراء بهذا، تستطيعون أن تنسقوا الكتابة على إيقاع الأداء. طيب، "قَلْبِي يُحَدْ= دن دن ددن"، ما اسم هذا الإيقاع عندكم؟

- مستفعلن.

- هو معروف عندنا بهذا الاسم، "قَلْبِي يُحَدْ= دن دن ددن"، مستفعلن، سالمة"، لكن هذا في الرجز -يا مساكين!- أو في السريع، أو في المنسرح، أما هنا فسنسميه "مُتْفَاعِلُنْ"، لا "مستفعلن"! ما هذا -يا أستاذ!- ما هذه التفعيلة المشوَّهة؟ "مُتْفَاعِلُنْ"، هذه -يا ابن أخي!- مُضْمَرَة، مغيرة عن حال السلامة التي تجدها فيما بعدها: "دِثُنِي بِأَنْـ= دددن ددن، متَفاعلن، سالمة"؛ "متْفاعلن" إذن مغيرة عن "متَفاعلن"، بتغيير يسمى الإضمار، والبحر بحر الكامل -يا ليتني كنت خضته!- **هذا بحر الكامل، وله من اسمه نصيب -ألا ترون كماله!- فهو أكثر البحور حروفا، على رغم سمعة الطويل، فللكامل من اسمه نصيب، وتفعيلات البحر "متفاعلن متفاعلن متفاعلن"...**

- **مرتين.**

- مرتين، لأن الخليل علَّمنا أن نكتفي ونضاعف ما دام الثاني تكرار الأول؛ فما الداعي! طيب، ما "مُتَفَاعِلن" هذه؟ "مُتَ= دد، سبب ثقيل"، هذا المرة الأولى التي تواجهون فيها سبباً ثقيلًا، و"فَا= دن، سبب خفيف"، و"عِلُنْ= ددن، وتد مجموع "، والتفعيلتان الأخريان على مثل الأولى، هذه "مُتَفَاعِلن"، والبحر بحر الكامل، تفعيلته "مُتَفَاعِلن"، لكنها تُزاحَف بزحاف الإضمار، ما الإضمار؟ تسكين ثاني متحركَي السبب الثقيل متى كان ثاني حرف في التفعيلة، ثاني حرف، لأنه فيما بعد في البحر الأخير، سيكون في غير هذا الموضع، فيسمى غير هذا الاسم. تفعيلة بحر الكامل إذن "مُتَفَاعِلن"، تكرر ست مرات، ليكون البيت في أتم صوره، ولكنها تغير إلى "مُتْفَاعِلن" بزحاف الاضمار، وهذا الذي يصح فيه أن نقول: "رُبَّ زِحَافٍ أَطْيَبَ في السَّمْعِ مِنَ الْأَصْلِ"؛ فهو كثير شائع محبوب، حتى إنه ألبس عليكم، خدعكم فكنتم تجدون "دن دن ددن" منتشرة في البيت، فتقولون: ما شاء الله، هذا مثال طيب للبيت السالم التفعيلات من بحر الرجز، وكنت أضرب على كلامكم بالخطأ: خطأ، خطأ، كل هذا خطأ! انخدعتم بـ"مُتْفَاعِلن" حين جاءت، وظننتموها "مستفعلن"، فقلتم: هذا مثال طيب للرجز! فإذا "متفاعلن" تعود بعد قليل إلى أصولها -"كَلْ فُولُهْ، وِرِجِعْ لِأُصُولُهْ"، كما نقول في المثل المصري العامي- فرجعت إلى "متَفاعلن" السالمة، فوقعتم في ورطة؛ فماذا فعلتم؟ أجبرتموها على أن تكون "مستفعلن" -حدث هذا- أجبرتم "متَفاعلن" على أن تكون "مستفعلن"! خطأ، صفر، صفر من الفائدة، لا شيء فيه! لا، يا أخي، ألا فاعلم أن الرجز أصلا لا يكاد البيت منه يسلم على "مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن"، وقلت لك هذا في يوم الرجز، في يوم الرجز العالمي قلت لك: لا يكاد البيت يسلم، لا تكاد تجد بيتا من الرجز سالما، وأغلب ما تجده من الرجز "متفعلن"، و"مستعلن"، و"متعلن"، تجد تشكيلة من التغير والسلامة معا في البيت، أما أن تجد بيتا سالم التفعيلات فهذا يكاد لا يقع، ما السر؟ السر أن الكامل استولى على هذا، هو استيلاء الكامل على هذا الإيقاع! هذا التوالي الإيقاعي الذي ينبغي أن يكون الصورة النموذجية من الرجز إذن، مفقود في الرجز، أو يكاد لا يقع في الرجز؛ ما سر هذا، يا ترى؟ سره إتمام التمييز بين البحور، أخذ هذا الكامل، فبسهولة تستطيع أن تجد البيت -وسنجد الآن حين نمضي- التفعيلة تُغير كثيرا عن "متَفاعلن" إلى "متْفاعلن" التي تشبه "مستفعلن"، وليست بـ"مستفعلن"؛ فانتبهوا إلى هذا! وبحر الكامل أهم من بحر الرجز كثيرا، هذا البحر بحر

شريف، أحيانا كان الأول في بعض العصور، كما سأنبهكم في الإحصائية قريبا بعد أن ننتهي، سأعرض عليكم إحصائية أعددتُها، استفدت فيها من "الموسوعة الشعرية"، ستجدون الكامل أحيانا يَتَسَنَّمُ الذروة، أما الرجز فلا، "إنَّ الرَّجَزَ لَمِن سَفْسَافِ القَرِيض! قصَّرتم -أيُّها النَّفَر- فقُصِّرَ بكم"، فوضعهم في موضع من أسافل الجنة، من؟

- المعري.
- أبو العلاء المعري في "رسالة الغفران"، وضع الرجاز في موضع من أسافل الجنة، أما شعراء بحر الكامل فهؤلاء في رُبا جنة النعيم، في الفردوس الأعلى، لماذا؟ لألق "متفاعلن"، لألقها وشهرتها وسيطرتها! أذكر لكم شيئا طريفا: حينما نشأ شعراء الحر -أسمعتم عن الشعر الحر؟- في خمسينيات القرن العشرين افتتنوا بالكامل. محمود درويش -رحمه اللّٰه!- الشاعر الفلسطيني المعاصر المتوفى منذ عشرة أعوام، افتتن بالكامل، حتى إنك تجد له بعض الكتب من الكامل فقط، من أولها إلى آخرها! حتى إنهم سمَّوا شعراء الحر "شعراء المُتَفَاعِلن (المُتَفَاعِلُنِيِّين)"! أيها المُتَفَاعِلُنِيّون، أما عندكم غير "متفاعلن"! سبحان اللّٰه! سيطر على العمودي من أيام الجاهلية، ولا أدعي أنه في المرتبة الأولى؛ سترون في الإحصائية أن الأولى على العموم للطويل، لكنه برز في بعض العصور، ثم برز عند شعراء الحر أكثر من الطويل طبعا؛ فالطويل يكاد لا يصلح للحر، إلا في بعض شعر السياب ومن إليه، استعملوه في الحر قليلا، أما الكامل ففتنة، فتنتهم التي افتتنوا بها. هذا بحر الكامل، وهؤلاء طائفة من نجباء قسم اللغة العربية والإنجليزية -من أجل عبد الرحمن الشارد، ههه!- تعارفوا، تشرفنا! بحر الكامل بحر تجدون أنفسكم تنظمون منه دون أن تدروا؛ فمن أوائل ما قُدِّم لي هنا منكم شعرٌ كان من بحر الكامل، لم يَدْرِ مُقدّمه أنه من بحر الكامل! بحر ناجح، يتسرب إليك من تحت الأظافر، دون أن تدري تجد نفسك تنظم من الكامل! ولكن لا تستخفوا به لذلك، أو تقللوا منه، لا؛ فهو على كثرة استعماله لم تتدهور حاله قط، بل حافظ على ألقه ومجده -سبحان اللّٰه!- على رغم أن كثرة الاستعمال تبتذل الأشياء، لا؛ نكمل. "المُتَفَاعِلُنِيُّونَ" - صعبة هذه، ها!- أصحاب المتفاعلن، "المُتَفَاعِلُنِيُّونَ" -يا ربي، صعبة!- "ـنَكَ مُتْلِفِي= دددن ددن، مُتَفاعلن، س (سالمة)"، "رُوحِي فِدَا= دن دن ددن، مُتْفاعلن، ض (مضمرة)" -ولا بأس بوضع سكون على التاء، على رغم أن الوصف سيسدّ هذا المسدّ- "ـكَ عَرَفْتَ أَمْ= دددن ددن، مُتَفاعلن، س

(سالمة)"، "لَمْ تَعْرِفِ= دن دن ددن، مُتْفاعلن، ض (مضمرة)" -يغيرها بعض العروضيين إلى "مستفعلن"، لأنها مثلها حقا، لكننا لا نفعل! ما اسم هذه الظاهرة؟

- النقل.

- النقل، نعم؛ يأتي إلى "مُتْفَاعِلُنْ"، فيستنكر تشوهها: ما "مُتْفَاعِلُنْ" هذه! فيغيرها إلى "مستفعلن"، من أجل أن يرتاح إلى صيغة طيبة، لكنه يقطع صلتها بالأصل!- "لَمْ أَقْضِ حَقْ= دن دن ددن، متْفاعلن، ض (مضمرة)" -لا أعرف كيف ترمزون، لا أريد أن أخطئ- "قَ هَوَاكَ إِنْ= دددن ددن، مُتَفَاعلن، س (سالمة)"، "كُنْتُ الَّذِي= دن دن ددن، مُتْفاعلن، ض (مضمرة)" -ويمكن أن نضع سكونا على التاء- "لَمْ أَقْضِ فِيـ= دن دن ددن، متْفاعلن، ض (مضمرة)"، ـهِ أَسًى وَمِثْ= دددن ددن، متفاعلن س (سالمة)"، "لِيَ مَنْ يَفِي= دددن ددن، متفاعلن، س (سالمة)". منتهى اللطافة، من غير أن يُبتذل، ما زالت قيمته على ما كانت، وينظم منه الشاعر الحديث القصيدة الكتاب، كما في "كَزَهْرِ اللَّوْزِ أَوْ أَبْعَدَ" لمحمود درويش، الكتاب كله من الكامل، من أوله إلى آخره -أظن ذلك، إلا أن يكون أمره اختلط عليَّ بغيره؛ فقد قرأت أشياء كثيرة- شيء عجيب هذا البحر، منتهى اللباقة والأناقة، وهو في الوقت نفسه متماسك غير مبتذل. **معي -يا جماعة!- انتبهوا! الآن ينبغي أن تشدوا دساتين أعوادكم قدر الطاقة، لأنكم لن تفعلوا هذا مرة أخرى- وأن تُحموا طبولكم ودفوفكم قدر الطاقة، فسترتاحون من هذا بقية العمر، إلا إذا قلدتموه في المحاضرات -بعض تلامذتي يقلدونني في حصص المدارس، فإذا دخل الموجه قال له: أنت تلميذ فلان؟ واضح واضح! كانت عندي طالبة حَجْرِيّة -هي الآن في الدكتوراة- شيطانة أستاذة كبيرة، اسمها ابتسام الحجرية، إمامة، جهزت عصا، وسمَّتها قيسًا! هذه ليلى، وتلك قيس! -ههه!- أستاذة كبيرة، ليست من الهازلات مثلا، لكن انظروا إلى الموضوع! جهزت عصًا، ودخلت بها إلى الفصل، فقالت: يا جماعة، هذه قيس! صاحبة ليلى التي مع الدكتور، صلة أبدية، بين قيس وليلى! هذه البنت يدور الزمان وتأتينا إلى الدكتوراة، تبهر الناس، تجلس في المحاضرات تتحدث العربية والإنجليزية بطلاقة، هي التي قدمت حفل العربية في يوم العربية العالمي، هل حضرتموه؟ هذه ابتسام الحجرية، منتهى البراعة، شيء بديع، أفتخر بهذه الطالبة!- ولا يتقدمنَّ عازفٌ عازفًا؛ فإن ظن أنه يحسن فإنه يسيء قدر الطاقة- واجعلوا النغمة أكثر زرقة قدر الطاقة- معًا، معًا، ها!**

- قَلْبِي يُحَدْ= دن دن ددن
دِثُنِي بِأَنْ= ددن ددن
نَكَ مُتْلِفِي= ددن ددن
رُوحِي فِدَا= دن دن ددن
كَ عَرَفْتَ أَمْ= ددن ددن
لَمْ تَعْرِفِ= دن دن ددن

- ها!

- لَمْ أَقْضِ حَقْـ= دن دن ددن
ـقَ هَوَاكَ إِنْ= ددن ددن
كُنْتُ الَّذِي= دن دن ددن
لَمْ أَقْضِ فِيـ= دن دن ددن
ـهِ أَسًى وَمِثْـ= ددن ددن
ـلِي مَنْ يَفِي= ددن ددن
مَا لِي سِوَى= دن دن ددن
رُوحِي وَبَا= دن دن ددن
ذِلُ نَفْسِهِ= ددن ددن
فِي حُبِّ مَنْ= دن دن ددن
يَهْوَاهُ لَيْـ= دن دن ددن
ـسَ بِمُسْرِفِ= ددن ددن
فَلَئِنْ رَضِيـ= ددن ددن
ـتَ بِهَا فَقَدْ= ددن ددن
أَسْعَفْتَنِي= دن دن ددن
يَا خَيْبَةَ الْـ= دن دن ددن
ـمَسْعَى إِذَا= دن دن ددن

لَمْ تُسْعِفِ= دن دن ددن

يَا مَانِعِي= دن دن ددن

طِيبَ الْمَنَا= دن دن ددن

مِ ومَانِحِي= دددن ددن

ثَوْبَ السَّقا= دن دن ددن

مِ بِهِ ووَجْـ= دددن ددن

ـدِي الْمُتْلِفِ= دن دن ددن

عَطْفًا عَلَيَّ= دن دن ددن

رَمَقِي وَمَا= دددن ددن

أَبْقَيْتَ لِي= دن دن ددن

مِنْ جِسْمِيَ الْـ= دن دن ددن

ـمُضْنَى وَقَلْبِـ= دن دن ددن

ـيِ الْمُدْنَفِ= دن دن ددن

فَالْوَجْدُ بَا= دن دن ددن

قٍ وَالْوِصَا= دن دن ددن

لُ مُمَاطِلِي= دددن ددن

وَالصَّبْرُ فَا= دن دن ددن

نٍ وَاللِّقَا= دن دن ددن

ءُ مُسَوِّفِي= دددن ددن

لَمْ أَخْلُ مِنْ= دن دن ددن

حَسَدٍ عَلَيْـ= دددن ددن

ـكَ فَلَا تُضِعْ= دددن ددن

سَهَرِي بِتَشْـ= دددن ددن

ـنِيعِ الْخَيَا= دن دن ددن

لِ الْمُرجِفِ= دن دن ددن

- لحظة! سمعت ابنتنا تقول: "سَهْرِي بتَشْـ= دن دن ددن"! هذه "سَهَرِي بتَشْـ"، كيف تضربين عليها كما تضربين على "مستفعلن"! خطأ، وهو خطأ منتشر، تجعلون "دددن ددن"، "دن دن ددن"، ظلما وعدوانا، قهرا؛ لهذا نقلتموها في الواجب إلى الرجز! هذه هي النتيجة، أن نقلتموها إلى واجب الرجز! طيب! سؤال: عندنا معلقة شريفة من بحر الكامل، ما هي؟
- معلقة عنترة.
- أحسنت! ماذا يقول؟
- هل غادر الشعراء من متردم...
- "هَلْ غَادَرَ الشُّعَرَاءُ مِنْ مُتَرَدَّمِ أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ"!

واستطاع في هذه القصيدة أن يعبر عن حركة الحرب:

"فَشَكَكْتُ بِالرُّمْحِ الْأَصَمِّ ثِيَابَهُ لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَا بِمُحَرَّمِ"!

فَشَكَكْتُ بالرْ= دددن ددن

ـرُمْحِ الْأَصَمْ= دن دن ددن

ـمِ ثِيَابَهُ= دددن ددن

لَيْسَ الْكَرِيـ= دن دن ددن

ـمُ عَلَى الْقَنَا= دددن ددن

بِمُحَرَّمِ= دددن ددن

هذا عنترة أبو الفوارس الذي تمنى رؤيته رسول الله -صلى الله عليه، وسلم!- في بعض مضعَّف الروايات، لكننا نستفيد من هذه الرواية حرصه على مكارم الأخلاق، وهو الذي قابل ابنة حاتم الطائي، وعفا عنها، وقال لها: "إِنَّ أَبَاكِ كَانَ يُحِبُّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ"! وهو الذي قال في حِلْف الفضول: "لَوْ دُعِيتُ إِلَى مِثْلِهِ فِي الْإِسْلَامِ لَأَجَبْتُ"! كان يحب مكارم الأخلاق، مهما كان صاحبها! وعنترة هو الذي يقول قبل الإسلام: "وَأَغُضُّ طَرْفِي..."، كما أمرنا ربنا -سبحانه، وتعالى!-:

"وَأَغُضُّ طَرْفِي مَا بَدَتْ لِيَ جَارَتِي حَتَّى يُوَارِيَ جَارَتِي مَأْوَاهَا"!

وهو من الكامل كذلك -سبحان الله!- تأملوا:

وَأَغُضُّ طَرْ= دددن ددن

فِي مَا بَدَتْ= دددن ددن

لِي جَارَتِي= دددن ددن

حَتَّى يُوَا= دن دن ددن

رِيَ جَارَتِي= دددن ددن

مَأْوَاهَا= دن دن دن

"دن دن دن، متْفاعلْ، مضمرة مقطوعة"، صورة أخرى من "متفاعلن"، أُضمرت فيها التفعيلة وقُطعت. صورة من بيت الكامل، ناجحة كذلك، لكن صورتنا اليوم أنجح، ويكفيها شرفا أن منها المعلقة، وأشرف البحور بحور المعلقات! في المعلقات الطويل، وفيها البسيط، وفيها الكامل، وفيها الوفر، وفيها الخفيف، وليس فيها غير هذا، هذا هو، معلقة امرئ القيس وزهير وطرفة من الطويل، ومعلقة عمرو من الوافر -وسيأتي- ومعلقة عنترة من الكامل، ومعلقة الحارث من الخفيف، ومعلقة الأعشى عند القائلين بالعشر، من البسيط، ومعلقة عبيد من مخلع البسيط، بقيت واحدة، نسينا معلقة لبيد من الكامل:

"عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلُّهَا فَمُقَامُهَا بِمِنًى تَأَبَّدَ غَوْلُهَا فَرِجَامُهَا"!

لدينا إذن معلقتان من الكامل!

عَفَتِ الدِّيَا= دددن ددن، متفاعلن، سالمة

رُ مَحَلُّهَا= دددن ددن، متفاعلن، سالمة

فَمُقَامُهَا= دددن ددن، متفاعلن، سالمة

بِمِنًى تَأَبْ= دددن ددن، متفاعلن، سالمة

ـبَدَ غَوْلُهَا= دددن ددن، متفاعلن، سالمة

فَرِجَامُهَا= دددن ددن، متفاعلن، سالمة

هذه التي منها البيت الذي سجد له الفرزدق، قالوا: ما هذا أبا فراس! قال: أنتم تعرفون سجدات القرآن، وأنا أعرف سجدات الشعر، وهذا موضع سجدة! وسجد! ما البيت الذي سجد له الفرزدق؟ بيت معجز حقا:

"وَجَلَا السُّيُولُ عَنِ الطُّلُولِ كَأَنَّهَا زُبُرٌ تُجِدُّ مُتُونَهَا أَقْلَامُهَا"!

أي نزل المطر، فلمَّع الأطلال، نَظَّفها فصارت تلمع كأنها صحف كانت مكتوبة، وذهبَتِ الكتابة، ثم عدت تجدد الكتابة بقلم، تمر على الحروف بقلم:

"وَجَلَا السُّيُولُ عَنِ الطُّلُولِ كَأَنَّهَا زُبُرٌ تُجِدُّ مُتُونَهَا أَقْلَامُهَا"!

فسجد الفرزدق لهذا البيت من معلقة سيدنا لَبِيد أحد كبار الشعراء، الذي أدرك الإسلام، فأسلم، فلما دعوه إلى الإنشاد من شعره بعد الإسلام قرأ عليهم سورة البقرة، يقصد أنه قد اكتفى بالقرآن الكريم، وأعلمُ الناس بالقرآن الشعراءُ؛ فلما دعوه إلى أن ينشد من شعره قرأ عليهم سورة البقرة؛ لهذا انتهى شعره بالقرآن: لماذا أقول الشعرَ وعندي القرآنُ! هذا لبيد، ومعلقته ثمانية وثمانون بيتا، منتهى الروعة، احفظوا المعلقات -يا جماعة!- كنا نحفظها قديما، احفظوا القصائد المهمة: المعلقات، والمذهبات، والمجمهرات، احفظوا هذه الأشياء؛ فهي ذخيرة تنفع عند الحاجة كما ترون! نعود، ها أنتم أولاء ترون الكامل متربعا على عرش الشعر العربي، مع الطويل والبسيط والوافر، يُرْبِي عليها أحيانا، وينقص عنها أحيانا، ويساويها أحيانا، كما ترون. إلى أين وصلنا؟ "وَاسْأَلْ"، ها، هيا اسألوا معنا!

- وَاسْأَلْ نُجُو= دن دن ددن
مَ اللَّيْلِ هَلْ= دن دن ددن
زَارَ الْكَرَى= دن دن ددن
جَفْنِي وَكَيْـ= دن دن ددن
ـفَ يَزُورُ مَنْ= دددن ددن
لَمْ يَعْرِفِ= دن دن ددن
لَا غَرْوَ إِنْ= دن دن ددن
شَحَّتْ بِغُمْـ= دن دن ددن

ـضِ جُفُونِها= دددن ددن

عَيْنِي وَسَحْـ= دن دن ددن

ـحَتْ بِالدُّمُو= دن دن ددن

عِ الذُّرَّفِ= دن دن ددن

وَبِمَا جَرَى= دددن ددن

فِي مَوْقِفِ التْـ= دن دن ددن

ـتَوْدِيعِ مِنْ= دن دن ددن

أَلَمِ النَّوَى= دددن ددن

شَاهَدْتُ هَوْ= دن دن ددن

لَ الْمَوْقِف= دن دن ددن

إِنْ لَمْ يَكُنْ= دن دن ددن

وَصْلٌ لَدَيْـ= دن دن ددن

ـكَ فَعَدْ بِهِ= دددن ددن

أَمَلِي وَمَا= دددن ددن

طِلْ إِنْ وَعَدْ= دن دن ددن

تَ وَلَا تَفِ= دددن ددن

- اللهُ، اللهُ! فيكم طرب، وفيكم وناسة! هذا شيء بديع، يا سلام! كلام جميل، أداء جميل، متعة، تتنزل علينا الآن أرواح الشعراء، تملأ علينا المكان أُنْسًا! **طيب، ما قافية البيت الأول؟**
- لَمْ تَعْرِفِ.
- "لَمْ تَعْرِفِ"، خطأ! تسرعت! وبهذا تضيع الدرجات! "لَ(مْ) تَ(عْ)رِفِ(ي)"، ثلاثة سواكن، ولا نريد غير ساكنين! الصواب إذن "تَعْرِفِ"، الأول العين الساكنة، والثاني الياء غير المكتوبة، بينهما الراء المكسورة والفاء المكسورة، وقبلهما التاء المفتوحة، فالقافية إذن في ضربة واحدة "تَعْرِفِ"، وقد استقلت بها كلمة، وإذا استقلت بها كلمة أو استقلت هي بكلمة، تميزت، ورفعت

رأسها، وقالت: ها أنا ذي، إن القافية من تقول: ها أنا ذي، ليست القافية من تقول: كانت القصائد وكانت الأبيات! ها أنا ذي أمامك، "تَعْرِفِ"، ها!

- مَنْ يَفِي
- من يفي، هل نعتمد على الإيقاع؟ نعم، نعتمد حذرين!
- مَنْ يَفِي، ها!

ـمُسْرِفِ

تُسْعَفِ

ـمُتْلَفِ

ـمُدْنَفِ

مُسَوَّفِي

- مُسَوَّفِي؟
- ـسَوَّفِي

ـمُرْجِفِ

يَعْرِفِ

ـذُرَّفِ

ـمَوْقِفِ

لَا تَفِ

- هكذا، هكذا، دون أن نتسرع، ولا أن نخدع بروعة الإيقاع، وإن له لروعة. طيب، **ما أقوى المكررات؟**
- الفاء.
- واضح -يا أستاذ!- هذه فائية، والفاء مكسورة، هل قبلها ألف أو واو أو ياء؟
- لا.
- هل قبل الذي قبلها ألف؟
- لا.

- فهي إذن مجردة. طيب، هل أُشبعت كسرة الفاء، أو جاءت بدل إشباعها هاء أو تاء أو كاف ساكنات، أو متحركات؟
- لا.
- بل أُشبعت؛ فعندنا مد. من يضيف عبارة البيانات من غير خطأ، من؟ مروة!
- هذه القصيدة كاملية الأبيات التامة الصحيحة...
- أحسنت، لا، لحظة! هذه القصيدة إذن كاملية الأبيات، التامة، وهذا شيء يحتاج أن نعتني به، لأننا لا نسمعه كثيرا، فهذه القصيدة تامة، هذا النمط تام، لأن التفعيلات كلها سواء في السلامة والإضمار، كل تفعيلة من تفعيلات البيت مثل غيرها، يمكنها أن تسلم، ويمكنها أن تُضمر، تأملوا مثلا تفعيلات أوائل الأبيات:

قَلْبِي يُحَدْ= دن دن ددن، متْفاعلن، وهذه مضمرة،

فَلَئِنْ رَضِيـ= ددن ددن، متفاعلن، وهذه سالمة،

يَا مَانِعِي= دن دن ددن، متْفاعلن، وهذه مضمرة،

وَبِما جرى= ددن ددن، متفاعلن، وهذه سالمة.

وهكذا غيرها، لا فضل لتفعيلة على تفعيلة أخرى، إلا بالتقوى والعمل الصالح، طيب! هذه القصيدة...
- كاملية الأبيات التامة الصحيحة العروض والضرب.
- أحسنت! هذه كذلك تحتاج إلى تنبيه، لأنها كانت تُضمر فتعود إلى السلامة، فتُضمر فتعود، فتُضمر فتعود؛ وإذا كان التغيير على هذا النحو لم نعبأ به، لم نثبته في البيانات، لأنه عارض، و"العَارِضُ لَا يُعْتَدُّ بِهِ" -هذه القاعدة فقهية- و"الشَّاذُّ يُؤَكِّدُ القَاعِدَةَ وَلَا يَنْفِيهَا"، لكن نسميه العارض، لن نسميه الشاذ، لأنه ليس بشاذ، هو عارض. طيب! هذه القصيدة كاملية الأبيات التامة الصحيحة العروض والضرب، فائية القوافي المكسورة المجردة الموصولة بالياء، ولا تكون هنا إلا مدا. الآن نستطيع أن ننتقل إلى قصيدة المنافسة الأخيرة، آخر المنافسات -ها!- إذا متنا بعد هذا متنا شهداء -إن شاء الله!- نموت ونحن مرتاحو البال! هل قرأتم مقالي عن البنت التي قرأت، وطردتها، ونقصتها، ثم قرأت، وكذا، ونجحت، وكذا؟ كتبت عن إحدى الفتيات -فأنا أكتب

عنكم أحيانا، أطرب لبعض المواقف، فأكتب!- في مرة طردت البنت، وحذفت من درجاتها، ثم جاءتني تقول: يسلم عليك أبي! يسلم بعد كل هذا العذاب! أعجبني هذا، والله! والله -يا جماعة!- قطعت عليَّ المحاضرة دون استئذان ولا تمهيد، لتقول لي: يسلم عليك أبي! أثرت فيَّ هذه العبارة؛ يسلم عليَّ بعد كل ما فعلته! طردتُك مرة، وحذفت من درجاتك مرة! فكتبتُ عنها مقالًا، لعلكم قرأتموه! فعلقت بُنيّاتي على هذا، قالت لي إحداهنّ: هذا ظلم، تحذف من الطلاب، وتطردهم، هذا ظلم، تشردهم، تمنعهم من الاستفادة! قلت لها: اهدئي قليلا؛ هذه منافسة نتفق عليها، وللمنافسة شرطها وحكمها، و"الغُرْمُ بالغُنْمِ"، طلاب يريدون الفائدة ويتحملون الضرر، ويتعلمون أن يصمدوا في المواقف. هي اختيارية لا إجبارية، موافق؟ سيُحذف منك، أو تُطرد، موافق؟ توكلنا على الله! لكن إذا لم تقبلوا المنافسة انتقلنا إلى القراءة العادية المجانية، فقالت: الآن فهمت، لا بأس. أنا أولادي أصلا قليلو الأدب على وجه العموم -بمعنى الجرأة عليّ!- أولادي جميعا قليلو الأدب! سمعت هذه العبارة من أستاذ طب نفسي، فأعجبتني، قال في بثٍّ مُتَلْفَزٍ على الفضاء مباشرةً: أنا أبنائي جميعا -ولله الحمد!- قليلو الأدب! ماذا يقصد؟ يقصد أنهم جريئون عليه، يجادلونه في كل شيء، لا يقبلون كلامه هكذا كأنه مقدس، وأنا أولادي -ما شاء الله!- كلهم على هذا النحو؛ أعجبتني الكلمة، ولم أَنْسَهَا للأستاذ الدكتور محمد شعلان أستاذ الطب النفسي بجامعة الأزهر! **طيب، اسمعوا الكلام الجميل! مِسكُ الختام لاميَّةُ المتنبي أبي الطيب أحمد بن سليمان الجُعْفِيّ،** قالوا له: أتنبأت حقا؟ لم يتنبأ، لكن أعجبه هذا، فتركه يشيع في الناس! اتركوهم يظنون أني تنبأت؛ فهذا أحسن لي عندهم، وأعظم هيبة في النفوس! متنبئ، يمشي في الشوارع متنبئا، ويحضر الندوات متنبئا! أعندك أحسن من هذا!

"مَا رَأَى النَّاسُ ثَانِيَ الْمُتَنَبِّي أَيُّ ثَانٍ يُرَى لِبِكْرِ الزَّمَانِ
عَاشَ فِي عَصْرِهِ نَبِيًّا وَلَكِنْ ظَهَرَتْ مُعْجِزَاتُهُ فِي الْمَعَانِي"!

لو قُدِّر لك أن تلقى المتنبي، وتقول له: أتنبأت! أو لو قال لك: أنا أَحْمَدُ النبيّ، يلعب بالكلام، يُورّي بـ"أحمد" الذي بمعنى "أمدح" -وهو اسمه أحمد أصلا، ابن الحسين!- تقول له: من أنت؟ فيقول لك: أنا أَحْمَدُ النبي! يُحيّرك بين تَنَبُّئِه والثناء على النبي -صلى الله عليه، وسلم!- فتقول له: نَبِيّ، ما شاء

الله، وما معجزاتك، إن شاء الله؟- لقال لك: هذه اللامية إحدى معجزاتي، إذا قرأتُها على الناس تَغَيَّرت أحوالُهم!

نُعِدُّ المَشْرَفِيَّةَ، للمتنبي

١) "نُعِدُّ المَشْرَفِيَّةَ وَالعَوَالِي وَتَقْتُلُنَا المَنُونُ بِلَا قِتَالِ

٢) وَنَرْتَبِطُ السَّوَابِقَ مُقْرَبَاتٍ وَمَا يُنْجِينَ مِنْ خَبَبِ اللَّيَالِي

٣) وَمَنْ لَمْ يَعْشَقِ الدُّنْيَا قَدِيمًا وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْوِصَالِ

٤) نَصِيبُكَ فِي حَيَاتِكَ مِنْ حَبِيبٍ نَصِيبُكَ فِي مَنَامِكَ مِنْ خَيَالِ

٥) رَمَانِي الدَّهْرُ بِالْأَرْزَاءِ حَتَّى فُؤَادِي فِي غِشَاءٍ مِنْ نِبَالِ

٦) فَصِرْتُ إِذَا أَصَابَتْنِي سِهَامٌ تَكَسَّرَتِ النِّصَالُ عَلَى النِّصَالِ

٧) وَهَانَ فَمَا أُبَالِي بِالرَّزَايَا لِأَنِّي مَا انْتَفَعْتُ بِأَنْ أُبَالِي

٨) وَهَذَا أَوَّلُ النَّاعِينَ طُرًّا لِأَوَّلِ مَيْتَةٍ فِي ذَا الْجَلَالِ

٩) كَأَنَّ الْمَوْتَ لَمْ يَفْجَعْ بِنَفْسٍ وَلَمْ يَخْطُرْ لِمَخْلُوقٍ بِبَالِ

١٠) صَلَاةُ اللهِ خَالِقِنَا حَنُوطٌ عَلَى الْوَجْهِ الْمُكَفَّنِ بِالْجَمَالِ"!

"نعد المشرفية والعوالي"، أي نجهز الأسلحة، السيوف والرماح، المشرفية السيوف، والعوالي الرماح

-هَلِ انْتَبَهْتُم؟- كان المفروض أن يقول: نعد المشرفيةَ والعواليَ، لأن المعطوف على منصوب...

- منصوب.

- منصوب، فأين النصب؟ هذا من ألطف ما يكون من لغة الشعر، هذا من ألطف ما يكون في الشعر من خصائصه اللغوية، أن يطرح النصب عن الاسم المنقوص والفعل الناقص، يقول مثلا: كذا كذا أَنْ أَدْعُو، أين نَصْب "أدعو"؟ هذا من ألطف ما يكون في الشعر. "نُعِدُّ المَشْرَفِيَّةَ وَالعَوَالِي"، ومع كل هذا "وَتَقْتُلُنَا المَنُونُ بِلَا قِتَالِ"، لا تحتاج إلى أسلحة! "نُعِدُّ المَشْرَفِيَّةَ وَالعَوَالِي"، "وَنَرْتَبِطُ السَّوَابِقَ"، ما السوابق؟ نرتبط الخيل السريعة، "مُقْرَبَاتٍ"، بجوار البيت، تجهز اللكزس والمرسيدس والرولز رويز، بجوار الباب، للهرب، "وَمَا يُنْجِينَ مِنْ خَبَبِ اللَّيَالِي"، وخببُ الليالي أسرع، ماذا تجهز -يا مسكين!- من تسابق؟ تسابق العمر! "وَمَنْ لَمْ يَعْشَقِ الدُّنْيَا قَدِيمًا"، نفعل هذا من عشقنا للدنيا، لا حيلة لنا في هذا، "وَمَنْ لَمْ يَعْشَقِ الدُّنْيَا قَدِيمًا"، ما هذا الأسلوب؟

- استفهام.
- استفهام استنكاري مثلا؟ ومن لم يعشق، هات لي واحدًا لم يعشق الدنيا، "وَمَنْ لَمْ يَعْشَقِ الدُّنْيَا قَدِيمًا"، أعرف أن هذا كله عبث عبث، لكن نفعله، نفعله من عشق الدنيا المتأصل فينا، الذي لا حيلة لنا فيه، "وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْوِصَالِ" -ههه!- عَلَّمتُ زملاءكم لُغْزًا، يقال في منافسات الحفلات، تسأل الحاضرين: من الذي نحبه جميعا، ولا يحب منا أحدا -ها!- من الذي نحبه جميعا، ولا يحب منا أحدا؟
- الموت.
- الدنيا، نحن لا نحب الموت، من يحب الموت! سماه ربنا في كتابه "مصيبة الموت"! "وَمَنْ لَمْ يَعْشَقِ الدُّنْيَا قَدِيمًا"، هات لي واحدا لم يحب الدنيا، حتى الزهاد يعرفون أنه ما من إنسان يموت إلا يندم؛ أما المحسن فيندم أن لم يزدد من الإحسان؛ كان يريد أن يعيش أكثر! وأما المسيء فيندم أن لم يعد عن إساءته؛ كان يتمنى أن يعيش أكثر! "وَمَنْ لَمْ يَعْشَقِ الدُّنْيَا قَدِيمًا وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْوِصَالِ"! عندنا في اللهجة المصرية مثلٌ كأنه أغنية، يقولون: "كُلّنَا نْحِبّ الْقَمَرْ والْقَمَرْ بِيْحِبّ مِينْ"! هو هو المشكلة، من يُحَبّ، لا يُحب أحدًا! "وَمَنْ لَمْ يَعْشَقِ الدُّنْيَا قَدِيمًا وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْوِصَالِ"، "نَصِيبُكَ فِي حَيَاتِكَ مِنْ حَبِيبٍ نَصِيبُكَ فِي مَنَامِكَ مِنْ خَيَالِ"، من منكم يستطيع أن يمسك بحلمه بعد أن يفيق من النوم؟ من؟
- لا أحد!
- لا أحد!

"وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ الْمُدَامَةِ بِالصَّغِيرِ وَبِالْكَبِيرِ
وَشَرِبْتُ بِالْخَيْلِ الْإِنَاثِ وَبِالْمُطَهَّمَةِ الذُّكُورِ
فَإِذَا سَكِرْتُ فَإِنَّنِي رَبُّ الْخَوَرْنَقِ وَالسَّدِيرِ
وَإِذَا صَحَوْتُ فَإِنَّنِي رَبُّ الشُّوَيْهَةِ وَالْبَعِيرِ"!

كان البدوي إذا ما سكر- عافانا الله وإياكم من أم الخبائث!- تخيل أنه النعمان بن المنذر في قصر الخَوَرْنَق، أنه دونالد ترامب مثلا في البيت الأبيض -ها، هذا يصلح للخمر!- وإذا ما أفاق عرفت أنه البوعزيزي يحترق بنيران الفقر! "نَصِيبُكَ فِي حَيَاتِكَ مِنْ حَبِيبٍ نَصِيبُكَ فِي مَنَامِكَ مِنْ خَيَالِ"،

مرة في إحدى المحاضرات قلت هذا الكلام تعليقا على هذا البيت، فأشار طالب، يطلب الكلام، قال: يا أستاذ، أنا نصيب، وأبي حبيب! اسمه "نصيب حبيب" -إي، والله!- وهذه الأسماء معروفة في عمان، ولكنها عندنا نادرة جدا!

- حتى عندنا!
- لا، عندكم في عمان عائلات مغرمة بهذه الأسماء: نصيب حبيب نصيب حبيب نصيب حبيب! كلها هكذا، يريد الأب أن يقول: هذا نصيبي من الدنيا، ابني هذا نصيبي من الدنيا! "نَصِيبُكَ فِي حَيَاتِكَ مِنْ حَبِيبٍ نَصِيبُكَ فِي مَنَامِكَ مِنْ خَيَالِ"، أي لا نصيب لك! ثم يشرح: "رَمَانِي الدَّهْرُ بِالْأَرْزَاءِ"، ما هي الأرزاء؟
- المصائب، النوائب.
- المصائب، جمع أم مفرد؟
- جمع.
- جمع، مفرده...
- رَزِيئة.
- خطأ!
- رَزِيّة.
- خطأ!
- رُزْء.
- رُزْء، نعم، جزء أجزاء، رزء أرزاء، يا مساكين، تجري اللغة على إيقاع، كيف تكون رزيئة على أرزاء! مستحيل. اللغة موسيقية، شاعرة، اقرؤوا كتاب العقاد "اللغة الشاعرة"! اكتبوا اسمه "اللغة الشاعرة: مزايا الفن والتعبير في اللغة العربية"، واقرؤوه هذا المساء! ستقرؤونه -إن شاء الله!- وستقرؤون معه مقالي الذي سأنبهكم عليه آخر المحاضرة. يقول العقاد: هذه اللغة شاعرة، لماذا؟ لأنها موسيقية، تجري على إيقاع، والعقاد شاعر عالم، عالم كبير، شاعر اختلف فيه الناس؛ فمنهم من رفعه، ومنهم من خفضه، وهذه العبقرية! " رَمَانِي الدَّهْرُ بِالْأَرْزَاءِ حَتَّى فُؤَادِي -نفسه- فِي غِشَاءٍ مِنْ نِبَالِ"، صرت كأنني أعيش في داخل غرفة من سهام المصائب -تخيل!- صورة تستحق

فِلْمًا من أفلام سبيلبيرج، حتى يخرجها للسينما، أنا الآن من كثرة المصائب وتواليها وتراكمها، صرت أعيش في غرفة هي نفسها من المصائب! وما النتيجة؟ "فَصِرْتُ إِذَا أَصَابَتْنِي سِهَامٌ تَكَسَّرَتِ النِّصَالُ عَلَى النِّصَالِ"، تكسرت المصائب على المصائب، فماذا أخسر! تخيلوا هذا الشخص يعيش في إطار من المصائب -النبال، السهام- ماذا يحدث إذا أصيب بمصيبة جديدة؟ تسقط المصيبة الجديدة على المصائب القديمة، فتتكسر بالاصطدام بها! مصائب يرقق بعضها بعضا -ما شاء الله!- ومصائب يحمينا بعضها من بعض! وما النتيجة؟ "وَهَانَ..."، ما الذي هان؟ أين فاعل الفعل "هان"؟

- تكسر.
- "تكسر" فعل -يا مسكينة!- ها!
- سهام.
- أين فاعل الفعل "هان"، "هان، يهون"، أين فاعله؟
- الدهر.
- أين هذا الدهر!
- محذوف.
- الفاعل لا يحذف، يَظهر أو يَستتر.
- مستتر.
- مستتر، وتقديره؟
- هو.
- يعود على؟
- الدهر.
- أين هذا؟
- في البيت الخامس.
- وهان الدهر! يا مسكينة، يقول: "وَهَانَ فَمَا أُبَالِي بِالرَّزَايَا"! هان، هان عليّ كلُّ ذلك.
- يقصد نفسه.

- لا، خطأ، يقصد: هان عليَّ حالُ المصاب بالمصائب بعد المصائب! هان علي هذا، نعم، فكيف نعرب؟ هان فعل، فاعله ضمير مستتر تقديره "هو" يعود إلى المفهوم مما سبق، ليس له مرجع محدد، وهذه لطيفة، ينبغي أن يعود الضمير إلى مرجع محدد، لا يجوز أن يعود إلى الدهر، لأنه يتكلم عن الإصابة، أي هانت الإصابة، هان المصاب، أي هان البغي والعدوان والظلم والقهر، هان، هان، فاعل "هان" ضمير مذكر "هو"، لا يقصد هان عليَّ الدهرُ، لا، بل هان عليَّ المصاب نفسه، هان علي ذلك كله، "فَمَا أُبَالِي بِالرَّزَايَا لِأَنِّيَ مَا انْتَفَعْتُ بِأَنْ أُبَالِي"، هذه الرزايا التي مفردها رَزيئة، لا الأرزاء التي مفردها رُزء -ما شاء الله!- جاءكم المتنبي بالكلمتين كأنه في حصة نحو وصرف يدرس! بالمناسبة كان المتنبي عالما، وكان يستطيع إذا سئل عن شيء أن يقول: لم تقل العرب منه إلا كذا -ما شاء الله!- كان محيطا باللغة، فهو إذن أحد علماء العربية، وهذا الذي ينبغي للشعراء، وهو معروف منهم، ولكنه ليس شرطا فيهم! "وَهَانَ فَمَا أُبَالِي بِالرَّزَايَا لِأَنِّيَ مَا انْتَفَعْتُ بِأَنْ أُبَالِي"، باللَّيتُ مُدّة من الزمن، ثم لم أجد من منفعة في المبالاة، فكففت عنها! "وَهَذَا..." -الذي جاءنا ناعياً، فهو الآن يا جماعة، في مرثية، يرثي إحدى نساء سيف الدولة- "وَهَذَا أَوَّلُ النَّاعِينَ طُرًّا لِأَوَّلِ مَيْتَةٍ فِي ذَا الْجَلَالِ"، هذه أول مرة يأتينا فيها من ينعى إلينا سيدة بهذا الجلال، ما معنى "طُرًّا" هذه؟ جميعا. طيب! "مَيْتة" هذه، ما هي؟ عندنا في العربية "مَوْتة"، و"مِيتة"، و"مَيْتة"، فما فرق ما بينها؟ "مَوْتة"...

- اسم مرة.
- اسم مرة، أحسنت! و"مِيتة"...
- اسم هيئة.
- اسم هيئة، و"مَيتة"...، هذه الصعبة، أحسنتم! أنتم أفضل حالا، هذه المجموعة عالية المستوى. "مَوْتة"، اسم مرة، و"مِيتة"، اسم هيئة، و"مَيْتة"...
- اسم فاعل.
- لا، بل أخت اسم الفاعل!
- صفة مشبهة.

- صفة مشبهة، وهي مخففة عن "مَيِّتَة"، ومن هنا نشأ الإشكال، من أنها مخففة عن مَيِّتَة، مثل ماذا؟ عندكم في العمانية "طَيْبة"، أصلها "طَيِّبة"، تسمون البنت "طَيْبَة" بالتخفيف، على اسم المدينة المنورة، وهي في الأصل "طَيِّبة"، ومثل "هَيْنة" مخففة من "هَيِّنة"، وفي المثل القديم من كلام دُغَةَ المُحَمَّقَة: "هَيْنٌ لَيْنٌ، وَأَوْدَتِ الْعَيْنُ"، "هَيْن" مخفف من "هَيِّن"، و"لَيْن" مخفف من "لَيِّن"، كذلك "مَيْت" من "مَيِّت"، "مَيْتة" من "مَيِّتة". "وَهَذَا أَوَّلُ النَّاعِينَ طُرًّا لِأَوَّلِ مَيْتَةٍ فِي ذَا الْجَلَالِ"، بمثل هذا الجلال. حينما جاءنا الخبر "كَأَنَّ الْمَوْتَ لَمْ يَفْجَعْ بِنَفْسٍ وَلَمْ يَخْطُرْ لِمَخْلُوقٍ بِبَالِ"، فنحن الآن نعانيه أول معاناة، فكيف سيكون الموقف؟ سيكون شديدا جدا، يموت لنا واحد أول ميت! حينما مات رسول الله -صلى الله عليه، وسلم!- لم يصدقوا أنه مات، حتى إن سيدنا عمر شهر سيفه، وقال: مَنْ قَالَ مَاتَ رَسُولُ اللهِ ضَرَبْتُ عُنُقَهُ"! حتى قرأ سيدنا أبو بكر -رضي الله عنه!-: "مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ" -صدق الله العظيم!- فعندئذ انهار سيدنا عمر -رضي الله عنه!- وكأن لم يسمعها من قبل! "كَأَنَّ الْمَوْتَ لَمْ يَفْجَعْ بِنَفْسٍ -حينما جاءنا خبر وفاة هذه السيدة- وَلَمْ يَخْطُرْ لِمَخْلُوقٍ بِبَالِ"! ثم يدعو لها دعاء جميلا يرجو أن يكون طيب غسلها، "صَلَاةُ اللهِ خَالِقِنَا حَنُوطٌ -ما الحنوط؟ طِيب الغسل، يوضع في الغسل- عَلَى الْوَجْهِ الْمُكَفَّنِ بِالْجَمَالِ"، وجه مكفن بالجمال! هذه إشارة إلى الاستبشار بالحال، حينما يموت الشخص، وننظر إلى ملامح، فنجده جميلا وضيئا منيرا مبتسما، نقول: هذه أول البشرى، حتى إن بعضنا يقول هذا نصًّا، يخرج المغسِّل يقول لأهل الميت مُطَمْئِنًا: ما شاء الله، وجهه منير، يبتسم، وكذا! ربما كان كما قال، وربما كان على العكس وهو يخدعهم عن الحقيقة المؤلمة! تأملوا صور الموتى والشهداء التي تأتينا، يموت مبتسما إذا مات في قضية حق، يدافع العدو الحقيقي الصهاينة -لعنة الله عليهم!- تأملوا صورهم، يموتون مبتسمين، وتأينا الصور، نرجو أن نحظى بمثل هذا الحال، نسأل الله أن يختم لنا جميعا بخاتمة السعادة! "صَلَاةُ اللهِ خَالِقِنَا حَنُوطٌ عَلَى الْوَجْهِ الْمُكَفَّنِ بِالْجَمَالِ"! وهنا سؤال نؤخره للمنافسة قليلا؛ **فمن ينافس على خمس درجات زيادة أو نقصا أو طردا، ولن يجد وقتا آخر يسمع فيه هذا الكلام لأنها المنافسة الأخيرة؛ في المساء نبدأ درسا جديدا، وما بعده، وهكذا، من؟**

- دكتور، هذه آخر فرصة؛ فلا تطرد من يخطئ، ولا تنقص منه!

- لا، لا، هذه منافسة -يا إلهام!- هذه منافسة بشرطها، حتى تتعلموا طوال العمر -إن شاء الله!- أن تكونوا على مستوى المسؤولية، إذا دخلت مشروعًا كنت على مستوى المسؤولية، وإلا خرجت منه! مسعود يرجو هذا، ونحن نتيح له أن يشارك، لكن إذا أخطأ في نأمة صوت حذفنا منه، أو طردناه، و"الشَّرْطُ أَمْلَكُ، عَلَيْكَ أَمْ لَكَ"، ها!
- دكتور، هل يمكن أن أقرأها مع التقطيع؟
- مع التقطيع؟ لا، أريد أن تؤديها كما علمتك أداء الشعر، تخلط في الأداء مراعاة العروض بمراعاة اللغة، سأتكلم عن الأداءات بعد قليل، بعد صفحات سنأتي إلى إنشاد الشعر كيف يكون، سأعلمكم كيف تنشدون، وأدلكم على طرق إنشاد الشعر على مدار التاريخ، طيب، ها، تفضل!
- نُعِدُّ الْمَشْرَفِيَّةَ، للمتنبي

نُعِدُّ الْمَشْرَفِيَّةَ وَالعَوَالِي وَتَقْتُلُنَا الْمَنُونُ بِلَا قِتَالِ
وَنَرْتَبِطُ السَّوَابِقَ مُقْرَبَاتٍ وَمَا يُنْجِينَ مِنْ خَبَبِ اللَّيَالِي
وَمَنْ لَمْ يَعْشَقِ الدُّنْيَا قَدِيمًا وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْوِصَالِ
نَصِيبُكَ فِي حَيَاتِكَ مِنْ حَبِيبٍ نَصِيبُكَ فِي مَنَامِكَ مِنْ خَيَالِ
رَمَانِي الدَّهْرُ بِالْأَرْزَاءِ حَتَّى فُؤَادِي فِي غِشَاءٍ مِنْ نِبَالِ
فَصِرْتُ إِذَا أَصَابَتْنِي سِهَامٌ تَكَسَّرَتِ النِّصَالُ عَلَى النِّصَالِ
وَهَانَ فَمَا أُبَالِي بِالرَّزَايَا لِأَنِّيَ مَا انْتَفَعْتُ بِأَنْ أُبَالِي

- خطأ، مع السلامة! يجوز أن تقول: لِأَنِّي، لا أنكر، لكننا شكلناها، هل يجوز أن تحرف الكلام، "لِأَنِّيَ"! نحذف إذن خمس درجات.
- سأخرج!
- لا عبث، هذا العمل جد، كله جد.
- مع السلامة!
- أحسنت! لا تنسنا من صالح دعائك، حتى نلتقي! "الشَّرْطُ أَمْلَكُ"، على رغم محبتنا لمسعود، نحب الحق أكثر! ها، من يريد أن يطرد، من جاع على طريقة انتصار، من يريد أن يخرج إلى الغداء؟

من لم يشارك من قبل؟ ها! نورة وعدناها، صحيح، صحيح، طيب! من زمان طويل كأنه السَّنَة، تريد نورة أن تشارك، هيا -يا نورة!- حتى تدركي الغداء! مِن الأول، اسمعوا، اسمعوا ها السَّمْعَة!

- نُعِدُّ الْمَشْرَفِيَّةَ وَالعَوَالِي وَتَقْتُلُنَا الْمَنُونُ بِلَا قِتَالِ
وَنَرْتَبِطُ السَّوَابِقَ مُقْرَبَاتٍ وَمَا يُنْجِينَ مِنْ خَبَبِ اللَّيَالِي
وَمَنْ لَمْ يَعْشَقِ الدُّنْيَا قَدِيمًا وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْوِصَالِ
نَصِيبُكَ فِي حَيَاتِكَ مِنْ حَبِيبٍ نَصِيبُكَ فِي مَنَامِكَ مِنْ خَيَالِ
رَمَانِي الدَّهْرُ بِالْأَرْزَاءِ حَتَّى فُؤَادِي فِي غِشَاءٍ مِنْ نِبَالِ
فَصِرْتُ إِذَا أَصَابَتْنِي سِهَامٌ تَكَسَّرَتِ النِّصَالُ عَلَى النِّصَالِ
وَهَانَ فَمَا أُبَالِي بِالرَّزَايَا لِأَنِّيَ مَا انْتَفَعْتُ بِأَنْ أُبَالِي
وَهَذَا أَوَّلُ النَّاعِينَ طُرًّا لِأَوَّلِ مَيْتَةٍ فِي ذَا الْجَلَالِ
كَأَنَّ الْمَوْتَ لَمْ يَفْجَعْ بِنَفْسٍ وَلَمْ يَخْطُرْ لِمَخْلُوقٍ بِبَالِ
صَلَاةُ اللهِ خَالِقِنَا حَنُوطٌ عَلَى الْوَجْهِ الْمُكَفَّنِ بِالْجَمَالِ

- الحمد لله! حيوا نورة! نورة سعيدة، تستحقين، خمس درجات، ولا يهمك! أنا سعيد لأنك حصلت عليها -يا نورة!- حزين على خروج مسعود، لكنه الشرط، مسكين مسعود! من شعراء العرب من قال بيتا حَكَم على نفسه فيه بأنه مسكين، فسُمِّي مسكينا -وكانوا قديما يسمون الشاعر بأَطْرَفِ ما في شعره!- من يعرفه؟ رَبِيعةُ الدَّارِمِيّ، قال:

"أَنَا مِسْكِينٌ لِمَنْ أَنْكَرَنِي وَلِمَنْ يَعْرِفُنِي جِدُّ نَطِقْ"!

ويُروى بالعكس:

"أَنَا مِسْكِينٌ لِمَنْ يَعْرِفُنِي وَلِمَنْ أَنْكَرَنِي جِدُّ نَطِقْ"!

سبحان الله! لكأن الذي غيَّره إنما أراد ذِلّة المؤمن لأخيه المؤمن، ومهما كانت نيته لم يكن ينبغي له أن يُغيّر من نصّ الشاعر! ذكرتُ بهذا البيت بيتا آخر ظريفًا، استشهد به سيبويه على الحال المستغنية بنفسها -لم يُسمّ صاحبه، ثم قيل إنه للغطْرِيف الهَدّاديّ- هو:

"هَنِيئًا لِأَرْبَابِ الْبُيُوتِ بُيُوتُهُمْ وَلِلْعَزَبِ الْمِسْكِينِ مَا يَتَلَمَّسُ"!

هذا رجل عَزَب وحيد، كأنه حاقد على الأزواج! **ها! سنأخذ الآن بيتين من أول لامية المتنبي، مسك الختام هذه، متعة المنتهى، سترون فيها عجبا من العجب. ماذا قال سيدنا، وهو من سادات الشعراء، بسم الله!**

نعد المشرفية والعوالي وتقتلنا المنون بلا قتال

ونرتبط السوابق مقربات وما ينجين من خبب الليالي

أي الخيول السابقة، قريبة من الباب، للهروب، دون جدوى مع الأسف، والخبب ضرب من سير الخيول السريع. نطمئن على الإملاء، ثم نضيف التشكيل:

نُعِدُّ الْمَشْرَفِيَّةَ وَالعَوَالِي وَتَقْتُلُنَا الْمَنُونُ بِلَا قِتَالِ

وَنَرْتَبِطُ السَّوَابِقَ مُقْرَبَاتٍ وَمَا يُنْجِينَ مِنْ خَبَبِ اللَّيَالِي

ونحاول أن نعالج خلط الخط. "الْعَوَالِي" كان المفروض أن تكون "العواليَ"، لكن هذا معروف، و"نرتبط" -فيه مبالغة- لا "نربط"، اللكزس على الباب! هذا الشعر يُغَنِّي بعضه بعضا، وهذا عجيب جدا أن يستعمل هذا في الرثاء! هذا الذي أردت أن أقوله لكم منذ دقائق: كيف يستعمل هذا الوزن الراقص في الرثاء؟ اسمعوا!

نُعِدُّ الْمَشْـ ـرَفِيَّةَ وَالْـ عَوَالِي وَتَقْتُلُنَا الْـ ـمَنُونُ بِلَا قِتَالِ

وَنَرْتَبِطُ السْـ ـسَوَابِقَ مُقْـ ـرَبَاتٍ وَمَا يُنْجِيـ ـنَ مِنْ خَبَبِ الْـ ـلَيَالِي

معقول هذا -يا أستاذ!- ترقص في العزاء! ولكنها حدثت مرة! إي والله! رقص الولد في عزاء عمه الذي قهره طوال حياته، فلما مات رقص في العزاء! هذه الفكرة التفتت إليها الطالبة هبة سعيد، قالت: ولماذا لا نفسر هذا بأنها مشاعر مزيفة؟ لقطة ذكية حقًّا! قلت لها: هذا غير مقبول هنا، لأن المتنبي كان من عشاق سيف الدولة وأهله، بل كان يحب أخت سيف الدولة على ما استنبط محمود محمد شاكر أستاذنا أستاذ الدنيا، رحمه الله، وطيب ثراه! هؤلاء كانوا كأنهم أمنيته التي تمنى أن يكونها، لا ريب في محبته الخالصة، مستحيل، لا ريب؛ فما حقيقة هذا الأمر، كيف يرثي بوزن راقص؟ حاول أن تفهم بطريقة أخرى! اقترحت أن يكون كأنه أراد أن يشير إلى انقلاب الفرح ترحا مثلا، أي الوقت الذي توقعت أن أفرح فيه حزنت فيه؛ فانظر كيف تحوَّل الوزن السعيد إلى حزين، كما تحول فرحي إلى ترح مثلا، هذا توجيه يضاف إلى توجيه ابنتنا في مكانه،

هذا طيب جدا! وهذا معروف عند الموسيقيين كذلك، عندنا مثلا الدكتور محمد عبد الوهاب الموسيقار الشهير، لحن أغنيةَ عيدٍ من مقام الصبا الحزين، فعجب الناس: كيف يلحن أغنية سعيدة من مقام حزين! هذه مسألة لا ينتهي الكلام فيها: ما علاقة المقامات بالمعاني، ما علاقة الأوزان بالمعاني؟ ألها بها علاقة؟ أم هذا الكلام عبث خالص! فمن الناس من يقول: لا علاقة، ويحتج بالمعلقات، المعلقة واحدة من وزن واحد وفيها وقوف على الأطلال ورحلة وصيد وغزل وهجاء...، كل هذا في وزن واحد، فقال: لا علاقة. أنا أرى وجود العلاقة، لكن بطريقة أخرى، علمتكم إياها طوال الفصل، كنت أقول لكم: انتبهوا إلى السرعة والبطء: السرعة عند الفرح، والبطء عند الحزن! فكنت أعلمكم أن توجهوا الإيقاع إذا احتملت التفعيلة أكثر من وجه، فستجدونها هنا مثلا يجوز أن تكون "ددن دن دن"، وأن تكون "ددن دددن"، تتحرك عند الفرح، وتسكن عند الحزن، وهذا ما أستطيع أن أعتمد عليه، إضافة إلى الطول والقصر: عندك بيت طويل، وبيت قصير، عندنا أمور يمكننا أن نمسك بها في هذه المسألة، وهذا من حرصنا على عبقرية العربية، ولا أوافق من يُخْلون المسألة من المعاني قولا واحدة، أعيد، يا ربي، راقص حقا! ننزل هذا على الصفحة، نبدأ بالخطوط التي كالسيوف إن لم تقطعها قطعتك، ونغني لها غناء خاصا!

نُعِدُّ الْمَشْـ| ـرَفِيَّةَ وَالْـ| عَوَالِي| وَتَقْتُلُنَا الْـ| ـمَنُونُ بِلَا| قِتَالِ

وَنَرْتَبِطُ السْـ| ـسَوَابِقَ مُقْـ| ـرَبَاتٍ| وَمَا يُنْجِيـ| ـنَ مِنْ خَبَبِ الْـ| ـلَيَالِي

وأستطيع أن أكتب متنفسا، أو أنطق كاتبا:

نُعِدُّ الْمَشْـ= ددن دن دن

ـرَفِيَّةَ وَالْـ= ددن دددن

عَوَالِي= ددن دن

وَتَقْتُلُنَا الْـ= ددن دددن

ـمَنُونُ بِلَا= ددن دددن

قِتَالِ= ددن دن

وَنَرْتَبِطُ السْـ= ددن دددن

ـسَوَابِقَ مُقْـ= ددن دددن

ـرَبَات= ددن دن

وَمَا يُنَجِّيـ= ددن دن دن

ـنَ مِنْ خَبَبِ الْـ= ددن دددن

ـلَيَالِي= ددن دن

هذه لغة لا يختلف عليها أحد، لا يختلف على الدندنة أحد في العالم، لكن المشكلة في التسمية، ما اسم "ددن دن دن"؟ ستقول لي: "ددن دن دن= مَفَاعِيلُن"، وأقول لك: "مَفَاعِلين" هذه في الهزج، أو الطويل، أما هنا فاسمها "مُفَاعَلْتُن"! كيف هذا، يا أستاذ! هذه تفعيلة معصوبة، وهذه سالمتها "مفاعلَتن"، فلا يجوز هنا أن تسميها ما سميتها في الهزج، هذا خلط بين البحور! "نُعِدُّ الْمَشْـ= ددن دن دن"، هذا الإيقاع تسمعه في الهزج، وتسمعه في الطويل، وكان يمكن أن تسمعه في المضارع، لكن جرى الشعراء على عدم تسليم التفعيلة؛ فإما أن تكف، وإما أن تقبض، ولا تسلم، كما رأينا، أما هنا فلا يجوز أن تسميها كذلك "مفاعيلن"، لا؛ هذه لها اسمها هنا "مُفَاعَلْتُن" مغيرة عن "مفاعلَتن" السالمة، لأن **البحر بحر الوافر، والبيت منه "مفاعلَتن مفاعلَتن مفاعلَتن"، مرتين.** "مفاعلَتن" هذه تتكون من: "مفا= ددن، الوتد المجموع"، و"عَلَ= دد، السبب الثقيل"، و"تن= دن، السبب الخفيف"، وهي معكوس "متفاعلن"، تأملوا: علن متفا= ددن دددن، مفاعلتن"، "علتن مفا: = دددن ددن، متفاعلن"؛ لهذا انتبه الخليل إلى أنه أخو الكامل، الوافر أخو الكامل، كلاهما من بني المؤتلف (أسرة المؤتلف)، تسمى الدائرة التي تشتمل عليهما دائرة المؤتلف، بعد دائرة المختلف التي تشتمل على الطويل والمديد والبسيط، وكذا، وكذا، تأتي هذه الدائرة لتشير إلى البحرين الكثيري الاستعمال، كثرة الطويل والبسيط إلا قليلًا؛ فالخليل قد حرص على ترتيب الدوائر ترتيب أكثريّة استعمال، بحور الدائرة الأولى أكثر استعمالا، وبحور الدائرة الثانية بعد الأولى استعمالا...، وهكذا، حتى نصل إلى النهاية. طيب! هذا إذن بحر الوافر -البيت منه "مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن"، مرتين- نستطيع أن نتكلم عنه كلاما عاطفيا بأنه سيد دائرته؛ فعادة الخليل أن يسوِّد على الدائرة بحرها المبدوء بالوتد (يقول هذا سيدها الذي تبدأ منه مسيرة توليد الأبحر): في دائرة المختلف سوَّد الطويل: "فعو= ددن، وتد مجموع"، وفي دائرة المؤتلف دائرة اليوم سوَّد الوافر: "مفا= ددن، وتد مجموع"، وفي دائرة المجتلب سوَّد الهزج: "مفا= ددن، وتد مجموع"، وفي دائرة

المشتبه اختل الأمر منه، لأنه كان ينبغي أن يسوّد عليها المضارع: "مفاعيلن: مفا= ددن، وتد مجموع"، ولكنه افتقده في الاستعمال كثيرا، فاضطر إلى نقل السيادة إلى بحر السريع على رغم أنه مبدوء بسبب: "مس= دن، سبب خفيف"، وفي دائرة المتفق سوَّد المتقارب: "فعو= ددن، وتد مجموع". وإنما كان ذلك من أن التفعيلة المبدوءة بوتد عند الخليل أقوى، وقوتُها بسبق توالي متحركيها المشفوعين بالساكن هي التي دفعتها إلى المقدمة، على حين أخرت عنها المبدوءة بغير بالسبب. ولابُدّ من وجود الدفعة القوية: إما في أول التفعيلة، وإما في آخرها، وإما في وسطها، لابُدّ من الدفعة القوية. وبحر الوافر كثير الاستعمال، منه معلقة، من يذكرها؟ معلقة شغلت العرب، "ألْهَى...

- "أَلَا هُبِّي بِصَحْنِكِ فَاصْبَحِينَا...
- نعم، صحيح:

"أَلَا هُبِّي بِصَحْنِكِ فَاصْبَحِينَا وَلَا تُبْقِي خُمُورَ الأَنْدَرِينَا
مُشَعْشَعَةً كَأَنَّ الحُصَّ فِيهَا إِذَا مَا المَاءُ جَاوَرَهَا سَخِينَا"!

ولكنني أردت قول أحد البَكْرِيّين في أثَرِها:

"أَلْهَى بَنِي تَغْلِبٍ عَنْ كُلِّ مَكْرُمَةٍ قَصِيدَةٌ قَالَهَا عَمْرُو بْنُ كُلْثُومِ
يُفَاخِرُونَ بِهَا مُذْ كَانَ أَوَّلُهُمْ يَا لَلرِّجَالِ لِشِعْرٍ غَيْرِ مَسْؤُومِ"!

لأنها ملأت الدنيا وشغلتها الناس!

أَلَا هُبِّي= ددن دن دن

بِصَحْنِكِ فَاصْبَ= ددن دددن

ـحِينَا= ددن دن

وَلَا تُبْقِي= ددن دن دن

خُمُورَ الأَنْـ= ددن دن دن

ـدَرِينَا= ددن دن

مُشَعْشَعَةً= ددن دددن

كَأَنَّ الحُصْـ= ددن دن دن

ـصَ فِيهَا= ددن دن
إِذَا مَا الْمَا= ددن دن دن
ءُ جَاوَرَهَا= ددن دددن
سَخِينَا= ددن دن
وفيها:
"إِذَا بَلَغَ الْفِطَامَ لَنَا رَضِيعٌ تَخِرُّ لَهُ الْجَبَابِرُ سَاجِدِينَا"!
إِذَا بَلَغَ الْفِـ= ددن دددن
ـطَامَ لَنَا= ددن دددن
رَضِيعٌ= ددن دن
تَخِرُّ لَهُ الْـ= ددن دددن
ـجَبَابِرُ سَا= ددن دددن
جِدِينَا= ددن دن
وملأت الدنيا، وشغلت الناس! بَحْرُ معلقة! أَلَا بِحَسْبِهِ هذا شرفًا، ماذا يريد أكثر من هذا! مثل ماذا هذا؟ أَشَبَّهتُ لكم هذا من قبل؟ لا، لم أُشَبِّهْ! تخيلوا الملابس حين يلبسها الكبراء أو المشاهير لاعبي كرة قدمٍ مثلًا أو مطربين أو وزراءَ أو رؤساءَ أو ملوكًا... يلبس الواحد منهم من بيت كذا من بيوت الأزياء! في مرة حَضَرَ حفلًا عمرُو دياب هذا المغني المشهور، فإذا الشباب كلهم يلبسون مثل ملبسه، ما شاء الله! تأملوا افتتان الناس! ومَنْ تَشَبَّهَ أَشْبَهَ، لهذا ينبغي لنا أن نتشبه بمن نحب! أنا مثلا أقلّد أستاذي محمود محمد شاكر كثيرا دون أن أدري، حتى إنني أعض أحيانا على إصبعي كما كان يعض تماما، كما كان يفعل! في مرة صليت في جامع عمرو بن العاص -رضي الله عنه!- أقدم جامع في إفريقية، بجوار رجل وابنه، فوجدت الابن يجلس مثلما يجلس أبوه، فلما تحرك أبوه تحرك مثل حركته، والابن رجل كبير لا طفل صغير! وإذا هما يمنيان، وهذه من التقاليد العربية القديمة، أن يجل الابن أباه بأن يعمل مثل عمله، ففي بقائه على هيئته معنى من التكبر على أبيه، فهو يخضع لتقليد أبيه أَدَبًا وبِرًّا: إذا تحرك أبوه يمينا تحرك يمينا، وإذا تحرك يسارا تحرك يسارا، وإذا افترش الأرض افترشها، وإذا افترش ساقيه افترشهما! إي والله، صليت

بجوارهما، ورأيت ذلك منهما! يكفي الوافرَ شرفا أن منه معلقة عمرو بن كلثوم. طيب! "ددن دن دن" هذه عرفناها، وسميناها "مفاعلْتن"، لأنها جاءت بعد "ددن دددن= مفاعلَتن" السالمة، فماذا سنسمّي هذه "ددن دن" إن شاء الله!

- مُفَاعَلْ.

- "مُفَاعَلْ"، فلابد أن تخرجوها من "مفاعلَتن": سكنا اللام بزحاف العَصْب الخفيف اللطيف، فصارت "مفاعلْتن"، ثم حذفنا "تن" بعلة الحَذْف الشديدة، فهي معصوبة محذوفة، هيأناها أولا بالعَصْب، فشبهناها بـ"مفاعيلن"، و"مفاعيلن" معروف فيها الحذف "مفاعي"، فصارت في النهاية "مُفَاعَلْ"، ومن الناس من ينقلها إلى "فعولن"، ونحن لا ننقل حرصًا على وصل الفرع بالأصل، ما اسم "ددن دن"؟

- مُفَاعَلْ.

- طيب، ما الذي أصابها؟ العصب والحذف، نعم، ولكنهما معا يسميان "القَطْف"؛ فالتفعيلة مقطوفة، ولولا الالتباس لرمزتُ إليها بالقاف أو الطاء أو الفاء!

نُعدُّ الْمَشْـ= ددن دن دن، مفاعلْتن، معصوبة

ـرَفيَّةَ وَالْـ= ددن دددن، مفاعلتن، سالمة

عَوَالِي= ددن دن، مفاعلْ، مقطوفة

وَتَقتُلُنَا الْـ= ددن دددن، مفاعلتن، سالمة

ـمَنُونُ بِلَا= ددن دددن، مفاعلتن، سالمة

قِتَالِ= ددن دن، مفاعلْ، مقطوفة

وَنَرْتَبِطُ السْـ= ددن دددن، مفاعلتن، سالمة

ـسوَابِقَ مُقْـ= ددن دددن، مفاعلتن، سالمة

ـرَبَاتِ= ددن دن، مفاعلْ، مقطوفة

وَمَا يُنَجِّيـ= ددن دن دن، مفاعلْتن، معصوبة

ـنَ مِنْ خَبَبِ الْـ= ددن دددن، مفاعلتن، سالمة

ـلَيَالِي= ددن دن، مفاعلْ، مقطوفة

ما القطف؟ زحاف وعلة. أي زحاف؟ العصب، وهو خفيف لطيف جدا. وأية علة؟ الحذف. واعلموا أن الزحاف لما تعلَّق بالعلة جرى مجراها، فلزِم. وإذا وضعتم سكونا على لام "مفاعلْتن" كان حسنا، كما فعلتم بتاء "متْفاعلن" المضمرة، والعصب في الوافر هو الإضمار في الكامل: مفاعلْتن/ علْتن مفا (متْفاعلن)! هل فرغنا من هذا؟ عزفناه؟ لا، **فودعوا العزف -يا جماعة!- ودعوا، هذه آخر مرة تفعلون فيها ما جرينا على فعله، ها!**

- نُعدُّ المْشْـ= ددن دن دن
  ـرَفيَّةَ وَالْـ= ددن دددن
  عَوَالِي= ددن دن
  وَتَقْتُلُنَا الْـ= ددن دددن
  ـمَنُونُ بِلَا= ددن دددن
  قِتَالِ= ددن دن
- لحظة! من أخطائكم المشهورة أن تؤدوا "ددن دددن"، هكذا "ددن دن دن"، كسلا، وبطئًا! لا، حاولوا أن تعالجوا هذا البطء وذاك الكسل، لأنهما يسقطان حركة، ويورطان في تغيير لا حقيقة له، ها!
- وَنَرْتَبِطُ السْـ= ددن دددن
  ـسوَابِقَ مُقْـ= ددن دددن
  ـرَبَاتٍ= ددن دن
  وَمَا يُنَجِّيـ= ددن دن دن
  ـنَ مِنْ خَبَبِ الْـ= ددن دددن
  ـلَيَالِي= ددن دن
  وَمَن لَمْ يَعْـ= ددن دن دن
  ـشَقِ الدُّنيَا= ددن دن دن
  قَدِيمًا= ددن دن
  وَلَكِنْ لَا= ددن دن دن

سَبيلَ إِلَى الْـ= ددن دددن

ـوِصَالِ= ددن دن

نَصيبُكَ فِي= ددن دددن

حَياتِكَ مِنْ= ددن دددن

حَبيبِ= ددن دن

نَصيبُكَ فِي= ددن دددن

مَنامِكَ مِنْ ددن دددن

خَيالِ= ددن دن

رَمانِي الدَّهْـ= ددن دن دن

ـرُ بِالْأَرْزَا= ددن دن دن

ءِ حَتَّى= ددن دن

فُؤَادِيَ فِي= ددن دددن

- ها! سمعت من تقول: "فُؤَادِيَ فِي= ددن دددن، مفاعلَتن، سالمة"، هذا جائز، لكننا اخترنا هذا الوجه، لكي نوحي بحزنه قدر الطاقة، ها!

- فُؤَادِي فِي= ددن دن دن

غشاءٍ مِن= ددن دن دن

نِبَالِ= ددن دن

فَصِرتُ إِذا= ددن دددن

أَصابَتْنِي= ددن دن دن

سِهامٌ= ددن دن

تَكَسَّرَتِ النْـ= ددن دددن

ـنِصَالُ عَلَى النْـ= ددن دددن

ـنِصَالِ= ددن دن

وَهَانَ فَمَا= ددن دددن

أُبَالِي بِالرْ= ددن دن دن

ـرَزَايَا= ددن دن

لأَنِّيَ مَا انْـ= ددن دددن

ـتَفَعْتُ بِأَنْ= ددن دددن

أُبَالِي= ددن دن

وَهَذَا أَوْ= ددن دن دن

ـوَلُ النَّاعِيـ= ددن دن دن

ـنَ طُرًّا= ددن دن

لأَوَّلِ مَيْـ= ددن دددن

ـتَةٍ فِي ذَا الْـ= ددن دددن

ـجَلَالِ= ددن دن

كَأَنَّ الْمَوْ= ددن دن دن

ـتَ لَمْ يَفْجَعْ= ددن دن دن

بِنَفْسٍ= ددن دن

وَلَمْ يَخْطُرْ= ددن دن دن

لِمَخْلُوقٍ= ددن دن دن

بِبَالِ= ددن دن

صَلَاةُ اللَّـ(ا)ـ= ددن دن دن

ـهِ خَالِقِنَا= ددن دددن

حَنُوطٌ= ددن دن

عَلَى الْوَجْهِ الْـ= ددن دن دن

ـمُكَفَّنِ بِالْـ= ددن دددن

ـجَمَالِ= ددن دن

- رحمها الله، وطيب ثراها! لابُدّ أنها كانت عظيمة بحيث استطاعت أن تفجر في شاعرنا هذه المعاني. **ما قافية البيت الأول إذن؟**

- ـتَالِ.

- ـتَالِ، أكيد أكيد؟ وهل في هذه خلاف، يا أستاذ! "قيل: عُدَّ غنمك، يا جحا! فقال: واحدة قائمة، واحدة نائمة"! "ـتَالِ": هذه الألف الساكن الأول، وهذه الياء غير المكتوبة الساكن الثاني، بينهما اللام المكسورة، وقبلهما التاء المفتوحة؛ فالقافية إذن "ـتَالِ"، ها!

- ـيَالِي

ـصَالِ

ـيَالِ

ـبَالِ

ـصَالِ

ـبَالِي

ـلَالِ

- لَالِي لِي لَالِي!

- ـبَالِ

ـمَالِ

- **ما أقوى المكررات؟**

- اللام.

- ما حركتها؟

- الكسرة.

- هل قبلها ألف أو واو أو ياء؟

- ألف.

- قبلها ألف؛ فهذه ردف، ولا يجتمع ردف وتأسيس؛ فإذا ما وجدت الردف فانس التأسيس! طيب، ما الذي حدث لكسرة اللام: أأشبعت، أم جاء في موضع إشباعها هاء أو تاء أو كاف؟

- أشبعت.
- جميل، من يضيف عبارة البيانات؟ إلهام، قولي!
- هذه القصيدة وافرية الأبيات الوافية...
- الوافية طبعا، لأن تفعيلتي العروض والضرب استقلتا بـ"مفاعلْ" هذه التي يستحيل أن تكون في الحشو، ها!
- المعصوبة العروض والضرب...
- المعصوبة! صحيح أنها معصوبة محذوفة، ولكننا اتفقنا على كلمة تختصر الكلمتين؛ فالمعصوبة المحذوفة مقطوفة، فنقول إذن: المقطوفة العروض والضرب -فهي المعصوبتهما المحذوفتهما!- فرصة ونعمة وغنيمة باردة أن سُمِّي التغييران اسما واحدا، هذا أخف وألطف وأحسن، ها!
- لامية القوافي المكسورة المردفة بالألف الموصولة بالياء.
- هذه القصيدة إذن، وافرية الأبيات الوافية المقطوفة العروض والضرب، لامية القوافي المكسورة المردفة بالألف الموصولة بالياء، جميل جدا، بديع! الآن قبل أن تذهبوا أعرض عليكم إحصائيّة البحور، سريعا سريعا أدلّكم على موضعها لتقرؤوا بها هذا المساء مقالا لي، إن شاء الله! تذهبون إلى موقعي -ما شاء الله! أين هذا؟ يحتاج موقعي إلى جوجل كروم، لأنه ثقيل!- تذهبون، تكتبون في البحث هنا: "رحلة اللغة العربية في بحور الشعر: طرف من تكملة عمل الخليل بن أحمد". **أرأيتم قصيدة انتصار -ههه!- ما زالت على هذه الصفحة: "وَاطَرْدِيَاهْ، لانتصار الحربية" -لطيفة!- انظروا إلى مقدار ما حظيت به من قراءات وإعجابات! أَقَرَأْتُمُوها؟** اسمعوا: أغراني أستاذي أنا وصاحبتي -تقصد سالمة- فغرينا (انخدعنا)، فأخفقت هي، فَطُرِدنا جميعا، فقلت:
- "يقول سعادةُ الدكتور نظمًا طابَ معناهُ

اقرئي يا انتصار! صعبة، ها!

يقول سعادةُ الدكتور نظمًا طابَ معناهُ

ودُرًّا من صميم الفن نَصَّ الشعرُ فحواهُ

فما رأيُ النجيب الفذّ أن يُبدي عطاياهُ

"يبدي" هذه من لغة الشعر!

ويقرأ شعر مجلسنا فيطربنا ونهواهُ
ولكن دونما خطأٍ نُجازي القولَ أعلاهُ
ولو شان الحصانُ اللفظَ سوَّينا حواياهُ
فإما نَقْصُ مَجْناهُ وإما طَرْدُ مَبناهُ
لِآنٍ زارنا شَغَفٌ فجازَفْنا وخُضْناهُ
يا لطمع النفس!
طُرِدنا نُصْبَ أعينهم وهذا ما أردناهُ
يا لانخداع نفسها!
فَمُرُّ الحلْوِ من ثمرٍ عذابٌ قد جَرَعناهُ
فما مِن علّةٍ أودت بنا للطرد أوّاهُ
فمِن بحرٍ وأغرَقنا ووزنٍ قد أضعناهُ
أمِن فتحٍ بغير الوعي أهوينا كسَرناهُ
أَضَمٌّ يعتلي حرفًا بلا ذنبٍ فتحناهُ
تَحَوَّلَ طَيْفُ بُغْيتنا سرابًا قد ظَمئناهُ
سنأتي مِن غدٍ أمَلًا على حُلُمٍ شَغَلْناهُ
أوَعيدٌ هذا!
بِجَهْدِ النفس للعلياء مِن صخرٍ أذَبْناهُ"!

انظروا إلى الإعجابات -عدد كبير هذا!- وإلى الدخول، هذا مقدار أكثر مما تحظى به مقالاتنا -ما شاء الله!- شعبية! وأنا -يا جماعة!- أنشر للطلاب على موقعي، فهذا مثلا مقال لمروة البطرانية، من أكثر المقالات انتشارا -تأملوا!- ولا يتقدم إلى هنا إلا ما أثبتُّه أنا أو ما زاد على غيره انتشارا، هذا نظام الموقع، لا يبقى في هذا الموضع إلا ما أُثبته على الصفحة -ولم أثبت غير منشورَيْن فقط- وإلا ما كثرت قراءاته. طيب! **نذهب إلى مقالي "رحلة اللغة العربية في بحور الشعر". هذا عمل صعب -انتبهوا!- وستقرؤونه هذا المساء -إن شاء الله!- ألقيته في مؤتمر "الخليل عبقري العربية"، وهذا أنا في الصورة على المنصة.**



- أين كان هذا المؤتمر، يا دكتور؟
- في جامعة القاهرة. وهذا الذي عن يميني أستاذي الدكتور أحمد كشك الذي كان هنا قديما رئيسا للقسم، وهذا الذي عن يمينه أستاذي الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف الذي دعي إلى هنا في بعض الأعمال العلمية، أكثر من مرة. وكلمتي هذه مسجلة، لكن أين الكلمة؟ لا، هذه مسجلة، نريدها مكتوبة. هذه هي المكتوبة، سأمر عليها سريعا -إن شاء الله!- لكيلا نتأخروا أكثر، هذا سيدنا الخليل بن أحمد -صورة متخيلة له-: السلام عليك، يا أبا عبد الرحمن! هل سلمتم عليه؟
- السلام عليك، يا أبا عبد الرحمن!
- وعليكم السلام -يا أبنائي!- ورحمة الله وبركاته، حياكم الله، وأحيانا بكم! كان هذا المقال مباركًا ببركة سيدنا الخليل -ولله الحمد!- ألقيته في أكثر من مكان، في الصين، وفي بلادنا، وقبلته مجلة سيارة لا تقبل أي شيء، ما الذي فيه؟ ذهبت إلى الموسوعة الشعرية التي صدرت عن مجمع أبي ظبي الثقافي، وفيها هذا المقدار من القصائد -انظروا!- فيها ١١٤٢٣٤ قصيدة، عدد كبير! وُزِّعت

هذه القصائد على هذه الاثني عشر عصرا: ما قبل الإسلام، المخضرمون، الإسلامي، الأموي، ما بين الدولتين، العباسي، الفاطمي، المغرب والأندلس، الأيوبي، المملوكي، العثماني، الحديث- ولو كنت المصنِّف ما فعلت هذا، فأنا أحب تصنيف الشعر على المذاهب الفنية لا العصور السياسية، لكنه الذي حدث، وقد خضعتُ له، ولكنني تأذَّيْتُ ببعض الأخطاء التي كنت أرجو ألا تقع -ألا يعرفون أهمية ما فعلوا، أوَلا يعرفون مبلغ حاجتنا إليه! لو عرفوا ما قبلوا أن يقع خطأ واحد!- وقد قلَّبت هذه الموسوعة على كل جانب، فمرة قسمتُ القصائد على العصور، ومرة رتبتُ مقادير الاستعمالات على العصور: فهذا مثلا عصرٌ طويلٌ بقصائد كثيرة، وهذا عصرٌ طويلٌ بقصائد قليلة، وهذا عصرٌ قصيرٌ بقصائد قليلة، وهذا عصرٌ قصيرٌ بقصائد كثيرة- ومرة قسمت البحور على العصور؛ فعندنا فيما قبل الإسلام مثلا اثنا عشر بحرا فقط، وفي كذا كذا...، وهكذا، فوائد كثيرة. ثم قسمتُها على وجه العموم: فوجدت الطويل في المرتبة الأولى، قد تسنَّم الذروة -ووقع في العصور كلها- تلاه الكامل لا البسيط كما كنا نظن -ووقع في العصور كلها- فالبسيط -ووقع في العصور كلها- فالوافر -ووقع في العصور كلها- فالخفيف -ووقع في العصور كلها- فالسريع -ووقع في العصور كلها- فالرجز -ووقع في العصور كلها- فالمتقارب -ووقع في العصور كلها- فالرمل -ووقع في العصور كلها- فالمنسرح -ووقع في العصور كلها- فالمجتث -وخلا منه عصر- فالهزج -وخلا منه عصر- فالمديد -وخلا منه عصر- فالمتدارك -وخلت منه أعصُر- فالمقتضب -وخلت منه أعصُر- وفي الآخر يستقر المضارع، وخلت منه أعصر!

- تقدَّم المتدارك على المقتضب والمضارع!
- أحسنت الانتباه! وأنا الآن خاضع للموسوعة -وإن أخطأَتْ!- لا لرأيي، فلا عمل لي بها، غير أنني استبعدت منها شعر العامية -ومن الجهل خلط شعر الفصحى فيها بشعر العامية!- والشعر الموشح، لجناية خَرْجَتِه العامية أو الأعجمية عليه! ثم قلت: "لا تخفى مراتب الستة عشر بحرا الخليلية بعضها من بعض، بل قد انتبه إلى كثير من ذلك الخليلُ بن أحمد، ونبه عليه بدوائره المرتبة على وفق نسبة شيوع البحور؛ فقد قَدَّم دائرة المختلف ليدور فيها الطويل والمديد والبسيط، ثم ثَنَّى بدائرة المؤتلف ليدور فيها الوافر والكامل، ثم ثَلَّث بدائرة المجتلب ليدور فيها الهزج والرجز والرمل، ورَبَّع بدائرة المشتبه ليدور فيها السريع والمنسرح والخفيف والمضارع والمقتضب والمجتث، ثم خَمَّس بدائرة

المتفق ليدور فيها المتقارب والمتدارك. ولو اطلع الخليلُ بن أحمد -اسمعوا!- على ما كان بعده -متى مات الخليل؟ عام ١٧٥ الهجري؛ وبيننا وبينه مئات من الأعوام، تغيرت فيها البلاد ومن عليها!- لربما قدم دائرة المشتبه بتقدم الخفيف والسريع على وجه العموم، على دائرة المجتلب بتأخر الرجز والرمل! ثم إننا نستطيع الآن أن نصنف الستة عشر بحرا الخليليةَ، على طبقتين: في الطبقة الأولى بحور لم يخل منها عصر، وهي عشرة: الطويل، والكامل، والبسيط، والوافر، والخفيف، والسريع، والرجز، والمتقارب، والرمل، والمنسرح. وفي الطبقة الثانية بحور خلا منها بعض العصور، وهي ستة: المجتث، والهزج، والمديد، والمتدارك، والمقتضب، والمضارع. لِنُنوِّهَ بما ثبت لبحور الطبقة الأولى دون أبحر الطبقة الثانية، من ملاءمة إيقاعية حيوية مستمرة- ثم بما كان من استغناء الشعراء بها أحيانا عن أبحر الطبقة الثانية"، ثم فصَّلتُ ذلك كله في المقال، أريدكم هذا المساء أن تقرؤوه كله، **بارك الله فيكم، وشكر لكم، وأحسن إليكم، والسلام عليكم!**

اَلْمُنَادَمَةُ الثَّانِيَةُ وَالْعِشْرُونَ(١)

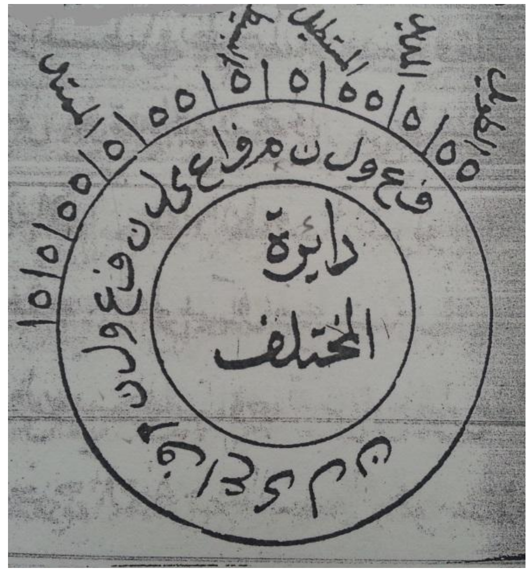
- **سلامٌ عليكم! طبتم مساء -يا أبنائي!- وطاب مسعاكم إلينا! بسم الله -سبحانه، وتعالى!- وبحمده، وصلاة على رسوله وسلاما، ورضوانا على صحابته وتابعيهم، حتى نلقاهم! كيف حالكم، كيف أمسيتم؟ بارك الله فيكم، وشكر لكم، وأحسن إليكم، ويسر لنا ولكم كل عسير، وسهل كل صعب! اليوم نحصد نتيجة ما زرعناه، نقف على نظرية الخليل، نظرية الدوائر العروضية، التي استطاع بها أن يؤلف بين البحور التي تناولناها، على أُسَرٍ، في كل أسرة طائفة من البحوريرى أنها تنويعات على لحن واحد، كما يقولون في الموسيقى.** هذا عمل تيسر له بعد أن فرغ من تأمل البحور، فرادى بحرا بحرا، استطاع من خلال شدة التدقيق، أن يكتشف أن هذه البحور تنقسم على خمس أسر، في كل أسرة طائفة من الإخوة، بين بعضها وبعض ملامح مشتركة كما بين الإخوة- ويبني عليها كثيرا مما نظَّر به أمور البحور. الدائرة الأولى دائرة المختلف، وكعادته يسمى الأشياء في علمه بما يحس من إيقاعات الأسماء. تشتمل دائرة المختلف على تكرار بعض التفعيلات المختلفة، أو في داخل التفعيلة، ينبني كيانها على توالي الأجزاء المختلفة. وفي هذه الدائرة يدور الطويل والمديد والبسيط، وبحران مهملان. لما أحس أن الطويل والمديد والبسيط إخوة، ألف بينها على قلب توالٍ واحد، واختار لبدء التنبيه على هذه الأسرة بحر الطويل ليكون سيد الدائرة، كبير الأسرة، الذي منه يبدأ التنبيه على نفسه وعلى غيره من إخوته. فرسم تفعيلات الطويل: فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن، على هيئة دائرة. لكن صاحبنا الذي اقتطعت من مخطوطه من ما رسمه بيده هذه الصورة، لم يحسن إدارة التفعيلات بحيث تستدير استدارة كاملة كما ترون:

---

(١) رابط هذه المنادمة في قناتي اليوتيوبية:

https://www.youtube.com/watch?v=i٥٠QGtrfSnQ&list=PL٠_bvBmuM٥ySq٦hXNd٤GWcNFIUaI٤uqCM&index=٢٢

وقد فرغها مصطفى أيمن، وراجعها له ياسين أبكر.



فأخل بالاستدارة بهذا البياض (الفراغ الذي تركه بين الطرفين)، كان ينبغي له أن يحسن إدارة التفعيلات حتى تتقارب وكأنها دائرة حقيقية. هذه الصورة التي أمامكم منتزعة من المخطوط الأدنى أي أسوأ مخطوطَيْ "مظهر الخافي" للمحقق الخليلي. هناك مخطوط أحسن من هذا -وقد تشرفت بتحقيق هذا الكتاب للوزارة- ولكنه سيئ العرض، والدوائر فيه شيء بشع، ولكن الإدارة فيه كاملة والفهم أعلى، لكن ماذا نفعل؟ فالتقطت لكم هذه الصورة للدوائر من المخطوط الأدنى، دون المخطوط الأعلى مضطرا!

- دكتور، هل هذا المخطوط للخليلي؟
- لا، بل لأحد ناسخي كتاب "مظهر الخافي"، كما تنقلين عن كتاب، أو كما تجلسين في محاضرة أستاذ تكتبين المحاضرة، فتكون من المحاضرة مخطوطات بعدد من حضر وكتبها، ولكن من الناس من يحسن، ومنهم من يسيء، هذا خطه أحسن، وهذا أكثر انتباها، ....، وهكذا. وحينما نتكلمين عن المحاضرة تجمعين كل المخطوطات لتقولي: هذه هي المحاضرة، تكتشفين أن بعضها أحسن، فتسوِّدينه على سائر المخطوطات، تقولين: هذا رقم واحد، على رغم ما فيه من أخطاء، ومن هذه الأخطاء الفراغ الذي تركه بين الطرفين، وكان ينبغي له أن يكمل الدائرة، هذا خطأ، والخطأ الثاني تفريقه بين حروف التفعيلات، ما هذه التفرقة؟ ما المصلحة التي نجنيها من تفريق الفاء عن العين والعين عن الواو والواو عن اللام واللام عن النون، وهكذا؟ ماذا تريد، يا أستاذ؟ لا فائدة من هذا! علمتكم أن الخليل انتبه إلى أجزاء أجزاء الأجزاء حتى وصل إلى أقلها وهو الأسباب والأوتاد

من التفعيلات، ثم نزل تحتها إلى الحروف، ولكنه لم يستفد منها، تكلم عنها على أساس أنها مكونات الأسباب والأوتاد. يبدو أن صاحبنا انخدع، وظن أنه بهذا يصل إلى ما لم يصل إليه غيره، لا، هذا خطأ، فلن يستفيد منه شيئا، لأن أجزاء التفعيلات الأسباب والأوتاد، لا الحروف، أما الحروف فأجزاء الأسباب والأوتاد! ونحن في الدائرة -يا جماعة!- سننبه على البحور بطريقة التقليب، وسنستعمل نوعين من التقليب : تقليب التفعيلات، وتقليب أجزاء التفعيلات، فقط، لا أكثر. سنعتمد في التنبيه على إخوة الأسرة (الأعضاء الذين في الأسرة)، على نوعين من التقليب: الأول تقليب التفعيلات، أي في "فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن" مثلا، نقول: "مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن"، هذا تقليب التفعيلات. لكن "فعولن" في نفسها تتكون من: "فعو"، و"لن"، و"مفاعيلن" في نفسها تتكون من: "مفا"، و"عيـ"، و"لن"، وتقليب هذه الأجزاء هو التقليب الثاني، وسنعتمد عليه كذلك في توليد البحور بعضها من بعض، والتنبيه عليها في أسرتها. سنعتمد إذن على التقليبين بحسب ما يسبق منهما إلى الموضع، أي على تقليب التفعيلات، ثم على تقليب أجزاء التفعيلات (الأسباب والأوتاد)، نبدأ بـ"فعولن" مثلا، فنستخرج "فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن"، وهذا شِطر بيت الطويل -ولا يدور في الدائرة إلا الشطر، على أن يُكرر خارجَها مرة أخرى فقط، فيكون البيت- وإنما رسمت تفعيلات بحر الطويل دون غيرها، لأنه سيد الدائرة؛ فبم سادها؟ بابتدائه بوتد "ددن= فعو"، وما سواه يبتدئ بسبب، والوتد ركن التفعيلة، الدفعة القوية، وما بعدها أضعف منها، كأنها ضربة قوية على الآلة الموسيقية، ضربة مزدوجة، سريعة، توالت مكوناتها سريعا -وسواه أخف منه- فسودَّه على الدائرة، ولهذا كتب تفعيلاته وكأنها كل شيء، وليست كل شيء، ولكن لابُدّ من أن نبدأ من شيء، فرسم تفعيلات شطر الطويل، واكتفى بالشطر كما قلت لكم، يكتفي على الدائرة بشطر البيت، ولماذا لم يكمله؟ لأن الثاني تكرار الأول -لماذا نضيع الحبر والورق والوقت، ما دام الثاني تكرار الأول؟- ولحكمة أخرى، ما هي؟ كأنه من دون أن يدري -أو ربما كان يدري!- أراد التنبيه على أن الشطر هو أصل البيت، هو الأصل الذي بدأ منه النظم في الزمن الأول، وهذا ما اكتشفه ك. موريس بورا، صاحب كتاب "الغناء والشعر عند الشعوب البدائية" -ولم يكن منهم العرب- أن هناك أصلًا قبل البيت، هو الشطر، نصف البيت -سبحان الله!- وهو ما قاله صاحبنا أبو نصر الفارابي الفيلسوف الموسيقي في "كتاب

الموسيقى الكبير"، وكأنه سئل عن أقل مقدار من الكلام الموزون، فقال: "أَقَلُّ مِقْدَارٍ مِنَ الْكَلَامِ الْمَوْزُونِ هُوَ الْمِقْدَارُ الَّذِي يَصْلُحُ بَيْتًا وَبَعْضَ بَيْتٍ"، يقصد الشطر، لأنه الشطر يمكنك أن تكتفي به، لتنظم قصيدة على المشطور، وعندئذ تقولون فيها: طويلية الأبيات المشطورة، بسيطية الأبيات المشطورة، كما تكلمنا عن التامة والوافية والمجزوءة، نستطيع أن نتكلم عن المشطورة. اكتفى الخليل بشطر الطويل، وأداره عليه الدائرة، ثم بدأ منه الفك -يسمونه الفك، كأننا في بكرة، نفك الخيط من بكرة، والخيط ملفوف في البكرة، تفك الخيط بعد الخيط، فككتَ مقدارا، نخرج شطر الطويل، فكررته مرة أخرى، فاكتمل لك بيت من الطويل (فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن) -تمام؟- سنتحرك قليلا لنبدأ من "لن"، لا من "فعو"، فماذا نقول؟ "دن ددن دن= لن مفاعي، دن ددن= لن فعو -دُوروا مع الدائرة!- دن ددن دن= لن مفاعي، دن ددن= لن فعو"، انتهيت إلى حيث بدأت، نخرج هذا النغم: "دن ددن دن، دن ددن، دن ددن دن، دن ددن"، ما هذا؟ هذا المديد -يا مساكين!- فسماه "فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلن"، كما سمى ذاك "فعولن مفاعلن فعولن مفاعيلن"، سمى هذا "فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلن"، ولم يُستعمل تاما طبعا، وقفنا على أنه لم يستعمل تاما، استعمل مجزوءا، تكلمنا في هذا. طيب، انتقلوا إلى الجزء التالي! الآن سننتقل إلى وضع تقليب التفعيلات، سنبدأ من "مفاعيلن"، بدأنا طبعا من "فعو"، وانتهينا إلى حيث بدأنا -نخرج الطويل- ثم من "لن"، وانتهينا إلى حيث بدأنا -نخرج المديد- وسنبدأ من "مفاعيلن"، لا من "فعولن"، وننتهي إلى حيث بدأنا، ليخرج عكس الطويل "ددن دن دن= مفاعيلن، ددن دن= فعولن، ددن دن دن= مفاعيلن، ددن دن= فعولن"، وهذا مهمل عند الخليل، كما عرفتم من مهملات المعجم -يقول لك: يخرج بهذه الحروف كذا وكذا، كذا معمل، وكذا مهمل- الطويل معمل، وعكس الطويل مهمل. لكن ماذا حدث؟ عادة الخليل ألا يُسمي المهمل، أن يكتفي بتسميته مهملا، ولماذا يسميه وهو غير مستعمل!

- السلام عليكم!
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته! أهلا -عُمَر!- ما شاء الله، عاش من شافك!
- عاشت أيامك!
- خطوة عزيزة!

- (...)!
- عندنا في المصرية نقول: خطوة عزيزة، فيرد الشخص، يقول: يعز مقدارك!
- يعز مقدارك!
- خطوة عزيزة، أي لا تكاد تحدث، تحدث كل شهر مرة! فهي مِن ثَمَّ نفيسة ثمينة، لأن النفيس الثمين قليل حيثما كان! تقول له: خطوة عزيزة، فيرد عليك: يعِزّ -أي الله- مقدارَك، أي يَرفع قَدْرَك! أما هنا فتقول له: عاش من شافك؟ فيرد: عاشت أيامك! سبحان الله! عبارات جميلة في اللهجات، "عاش من شافك"، "عاشت أيامك"! أحب هذه الأشياء، وأحفظها، وأرويها عنكم، حتى صرت الآن فقيها في اللهجة العمانية، أستطيع إذا ما أقمت في مصر، أن أقول: اسألوني عن العمانيين واللهجة العمانية! هذا الذي ينبغي أن يكون، وحينما كنت في القاهرة كنت أشرف على طلاب من كل مكان، فكنت أنصحهم: تفقهوا فيما أنتم فيه، لتكونوا أساتذته حينما تعودون إلى بلادكم! هذا هو العقل، لا أن تعيش منفصلا عن المجتمع، يمر الوقت ولا تدري، لا! نعود، إذن -يا جماعة!- عكس الطويل مهمل؛ فلماذا يسميه! نسير في الشارع، فنقابل آلاف الأشخاص، هل نسميهم؟
- لا.
- نقول: هذا محمد، وهذا أحمد! كيف وما لنا بهم مِن علاقة! ثم جاء من سماه المستطيل! أمجنونٌ هو؟ لا، لأنه غامر، فنظم منه! جاء عَروضي مغامر، فقال -اسمعوا، اسمعوا ها السَّمْعَةَ!-:

"لَقَدْ هَاجَ اشْتِيَاقِي غَرِيرُ الطَّرْفِ أَحْوَرْ أُدِيرَ الصُّدْغُ مِنْهُ عَلَى مِسْكٍ وَعَنْبَرْ"!

من عكس الطويل:

لَقَدْ هَاجَ اشْـ= ددن دن دن، مفاعيلن، سالمة

ـتِيَاقِي= ددن دن، فعولن، سالمة

غَرِيرُ الطَّرْ= ددن دن دن، مفاعيلن، سالمة

فِ أَحْوَرْ= ددن دن، فعولن، سالمة

أُدِيرَ الصُّدْ= ددن دن دن، مفاعيلن، سالمة

غُ مِنْهُ= ددن دن، فعولن، سالمة

عَلَى مِسْكٍ= ددن دن دن، مفاعيلن، سالمة

وَعَنْبَرٍ= ددن دن، فعولن، سالمة

من تابعه على هذا؟

- لا أحد.

- لا أحد، فذهب عمله أدراج الرياح، صيحة في واد، ونفخا في رماد، ورقما (كتابة) في الماء! أتعب نفسه هباءً المسكين! كان يظن أن يتابَع، فلم يتابع، كان يظن أنه اخترع شيئا، وهو معروف للخليل، من مهملات دائرته! تظن أنك اخترعت بحرا جديدا -يا مسكين!- تريدنا أن نثبته في متن علم العروض! لا يكون لك هذا إلا بأمرين، ما هما؟ أن يتابعك عليه الشعراءُ جيلا فجيلا، وأن يقبله منكم المتلقون جيلا فجيلا، ولم يحدث لا هذا...

- ولا ذاك.

- ولا ذاك. طيب، إذا بدأنا مما بعد أول "مفاعيلن"، فبم نبدأ؟ بـ"عيلن"، ابدؤوا بـ"عيلن": "دن دن ددن= عيلن فعو، دن ددن= لن مفا، دن دن ددن= عيلن فعو، دن ددن= لن مفا"، ما هذا؟

- البسيط.

- أحسنت! البسيط، "مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن"، والبسيط معمل، معروف. طيب، تزحزحوا قليلا، ابدؤوا من "لن" -لا من "مفا"، ولا من "عي"- وانتهوا إلى حيث بدأتم؟ ماذا تقولون؟ "دن ددن= لن فعو، دن ددن دن= لن مفاعي، دن ددن= لن فعو، دن ددن دن= لن مفاعي"، ما هذا؟

- مهمل.

- خطأ، ما هذا؟

- المهمل الممتد.

- سامحوني! نبدأ من الأول، يبدو أن العقد انفرط مِنِّي، أن البكرة تعثكلت! نبدأ من الأول حتى تنتبهوا: "فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن"، هذا شطر الطويل -تمام؟- فرغنا منه. تجاوزوا "فعو"، وابدؤوا من "لن": "دن ددن دن= لن مفاعي دن ددن= لن فعو، دن ددن دن= لن مفاعي دن ددن= لن فعو"، وهذا شطر المديد، سميناه المديد؟

- نعم.
- جميل، تزحزحوا قليلا! من أين نبدأ؟ من "مفاعيلن" نفسها: ددن دن دن= مفاعيلن، ددن دن= فعولن، ددن دن دن= مفاعيلن، ددن دن= فعولن"، وهذا شطر البحر المهمل الذي غامر بالنظم عليه أحد المتأخرين، فقال البيت الذي ذكرناه، وسماه المستطيل، لأنه نظم منه، سماه إذ نظم منه! نبدأ بـ"عي": "دن دن ددن= عيلن فعو، دن ددن= لن مفا، دن دن ددن= عيلن فعو، دن ددن= لن مفا"، وهذا شطر البسيط الذي ذكرتموه. ما الذي بعده؟ نبدأ بـ"لن"، وننتهي إلى حيث بدأنا، فماذا نقول؟ "دن ددن= لن فعو، دن ددن دن= لن مفاعي، دن ددن= لن فعو، دن ددن دن= لن مفاعي". يا جماعة، الأمور واضحة لكم في الملفات، دوروا مع الأشياء كما تدور! ماذا نقول؟ يا جماعة، ماذا نقول؟ فرغنا من البدء بـ"فعو"، ومن البدء بـ"لن"، ومن البدء بـ"مفا"، ومن البدء بـ"عيـ"، لنبدأ بـ"لن"، التي في "مفاعيلن"، فماذا نقول؟ "دن ددن= لن فعو، دن ددن دن= لن مفاعي، دن ددن= لن فعو، دن ددن دن= لن مفاعي"، ما هذا؟ هذا عكس المديد، فبدلًا من "فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلن"، يقول: "فاعلن فاعلاتن فاعلن فاعلاتن"! قلت لكم: سنقلب نوعين من التقليب: تقليب التفعيلات، وتقليب أجزاء التفعيلات، وقد قلبنا تفعيلات المديد، فماذا خرج؟ خرج بحر مهمل، لم يسمه الخليل، لأنه مهمل، ثم جاء أحد المغامرين، فقال:

"صَادَ قَلْبِي غَزَالٌ أَحْوَرٌ ذُو دَلَالٍ كُلَّمَا زِدْتُ حُبًّا زَادَ مِنِّي نُفُورَا"!

صَادَ قَلْـ= دن ددن، فاعلن، سالمة

بِي غَزَالٌ= دن ددن دن، فاعلاتن، سالمة

أَحْوَرٌ= دن ددن، فاعلن، سالمة

ذُو دَلَالٍ= دن ددن دن، فاعلاتن، سالمة

كُلَّمَا= دن ددن، فاعلن، سالمة

زِدْتُ حُبًّا= دن ددن دن، فاعلاتن، سالمة

زَادَ مِنْـ= دن ددن، فاعلن، سالمة

نِي نُفُورَا= دن ددن دن، فاعلاتن، سالمة

فسماه الممتد، أخذ اسمه من المديد -"ممتد"، و"مديد"، من مادة واحدة، تمام؟- هذا هو، طيب، ماذا بعد؟ ماذا بعد! قد انتهينا، أخذت كل شيء: بدأت بـ"فعو"، ثم بـ"لن"، ثم بـ"مفا"، ثم بـ"عي"، ثم بـ"لن"- فانتهت الدائرة -وما بعد هذا تكرار- فجرت كل ما فيها، فبدا واحد معملا طويلا، وواحد معملا مديدا، وواحد مهملا لم يسمه الخليل ثم غامر فيه بعض المتأخرين فسماه المستطيل، وواحد معملا بسيطا، وواحد مهملا لم يسمه الخليل ثم غامر فيه بعض المتأخرين فسماه الممتد، وانتهت هذه الدائرة، وهي الدائرة الأولى، فيها أكثر البحور استعمالا على وجه العموم، المديد أقل، لكن فيها الطويل ملك البحور، والبسيط وزيره؛ لهذا قدم هذه الدائرة. تليها دائرة المؤتلف.



وكلمة مؤتلف عكس مختلف في لغتنا، ما عكس مختلف؟ مختلف. ما عكس كبير؟ صغير، ما عكس عظيم؟ حقير. ما عكس بعيد؟ قريب...، إلى آخره؛ فعندنا في العربية كلمات متضادات متعاكسات، استفاد منها الخليل، فسمى الدائرة الثانية دائرة المؤتلف، على عكس دائرة مختلف، لماذا يا ترى سماها المؤتلف؟ لأنه وجد أن مكونات تفعيلاتها تأتلف، يعني إما كذا وإما كذا، سيد هذه الدائرة الوافر، لأنه المبدوء بالوتد "مفا"، فوضع تفعيلاته على الدائرة: "ددن دددن= مفاعلتن، ددن دددن= مفاعلتن، ددن دددن= مفاعلتن"، جميل؟ جميل. بمناسبة هذه الدوائر والألفات التي في صورة الدائرة، اعلموا أنها رموز متأخرة عن الخليل، كانوا يرمزون فيها بالدائرة إلى المتحرك لا إلى الساكن، وبالألف إلى الساكن، لا على ما كنتم تفعلون في الثانوية؛ كنتم في الثانوية ترمزون إلى المتحرك بالألف، وإلى الساكن...

- بالدائرة.
- بالدائرة، أخذا من دوران السكون الذي في التشكيل، أما أولئك الناس فأخذوها من وضع اللسان، فاللسان عند السكون يستلقي في الفم كالميت، وعند الحركة يلتف بعضه على بعض بحسب الأصوات، فرمزوا إلى المتحرك بالدائرة، لا الألف، كما صرنا نفعل، لقد انخدعنا بشكل حركات التشكيل، أرأيتم؟ وأنا لا أفعل لا هذا ولا ذاك، بل أستعمل الدندنة، هذه المقروءة المسموعة. طيب! وضع تفعيلات لشطر الوافر على الدائرة، وينبغي أن يرسمها بطريقة دائرية ليبدأ الفك بسيد الدائرة، وهو الوافر، ومن ثم نبدأ به. طيب، مم تتكون "مفاعلتن"؟ علمتكم أنها تتكون من "مفا" الوتد المجموع، و"عل" السبب الثقيل، و"تن" السبب الخفيف. بدأنا من "مفا"، فأخرجنا شطر الوافر، لنكرره مرة، فنخرج البيت من الوافر. سنبدأ بـ"عل"، هكذا تقول: "دددن ددن= علتن مفا، دددن ددن= علتن مفا، دددن ددن= علتن مفا"، ما هذا؟ هذا أخوه الكامل، وقد سمى تفعيلاته "متفاعلن متفاعلن متفاعلن"، وهذا الكامل معمل. طيب، ابدؤوا من "تن"! ألم نقل إن "مفاعلتن" مكونة من "مفا" و"عل" و"تن"؟ بدأنا من "مفا"، ثم من "عل"، لنبدأ الآن من "تن"، هيا، حاولوا: "دن ددن دد= تن مفاعلَ، دن ددن دد= تن مفاعلَ، دن ددن دد= تن مفاعلَ"، ما هذا! هل يمكن لهذا أن يُنظم؟
- لا.
- وهذا هو المهمل؛ ففي هذه الدائرة معملان ومهمل، معملان هما الوافر والكامل، ومهمل لم يسمه الخليل، ثم جاء مغامر من المتأخرين، فقال منه -اسمعوا، اسمعوا ما قال!-:

"مَا رَأَيْتُ مِنَ الجَآذِرِ بِالجَزِيرَةِ إِذْ رَمَيْنَ بِأَسْهُمٍ جَرَحَتْ فُؤَادِي"!

مَا رَأَيْتُ مِـ= دن ددن دد، فاعلاتك، سالمة

ـنَ الجَآذِرِ= دن ددن دد، فاعلاتكَ، سالمة

بِالجَزِيرَةِ= دن ددن دد، فاعلاتكَ، سالمة

إِذْ رَمَيْنَ بِـ= دن ددن دد، فاعلاتكَ، سالمة

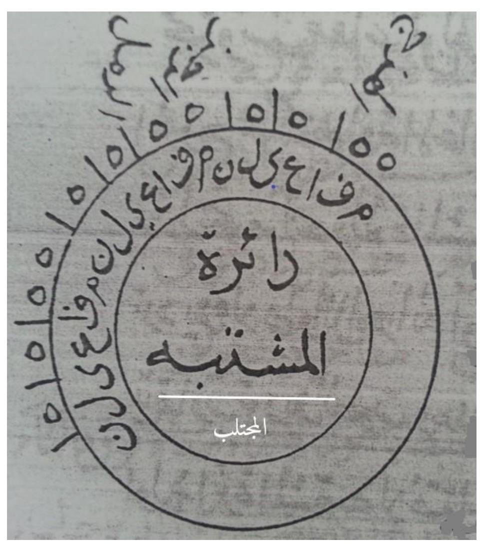
ـأَسْهُمٍ جَرَ= دن ددن دد، فاعلاتكَ، سالمة

حَتْ فُؤَادِي= دن ددن دد، فاعلاتكْ، مغيرة

والله!

- ههه!

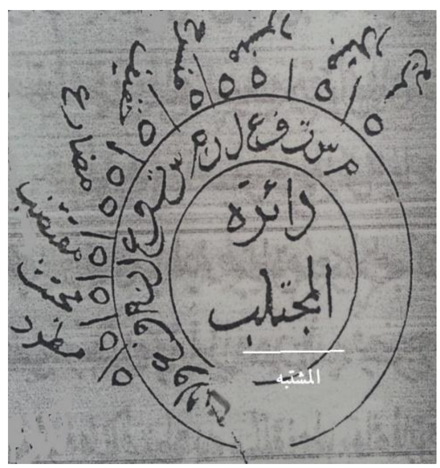
- طيب، أين "دن ددن دد" الأخيرة؟ يستحيل طبعا أن يقف على متحرك، هذا شبيه بـ"مستفعلن مستفعلن مفعولاتُ" في السريع، هل سمعتم عن شاعر نظم على "مستفعلن مستفعلن مفعولاتُ" متحركة فقط؟ يستحيل، إما أن يقف، وإما أن يشبعها، لهذا نظموا على "مستفعلن مستفعلن مفعولاتْ"، أو جاء بعض العمانيين (الضابط العماني)، فنظم على "مستفعلن مستفعلن مفعولاتن". كيف تقف متحركا! يستحيل. وكذلك هذا، انظروا كيف فعل! فعل مثلما فعلوا في "مفعولاتُ"، قال: "فاعلاتكْ" -سموها "فاعلاتك": "فاعلاتكَ فاعلاتكَ فاعلاتكَ فاعلاتكَ فاعلاتكَ فاعلاتكْ"- وسماه "المتوفّر"، سمى هذا البحر المهمل "المتوفّر"، أخذًا من اسم الوافر! متوفر -ما شاء الله- الحركات فيه متوفرة! وانتهت دائرة المؤتلف، ننتقل إلى الدائرة الثالثة. لا تنسوا أن الدوائر مرتبة بحسب كثرة استعمال ما تشتمل عليه من بحور. هل قرأتم مقالي "رحلة اللغة العربية في بحور الشعر"؟ من قرأه على الموقع؟ من؟ لا أحد! نبهتكم على المقال، فلِمَ لَمْ تقرؤوه! مقال تعذبت في كتابته، ثم أهديتكم إياه، فلم تقبلوا الهدية، ومن السُّنَّة أن تقبلوها، رافض الهدية مخالفٌ السنة، مرتكب خطأ اجتماعيا واضحا! هذه إذن الدائرة الثالثة، دائرة المجتلب:



التي سماها الخليلي المشتبه، فعكس ما جرينا عليه في اسمَي الثالثة والرابعة. تشتمل على أبحر بعضها من كثرة الاستعمال في المنزلة الثالثة -سبحان الله، كيف كان الخليل يفكر!- الهزج والرجز والرمل، ولا مهمل -ما شاء الله، فعّالة!- كلها مستعمل، ليس فيها مهمل، سيدها الهزج، لماذا؟

لأنه المبدوء بالوتد: "مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن"، فوضع هذا على الدائرة، تأملوا: "مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن"، لو كنت مكانه لحرصت على رسم التفعيلات بحيث تستدير دائرة حقيقية، فتتلامس أطرافها! طيب بدأنا بـ"مفاعيلن"، وانتهينا إليها، نخرج شطر من الهزج، كررناه مرة، فقدمنا بيتاً من الهزج -تمام؟- مسدسا لا وجود له في الحقيقة، لأن البيت من هذا البحر لم يستعمل إلا مجزوءًا. طيب، ابدأوا مما بعدها، ما الذي بعد "مفا"؟

- "عي".
- ابدأوا بـ"عي": "دن دن ددن= عيلن مفا، دن دن ددن= عيلن مفا، دن دن ددن= عيلن مفا"، ما هذا؟
- الرجز.
- الرجز "مستفعلن مستفعلن مستفعلن" -جميل!- وهو معمل كما ترون. طيب، ابدءوا بـ"لن": "دن ددن دن= لن مفاعي، دن ددن دن= لن مفاعي، دن ددن دن= لن مفاعي"، ما هذا؟ الرمل: "فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن"، وهو مستعمل، معمل، أنا أحب كلمة "معمل" أكثر من كلمة "مستعمل"، لماذا؟ لأنها مقيسة على "مهمل": مهمل، معمل، أعمله، أهمله، إلا إذا غيرتم كلمة مهمل فقلتم مستهمل: هذا مستعمل، وهذا مستهمل، وهذه كلمة لا أعرفها! الدائرة الرابعة عند الخليل، دائرة المشتبه:



التي سماها الخليلّ المجتلب؛ فعكس ما جرينا عليه في اسمَي الثالثة والرابعة. دائرة غنية، فيها تسعة أبحر: ستة معملة وثلاثة مهملة؛ فهي أغنى الدوائر. كان ينبغي لسيدها أن يكون المضارع، لأنه

المبدوء بالوتد "ددن دن دن= مفاعيلن، دن د دن دن= فاع لاتن، ددن دن دن= مفاعيلن"، أتذكرون؟ أتذكرون القصيدتين الإخوانيّتين؟ ها؟ من يذكر أول الأولى؟

- وَفينا لَهُمْ وَخَانُوا...
- "وَفَيْنَا لَ= ددن دن د، مفاعيل، مكفوفة"، "هُمْ وَخَانُوا= دن د دن دن، فاع لاتن، سالمة"، "كَذَا النَّاسُ= ددن دن د، مفاعيل، مكفوفة"، "وَالزَّمَانُ= دن د دن دن، فاع لاتن، سالمة"، المجزوء من "مفاعيلن فاع لاتن مفاعيلن مفاعيلن فاع لاتن مفاعيلن". كان ينبغي لهذا أن يكون سيد الدائرة، ولكنه لا يكاد يكون، حتى إنكم تعبتم في تحصيل الواجب، وربما لم تحصلوا إلى الآن، صِفْرا!
- ههه! لم نجد شيئا!
- عندك قصيدة في كتاب الجري، وقصائد على النت، صفرا!
- نخترع!
- أحسنت، انظم بنفسك، أنا موافق!
- لم نجد من شيء!
- انظم! أقبل أن تنظموا من شعر أنفسكم، وهذا أحسن عندي وأكرم عليّ، وظيفة هذا المقرر أن يوصلكم إلى درجة طلاب العلم وطلاب الفن، أما طلاب العلم فمُحلِّلو القصائد، وأما طلاب الفن فمُنْشِئو القصائد، هذا مطلوب، وهذا مطلوب. طيب، يا جماعة، فلما كان هذا هكذا كما يقول الفصحاء، سوَّدَ عليها السريع لا المضارع، يبدو أنه استصغر المضارع، فسود السريع، وكتب تفعيلات السريع على الدائرة -تأملوا!- "مستفعلن مستفعلن مفعولات"، لِتكرروها مرة أخرى، فتخرجوا بيتًا من السريع. طيب، جميل! كتبنا تفعيلات السريع، وكررناها مرة، فأخرجنا بيتا من السريع، ممَّ تتكون مستفعلن؟
- مسـ، تف، ـعلن
- من "مسـ، تف، ـعلن"، هيا، بدأوا مما بعد "مس" :
- تفعلن مس...

- "تفعلن مس، تفعلن مف، عولات مس" ما هذا؟ "فاعلاتن فاعلاتن مستفع لن"، وهذا مهمل؛ هل سماه الخليل؟ لا، لم يسمه، وصفه بأنه مهمل، ثم جاء مغامرو العروضيين، فنظموا منه، فسموه المتَّئد حين نظموا، ماذا قالوا؟

"مَا لِسَلْمَى فِي الْبَرَايَا مِنْ مُشْبِهٍ لَا وَلَا الْبَدْرُ الْمُنِيرُ الْمُسْتَكْمَلُ"!

مَا لِسَلْمَى= دن ددن دن، فاعلاتن، سالمة

فِي الْبَرَايَا= دن ددن دن، فاعلاتن، سالمة

مِنْ مُشْبِه= دن دن د دن، مستفع لن، سالمة

لَا وَلَا الْبَدْ= دن ددن دن، فاعلاتن، سالمة

رُ الْمُنِيرُ الْ= دن ددن دن، فاعلاتن، سالمة

ـمُسْتَكْمَلُ= دن دن د دن، مستفع لن، سالمة

هل تابعهم أحد؟

- لا.
- هل قدَّرهم أحد؟
- لا.
- فذهب عملهم أدراج الرياح هباء منثورا، نفخا في رماد، وصيحة في واد، ورقما...
- في الماء.
- في الماء! يا ضيعة ما أتعبوا أنفسهم. لكنهم اخترعوا، وليس على المخترع إلا أن يخترع، ليس عليه أن يتابع على اختراعه، وظيفته الاختراع فقط، اخترع الاختراع، ففشل، ما المشكلة؟ اخترع غيره، فنجح؛ عندكم ناس اخترعوا آلاف الاختراعات، نجح هذا، أخفق هذا، نجح هذا، أخفق هذا، هذه الدنيا، تابعوك على هذا، ولم يتابعوك على هذا، وأنت في الحالين مخترع مكرَّم. طيب، تزحزحوا قليلا؛ فابدأوا من...
- علن.

- من "علن" -جميل!-: "ددن دن دن= علن مستفْ، ددن دن دن= علن مفعو، دن ددن دن= لات مستفْ"، "مفاعيلن مفاعلين فاع لاتن"، ما هذا؟ مهمل لا نعرفه في البحور، مهمل، ثم جاء أحد مغامري العروضيين، فاستعمله، وسماه المُنْسَرِد -حَقُّهُ، استعمله، فسماه!- فماذا قال؟

"لَقَدْ نَادَيْتُ أَقْوَامًا حِينَ جَابُوا وَمَا بِالسَّمْعِ مِنْ وَقْرٍ لَوْ أَجَابُوا"!

لَقَدْ نَادَيْـ= ددن دن دن، مفاعيلن، سالمة

ـتُ أَقْوَامًا= ددن دن دن، مفاعيلن، سالمة

حِينَ جَابُوا= دن د دن دن، فاع لاتن، سالمة

وَمَا بِالسَّمْـ= ددن دن دن، مفاعيلن، سالمة

ـعِ مِنْ وَقْرٍ= ددن دن دن، مفاعيلن، سالمة

لَوْ أَجَابُوا= دن د دن دن، فاع لاتن، سالمة

هل توبع على هذا؟

- لا.
- هل قدَّره أحد؟
- لا.
- فذهبت محاولته أدراج الرياح، صيحة في واد، ونفخة في رماد، ورقما...
- في الماء.
- ورقما في الماء. طيب ابدؤوا بما بعد هذا! ما الذي بعده؟ إلى أين وصلنا؟ ها، نبدأ نستفيد من تقليب تفعيلات السريع أنفسها، كنا منذ قليل نقلب أجزاء تفعيلاته، والآن نقلب تفعيلاته، سهلة: "مستفعلن مفعولات مستفعلن"، ما هذا؟
- المنسرح.
- المنسرح، وهو مُعْمَل. طيب، ابدأ بـ"تف" من "مستفعلن" التي في المنسرح: تفعلن مف عولات مس تفعلن مس"، ما هذا؟ "فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن"، ما هذا؟
- الخفيف.

- الخفيف، وهو مُعْمَل. بدأنا من "تف"، فابدأوا من "علن"، ماذا نقول؟ "علن مفعو لات مستف علن مستف"، ما هذا؟ "مفاعيلن فاع لاتن مفاعيلن"، ما هذا؟
- المضارع.
- هذا المضارع، ولم يستعمل إلا مجزوءا. أرأيتم سر قول الخليل: إن تفعيلاته "مفاعيلن فاع لاتن مفاعيلن"؟ مضطر، هؤلاء إخوته في الدائرة -ولا حيلة- لابُدّ أن يقول: البيت من المضارع "مفاعيلن فاع لاتن مفاعيلن مفاعيلن فاع لاتن مفاعيلن"، لم يحدث هذا قط -يا أستاذ!- لم يحدث! لكن ها أنتم أولاء ترون البناء النظري المشدود. طيب، انتقلوا، نبدأ بـ"مفعولات" نفسها -عدنا إلى تقليب تفعيلات السريع-: "مفعولات مستفعلن مستفعلن مفعولات مستفعلن مستفعلن"، ما هذا؟
- المقتضب.
- المقتضب الذي لم يستعمل إلا...
- مجزوءا.
- المقتضب الذي لم يستعمل إلا مجزوءا كذلك، لكن الخليل كان مضطرا بناء على نظامه هذا الذي وضعه وحاكم به نفسه قبل الآخرين، إلى أن يقول: البيت من المقتضب "مفعولات مستفعلن مستفعلن مفعولات مستفعلن مستفعلن"، تأملوا الجمال، تأملوا البناء! يفعل هذا كله في خُصٍّ من أخصاص البصرة، والناس يأكلون بعلمه الأموال! ولا يكتب، يظل طوال الليل يفكر، لا وقت لديه للكتابة، لا وقت، تتوالى عليه نفحات الحبيب:

"يَا مُنِيرَ الْقُلُوبِ
بِشُمُوسِ الْغُيُوبِ
نَفَحَاتُ الْحَبِيبِ
تَتَوَالَى عَلَيَّا
فَتُرِينِي الْحَقَّ طَلْقَ الْمُحَيَّا"!

لا وقت للكتابة، في الصباح يأتيه تلامذته، فيصب عليهم أفكاره صبا، ثم يموت من غير أن يكتب أي شيء، فيجتمعون: ما قولكم في علم الخليل؟ هلم نحي علم الخليل! فأما سيبويه فيحي علمه بالنحو

والصرف والأصوات وكذا! وأما الأخفش فيحيي علمه بالعروض! وأما إسحاق الموصلي فيحيي علمه بالموسيقى! وأما الليث بن المظفر فيحيي علمه بالمعجم! وأما فلان فيحيي علمه بكذا...، مما لم يصلنا بعد! فنحن نرى أن الخليل كان يعرف علوم عصره، ويفكر فيها، حتى قيل إنه مات مفكرا في آلة حاسبة -قالوا- دخل المسجد مشغولا بالتفكير في شيء يعين الجارية في السوق على الحساب، فلا يظلمها أحد، فاصطدم بعمود، فكان به موته! سبحان الله، عقل جبار، كانوا يسمونه عبقري العرب -يقولون- لو كان رجل من الذهب لكان الخليل! ها، بم سنبدأ؟

- مفعولات.
- مم تتكون مفعولات؟
- من "مف"، و"عو"، و"لات".
- وقد بدأنا من "مف"، لنبدأ إذن بـ"عو" -أرأيتم؟ لابُدّ من هذه الدقة، لا حيلة!-: "دن دن ددن= عولات مس، دن ددن دن= تفعلن مس، دن ددن دن= تفعلن مف"، ما هذا؟
- المجتث.
- "مستفع لن فاعلاتن فاعلاتن"، ولم يستعمل إلا مجزوءًا: "مستفع لن فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن"، وقد غششتموها من الصفحة أمامكم! أما أنا فأعتمد على الإيقاع؛ ففي المحاضرات لا أرى ما أمامي أصلا، في المحاضرات لا أرى الأشياء، حتى ظننت أنني مريض بهذه الحال، ثم رأيت حوارا مع مغني الأوبرا الإيطالي الشهير بافاروتي -وكان أسطورة- سألته فيه المذيعة: هل يمكنك أن تغني دون حضور جمهور؟ قال لا، لا أستطيع. قالت: لا تغني إذن إلا في حضور الجمهور؟ قال: نعم، بشرط ألا أراه؛ إذا ميزت ملامحه عجزت عن الغناء! الله أكبر، هذا أنا في المحاضرات؛ لهذا تجدونني أهرب منكم، أنظر إلى هذه الجهة، أو هذه الجهة، ألف، أدور، لكيلا أراكم، لكن لا أستطيع أن أتكلم في غيابكم! كنت أظن هذا مرضًا، فوجدته علامة العظماء، ما شاء الله!
- الله، هههه!
- بافاروتي هذا أسطورة، ادخلوا الإنترنت، ادخلوا الإنترنت -منتهى التواضع، ها! يسلم عليك الشيخ أبو مرة، يا أستاذ! من أبو مرة؟ إبليس!- إي والله، يا جماعة، كنت أظن هذا مرضا، ادخلوا الإنترنت، واكتبوا هذه العبارة "حوار مع بافاروتي"!

- حتى أنا هكذا!
- من؟ أنت؟ هذه الفتاة -يا جماعة!- شخصية عظيمة أخرى، أضيفوها إلى بافاروتي في ركب العظماء! بارك الله فيكم جميعا! نعود، إلى أين وصلنا؟ تغشون من المكتوب، يا مساكين!
- من "لات".
- طيب! نبدأ من "لات". على ذكر التواضع -يا جماعة!- أحب أن أحذركم خداع النفس، فمن خداعها أن تنكر العلم، لا يجوز إذا كنت عالما أن تنكر العلم، تظن أن مقتضى التواضع وأنت تعلم أن تقول: لا أعلم، خطأ، هذا ظلم، من علامات العالم أن يعرف أنه عالم، رجل يعلم ويعلم أنه يعلم، هذا من كلام سيدنا الخليل بن أحمد نفسه -رضي الله عنه!- قال: الرجال أربعة رجل يعلم ويعلم أنه يعلم -وهذا عالم، فتعلموا منه!- ورجل يعلم ولا يعلم أنه يعلم -وهذا غافل، فنبهوه!- ورجل لا يعلم ويعلم أنه لا يعلم -وهذا طالب علم، فعلموه!- ورجل لا يعلم ويرى أنه يعلم -وهذا أحمق فاجتنبوه! قسمة منطقية! أما الذي يعلم ويعلم أنه يعلم -هكذا قال- فهذا عالم، فتعلموا منه، فليس من التواضع أن تكون عالما، فتقول: يا أخي، لا أعلم، هذا تهريج، هذا تزييف، هذا كذب، وتظن أنه تواضع! كان أستاذ جزيرة الروضة الشيخ عبد السلام العيسوي، يجلس إلينا فيها، فيقول: اسألوني -ومن كرامة العالم سؤاله- اسألوني! هذا رجل عالم يعلم أنه عالم، ويُدِلُّ بأنه عالم، أنا عالم، فاسألوني! أعرف أنه من تواضع لله رفعه، لكن ليس من التواضع أن تنكر العلم، هذا بغي، هذا ظلم، وهو من كتمان العلم الذي يُلجم صاحبه يوم القيامة بِلجام من نار، أما التواضع فألَّا تدعي ما لا تعلم، من قال لا أدري فقد أفتى، لكن من قال لا أدري، وهو يدري، أُلجم يوم القيامة بِلجام من نارٍ -هذا الحديث: "مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ، أُلْجِمَ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"، عافانا الله وإياكم!- تأملوا الأمور كيف تتكامل! طيب! نعود. نبدأ من "لات": "دن ددن دن= لات مستف، ددن دن دن= علن مستف، ددن دن دن= علن مفعو"، ما هذا؟ "فاع لاتن مفاعيلن مفاعيلن"، مهمل، هو عند الخليل مهمل، ثم جاء من استعمله من مغامري العروضيين، فسماه المطَّرد، لماذا سماه المطَّرد؟ على أي أساس سماه المطَّرد؟ ربما تمسك بالنغم: متئد، منسرد، مطَّرد، والاطِّراد في العربية التتابع، فماذا قال؟

"مَنْ مُجِيرِي مِنَ الْأَشْجَانِ وَالْكَرْبِ مَنْ مُزِيلِي مِنَ الْإِبْعَادِ بِالْقُرْبِ"!

مَنْ مُجِيرِي= دن د دن دن، فاع لاتن، سالمة

مِنَ الْأَشْجَا= ددن دن دن، مفاعيلن، سالمة

نِ وَالْكَرْبِ= ددن دن دن، مفاعيلن، سالمة

مَنْ مُزِيلِي= دن د دن دن، فاع لاتن، سالمة

مِنَ الْإِبْعَا= ددن دن دن، مفاعيلن، سالمة

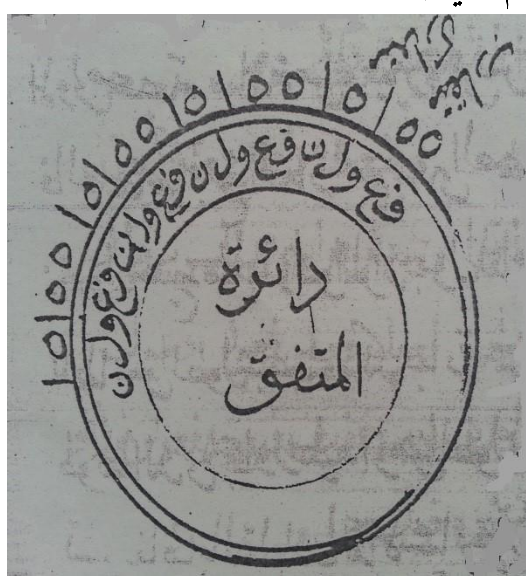
دِ بِالْقُرْبِ= ددن دن دن، مفاعيلن، سالمة

يا سلام، يا سلام! هل تابعه أحد؟

- لا.
- هل قدَّره أحد؟
- لا.
- فذهبت محاولته أدراج الرياح، صيحة في واد، ونفخة في رماد، ورقما...
- في الماء.
- في الماء:

"إِنَّمَا النَّاسُ سُطُورٌ كُتِبَتْ لَكِنْ بِمَاءْ"!

ثم نأتي إلى الدائرة الأخيرة -ختامها مسك- دائرة المتفق:



وسيدها المتقارب، أتذكرون المتقارب؟ ما تفعيلاته؟

- فعولن...
- "ددن دن= فعولن، ددن دن= فعولن، ددن دن= فعولن، ددن دن= فعولن"، فأثبتها على الدائرة، وسوَّد بحرها، لأنه المبدوء...
- بالوتد.
- بالوتد "ددن= فعو" مِمَّ تتكون "فعولن"؟
- من "فعو"، و"لن".
- إذا بدأنا بـ"فعو"، ثم انتهينا إلى حيث بدأنا، قدمنا شطرا من المتقارب، لنكره مرة أخرى، فنقدم منه بيتًا تاما! نتزحزح قليلا، فنبدأ بـ"لن": "دن ددن= لن فعو، دن ددن= لن فعو، دن ددن= لن فعو، دن ددن= لن فعو"، ما هذا؟
- المتدارَك.
- هذا مهمل لم يسمه الخليل! لحظة، لا تتسرع! لم يسمه الخليل، قال: في هذه الدائرة المتقارب، وبحر آخر مهمل. على رغم أن الخليل نفسه عالج النظم منه أكثر من مرة، لم يدع أنه معمل، لأنه لم يجد للشعراء منه شيئا! لا يجوز أن تتكلف وتبني على التكلف، لا يجوز أن تفعل الشيء لتقول: مما يفعل في جامعة السلطان قابوس، كذا! يا أخي، أنت الذي فعلته! لا يجوز، ليس هذا من العلم، ليس من العلم أن تتكلف وتبني على التكلف. تريد أن تتكلم عن طلاب جامعة السلطان قابوس، تريد أن تعطي عنهم صورة طيبة، فتفعل شيئا طيبا، وتقول: ومما يفعلونه كذا! أنت الذي فعلت أصلا! هذا كذب على العلم؛ فانظروا إلى سيدنا، على رغم أنه نظم منه أكثر من مرة، لم يصفه بالإعمال، ثم استعمله الناس، وبرز فيما بعد، فسموه؛ ماذا سموه؟
- المتدارك.
- تسمية غير موفقة، غير جارية مجرى تسميات الخليل، ما معنى المتدارك؟ المضاف بعد فوات الأوان؟ المستدرك، أهذه تسمية الخليل؟ أهكذا كان يسمي؟ كان يسمي البحور بالأصوات أو بالأطوال، أسماء من حياة البدوي، ولكنها لا تبتعد عن مجال الموسيقى، أسماء حركات الإبل وأصواتها وأعدادها. أما المتدارك فتسمية تدل بنفسها على أنها ليست من تسمية الخليل، وهذا صحيح، لأنه لم يكن عنده معملا، على رغم أنه نظم منه أكثر من مرة، هذه هي الأمانة. هذا

هو المتدارك الذي كان مهملا عند الخليل، ثم ظهر بعده، فسماه الناس، ولم يستطيعوا أن يجروا مجرى فلسفة الخليل في التسمية! قد فرغنا من الوزن ومسائله، لننتقل إلى نوع آخر من الكلام في علم العروض، سيعجبكم كثيرا، فانتبهوا! ما المعاجم التي تلجؤون إليها عند الحاجة؟ ما المعاجم التي عندكم في البيت، في السكن، على الجهاز، تلجؤون إليها عند الحاجة؟ ها! أريد الحقيقة، لا اللف والدوران.

- الوسيط.
- "الوسيط"، مقبول، ها!
- لسان العرب.
- "لسان العرب"، هذا هو، ها، وماذا؟ ما الذي على الجهاز؟
- المعاني.
- "المعاني" هذا رقمي حديث -أسأل الله أن يُحَسِّنَ عما هو عليه!- وهو عندي أنا على الجهاز. أرسلت إليكم بالبريد رابط المكتبة الشاملة، تحفظونه على المُفتتَح، وكلما خطر لكم خاطر ذهبتم، فبحثتم عنه فيها، ستجدون أشياء في منتهى الروعة، هذه هي، لا تحتاجون إلى تنزيل شيء، نكتفي بالرابط، وبين أيديكم دائما شبكة الإنترنت، تتيح لكم الجامعة أن تصلوا بها جهازين.
- ثلاثة.
- ثلاثة -ما شاء الله!- فاجعلوا منها الهاتف المحمول، اجعلوه الأول لأنها تميز بين الدرجات، أقواها الأول، ثم تضعف تضعف إلى أن تزول -انتبهوا!- فالجماعة شياطين، لا تحسنوا بهم الظن -ها!- يعطونكم قوة الشبكة الكبرى للجهاز الأول فقط، ثم تضعف القوة فيما بعد! **طيب! أوصيكم أن تدخلوا إلى مادة "ق، ف، و"، ومادة "ق، ف، ي"، ماذا ستجدون؟** إذا ما دخلتم إلى مادتي "ق، ف، و"، و"ق، ف، ي"، حصلتم على ذخيرة كبيرة، ماذا نفعل بهذه؟ لابُدّ من تصنيفها، على أي أساس نصنفها؟ على أسس المعاني التي تدور عليها، فاعلموا إذن -وسأوفِّر عليكم- أنها تدور على ثلاثة معان: التتبع، والتأخر، والذم. تحصلون في مادتي "ق، ف، و"، و"ق، ف، ي"، من المعاجم إذن، على ذخيرة كبيرة من الكلمات -ولا عجب؛ ففي متن العربية آلاف الجذور بملايين الكلم!- تحاولون أن تصنفوها لتستفيدوا وتفيدوا، على أبرز ما تدور عليه. وستجدونها تدور على

معاني التتبع، والتأخر، والذم. أما التتبع فمفهوم؛ فقافية البيت تلحق كل ما سبق فيه من كلمات وكأنها تتبعها -تمام؟- وأما التأخر فمفهوم كذلك؛ فقافية البيت آخر أجزائه. وأما الذمّ فغير مفهوم! ما هذا؟ وكيف نفهمه؟ سهَّل علينا فهمَه أبو العلاء أحمد بن سليمان المعري، رهين المحبسين، أديب الفلاسفة، وفيلسوف الأدباء، ذو التآليف الكثيرة الباهرة، ومنها "رسالة الغفران"، و"سقط الزند"، وهذا ديوانه في صغره، أما ديوانه في كبره فـ"لزوم ما لا يلزم". تأملوا اسم ديوانه في صغره "سقط الزند"، ما معنى سقط الزند؟ الشرر المتناثر عند قدح النار، هو شرر، ولكنه الذي كون الشعلة في النهاية؛ "وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشَّرَرِ"! وحينما شَبَّ عن الطَّوْق سمى ديوانه "لزوم ما لا يلزم"، لأنه ارتكب فيه ما لم يرتكبه أحد! له كذلك "معجز أحمد"، وهذا شرحه لديوان المتنبي، ولم يُعثر بعدُ عليه- يورِّي عنه بالقرآن الكريم معجز أحمد -صلى الله عليه، وسلم!- واسم المتنبي أحمد بن الحسين، يلعب بالكلام؛ فديوان المتنبي معجز للشعراء، كما أعجز القرآن أدعياء النبوة أو منكريها -تمام؟- وله كذلك "الفصول والغايات" -له أشياء كثيرة، نعرف بعضها، ونجهل أكثرها- ومن أظرفها "رسالة الصاهل والشاحج"، وهي حوار بين الحصان والبغل -أعزكم الله!- والبغل حيوان حائر بين الحمير والخيول، لا هو في الحمير -أعزكم الله!- ولا هو في الخيول، وفي المثل القديم، "قِيلَ لِلْبَغْلِ: مَنْ أَبُوكَ؟ فَقَالَ: الْفَرَسُ خَالِي"! عجبا له، إنما سألناه عن أبيه! ألم يفهم السؤال، أم تحرج من أن يذكر أن أباه حمار! تسأل فلانا من الناس، يقول لك: جدي فلان من آل البيت أو الصحابة الكرام، وبينه وبين جده هذا أجيال من الناس، ولو ذَكَرَ مَنْ أسقط ذكرهم من البَيْن لوجدنا الجبارين والمتكبرين وقطاع الطرق، وشذاذ الآفاق! ولكنه قفز عليهم جميعا، وتعلق بمن يتشرف به! طيب، جميل جدا، اسمح لي أنا أن أنتمي إلى سيدنا آدم -عليه السلام!- ولأستاذي الدكتور عبد الصبور شاهين -رحمه الله، وطيب ثراه!- كتاب لطيف أثار عليه الثَّقَلَيْن، سماه "أبي آدم"؛ فنحن جميعا من نسب واحد، كلنا إخوة -طيب!- فلما قيل للبغل: من أبوك؟ قال: الفرس خالي"، فصار السؤال والجواب مَثَلًا يُضرب للمُخلِّط -هكذا قالوا- الذي تسأله عن شيء، فيجيب عن آخر، وإن كان أوسع من ذلك، ينبغي أن يضرب للمزيِّف المخادع اللفّاف الدوّار، الذي يريد أن يُحيِّرك! طيب، ماذا كان من أمر الصاهل (الحصان)، والشاحج (البغل) في رسالة المعري؟ ادعى

البغل -أعزكم الله!- نظم الشعر، يبدو أنه حفيد حمار بشار بن برد، هل سمعتم عن القصيدة التي قالها حمارُ بشار بن برد؟

- لا.

- "حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَجَّاجِ، قالَ: جاءَنا بَشَّارٌ يومًا، فَقُلْنا لَهَ: ما لَكَ مُغْتَمًّا؟ فَقالَ: ماتَ حِماري، فَرَأَيْتُه فِي النَّوْمِ فَقُلْتُ لَه: لِمَ مِتَّ؟ أَلَمْ أَكُنْ أُحْسِنُ إِلَيْكَ؟ فقال:

سَيِّدِي خُذْ بِي أَتانًا عِنْدَ بَابِ الْأَصْبَهانِي
تَيَّمَتْنِي بِبَنَانٍ وبِدَلٍّ قَدْ شَجَانِي
تَيَّمَتْنِي يومَ رُحْنَا بِثَنَايَاهَا الْحِسَانِ
وبِغُنْجٍ ودَلَالٍ سَلَّ جِسْمِي وبَرَانِي
ولَهَا خَدٌّ أَسِيلٌ مِثْلُ خَدِّ الشَّيْفَرَانِ
فَلِذَا مِتُّ ولَوْ عِشْتُ إِذَنْ طَالَ هَوَانِي

فَقُلْتُ لَه: ما الشَّيْفَرانِ؟ قالَ: مَنْ يُدْرِيني! هذا مِنْ غَرِيبِ الْحِمارِ، فَإِذا لَقِيتَه فَاسْأَلْهُ"! هذا نصها في سياقها، تأملوا البراعة -يا للروعة!- وقد نشرتها على موقعي باسم "غريب الحمار"! مات حماره، وهذا شيء عادي يحدث كل يوم، فرآه في النوم -ما شاء الله!- رأى له رؤيا، كما نرى للصالحين الراحلين! فعاتبه وكأنه إذْ كان يحسن إليه لم يكن ينبغي له أن يموت! فاعتذر إليه عن موته شعراً -وحَميرُ الشعراءِ شُعراءُ الحميرِ، فكيف بحمار أستاذ الشعراء!- بأنه كره أن يعيش ذليلا للأتان (الحمارة) التي عشقها، هذه التي لها خدّ طويل مثل خد الشَّيْفَران، هذا المشبه به الذي لا حقيقة له! وقد هرب من تفسير الكلمة بإحالة السائل على الحمار الميت: "هذا مِنْ غَرِيبِ الْحِمارِ، فَإِذا لَقِيتَه فَاسْأَلْهُ" -شيطان من الشياطين!- فسميتُ هذه الطرفة "غريب الحمار"، ونشرتها على موقعي وغيره! قال الحصان في رسالة المعري للبغل الذي ادعى نظم الشعر -اسمعوا، اسمعوا ها السَّمْعَة!-: "أَمَّا دَعْوَاكَ نِظَامَ الشِّعْرِ نَحْلَةٌ -صفة- لَا تُفْتَقَدُ مَعَهَا زَلَّةٌ -أي سقطة- إِذَا جَاءَ الرَّوِيُّ -قلب القافية- فُضِحَ الْغَوِيُّ -المدعي المستكبر المخادع- ولَوْ قِيلَ: إِنَّ الْقَافِيَةَ سُمِّيَتْ قَافِيَةً، لِأَنَّهَا تَقْفُو الْجَاهِلَ بِهَا، أَيْ تَعِيبُه -هذا معنى الذم، وهنا الشاهد- لَكَانَ ذَلِكَ مَذْهَبًا مِنَ الْقَوْلِ -فسر لنا معنى الذم- وَالْقَرِيضُ مُشَابِهٌ أُمَّ أَدْرَاصٍ -ما القريض؟ الشعر. وما أم أدراص؟ الداهية- وَمَنْ سَلَكَهَا غَيْرَ

خَبِيرٍ فَكَأَنَّمَا سَقَطَ مِنْ ثَبِيرٍ"! وما ثبير؟ جبل بمكة، كانوا يتخذونه مَعْلَمًا يهتدون به، يقولون عند الغارة: "أَشْرِقْ ثَبِيرُ، كَيْمَا نُغِيرَ". جاء الحطيئة، فقال:

"أَلَا حَبَّذَا هِنْدٌ وَأَرْضٌ بِهَا هِنْدُ وَهِنْدٌ أَتَى مِنْ دُونِهَا النَّأْيُ...

وانقطع به الكلام وهو أحد كبار شعرائنا: يا ربي! اللهم، ألهمني إكمال البيت، ألهمني إكمال البيت! لم يجد ما يكمل به البيت -يبدو أنه لم يكن مستجاب الدعوة!- فماذا يفعل؟ قال: "وَالبُعْدُ":

"أَلَا حَبَّذَا هِنْدٌ وَأَرْضٌ بِهَا هِنْدُ وَهِنْدٌ أَتَى مِنْ دُونِهَا النَّأْيُ وَالْبُعْدُ"!

والبعد هو النأي، فأخذوها عليه -و"لِكُلِّ سَاقِطَةٍ لَاقِطَةٌ"- مسكين، وقع في أيدي من لا يرحمون، فسلخوه! طيب، يا جماعة، تُستعمل كلمة "قافية"، استعمالات مجازية، تطلق أحيانا على الكلمة التي في آخر البيت، فتقول مثلا "البُعْد" قافية هذا البيت -وينبغي ألا نعتمد على هذا طبعا- وتطلق كلمة "قافية" أيضًا على القصيدة، ومنه البيت الذائع لديكم:

"وَكَمْ عَلَّمْتُهُ نَظْمَ الْقَوَافِي فَلَمَّا قَالَ قَافِيَةً هَجَانِي"!

أي كم علمته نظم القصائد؟ فلما تيسَّر له نظم أول قصيدة جعلها في هجائي من باب البر -ما شاء الله!- وقبل هذا البيت قوله المعروف كذلك:

"أُعَلِّمُهُ الرِّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ فَلَمَّا اسْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي"!

"اسْتَدَّ": صار سديد الرمية، يرمي، فيصيب، وهو وجه الرواية، أما "اشتد" فمعناه قوي، لا شيء فيها! أطلق كلمة "قافية" على القصيدة، مجازا مرسلا علاقته الجزئية. طيب! لكن حينما جئنا إلى الاصطلاح قلنا كلاما آخر يمسك باليد: آخر ساكنين في البيت مع ما بينهما من متحركات -متى كانت- والمتحرك الذي قبلهما. أما عبارة القدماء الفصيحة فقولهم: "مِنْ آخِرِ سَاكِنٍ فِي الْبَيْتِ إِلَى أَوَّلِ مُتَحَرِّكٍ قَبْلَ سَاكِنٍ يَلِيهِ"، تأملوا كلامهم وكلامنا تعرفوا فرق ما بين الجزالة والركاكة! معنى هذا أن القافية إما أن تكون كلمة أو أكثر أو أقل. إذا كانت كلمة تميزت أكثر، في قصيدة سلطان العاشقين قلتم: القافية "تعرف" -عرفت أم لم تعرف- فإذا كانت كلمة طابقتها، وتميزت بها أكثر، فأدلت بنفسها، ودلت على نفسها، وصارت أبرز. **طيب، يا جماعة، مما ينبغي أن تعرفوه من مسائل القافية، أسماء القافية، وتسمى الألقاب، كيف تسمى القوافي؟** تسمى بعدد ما بين ساكنَيْها من متحركات -طيب!- وربما لم يكن بين ساكنَيْها شيء، وعندئذ تسمى بعدم وجودهما،

ومن هذه الحال نبدأ التسمية: إذا لم يكن بين ساكنَيْها متحركات سموها قافية المترادِف -كأنهما تلاصقا، ما الرِّدف؟ اللِّصق. ما "تَرادَفَ"؟ تلاصق- فقافية المترادف إذن، هي التي ليس بين ساكنَيْها متحركات. هل تحفظون لها أمثلة من هذا القسم؟ تحفظون، وتغنون كذلك، فمن أناشيد الكتائب التي كان يغنيها أبو مازن الذي قتله بشار الأسد -يقال: إنه أمسك به، واقتلع آلة الغناء، اقتلعها، اقتلع لسانه من أصله!- كان يغني:

"تَهُونُ الْحَيَاةُ وَكُلٌّ يَهُونُ وَلَكِنَّ إِسْلامَنَا لَا يَهُونْ"!

ما قافيته؟

- هُونْ.
- "دَنّْ= هُونْ" فقط، أين الساكنان؟ الواو والنون، ما الذي قبلهما؟
- الهاء.
- ما الذي بينهما؟
- لا شيء.
- ما اسم هذه القافية؟ قافية المترادِف، اسمها "قافية المترادِف". تحركوا خطوة ليكون بين الساكنين متحرك. ما الواحد عندنا في العربية؟ وِتر، والوِتر واحد، "إِنَّ اللَّهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ"، أي فَرْد يحب التَّفَرُّد، يحب أن تكون أفضل واحد، يحب أن تسعى إلى الكمال، والوتر هو الكمال، والكمال لله، لكن ينبغي لك أن تسعى. لن تكون هذه القافية "دَنّْ"، بل "دَنْدَنْ". وقد وجدناها في القصيدة الأخيرة، "... وَتَقْتُلُنَا الْمَنُونُ بِلَا قِتَالِ"، "تَالِ"، بين ساكنيها متحرك واحد، فما اسمها؟ هذه قافية المتواتِر. تحركوا خطوة أخرى، حركتين اثنتين، كما في "سندباد يمني في مقعد التحقيق"، "... أَتَسْأَلُنِي مَنْ أَنْتَ أَعْرِفُ وَاجِبِي"، "وَاجِبِي"، بين ساكنيها...
- متحركان.
- متحركان اثنان (دن ددن)، فهذه قافية الـ...
- ـمتدارَك.

- خطأ! المتدارِك -بالكسر- لا المتدارَك؛ المتدارَك بحر، والمتدارِك قافية. أفهمتم هذا؟ ستخطئون في الاختبار -أنا متأكد- ستعكسون، ستقولون: هذا بحر المتدارِك، وهذه قافية المتدارَك! ما المتدارَك؟

- بحر.

- بحر، لأنهم تداركوه على الخليل. ما المتدارِك؟ أعرف أنكم تعرفون، لكنه لهذا القرابة سيلتبس عليكم هذا في الاختبار. كيف عرفت، يا أستاذ؟ ما أكثر ما صححت! بالمناسبة -يا جماعة!- الذي سيقلِّل من درجاتكم في الاختبار، مسائل تخريج القافية، لا مسائل تخريج الوزن! ستحصلون على الدرجة كلها في تخريج الوزن، وللقافية عشرون درجة من الخمسين الباقية، وللوزن ثلاثون؛ فماذا سينفعكم أن تحصلوا على ثلاثين من خمسين؟ ستنهارون إلى الأسفل. سينتفع من حصل على درجات المنافسة طبعا، سيعود إلى الأعلى، لكن ليس من المصلحة أن نفرط في عشرين درجة؛ فانتبهوا، انتبهوا لهذا الذي نقوله الآن -وستسألون عنه في الاختبار قطعا-: على أي أساس إذن تلقبون القافية؟ على أساس ما بين ساكنيها من متحركات؛ فإذا لم يكن بينهما شي كانت قافية المترادِف، وإذا كان بينهما واحد كانت قافية المتواتِر، وإذا كان بينهما اثنان كانت قافية المتدارِك، وإذا كان بينهما ثلاثة كانت قافية المتراكِب، وإذا كان بينهما أربعة كانت المتَكاوِس، وليس بعد هذا شيء. مثلنا قافية المترادف مرة، ونمثلها الآن مرة أخرى، بقول محمد الفيتوري صاحبنا الشاعر السوداني الكبير -اسمعوا الكلام الجميل!-:

"كَلِمَاتِي أَشْوَاقُ سَجِينٍ عَاشَ وَثَأْرُ سَجِينٍ مَاتْ
كَلِمَاتِي أَجْسَادُ ضَحَايَا مَصْلُوبِينَ عَلَى الطُّرُقَاتْ"!

من أي بحر هذا الشعر؟

- الخفيف.
- من بحر "يَا لَيْلُ الصَّبُّ مَتَى غَدُهُ".
- المتدارَك.
- كَلِمَا= ددن، فعلن، مخبونة
تِي أَشْـ= دن دن، فاعلْ، مقطوعة

ـواقُ سَـ= دن دد، فاعلُ، مفتوقة (نصف مقطوعة)، وهو من وضعي!
ـجِينِ= دن دن، فاعلْ، مقطوعة
عَاشَ وَ= دن دد، فاعلُ، مفتوقة (نصف مقطوعة)، وهو من وضعي!
ثَأرُ سَـ= دن دد، فاعلُ، مفتوقة (نصف مقطوعة)، وهو من وضعي!
ـجِينِ= دن دن، فاعلْ، مقطوعة
مَاتْ= دنّ، مقطوعة مقصورة
كَلِمَا= دددن فعلن، مخبونة
تِي أَجْـ= دن دن، فاعلْ، مقطوعة
ـسَادُ ضَـ= دن دد، فاعلُ، مفتوقة (نصف مقطوعة)، وهو من وضعي!
حَايَا= دن دن، فاعلْ، مقطوعة
مَصْلُو= دن دن، فاعلْ، مقطوعة
بِينَ عَـ= دن دد، فاعلُ، مفتوقة (نصف مقطوعة)، وهو من وضعي!
ـلَى الطُّرُ= دن دد، فاعلُ، مفتوقة (نصف مقطوعة)، وهو من وضعي!
قَاتْ= دنّ، مقطوعة مقصورة
قافية أولهما "مَاتْ"، وقافية الثاني مع الاعتذار لليمنيين، "قَاتْ= دنّ"!

- ههه!
- بدال ونون عليها شدة، وعلى الشدة سكون، دنّ، ما لقبها؟
- المترادِف.
- المترادِف، ليس بين ساكنيها شيء، ترادفا، تلاصقا. إذا كان بينهما واحد -بَالِ، لَالِي، تَالِ، عَالِ، ...
- المتواتِر.
- المتواتِر -"اللّٰهُ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ"- وإذا كان بينهم اثنان...
- المتدارِك.

- المتدارِك بكسر الراء، والمتدارِك المتتابع، تدارَك تتابَع، فهو متدارِك متتابِع. سمى الخليل القوافي بأسماء أوضاع إقبال الإبل، تقبل الإبل مترادفة، ومتواترة، ومتدارِكة، ومتراكِبة -قد ركب بعضها بعضا- ومُتكاوِسة -قد اشتدّ تداخُلُها- سماها بأوصاف أوضاع إقبال الإبل؛ فهو مخترع العلم، يسمي مفرداته بأسماء الأشياء حوله في حياته. طيب، ما اسمُ قافيةِ ما بين ساكنيه متحركان؟
- المتدارِك.
- وثلاثة؟
- المتراكِب.
- وأربعة؟
- المتكاوِس.
- طيب! مثلنا قافية المترادف (دنّْ)، وقافية المتواتر (دن دن)، وقافية المتدارك (دن ددن)؛ فمثلوا قافية المتراكب (دن دددن)! "... أَقِيَامُ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُ"، ما قافيته؟ "مَوْعِدُهُ= دن دددن"؛ قوافي قصيدة "يَا لَيْلُ الصَّبُّ مَتَى غَدُهُ"، أمثلة قافية المتراكب. طيب، مثّلوا قافية المتكاوس! صعبة هذه، لا تجدونها إلا في قصائد الرجز، حين تُخْبَل التفعيلة الأخيرة: ددددن، كيف يا أستاذ؟ ستكون القافية هي "ددددن" التفعيلة الأخيرة، و"دن" من آخر التفعيلة السابقة (دن ددددن)، وهذا لا يكاد يوجد، أحفظ منه قول العَجّاج -اكتبوا!-:

"قَدْ جَبَرَ الدِّينَ الْإِلَهُ فَجَبَرْ"!

كتبتم؟ قطعوا!

- قَدْ جَبَرَ الدْ= دن دددن، مستعلن، مطوية

ـدِينَ الْإِلَـ(ا)ـ= دن دن ددن، مستفعلن، سالمة

ـهُ فَجَبَرْ= ددددن، متعلن، مخبولة

- ما القافية؟ "لَـ(ا)ـهُ فَجَبَرْ= دن ددددن"! اتفقنا على أن القافية "آخر ساكنين في البيت مع ما بينهما من متحركات -متى كانت- والمتحرك الذي قبلهما"، وهذه قافية...
- المتكاوِس.

- المتكاوِس. وقد فعلت شيئا من أجل أن أُحفِّظكم هذه المصطلحات، ماذا فعلت؟ أنا أحب المقامات، من يحبها مثلي؟
- نحب المقامات.
- من أهم من كتب المقامات؟ مخترعها...
- بديع الزمان.
- بديع الزمان الهمذاني والحريري من أهم من ذكرهم التاريخ، وكذلك رجل أحب أن تعتنوا بمقاماته، ناصيف اليازجي، صاحب مقامات "مجمع البحرين" -واعجبوا!- شيخ نصراني تعلم العربية في الكنائس والأديرة، وبلغ منها مبلغا عظيما! هذا عربي، ومن العرب نصارى، ومنهم يهود، غلب الإسلام على العرب، نعم، لكن بقيت منهم بقية نصرانية، أقامت في الشام، وبقية يهودية، خانوا رسول الله -صلى الله عليه، وسلم!- فطردهم من جواره! عندنا عرب مسلمون -وهم أكثر العرب- وعرب نصارى وهم قليل، وعرب يهود -وهم ضئيل- وناصيف من العرب النصارى -لا بأس- لكن تأملوا لطافة الرجل! جعل بطل مقاماته مسلما -وبطل المقامات كما تعرفون، عيّار محتال كبير، له غلام عيّار محتال صغير- وربما ظننتم أن الرجل أراد أن يقدح في المسلمين، فجعل بطل المقامات العيّار المحتال مسلما، لكنه في النهاية توَّبه، وأعاده إلى الله، وحج به بيت الله في مكة -تاب، وأناب، ما شاء الله!- لكن في المقامة العراقية -وكان في زمان العِيَارة والاحتيال- اتفق هو وغلامه خارج المكان: سأقول لك كذا، وسأسألك كذا، وستجيب بكذا، حتى نفتن الحاضرين، ونأخذ أموالهم! علمه، واتفقا -وبطل هذه المقامات ميمون بن خزام العيار المحتال الكبير- ودخلا إلى حضرة أمير العراق، فتظاهرا بعدم التعارف، وتحاورا في علم العروض، ثم قال له: "قَدْ جِئْتَ بِالْجَوَابِ الشَّافِي؛ فَهَلْ تَعْرِفُ أَلْقَابَ الْقَوَافِي؟ فأنشد -من المنشد؟ الغلام العيار المحتال الصغير، يجيب العيار المحتال الكبير! في حضرة من؟ الأمير والضيوف، يتظاهران بعدم التعارف، وأنهما إنما رأى بعضهما بعضًا في اللحظة، وهما قد جهزا في الخارج كل شيء من قبلُ، ها! وأجابه من فوره نَظْمًا، ما شاء الله! وبراعة الصغير أشد تأثيرا من براعة الكبير-:

"إِنْ رُمْتَ أَلْقَابَ الْقَوَافِي كُلَّهَا فَهُنَاكَ خَمْسٌ لَا يَلِيهَا سَادِسُ
هِيَ عِنْدَهُمْ مُتَرَادِفٌ مُتَوَاتِرٌ مُتَدَارِكٌ مُتَرَاكِبٌ مُتَكَاوِسُ"!

انظروا إليّ! ها، من حفظهما منكم؟ لا تنظروا في الملف!

- مُتَرَادِفٌ...
- ابدأ من الأول!
- النص كاملا؟
- نعم، لم يحفظ! انتصار، قولي!
- إِنْ رُمْتَ أَلْقَابَ الْقَوَافِي كُلَّهَا فَهُنَاكَ خَمْسٌ لَا يَلِيهَا سَادِسُ...
- حفظت البيت غير المطلوب، ووقفت عنده!
- إِنْ رُمْتَ أَلْقَابَ الْقَوَافِي كُلَّهَا فَهُنَاكَ خَمْسٌ لَا يَلِيهَا سَادِسُ
- مُتَرَادِفٌ...
- لا، "هِيَ عِنْدَهُمْ...
- هِيَ عِنْدَهُمْ مُتَرَادِفٌ مُتَوَاتِرٌ مُتَدَارِكٌ مُتَرَاكِبٌ مُتَكَاوِسُ
- ويساعد على حفظها أنها كلها في علم الصرف على وزن "مُتَفَاعِل"، وهي كلها في علم العروض من بحر الكامل -سبحان الله!- على وزن "متفاعلن"، قد طابقت كل منها تفعيلة منه! **بارك الله فيكم، وشكر لكم، وأحسن إليكم، والسلام عليكم!**

الْمُنَادَمَةُ الثَّالِثَةُ وَالْعِشْرُونَ(١)

- **سلام عليكم! طبتم مساء -يا أبنائي!- وطاب مسعاكم إلينا! بسم الله -سبحانه، وتعالى!- وبحمده، وصلاة على رسوله وسلاما، ورضوانا على صحابته وتابعيهم حتى نلقاهم! كيف حالكم؟ كيف أمسيتم؟ بارك الله فيكم، وشكر لكم، وأحسن إليكم، ويسر لنا ولكم كل عسير، وسهَّل كل صعب، آمين! أظن أننا بلغنا من القافية مسألة أجزائها،** ومما ينبغي أن يذكر هنا أن بعض العروضيين قد صرَفوا كلمة أجزاء إلى الحروف وحدها، ومقتضى المنطق أن الأجزاء مكوناتُ القافية، تشمل الحروف والحركات؛ فلماذا نخص بها الحروف دونها؟ لهذا تجدونني أضع في رأس هذه الصفحة والتي بعدها كلمة أجزاء، وبين القوسين أضع الحروف مرة والحركات مرة، لكي أنبهكم على أنني أريد بالأجزاء الحروف والحركات جميعا، لا كما يرى بعض الناس -تمام!- فحين أسألكم أن تجزِّئوا الأجزاء أنتظر منكم إذن، أن تذكروا الحروف والحركات، لا الحروف وحدها على طريقة هؤلاء العروضيين؛ فكلامهم غير مقنع. ونحن قد عرضنا لهذا من قبل، حينما كنا نتلبث بعض الفراغ من الوزن نقول: حدِّدوا القافية! ما قلبها؟ ما الذي قبله؟ ما الذي بعده؟ ما كذا؟ ما كذا؟ ليس هذا بجديد علينا، ولكن هذا هو مَوْعِدُه، بقينا طوال الفصل نطبق، والآن نستفيد مما طبقناه. تذهب في العادة إلى البيت لتحدد القافية -وقد عرفنا أن القافية "آخر ساكنين في البيت، مع ما بينهما من متحركات -متى كانت- والمتحرك الذي قبلهما"- فلماذا تحددها؟ ما الفائدة؟ تحددها لأنها أهم جزء في البيت، تعتني به عناية كبيرة، وتُحاسب عليه الشعراء، تقول لهم: أصبتم أو أخطأتم، ووفقتم أو أخفقتم، وأحسنتم أو أسأتم، -طيب!- ولكن ينبغي أن تستعمل في محاسبتهم مصطلحات أجزاء القافية؛ ولهذا ينبغي أن نسميها بأسمائها حروفا وحركات، حتى نخاطبهم بها؛

---

(١) رابط هذه المنادمة في قناتي اليوتيوبية:

https://www.youtube.com/watch?v=٧EzbIQUwIJY&list=PL٠_bvBmuM٥ySq٦hXNd٤GWcNFIUaI٤uqCM&index=٢٣

وقد فرغها أحمد سيد، وراجعها له عمرو زبير.

فالمصطلحات أدوات العلوم. ومن أجل أن أخفف عنكم رجعت إلى مقامات "مجمع البحرين"، لناصيف اليازجي -هذا الشيخ النصراني الذي تعلم العربية، وأتقنها، ووضع فيها مقاماته، وجعل بطلها مسلما يُفْسِد أول المقامات في الأرض، ويَخْدَعُ الناس، ثم تَوَّبَهُ في آخر المقامات، وحَجَّجه وهو النصراني بيتَ الله، وأعاده إلى الجادّة- أتملَّحُ لكم بمقطع آخر من المقامة العراقية نفسها، يقول فيه المحتال الكبير ميمون بن خزام، للمحتال الصغير غلامه، وقد اتفقا في الخارج قبل الدخول إلى مجلس الأمير، على ما يخدعانه به هو ومن حَضَرَه، وينهبان أموالهم: "هَلْ تَعْرِفُ مَا لِلْقَوَافِي مِنَ الْأَجْزَاءِ، وَمَا لِأَجْزَائِهَا مِنَ الْأَسْمَاءِ؟ فَأَنْشَدَ -أجاب في اللحظة نَظْمًا، من بحر الطويل بحر المعلقات، ما شاء الله، منتهى العبقرية-:

إِذَا رُمْتَ أَجْزَاءَ الْقَوَافِي فَسَلْ بِهَا خَبِيرًا يُجِيدُ الْقَوْلَ حِينَ يَقُولُ
رَوِيٌّ وَوَصْلٌ وَالْخُرُوجُ وَرَاءَهُ وَرِدْفٌ وَتَأْسِيسٌ يَلِيهِ دَخِيلُ"!

يقصد بالخبير نفسه! كلام مرتب، يسهل حفظه، فمن حفظه؟

- نعم.
- ها، أحمد، قل:
- إِذَا رُمْتَ أَجْزَاءَ الْقَوَافِي فَسَلْ بِهَا خَبِيرًا يُجِيدُ الْقَوْلَ حِينَ يَقُولُ
  رَوِيٌّ وَوَصْلٌ وَالْخُرُوجُ وَرَاءَهُ وَرِدْفٌ وَتَأْسِيسٌ يَلِيهِ دَخِيلُ
- أحسنت، أحسنت! ولعلك رأيت أنه صرف كلمة أجزاء إلى الحروف، ماذا قال؟ قال: "إِذَا رُمْتَ أَجْزَاءَ الْقَوَافِي..."، ثم لم يذكر إلا الحروف؛ فكأنه ممن يرون أن الأجزاء هي الحروف، ومقتضى التدقيق أن تشمل الحروف والحركات. جميل! "رَوِيٌّ"، قلب القافية الروي -تمام؟- ماذا كنا نفعل حينما نضيف البيانات في البطاقة، ماذا كنا نفعل؟ كنا نذهب إلى قلب القافية، نذكر الروي، ثم بعد هذا نذكر حركته، كنا نخلط الحروف بالحركات، لأن لكل حرف حركة -يا جماعة!- لكل حرف حركة، عُدّوا معي الحروف! ستة -وهذا السادس "الدخيل" لم يذكره الخليل أصلا، كما سأذكر لكم بعد قليل- فكأننا أمام ستة أحرف بست حركات، لكل حرف حركته التي ينبغي أن تذكرها بعقبه مباشرة، والحركات إما أن تكون قبل الحروف أو بعدها، لو كتبناها باللاتينية لوجدنا الحركة بعد الحرف أو قبله، نكتبها في الكتابة العربية فوقه أو تحته، أو فوق الذي قبله أو تحته، لكن هذه التي

فوق الذي قبله، هي قبله مباشرة، وهذه التي فوقه، هي بعده مباشرة. تمام؟ "رَوِيٌّ وَوَصْلٌ"، الروي قلب القافية، والوصل الحرف الذي بعده، و"الْخُرُوجُ"، الحرف الذي بعد الوصل إذا تحرك الوصل، والعادة في الوصل أن يكون بالألف أو الواو أو الياء، لكن أحيانا يكون بالهاء، فربما تحركت هذه الهاء، وأُشبِعت حركتها؛ فنشأ لها بعدها مَدٌّ من جنس حركتها، فهذا المد هو الخروج. ما الروي إذن؟ قلب القافية. وما الوصل؟ الحرف الذي بعد الروي. وما الخروج؟ حرف المد الناشئ بإشباع حركة الوصل. و"رِدْفٌ"، ما الردف؟ الألف أو الواو أو الياء الساكنات اللواتي قبل الروي مباشرة -والردف في اللغة العربية اللّصْق، وفي الأثر "كُنْتُ رِدْفَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ، وَسَلَّمَ!- فَقَالَ لِي: يَا غُلَامُ، احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ"، كنت ردفه، أي لصقه- و"تَأْسِيسٌ"، ما التأسيس؟ ألف الأول التي بينها وبين الروي متحرك. "دَخِيل"، ما الدخيل؟ هو الحرف المتحرك (الحرف دون حركته)، الذي بين ألف التأسيس وحرف الروي، هذا الحرف هو الدخيل، ولم يسمه الخليل، لأن الخليل -وإذا عُرِف السبب بَطَل العجب!- لم يكن يسمي إلا ما سيحاسب عليه الشعراء، ليكلمهم به: أصبتم أو أخطأتم، ووفقتم أو أخفقتم، وأحسنتم أو أسأتم- وهذا الدخيل لا يُحَاسبُ عليه الشعراء، يستطيع الشاعر أن يجعله أي حرف؛ فلماذا يسميه الخليل! نمشي في الشارع نسمي الناس! ولماذا نسميهم ولن نناديهم أو نحتاج إليهم! لماذا نسميهم! إنما نسمي من نحتاج إليه، أو من سنحتاج إليه، من نعاملهم أو من سنعاملهم -تمام؟- فتسمية "الدخيل" ليست من عمل الخليل، لكنه سمَّى حركة الدخيل، فلما رأى الناس منه ذلك، واحتاجوا إلى أن يقولوا كذا حركة كذا- اخترعوا كلمات "دخيل"، ليقولوا: الإشباع حركة الدخيل، كما سنرى بعد قليل، لكن الخليل لم يسم إلا حركته، لأنه سيُحاسب عليها الشعراء، يُرِيدُهم أن يجعلوها دائما كسرة؛ فإذا غيروها عن الكسرة إلى الفتحة أو الضمة، عابهم، وسمى صنيعهم "سِنَادَ إِشْبَاعٍ"!

- دكتورا!
- نعم.
- ليتك تعيد ذلك!
- قد تدربنا على هذا، نذهب إلى قلب القافية، حرف الروي، تُروى عليه القافية، وإليه تنسب، فيقال: لامية العرب للشنفرى، ولامية العجم للطُّغَرائيّ، وسينية البحتري، ودالية المعري، ونونية

ابن زيدون...، وهكذا. هذا قلب القافية، والحرف الذي قبله مباشرة إذا كان ألفا أو واوا أو ياء حظي بعناية خاصة، فسُمي الردف لأنه لِصْق الروي، يلاصقه من هنا، فالذي يلاصقه من قبله يسمى الرِّدْف، والذي يلاصقه من بعده يسمى الوَصْل، لأنه يصل به إلى النهاية. وإذا تحرك الوصل، فنشأ له بعده مد- مَدٌّ- كان كأنه حد القافية الذي من تجاوزه خرج منها؛ فسُمِّي الخُروج. سنطبق هذا على القصائد السابقة كلها، لكن تخيل معي؛ نبدأ بالتخيل، ثم نطبّق! قلب القافية الروي، بعده الوصل، وقبله الردف، وقبل الذي قبله التأسيس. ولا يجتمع الردف والتأسيس، يستحيل؛ فالتأسيس ألف؛ فكيف تأتي بعده ألف أو واو أو ياء ساكنات، كيف؟ يستحيل! إما الردف، وإما التأسيس! تقول مثلا: "وَاجِبِي"، مِنْ "... أَتَسْأَلُنِي مَنْ أَنْتَ أَعْرِفُ وَاجِبِي"، في "سندباد يمني في مقعد التحقيق"، لعبد الله البردوني- هي القافية، وألفها تأسيس، جرب أن تضع بدل الجيم ألفا -"وابي"، مثلا!- والله، لو مددتها إلى العصر كما قال بعض ظرفاء الصَّرْفيّين في تفنيد هذا الاستشكال، لم تكن إلا ألفًا واحدة، وعندئذ ستكون ألف ردف: الباء روي، والألف ردف، وإن مددتها إلى العصر! وكما يبطئ بعضكم الإنشاد بزيادة المد، يسرعه بعضكم بنقصه - استمعت منكم إلى هذا وإلى ذاك- والوزن في الحالين واحد! وفي الموسيقى -وأنا أدرس للموسيقيين أيضا علم العروض- ربما عزف العازف السمفونية عزفا سريعا، وعزفها غيره هي نفسها عزفا بطيئا! هذا وارد، وهذا وارد، والإيقاع واحد، أو الأصل، أو الحقيقة! منكم ناس يتكلمون بسرعة، وناس يتكلمون ببطء، مسعد يتكلم بسرعة، وأهل منطقته جميعا يتكلمون سريعًا! هذه طريقتهم لهجتهم، وناس في الداخلية يتكلمون ببطء، وعندنا من أقاربنا ناس يتكلمون ببطء حتى يقتلونا بطئًا! نعم، يا عمر، من السائل؟ أحمد، تفضل!

- ماذا عن الياء بعد الألف إذا كانت القافية على مثل "مَطَايِبِي"؟
- لا - يا أحمد!- الياء هنا كأنها حرف صحيح؛ فقد تحركت، وإذا تحركت الواو والياء أشبهتا الصحيح؛ لهذا يسمى كلٌّ منهما شبه صحيح. الواو في "وعد" مثلا، علة -نعم- لكنها ليست مدًّا ولا لينًا، بل علة فقط، أشبهت الصحيح، والتبست به؛ لهذا نقسم الألف والواو والياء، على ثلاثة أقسام: هي في القسم الأول علة فقط إذا تحركت، وهي كلها عِلَلٌ، وستظل أبدًا عِلَلًا! وهي في القسم الثاني علة ولين، الواو والياء فقط إذا سكنتا بعد فتح. وهي في القسم الثالث علة ولين ومد،

الألف وواو المد بعد ضمة وياء المد بعد كسرة. طيب! قبل أن نطبق جئت لكم بمقطع من مقدمة كتابٍ هي في نفسها كتاب من كتب العلم، مقدمة أبي العلاء لديوانه "لزوم ما لا يلزم"! من منكم سمع عن مقدمة كتاب صارت هي نفسها كتابا من كتب العلم؟ من؟

- مقدمة ابن خلدون.

- نعم، مقدمة ابن خلدون، مقدمة كتاب، الكتاب في مجلدات كثيرة، وهي في ثلاثة مجلدات! مقدمة صارت كتابا من كتب العلم! وكذلك...، ها! مقدمة تفسير ابن النقيب -صعبة هذه عليكم، صعبة!- في مجلد كبير، اكتشفها وحققها أخونا الحبيب الراحل الدكتور زكريا سعيد علي -رحمه الله، وطيب ثراه!- واستعان على مراجعتها بي وببعض إخواننا، لتصير مرجعا في علم البلاغة! ويمكننا أن نعد من هذا النمط مقدمة ديوان المعري لديوانه في شيخوخته "لزوم ما لا يلزم"، التي صارت مرجعا في علم العروض! وقد جئتكم منها بمقطع يذكر فيه الروي فقط من أجزاء القافية؛ لماذا اقتصر عليه، يا أستاذ؟ الروي قلب القافية، إذا عرفناه عرفنا ما أمامه وما خلفه؛ فلنركّز عليه! ولكن لماذا سُمي رويًّا؟ أمن الرَّوِيّة أي التفكير، لأنه يُتَرَوَّى مَلِيًّا في الحصول عليه! أم من الرِّواية، لأن القصيدة تنسب إليه؟ يستحق أن يكون لهما جميعًا معًا سُمِّيَ! أما الوصل فبه تصل القافية إلى نهايتها، والخروج حد الخروج من القافية، والردف لِصْقُ الروي، والتأسيس مؤسس القافية من أولها، والدخيل الحرف الداخل بين التأسيس والروي، وليس من تسمية الخليل، في تسميته حكمة، ولكن لم تكن لِتكون كحكمة الخليل في تسمياته كما نبهتكم مرة؛ لن يستطيع أحد أن يُسمِّي كما كان الخليل يُسمِّي، لأنه مخترع العلم، يخترع، ويسمي من حياته في اللحظة؛ فهو أقدر الناس على أن يسمي؛ تجدون مثلا في تسمية المتدارَك أنها كانت تسمية غير موفقة، لأن المتدارَك المستدرك، كل تسميات الخليل بمعنًى من النغم أو الحركات أو الطول، ثم جاءتنا تسمية بمعنى الاستدراك -ما هذا!- لكن تسمية الحرف الذي بين التأسيس والروي دخيلا، فيها نظر؛ كأنه دخل فيما بين الردف والروي، فحَوَّل الحال، وجعل الردف تأسيسا، هذه محاولة فهم! طيب، ماذا يقول أبو العلاء أحمد بن سليمان التنوخي المعري، رهين المحبسين، فيلسوف الأدباء، وأديب الفلاسفة؟ يقول: "أَمَّا الرَّوِيُّ فَأَثْبَتُ حُرُوفِ الْبَيْتِ، وَعَلَيْهِ تُبْنَى الْمَنْظُومَاتُ، وَهُوَ يَكُونُ مِنْ أَيِّ حُرُوفِ الْمُعْجَمِ وَقَعَ، إِلَّا حُرُوفًا تَضْعُفُ وَلَا تَثْبُتُ، كَأَلِفِ التَّرَنُّمِ وَوَاوِهِ وَيَائِهِ، وَهَاءِ الْوَقْفِ،

وَهَاءَات التَّأْنِيث إِذَا كَانَ مَا قَبْلَهَا مُتَحَرِّكًا، وَالْأَلِف الَّتِي تَلْحَقُ لِلتَّثْنِيَةِ فِي مِثْلِ: ضَرَبَا، وَذَهَبَا- وَالْوَاوِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى الْجَمْعِ إِذَا كَانَ مَضْمُومًا مَا قَبْلَهَا فِي مِثَال: ضَرَبوا، وقَتَلُوا- وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْحُرُوفِ، فَإِنِ اتَّفَقَ غَيْرُ مَا ذَكَرْتُ فَهُوَ شَاذٌّ مَرْفُوضٌ". "أَما الروي فأثبت حروف البيت"، ما معنى "أثبت حروف البيت"؟ أقواها، وأرسخها، وأبقاها، أقواها للسمع، وأرسخها في الاستعمال، وأبقاها في التكرار. "وعليه تبنى المنظومات"، على أساسه تبنى، وربما أراد أن الشاعر يفكر فيه أولا.

مرةً وضع أحد الشعراء قصيدة على روي الذال -والذال قليل الاستعمال، والحروف في موقع الروي مختلفة: بعضها كثير الاستعمال وبعضها قليل، وبعضها نادر- وتحدي الشعراء: من منكم يستطيع مثلي أن ينظم على الذال؟ فماذا قال؟ قال:

"هَذِهِ الذَّالُ فَاسْمَعُوهَا وَهَاتُوا شَاعِرًا -واحدا!- قَالَ فِي الرَّوِيِّ عَلَى ذَا

-على هذا كما قلت!-

قَالَهَا شَاعِرٌ -يقصد نفسه- لَوَ انَّ الْقَوَافِي كُنَّ صَخْرًا أَطَارَهُنَّ جُذَاذَا"!

أطارهن جذاذا، أي دمَّرهنَّ تدميرًا، وفجرهنّ تفجيرًا -أرأيتم؟- يفتخر بأنه استطاع أن ينظم قصيدة طويلة على الذال! صحيح؛ شيء متعب؛ أنا نظمت مرة على الذال، قطعة من ثلاثة أبيات، وأحسست أنني أنجزت إنجازا عظيما، فكيف إذا نظم قصيدة طويلة عريضة على الذال! ألا إن له أن يفتخر! وهذا الشاعر كان إمام مسجد -نعم!- وما المانع؟ أحرام أن يكون إماما وشاعرا! أفضل الأئمة الشعراء! ماذا قال أبو العلاء؟ "أما الروي فأثبت حروف البيت"، أي أقواها وأرسخها وأبقاها، "وعليه تبنى المنظومات"، إما على المعنى الذي ذكرته لكم، أو على أساس أنها تنسب إليه، يقال ذاليّة ابن أبي الزوائد، "وهو يكون من أي حروف المعجم وقع"، منها كلها، "إلا"، الآن يستثني، يعمم الكثير، ويستثني القليل؛ ماذا استثنى؟ "إلا حروفا تضعف ولا تثبُت"، ما سبب عدم صلاحها رويًّا؟ أنها ضعيفة، وأنها غير ثابتة في الكلام عادةً، تقع بين الكلام، تتيه في الزحام! ما هذه؟ "كألف الترنم"، ما ألف الترنم؟ التي تضيفها، تخترعها ولا وجود لها، لو كنت في نثر لوقفت بالسكون، فقلت مثلا: دَخَلْ -فوقف على اللام بالسكون- لكنك تقول في الشعر: دَخَلَا، ... فَمَا دَخَلَا، وتقول في النثر: ... فَمَا دَخَلْ، هذه ألف الترنم، ومثلها واو الترنم: تقول في الشعر مثلا: ... فَمَا يَدْخُلُ(و)، وتقول في النثر: ... فَمَا يَدْخُلْ، ومثلهما ياء الترنم، تقول في الشعر مثلا:

... فِي الْمَدْخَلِ (ي)، وتقول في النثر: ... فِي الْمَدْخَلْ. هذه ألف الترنم وواوه وياؤه، هل سمعتم بشاعر اتخذ هذه الألف أو الواو أو الياء حرف روي، مستحيل، لم يحدث، لو حدث لكان خطأ، والخطأ وارد. "وهاء الوقف"، ما هاء الوقف؟ هاء السكت: "مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ" -صدق الله العظيم!- هذه هاء السكت، هل سمعتم بشاعر جعلها رويًّا؟ لا، يجعلها وصلا -نعم- كما في قول ابن قيس الرقيات -عندنا شاعر اسمه عبيد الله بن قيس الرقيات، لأنه تغزل في عدة نساء، اسم كل واحدة منهن رقية، رجل مغرم بالرقيات، سموه ابن قيس الرقيات، كما سموا كثير عزة وجميل بثينة، كان ابن قيس الرقيات هذا يتكلم في شعره بكلام النساء، فيعاب عليه: ما أنت وهذا، هذا كلام نساء!- كما في هذ الشعر الذي وصل القافية فيه بهاء السكت-:

"بَكَرَ الْعَوَاذِلُ فِي الصَّبُوحِ يَلُمْنَنِي وَأَلُومُهُنَّهْ

كأنه كلام نساء، تأمل!

وَيَقُلْنَ شَيْبٌ قَدْ عَلَاكَ وَقَدْ كَبِرْتَ فَقُلْتُ إِنَّهْ"!

جعل الهاء وصلا، والتزم قبلها حرفا كان هو الروي لا الهاء، فهاء السكت يستحيل أن تكون...

- رويًّا.
- رويًّا. أعيد، يقول:

"بَكَرَ الْعَوَاذِلُ فِي الصَّبُوحِ -أي في شراب الصباح- يَلُمْنَنِي وَأَلُومُهُنَّهْ

وَيَقُلْنَ شَيْبٌ قَدْ عَلَاكَ وَقَدْ كَبِرْتَ فَقُلْتُ إِنَّهْ"!

"إِنَّهْ"، أي ولْيَكُنْ، لا يعنيني! هذه هاء السكت، "إِنَّ" بمعنى "نعم"! يقول: نعم، ما المانع؟

"تَعْجَبِينَ مِنْ سَقَمِي صِحَّتِي هِيَ الْعَجَبُ"!

طيب! "وهاءات التأنيث"، ما هاءات التأنيث هذه؟ التي كانت تاءات تأنيث، فقلبت عند الوقف هاء، تقول: جاءت فاطمه، هذه كبيره، مستريحه -هذه في "مغن تحت السكاكين"، للبردوني- كلها هاءات تأنيث. انظروا إلى ذكاء القدماء يسمونها "هاء التأنيث"، لا "تاء التأنيث"، لأنها تقلب عند الوقف هاء -هذه الفصاحة!- يسمونها "هاء التأنيث"، إذا كانت مما يُقلب عند الوقف هاء، لكن في "دَخَلَتْ"؟ هذه تاء تأنيث، لا حيلة فيها، ما تاء التأنيث إذن؟ التي في الفعل "دَخَلَتْ"

و"خَرَجَتْ". ماذا تقول عند الوقف عليها؟ تقول: دَخَلَتْ، وخَرَجَتْ، وأَكَلَتْ، وشَرِبَتْ، وجَلَسَتْ، كما هي، لكن في فاطمة تقول: جَاءَتْ فَاطِمَهْ، ها، ماذا يسمون هذه؟

- هاء التأنيث.
- والتي في "دخلت" وما أشبهها يسمونها...
- تاء التأنيث.
- يدققون إلى آخر المدى، يميزون هاء التأنيث من تاء التأنيث، أما أنا وأنت فنسميهما جميعًا "تاء تأنيث"، وإذا ألغينا الفوارق ضيَّعنا عبقرية التعبير، إذا ألغينا الفوارق ضيَّعنا عبقرية العربية، وهكذا نفعل هذه الأيام! انتبهوا، يا جماعة! يعدد المعريّ ما لا يكون رويا، لكنه احترس لهاءات التأنيث بما "إذا كان ما قبلها متحركا"، ما معنى هذا، يا أستاذ؟ معناه أنه إذا سكن ما قبلها -والساكن ضعيف- ظهرت هي وقويت، وصارت الرويّ، كما في قولك: ... حياه، كيف وهي هاء تأنيث قد انقلبت عن تاء؟ يقول لك: ضعف ما قبلها، فظهرت، وإذا ضعف ما قبل الضعيف أكثرَ من الضعيف قوي الضعيف، فصار هو الروي، نعم!
- عندي مثال لذلك.
- أحسنت، قولي!
- قول طرفة:

"مَنْ عَائِدِي اللَّيْلَةَ أَمْ مَنْ نَصِيحْ بِتُّ بِنَصْبٍ فَفُؤَادِي قَرِيحْ"!

- ما الذي في هذا؟
- الحاء الساكنة روي، وقبلها ياء ساكنة.
- لا، الحاء في أصلها أقوى من الياء، أنا أتكلم عن الحروف الضعيفة التي لا تقوم رويا، كهاء التأنيث التي في "فاطمه"، وفي "جريحه" من قصيدة البردوني "مغن تحت السكاكين" -وكلها في قوافيها هذه الهاء، وإن أبقيتُ فوقها النقطتين التزاما بالعرف الإملائي العام- ما الروي؟ الحاء، والهاء، يا أستاذ؟ لا، ضعيف، فلما ضعف صار هو الوصل كما سنرى بعد قليل. لكن إذا شئتِ فاذكري لي بيتا في آخره "الحياه"، و"الدعاه"، وما أشبه -من يذكر؟- والقضاه، والرعاه، والبناه، كلها تاءات قلبت هاءات عند الوقف، لولا ضعف ما قبلها ما قويت! طيب! "وَالْأَلِفِ الَّتِي تَلْحَقُ

لِلتَّثْنِيَةِ فِي مِثْلِ: ضَرَبَا، وَذَهَبَا- وَالْوَاوِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى الْجَمْعِ إِذَا كَانَ مَضْمُومًا مَا قَبْلَهَا فِي مِثَالِ: ضَرَبوا، وَقَتَلُوا"، يستحيل أن تكون هذه أَرْوِيَة، لكن انظروا إلى واو الجمع ماذا قال فيها، قال: "إِذَا كَانَ مَضْمُومًا مَا قَبْلَهَا"، لأنه أحيانًا يقول: سَعَوْا، دَعَوْا، رَمَوْا، واو الجماعة هذه التي انفتح ما قبلها، يجوز أن تكون رويا، وقد وقعت رويا في شعر أبي نواس، معقول؟ نعم، لما انفتح ما قبلها أشبهت الصحيح، اقتربت من الصحيح، فقويت -طيب!- أما في "ضَرَبُوا" و"قَتَلُوا" فلا، بل لا بُدّ أن تقول: "ضَرَبُوا"، و"رَكِبُوا"، وما أشبه، لتكون الباء هي الروي، والواو هي الوصل. تأملوا عبارته الذكية "وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْحُرُوفِ"، ما معنى هذه العبارة؟ أنه ربما استضعف الشعراء حروفًا أخرى غير التي ذكرتها لك، فجعلوها هي الوصل، والتزموا قبلها ما يجعلونه هو الروي، هذا هو المعنى، أي فَتَحَ الباب، ثم علَّقَ: "فَإِنِ اتَّفَقَ غَيْرُ مَا ذَكَرْتُ فَهُوَ شَاذٌّ مَرْفُوضٌ"، إذا جاءك شاعر -يحدث، فأنا أقرأ في الصحف، ويأتيني، وأعلق- قد نظم قصيدة يجعل الروي فيها تاء التأنيث -خطأ، يستحيل!- أو يجعله هاء الضمير، كما في "لها" مثلا، لا يجوز، ينبغي أن يلتزم قبلها حرفا، لتكون هي الوصل، لا الروي. انتبهوا -يا جماعة!- فسأضيف هنا إضافة نسيت أن أضيفها في المحاضرات السابقة، ما هذه الإضافة؟ يقسم المعري الحروف من حيث كثرة الاستعمال رويا، على ثلاثة أقسام، يقول: عندنا من حروف المعجم ذُلُل، ونُفُر، وحُوش، والذُّلُل هنا جمع ذَلُول -عرفناها في الشعر- حرف ذلول، يلين لنا دائما، وهو كثير الاستعمال، ففي المنزلة الأولى من الاستعمال رويا حروف ذُلُل، كثيرة الاستعمال رويا، منها مثلا حروف الذلاقة: الراء، واللام، والميم، والنون، هذه كثيرة الاستعمال رويا. ووفي المنزلة الثانية حروف نُفُر -كأنها تنفر منك، ومنها الجيم والذال والزاء. وفي المنزلة الدنيا التي في الأرض، حروف حُوش -أي وَحْشِيّة- ومنها الثاء والطاء والظاء، هل سمعت بقصيدة على الظاء؟ حرف حوشيّ. وفي كلمتي حُوش وحُوشيّ قلب مكاني، أصلها وَحْش ووَحْشيّ. على أي أساس صُنفت الحروف هذا التصنيف؟ على أساس الاستعمال، هذه أكثر استعمالا من هذه، وهذه أكثر استعمالا من هذه. ولماذا كثُر استعمالها بعض الحروف رويا دون بعض، لماذا؟

- لقوة إسماعها في نفسها.

- جميل، كلام جميل، لكن ليس لهذا فقط -فالنون مثلا أكثر استعمالا من الزاء- لا أنكر كلامك تماما، لكن من المهم كثيرا أن تراعى مادته من اللغة، وبين الأمرين علاقة. **نتقل قبل أن نطبق إلى الحركات،** حتى نطبق على الحروف والحركات مرة واحدة. يا جماعة، من أجزاء القافية الحركات، وقد اقتطعت لكم كذلك مقطعا من المقامة العراقية، يقول فيه المحتال الكبير للمحتال الصغير: "وَهَلْ تَعْرِفُ حَرَكَاتِ الْقَافِيَةِ، مَا هِيَهْ؟ فَأَنْشَدَ -أجاب نظما في اللحظة، ما شاء الله!-:

حَرَكَاتُ قَافِيَةٍ نَظِيرُ حُرُوفِهَا سِتٌّ بِهَا الْمَجْرَى عَدَدْنَا أَوَّلَا

ثُمَّ النَّفَاذُ وَحَذْوُهَا وَالرَّسُّ وَالْإِشْبَاعُ وَالتَّوْجِيهُ فَاحْفَظْهَا وَلَا"!

أَيْ وَلَا...

- تَنْسَهَا!

- ولا تَنْسَهَا! وسبحان الله! لماذا قال: "نظير حروفها"؟ عُدْ إلى الحروف، وعُدَّ معي -عُدْ، فَعُدَّا!-: روي، وصل، خروج، ردف، تأسيس، دخيل، هذه ستة. والحركات: مَجْرى، نَفاذ، حَذْو، إشباع، توجيه، رَسّ، ست حركات متعلقة بستة أحرف، إما من قبل، وإما من بعد -مروان، نِمْتَ! في أيام العصا (دن دن ددن)، لم يكن أحد يستطيع أن ينام، كنا في إزعاج مستمر!- لكن دعونا نستمتع بالبيتين! ما إعراب المجرى؟

- مفعول به.

- لأي فعل؟

- عددنا.

- لـ"عَدَّ"، من "عَدَدْنَا"، جميل! كان المتوقع أن يقول: "ثُمَّ النَّفَاذَ" -بالنصب عطفًا على المجرى- لكنه قال: "ثُمَّ النَّفَاذُ"، وقد اتهمت نفسي -ربما كانت الكلمة منصوبة، فحُرِّفت- فرجعت إلى الكتاب، فوجدتها مرفوعة. وضبط الرواية -يا فيصل!- أهم من تحكيم الرأي، لأنك تروي عنه أسلوبه الشخصي، لا يجوز لك أن تغيره من أجل أن ترضي نفسك، لا يجوز، هذا من خيانة النقل. في أبحاثكم تَرِدُ على بعض الفتيات أبياتٌ في الغزل الصريح أو البشع مثلا، فماذا تفعل؟ تحذفها من باب الحياء؟ لا، خطأ، هذا إفساد! اتركي هذا الكتاب إلى غيره! أما أن تغيري شيئا من النص فَحَرَامٌ لا حَيَاءٌ! وقد وقع في هذا الخطأ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية سابقا، الذي أعاد

على طلاب الجامع الأزهر نشر بعض كبار كتب الأدب؛ إذ لم يكن يتحرّج من حذف ما لا يعجبه، وما زلنا نعيبه بهذا فيمن يعيبونه! هذا تحريف، خيانة، تظهر الشخص على غير شخصيته، تخدع الناس، تُخَيِّل لهم أنه لا يفعل كذا، وهو يفعله! تجدون من جرى مجرى الشيخ محمد عبده في ذلك، كحسن كامل الصيرفي في تحقيق ديوان البحتري مثلا- يضع نقطا مكان ما يستقبح ذكره، ويقول في الحاشية: في هذا الموضع ما لا يحسن ذكره! يا للخيانة! ليته ترك هذا الكتاب إلى غيره! ها، من حفظ؟

- نعم.
- أحمد أيضا! ها، قل، يا أحمد!
- حَرَكَاتُ قَافِيَةٍ نَظِيرُ حُرُوفِهَا سِتَّةٌ
- خطأ! سِتٌّ، ستة تكسر الوزن، وست أفصح في نعت المؤنث من ستة، ها!
- حَرَكَاتُ قَافِيَةٍ نَظِيرٌ
- نظيرُ
- حَرَكَاتُ قَافِيَةٍ نَظِيرُ حُرُوفِهَا سِتٌّ بِهَا الْمَجْرَى عَدَدْنَا أَوَّلَا
- أَوَّلَا
- أَوَّلَا
- ثُمَّ النَّفَاذُ وَحَذْوُهَا وَالرَّسُّ والْإِشْبَاعُ وَالتَّوْجِيهُ فَاحْفَظْهَا وَلَا
- أحسنت، أحسنت، بارك الله فيك! طيب! كما فعلنا بالحروف نفعل بالحركات؛ نذهب إلى كل حرف، ونعتني له بحركته، ما المجرى؟ حركة الروي، لماذا سموها المجرى، لأنها التي بها جرى، ولولاها ما جرى! حاول أن تنطق باء آخر هذا العجز ساكنة: "... إِذَا لَمْ يُسَالِمْكَ الزَّمَانُ فَحَارِبْ"، ستكون كأنك لم تنطق بشيء، "... فَحَارِبْ"، انقطع الإرسال! لكن إذا قلت: "... فَحَارِبِ"، حركتَ، فظهر للسمع، وتألق -تمام؟- فسموها المجرى من أجل هذا. "ثم النفاذ"، ما النفاذ؟ حركة الوصل، فمثلا في "يَا لَيْلُ الصَّبُّ مَتَى غَدُهُ أَقِيَامُ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُ"، القافية "مَوْعِدُهُ"، الدال روي والهاء وصل، وقد تحركت الهاء، وحركتها نفاذ؛ كأنها تنفذ بها إلى الغاية، إلى النهاية. "وَحَذْوُهَا"، ما الحَذْو؟

- حركة ما قبل التأسيس.
- لا، حركة ما قبل الردف، فحركة ما قبل التأسيس "رَسّ"، والإشباع حركة الدخيل، والتوجيه حركة ما قبل الروي الساكن، كما في "إِذا الشَّعْبُ يومًا أرادَ الحياةَ فلا بُدَّ أنْ يَسْتَجيبَ القدَرْ"، الراء روي ساكن، فماذا يفعل ليظهر؟ يعتمد على حركة ما قبله، لهذا تعظم أهمية حركة ما قبل الروي الساكن -تمام!- فما التوجيه إذن؟ حركة ما قبل الروي الساكن، لماذا سمّاها الخليل؟ لأنه سيحاسب عليها الشاعر، فقد سكَّن الروي، ولم يعد له من ملجأ يذهب إليه إلا ما قبله، فانتبه إلى حركتك، حافظ على الحركات متسقة، فتحات فتحات، أو ضمات ضمات، أو كسرات كسرات، أو ضمات وكسرات معا، أما الضمات أو الكسرات مع الفتحات فلا، وإذا حافظت على الضمات وحدها، أو الكسرات وحدها، كان أحسن، فما التوجيه إذن؟ حركة ما قبل الروي الساكن. من أين جاءته الأهمية؟ من أن الروي قد فقد الحركة التي يصل بها الى السمع، فلم يعد له ما يعتمد عليه إلا ما قبله، فازدادت أهمية ما قبله، فكان على الشاعر أن يحافظ على هذه الأهمية، فإذا فتح حافظ على الفتح، وإذا كسر حافظ على الكسر، ويقبل منه أن يخلط الضم بالكسر، والكسر بالضم، ويعاب عليه أن يخلط الفتح بالضم أو الكسر، وأن يخلط الضم أو الكسر بالفتح، والحفاظ على الضم وحده والكسر وحده، أفضل من خلط أيٍّ منهما بالآخر. طيب! عرفنا؟ فما المجرى إذن؟
- حركة الروي.
- وما النفاذ؟
- حركة الوصل.
- إذا تحرك، وما الحذو؟
- حركة ما قبل الردف.
- وما الرَّس؟
- حركة ما قبل التأسيس.
- وما الإشباع؟
- حركة الدخيل.

- على رغم أنه لا إشباع فيها، سماها الخليل الإشباع -سبحان الله!- كما في "وَاجِبِي"، كسرة الجيم إشباع، أين هذا الإشباع، يا أستاذ! ماذا تقصد؟ كأنك تقصد تمكين الدخيل في موضعه -شيء يحتاج إلى تأمل!- ولاسيما أن الشاعر لا يلتزم حرف الدخيل نفسه، فلا أقل من أن يلتزم حركته! ما التوجيه؟
- حركة ما قبل الروي.
- حركة ما قبل الروي الساكن. قبل أن نطبق على القصائد اقتطعت لكم قطعة من أحد كتب المعري، ماذا تعرف للمعري؟ كل مرة أسألكم هذا السؤال، وأجيب عنكم: نعرف "رسالة الغفران". وماذا؟ فقط، يا أستاذ! لا، المعري هذا كان أعجوبة زمانه، كان عبقريا، يشهد لعبقريته اختلاف الناس فيه بين رافع له إلى أعلى عليين، وخافض له إلى أسفل سافلين، بين من سماه أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء، ومن سماه كلب المعرة! سماه ابن القيم في "طريق الهجرتين"، كلب معرة النعمان! أيجوز هذا، يا أستاذ! معذور! بأي شيء؟ بمثل تطرفات أبي العلاء. وماذا تعرف من تطرفاته، يا أستاذ؟ أعرف أنه لم يكن يترك شيئا لا في الدين ولا في الدنيا، إلا يتأمله، وينقده، وينبه الناس عليه! تأمل مرة أحكام الدِّيَات -إذا ضرب شخص في الطريق شخصا، فقطع له يدًا- فبكم يَدِي هذه اليَد؟ بخمسمئة دينار ذهبي. وإذا سرق ففي كم تُقطع يده؟ في ربع دينار ذهبي!- فقال:

"يَدٌ بِخَمْسِ مِئِينٍ عَسْجَدٍ وُدِيَتْ مَا بَالُهَا قُطِعَتْ فِي رُبْعِ دِينَارِ"!

والعسجد الذهب، و"وُدِيَتْ" دُفِعَت دِيَتُها، مفارقة لم تكن لتفوته، وبمثلها ثار عليه الناس، فأجابه شعراً أبو محمد عبدُ الوهّاب بن نصر التَّغْلَبِيّ البغدادي، أحد كبار فقهاء المالكية:

"عِزُّ الْأَمَانَةِ أَغْلَاهَا وَأَرْخَصَهَا ذُلُّ الْخِيَانَةِ فَافْهَمْ حِكْمَةَ الْبَارِي"!

"أغلاها"، جعلها غالية، و"أرخصها" جعلها رخيصة -ههه! أضاف البيت إلى البيت، ضربة في مقتل!- فكأنما ألقمه به حجرا، وصار البيتان نادرة يُتَفَكَّه بها ويُتَّعَظُ منها، على مدار التاريخ! ولا نجد دائما شخصا سريع البديهة مثل المالكي مفوهًا حاضر الجواب، حتى يجيب الملحدين مثل المصري الألماني، المُتسترّ بألمانية يقذف المسلمين فقط بالحجارة، يتهم لهم أصول دينهم، ويفتخر بأنه خرج لهدمها، وأنه لا علاج للإسلام إلا بالقضاء عليه، ويسعى في الطرق محروسا بالشرطة الألمانية،

يدَّعي خوف القتل، يلقى الألمان المسلمين، ويعجب لإسلامهم، ويرجو أن يَثْنيهم عنه! سأقتطع لكم من كتّاب المعري "الفصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ"، الذي زعم بعض خصومه نكايةً به، أنه "الفصول والغايات في مجاراة السور والآيات"، وأنه أراد به معارضة القرآن الكريم، والرجل مظلوم؛ فالكتّاب نصوص غريبة نفيسة في تمجيد الحق -سبحانه، وتعالى!- وتسبيحه وتنزيهه! وقد زَعَمَ لنا مثلَ هذا الزعم أستاذُنا الدكتور محمد بلتاجي حسن أحد كبار فقهاء عصرنا، سقطة كبيرة من عالم كبير! اسمعوا كيف يمجد المعري الحق -سبحانه، وتعالى!- بمصطلحات علم العروض -وكانت عادته أن يقعد في محبسه (غرفته)، ويأتيه التلامذة من أرجاء الدنيا، فإذا أرادوا العلوم المعروفة علَّمهم ما أرادوا! ولكن ماذا يفعل إذا أراد أن يعلمهم أشياء مجهولة لا تنسلك في تلك العلوم؟ يخترع فيها نصوصًا يسبكها بطريقته، ثم يقعد لشرحها، وكلما انتهى من نص قال: غاية، ثم قال: تفسير، ففسرها، ثم قال: رجع، أي رجع الكلام من التفسير إلى طريقته السابقة، وهكذا دواليك: غاية، تفسير، رجع، غاية، تفسير، رجع- يقول: "سَبَّحَ لَكَ تَأْسِيسٌ يُمَالُ وَيُفَخَّمُ، وَالرِّدْفُ بِخَمْسِ جِهَاتٍ تُفْهَمُ، وَالرَّوِيُّ بِحُرُوفِ الْمُعْجَمِ، وَالْوَصْلُ بِأَرْبَعَةِ مَذَاهِبَ يَتَرَنَّمُ، وَالْخُرُوجُ بِثَلاثَةٍ تُعْلَمُ. إِنَّ رَسَّ التَّأْسِيسِ كَرَسِّ الْأَنِيسِ، دَائِمُ الْعِبَادَةِ وَدَائِمُ التَّقْدِيسِ. وَدَأَبَ فِي التَّعْظِيمِ، الْإِشْبَاعُ فِي كُلِّ نَظِيمٍ. وَشَهِدَ بِكَ التَّوْجِيهُ، شَهَادَةَ الْوَجِيهِ. وَالْحَذْوُ بِآلَائِكَ مُنْبِئَةٌ، وَكَذَلِكَ الْمَجرى، أَيْنَ تَصَرَّفَ كَلَامٌ وجرى. وَالنَّفَاذُ تُحَذِّرُ نَوَافِذَ الْقَضَاءِ". "سَبَّحَ لَكَ"، من يكلم؟ رب العالمين. "تَأْسِيسٌ يُمَالُ وَيُفَخَّمُ"، يا ربنا، يسبح لك وينزهك حرف التأسيس في حال نطقه نخمًا مفخمًا صريحًا، وفي حال إمالته إلى الياء، تقولون في بعض اللهجات العمانية: سيعة في ساعة، فمن منكم يقول هذا؟ أتقولون باسة بالياء الممالة إلى الألف، أم بِيسة بالياء الصريحة الخالصة؟

- باسة بالياء الممالة إلى الألف.
- هذه إمالة، لكن من يميل الألف إلى الياء فيقول: سيعة، في ساعة؟
- أهل الداخلية.
- ومثلهم عندنا أهل كفر الشيخ. اسمعوا الرجل يقول: سبحت لك يا ربنا ألف التأسيس ممالة ومفخمة، أي في حاليها. "وَالرِّدْفُ بِخَمْسِ جِهَاتٍ تُفْهَمُ"، ما جهات الردف؟ الألف، وواو المد، وواو اللين، وياء المد، وياء اللين، تمت الخمس، يسبحك الردف -يا ربنا!- إذا كان ألفًا أو واو مد

أو واو لين أو ياء مد أو ياء لين. "وَالرَّوِيُّ بِحُرُوفِ الْمُعْجَمِ"، كلها يسبحك -يا ربنا!- لأنه من أي حروف المعجم وقع -تأملوا! هذا نص كلامه السابق فيه: "وَهُوَ يَكُونُ مِنْ أَيِّ حُرُوفِ الْمُعْجَمِ وَقَعَ"- "وَالْوَصْلُ بِأَرْبَعَةِ مَذَاهِبَ يَتَرَنَّمُ"، ما مذاهب الوصل؟

- أن يكون ألفا...
- أن يكون ألفا، أو واوًا، أو ياءً، أو هاءً. "وَالْخُرُوجُ بِثَلَاثَةٍ تَعْلَمُ"، ما ثلاثة الخروج؟ ألف "ها"، وواو "هُـ(و)"، وياء "هـ(ي)"، لأن الخروج هو المد الناشئ عن إشباع حركة الوصل، "ها"، و"هُـ(و)"، و"هـ(ي)"، كلها تسبحك، يا ربنا! ثم ينتقل: "إِنَّ رَسَّ التَّأْسِيسِ"، ما رس التأسيس؟ حركة ما قبل ألف التأسيس، "كَرَسِّ الْأَنِيسِ"، ما الأنيس؟ البئر. ما رس الأنيس؟ الصوت الذي يرتد إليك من البئر. "دَائِمُ الْعِبَادَةِ وَدَائِمُ التَّقْدِيسِ"، لك، يا ربنا! "وَدَأَبَ فِي التَّعْظِيمِ، الْإِشْبَاعُ فِي كُلِّ نَظِيمٍ"، ما الإشباع؟ حركة الدخيل. "وَشَهِدَ بِكَ التَّوْجِيهُ، شَهَادَةَ الْوَجِيهِ"، أحد الأعيان. "وَالْحَذْوُ بِآلَائِكَ مُنْبِئَةٍ"، يا ربنا. "وَكَذَلِكَ الْمَجْرَى، أَيْنَ تَصَرَّفَ كَلَامٌ وَجَرَى". "وَالنَّفَاذُ تُحَذِّرُ نَوَافِذَ الْقَضَاءِ". من حفظ؟ صعبة هذه -يا أحمد!- ها؟ لنبدأ معا حفظا، لا تنظروا في الملفات! "سبح لك تأسيس يمال ويفخم -ما الذي بعد التأسيس؟- والردف بخمس جهاتٍ تفهم -ما الذي بعد الردف؟- والروى بحروف المعجم -ما الذي بعد الروي؟- والوصل بأربعة مذاهب يترنم -ما الذي بعد الوصل؟- والخروج بثلاثةٍ تعلم. ماذا بقي؟ لا شيء، فترك الحروف، وانتقل إلى الحركات- إن رس التأسيس -ما أول شيء في القافية؟ الرس، هو أول شيء- كرس الأنيس، دائم العبادة ودائم التقديس، ودأب في التعظيم -لأنه الذي بعده- الإشباع في كل نظيم، وشهد بك التوجيه، شهادة الوجيه، والحذو بآلائك منبئة، وكذاك المجرى، أين تصرف كلام وجرى -بقيت النفاذ- والنفاذ تحذر نوافذ القضاء. هذه طريق الحفظ، أن تخيل الترتيب؛ ففي سورة الرحمن مثلا، بعد كل آية "فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ" -صدق الله العظيم!- كيف أحفظ هذه السورة؟ صعبة هذه! تخيل أنها من غير "فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ"، ثم تخيل توالي الآيات ومراتبها، ثم أعد إليها "فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ"، تحفظ السورة! هذا هو الحل. طيب! انتهينا؟ **نعود إلى القصائد من أول الملف.** ما قافية بيتي البطاقة العروضية؟ "نُزَّعَا"، "أَهْجَعَا" -كلما ذكرت لكم قافية

وجب عليكم أن تذهبوا إلى القلب، فتحددوه، تقولون: كذا روي، وكذا مجرى، وما قبله وما بعده- ها!

- العين روي...
- العين روي، فتحتها مجرى، هل قبلها شيء يعنينا؟
- لا.
- لا، فما الذي يعنينا؟
- بعدها الألف.
- الألف، والألف...
- وصل.
- وصل. هل بقي شيء يعنينا؟
- حركة...
- حركة الزاء؟ لا تعنينا!
- حركة الألف.
- الألف ساكنة، يا مسكين! فما الذي يعنينا من أجزاء هذه القافية؟ العين روي، فتحتها مجرى، الألف وصل، ثُمَّ لا ثُمَّ -يا رياح أجيبي!- ثم لا شيء! العين حرف والفتحة حركة والألف حرف، سنجيب بالترتيب، وسنخلط الحروف بحركاتها، نذكر الحرف وحركته. طيب، ما الذي بعد هذا؟ قصيدة "مغن تحت السكاكين"، ما قافيتها؟ "ـرِيحَةْ"، بِيحَةْ"...، اذهب إلى القلب!
- الحاء.
- الحاء روي -هكذا تقول- فتحتها...
- مجرى.
- مجرى، ثم ماذا؟
- الياء.
- الياء قبل الحاء...
- ردف.

- ردف، وكسرة ما قبل هذه الياء...
- رس.
- حذو، الرس حركة ما قبل التأسيس. ثم ماذا؟
- الهاء وصل.
- الهاء التي بعد الحاء وصل، أحسنت! ننتقل إلى القصيدة الثانية. بعدما نفرغ من هذه القصائد سأملي عليكم بيتين أختم بهما، فيهما أطول القوافي احتشادَ أجزاءٍ على مدار التاريخ، لنتعلم من خلالها كيف يحتشد هذا المقدار الكبير. القصيدة الثانية "أتاني عنك"، ما قافيتها؟ "صَبْرُ"، "حُرُّ"، "هَجْرُ"، ...، ها!
- الراء روي.
- الراء روي، ضمتها...
- مجرى. سكون ما قبلها؟ ردف؟
- ردف.
- مساكين! خدعتكم فانخدعتم! خدعت فتيانا كراما فانخدعوا! ها، ما سكون الباء التي قبل الراء؟ عدَم -ليذهب إلى الجحيم!- لا يعنينا أصلا، إنما يعنينا ما سنحاسب عليه الشاعر. الراء روي، ضمتها مجرى، سكون ما قبلها عدم -السكون عدم أصلا، إذا سألتك عن مثل هذا السكون فقل هو عدم؛ كيف أتكلم عن العدم!- الباء قبلها لا تعنينا، بدليل أنه غيرها إلى راء فجيم فكذا فكذا، لا تعنيني. ثم ماذا؟
- الواو وصل.
- الواو وصل، ثم ماذا؟ ثُمَّ لا ثُمَّ -كما قال في القصيدة: "كَيْفَ لَا كَيْفَ يَا رِيَاحُ أَجِيبِي"!- ثم لا شيء. ننتقل إلى قصيدة البردوني "سندباد يمني في مقعد التحقيق"، ما قافيتها؟ "وَاجِبِي"، شَارِبِي"...، ها! اذهب إلى القلب!
- الباء روي.
- الباء روي، كسرتها..
- مجرى.

- مجرى، ثم ماذا؟
- الوصل.
- ابدأ من الألف! الألف...
- تأسيس.
- فتحة ما قبلها...
- رس.
- رس، والجيم... نسيتم! دخلت بين الألف والباء، بين التأسيس والروي...
- دخيل.
- دخيل، سمي الدخيل تسمية موفقة، ولكنها ليس من تسمية الخليل، لأنه لا يحاسب عليه الشاعر. كسرة الجيم (الدخيل)... إشباع. ماذا بقي؟ الياء بعد الباء...
- وصل.
- ههه! هذا الإتقان هنا، لكن في الاختبار تنسون ذلك كله: هاه، هاه، لا أدري!
- ههه!
- اعلموا أن القافية هي التي ستضيع الدرجات! ستحصل على ثلاثين من ثلاثين في الوزن، وعلى صفر في القافية! أو على خمس درجات! يا جماعة، هذه العادة، أن تهملوها! أنصحكم الآن وأعرف أنكم ستقعون فيما حذرتكم! أنا متأكد، الممتازون يخطئون في مسائل القافية، ويأتونني بعد ذلك، يستشفعون بالامتياز في الوزن، للصفر في القافية! ضَرَبَتْهم القافية في مقتل! ننتقل إلى القصيدة التالية، "حتى متى كأسي ريق حية"، ما القافية؟ "ـرُ الْجَنَى"، ـتِ الذُّرَا"، ...، ها! اذهب إلى القلب.
- النون.
- النون، خطأ! اعلم -يا أحمد!- أن القافية لا تتأكد من بيت واحد! تحتاج لتأكيدها إلى بيتين على الأقل. طيب، حاول معي في "ـرُ الْجَنَى"، ـتِ الذُّرَا"، أين النون؟ راجع نفسك إذن! ما القلب؟
- الألف.

- ستضطر إلى أن تقول: الألف المقصورة -أنا معك في أنها مضطربة، لا أنكر أن القافية المقصورة قافية مضطربة، لكنها حقيقة شعرية قافوية عربية واقعة من أيام الجاهلية. هل تعرفون مقصورة ابن دريد؟ هذا الذي تدَّعون أنه عماني، وهو مصري!
- ههه!
- له مقصورة طويلة مشهورة حققها الأديب السعودي أحمد عبد الغفور عطار، قلده فيها أبو مسلم البهلاني، وقلده حازم القرطاجني، وفلان، وفلان، وما زال الناس يقلدونه فيها إلى اليوم...
- "يَا ظَبْيَةً أَشْبَهَ شَيْءٍ بِالْمَهَا تَرْعَى الْخُزَامَى بَيْنَ أَشْجَارِ النَّقَى"!
- نعم أحسنتِ! هذا مطلعها، وقد أجابت لأنها من الواجب الذي أعدَّتْه!
- ههه!
- ولكنها مقصورة بديعة، تستحق الحفظ، وكذلك مقصورة أبي مسلم، أما مقصورة حازم فضعيفة، أحسن منها مقصورة أبي مسلم، والبهلاني أشعر من حازم، فحازم عالم أكثر منه شاعرا! ماذا قال الأستاذ عطار في تحقيق مقصورة ابن دريد؟ قال: المقاصير من أيام الجاهلية، وجاء منها بنصوص، فأنت مضطر إلى أن تعترف بها وإن كانت مضطربة. طيب! تذهب إلى القلب، الألف روي، ثم ماذا؟ ماذا بقي؟
- حركة الألف.
- الألف ساكنة -يا مسكين!- بل حركة ما قبل الألف. في عقيدة علمائنا أن قبل الألف فتحة، أما المعاصرون فيقولون لك هذه فتحة واحدة طويلة، فمثلا "تَسْعَى"، مم يتكون؟ من: تاء، فتحة، سين، عين، فتحة، ألف، هذا عند القدماء -وإذا كتبناها بالحروف اللاتينية أكدت مذهبهم!- وإذا جزمته بـ"لم"، قلت: لَمْ تَسْعَ إِلَى عَمَلِكَ، "تَسْعَ" فعل مضارع مجزوم بـ"لم"، وعلامة جزمه حذف الألف، حذفت الألف، وأبقيت الفتحة. كلامهم متكامل، لا تستطيع أن تأخذ من كلامهم وتدع، على رغم أنهم يعرفون كما يعرف المعاصرون، أن الألف فتحة طويلة، لكنهم جروا على ما ذكرت لك؛ ففي عقيدتهم اللغوية أن لدينا ألف مد قبلها فتحة، فهنا تقول: الألف روي، وفتحة ما قبلها...
- توجيه.

- أحسنت! هذه إجابة سديدة، لأننا اتفقنا على أن التوجيه حركة ما قبل الروي الساكن، والمد عندهم ساكن، مهما كان قولنا فيه! هل بقي شيء؟

- لا.

- لا، ثُمَّ لا ثُمَّ! انتقلوا إلى القصيدة التالية "يا ليل الصب متى غده"، ما القافية؟ "مَوْعِدُهُ"، "يَرَدِّدُهُ"، ....، ما القلب؟

- الدال.

- الدال روي، ضمتها...

- إشباع.

- خطأ! نسيت، صفر! هذا الممتاز، سيحصل على ثلاثين من ثلاثين في الوزن، وعلى صفر في القافية، ليحصل في التقدير العام على "ج (C)"، ليقول لي: يا أستاذ، كيف حصلت في النهائي على "ج (C)"، وقد حصلت في المنتصف على "أ (A)"، أهذا معقول! معقول، ضاعت منك درجات القافية العشرون! عافانا الله وإياك، لكن قد أعذر من أنذر! ها! "مَوْعِدُهُ" إذن، الدال...

- روي.

- ضمتها...

- مجرى.

- كسرة العين...

- نفاذ.

- كسرة العين نفاذ!

- دخيل.

- دخيل! دخيلك! لا قيمة لها عندنا -خدعتكم، فانخدعتم!- لكن لو كانت عندنا ألف في مكان الواو، كما في مثل "سَاعِدُهُ"، لكانت العين دخيلا، وكسرتها إشباعا، هل انتبهت، يا مسعود! لكن يا أستاذ، هذه الواو مثل الألف وفي موضعها، وهي قريبة منها! لا، بل بعيدة؛ أين واو "موعده"، من ألف "ساعده"! ذبذبات الألف أكثر من ذبذبات الواو والياء معا؛ لهذا يراعونها دونهما، ليس عندنا تأسيس بواو ولا بياء، التأسيس بالألف فقط، إن لم تكن لدينا ألف فالقافية غير مؤسسة.

طيب، ما الذي يعنينا إذن؟ الدال وهي الروي، ضمتها وهي المجرى -كسرة ما قبلها لا تعنينا- وهاء ما بعدها وهي الوصل، وضمتها وهي النفاذ، ثم ماذا؟

- لا شيء.
- خطأ، شيء! الواو -يا مسكينة!- "موعدهـ(و)"، ما هذه الواو؟
- خروج.
- أحسنت! خرجنا بها من الحدود، على الحدود، حدود الإمارات التي صارت بالأسلاك الشائكة -ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!- يضعون لنا الأسلاك على آخر الزمن! طيب! كلام في السياسة، لا بأس! قليل من السياسة لا يضر! انتقلوا إلى القصيدة التالية "بم التعلل لا أهل ولا وطن"، ما القافية؟ "لَا سَكَنُ"، "ـهِ الزَّمَنُ"، ....، النون...
- روي.
- ضمتها...
- مجرى.
- فتحة الكاف قبلها...
- لا تعنينا.
- ثم ماذا؟
- الواو.
- الواو الناشئة عن إشباع ضمة النون...
- وصل.
- وصل -أحسنت أنت!- وأنت كيف تذكرها ولا تسميها، فكأنك لم تقل شيئا، لم تقل! انتقلوا إلى القصيدة التي بعدها "أمتي"، ما قافيتها؟ "لِلْقَلَمِ"، ـمُنْصَرِمِ"، ....، الميم...
- روي.
- كسرتها...
- مجرى.
- حركة اللام قبلها...

- لا تعنينا.
- ثم ماذا؟
- الياء.
- ياءُ إشباعِ كسرة الميم وصل. انتقلوا إلى القصيدة التالية "اعصفي يا رياح"، ما قافيتها؟ "سارا"، "رارا"، ... تضحكين -يا ريّان!- وقد ضيعتِ على نفسك محاضرات طويلة من الضحك، كنت أقول لهم فيها: هذا مقام من مقامات البهجة، تحضرون لتضحكوا فقط، هذا مقرر للضحك، للابتسام، للبهجة، للسعادة! "سَارَا"، "رَارَا"، ...، ما الذي يعنينا؟ اذهب إلى القلب! الراء روي، فتحتها...
- مجرى.
- ألف ما قبلها...
- تأسيس.
- خطأ! رِدْف، لِصْق، ها! فتحة السين قبل الألف...
- حذو.
- حذو، "والحذو بآلائك منبئة"، ها، ماذا بقي؟
- ألف الوصل.
- ألف ما بعد الراء وصل. انتقلوا إلى القصيدة التالية "عينية الحبسي العماني"، ما القافية؟ "مُتَّسِعُ"، "مُرْتَبَعُ"، اذهب إلى القلب! العين...
- روي.
- ضمتها...
- مجرى.
- ثم ماذا؟
- الواو.
- الواو الناشئة عن إشباع ضمتها...
- وصل.

- كسرة ما قبلها...

- لا تعنينا، ثُمَّ لا ثُمَّ، "يَا رِيَاحُ أَجِبِي"! انتقلوا إلى القصيدة التالية "أنتم فروضي ونفلي" لسلطان العاشقين، ما القافية؟ "شُغْلِي"، "صَلِّي"، اللام روي، أسرعوا -يا جماعة!- قلبوا الصفحات، ما هذا البطء، لا حول ولا قوة إلا بالله! اللام...

- روي.

- كسرتها...

- مجرى.

- سكون الغين قبلها...

- لا يعنينا.

- عدمٌ أصلا، وهل له وجود! يا مساكين، السكون عدم، السكون عدم الحركة، كيف نشير إلى العدم، هل رأيتم العدم مرة؟

- لا.

- طيب! الياء بعد اللام...

- وصل. انتقلوا إلى القصيدتين الأُخْتَيْنِ التاليتين "وفينا لهم" للحصري، و"أفق" لابن خلصة، ما القافية؟ "ـمَانُ"، "ـوَانُ"، "ـوَانُ"، "ـعَانُ"، عدنا إلى ألفاظ التدليل! النون...

- مجرى.

- مجرى! النون...

- روي.

- وهكذا في الاختبار، يعمم الواحد منكم المصطلح على كل شيء من أجزاء القافية: مجرى، مجرى، مجرى، وصل، وصل، وصل...، حتى ينتهي الاختبار، تظل تدور حول نفسك! هل رأيت نماذج الاختبار؟ أرسلتها إليك. قال لي يوسف: لم أعرف منها شيئا! ما شاء الله، صفر! هكذا الذي حصل على ممتاز في المنتصف، أو على أكثر من عشرين، يقول: يا أستاذ، لا أعرف منها شيئا! ما شاء الله! لم يعرف شيئا! طيب! على هذا سيكون الاختبار! صفر! ها! "مان"، النون...

- روي.

- ضمتها...
- مجرى.
- ألف ما قبلها...
- ردف.
- فتحة ما قبل هذه الألف...
- حذو.
- ما لكم لا يجيب منكم غير واحد -ههه!- أجابوا كل شيء، وسكتوا عن هذه! هذا سكوت عن الحق! النون روي، ضمتها...
- مجرى.
- الألف قبلها...
- ردف.
- الفتحة قبل الألف...
- حذو.
- الواو الناشئة بعد النون...
- وصل.
- ثم ماذا؟ ثُمَّ لا ثُمَّ! انتقلوا إلى القصيدة التالية "ما أسرع الأيام في طينا"، للشريف الرضي، ما قافيتها؟ "ـضِي بِنَا"، "قَدْ دَنَا"، النون...
- روي.
- فتحتها...
- مجرى.
- كسرة الباء قبلها...
- لا تعنينا.
- كيف! "ـضِي بِنَا"، الياء تأسيس!
- لا تأسيس بالياء.

- نعم؛ لا يكون التأسيس إلا بالألف. ما لك، يا مريم! ها! كتبتِ الياءَ تأسيسًا، ومحوتِها، مسكينة! ما أشدَّ ثقتك بأستاذك! ألا تعرفين أنه نَصّاب! وسينصب عليك في الاختبار أشد النَّصْب، نَصْبَ النهاية، لن نلتقي بعده، إن شاء الله، ههه! لم أنجح في المنتصف، أنجح في المنتهى، إن شاء الله! حصلتم على ممتاز في المنتصف، سأعوض هذا كله في المنتهى، إن شاء الله! يقول عمر: نحن أشد نصبا! سنرى! لن تكون ياء "ـضِي بِنَا"، تأسيسا، لكن لو كان قال: "ـضَا بِنَا"، لكانت الألف في موضعها تأسيسا. وألف ما بعد النون...
- وصل.
- ثم ماذا؟ ثُمَّ لا ثُمَّ! انتقلوا إلى القصيدة التالية "مرثية أبي فهر"، لأبي همام عبد اللطيف عبد الحليم، ما قافيتها؟ "ـهُ كَذِبُهْ"، "ـهِ رِيَبُهْ"، ها!
- الباء...
- الباء...
- وصل.
- وصل! الباء...
- روي.
- وضمتها...
- مجرى.
- كسرة ما قبلها...
- لا تعنينا.
- الهاء بعدها...
- وصل.
- سكون الهاء...
- عدم.
- عدم، الله على الفصاحة، أحسن الله إلى من علمكم، أي أنا! يمدح نفسه على طريقة أحد الأساتذة، كتب تحت اسمه على كتابه، "عفا الله عنه"! لا يضمن أن يدعو له أحد! حيلة محتال! طيب، انتقلوا

إلى القصيدة التالية "رحلة الحروف"، لأبي همام أيضا، ما قافيتها؟ "ـنَا جَدَلُ"، "ـهَا الْكَسَلُ"، اللام...

- روي.
- ضمتها...
- مجرى.
- فتحة الدال...
- لا تعنينا.
- الواو الناشئة عن إشباع ضمة اللام...
- وصل.
- ثم ماذا؟
- ثُمَّ لا ثُمَّ!
- انتقلوا إلى القصيدة التالية "قلبي يحدثني بأنك متلفي"، لسلطان العاشقين، ما قافيتها؟ "تَعْرِفِ"، "مَنْ يَفِي"، الفاء...
- روي.
- كسرتها...
- مجرى.
- كسرة الراء...
- لا تعنينا.
- الياء الناشئة من إشباع كسرة الفاء...
- وصل.
- انتقلوا إلى القصيدة الأخيرة "نعد المشرفية والعوالي" للمتنبي"، ما قافيتها؟ "ـتَالِ"، "ـيَالِي"...
- اللام روي، كسرتها مجرى، ألف ما قبلها ردف، فتحة ما قبل هذه الألف حَذْو، الياء الناشئة عن إشباع كسرة اللام وصل.

- أحسنتم! لكن لا تظنوا أن هذا كل ما لدينا! لا، اكتبوا هذين البيتين، سأقدم لكم بهذين البيتين قافية لم يتجاوزها أحدٌ قط، قال مولانا محيي الدين بن عربي -أتعرفونه؟ هذا الصوفي الأشهر، صاحب "الفتوحات المكية"، وله ديوان في عشرة آلاف بيت، متى نظم هذا كله؟ لا أعرف، سبحان الله! وكان مع ذلك رحالة في الدنيا الواسعة! ناس في وقتهم بركة، وأنت تنام من الصباح إلى المساء! وفي رمضان تقول لأهلك: أيقظوني عند الإفطار! ونحن على أبواب رمضان، يسألون المفتي على الفضائيات: هل يصح صيام من نام طوال النهار؟ فلا يستطيع أن يقول: لا يصح! لكن ما هذا! ينام طوال النهار، ويقوم عند الإفطار! كانوا قديما يحاربون في رمضان: غزوة بدر كانت في رمضان، وحرب العاشر من رمضان معروفة، انتصروا فيها صائمين، بعد هزائم متوالية انهزموا فيها مفطرين، ولم يقبل الجنود أن يفطروا، أفطر الرئيس أمامهم حتى يقنعهم بالإفطار، ولم يفطروا، وانتصروا صائمين، بعد أن كانوا انهزموا مفطرين! ثم تقولون لي: الاختبار في رمضان، يا أستاذ، ارحمنا! بالمناسبة جاءنا خطاب رسمي من العميد بألا تغيير للمواعيد، فارتاحوا!

"صُومُوا تَصِحُّوا نِعْمَ صَوْمُ الْمَرْءِ فِي الْكُرَبِ الْجِسَامِ"!

وهل مِن كَرْب كالاختبار! وسيكون من مقام رمضان، إن شاء الله! طيب، اكتبوا البيتين، ماذا قال مولانا؟ قال:

"مَعْرِفَتِي بِالْإِلَهِ مَعْرِفَتِي بِي فَاطْلُبُوا الْأَمْرَ فِي حَقَائِقِهَا
إِنَّ رَسُولَ الْإِلَهِ قَالَ لَنَا الْعِلْمُ بِالنَّفْسِ عِلْمُ خَالِقِهَا"!

"مَعْرِفَتِي بِالْإِلَهِ مَعْرِفَتِي بِي"، أي اعرف نفسك تعرف خالقك! هل كتبتم؟ بطيئة، يا أمل!

- دكتور، ما آخر الشطر الأول؟
- يا ضيعة ما فعلنا طوال الفصل! نحن أصلا لا نفصل بين الشطرين، تأملي قصائد الملف! أين الفصل؟ لا فصل؛ البيت نَفَسٌ واحد، إلا المطلع -ومثله ما جرى مجراه- فلماذا؟ لأنه قفّاه أو صرّعه، زَيَّنه. ما قافية البيت الأول؟
- القاف.
- هذا الروي؛ فما القافية؟
- قائقها، حقائقها...

- قولي! ماذا قلت؟ "حقائقها"، ها! لا، بل "قائقها"، وقافية الثاني؟
- خالقها.
- أحسنت! كتبنا بالأسود، نشكل بالأحمر، ثم ننبه بالأَسْهُم الخضراء على الأجزاء، ما قلب القافية؟
- القاف.
- بسهم إلى القاف يصيبها في مقتل، القاف روي. ما حركته؟
- الكسرة.
- بسهم إلى الكسرة يصيبها في مقتل، الكسرة مجرى. ثم ماذا؟
- الألف تأسيس.
- أحسنت! بسهم إلى هذه الألف يصيبها في مقتل، الألف تأسيس، ها!
- فتحة ما قبلها رَسّ.
- أحسنت! بسهم إلى هذه الفتحة يصيبها في مقتل، الفتحة رس، ها!
- كسرة ما بعد الألف..
- قبل الكسرة...، الهمزة...
- إشباع.
- لا، دخيل، بسهم إلى الهمزة يصيبها في مقتل، الهمزة دخيل، ها!
- والكسرة إشباع.
- بسهم إلى هذه الكسرة يصيبها في مقتل، الكسرة إشباع. ثم ماذا؟
- الهاء وصل.
- بسهم إلى هذه الهاء يصيبها في مقتل، الهاء وصل. ولا تحتجج لإهمال الأسهم بتداخلها؛ فالأمر واضح، ها!
- فتحتها نفاذ.
- فتحة الهاء نفاذ، بسهم إلى هذه الفتحة يصيبها في مقتل، الفتحة نفاذ -"تحذر نوافذ القضاء"!- ها!
- الألف خروج.

- الألف خروج -خرجت بنا من أقطار السماوات والأرض- بسهم إلى هذه الألف يصيبها في مقتل، الألف خروج، ماذا بقي؟

- لا شيء.

- كم جزءًا هنا من أجزاء هذه القافية؟ كم؟ تسعة، وهذا أكثر ما حدث في التاريخ! تأمل! وكم لهذه التسعة من درجات؟ خمس درجات، أي للجزء نصف درجة تقريبا؛ إذا نسيت جزءا خسرت نصفا! تظل تنسى فتخسر فتنسى فتخسر، طوال الاختبار، حتى تخسر العشرين درجة كلها! وأحيانا أسألك في قافية، فتجيب عن غيرها! صفر -أرأيت؟- ومطالب الاختبار مُعيَّنة، فكيف تتركها إلى غيرها! صفرا! وبهذه المسلك مع الأسف تضيع الدرجات! جاءني محمد الحوسني -وكان بارعا جدا، كرمته في المنتصف، فقال: يا دكتور، حصلتُ في المواد كلها على "أ (A)"، وفي العروض والقافية على "أ- (A-)"، كيف هذا! مسكين؛ أصابته القافية في مقتل!

"وَقَافِيَةٍ مِثْلِ حَدِّ السِّنَانِ تَبْقَى وَيَهْلِكُ مَنْ قَالَهَا"!

- ألم يحصل أحد على الدرجة الكاملة؟

- بلى، يحصلون، وهذه الدرجات التي حصلتم عليها بالمنافسات، وتناثرت من عن يمين وشمال، تدرككم في رأب الصدع، لكن لا تترك نفسك لمساعدة الدرجات الإضافية، واحذر! اتفقنا؟ منظر جميل هذا الذي ظهرت به القافية وقد كثرت على أجزائها الأسهم، كأنها وردة، هذه وردة القافية، وردة العُمانية، لا الجزائرية! شكل جميل بالألوان المختلفة، وأنتم -ما شاء الله!- بارعون في استعمال الألوان، ولكم في الاختبار إبداعات!

- سأعتمد على الخطوط في النصب والاحتيال، إن شاء الله!

- لا فرصة لخَطِّك -يا عمر!- فمساره معروف: من هنا يبدأ، وإلى هنا ينتهي!

- دكتور، ألا يمكن للكاف أن تكون وصلا كالهاء؟

- الله عليك -يا أحمد!- هذا سؤال لطيف جدا! أنا أستضعفها وألتزم قبلها ما أجعله الروي، لأجعلها هي الوصل.

- بعض القصائد في الواجب فيها كاف، وقد جعلتها هي الوصل.

- وارد جدا، وأنا أقبله، لكنه التزم ما قبلها.

- التزم قبلها العين.
- أرأيت؟ هذا يؤكد ما قلته لك، يقول: عينك...
- "وَدَّعَكْ"، "مَطْلَعَكْ"...
- أحسنت! هذا شعر ابن زيدون، "رَحِمَ اللهُ زَمَانًا أَطْلَعَكْ"! **بارك الله فيكم، وشكر لكم، وأحسن إليكم، والسلام عليكم!**

اَلْمُنَادَمَةُ الرَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ(١)

- **سلام عليكم! طبتم مساء _يا أبنائي!- وطاب مسعاكم إلينا! بسم الله -سبحانه، وتعالى!- وبحمده، وصلاة على رسوله وسلامًا، ورضوانًا على صحابته وتابعيهم، حتى نلقاهم! كيف حالكم؟ كيف أمسيتم؟ بارك الله فيكم، وشكر لكم، وأحسن إليكم، ويسر لنا ولكم كل عسير، وسهل كل صعب!** هذا لقاؤنا الأخير، هذه الدنيا "كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ" -صدق الله العظيم!- لهذا ينبغي للأذكياء ألا يتعلقوا بالفاني، بل بالباقي، ما الذي يبقى منا بعد أن نتفرق؟ تبقى ذكريات الأعمال الطيبة، "وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ" -صدق الله العظيم!- نسأل الحق -سبحانه، وتعالى!- أن ييسر لنا ولكم، ويوفقنا إلى أن نترك ذكرًا طيبًا، لسان صدق في العالمين، آمين -"وَالذِّكْرُ لِلْإِنْسَانِ عُمْرٌ ثَانٍ"، كما قال أمير الشعراء، تظل به خالدًا مدى الزمان- آمين، يا رب العالمين! الآن **ينبغي أن نتكلم في أنواع القافية،** لننتقل إلى إنشادها، والكلام في أنواعها معروف لديكم، فإذا سألتك أن تُنوِّع القافية لم أنتظر منك إلا أن تذكر مثل هذا النصف الثاني من "بطاقة التخريج العروضي": "القصيدةُ طَوِيلِيَّةُ الأبياتِ الوافيةِ المقبوضةِ العروضِ والضربِ، عَيْنِيَّةُ القوافي المفتوحةِ المُجَرَّدَةِ الموصولةِ بالألف"! أتذكرون ما قلناه مثلا في "أُمَّتِي"، قصيدة عمر أبو ريشة:

"أُمَّتِي هَلْ لَكِ بَيْنَ الْأُمَمِ مِنْبَرٌ لِلسَّيْفِ أَوْ لِلْقَلَمِ"؟

قلنا: ميمية مكسورة مجردة موصولة بالياء، لا أريد في نوع قافيتها غير هذه البيانات. وسأسألك كما تعرف، وقد أرسلت إليكم نموذج اختبار نهائي.

- رأيناه.

---

(١) رابط هذه المنادمة في قناتي اليوتيوبية:

https://www.youtube.com/watch?v=a٧H-٤cRY٤s٤&list=PL٠_bvBmuM٥ySq٦hXNd٤GWcNFIUaI٤uqCM&index=٢٤

وقد فرغها عمرو زبير، وراجعها له أحمد سيد.

- حين أسألك كما رأيت في هذا النموذج الذي أرسلته إليكم فيما أرسلت، أن تذكر نوع القافية- لا أريد إلا أن تذكر الجزء الثاني من البيانات التي في "بطاقة التخريج العروضي". طيب! وهكذا نُنَوِّع القافية (ننسبها إلى نوعها)، بتحديد روي القافية، ماذا كنا نفعل؟ كنا نذهب إلى قلب القافية (رويها)، ننسبها إليه، فنقول مثلا: ميمية أو عينية...، أو مقصورة، ثم إلى حركة الروي المتحرك أو سكونه، فنقول: مفتوحة أو مضمومة أو مكسورة أو ساكنة- ثم إلى ما قبله، فنقول: مجردة، أو مردفة بالألف، أو بواو المد أو يائه، أو واو اللين أو يائه، يحدث هذا كما في الجمع بين "يَبِينَا"، و"يَعُونَا"، وبين "أَيْنَا" و"بَوْنَا"، يجوز هذا مع ذاك، أو مؤسسة -ولن تؤسس إلا بالألف- ثم إلى ما بعده، فنقول: موصولة بالألف أو الواو أو الياء أو الهاء الساكنة أو الهاء المفتوحة أو المضمومة أو المكسورة؛ فعلى وفق عبارة أسفل "بطاقة التخريج العروضي"، تُنَوَّع القافية، أي يُذْكر نوعها. حينما أسألك: نَوِّع كذا، فالمراد: انسبه إلى النوع، هذا معناه في العربية. هذا إذن نوع القافية، وقد تدربنا عليه عشرات المرات، فإذا ما سألتك ذكرت هذا فيما يخص البيت المعين، وسنطبق على الاختبار بعد قليل، طيب! الآن ننتقل إلى إنشاد القافية، وهذه مسألة عويصة؛ فانتبهوا! كلمة إنشاد معناها غناء، الإنشاد درجة من الغناء، ترفع صوتك، تُلونه، تُغني -معي، يا جماعة!- **وسنتكلم الآن عن إنشاد القافية؛** ولكن كيف تُنشد القافية؟ ألها وحدها إنشاد؟ أم هذا من المجاز؟ فإن المنشد إذا أنشد الشعر أنشده كله وزنا وقافية! لقد نقلت لكم هنا عبارة سيبويه في "الكتاب" (إنشاد القافية)، ووقفت عندها حريصًا عليها. متى قال هذه العبارة؟ قالها في كتابه الذي نسميه "قرآن النحو"، بعقب فراغه من وجوه الوقف في النثر؛ فانظروا إلى ذكائه: بعد أن فَرَغَ من تبيين وجوه الوقف في النثر، انتقل إلى ما سماه "إنشاد القافية"، أي إلى الوقف في الشعر. ما موضع الوقف في الشعر؟ على آخر البيت؛ كل ما قبل الآخر اجتهاد منك أما سنة الشعراء في الوقف على البيت فمثل سنة رسول الله -صلى الله عليه، وسلم!- في الوقف على الآية من القرآن الكريم؛ أين يكون؟ على رأس الآية، لكنك في الداخل تجتهد؛ حتى إن لبعض الناس "وُقُوفًا (جمع وَقف)" غريبة! كان في لِيبية قارئ قرآن بهر الناس بوُقوفه، حتى أثارهم على نفسه، اسمه الهِبْطِيّ، دعاني علي بن خَيّال، إلى الإشراف عليه في دراستها لنيل درجة الدكتوراة من قسم النحو والصرف بكلية دار العلوم من جامعة القاهرة. طالب ليبي نجيب، جاءني بزيه الليبي البهيّ، ثم جلس به في حلقة بحث القسم،

مطمئنا في داره بين أهله، راسخ الإيمان بالحق -سبحانه، وتعالى!- ظاهر الثقة بنفسه -عرفت فيما بعد أنه من خطباء الثورة- فارتحت له، ووقفت أقول: أنا أتعصب لهذا الشاب! فكُرِهَتْ مني هذه الكلمة، وقيل لي: احذر أن تُفهم خطأً! وقد حصل على الدكتوراة في دراسة هذه الوقوف الهبطية الاجتهادية الغريبة العجيبة، التي تنوعت بها مباني القرآن ومعانيه- بمرتبة الشرف الأولى، وحُقَّ له! هذه الوقف في النثر، والقرآن يُدرَج عادةً في النثر، وإن ميزه منه بعض الناس، فذَكَرَ أن الكلام العربي نثر وشعر وقرآن، فرُدَّ عليهم قولهم بأن القرآن نثر، أثبت له الحق -سبحانه، وتعالى!- أنه كلام عربي -"بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ"، صدق الله العظيم!- ونفى عنه أن يكون شعرا، فلزم بمقتضى المنطق أن يكون نثرا. المهم أن سنة الوقف في القرآن أن يكون على رؤوس الآيات: "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (...)" وهكذا، طيب! حينما فرغ سيبويه من وقوف النثر انتقل إلى وقف الشعر، وسماه إنشاد القافية -سبحان الله!- فنبهنا من طرف خفي، على أنه ينبغي على أن يؤدي الشعر إنشادا، لا على مثل أداء النثر، وإلا سمّاه وقف القافية، لماذا لم يسمه وقف القافية؟ كأنه يشير إلى أنه ينبغي أن يؤدى الشعر أداء خاصا، لا كأداء النثر، وهكذا كانوا يفعلون، عندي نُقُول كثيرة عن القدماء والمحدثين، نشرتها على موقعي، فادخلوه، واكتبوا في البحث كلمة "إنشاد" فقط، يخرج لكم من هذه النُّقُول مثلًا قول الأصفهاني في "الأغاني": "قَالَ الزُّبَيْرُ: حَدَّثَتْنِي ظَبْيَةُ، قَالَتْ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ مُسْلِمِ بْنِ جُنْدَبٍ يُنْشِدُ زَوْجِي قَوْلَ قَيْسِ بْنِ ذَرِيحٍ:

إِذَا ذُكِرَتْ لُبْنَى تَأَوَّهَ وَاشْتَكَى تَأَوُّهَ مَحْمُومٍ عَلَيْهِ الْبَلَابِلُ
يَبِيتُ وَيُضْحِي تَحْتَ ظِلِّ مَنِيَّةٍ وَفِي الْحُبِّ شُغْلٌ لِلْمُحِبِّينَ شَاغِلُ

فَصَاحَ زَوْجِي: أَوَّهْ! وَا حَرَبَاهْ! وَا سَلَبَاهْ! ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ابْنِ جُنْدَبٍ، فَقَالَ: وَيْلَكَ! أَتُنْشِدُ هَذَا هَكَذَا! قَالَ: فَكَيْفَ أُنْشِدُهُ؟ قَالَ: لِمَ لَا تَتَأَوَّهُ كَمَا يَتَأَوَّهُ، وَتَشْتَكِي كَمَا يَشْتَكِي"! أرأيتم؟ ينبهه على طريقة الإنشاد، وهو أقدم من سيبويه! ومن المعروف عن مهلهل أنه كان يغني شعره، يبدو أنه رُزِقَ صوتا جميلا، هذا الزير سالم، أتعرفونه؟

- نعم.
- هذا الذي قال فيه الفرزدق:

"وَهَبَ الْقَصَائِدَ لِي النَّوَابِغُ إِذْ مَضَوْا وَأَبو يَزِيدَ وَذُو الْقُرُوحِ وَجَرْوَل الحطيئة
وَالْفَحْلُ عَلْقَمَةُ الَّذِي كَانَتْ لَهُ حُلَلُ الْمُلُوكِ كَلَامُهُ لَا يُنْحَلُ
وَأَخُو بَنِي قَيْسٍ وَهنَّ قَتَلْنَهُ وَمُهَلْهِلُ الشُّعَرَاءِ ذَاكَ الْأَوَّلُ"!

معروف عنه أنه كان يغني شعره!

- والأعشى؟

- نعم، كان لجَرْسِ شعره يسمى صَنَّاجَة العرب، ولا يُستبعد أن يكون له ذوق في الأداء. طيب، ما وجوه الوقف التي تكلم عنها سيبويه في النثر؟ (١) عندنا وقف بهاء السكت: تقرأ قول الحق -سبحانه، وتعالى!-: "مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ. هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ" -صدق الله العظيم!- وتقول: لِمَهْ؟ وإن لم يمتنع عليك أن تقول: لِمْ؟ ولكنك أردت إصلاح اللفظ وتمكين الأداء، فحافظت على فتحة الميم واعتمدت في الوقف على إضافة هاء تسمى هاء السَّكْت (السكوت). (٢) وعندنا وقف بالإسكان، تقول: جاء محمدْ، لا جاء محمدٌ، تقف بالإسكان. وعندنا وقف بالنقل -وهو معروف عندكم في أهل ولاية إزكي، من محافظة الداخلية، اسمعوا الدكتور زاهراً الداوديَّ يقول: جاء جابُرْ، من أين جاء بـ"جَابُرْ" هذه، من أين جاءت؟ أنا أظن أنها من نقل ضمة الراء إلى الباء، وهذا الوقف بالنقل، وهو معروف من قديم الزمان، فبدلا من "جَاءَ جَابِرٌ"، قال: "جَاءَ جَابُرْ"، فسكَّن الراء، ونقل الضمة وكأنه يريد أن يدل على أن الكلمة مرفوعة، وليس هذا بكلامي، ها هو ذا منصوصا عليه أمامي، "الوقف بالنقل، أي بنقل الحركة إلى ما قبلها"، وقد بقي؛ ومن أين جئنا أنا وأنتم أصلا؟ ألسنا أبناء العرب!

- بلى.

- طيب، من أين جاء كلامنا هذا؟ قد تطور -نعم- ولكنه منه. طيب! (٣) وعندنا وقف بالحذف، نبه عليه سيبويه كذلك، كما في قول الحق -سبحانه، وتعالى!-: "لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ" -صدق الله العظيم!- أي "دِينِي"، حَذَفْت الياء، وَقَفْت بالحذف. (٤) وعندنا وقف بالتضعيف، فبدلا من "جَاءَ مُحَمَّدْ"، تقول: جَاءَ مُحَمَّدّ، تشدد الدال، كأنك تريد أن تظهرها أكثر مما هي، وهذا عندنا في بعض اللهجات الشمالية؛ فتّشوا لهجاتكم! من عشرات السنين أذكر -ما زلت أذكرا- أنني ركبت مرة حافلة متنقلا بين قرى مدينة دسوق بمحافظة كفر الشيخ من شمال مصر، فسمعت فتاة تقول

لصاحبتها: خُدِيّ، لا خُدي، كما يقول القاهريون وكثير غيرهم مثلا، ثم قالت وكأنها إنما تَفَكَّهَتْ بمشابهة غيرها: زَيّ السَّنَاهْرَة -تقصد أهل قرية سَنْهُور، كما تقولون لأهل مسقط: مساقطة!- فوقفت بالتشديد، على تلك الطريقة العربية القديمة، ولعلكم تجدونها في لهجاتكم! (٥) وعندنا وقف بالرَّوم، وهذا معروف في تلاوة القرآن الكريم، أي "أَنْ تَرُومَ الْحَرَكَةَ وَلَا تُتِمَّهَا"، تقول: جاء محمدُ، بضمة كالقلقلة الخفية. (٦) وعندنا وقف بالإشمام، وهو معروف كذلك في قراءة القرآن، أي "أَنْ تُشِمَّ الْحَرْفَ رَائِحَةَ الْحَرَكَةِ"، تقول: جَاءَ مُحَمَّدْ، فتقف بتسكين الدال، وتهيئ شفتين لنطق الضمة، لا تنطقها أصلا، بل ترسم بها شفتيك، ولهذا سُمِّي الإشمام! (٧) وعندنا وقف بالبدل -وهو معروف- تقول: جَاءَتْ فَاطِمَهْ، أين التاء؟ أُبدلت هاء، ولهذا تسمى هاء التأنيث، كما سبق في نص المعري. وفي هذا الوقف عجائب، منها عندكم الكشكشة: مَالِشْ، أَخْبَارِشْ، أَحْوَالِشْ، شِيَّابِشْ، وِلَادِشْ، إلى آخر هذه الكَشْكَشَات، من طريقة قول مجنون ليلى:

"فَعَيْنَاشِ عَيْنَاهَا وَجِيدُشِ جِيدُهَا سِوَى أَنَّ عَظْمَ السَّاقِ مِنْشِ دَقِيقُ"!

وهي في نجدٍ كَسْكَسةٌ، يقلبون سينًا ما تقلبونه شينًا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم! هذا هو البدل، فهل تبدلونه في غير الوقف؟ أصل هذا ألا يكون إلا في الوقف، تمييزا لمخاطبة المؤنث من مخاطبة المذكر. ولا يخفى عنكم أن بعض هذه الوجوه الوقفية في الفصحى واللهجات جميعا معا، وبعضه في اللهجات دون الفصحى؛ فما نجح مما في اللهجات دخل الفصحى، وما أخفق بقي في اللهجات فقط؛ فمما نجح فدخل الفصحى إبدال تاء التأنيث في الوقف هاء، ومما لم ينجح فبقي في اللهجات إبدال كاف المؤنثة المخاطَبة عند الوقف عليها، شينًا في الأَزْدِيَّة العُمانية، وسينًا في التَّميميّة النَّجدية! طيب! ماذا فعل سيبويه بعد هذا كله؟ انتقل إلى وقف القافية، وسماه "إنشاد القافية"؛ فوجب أن نستنبط من فعله أنه يريد لنا ألا نتكلم على العادة، فنقول مثلا:

"قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيْبٍ وَمَنْزِلِ بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلْ"!

بتسكين الكلمة عند الوقف، وكأننا نقرأ كلام الجرائد! هذا شعر -يا أخي!- ما هكذا يؤدى الشعر! ومن ثم يعلمنا في "إنشاد القافية"، طرائق العرب في أداء الشعر، ها، قل -يا أستاذ!- قل -يا أبا عثمان! وكُنْيته أبو عثمان، والتكنية تكريم- فيقول: "أولها الترنم" -يقفون بالترنم- كيف يترنمون، يا

أستاذ؟ علمنا! كانوا يضيفون واوًا أو ياء أو نونا في مواضع لا تُخْرِج البيت عن الوزن، كما في قول جرير، الذي صار أم هذا الباب:

أَقِلِّي اللَّوْمَ عَاذِلَ وَالْعِتَابَا وَقُولِي إِنْ أَصَبْتُ لَقَدْ أَصَابَا"!

ففي النثر تؤديه: ... لَقَدْ أَصَابْ، تقف بالإسكان (التسكين)، وفي الشعر تؤديه كما أثبته لك في البيت، تحرك، وتشبع، فتقول: ... لَقَدْ أَصَابَا، ما هذه الألف؟ ألف الترنم. ولو كان في موضع "أصابا"، كلمة "مُصَاب" مثلا، أو كلمة "يُصَاب"- لقلت عند النصب: ... مُصَابَا، أو يُصَابَا -وهذه ألف الترنم- وعند الرفع: ... مُصَابُ(و)، أو يُصَابُ(و) -وهذه واو الترنم- وعند الجر: ... مُصَابِ(ي) -وهذه ياء الترنم- مثلما يجوز لك أن تقول في ذلك كله: ... أَصَابَنْ، ... مُصَابَنْ، ... مُصَابُنْ، ... مُصَابِنْ، ... يُصَابَنْ، ... يُصَابُنْ، وهذه نون الترنم! لم نسمع شيئا من هذا، لا أنا ولا أنتم -نعم- ولكننا تلقيناه عن سيبويه الثقة الذي لم نعهد عليه كذبًا، فنحن نرويه عنه وكأننا سمعناه.

- أليست هذه نون التوكيد؟
- لا، لا نتكلم عن نون التوكيد، تلتبس بها أحيانا، وليست إياها، فأنا أتكلم على وجه العموم، وهل تلحق نون التوكيد الفعل الماضي والاسم! لا تلحق إلا الفعل المضارع وفعل الأمر. اسمعوا يا جماعة، نعم!
- هل ينكسر الوزن إذا وضعنا نونا بدل الألف؟
- لا، اسمع:

أَقِلِّي اللَّوْ= ددن دن دن، مفاعلْتن، معصوبة

مَ عَاذِلَ وَالْ= ددن دددن، مفاعلَتن، سالمة

ـعِتَابَنْ= ددن دن، مفاعلْ، مقطوفة

وَقُولِي إِنْ= ددن دن دن، مفاعلْتن، معصوبة

أَصَبْتُ لَقَدْ= ددن دددن، مفاعلَتن، سالمة

أَصَابَنْ= ددن دن، مفاعلْ، مقطوفة

ما زلنا في إطار الوزن، لكن انتظر، سيأتيك عمل يخرجنا من إطار الوزن، يسميه الغُلُوّ، والغُلُوّ كاسمه بشع، سمّاه الغلو لنكرهه، لا لنحبه! ما الغُلُو؟ تأمل! هو بالنون كذلك، أو الواو لمستحقِّ

الضم، أو الياء لمستحقِّ الكسر، تحريكًا لسكون الروي، وإشباعا يُخرِج البيت عن الوزن. كيف؟ تقول في مثل "إذا الشعب يومًا أراد الحياة":

"إِذَا الشَّعْبُ يومًا أَرَادَ الْحَيَاةَ فَلَا بُدَّ أَنْ يَسْتَجِيبَ الْقَدَرُ"!

مبنى التفعيلة الأخيرة على "ددن= فعو" المحذوفة، وهذه "قدرُ= دددن"، فما "قدرُ= دددن" هذه! لا تستقيم صورة من صور "ددن دن= فعولن"؛ فإما أن تقول: "ددن دن= فعولن"، وإما أن تقول: "ددنْ= فَعُولْ، وإما أن تقول: "ددن= فعو"، وربما قلت: "دن= فَعْ، هذا كل ما نتصور به "فعولن"، أما "دددن" فلا تستقيم! معنى هذا أنه خرج من حدود الوزن، أضاف إضافة لا يقصد بها صورة، بل يقصد أن يغلو -تمام؟- وكذلك الوقف بالتَّعدّي، والتعدي كاسمه كذلك، تجاوز، تعدَّى طَوْرَه، تعدَّى حدَّه، لكن انتبهوا! هذا في هاء الوصل فقط! ففي مثل قول البردوني من قصيدته التي حللناها السابقة "مغن تحت السكاكين"، "(...) ضريحه"، تقول:

"فَيُولَدُ فِي قَلْبِهِ كُلَّ يَوْمٍ وَيَحْمِلُ فِي شَفَتَيْهِ ضَرِيحَهُ(و)"!

يا أخي "ضَرِيحَهْ= ددن دن، فعولن، سالمة":

فَيُولَـ= ددن د، فعول، مقبوضة

ـدُ فِي قَلْ= ددن دن، فعولن، سالمة

ـبِهِ كُلْ= ددن دن، فعولن، سالمة

ـلَ يَوْمٍ= ددن دن، فعولن، سالمة

وَيَحْمِـ= ددن د، فعول، مقبوضة

ـلُ فِي شَـ= ددن د، فعول، مقبوضة

ـفَتَيْهِ= ددن دن، فعولن، سالمة

ضَرِيحَهُـ(ـو)= ددن ددن

خرج من الوزن، سبحان الله! يخرج من الوزن بواو مد -انتبهوا إلى التدقيق!- فالتعدي بالألف أو الواو أو الياء، ولا نون هنا؛ كانت النون معهنّ في الترنم من داخل الوزن، وفي الغُلُو من خارج الوزن! وعندنا وقف أدخله في إنشاد القافية وسماه الوقف النثري! أتخيل أن مؤدي الشعر عندئذ رجل لا يعرف أن ما يؤديه شعر؛ فهو يؤديه مثلما يؤدي النثر! أحيانا تقرأ مقالة يأتيك فيها بيت

لا تدري أنه بيت -ولاسيما على الإنترنت الذي تدخل فيها الكلمات بعضها بجوار بعض ولا تميز لك، فتظن أن هذا داخلٌ في العبارة- فتقرؤه فيقول لك المستمع: انتظر، هذا بيت! أديته على طريقة النثر. أو يستشهد ببيت مثلا، يوصيك بأخيك:

"أَخَاكَ أَخَاكَ إِنَّ مَنْ لَا أَخَا لَه كَسَاعٍ إِلَى الْهَيْجَا بِغَيْرِ سِلَاحِ"!

يؤديه دون رعاية وزنه اشتغالا عنه بأداء رسالته، أو يقول لك مثلا:

"أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانٍ بِذِي سَلَمٍ مَزَجْتَ دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ"!

"يا رجل، حرام عليك! مَا يِجُوزِلَّكْ"، لابُدّ من هذه الإضافة! هذا إذا اجتهد أوصل الرسالة، لكن أين موسيقى الوزن؟ لا موسيقى، لا يعرف أنه شعر أصلا، وهذا الوقف النثري. طيب، هل يجوز أن يسمى هذا إنشاد القافية؟ الأول فقط هو الذي يجوز أن يسمى هذا الاسم، كل ما بعد الأول خروج أو عدم مراعاة؛ فلماذا جمع هذا؟ قد عمَّم الكلام، طرد الباب على وتيرة واحدة، سماه إنشاد القافية، وأدخل فيه ما لا يستحق أن يسمى إنشادا. وهنا أتذكر كلمة لابن جني في الخصائص -أتعرفون ابن جني؟ هذا أبو الفتح عثمان، كان شيئا كبيرا جدا، كان أديبا عالما كبيرا، وهو من رواة شعر المتنبي، شاعر وراوية شاعر؛ هل تنتظرون أن يقبل أن يؤدى الشعر أداء نثريا؟ لا يقبل- ميز فيها بين أداء الطِّرَاب (الناس الطَّرُوبين للشعر)، وأداء الجُفَاة (القُسَاة)، ميز بين أداء ناس لا يعرفون الموسيقى، لا يعرفون عروض الشعر، يسميهم الجفاة الفصحاء، أي القساة الذين يحرصون على اللغة ولا يعبؤون بالموسيقى، فيقولون مثلا:

"قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيْبٍ وَمَنْزِلِ بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلْ"!

خرَّبوا لك الشعر تخريبا، ضيعوا لك الإنشاد تضييعا، في حين ينبغي للشعر أن يُنشد؛ **فكما يُجوَّد القرآن، ويُخطب بالنثر، ينبغي أن ينشد الشعر! حتى إذا ما ألقيته بين الكلام عرفه الناس.** في رحلة سيد قطب إلى أمريكة قبل أن ينضم إلى جماعة الإخوان المسلمين، حلت الجمعة على السفينة -سافروا بالسفينة- فخطبهم -هو أصلا من كُليتي، تخرَّج سنة ثلاث وثلاثين، وتتلمذ على الأدباء ولاسيما العقاد، وجاءته فرصة للسفر إلى أمريكة فسافر- من الذي يستطيع أن يخطب الناس سواه؟ فقام، فخطب، وبعد الخطبة جاءته امرأة أمريكية تقريبا تقول له: سمعت في كلامك كلاما ليس كسائر الكلام -تقصد القرآن الكريم- ما هذا؟ أتظنون أنها فصيحة تميز القرآن من سائر الكلام

العربي! لا، يبدو أنه جَوّده في الخطبة كما يفعل العُويدي في خطبة الجمعة هنا في الجامعة -كلما جاءت آية جَوَّدَها- كذلك تفعل كلما جاء بيت، تنشده حتى ينتبه المستمعون كما انتبهت هذه السيدة إلى القرآن الكريم، فإن لم تفعل قتلتَ الشعر، فالشعر ينبغي أن ينشد! والآن أستطيع أن أعلق تعليقا عاما من فوق، على مسار الشعر العربي وما كان للإنشاد فيه من شأن. هل عندكم كتب في الإنشاد؟ لا طبعا! عندنا كتب تقليدية وغير تقليدية، عندنا كتاب تقليدي لشاعر جبار كان راوية يشبهونه بالأصمعي، هو الأستاذ علي الجندي، واسم كتابه "الشعراء وإنشاد الشعر"، وكثير من اللطائف التي ذكرتها لكم في المحاضرات أو بعضها استفدته من هذا الكتاب: أتذكرون مثلا ما حدثكم به عن المتنبي من أنه لم يكن ينشد إلا قاعدًا؟ استفدته من هذا الكتاب! أَوَلَا تذكرون ما حدثكم به عن البحتري من أنه كان إذا أنشد مشى بين الصفوف يتمايل ويقول: ألا تسمعون، ألا تطربون! استفدته من هذا الكتاب! كان الأستاذ علي الجندي هذا المشبه بالأصمعي، شريفا من آل البيت -تنطق الجُنْدِيّ في اللهجة المصرية الجِنْدِي!- عميدا في زمانه العزيز لكليتنا دار العلوم من جامعة القاهرة، كان الناس منبهرين به، يجلس يروي لهم الكتب والدواوين رواية، وكتابه هذا "الشعراء وإنشاد الشعر"، كتاب لطيف، يُقرأ في جلسة. وقد خاض الدكتور إبراهيم أنيس كذلك في إنشاد الشعر، أظنه فعل هذا في كتابه "موسيقى الشعر". وكذلك خاض في إنشاد الشعر الدكتور عبد الله الطيب المجذوب، في كتابه النفيس "المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها" -أحب لكم أن تعثروا عليه، وتقرؤوه- الذي قال فيه أخونا الدكتور محمود الريامي على تويتر: كتاب كنت أتمنى أن أكون صاحبه! وهو في خمسة أجزاء لن تجدوا منها في المكتبة إلا ثلاثة، لكنه على الإنترنت -إن شاء الله!- مجانا، كتاب جبار، درَس صاحبه في أوربّة، وكان يحفظ شعر شكسبير، كما يحفظ شعر المتنبي تماما! وقد أعانه على ذلك زواجه من إنجليزية -لا ريب، ههه!- رأيتها، وجلست معها، وقد أسلمت، وحسن إسلامها، فتنسكت، وتزهَّدت! مات عنها، وانقطعت بعده للعبادة، لا يراها الناس إلا عابدة -وللصوفية في السودان صَوْلة- وأخونا في القسم الدكتور عمر صديق ابن أخت الدكتور عبد الله الطيب المجذوب، فاذهبوا إليه يحدثكم عنه -هذه فرصة طيبة- وقولوا له نصا: حدثنا عن خالك الشيطان عبد الله الطيب المجذوب! وسيفرح كثيرا جدا!

- وإن غضب فسنقول له...

- لا، سيفرح، أنا متأكد من أنه سيفرح، وإذا حَزِنَ فَلِعَدَمِ تكريم هذا الرجل التكريمَ المناسب.
طيب، إذا أطلَلنا على إنشاد الشعر من فوق وجدنا أربع طرائق لا خامس لها: من الناس من يؤدي الشعر أداء عروضيًّا كما يفعل كثير من العمانيين في أداء الشعر:

أَمِنْ تَذَكْ
ـكُرِ جِيـ
ـرَانٍ بِذِي
سَلَمِ
مَزَجْتَ دَمْـ
ـعًا جَرَى
مِنْ مُقْلَةٍ
بِدَمِ

أتذكرون مسعودًا حينما طلبنا منه أن يقرأ، فقال: أتسمح لي أن أقرأ بالتقطيع؟ يريد أن يقرأ قراءة عمانية، بالتقطيع، فقلت له: لا، أخِّرِ التقطيع؛ سيأتي! فكان النهاية أن طُرد من المكان!

- ههه!
- لربما لو كنا أتحنا له أن يقرأ بالتقطيع لم يُطرَد! الطريقة الثانية الأداء اللغوي، يحاول أن يوصل إليك الرسالة دون موسيقى العروض، يقول:

"أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانٍ بِذِي سَلَمِ، مَزَجْتَ دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ"!

- "يا رجل، حرام عليك! مَا يِجُوزِلَّكْ"؛ لابُدّ من هذه الإضافة! ما اسم هذا الأداء؟ الأداء اللغوي؛ ماذا تريد به؟ أن توصل الرسالة فقط دون مراعاة الموسيقى العروضية. ثم يأتينا أداءٌ خالٍ لا يعرف صاحبُه ماذا يؤدي، كما إذا دخل إلى الحمام -سامحوني!- فوجد كلاما على الجدار ككلام الطلاب الذي يعلقون به على الأساتذة، أو شعرا، فيقرأ يَفُكُّ الخَطَّ كما يقولون، أنا مثلا أجعل أقرأ ولا أدري أنه شعر، أقرا أية قراءة، ولو سجلت لي هذه القراءة لرأيتها أداءً خاليا من المعنى ومن المبنى ومن الموسيقى العروضية، فلم أفهم بعد، ولا أعرف ما هذا؟ أقرأ أحاول أن أفك الخط، وفي فك الخط هذا لا أعرف معنًى أؤديه، ولا أعرف عروضًا أُغَنّيه؛ فهذا هو الأداء...

- الجاف.

- الخالي -أَتُسَمِّيهِ الجافَّ؟ لا بأس- ليس فيه لا قصد لغة ولا قصد عروض. لكن ما الأداء الأمثل؟ الممتزِج الذي تدربنا عليه طوال الفصل، كنا نؤدي أداء ممتزجا، نحاول أن نوصل الرسالة من غير أن ننسى الموسيقى، هذا الذي ينبغي أن نفعله ونتمسك به. تحرجون منه أحيانا؛ كلما أوصيتُكم تحرجتم، تحرجون أن تنبهوا عليه الناس: دعونا نقرأ على العادة -يا أخي!- لا داعي إلى خرق العادة، لكيلا يُنتبه إلينا، لكيلا يُنظر إلينا، لكيلا يُسخر منا! يحتاج هذا الأداء إلى قوة، وإلى مغامرة، وإلى مجازفة، وهي قليلة في الناس؛ العادة أن نجري مجرى الناس، لكيلا يفهمنا الناس خطأً: ما لهذا يتكبر علينا، لأمر ما يؤدي هذا الأداء! تَلْمَذَتْ لي طالبةٌ مصرية متنقبة، سميتها المذيعة، كانت تؤدي أداء باهرا، حضرت معي لقاء آخر غير لقائها، فقدمتها للقراءة، فاستثقلها الطلاب، وأساؤوا إليها -وهذا من سوء الأدب-: لماذا تتدلل علينا وتتفاخر؟ فأحيانا يخشى بعض الناس أن يُفهموا خطأ أنهم يتكبرون ويفرضون على الناس أنفسهم، فيهربون من هذا، يَسْتَخْفُون بالعادة، يستترون بالتقاليد البالية، لكنهم في الأصل متميزون، تمام؟ **ننتقل إلى محاسن القافية.** أتذكرون قولي لكم: إنما سمى الخليل ما سمى، لأنه سيحاسب عليه الشاعر، فيُحسِّن أو يُقبِّح؟ أتذكرون قولي لكم: لم يكن الخليل يسمي من أجزاء القافية إلا ما سيحاسب عليه الشاعر؛ فلم يسم كذا لأنه لن يحاسب عليه الشاعر، له أن يفعل به ما شاء؟ الحروف والحركات التي سماها الخليل من القافية هي التي سيحاسب عليها، فيقول له: وُفِّقت أو أخفقت، وأحسنت أو أسأت! أليس كذلك؟ لهذا ينبغي لنا أن نتكلم عن محاسن القافية وعن مساويها؛ فهذا فصل في مكانه؛ يقال ينبغي أن نتكلم عن محاسن القافية. يقال: محاسن، فما مفرد محاسن؟

- حسنة.

- المفروض في مفرد "محاسن"، أن يكون "مَحْسَنًا"، لكن لم يستعمل، فمفرده من غير صيغته "حُسْن" -لم يقل العرب "مَحْسَنًا" هذه، لا نعرفها- استغنوا عن الصيغة المفروضة بصيغة أخرى. كذلك "مساويها"، مفردها "سُوء"، أختها ضدها، "وَالضِّدُّ يُظْهِرُ حُسْنَهُ الضِّدُّ"، "وَبِضِدِّهَا تَتَمَيَّزُ الْأَشْيَاءُ"! لكنهم لا ينطقون فيها الهمزة -يا أمل!- لا يقولون: مساوئ -عجيب هذا!- في الفصيحة لا ينطقون همزة "مساوئ"، ومنه قولهم في المثل: "الخَيْلُ تَجْرِي عَلَى مَسَاوِيهَا"، لا يقولون: "على مساوئها" -

خطأً!- كيف وهي في الأصل همزة! خُفِّفَتْ، وثَبَتَ التخفيف، وانتهى، ونجح، ورسّخ نفسه! حتى لقد اختبرني فيها محمود محمد شاكر أستاذنا أستاذ الدنيا، رحمه الله وطيب ثراه! كنتُ عنده في البيت، فقال لي: كيف تقول العرب: "الْخَيْلُ تَجْرِي عَلَى..."؟ فقلت: مساويها. فقال: ما معناه؟ يختبرني لأنني متخصص للأمثال، لي فيها كتاب كبير، كتبتُه في حياته، وكنت أعرض عليه منه ولي الفخر -أعرض على هذا الجبل الشامخ!- فكان يعجبه الشيء ويرفض الشيء -سقى الله ذلك الزمان!- يقول كيف تقول؟ فأقول: كذا، فيقول: ماذا فهمت من العبارة؟ فأقول ما يطمئن به على أنني جدير بما أعمل. حرصا على التزام قواعدها فيما يكون ما لا يكون، وفَنِّيّاتها جميعا معا- ينبغي للقافية أن تكون كذا كذا، وقد أوردت لكم الأشياء زوجين زوجين، الحسن بإزائه السوء: "يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ فَصِيحَةً لَا عَيِيَّةً، ومُحْكَمَةً لَا مُسْتَدْعَاةً، وَمُسْتَقِلَّةً لَا مُتَعَلِّقَةً، وَمُوافِقَةً لَا مُخَالِفَةً". "أن تكون فصيحة لا عيية"، ماذا تقصد بالفصيحة؟ ما الفصاحة عندكم؟ ما الكلام الفصيح؟ درستم البلاغة على الدكتور إحسان، ها!

- لم ندرس بعد.
- ستدرسون عليه -إن شاء الله!- وهو في نفسه فصيح أصلا، طليق -ما شاء الله- كنت في مستمعيه في الزمان الأول، قبل أن يعين في الجامعة، حينما كنت هنا قديما، جاء حتى نختبره، فحاضرنا، فقلت: هذا ممتاز؛ فعُين بحمد الله. وكنت بحمد الله كذلك في ترقيته إلى أستاذ مشارك، ووُفِّقنا إلى أن يُرقى، وهذا صعب في جامعة السلطان قابوس، الترقيات صعبة على العمانيين أكثر من غير العمانيين! طيب! نعود، ما الفصاحة عندكم كما ستتعلمون -إن شاء الله!- على الدكتور إحسان؟ الوضوح، الفصاحة...
- الوضوح.
- فقط، هذا أصلها. والبلاغة... الوصول، الفصاحة الوضوح والبلاغة الوصول. كلامك واضح؛ فهو إذن فصيح- وواصل؛ فهو إذن بليغ، تمام؟ كيف تكون القافية فصيحة؟ بأن تكون واضحة الصوت. هل يجوز أن تشتمل القافية على صوت لا يصل إلى السمع؟ كيف والقافية تاج البيت وزينته وأظهر ما فيه للسمع وأبقى، حتى إنكم لتتذكرونها دون البيت، تنطق أخيرا وتذكر أولا- كيف! لابُدّ أن يحرص الشاعر على أن يكوِّن قافيته من أصوات واضحة. والأصوات في العربية

من حيث الإسماع طبقات، بعضها أقوى من بعض، وقد رتبها بحسب قُوَى إسماعها الدكتور عبد الرحمن أيوب، في كتابه "أصوات اللغة" -وعبد الرحمن أيوب هذا من رواد علم اللغة الحديث، درس في الأزهر ثم في دار العلوم ثم في لندن، وتقلَّبت به أحوال الاجتهاد، وبقيت له منها كتبٌ تستحق القراءة- ترتيبا طريفا، على ست مراتب: الأولى عديمة الإسماع -وهي الانحباسية المهموسة، ومنها الكاف والطاء والتاء والقاف- والثانية أحادية قوة الإسماع -وهي الانحباسية المجهورة، ومنها الدال والباء- والثالثة ثنائية قوى الإسماع -وهي الاحتكاكية المهموسة، ومنها الفاء والحاء والسين والثاء والصاد والخاء- والرابعة ثلاثية قوى الإسماع -وهي الاحتكاكية المجهورة، ومنها الزاء والعين والغين- والخامسة رباعية قوى الإسماع -وهي الأنفية والجانبية والترددية المجهورات، ومنها الراء والميم واللام والنون- والسادسة خماسية قوى الإسماع، وهي الفموية المجهورة الحرة الانطلاق أو المعترِضة دون احتكاك، ومنها الألف. ولا يخفى أن الحركات والمدود من الطبقة العليا، تليها حروف الذلاقة، وتظل الأصوات تتهاوى حتى تخلو من الإسماع! هل حدثتكم عن الذُّلُل والنُّفُر والحُوش؟

- نعم.
- أضيفوها إلى هذه، لتجتمع لكم طريقة المعري القديمة وطريقة عبد الرحمن أيوب الحديثة. وينبغي للشاعر أن يختار أصوات قافيته من أقوى الأصوات إسماعا. هل حدثتكم عن ابن أبي الزوائد وقوله: "هَذِهِ الذَّالُ فَاسْمَعُوهَا"؟
- نعم.
- وليس الذال من المرتبة الأولى -والذال وغيره يُذكّر على معنى الحرف ويُؤنّث على معنى الكلمة- لقد تعمد أن يأتي بها هكذا من باب التحدي؛ فإن الحرف إذا ضعُف إسماعه قلّ استعماله، وإذا قوِي إسماعه كثُر استعماله، أوْ لا تدري -سبحان الله!- ربما كثُر استعمالُه فقوي، وقلَّ فضعُف! يكفيكم أن تعرفوا أنها علاقات متداخلة، وأنه ينبغي أن تكون القافية فصيحة لا عيية. تأملوا قول محمد الفيتوري الشاعر السوداني الكبير:

"نَحْنُ الَّذِينَ نَقْطُرُ الضَّوْءَ بِأَجْفَانِ الرِّمَمْ
يَا كَمْ تَكَحَّلْنَا بِلَيْلٍ وَتَدَثَّرْنَا بِهِمّ

وَكَمْ مَشَيْنَا فَوْقَ شَوْكِ الْيَأْسِ مِنْ نَجْمٍ لِنَجْمْ"!

القافية ميمية -والميم حرف ذلول، وصوت ذلق- لكن هل سمعتموه في "لِنَجْمْ"؟ لا طبعا، عاقنا دونها الجيم، جاء بالجيم قبلها ساكنة، فقطع الطريق! معقول هذا -يا أستاذ!- هذا عيب بشع، لا نستطيع أن ننطق، كأنه أغلق الباب قبل الميم، هذا عِيّ وضعف بيان، فلان عَيِيٌّ، والذي هو فيه عِيٌّ! طيب! وكذلك ينبغي أن تكون القافية "محكمة لا مستدعاة" -والكلام هنا عن الكلمة التي تحمل القافية- ما الإحكام؟ من الحكمة، فما الحكمة لديكم؟ ومن الحكيم؟

- وضع الشيء في موضعه.
- أحسنت! هكذا الحكمة قطعا، وضع الشيء في موضعه، وصاحبها الحكيم -قد أَجَبْتَ من الآخر- وضع الشيء في موضعه مهما كان هذا الشيء: يأكل في موعد الأكل -ههه!- ينام في موعد النوم، يذاكر في موعد المذاكرة، يزور الناس في موعد الزيارة- أما الذي يفعل ذلك في غير مواعده فهو طائش، لا حكيم! ما الحكمة إذن؟ وضع الشيء في موضعه، وسيأتي رمضان، وسنرى كيف تفعلون، ستتجلى الحكمة في رمضان، ستنامون طوال النهار، وتسهرون طوال الليل، ويقول الواحد منكم لصاحبه: يا أخي، أنا برنامج عملي ينقلب في رمضان رأسا لعقب! أنت المصيبة أصلا عندك، الناس تقاتل في رمضان، وتنتصر في رمضان، وتنجز في رمضان، وأنت تنام في رمضان! طيب! أحيانا ينخدع الشاعر، ولا ينتبه، فينتهي البيت قبل الآخر، وتبقى كلمة، ماذا يفعل؟ القصيدة كلها من هذا الطول، ويأتيه بيت ينتهي قبل الآخر، هل يدعه أَعْرَجَ هكذا، لابُدّ أن يساويه بغيره، فماذا يفعل؟ يستدعي، والاستدعاء عكس الحكمة، عكس الإحكام، الاستدعاء في القافية عكس الإحكام، كيف يستدعي؟ يذكر أي شيء، أي شيء يكمل به البيت، كما قال الحطيئة:

"أَلَا حَبَّذَا هِنْدٌ وَأَرْضٌ بِهَا هِنْدٌ وَهِنْدٌ أَتَى مِنْ دُونِهَا النَّأْيُ...

انتهى البيت، النأي النأي...، يا رب، يا رب، ألهمني -يا رب- كلمة أكمل بها البيت، فقال:

"أَلَا حَبَّذَا هِنْدٌ وَأَرْضٌ بِهَا هِنْدٌ وَهِنْدٌ أَتَى مِنْ دُونِهَا النَّأْيُ وَالْبُعْدُ"!

والبعد هو النأي، فوقع وهو أحد كبار شعرائنا، والتقطها عليه النقاد، وسلخوه بها، ولكل ساقطة لاقطة لا يكتم ولا يرحم! سأحكي لكم حكاية ألطف من هذه، عن عبد الصمد بن المعذَّل، الشاعر العباسي الهَجَّاء المعروف. كان يحب جارية لأحد أعيان البصرة، اسمها متيَّم، هكذا بالتذكير

على طريقة العمانيين الذين يسمون الفتاة رَيّان، وهو مذكر، مؤنثه ريا -!- أو على طريقة بعض أهلي من المصريين، الذين سموا ابنتهم ألمى، فقلت لهم: ألمى مذكر، مؤنثه لمياء، فقالوا: إنما سميناها ألمى ومعناه جوهر الماس، على اسم بطلة المسلسل التركي! ولم تكن مُتيَّم تخرج من بيت سيدها إلا متنقِّبة، ثم حدثت حادثة، فكأنها هي وحدها التي شهدتها؛ فقد احتاج القاضي ابن عبيد الله بن الحسن بن الحر العنبري إلى حضورها وشهادتها: تعالَيْ، تكلمي بما تعرفين! واضطرها إلى أن تُسْفِر (تُنَحِّي عن وجهها النقاب) -هذا هو الدِّين، والرجل قاضٍ فاضل- فتسامع بالأمر أصحاب عبد الصمد الشياطين، فلما لقوه قالوا له: لو رأيتَ متيمَ وقد أَسْفَرَها القاضي لرأيت شيئا حسنا لم يُر مثله! فجُنَّ جُنونُه: رآها القاضي، ولم أرها! ثم قال:

"وَلَمَّا سَرَتْ عَنْهَا الْقِنَاعَ مُتَيَّمٌ تَرَوَّحَ مِنْهَا الْعَنْبَرِيُّ مُتَيَّمَا

رَأَى ابْنُ عُبَيْدِ اللهِ وَهْوَ مُحَكَّمٌ عَلَيْهَا لَهَا طَرْفًا عَلَيْهِ مُحَكَّمَا

وَكَانَ قَدِيمًا كَالِحَ الْوَجْهِ عَابِسًا فَلَمَّا رَأَى مِنْهَا السُّفُورَ تَبَسَّمَا

فَإِنْ يَصْبُ قَلْبُ الْعَنْبَرِيِّ فَقَبْلَهُ صَبَا بِالْيَتَامَى قَلْبُ يَحْيَى بْنِ أَكْثَمَا"!

ومن يحيى بن أكثم؟ هذا قاضي القضاة (وزير العدل)! ما حملك على أن تذكره في شعرك؟ حُكْمُ القافية، فضح وزير العدل من أجل تكملة بيت! انتشر الشعر كأخبار الفضائيات الصفراء، وبلغ قاضي القضاة في بغداد، فأرسل إليه: "عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللهِ! أَيَّ شَيْءٍ أَرَدْتَ مِنِّي حَتَّى أَتَانِي شِعْرُكَ مِنَ الْبَصْرَةِ؟ فَقَالَ لِرَسُولِهِ: قُلْ لَهُ: مُتَيَّمٌ أَقْعَدَتْكَ عَلَى طَرِيقِ الْقَافِيَةِ"! أي لما نظمت الشعر على طريقة "...مُتيَّما، ...مُتيَّما، ...متيَّما"، قلت: يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَا! وهذا عندي على موقعي بعنوان "جناية القافية"، فقد جنت عليه القافية -وفي المثل القديم "عَلَى أَهْلِهَا جَنَتْ بَرَاقِشُ"!- على أهلها جنت القافية؛ ذكر اسم وزير العدل (قاضي القضاة)، من أجل أن يكمل البيت! فيا جماعة، اكتمل البيت إذن من قبل أن تأتي كلمة القافية، فاضطر الشاعر إلى إضافة كلمة، ربما زادت المعنى، وربما أفسدته، وربما ورطته كما رأيتم -تمام؟- لهذا نصح أبو تمام للبحتريِّ تلميذِه -كان البحتري في أوليّته شاعرا حرا هكذا، يطلب الشعر كيفما اتفق، بحسب التيسير، ثم عرف أبا تمام، هكذا يقول، فعلمه الشعر: افعل كذا، ولا تفعل كذا! بل علَّمه كيف يأكل، وكيف ينام! انظروا إلى الأستاذ! فلما درس عليه انتقل شعره انتقالة واسعة- قال له: "انْصِبِ الْقَافِيَةَ لِلْبَيْتِ"! أي ارفعها

قبل أن تذهب إليها لتراها فتذهب إليها على بينة! -ما النَّصب؟ الرفع!- إذا رأيت الغاية مشيت إليها على بينة، تقول في ذهنك: سأقول في الآخر كذا، وتَسْبُكُ البيت بحيث يتحدر إلى النهاية المحكمة. وعلى موقعي نصيحة أبي تمام هذه لأبي عبادة البحتري، ينصحه في برنامج يومه: افعل كذا وكذا، خفف الأكل، قم في السحر، إذا أردت أن تمدح فافعل كذا، وإذا أردت أن تتغزل فافعل كذا! من يفعل مثل هذا هذه الايام؟ طيب! وينبغي القافية كذلك أن تكون "مستقلة لا متعلقة"، ماذا تقصد يا أستاذ؟ أقصد أن يكتمل البيت، وألا تتعلق كلمة القافية فيه بالبيت الذي بعده، حتى تُمكِّن الراوي من أن يستشهد بالبيت. يا جماعة، تُتَّهم القصيدة العربية بعدم الوحدة العضوية، وهذا اتهام ظالم، لم يفهموا القصيدة العربية؛ فرُدوا عليهم إذن بهذا الكلام، قولوا: في القصيدة العربية القديمة، لكل بيت استقلاله في نفسه وعلاقته بغيره، هذا هو المثال الذي تسعى إليه القصيدة العربية القديمة. أما علاقته بغيره فمن أجل أن تقنعك الأبيات بأنها قصيدة واحدة لا عدة قصائد، وأما استقلاله في نفسه فمن أجل أن يُمكِّن الراوي من أن يستشهد به وحده، تقول مثلا:

"كُلَّمَا أَنْبَتَ الزَّمَانُ قَنَاةً رَكَّبَ الْمَرْءُ فِي الْقَنَاةِ سِنَانَا"!

من أين جئت بهذا البيت؟ جئت به من قصيدة المتنبي. كيف انتزعتَه منها وحده؟ لأن له استقلالًا في نفسه، إضافة إلى علاقته بغيره، هو في مكانه، لكنَّ له استقلالًا في نفسه -جميل!- فإذا كان هكذا كان حسنا، وإلّا كان قبيحا، وفي القبح درجات، هناك قبيح، وأقبح، وأشد قبحا... لي مقال على موقعي اسمه "درجات التضمين"، هذا العيب سيسمى التضمين، وسيأتي في المساوي، في الصفحة التالية. إذا تورطت بتعليق كلمة القافية بشيء بعدها في البيت التالي أجبرت المنشد على أن يضيفه إليه، وهذا صعب، أنا أريد هذا البيت وحده، يا أخي! وأسوأ ما حدث في التاريخ من هذا كلام يُنسب إلى أبي الخطاب عمر بن أبي ربيعة، لكن قبله أريد أن أنبهكم على شيء: شعار هذا العيب في التاريخ قول النابغة:

"وَهُمْ وَرَدُوا الْجِفَارَ عَلَى تَمِيمٍ وَهُمْ أَصْحَابُ يَوْمِ عُكَاظَ إِنِّي"!

"إِنِّي"، هكذا في آخر البيت، "إِنِّي"، ما "إِنِّي" هذه، إن شاء الله؟

... إِنِّي

شَهِدْتُ لَهُمْ مَوَاطِنَ صَالِحَاتٍ تُنَبِّئُهُمْ بِوُدِّ الصَّدْرِ مِنِّي"!

أريد بيتا واحدا، وقد أجبرتني على أن ألصق به ما بعده، هذا عيب عند القدماء يسمى التضمين، لأنك جعلت الأول كأنه في ضمن الثاني، بدلًا من ست تفعيلات أجبرته على اثنتي عشرة تفعيلة، أو على أكثر فأكثر، كما رووا عن أبي الخطاب زعيم الغَزِلين، من زعيم الغزلين؟

- عمر بن أبي ربيعة.
- عمر بن أبي ربيعة -نعم!- رووا عنه أنه قال -اسمعوا الكلام العجيب!- ستة أبيات مضمنًا بعضها في بعض، كأنها بيت واحد طويل، قال -وتنسب لأبي العتاهية-:

"يَا ذَا الَّذِي فِي الْحُبِّ يَلْحَى أَمَا وَاللّٰهِ لَوْ كُلِّفْتَ مِنْهُ كَمَا
كُلِّفْتُ مِنْ حُبِّ رَخِيمٍ لَمَا لُمْتَ عَلَى الْحُبِّ فَذَرْنِي وَمَا
أَلْقَى فَإِنِّي لَسْتُ أَدْرِي بِمَا بُلِيتُ إِلَّا أَنَّنِي بَيْنَمَا
أَنَا بِبَابِ الْقَصْرِ فِي بَعْضِ مَا أَطُوفُ مِنْ قَصْرِهِمُ إِذْ رَمَى
قَلْبِي غَزَالٌ بِسِهَامٍ فَمَا أَخْطَى بِهَا قَلْبِي وَلَكِنَّمَا
سَهْمَاهُ عَيْنَانِ لَهُ كُلَّمَا أَرَادَ قَتْلِي بِهِمَا سَلَّمَا"!

- اللّٰه!
- ما هذا! كيف أَنْتَزِعُ منها! كيف أقول مثلا:

"يَا ذَا الَّذِي فِي الْحُبِّ يَلْحَى أَمَا وَاللّٰهِ لَوْ كُلِّفْتَ مِنْهُ كَمَا"!

في اللحظة سيقول المستمعون: هذا مجنون!

"وَهُمْ وَرَدُوا الْجِفَارَ عَلَى تَمِيمٍ وَهُمْ أَصْحَابُ يَوْمِ عُكَاظَ إِنِّي"!

مجنون هذا -هِهِه!- هذا قطعا مجنون! يا أخي، إذا استشهدت فاستشهد بالكلام كاملا لا ناقصا، عيب شديد! كأنك في بيت طويل، ومَن هذا الذي يستطيع من على منبر الجمعة، أن يُنشِد كل هذا شاهدا! أتذكرون الجماعة هنا؟ أحضر للواحد منهم وأسمعه يستشهد ببيت، أو بنصف بيت أحيانًا، يقول لك مثلا: "وَبِضِدِّهَا تَتَمَيَّزُ الْأَشْيَاءُ" -وهذا نصف بيت- وربما أنشد بيتا، أما أن ينشد ستة أبيات فهذا صعب! وكذلك ينبغي أن تكون "موافقة لا مخالفة"، كيف تدعي أنك قدمت لي قصيدة وكل بيت من أبياتها في وادٍ قَافَوِيٍّ غير وادي ما معه من أبيات، هذا كذا، وهذا كذا، كيف! هذا ما سنشرحه بمساوي القافية لا مساوئها. وفي هذه المساوي كلام لصاحبنا النصّاب

الصغير يجيب به سؤال النصّاب الكبير! كيف تقع مساوي القافية؟ باطراح أصولها وعدم فنيتها جميعا معا تُعاب القوافي، كما قال ميمون بن خزام النصّاب الكبير لغلامه النصّاب الصغير، ماذا قال؟ "حَيَّاكَ عَالِمُ الْغُيُوبِ، فَهَلْ تَعْرِفُ مَا لِلْقَوَافِي مِنَ الْعُيُوبِ؟ فَأَنْشَدَ -ما شاء الله، حاضر البديهة شعرا!-:

عَابَ الْقَوَافِيَ إِكْفَاءٌ وَإِقْوَاءٌ إِجَازَةٌ ثُمَّ إِصْرَافٌ وَإِيطَاءُ
كَذَاكَ تَضْمِينُهَا التَّحْرِيدُ مُجْتَنَبٌ وَمِثْلُ ذَاكَ سِنَادٌ وَهْوَ أَنْحَاءُ"!

من حفظ؟ من؟ أحمد! من يحفظ من مرة، من يحفظ من مرتين، من ثلاث! "صَوْتُ صَفِيرِ الْبُلْبُلِ"؟ لا أحد! ذهب الزمان، صرنا نعتمد على الجوال -ها!- صرنا نعتمد على وسائل التواصل، ولم نعد نحفظ، وأنا مثلكم، أتظنون هذا الذي تسمعون حفظًا! لم تسمعوا الحُفّاظ! لم تسمعوا الحُفّاظ! كان ابن عباس يحفظ كل شيء، كان يحفظ من مرة واحدة، كان المتنبي واسع الحفظ، وكذلك الفيروزآبادي، اذهبوا إلى كتاب "تاريخ آداب العرب"، لمصطفى صادق الرافعي، تجدوا فصلا بعنوان "الحفظ في الإسلام"، يحكي لكم فيه أعاجيب الحفاظ! وقد رُوِّينا عن أبي العلاء المعري مثلا، أنه حفظ الكلام الفارسي، ولا علم له بالفارسية! كان له جار فارسي، غابَ مرة، وجاء رجل يسأل عنه، فأشار إليه أنْ تَكَلَّمْ، فتكلم بالفارسية، وذهب، فلما عاد جاره، أخبره خبر الرجل الذي جاءه في غيابه، وأنه قال له كذا -وأعاد عليه الكلام الفارسي!- والرجل يبكي ولا يدري المعري ما أصابه، وإذا في الكلام خبر وفاة بعض أهله! وعندنا الآن شباب يحفظون حفظا يقرب إلينا تصديق تلك الروايات! نعم؛ فقد تداولنا على الواتساب مقطعا متلفزا لطفل صغير كفيف يحفظ القرآن الكريم والحديث الشريف حفظا لا نظير له، حتى لقد قام مَن قدَّمه للناس، فقال: أردنا أن تصدقوا من عجائب حفظ سلَفنا الصالح، ما صرَفكم عن تصديقه بعض المرتابين من المعاصرين؛ فإذا كان هذا الطفل يحفظ هذا الحفظ، فالأمر ممكن غير مستحيل! نحن أمة الحفظ، صدورنا صحفنا، ومحابرنا آذاننا، نعم!

- ما اسم الكتاب؟
- أي كتاب؟
- كتاب الرافعي.

- "تاريخ آداب العرب"، وهو ثلاثة أجزاء، في الجزء الأول منها فصل "الحفظ في الإسلام"، يذكر الحفاظ الأوائل. ولعلكم تعرفون أن رسول الله -صلى الله عليه، وسلم!- كان في أثناء الوحي مشغولا بتكرار ما يتلقى، يجتهد في حفظه، فقال له الحق -سبحانه، وتعالى!-: "لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ" -صدق الله العظيم!- أرح بالك، ستستقر في صدرك آياتُنا، وستنطلق بلسانك قراءاتُنا -الله أكبر!- وهاتان معجزتان أخريان! طيب! "عاب القوافي إكفاء"، ما الإكفاء؟ أن تغير حرف الروي بحرف قريب منه، كأن تغير الميم إلى نون، والنون إلى ميم، والسين إلى زاء، والزاء إلى سين. أَكْفَأَ، ما "أَكْفَأَ"؟ قَلَبَ، كأنك قلبت الوعاء. طيب! "إكفاء وإقواء"، ما الإقواء؟ أن تغير حركة الروي إلى قريب منها. والحركات فتحة وكسرة وضمة؛ فأيُّها أقرب لأيِّها؟

- الفتحة والكسرة.

- خطأ!

- الفتحة والضمة.

- خطأ! بل الكسرة والضمة؛ أما الفتحة فبعيدة منهما -طيب!- فإذا غيرت الكسرة بضمة أو الضمة بكسرة عابوك كما عابوا على النابغة -ولستَ أكبر من حكَمِ الشعراء!- قوله:

"زَعَمَ البَوارِحُ أَنَّ رِحلَتَنا غَدًا وَبِذاكَ خَبَّرَنا الْغُدَافُ الْأَسْوَدُ"،

من قصيدته:

"أَمِنَ آلِ مَيَّةَ رَائِحٌ أَوْ مُغْتَدِ عَجْلَانَ ذَا زَادٍ وَغَيْرَ مُزَوَّدِ"!

فقد أقوى، ولكنهم هابوا أن يخبروه -وهو قاضي الشعراء- فاحتالوا عليه بقَيْنَةٍ تغنيه ما قال، وتمد به صوتها: "... مُزَوَّدِ(يي)"، "... أَسْوَدُ (ووو)"؛ فانتبه، وعزم على ألا يعود إلى ذلك الإقواء! هكذا زعم بعض الرواة، وهو زعم رائج على ضعفه بين المتسامرين والمتنادمين؛ إذ كيف لمثل هذا الشاعر العظيم أن يخطئ ذلك الخطأ! ماذا تقصد، يا أستاذ؟ أقصد أنه كسر عنق اللغة؛ فقال: "وَبِذَاكَ خَبَّرَنَا الْغُدَافُ الْأَسْوَدَ"، والمفروض أنه نعت مرفوع! معقول هذا، يا أستاذ! نعم؛ بل هو أكثر معقولية من أن يقول: "... مُزَوَّدِ(يي)، ... أَسْوَدُ (ووو)"! أمجنونٌ هو أم أصمّ! هذا حَكَمُ

الشعراء! طيب، وماذا تفعل بـ"...دُ"، بعد "...دِ"؟ سهلة -وهي فيهما "...دِ"- قال ابن هشام: "الأسودِ" نعت "الغدافُ"، مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة لاشتغال محلها بكسرة القافية!

- وهل من اشتغال في القوافي!
- القافية مكسورة، وهذه الكلمة تستحق الرفع، فماذا فعل؟ كسرها لتتلاءم القوافي، بطش بحق اللغة إحقاقا لحق موسيقى العروض، وحق الموسيقى العروضية في الشعر مقدم على حق اللغة، فالشعر موسيقى عروضية.
- ضرورة.
- نعم، يسمونها الضرورة. طيب! "عاب القوافي إكفاء وإقواء إجازة"، ما الإجازة؟ تغيير حرف الروي بحرف بعيد، كأن تغير النون إلى القاف، أين القاف من النون؟ بعيد من بعيد! "ثم إصراف"، ما الإصراف؟ أن تغير حركة الروي بحركة بعيدة، كأن تغير الكسرة إلى فتحة، أو الفتحة إلى كسرة، أو الضمة إلى فتحة، أو الفتحة إلى ضمة. أنت هنا غيرت حركة المجرى إلى حركة بعيدة. هل سمعتم قول الراجز:

"بُنَيَّ إِنَّ الْبِرَّ شَيْءٌ هَيِّنُ
اَلْمَنْطِقُ الطَّيِّبُ وَالطُّعَيِّمُ"!

انظروا كيف غير النون إلى ميم! أقريبة هي منها أم بعيدة؟ ننـنـ ممـمـ ننـنـ ممـمـ، ها!

- قريبة.
- فهذا إذن إكفاء. "بُنَيَّ إِنَّ الْبِرَّ شَيْءٌ هَيِّنُ"، من السهل أن تبر الناس، "اَلْمَنْطِقُ الطَّيِّبُ"، أن تكلمهم كلاما طيبا، "وَالطُّعَيِّمُ"، أن تطعمهم طعاما طيبا، وهذا ما وصى به رسول الله -صلى الله عليه، وسلم!-: "يَأَيُّهَا النَّاسُ، أَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَأَفْشُوا السَّلَامَ، وَصِلُوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ- تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ"، وهي من علامات قبول الحج، فإذا وجدت نفسك بعد حجك تفعل ذلك فاعلم أن حجك قد قُبِلَ -إن شاء الله!- بشارة من البشارات، لا كما يخالف ذلك بعضُ الناس إلى ضِدِّه، فإن لقيتَ من هؤلاء أحدًا، فقل له: أَبْشِرْ، حجك مردود عليك! "عَابَ الْقَوَافِيَ... وَإِيطَاءُ"، ما الايطاء؟ أنت فيه كأنك أوطأتَ الكلمة، أي أنزلتها وأذللتها وخسفت بها الأرض! الإيطاء هو تكرار الكلمة لفظا ومعنى وكأنه ليس لديك ما تقوله! أما عندك من كلمة أخرى تقولها!

أتكرر التي سَبَقت! فضيحة! وهذا معروف عند شداة الشعراء المبتدئين -ها!- الذين ليست لديهم ذخيرة: "عُدَّ غنَمَكَ يا جُحَا! وَاحِدَةٌ قَائِمَةٌ، وَوَاحِدَةٌ نَائِمَةٌ"! استعمل القائمة في البيت السابق، فهو يستعمل النائمة! لا أملك إلا هذه، حتى إن بعضهم يجهز الكلمات أولا، مسكين! ما هكذا يكون الشعر! تُقدِّر ما ستصل إليه -نعم- ولا تكرر نفسك على هذا النحو المنفِّر! لكن كيف إذا أعاد كلمة يحبها، أيُعاب؟

- لا.

- لا يعاب، بل يحسب له، عندكم أبو مسلم، له قصيدة من ألف وخمسمئة بيت، كرر في آخر كل بيت منها اسم الله، لا إله الا الله، سبحان الله، الحمد لله- يكرر اسم الحق -سبحانه، وتعالى!- يتبرك بذكره. وعندكم كذلك على موقعي قصيدتان للإلبيري، واحدة في الترغيب، وواحدة في الترهيب! أما التي في الترغيب ففي آخر كل بيت منها اسم الجلالة، ومنها قوله:

"يَا أَيُّهَا الْمُغْتَرُّ بِاللَّهِ فِرَّ مِنَ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ
وَلُذْ بِهِ وَاسْأَلْهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ نَجَا مَنْ لَاذَ بِاللَّهِ
وَقُمْ لَهُ وَاللَّيْلُ فِي جُنْحِهِ فَحَبَّذَا مَنْ قَامَ لِلَّهِ
وَاتْلُ مِنَ الْوَحْيِ وَلَوْ آيَةً تُكْسَى بِهَا نُورًا مِنَ اللَّهِ
وَعَفِّرِ الْوَجْهَ لَهُ سَاجِدًا فَعِزُّ وَجْهٍ ذُلُّ لِلَّهِ
فَمَا نَعِيمٌ كَمُنَاجَاتِهِ لِقَانِتٍ يُخْلِصُ لِلَّهِ"!

وأما التي في الترهيب ففي آخر كل بيت منها اسم النار، ومنها قوله:

"وَيْلٌ لِأَهْلِ النَّارِ فِي النَّارِ مَاذَا يُقَاسُونَ مِنَ النَّارِ
تَنقَدُّ مِنْ غَيْظٍ فَتَغْلِي بِهِمْ كَمِرْجَلٍ يَغْلِي عَلَى النَّارِ
فَيَسْتَغِيثُونَ لِكَيْ يُعْتَبُوا أَلَا لَعًا مِنْ عَثْرَةِ النَّارِ
وَكُلُّهُمْ مُعْتَرِفٌ نَادِمٌ لَوْ تُقْبَلُ التَّوْبَةُ فِي النَّارِ
يَهْوِي بِهَا الْأَشْقَى عَلَى رَأْسِهِ فَالْوَيْلُ لِلْأَشْقَى مِنَ النَّارِ
فَتَارَةً يَطْفُو عَلَى جَمْرِهَا وَتَارَةً يَرْسُبُ فِي النَّارِ"!

وقد اخترت لها صورة جهنم في خيال بعض الناس، فادخلوا موقعي تَرَوْا وجهًا قد ذاب جلده في النار تأكله وهو يصرخ والصورة نفسها مخيفة! عندنا شيء آخر طريف، قصيدة شاعر تونسي الأصل مصري الفصل، معروف، اسمه بيرم التونسي، تونسي استقر في مصر، وتَمَصَّرَ مثلما تَمَصَّرَ كثير من المغاربة والمشارقة -ومنهم عُمانيون- أيام كانت مصر مهوى الأفئدة، وهكذا يستقلّ في كل زمان بِهَوَى الأفئدة العربية والإسلامية وهُوِيّها، مكانٌ من فضائها الشاسع، تشرق منه شمس الحضارة العربية الإسلامية -وليكن بغداد، أو دمشق، أو القاهرة، أو الخرطوم، أو صنعاء...- وكلما أشرقت تنادى العربُ والمسلمون: هيّا إلى المقام الأطيب! بيرم التونسي هذا شاعر رقيق المشاعر يمشي في الشارع، فيجد الباعة يكادون لا يبيعون الناس حتى يهجم عليهم موظفو البلدية، ينهبون أموالهم باسم الضرائب: وكم يربحون أصلا حتى تأخذوا منهم هذا المال! فيكتب قصيدة في البلدية، آخر كل بيت منها كلمتان لا واحدة "المجلس البلدي"، يقول:

"قَدْ أَوْقَعَ الْقَلْبَ فِي الْأَشْجَانِ وَالْكَمَدِ هوى حَبِيبٍ يُسَمَّى الْمَجْلِسَ الْبَلَدِي
أَمْشِي وَأَكْتُمُ أَنْفَاسِي مَخَافَةَ أَنْ يَعُدَّهَا عَامِلٌ لِلْمَجْلِسِ الْبَلَدِي
مَا شَرَّدَ النَّوْمَ عَنْ جَفْنِي الْقَرِيحِ سِوَى طَيْفِ الْخَيَالِ خَيَالِ الْمَجْلِسِ الْبَلَدِي
إِذَا الرَّغِيفُ أَتَى فَالنِّصْفُ آكُلُهُ وَالنِّصْفُ أَتْرُكُهُ لِلْمَجْلِسِ الْبَلَدِي
وَإِنْ جَلَسْتُ فَجَيْبِي لَسْتُ أَتْرُكُهُ خَوْفَ اللُّصُوصِ وَخَوْفَ الْمَجْلِسِ الْبَلَدِي
وَمَا كَسَوْتُ عِيَالِي فِي الشِّتَاءِ وَلَا فِي الصَّيْفِ إِلَّا كَسَوْتُ الْمَجْلِسَ الْبَلَدِي
كَأَنَّ أُمِّي بَلَّ اللهُ تُرْبَتَهَا أَوْصَتْ فَقَالَتْ أَخُوكَ الْمَجْلِسُ الْبَلَدِي
أَخْشَى الزَّوَاجَ إِذَا يَوْمُ الزِّفَافِ أَتَى أَنْ يَنْبَرِي لِعَرُوسِي الْمَجْلِسُ الْبَلَدِي
وَرُبَّمَا وَهَبَ الرَّحْمَنُ لِي وَلَدًا فِي بَطْنِهَا يَدَّعِيهِ الْمَجْلِسُ الْبَلَدِي
وَإِنْ أَقَمْتُ صَلَاتِي قُلْتُ مُفْتَتِحًا اللهُ أَكْبَرُ بِاسْمِ الْمَجْلِسِ الْبَلَدِي
أَسْتَغْفِرُ اللهَ حَتَّى فِي الصَّلَاةِ غَدَتْ عِبَادَتِي نِصْفُهَا لِلْمَجْلِسِ الْبَلَدِي
يَا بَائِعَ الْفُجْلِ بِالْمِلِّيمِ وَاحِدَةً كَمْ لِلْعِيَالِ وَكَمْ لِلْمَجْلِسِ الْبَلَدِي"!

أُوصيك بالمجلس البلدي، لك النصف وله النصف -منتهى السخرية!- فرجع، وألغى الضرائب! أمثل هذا يُعاب؟

- لا.
- بل يُمدح؛ ولتتأملوا الظاهرة الواحدة كيف تتردد بين الإحسان والإساءة، على حَدٍّ دقيق بين الجنة والنار! "كذاك تضمينها"، ما التضمين؟ شدة تعليق كلمة القافية في بيت بشيء في البيت التالي، فيبدو السابق كأنه جزء من اللاحق. "التحريد"، ما التحريد؟ عيب يمتزج فيه الوزن والقافية، بأن تستعمل في بيتٍ ضربًا -والضرب هو التفعيلة التي تحمل القافية- غير ما استعملتَ في ضروب ما سبقه من أبيات، كأن تبني الضروب على "دددن"، وفجأة نجدك تقول: دن دن، كما في ميمية عمر أبو ريشة السابقة؛ فقد بناها على "دن دددن"، فقال:

"أُمَّتِي هَلْ لَكِ بَيْنَ الْأُمَمِ مِنْبَرٌ لِلسَّيْفِ أَوْ لِلْقَلَمِ"،

ثم قال:

"وَتَهَادَيْتُ كَأَنِّي سَاحِبٌ مِئْزَرِي فَوْقَ جِبَاهِ الْأَنْجُمِ"!

"أَنْجُمِ(ي)= دن ددن، فاعلا، محذوفة"، مع "قَلَمِ= دددن، فعلا، مخبونة محذوفة"؛ فهذا معيب ولاسيما إذا كانت الصورة معروفة، كما في استعمال "دن دن ددن"، في ضرب المنسرح الوافي مع "دن دددن". لقد ارتكب هذا في العروض -وهو عيب لم نذكره يُسمى الإقعاد، من شأن الوزن لا القافية- فإذا ارتكبه في الضرب كان عيب التَّحْريد! يا جماعة، بقيت عيوب كثيرة لها شعار واحد، السِّناد، كل ما سوى ذلك سِنادٌ، إذا أردف قافية دون أخرى، فهذا سناد الردف! وإذا أسس قافية دون أخرى فهذا سناد التأسيس! وإذا وجَّه الروي الساكن بفتح حركة التوجيه ثم كسرها أو ضمها فهذا سناد التوجيه! والسِّناد من قولهم: جاؤوا متساندين، يتكئ بعضهم على بعض. **كيف نحاشي هذه المساوي؟ بإحدى طريقتين: الأولى ضرب الأصول بالأصول -يا بيان!- أو تغييرها، تقول له: كيف تفعل كذا! فيقول لك: طيب! سأريك كيف أفعل بقواعدك! ويبطش بها قائلا: "وَبِذَاكَ خَبَّرَنَا الْغُدَافُ الْأَسْوَدِ"! تقول له: أتفعل هذا باللغة؟ فيقول لك: نعم، أفعل؛ فالموسيقى عندي أعلى من اللغة!**

"وَصَاحِبَتِي إِذَا ضَحِكَتْ يَسِيلُ اللَّيْلُ مُوسِيقَى"،

كما قال نزار قباني! أو "أَنَا أُرِيدُ أَنْ أَقُولَ شِعْرًا، لِأَنَّنِي أُرِيدُ أَنْ أُغَنِّيَ"، كما قال كولريدج شاعر الإنجليز العالم! أو "الشِّعْرُ كِتَابَةٌ عَرُوضِيَّةٌ"، كما قال جدسون جيروم الشاعر الناقد الأمريكي! أو

استغنى عن أقوال أولئك جميعا بقول سيدنا حسان -رضي الله عنه!- شاعر رسول الله -صلى الله عليه، وسلم!-:

"تَغَنَّ بِالشِّعْرِ إِمَّا كُنْتَ قَائِلَهُ إِنَّ الْغِنَاءَ لِهَذَا الشِّعْرِ مِضْمَارُ
يَمِيزُ مُكْفَأَهُ عَنْهُ وَيَعْزِلُهُ كَمَا تَمِيزُ خَبِيثَ الْفِضَّةِ النَّارُ"!

ماذا تريد بعد هذا؟ إذا عاقتك اللغة فاخترقها وانطلق! لكنهم لا يفعلونه خبط عشواء، بل لهم فيه حكمة، وإلا انقطع بينهم وبين القراء حبلُ التفاهم! **ما الطريقة الثانية؟ تهديم الجدران، تدمير العروض تدميرا، مجاوزة حدود العروض بالتجديد!** في دولة بني أمية وقف الوليد بن يزيد الشاعر الخليفة الذي حكم بضعة عشر شهرا -وكان مطبوعا على الشعر، لا يصلح لمثل هذه المَشْغلة ولا تصلح له، فقُتل، وحُقَّ له!- يخطب الجمعة شعرا من أولها إلى آخرها:

"اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ وَلِيِّ الْحَمْدِ
أَحْمَدُهُ فِي يُسْرِنَا وَالْجَهْدِ
هُوَ الَّذِي فِي الْكَرْبِ أَسْتَعِينُ
وَهْوَ الَّذِي لَيْسَ لَهُ قَرِينُ"!

ما هذا؟ هذا الشعر المُشَطَّر -وانتبهوا!- لا المَشطور؛ فالمَشطور عمودي، والمُشَطَّر غير عمودي، المَشطور شعر عمودي بنيت القصيدة فيه على الشطر (نصف البيت)، أما المُشَطَّر فشعر بنيت القصيدة فيه على هندسة الأشطر من داخل الأبيات، بدأه الوليد بن يزيد بهندسة شطرين في البيت، ثم زادت الأشطر المهندسة من داخل البيت الواحد إلى ثلاثة، فأربعة، فخمسة، فستة، فسبعة، حتى استوت الموشحات، والموشحات من الشعر المشطَّر، هل الموشحات شعر عمودي؟ لا، بل شعر مشطر؛ علام يقوم هذا؟ على تكوين البيت من أشطار كثيرة، وهندستها في الداخل. والقصيدة من الموشحات عادةً تكاد لا تتجاوز خمسة أبيات، لكن البيت في الداخل أشطر كثيرة، بينها تنسيق وهندسة. بعد هذا بزمان نشأ شعر المُقَطَّعات في العصر الحديث، الذي تشتمل القصيدة منه على تيارات من الأبيات، كل تيار على قافية، وكل هذه التيارات في قصيدة واحدة من شعر المُقَطَّعات. ثم حدث ما يسمى الشعر المرسل، الذي لا تُلتزم فيه قافية، لكنه خاب وانحسر، وبقي شعر المقطعات والشعر الموشح! ثم بعد قليل ظهر الشعر الحر في خمسينيات القرن العشرين،

المتحرر من القوافي والأبيات؛ القصيدة كلها فيه من أولها إلى آخرها بيت واحد ولو كانت في كتاب كامل، وإذا وقعت فيها قوافٍ فهي غير مقصودة؛ فأصل فلسفة القصيدة من الشعر الحر أنها بيت واحد، يبدأ مرة واحدة، وينتهي مرة واحدة، وبين البداءة والنهاية ما يتيسر للشاعر. استطاع الشاعر محمود درويش أن يوصل القصيدة من هذا الشعر الحر إلى كتاب كامل، كتاب من قصيدة واحدة، لها أول بعد وجه الغلاف وآخر قبل ظهر الغلاف، من الغلاف إلى الغلاف، ويتحرك في الداخل بما يتيسر، حتى إنه أحيانا يستشهد بآيات من القرآن، كما في قصيدته "أنا يوسف يا أبي"، التي قال فيها: "وَلِمَاذَا أَنَا أَنْتَ سَمَّيْتَنِي يوسُفًا وهُمُ أَوْقَعُونِيَ فِي الْجُبِّ وَاتَّهَمُوا الذِّئْبَ وَالذِّئْبُ أَرْحَمُ مِنْ إِخْوَتِي أَبَتِي هَلْ جَنَيْتُ عَلَى أَحَدٍ عِنْدَمَا قُلْتُ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ"! فلما غنى شعرَه مارسيل خليفة وهو موسيقي لبناني مفتون به، غناه بما فيه من القرآن، فانقلبت عليه الدنيا عام ثلاثة وألفين الميلادي، وكانت مشكلة! ومن رواد هذا الشعر نازك الملائكة وبدر شاكر السياب وصلاح عبد الصبور وأحمد عبد المعطي حجازي وغيرهم، على أجيال إلى الآن، منهم خمسينيّون وستينيّون وسبعينيّون... وماذا بعد؟ شيء لا يدخل معنا، نثر فني يسميه أصحابه قصيد النثر أو قصيدة النثر، لا وزن له، تعمدوا أن يُخْلُوه من الوزن، تواطأت عليه من سنة ستين تقريبا إلى سنة سبعين، جماعة مجلة "شعر" اللبنانية، يوسف الخال وأدونيس وأُنسي الحاج ومحمد الماغوط، الذين قدموا للناس نمطا من الكلام غريبا -تعمدوا أن يكون غريبا، أن يخرج على العادات!- وظهرت فيما بعد علاقتهم بالمخابرات الأمريكية، ففُضحوا، وأغلقت المجلة، ولكن بقي لهذا النمط من الكلام كُتَّابٌ -ومنهم في عمان سيف الرحبي والدكتور هلال الحجري الذي كان رئيس قسمنا- ليسوا على قلب كاتب واحد، ليس شرطا أن يكونوا مثل أدونيس الهدَّام، الذي وصفه بلَدِيّه الدكتور أحمد بسام ساعي، بأنه كأنه خليع ثائر مختبئ في قُنَن الجبال يقذف الناس بالحجارة! ثم ماذا؟ ثُمَّ لا ثُمَّ! قد حدثتكم عن كل ما كان في التاريخ؛ **فاسمحوا لي الآن أن أستمتع بإنشاد هذه القصيدة الذي قالها عام ألفين الميلادي، راشد النوفلي -عماني، موظف بديوان البلاط السلطاني- الذي سجل موضوعا للماجستير بإحدى الجامعات السودانية، ورغب في مثله بجامعة السلطان قابوس، فقيل له: لم تدرس العروض! -حينما تتقدمون للماجستير ينظرون في أوراقكم: درستم كذا وكذا، ولم تدرسوا كذا وكذا؛ يجب أن تسدوا هذا الخلل قبل أن**

تستمروا في برنامج الدراسات العليا!- وكان معه في الفصل نفسه محمد بن سعيد الحجري عضو مجلس الشورى الآن، يجلسان أمامي مع الطلاب! يأتي راشد هذا من بلاد بعيده ليحضر ويعود، وكان ظريفا فاضلا، وقد فاجأني على المفترَق بورقة قدمها إلي، وذهب عني، وإذا فيها قصيدة عنوانها "دندنة العَروض وأحسنُ العُروض"، هكذا سماها، مجانسا العروض بأقرب ما يلتبس به في تصحيف المُصحِّفين، فماذا قال؟ قال:

"شُدّوا الدّساتينَ...

استفاد من عبارتنا!

شُدّوا الدّساتينَ يا...

يا مَنْ؟ يا أيَّ أحد!

شُدّوا الدّساتينَ يا شُدّوا الدّساتينَا شُدّوا لنعزف أنغام المحبينا

دَنْ دَنْ ددنْ دددنْ دنْ دنْ ددنْ دددنْ دنْ دنْ ددنْ دددنْ دنْ دنْ ددنْ دِينَا

- الله!

- ههه! هذا عندي بالقصيدة كلها!

دَنْدِنْ لتفرح ما الدنيا بباقية كلا أُخَيَّ ولا الأحياء باقونا

- الله!

- كان ظريفا دائم الابتسام!

دَنْدِنْ لتضحك فالأحزان قاتلة والهمُّ يقطع أوصال الهَنا فينا

دَنْدِنْ لتحيا فهذا العيش دندنة من لم يدندنه منا عاش محزونا

إني لأقطع بلدانا وأودية لكي أدندن حيناً في نوادينا

نعيش في أسرة جَذْلى مُدَندِنة كل يدندن والأستاذُ حادينا

- ههه!

- لا ينتهي الشرح إلا قال في شغف هيا تلامذتي شُدّوا الدّساتينَا

من لم يجد قلماً لا بأس من قدمٍ ما دام يحدث ترنيما وتلحينا

فنستعد فنمضي في ددن دددن...

الله!

- هِهِ!
- ... لا يقرب الهمُّ والأحزان نادينا

نظل نشدو ونشدو في ددن دددن حتى لَيَحْسبنا الرائي مجانينا

وأستاذهم أجنّ منهم!

نعم مجانينُ علمٍ بل ودندنةٍ قل ما بدا لك قل عنا مصابونا

إن الحياة تغاريدٌ ودندنة من لم يدندن بها قد عاش مسجونا"!

فاحتفظت بالورقة طويلا، ثم نشرتها، فقرأها الدكتور عبد السلام البسيوني العالم الكاتب الفنان الأديب الداعية نزيل قطر -ولم تكن لي به صلة- فأعجَبَتْه، فنشرها بكتابه "طرائف وظرائف"، قائلا: "الدكتور محمد جمال صقر أديب ولغوي وشاعر وذوّاقة (...)، ولم يكن بُدٌّ من أن أنقب قليلا عن سيرته، لأسعد بالتعرف إلى رجل مميز، من الغُيُر على العربية، المجدّدين رونقها -أكثر الله من أمثاله، محافظة على وعاء القرآن ورَحِمِه!- ومما عرفني به قصيدة لأحد تلاميذه ومحبيه -واسمه راشد النوفلي من كلية الآداب بجامعة السلطان قابوس- طريفة لطيفة سماها [خاتمة مقام العروض، دندنة العَروض وأحسن العُروض]، قال فيها (...)، ولا عجب أن يدندن تلاميذ شاعر صناجة، وهو الذي (...)"! **<u>طيب! بقي أن ننظر معا في الاختبار نظرة سريعة قبل أن تذهبوا.</u>**

اِخْتِبَارُ مُنْتَهَى خَرِيفِ ٢٠١٦م،

فِي مُقَرَّرِ "الْعَرُوضِ وَالْقَافِيَةِ= عَرَبِيٌّ ٢٥٨٨"

- <u>قَالَ أَبُو حَامِدٍ الْغَزَّالِيُّ:</u>

١ جئناك بقلب منكسر ولسان بالشكوى لهج

٢ فكم استشفى مزكوم الذنب بنشر الرحمة والأرج

٣ لدي نفس أحب أنعتها لتعرفوا نعتها وأسماها

٤ أزجرها وهي لي مخالفة كأنني لست من أوداها

٥ وطعامي وشراب واحد وهو رمز فافهموه حسنا

٦ ليس خمرا سائغا أو عسلا لا ولا ماء ولكن لبنا

٧ ما في اختلاد الناس خير ولا ذو الجهل بالأشياء كالعالم

٨ يا لائمي في تركهم جاهلا عذري منقوش على الخاتم

٩ قل لمن يفهم عني ما أقول أقصر القول فذا شرح يطول

١٠ ثم سر غامض من دونه ضربت والله أعناق الفحول

١١ ظهرت فلما أن بهرت تجليا بطنت بطونا كاد يقضي بردتي

١٢ فأوقعت بين العقل والحس عندما خفيت خلافا لا يزول بصلحة

- فَانْسُبْ بُخَطَانَا الْأَرْبَعَ إِلَى بَحْرِهِ، كُلًّا مِنْ: ٢، ٣، ٥، ٧، ٩، ١٢،
- وَاذْكُرْ مِنْ كُلٍّ مِنْ: ١، ٤، ٨، ١٠- قَافِيَتَهُ، وَلَقَبَهَا، وَأَجْزَاءَهَا، وَنَوْعَهَا!

كَانَ اللَّهُ جَارَكَ!

هذا الاختبار -يا جماعة!- سيكون على هذا النحو، اثني عشر بيتا لشاعر واحد تقريبا، أحب أن آتي بالأبيات لشاعر واحد، حتى أُنبهكم عليه. من يتخيل أنه الغَزَّالي بتشديد الزاء، وأنه شاعر! من كان يعرف -هذا صاحب "إحياء علوم الدين"، و"المنقذ من الضلال"، و"المستصفى من علم الأصول"، وغيرها- من كان يظن أن اسمه بتشديد الزاء، وأنه شاعر، من؟ لا أحد، هذه فرصة، أن نتعلم بالاختبار، آخر تَعَلُّمَة، تبقى إلى يوم الدين! وأسألك هذين السؤالين: انْسُبْ، قال... فانسب...، بنيت الكلام على الكلام: فَعَلَ هو، فَافْعَلْ أنت! انسب بخطانا الأربع كُلًّا من كذا وكذا، وانتبه إلى الأرقام! لحظة! سألتك عن الثاني والثالث، فإذا قطَّعت الأول دونهما فعملك صفر! سألتك عن شيء فتركته إلى غيره، هربت! هربت إلى ما تعرف مما لا تعرف، صفر! ستقول لي: لم أنتبه، يا أستاذ! صفر كذلك، كان ينبغي أن تنتبه، من علمك ألّا تنتبه؟ طيب! تذكر لي اسم البحر، فتقول: هذا من بحر الطويل، وأنا لا أنظر إلى هذا أصلا، بل إلى التقطيع والتوقيع والتفعيل والتوصيف: للتقطيع درجتان، ولكل من التوقيع والتفعيل والتوصيف درجة، تمت درجات تخريج البيت الواحد خمسًا، في ستة أبيات بثلاثين درجة. أتذكر لي أسماء البحور؟ لا أنظر إليها أساسا! لنفترض أنك سميت الطويل البسيط، فلن أُخطئك! لنفترض أنك سميت الخفيف السريع، فلن أُخطئك! لكن إذا أخطأت وضع خطوط التقطيع فعملك صفر! إذا أخطأت الدندنة فعملك صفر! إذا نسيتها خسرت درجتها! إذا أخطأت التفعيلات فسميت مُتَفَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فعملك

صفر! أرأيت! أتظن أنك تحفظ أسماء البحور بالتفعيلات وتذكر الأسماء! لا قيمه لها عندنا، القيمة للجوهر. والسؤال الثاني بعشرين درجة، واذكر من كذا كذا وكذا! أتترك هذا إلى غيره! صفرا! انتبه إلى الأرقام، الأرقام، لأنني سأحددها على حسب مشكلات القافية، سأختار لك القوافي المُشْكِلَة. ستقِل درجاتك في اختبار المنتهى قطعًا، لكنك ستنتفع بالدرجات السابقة، حصلت -ما شاء اللهُ!- على ٢٥ من ٢٥، وعلى خمَسات متوالية، عندك -ما شاء اللهُ!- غنيمة، سأجتهد -إن شاء اللهُ!- أن أنتَهِبَها، فانتبهوا، "مَنْ خَوَّفَكَ حَتَّى تَلْقَى الْأَمْنَ أَحْرَصُ عَلَيْكَ مِمَّنْ أَمَّنَكَ حَتَّى تَلْقَى الْخَوْفَ"! طيب! سأطالبك بتحديد القافية -له درجة- وبلقبها على حسب ما بين ساكنيها -له درجة- وبذكر أجزائها حروفا وحركات -لا تنس الحركات، فالأجزاء حروف وحركات! ولها درجة، وإذا نقصت نقصنا!- وبنوعها -ما نوعها؟ هذا الجزء الذي كنا نذكره في البيانات بعد الوزن: نونية مفتوحة مردفة بكذا موصولة بكذا، هذا هو، تذكره- طيب! نعود لنطبق على البيت الأول مثلا، فهيا اقرؤوا، ها!

- جِئْنَاكَ بِقَلْبٍ مُنْكَسِرٍ وَلِسَانٍ بِالشَّكْوَى لَهِجِ
- ما شاء اللهُ، ممتازون، طبعا -"اللّي عَ الْبَرّ عَوَّام"!- ها، من أي بحر؟ هيا فلنعزفه!

جِئْنَا= دن دن

كَ بِقَلْ= دددن

ـبٍ مُنْ= دن دن

ـكَسِرٍ= دددن

وَلِسَا= دددن

نٍ بِالشْ= دن دن

ـشَكْوَى= دن دن

لَهِجِ= دددن

ها؟

- المتدارك.

- أحسنت! وأخوه بعده، وانتبه إلى الإخوة -الإخوة الأعداء!- انتبه إلى أخيه، لأنه الذي سيكشفه، إن لم تنتبه بهذا انتبهت بهذا، والقافية لا تتجلى من بيت واحد، بل من بيتين فأكثر. هيا، اقرؤوا الثاني!

فَكَمِ اسْتَشْفَى مَزْكُومُ الذَّنْبِ

نعرف مزكوم الأنف لا الذنب!

فَكَمِ اسْتَشْفَى مَزْكُومُ الذَّنْبِ بِنَشْرِ الرَّحْمَةِ وَالْأَرَجِ

أكثر الأبيات في الزهد، في التصوف.

- فَكَمِ اسْـ= دددن

ـتَشْفَى= دن دن

مَزْكُو= دن دن

مُ الذَّنْـ= دن دن

ـبِ بِنَشْـ= دددن

ـرِ الرَّحْـ= دن دن

ـمَةِ وَالْـ= دددن

ـأَرَجِ= دددن

- الله الله، ممتازون خارج الاختبار! طيب، ما قافية البيت الأول؟

- ـوَى لَهَجِ

- "ـوَى لَهِجِ"، "لَهِجِ"، لا "لَهَجِ"! سيقول بعضكم طبعا: لَهِجُ، وعندئذ سيقول: القافية جيميّة مضمومة، صفر؛ فهي جيميّة مكسورة! تظنون أنكم تهربون بعدم التشكيل؛ فماذا ستفعلون في هذه؟ ستقولون: جيمية مضمومة وهي مكسورة! يا أستاذ، ورطتنا في التشكيل؛ فلا مهرب منه! ألا فانتبهوا! هي إذن "ـوَى لَهِجِ"، لهج نعت لسان، ولسان معطوف على مجرور، والمعطوف على المجرور مجرور، نَحْوٌ نَحْوٌ، لا مهرب منه! ها، نَوِّعُوها -أي انسبوها إلى نوعها!- ما نوعها؟

- جيمية مكسورة مجردة موصولة بالياء.

- أحسنتم!

- ننتقل إلى صعب آخر، أين الصعب؟ اقرؤوا التاسع والعاشر هذا، وأنا متأكد من أنكم ستخطؤون!
- قُلْ لِمَنْ يَفْهَمُ عَنِّي مَا أَقُولُ أَقْصِرِ الْقَوْلَ فَذَا شَرْحٌ يَطُولُ
- ها، واقرؤوا أخاه!
- ثُمَّ سِرٌّ غَامِضٌ مِنْ دُونِهِ ضُرِبَتْ وَاللهِ أَعْنَاقُ الْفُحُولِ
- "ثُمَّ" -ما شاء الله!- كيف يقول: ثُمَّ سِرٌّ...! "ثَمَّ" -أي هنا- ها!
- ثَمَّ سِرٌّ غَامِضٌ مِنْ دُونِهِ ضُرِبَتْ وَاللهِ أَعْنَاقُ الْفُحُول
- طيب -يا مسكين!- "... أَعْنَاقُ الْفُحُولِ"، و"... شَرْحٌ يَطُولُ"، هل يجوز هذا؟ كيف نُحُلّ هذا الأشكال؟
- ... أَعْنَاقُ الْفُحُولُ
- كيف نُحُلّ هذا الأشكال؟
- ... أَعْنَاقُ الْفُحُولْ ... شَرْحٌ يَطُولْ
- أحسنت، يا منى! يا سلام، أستاذة! كانت تريد أن تخرج، لو كانت خرجت ما استفدنا هذه الفائدة! نعيد، وسنحتاج إلى تسكين آخر صدر البيت الأول كذلك:

قُلْ لِمَنْ يَفْهَمُ عَنِّي مَا أَقُولْ أَقْصِرِ الْقَوْلَ فَذَا شَرْحٌ يَطُولْ
ثَمَّ سِرٌّ غَامِضٌ مِنْ دُونِهِ ضُرِبَتْ وَاللهِ أَعْنَاقُ الْفُحُولْ

من يستطيع هذا؟ لا أحد، صفرا! طيب، من أي وزن هذان البيتان؟ من أي وزن؟ هيا، فَلْنُغَنِّهِما!

- قُلْ لِمَنْ يَفْـ= دن ددن دن
ـهَمُ عَنِّي= ددن دن
مَا أَقُولْ= دن ددنْ
أَقْصِرِ الْقَوْ= دن ددن دن
لَ فَذَا شَرْ= ددن دن
حٌ يَطُولْ= دن ددنْ
ثَمَّ سِرٌّ= دن ددن دن
غَامِضٌ مِنْ= دن ددن دن

دُونه= دن ددن

ضُرِبَتْ وَالْ= دددن دن

ـله أَعْنَا= دن ددن دن

قُ الْفُحُولْ= دن ددنّ

- بنون مشددة عليها سكون، ما بحر هذين البيتين؟
- الرمل.
- أحسنت! الرمل. ما قافية الأول؟
- ـطُولْ
- أحسنتَ "طُولْ"، وما قافية الثاني؟
- ـحُولْ
- نَوّعيها؟ هذه...
- لامية، واوية.
- لا، لامية، لامية ساكنة -لابد من "ساكنة" هذه- مردفة بواو -بواو فقط؟ تنقصين!- مردفة بواو المد -هِهِه!- ما لكم! واو المد غير واو اللين؛ عندنا "طُول"، وعندنا "طَوْل"، عندنا "بِين"، وعندنا "بَيْن"، هذا شيء، وهذا شيء؛ إلى هذه الدرجة من التدقيق في الاختبار، أنتقم من المنتصف -فاحذروا!- أنتقم في المنتهى من المنتصف؛ ذهب زمان التدليل في المنتصف وطوال الفصل، ذَهَب ذَهَب! فرصتي أن أنتقم من الطلاب في المنتهى! طيب، لحظة! "ـطُولْ"، "ـحُولْ"، ألا ترون أنه تمسك بالواو، وكان يمكنه ألا يتمسك؟ ما اسم هذا؟
- لزوم ما لا يلزم.
- الله على العلم! هذا العلم! من استطاع أن يتذكر هذا استفاد منه، ربما رأفنا به فوضعنا هذا موضع غيره، فأخذ الدرجة. أرأيتم؛ هذا اختبار، والأمر جِدّ، لا هزل فيه، عندكم هذا الاختبار، واختبار آخر؛ فتدربوا بهما، وانتبهوا؛ فعلى مثلهما سيجري اختباركم. ولتسامحونا على ما قصرنا -هذه الدنيا لا يبقى فيها إلا الذكر الطيب- **بارك الله فيكم، وشكر لكم، وأحسن إليكم، والسلام عليكم!** واعلموا -يا جماعة، هذه هدية، هذه فاكهة الختام!- أننا سجلنا المحاضرات كلها، بجدها وهزلها، وإحسانها

وإساءتها، وأخطائي وأخطائكم، وسنرفعها على الإنترنت! سيسمعكم الناس في أرجاء العالم، من المشرق إلى المغرب...

- حينما طُردنا!
- سيسمعونني حينما أثني عليكم، وحينما أطردكم من المحاضرات -ها!- سيسمعون هذا -بالله!- سيسمعون، وسيفرحون كثيرا، ويتمنون أن لو كانوا معكم -هذا مجرَّب- والفضل لأحمد الناصري، هذا الذي سجلها لنا ببرنامج خاص...
- يستحق خمس درجات!
- يستحق فعلا، على أن يأتي لنا بالتسجيلات، فما زالت عنده، سيأتينا بها -إن شاء الله!- وسأحفظها عندي، وسأرفعها قدر الطاقة على الإنترنت، ولعلني أشير إليكم على التويتر أو على الفيسبوك، لتدخلوا وتستفيدوا! هو نفسه من باب التجربة فتَح المحاضرة الأولى، فوجدني أتكلم عنه قائلا لكم: يا جماعة، أحمد هذا شيطان من الشياطين؛ فضحك كثيرا! ستسمعون كل شيء، بارك الله فيكم، مع السلامة!

قَوَائِمُ بيَانَاتِ الطُّلَّابِ

القائمة الفصلية: عربي٢٥٨٨/١٠

جامعة السلطان قابوس
عمادة القبول والتسجيل
قوائم الشعب الفصلية للفصل الدراسي: الربيع ٢٠١٨

التاريخ: ٢٠١٨/٠٥/١٤ ٠٨:٢١

رمز المساق: عربي٢٥٨٨
الساعات المعتمدة: ٣
اسم المساق: العروض والقافية
الكلية/القسم: كلية الآداب والعلوم الاجتماعية/اللغة العربية

الشعبة: ١٠
الحد الأقصى: ٣٠

المبنى/القاعة	اليوم	التوقيت	المدرس
غرف التدريس العامة/و٢٧	الاثنين	١٦:١٥-١٧:٣٥	محمد صقر
غرف التدريس العامة/و١٦	الاحد	١٠:٠٠-١١:٢٠	محمد صقر

- اضغط على اسم الطالب لإرسال بريد إلكتروني
- ارسل بريد إلكتروني الى كل الطلاب

التسلسل	رقم الطالب	اسم الطالب	الوضع الأكاديمي	الكلية	التخصص	الجنس	المرشد الأكاديمي
١	١٢ /١٠٣٠٨٤	سهيل محمد سعيد فرجيش المشيخي	مسجل	كلية التربية	اللغة العربية	ذكر	سليمان الغتامي
٢	١٤ /١١١٣٩٧	سالمه علي محمد الكاسبية	مسجل	كلية التربية	اللغة العربية	أنثى	ندى الوشاحي
٣	١٥ /١١٤٦٨٨	مريم خليفه راشد الجعفرية	مسجل	كلية التربية	اللغة العربية	أنثى	محمد العياصره
٤	١٥ /١١٥٥٦٤	رحمه عبيد علي الجنيبية	مسجل	كلية التربية	اللغة العربية	أنثى	محمد العياصره
٥	١٥ /١١٥٧٧٠	علي محمد ابراهيم النوفلي	مسجل	كلية التربية	اللغة العربية	ذكر	محمد العياصره
٦	١٥ /١١٦٠٨٩	أحمد سعيد علي الشكيلي	مسجل	كلية الأداب والعلوم الاجتماعية	اللغة العربية وآدابها	ذكر	محمد المنجد
٧	١٥ /١١٧٥٨٠	أميره راشد سالم الجهورية	مسجل	كلية الأداب والعلوم الاجتماعية	اللغة العربية وآدابها	أنثى	زاهر الغسيني
٨	١٦ /١١٨٢٧٧	علياء سالم عامر الهاشمية	مسجل	كلية الأداب والعلوم الاجتماعية	اللغة العربية وآدابها	أنثى	زاهر الغسيني
٩	١٦ /١١٨٥٨٠	هبه سليم علي الغافرية	مسجل	كلية الأداب والعلوم الاجتماعية	اللغة العربية وآدابها	أنثى	محمد العلوي
١٠	١٦ /١١٨٦٥٢	تسنيم حمد سعيد الجلندانية	مسجل	كلية التربية	اللغة العربية	أنثى	ريا المنذري
١١	١٦ /١١٨٦٥٣	غايه محمد بخيت العوائد	مسجل	كلية الأداب والعلوم الاجتماعية	اللغة العربية وآدابها	أنثى	طارق سليمان
١٢	١٦ /١١٨٦٧٥	محمد محمود ناصر القصابي	مسجل	كلية التربية	اللغة العربية	ذكر	ريا المنذري
١٣	١٦ /١١٨٧٤٩	طيف سلطان حارث اليعربية	مسجل	كلية التربية	اللغة العربية	أنثى	ريا المنذري
١٤	١٦ /١١٩١٧٦	نصر ناصر حليط العبري	مسجل	كلية التربية	اللغة العربية	ذكر	ريا المنذري
١٥	١٦ /١١٩٢٥٧	شروق عامر خميس القطيطية	مسجل	كلية الأداب والعلوم الاجتماعية	اللغة العربية وآدابها	أنثى	فاطمة الشيدي
١٦	١٦ /١١٩٥١٣	داليا مرهون سيف الحاتمية	مسجل	كلية التربية	اللغة العربية	أنثى	محسن السالمي
١٧	١٦ /١١٩٥١٧	محمد سالم حمد العامري	مسجل	كلية الأداب والعلوم الاجتماعية	اللغة العربية وآدابها	ذكر	زاهر الغسيني
١٨	١٦ /١١٩٨٤٤	مصعب محمود علي الذهلي	مسجل	كلية التربية	اللغة العربية	ذكر	محسن السالمي
١٩	١٦ /١٢٠١٣٥	الهام محمد عبدالله الخاطرية	مسجل	كلية الأداب والعلوم الاجتماعية	اللغة العربية وآدابها	أنثى	خالد الكندي
٢٠	١٦ /١٢٠١٨٧	هبه سعيد محمد الجديدية	مسجل	كلية الأداب والعلوم الاجتماعية	اللغة العربية وآدابها	أنثى	مصطفى العيثاوي
٢١	١٦ /١٢٠٣٧٤	أماني سيف ضحي القطيطية	مسجل	كلية الأداب والعلوم الاجتماعية	اللغة العربية وآدابها	أنثى	أحمد الحنشي
٢٢	١٦ /١٢٠٧٧٩	البشرى خلف حمود العبرية	مسجل	كلية الأداب والعلوم الاجتماعية	اللغة العربية وآدابها	أنثى	محمد المنجد
٢٣	١٦ /١٢١٠٦٣	زينب عبدالله حميد الخاطرية	مسجل	كلية التربية	اللغة العربية	أنثى	محسن السالمي
٢٤	١٧ /١٢٤١٦٣	موزه حمدان عبدالله البراشدية	مسجل	كلية التربية	اللغة العربية	أنثى	وحيد حماد

القائمة الفصلية: عربي٢٠/٢٥٨٨

جامعة السلطان قابوس
عمادة القبول والتسجيل
قوائم الشعب الفصلية للفصل الدراسي: الربيع ٢٠١٨

التاريخ: ٢٠١٨/٠٥/١٤ ٠٨:٢١

رمز المساق: عربي٢٥٨٨
الساعات المعتمدة: ٣
اسم المساق: العروض والقافية
الكلية/القسم: كلية الآداب والعلوم الاجتماعية/اللغة العربية

الشعبة: ٢٠
الحد الأقصى: ٣٠

المبنى/القاعة	اليوم	التوقيت	المدرس
غرف التدريس العامة/و١٧	الاثنين	١٠:٠٠-١١:٢٠	محمد صقر
غرف التدريس العامة/و١٧	الاربعاء	١٠:٠٠-١١:٢٠	محمد صقر

- اضغط على اسم الطالب لإرسال بريد إلكتروني
- ارسل بريد إلكتروني الى كل الطلاب

التسلسل	رقم الطالب	اسم الطالب	الوضع الأكاديمي	الكلية	التخصص	الجنس	المرشد الأكاديمي
١	١٣/١٠٦٢٠٩	معتز عاصم خليفة العزري	مسجل	كلية الآداب والعلوم الاجتماعية	اللغة العربية وآدابها	ذكر	محمد زروق
٢	١٣/١٠٧٤٣٦	مروان سالم حامد السالمي	مسجل	كلية التربية	اللغة العربية	ذكر	سليمان الغتامي
٣	١٣/١٠٧٩١٠	احمد خميس محمد العبري	مسجل	كلية التربية	اللغة العربية	ذكر	سليمان الغتامي
٤	١٤/١١٠٧٢٢	علي محمود يحيى الكندي	مسجل	كلية الآداب والعلوم الاجتماعية	اللغة العربية وآدابها	ذكر	
٥	١٤/١١١٥٢٥	فاطمة مطير محمد الشماخيه	مسجل	كلية الآداب والعلوم الاجتماعية	اللغة العربية وآدابها	أنثى	علي الكلباني
٦	١٤/١١٢٩١٠	محمد عبد الجليل محمد المرشدي	مسجل	كلية الآداب والعلوم الاجتماعية	اللغة العربية وآدابها	ذكر	محمد صقر
٧	١٥/١١٤٥٨٩	خليل خلفان عامر الحضرمي	مسجل	كلية الآداب والعلوم الاجتماعية	اللغة العربية وآدابها	ذكر	سناء الجمالي
٨	١٥/١١٥٦٩٧	رحاب نصر فايل العلوية	مسجل	كلية التربية	اللغة العربية	أنثى	فاطمه البوسعيدي
٩	١٥/١١٥٦٩٩	منصور عبدالله منصور المسلمي	مسجل	كلية التربية	اللغة العربية	ذكر	محمد العياصره
١٠	١٥/١١٦١٧٠	مريم محمد سعيد الشعيلية	مسجل	كلية الآداب والعلوم الاجتماعية	اللغة العربية وآدابها	أنثى	أمجد طلافحه
١١	١٥/١١٦٦٨٨	بيان خليفه ناصر الطاعونية	مسجل	كلية الآداب والعلوم الاجتماعية	اللغة العربية وآدابها	أنثى	زاهر الداودي
١٢	١٥/١١٦٨٤٨	سامي خالد سالم المزروعي	مسجل	كلية التربية	اللغة العربية	ذكر	فاطمه البوسعيدي
١٣	١٥/١١٧٠١٢	وعد أحمد محمد المسعودية	مسجل	كلية التربية	اللغة العربية	أنثى	فاطمه البوسعيدي
١٤	١٥/١١٧٦٦٣	ماريه محمد ثابت الشيبانية	مسجل	كلية التربية	اللغة العربية	أنثى	فاطمه البوسعيدي
١٥	١٦/١١٨٣٨٥	ريان علي عبدالله الحبسية	مسجل	كلية التربية	اللغة العربية	أنثى	ريا المنذري
١٦	١٦/١١٨٤١٦	محمد أحمد محمد السرحني	مسجل	كلية التربية	اللغة العربية	ذكر	ريا المنذري
١٧	١٦/١١٨٤٨٠	ايمان محمد حميد الحاتمية	مسجل	كلية التربية	اللغة العربية	أنثى	ريا المنذري
١٨	١٦/١١٨٤٩٣	ليلى حمدان الذيب التوبية	مسجل	كلية التربية	اللغة العربية	أنثى	ريا المنذري
١٩	١٦/١١٨٥٥٧	احمد عبدالله سالم السناني	مسجل	كلية التربية	اللغة العربية	ذكر	ريا المنذري
٢٠	١٦/١١٨٥٧٤	المنذر سليمان محمد الجهضمي	مسجل	كلية التربية	اللغة العربية	ذكر	ريا المنذري
٢١	١٦/١١٨٦١٨	شيماء هلال العبد الدرعية	مسجل	كلية التربية	اللغة العربية	أنثى	ريا المنذري
٢٢	١٦/١١٨٧١٩	هاجر محفوظ عامر الغاوية	مسجل	كلية التربية	اللغة العربية	أنثى	ريا المنذري
٢٣	١٦/١١٩١٤٤	أمجد محمود خلفان الناصري	مسجل	كلية التربية	اللغة العربية	ذكر	ريا المنذري
٢٤	١٦/١١٩٣٩٩	روان سعيد ناصر الشهومية	مسجل	كلية التربية	اللغة العربية	أنثى	محسن السالمي
٢٥	١٦/١١٩٦٢٥	منى بخيت سعيد عيرون الشحري	مسجل	كلية الآداب والعلوم الاجتماعية	اللغة العربية وآدابها	أنثى	مصطفى العيثاوي

٢٦	١٦ /١٢٠٠٦٨	أسماء ناصر حمد الحارثية	مسجل	كلية التربية	اللغة العربية	أنثى	محسن السالمي
٢٧	١٦ /١٢٠٠٩٧	يوسف جميل خميس اليحمدي	مسجل	كلية التربية	اللغة العربية	ذكر	محسن السالمي
٢٨	١٦ /١٢٠١٤٥	محمد خالد عبدالله المعولي	مسجل	كلية التربية	اللغة العربية	ذكر	محسن السالمي
٢٩	١٦ /١٢٠٦٨١	صلاح صالح راشد العموري	مسجل	كلية التربية	اللغة العربية	ذكر	محسن السالمي
٣٠	١٦ /١٢٠٨٤٨	أسماء سعيد خميس الحربية	مسجل	كلية التربية	اللغة العربية	أنثى	محسن السالمي
٣١	١٦ /١٢٠٩٤٧	أمل حميد علي الحوسنية	مسجل	كلية التربية	اللغة العربية	أنثى	محسن السالمي
٣٢	١٦ /١٢١٠٢٩	ليث اسحاق يوسف الكندي	مسجل	كلية الأداب والعلوم الاجتماعية	اللغة العربية وآدابها	ذكر	محمد المعشني
٣٣	١٦ /١٢١٠٦١	عهود خالد سالم الدرعية	مسجل	كلية التربية	اللغة العربية	أنثى	محسن السالمي

القائمة الفصلية: عربي٢٥٨٨/٣٠ **جامعة السلطان قابوس** **التاريخ**: ٢٠١٨/٠٥/١٤ ٠٨:٢١

عمادة القبول والتسجيل

قوائم الشعب الفصلية للفصل الدراسي: الربيع ٢٠١٨

رمز المساق: عربي٢٥٨٨ **الشعبة**: ٣٠
الساعات المعتمدة: ٣ **الحد الأقصى**: ٣٠
اسم المساق: العروض والقافية
الكلية/القسم: كلية الآداب والعلوم الاجتماعية/اللغة العربية

المبنى/القاعة	اليوم	التوقيت	المدرس
غرف التدريس العامة/و٥٥	الاحد	١٢:٠٠-١٣:٢٠	محمد صقر
غرف التدريس العامة/و٥٥	الثلاثاء	١٢:٠٠-١٣:٢٠	محمد صقر

- اضغط على اسم الطالب لإرسال بريد إلكتروني
- ارسل بريد إلكتروني الى كل الطلاب

التسلسل	رقم الطالب	اسم الطالب	الوضع الأكاديمي	الكلية	التخصص	الجنس	المرشد الأكاديمي
١	١٢/١٠١١٠٣	فيصل سليمان محمد المعمري	مسجل	كلية التربية	اللغة العربية	ذكر	فاطمه الكاف
٢	١٤/١١٠٦٨٥	أصيله علي مرهون الكلبانية	مسجل	كلية الأداب والعلوم الاجتماعية	اللغة العربية وآدابها	أنثى	رابح أبو معزة
٣	١٤/١١١٧٠٩	عمر عبدالله مصبح الرشيدي	مسجل	كلية التربية	اللغة العربية	ذكر	ياسر فوزي
٤	١٤/١١٣٤٣٣	حنين علي عبدالله الحجرية	مسجل	كلية الأداب والعلوم الاجتماعية	اللغة العربية وآدابها	أنثى	إحسان اللواتي
٥	١٥/١١٤٤٣٩	انوار سعيد سالم الرشيدية	مسجل	كلية الأداب والعلوم الاجتماعية	اللغة العربية وآدابها	أنثى	محمد المعشني
٦	١٥/١١٤٤٦٣	المهلب خالد سيف البوسعيدي	مسجل	كلية التربية	اللغة العربية	ذكر	فاطمه البوسعيدي
٧	١٥/١١٤٦٣٤	مروا خويطر خميس السعيدية	مسجل	كلية الأداب والعلوم الاجتماعية	اللغة العربية وآدابها	أنثى	محمود الريامي
٨	١٥/١١٤٧٥٤	منى سليم صروخ النوتكية	مسجل	كلية الأداب والعلوم الاجتماعية	اللغة العربية وآدابها	أنثى	سناء الجمالي
٩	١٥/١١٤٨٤٩	رحمه عبدالله سعيد الحضرمية	مسجل	كلية الأداب والعلوم الاجتماعية	اللغة العربية وآدابها	أنثى	زاهر الداودي
١٠	١٥/١١٤٩٠٠	أمل سيف عبدالله الراشدية	مسجل	كلية الأداب والعلوم الاجتماعية	اللغة العربية وآدابها	أنثى	زاهر الداودي
١١	١٥/١١٥٥١٠	ميسون سعيد محمد الراشدية	مسجل	كلية الأداب والعلوم الاجتماعية	اللغة العربية وآدابها	أنثى	زاهر الداودي
١٢	١٥/١١٥٧١٢	ابتسام علي حميد العلوية	مسجل	كلية التربية	اللغة العربية	أنثى	فاطمه البوسعيدي
١٣	١٥/١١٦٢٢٢	مريم عبدالله علي المقبالية	مسجل	كلية الأداب والعلوم الاجتماعية	اللغة العربية وآدابها	أنثى	علي الكلباني
١٤	١٥/١١٦٤٥٩	نوره مبارك راشد الشريقية	مسجل	كلية الأداب والعلوم الاجتماعية	اللغة العربية وآدابها	أنثى	علي الكلباني
١٥	١٥/١١٦٦٤٩	نوره سالم علي الجهورية	مسجل	كلية الأداب والعلوم الاجتماعية	اللغة العربية وآدابها	أنثى	محمد زروق
١٦	١٥/١١٦٨١٧	بدريه علي مبارك الشكيلية	مسجل	كلية الأداب والعلوم الاجتماعية	اللغة العربية وآدابها	أنثى	خالد الكندي
١٧	١٥/١١٦٨٢٧	مسعود عبدالله مسعود الجديدي	مسجل	كلية التربية	اللغة العربية	ذكر	فاطمه البوسعيدي
١٨	١٥/١١٧٢٧٤	سالمة خلفان جتيل الغدانية	مسجل	كلية الأداب والعلوم الاجتماعية	اللغة العربية وآدابها	أنثى	محمد صقر
١٩	١٦/١١٨١٤٦	كاذية محسن سعيد الدغيشية	مسجل	كلية الأداب والعلوم الاجتماعية	اللغة العربية وآدابها	أنثى	جوخه الحارثي
٢٠	١٦/١١٨٥٤٩	لميس مسلم خلف الزكوانية	مسجل	كلية التربية	اللغة العربية	أنثى	ريا المنذري
٢١	١٦/١١٨٥٥١	رايه حمد سيف الغافرية	مسجل	كلية الأداب والعلوم الاجتماعية	اللغة العربية وآدابها	أنثى	سناء الجمالي
٢٢	١٦/١١٨٧١١	أزهار عبدالله محمد السيفية	مسجل	كلية التربية	اللغة العربية	أنثى	ريا المنذري
٢٣	١٦/١١٨٧٣٨	حنان حماد حمود الوردية	مسجل	كلية الأداب والعلوم الاجتماعية	اللغة العربية وآدابها	أنثى	زاهر الداودي
٢٤	١٦/١١٨٨٥٨	مسعد حميد سالم الجعفري	مسجل	كلية التربية	اللغة العربية	ذكر	ريا المنذري
٢٥	١٦/١١٩٠٥١	مروان حميد صالح الرديني	مسجل	كلية التربية	اللغة العربية	ذكر	ريا المنذري

٢٦	١٦ /١١٩٥٥٣	أماني محمد سلوم الجابرية	مسجل	كلية الآداب والعلوم الاجتماعية	اللغة العربية وآدابها	أنثى	محمود الريامي
٢٧	١٦ /١١٩٥٥٤	ذكرى حسن عبدالله البلوشية	مسجل	كلية الآداب والعلوم الاجتماعية	اللغة العربية وآدابها	أنثى	فاطمة الشيدي
٢٨	١٦ /١٢٠٠٣٥	خديجة عبدالله محمد البوصافية	مسجل	كلية التربية	اللغة العربية	أنثى	محسن السالمي
٢٩	١٦ /١٢٠٦١٣	انتصار مسلم سالم الحربية	مسجل	كلية الآداب والعلوم الاجتماعية	اللغة العربية وآدابها	أنثى	زاهر الداودي
٣٠	١٦ /١٢٠٧٤٤	هاجر سالم زايد البوسعيدية	مسجل	كلية التربية	اللغة العربية	أنثى	محسن السالمي
٣١	١٦ /١٢٠٧٦٩	أصيله محمد سالم الحجرية	مسجل	كلية الآداب والعلوم الاجتماعية	اللغة العربية وآدابها	أنثى	زاهر الداودي
٣٢	١٦ /١٢٠٨٨٧	شفاء عبدالله ساعد البدرية	مسجل	كلية الآداب والعلوم الاجتماعية	اللغة العربية وآدابها	أنثى	محمد زروق
٣٣	١٧ /١٢١٩٩٣	نوف راشد سيف السعدية	مسجل	كلية التربية	اللغة العربية	أنثى	نسرين صلاح الدين
٣٤	١٧ /١٢٤٦٢٣	مناهل ناصر علي الخيارية	مسجل	كلية التربية	اللغة العربية	أنثى	وحيد حماد
٣٥	١١ /٩٩٠٦٦	أحمد عبدالله ناصر مسعود الناصري	مسجل	كلية الآداب والعلوم الاجتماعية	اللغة العربية وآدابها	ذكر	زاهر الداودي

أَعْلَامُ الْمُنَادَمَاتِ(١)

---

(١) أَعَدَّ هذا الفهرس -وراجع الكتاب- تلميذي المصري النجيب الأستاذُ علي جمال حامد عبد القادر، الطالب الممتاز الآن (٢٠٢٥-٢٠٢٦)، بالفرقة الرابعة من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، جزاه الله عني خيرا!

تَعْرِيفُ النَّدِيمِ



الدكتور محمد جمال صقر،
مصري مولود بمصر، في:
١٣٨٥/١١/٢٨ (١٩٦٦/٣/٢٠).
كاتب أديب لغوي،
أستاذ بقسم النحو والصرف والعروض، من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، شارك في قسم اللغة العربية وآدابها، من كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، بجامعة السلطان قابوس،
مشغول من الأدب بالشعر والقصة والمقال، ومن اللغة بنظرية النصية العروضية وتطبيقاتها.
في صفحته هذه:
https://archive.org/details/@user٨٣٦٥٥

بيان سيرته العلمية والعملية، وطائفة من أعماله كبيرة متنوعة.